

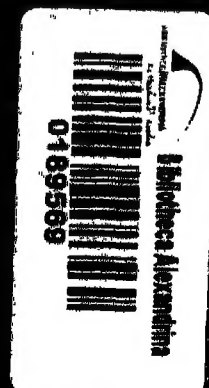
انوري روي

ليلى

مكتبة الفتح العربي سنة ١٩١١

ترجمة رشيد  
منهجي

تدوين











ليبيا  
مُنْذُ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ حَتَّى سَنَةِ ١٩١١



إتوري رُوسي

لِيبَا

مُنْذَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ حَتَّى سَنَةِ ١٩١١

ترجمته وتقديم  
خليفة محمد التليسي

  
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الإسكندرية  
توزيع

دار العربية للكتاب

**ETTORE ROSSI**

**STORIA DI TRIPOLI  
E DELLA TRIPOLITANIA  
DALLA CONQUISTA ARABA AL 1911**

رقم الايداع  

---

٩١ - ١٠١٨

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م  
الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

## تقديم

### هليلفة محمد التليسي

ليست هذه المرة الأولى التي ألتقي فيها بأعمال المؤرخ الايطالي المعروف (إتوري روسي). فقد سبق أن قرأت له، ونقلت عنه إلى العربية دراسته المركزة القيمة - (طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا التي كان له فيها، بلا مراء، فضل الريادة في الضرب في مجاهل هذه الفترة الغامضة من تاريخ ليبيا، ووضع هذه الفترة الهامة في إطارها التاريخي من أحداث العصر التي كانت تعصف بشرقي البحر الأبيض المتوسط وغربيه، عقب انحسار المد الصليبي عن الأراضي المقدسة ثم انحسار المد الاسلامي عن الأندلس، وبروز العثمانيين كقوة إسلامية بحرية كبرى في هذا البحر، وظهور الإسبان كقوة منافئة لهذه الحركة الإسلامية الجديدة. وبالجملة فقد كان كتابه هذا الصغير فتحاً في هذا المجال. وما يزال حتى الآن المرجع الوحيد الذي يشير بإيجازه وتركيزه إلى الآفاق الواسعة التي تنتظر الباحثين والدارسين والمهتمين بهذه الفترة الهامة من تاريخ البحر الأبيض المتوسط والصراع حوله.

ليست هذه إذن المرة الأولى التي ألتقي بها مع القاريء حول إنتاج هذا الرجل العالم المدقق ودراساته. ولكنها المرة الأولى التي نلتقي فيها على أضخم عمل قدمه إلى المكتبة التاريخية، وأوفى دراسة عن هذه الحقبة التي تمتد من الفتح الاسلامي حتى سنة ١٩١١. وليس من المدح أو الاطراء أن يقال عن هذه الدراسة إنها أضخم دراسة عرفت المكتبة التاريخية عن ليبيا - حتى الآن - من حيث استيعابها واشتغالها على هذه الفترة الزمنية الطويلة. لقد عرفت المكتبة التاريخية الليبية كتباً مختلفة متنوعة، في مختلف اللغات، تناولت حقبة وفترات

مختلفة محددة من هذا التاريخ ، ولكنها لم تعرف عملاً في هذا الشمول والاتساع إلا في كتب قليلة معدودة .

ويبقى هذا الكتاب متميزاً بصلته المباشرة بالمصادر التاريخية العربية التي اعتمد عليها فيما يتصل بكافة الفترات الإسلامية . كما يتميز كتاب روسي بدقته وأسلوبه العلمي المنهجي ، وباستيفائه لكافة الفترات .

ولا بد من السؤال . . . من هو إيتوري روسي؟ وما هي صلته بليبيا حتى يكتب عنها هذا التاريخ الشامل ، وحتى يتفرغ لهذه الفترة الطويلة يوسعها بحثاً ودراسة وتنقيحاً ، ويعود إلينا بهذه الحصيلة الوافرة من المعلومات المنهجية المنظمة؟ .

إيتوري روسي . . هو أحد كبار رجال الاستشراق الإيطالي في العصر الحديث وأحد أعلامه البارزين الذين عرفوا بدراساتهم العميقة الجادة واطلاعهم الواسع على تراث اللغتين العربية والتركية ، بالإضافة إلى متابعة دقيقة واعية لجهود رجال الاستشراق في اللغات الأخرى ، خاصة الفرنسية والانجليزية والإسبانية .

ولد إيتوري روسي سنة ١٨٩٤ ، وتوفي سنة ١٩٥٥ . وقد عمل أستاذاً للأدب العربي في جامعة روما ، ثم مديراً للمعهد الشرقي ومشرفاً على مجلته المعروفة باسم «الشرق الحديث» . وقد كتب كثيراً من الدراسات الأدبية والتاريخية عن العالم العربي والإسلامي ، خص ليبيا بالجزء الأكبر والأهم منها ، فساهم بذلك مساهمة مشكورة طيبة في إلقاء الأضواء على الفترات المجهولة من تاريخها ، خاصة ما اتصل منه بالتاريخ الأوروبي الحديث والفترات التي ارتبط فيها تاريخنا أو اتصل بالصراع الأوروبي الإسلامي على البحر الأبيض المتوسط ، منذ أن أخرج المسلمون من إسبانيا وخرج الصليبيون من آخر معاقلهم بالشرق (جزيرة رودس) ليتخذوا من مالطا بعد ذلك مركزاً لمواجهة المد الإسلامي الجديد نحو الغرب .

وفي هذا المجال تكتسب دراسات إيتوري روسي جودة وتسجل ريادة لا مجال للجدال فيها .

وما من شك في أن هذه الدراسة تكشف عن الأهمية التي احتلتها بلادنا، ومدينة طرابلس خاصة، في أحداث ذلك العصر. وهو الأمر الذي يتضح من ارتداد الموجات الأجنبية عليها سواء تمثلت في الغزوات النورمانية أو الإسبانية أو غزوات فرسان مالطا أو الحملات التي ظهرت في العصور التالية، وتتابعت أحداثها وتلاحقت حتى أدت إلى وقوع هذه البلاد في قبضة الاستعمار الحديث الذي لم يكن في واقعه التاريخي إلا امتداداً تاريخياً لذلك الصراع الذي استحكم بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم العصور.

صلة هذا المؤلف بليبيا ترقى إلى سنة ١٩١٥. وهي من السنوات الحاسمة في تاريخ الاستعمار الإيطالي بليبيا. وقد كان من آثار النكبات التي حلت بهذا الاستعمار في تلك السنة ظهور الرغبة في تلافي النقص السياسي ومراجعة الخطط والأساليب وسد النقص في الدراسات التاريخية والاجتماعية والبشرية والجغرافية.

وكان اتقان روسي للغتين العربية والتركية من الأسباب التي مهدت له سبيل المشاركة العلمية في هذا المجال. فانصرف بجدية علمية إلى ترجمة كتاب ابن غلبون (التذكار في من ملك طرابلس من الأخيار) ولعلها الترجمة الوحيدة التي تتميز بأمانتها وسلامة تحقيقها، ضمن الترجمات المختلفة والتلخيصات التي تعرض لها هذا العمل التاريخي. وقدم روسي للترجمة بمقدمة ممتازة ترجم فيها للمؤلف وعرض لمؤلفه وأسلوبه وأهميته. وما تزال هذه المقدمة من أهم المصادر التي ينبغي العودة إليها عند الحديث عن ابن غلبون ومؤلفه.

ويبدو لي أن صلة روسي بتاريخ ليبيا وطرابلس بصفة خاصة إنما انطلقت - أو تعمقت - من اتصاله بهذا الأثر الذي أفاد منه المؤلف فائدة كبيرة بالنسبة للفترات الأخيرة من العهد العثماني الأول والعهد القرمانلي. فقد كان ابن غلبون مصدره العربي الوحيد عن هذه الفترة التي أضاف إليها العرض التاريخي المتعلق بصلاتها بالدول الأوروبية، فأكمل بذلك الصورة التاريخية لذلك العهد، وقدمه إلينا في إطار العلاقات العامة التي كانت تسوده، مبيّناً أثره فيها، وتفاعله بها.

وفي سنة ١٩٢٢ أعلن الكونت (جوسي فولبي) والي طرابلس الغرب حينذاك، عن مسابقة لتأليف كتاب عن تاريخ طرابلس وطرابلس الغرب. فاشترك روسي في هذه المسابقة وفاز بالجائزة. ولكنه لم يطبع مؤلفه الذي ظل يعاوده بالمراجعة والتنقيح والإضافة والتوسع حتى مات عنه دون أن ينعم ببهجة نشره. فهو من هذه الناحية كتاب العمر، أو كتاب حياته الذي استمر في صحبته مدة طويلة. وذلك أمر يتضح للقارئ من خلال ضخامة المجهود الذي يعبر عنه هذا الكتاب، والذي جعله مرجعاً فريداً هاماً بين المراجع التي اهتمت بتاريخ ليبيا.

وقد ارتبط روسي بالبلاد وشغف بتاريخها. وأقام بها فترات أثناء الاحتلال في الخدمة العسكرية ثم المدنية، وظل على صلته بها حتى بعد الاستقلال، حيث زارها أكثر من مرة، واستعانت به مصلحة الآثار في ضبط بعض المنقوشات والشواهد الأثرية الإسلامية وتحقيقتها.

وينعكس شغف المؤلف بتاريخ ليبيا في هذا التكريس الجاد للاحاطة به في مختلف العهود. وفي تلك النظرة الموضوعية الهادئة التي نفتقدها لدى كثير من المستشرقين الذين يلونون دراساتهم في الغالب بعواطفهم واتجاهاتهم. ولا نكاد نلمح ظهور مثل هذه النزعات لدى روسي إلا في حالات قليلة، وبالدرجة التي لا نسلم منها جميعاً حين نتناول أي تاريخ. ومع ذلك فقد كان روسي موضوعياً إلى أقصى ما يمكن أن توفره له المصادر التي اعتمد عليها.

وقد اعتمد المؤلف على المصادر العربية الإسلامية بالنسبة للفترات الأولى من العهود الإسلامية، سواء كانت في أصلها العربي أو مترجمة إلى اللغات الأجنبية. وتبرز في مراجعته عن هذه الفترة كتب ابن عبد الحكم وابن الأثير وابن خلدون وابن عذاري والتجاني والقيرواني والزركشي وابن أبي دينار وابن الأبار وابن غلبون والنائب والشماخي وغيرهم. وقد بذل المؤلف جهداً واضحاً في الاستعانة بكافة المصادر، ورحل لأكثر من مكان للحصول على المصادر، كما



فعل في دراساته عن الفترة الخاصة بالإسبان وفرسان مالطا. ورجع إلى المحفوظات التركية في تركيا وطرابلس وتصفح وثائق القنصليات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والدويلات الإيطالية، فأتيح له بذلك أن يسلط أضواء جديدة على هذه الفترات وأن يفتح آفاقاً للبحث تفيد الراغب في الاستزادة والتوسع.

اقتينت هذا الكتاب فور صدوره، وتلقيت بعد فترة من ذلك نسخة منه، هدية من معهد الشرق بروما وهو الذي قام بإصدار هذا الكتاب في سنة ١٩٦٨. وما كدت أفرغ من قراءته حتى عقدت العزم على ترجمته، وباشرت الترجمة فعلاً، ثم فكرت في أن استأذن معهد الشرق في نشر الترجمة وخاطبته في ذلك فعلاً، ولكنني لم أتلّق أي رد منه. وترددت في الاستمرار في الترجمة، وانقطعت عنها حيناً، ثم غلبتني الرغبة في إبراز هذا العمل والسعي للتنويه بجهد صاحبه. وما من شك في أن نقل هذا العمل إلى اللغة العربية يحقق خدمة علمية حرص عليها المؤلف نفسه، تساهم في التعريف بجهدته وإحلاله المكان الذي يستحقه بين الدراسين الغربيين المعنيين بتاريخ العرب القديم والحديث.

وما أراي في حاجة إلى التأكيد على الجهد المبذول في ترجمة هذا الكتاب، فهو كما يرى القارئ من الكتب الأكاديمية، وليس من كتب الانطباعات والمذكرات والذكريات والرحلات. إنه دراسة تاريخية جادة، كلفتني جهداً في الترجمة، واقتضتني في كثير من الحالات الرجوع إلى المصادر العربية التي اعتمد عليها المؤلف للتأكد من صحة نقوله، وفهمه للنص. وقد حرصت في كثير من الحالات على أن أنقل عن النص الأصلي بدلاً من ترجمته كما فعلت مع النصوص المنقولة عن ابن خلدون وابن الأثير والتجاني وابن غلبون والشاخي والتمكروتي وغيرهم ممن تهيأ لي الرجوع إلى مصادرهم.

وإذا كانت الفصول الخاصة بالفتح الاسلامي والفترات التي أعقبته لا

تضيف أشياء جديدة كل الجدة للقارئ العربي، إلا أن الفصول التالية التي تبدأ من الغزو النورماني لطرابلس واحتلال الإسبان، وتسليمهم لها إلى فرسان مالطا وعلاقة البحرية العثمانية الإسلامية، بالصراع البحري على البحر الأبيض المتوسط وعرضه للعهدين القرمانلي، والعثماني، تشكل إضافة غنية سخية حقاً، وتفتح سبلاً ودروباً للبحث في هذا المجال، وتضعنا أمام صورة موسوعية شاملة عن هذه العهود في علاقاتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية والدبلوماسية.

ولا أريد أن أثقل على القارئ باستعراض فصول هذا الكتاب، ومناقشة أحكام المؤلف على الوقائع والأشخاص وتفسيره للأحداث والمواقف. فهو يقدم إلينا تاريخاً كما يراه باحث وعالم أجنبي. وهو بالطبع يشف في بعض الحالات عن وجهة نظر خاصة وليس من حقنا أن نطالب الباحث بأن يتخلى عن وجهة نظره، أو يروي الأخبار والوقائع بالطريقة التي تروق لنا. وقد سبق أن قلت في تقديم كتاب (طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا) ( . . . إن نظرة الآخر على ما بها من عدااء وتحيز كثيراً ما تكون وسيلة من وسائل اكتشاف الذات، بل إن ما يظهر في بعض الدراسات من عدااء وتحيز إنما يعبر عن إيجابية المواقف التي يمثلها هذا التاريخ لدى الذين يعادونه أو يتحيزون ضده).

على أن الإنصاف يقتضينا أن نؤكد هنا أن روسي كان من أقل المؤرخين الأجانب انسياقاً وراء الأحكام الانفعالية المرتجلة المغرضة. ويتضح ذلك لنا في حكمه هذا الذي يسجله عن القرصنة يقول فيه (لم تدخل القرصنة إلى سواحل الشمال الإفريقي في القرن السادس عشر على أيدي القراصنة المشهورين من أمثال خير الدين بربروس ودرغوث، بل كانت قديمة قدم الحروب البشرية. وكانت شائعة موجودة في العصور القديمة. وقد تصاعدت عند سواحل ليبيا والبحر الأبيض المتوسط في العهد الروماني والعهد التالية له. وحين تحكم العرب في السواحل الإفريقية أنشأوا قواعد للغزو والإغارة على الجزر والبلدان المسيحية، ورغم الصلح واتفاقيات الصداقة والاتفاقيات

التجارية مع الدول البحرية المسيحية فقد استمرت الحروب بين الطرفين أحقاباً طويلة، متخذة شكل نشاط قرصاني. ولم تكن القرصنة ميزة قاصرة على العرب. ولكنها مورست بنفس الحمية والاندفاع من قبل البحرية المسيحية. ولم تكن تختلف عنها بشيء سوى أنها - أي الحملات المسيحية - كانت أكثر تنظيماً، في جميع الحالات باعتبارها إرهاباً وتمهيداً للحملات الصليبية. وهي معروفة بأكثر مما هي معروفة الغزوات العربية غير المنظمة. وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الأوضاع شيوع السبي والاسترقاق. ولم تكن ثمة قواعد حقيقية من الحقوق والأعراف الدولية، في عالم منقسم بخلافاته الدينية مثل ذلك العالم المعروف في القرون الوسطى. فإن أسرى الحرب أو المخطوفين كانوا يعتبرون لدى الطرفين من الخدم المقيدون المغلولين الملزمين باداء أشق الأعمال وأقساها والتجديف فوق ظهور السفن الكبيرة. ونتج عن ذلك وجود أرقاء مسيحيين يتعذبون في بلدان الشمال الإفريقي، ووجود أرقاء مسلمين يقاسون في البلدان الأوروبية. ويحدث من حين إلى آخر تبادل الأرقاء واستخلاصهم بين الطرفين، ولكن ذلك كان محكوماً برغبة أصحاب الرق وتقديرهم).

غير أن هذه الموضوعية التي تتسم بها هذه المعالجة تجافي المؤلف وتجانبه حين يتحدث عن المشاعر التي سادت المنطقة، عقب سقوط الجزائر ثم تونس في أيدي الاستعمار وتحفز الدول الأوروبية للإتيان على البقية الباقية من الشعوب العربية الإسلامية، وما أثاره هذا التحفز من ردود فعل لدى العرب، ومن مشاعر عدائية دفاعية، لا يمكن تفسيرها بمجرد التعصب، دون ردها إلى واقع تلك الفترة، باعتبارها نوعاً من الدفاع ضد الأخطار المحدقة بالمنطقة. وعذره في ذلك أنه يعتمد على وثائق وتقارير لونها القناصل بمشاعرهم الذاتية ومواقف الدول التي يمثلونها واتجاهاتها، وغاب عنه الوجه الثاني الذي لا يبدو إلا من خلال التوثيق الوطني المعدوم.

ولقد قص علينا المؤلف في مقدمته ظروف تأليف هذا الكتاب، وعرض لبيان مصادره. كما أضافت الاستاذة (ماريا نالينو) بعض المعلومات المفيدة عن الظروف التي أحاطت بنشر هذا الكتاب، عقب وفاة مؤلفه.

وبعد، فهذه نظرة الآخر إلى تاريخنا، إذا لم تكن لها من فائدة إلا أن تشير في أنفسنا الرغبة في أن نكتب تاريخنا كما نراه، فقد حققت الهدف الذي توخيناه من هذه الترجمة التي كرسنا لها وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً، على أمل أن ينتفع بها الناس، وتلقى ما تستحقه من تنويه وتقدير لدى العارفين والمنصفين من رجال العلم وطلابه.

والله من وراء القصد

خليفة محمد التليسي

٩ ابريل ١٩٧٣  
طرابلس ليبيا

## تقديم

يسر معهد الشرق أن يتمكن أخيراً من نشر هذه الدراسة التاريخية (طرابلس وطرابلس الغرب منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١) التي تركها المرحوم، المدير العلمي للمعهد، دون نشر. والتي يرقى تأليفها إلى ما يقرب من أربعين سنة خلت.

ولقد حرص فعلاً، أثناء إقامته بطرابلس كمرّجم لدى حكومتها خلال الفترة ١٩٢٠ - ١٩٢٢، على الانصراف إلى البحث الدؤوب في المحفوظات والمصادر العربية المخطوطة والمنشورة حتى وفق إلى جمع مادة صالحة لتأليف كتابه (طرابلس وطرابلس الغرب منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١). وقد استفاد من هذه المادة التي جمعها في تأليف هذا العمل التاريخي الهام الذي تقدم به إلى مسابقة كان قد أجراها والي طرابلس الغرب، آنذاك، الكونت جوسيبي فولبي. وقد فاز روسي بالجائزة، ولكنه لم ينشر تلك الدراسة المتسّعة. وقد قام بمراجعتها في الأعوام التالية حتى انتهت إلى هذا التصنيف الذي فرغ منه منذ سنة ١٩٢٨، إذ أعلن في تلك السنة، في معرض تعقيبه في مجلة (الشرق الحديث) الإيطالية على كتاب (حوليات طرابلس) لفيرو، قائلاً (يسر كاتب التعقيب أن يعلن بأنه قد قطع شوطاً طيباً وأوشك على الفراغ من تأليف تاريخ عام لطرابلس الغرب، كان قد انصرف إليه منذ أعوام) ولا ريب في أن إنجاز هذا العمل لم يتأخر عن ذلك كثيراً. ثم صرفته عن هذا الكتاب أعمال أخرى، وشغلته اهتمامات مختلفة. فترك هذا التأليف جانباً، ولكنه ظل على رغبته في إجراء المزيد من البحث والدراسة، وكان يعود من حين إلى آخر إلى

هذا العمل الذي كان من إنجازات شبابه . وقد وجدت بعد وفاته تصحيحات وإضافات خطية متفرقة أجريت على النص في فترات مختلفة . وقد فكر في آخر أيامه في طبع هذا الكتاب - وكما يبدو - فإنه استأنف العمل فيه ، على أمل الفراغ من إتمامه وإكماله ، بعد أن تعلق به طوال حياته .

لقد قلت (إكمال) ، ذلك لأن الصيغة التي تركها للكتاب لم تكن نهائية ، ففي كثير من الحالات كانت نقوله في النصوص ناقصة أو بيضاء ، وفي حالات أخرى كان النص متسرعاً ، ومع ذلك فلم يمهله الموت حتى يراجع عمله ويتمه . ولكن الكتاب ، حتى بشكله الذي تركه المؤلف ، كتاب مهم حقاً . إذ لا يوجد في أية لغة تاريخ كامل لطرابلس الغرب ، خلال العهود العربية التركية . توجد فقط تواريخ جزئية . مثل الفترة القرمانلية . وليس ثمة حالة أفاد فيها المؤلفون من المصادر العربية مباشرة أو رجعوا إلى الوثائق المحفوظة . وكما سبق القول فقد انقضت أربعون سنة بين تأليف هذا الكتاب ونشره . وقد نشرت خلال هذه الأعوام مطبوعات جديدة لها علاقة ، بوجه من الوجوه ، بتاريخ طرابلس الغرب ، وفي مثل هذه الحالات - وهي قليلة في الواقع - يمكن إعطاء تفسير مختلف للأحداث . ولكن هل كان من الملائم مس (النص) الذي تركه (روسي) أم تركه على النحو الذي حرره به ؟ لقد فضلت الالتزام بالجانب الثاني . عدا حالات نادرة كان التصحيح فيها أمراً لا مفر منه . لقد تركت النص دون تغيير ، ولكنني حققت تقريباً جميع نصوص الهوامش مكملتها الناقصة منها ، ومحررة أيضاً الهوامش الناقصة ، وأشارت بين قوسين إلى مصادر لم يفد منها روسي لأنها خرجت بعد تأليف هذا الكتاب .

اعتمد روسي على طبعة قاهرية لتاريخ ابن الأثير ، واعتمدت أنا على طبعة (تورنبرج) . أما بخصوص تاريخ (ابن غلبون) ورحلة (التجاني) اللتين اعتمد عليهما (روسي) فقد أشرت في النصوص المنقولة عن تاريخ ابن غلبون إلى الترجمة التي قام بها روسي نفسه لذلك المصدر إلى اللغة الإيطالية ، واعتمدت في نصوص رحلة التجاني على الطبعة التونسية ١٩٥٨ . وتركت دون تغيير ، ما

أورده المؤلف من نصوص المكتبة الصقلية العربية التي جمعها (أماري) حتى في الحالات التي يعتمد فيها روسي على الترجمة دون النص الأصلي.

نشر المؤلف فصلين من هذا الكتاب، الأول بعنوان (سيادة الإسبان وفرسان مالطا على طرابلس ١٥٣٠ - ١٥٥١) وقد خرج في كتاب مستقل أصدرته (أنترا) في سنة ١٩٤٢ وهو يختلف نوعاً عن النص الذي خلفه المؤلف وقد التزمت بالنص الأخير<sup>(\*)</sup>.

أما الفصل الثاني فهو (العهد العثماني الثاني بطرابلس ١٨٣٥ - ١٩١١) إذ نشر جزءاً منه في المجلة الاستعمارية الإيطالية سنة ١٩٢٧ (ص ٢٩٢ - ٣٠٠) (٣٤٣ - ٣٥٣). كما اهتم روسي في دراسات أخرى بتاريخ طرابلس وهي: فرسان مالطا بطرابلس ١٥٣٠ - ١٥٥١ وعلاقات فرسان مالطا بطرابلس - في العهود التالية ١٥٥١ - ١٧٩٨ وقد نشرها في:

Archivum Melitense, VI, Malta 1924 p. 43 - 88.

ثم دراسة حول بعثة افتداء الأسرى بطرابلس في ١٧٣٠ في عهد أحمد القرمانلي وقد نشرها في مجلة (الدراسات الشرقية) سنة ١٩٢٣ - ١٩٢٥ (ص ١٤٠ - ١٤٤) ومراسلات بين مرشدي فرسان مالطا وبك طرابلس من ١٧١٤ - ١٧٧٨ نفس المصدر. ثم تاريخ التغلغل التركي من دواخل طرابلس الغرب، وقضية الحدود، وقد نشرها في مجلة الشرق الحديث سنة ١٩٢٩ (ص ١٥٣ - ١٦٧) ونظرات عامة في تاريخ ليبيا أثناء العهد البربري العربي والتركي، ونشرت في محاضر مؤتمر الدراسات الاستعمارية بفلورنسا سنة ١٩٣١. ودراسات حول التاريخ الطرابلسي، ونشرت في محاضر الجمعية الإيطالية لتقدم العلوم (ج ٣ - ٢ / ١٩٣٧ ص ٢٠٠ - ٢٠٦) والعلاقات بين فزان وطرابلس وساحل البحر الأبيض المتوسط، في مجلة الجمعية الجغرافية الإيطالية، مجموعة

---

(\*) ترجم هذا الكتاب بعنوان (طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا) خليفة محمد التليسي. نشر مؤسسة الثقافة الليبية - طرابلس ١٩٦٩.

٨ / ج ٩/ ١٩٤٨ (ص ٢٩٥ - ٣٠٢). وتاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، (مجلة ليبيا) طرابلس ١٩٥٤. (وطرابلس) مقال في الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية، كما اهتم في كتابات أخرى بالشعر الشعبي في طرابلس، ومشاكل اللهجات، وموضوعات خاصة بالفلكلور والكتابات الأثرية الإسلامية، والتطورات السياسية الحديثة. وبهذه الطريقة ظل روسي طوال حياته على اتصال مستمر بطرابلس الغرب التي أثارت في نفسه منذ كان جندياً بها في (١٥ - ١٩١٧) أولى اهتماماته باللغة العربية. روما يوليو ١٩٦٨.

ماريا نالينو.

---

(\*) أبقينا هذه المقدمة لأهميتها في بيان الظروف التي أحاطت بنشر الطبعة الإيطالية التي صدرت عن معهد الشرق... (المعرب)



## مقدمة المؤلف

هذا الكتاب عن (تاريخ طرابلس وطرابلس الغرب) صيغة جديدة معدلة لعمل سبق تقديمه إلى حكومة طرابلس الغرب في ٢٨ سبتمبر ١٩٢٢، ضمن مسابقة أجراها الكونت فولبي والي طرابلس الغرب، في ذلك الوقت. ولم يكن في الإمكان نشر هذا العمل الفائز، في إبانه، لنواقص كانت تعتريه بسبب السرعة في إنجازه، وعدم توفر الوسائل الدراسية اللازمة، بطرابلس. ولذا فقد أعدت دراسة تلك المادة الوفيرة التي تجمعت لي من دراستي الأولى، وأكملتها بمصادر ومطبوعات صدرت في الأعوام الأخيرة. ولم أر من الضروري تقديم عرض (بيلوغرافي) كامل للمنشورات التي تهتم بتاريخ طرابلس الغرب بالنظر لوجود عدد وافر ممتاز من هذه القوائم والفهارس، ولكنني أشرت في الهوامش إلى جميع المصادر التي استعنت بها، ورجعت إليها.

ولكي أعطي فكرة عامة عن هذه (البيلوغرافيا) فلإني أعرض فيما يلي الوضع الحالي للدراسات التاريخية حول طرابلس الغرب. فإذا استثنينا الخلاصة التي قدمها (ر. ميكاسي) بعنوان (طرابلس الغرب قبل الاحتلال الإيطالي) المنشورة في كتاب (انبعاث طرابلس الغرب) ص ٦٩ - ١١٣ الصادر في ميلانو ١٩٢٦ تحت رعاية الكونت جوسي فولبي فلا توجد دراسة عامة عن طرابلس الغرب. وكذلك الشأن بالنسبة للعهد المنفصلة التي تقل عنها الدراسات بشكل ملحوظ.

ومن الضروري بالنسبة للعهد الإسلامية الرجوع إلى المصادر العربية التي ترجم قسم كبير منها إلى اللغات الأوروبية بواسطة المستشرقين دون أن

تكون موضع نقد أو تمحيص أو دراسة، عدا بعض أعمال (أ. بل) و (ج. ماركابس) و (جوتيه) و (فوندر هايدن).

ورغم أني أفدت من المصادر العربية مباشرة، إلا أنني لم أغفل الاستفادة من أعمال (أ. أماري) و (هـ. فورنيل) و (أ. مرسير) و (ر. باست).

كما أفدت بالنسبة للسلاسل البشرية من دراسات (إسماعيل كمالي) و (هـ. أغسطس) و (ف. بجوينوت). كما أفدت من دراسات (أوريجم) و (مانفروني) التي حملت كلها مساهمة بارزة للإحاطة بتاريخ طرابلس الغرب الوسيط الذي سبظل من مصادره الرئيسية ما تناقله المؤرخون من أخبار في مؤلفاتهم وحولياتهم خاصة (ابن عبد الحكم) و (ابن خلدون) و (ابن الأثير) و (التجاني) و (الزركشي).

أما بخصوص التاريخ الوسيط الحديث فإنه حتى مع استبعاد المنشورات العديدة التي صدرت فور وقوع الحرب الإيطالية التركية، واستجابت للمناسبة، فكانت بذلك قليلة الأهمية، إلا أن ثمة مصادر كثيرة أخرى تحتفظ بقيمتها. ومن الدراسات الخاصة التي كتبت عن الأسرة القرامانلية مؤلفات (ن. سلوش) و (ر. فادالا). ومن الكراسات المتعلقة بحوادث معينة، وفترات محددة، نشير إلى (إسماعيل كمالي) و (ف. ناي - موشينيقو) و (ج. فيراري) و (ج. سيريس). ومن أخبار ويوميات وتقارير الرحّالين نذكر (ليدي ورثلي) و (ليون) و (علي العياشي) و (باولودلا شيللا) و (بارث) و (رولف) و (ج. نختجال) و (د. تومياتي) و (سفورزا). وننتقل منها إلى الأعمال العامة، مثل كتاب (فيروود) المنشور في ١٩٢٧ والمؤلف في ١٨٨٠ ثم مؤلفات (برنيا). وثمة معلومات مفيدة يمكن استخلاصها من الأخبار الأوروبية مثل (حوليات - موراتوري). ومن المطبوعات الإيطالية والإسبانية في القرن السادس عشر، والمتعلقة بتاريخ إفريقيا الشمالية وجغرافيتها، مثل كتابات (ليون الإفريقي) و (مارمول) و كتابات أخرى، تتعلق بحوادث معينة مثل (حملة جربة، وحصار مالطا، وتقارير الرحلات السنوية لسفن فرسان مالطا وسان استيفانو). ومن

مجاميع المعاهدات والمراسلات بين الدول المسيحية ودون الشمال الإفريقي ومن بقايا محفوظات القناصل. وقد نشر الأستاذ باولو توسكي في إيطاليا وثائق هامة لم يسبق نشرها.

إن المعرفة الواضحة بتاريخ الحياة الطرابلسية خلال القرون الثلاثة الأخيرة لا يمكن أن تتم إلا عن طريق البحث في محفوظات القناصل الأوروبية بـطرابلس. وقد أفدت من مجاملة قنصل إنجلترا بـطرابلس سنة ١٩٢٢ لكي أدرس وأنقل بعض محفوظات القنصلية الهامة، ولكنها كانت مبتورة ناقصة إذ تم نقل قسم منها إلى لندن.

وتمكنت أيضاً من الرجوع إلى محفوظات القنصلية الفرنسية، في سنة ١٩٢٢، ولمدة قصيرة. واستطعت أن أتصفح وأقلب بعض أجزائها. أما في رحلتي الثانية إلى طرابلس في ١٩٢٨ فلم يقبل طلبي لمراجعة بعض المجلدات الأخرى. ومن جهة أخرى فإن نشر (حوليات فيرود) يسد هذا النقص. ذلك أن فيرود شغل منصب قنصل فرنسا بـطرابلس منذ سنة ١٨٧٩ حتى سنة ١٨٨٤، وقد أفاد بشكل واسع من محفوظات قنصليته. كما تصفحت مراراً سجلات قنصليات ساردينيا وتوسكانا ومملكة الصقليين ومملكة إيطاليا، والأخيرة منها حتى سنة ١٨٩٠ وهي من محفوظات القلعة بـطرابلس مع وثائق المحفوظات التركية التي يعاد الآن تنظيمها. وعندما تنظم هذه الوثائق ويزاح عنها غبار الإهمال يمكنها أن تزودنا بمعلومات ذات أهمية قصوى عن الإدارة التركية في النصف الثاني من القرن الماضي حتى الاحتلال الإيطالي. وترقى أقدم السجلات إلى سنة ١٨٤٥. ولم أستطع أن أفيد منها فائدة كبيرة. وقد تمكنت بصفة عابرة، خلال سنتي ١٩٢٢ - ١٩٢٨ من استخراج بعض المعلومات عن النشاط السياسي التركي في الدواخل ومحاولتهم التغلغل في الأراضي الداخلية (الهنترلاند) الطرابلسية (التبستي، بوركو، غات، جانيت، منطقة الطوارق).

ولا نرى داعياً للإلحاح على أهمية مجاميع محفوظات الدول الإيطالية، بالنسبة لتاريخ طرابلس الغرب، خاصة محفوظات ليفورنو وفينيسيا. وقد نقلت

في هذا العمل بعض المعلومات المستخلصة من تلك المصادر، ومن الأبحاث التي قمت بها في محفوظات القديس يوحنا بالطا. وقد نقلت عنها أيضاً مذكرتين لنائب المستشار بقنصلية فرنسا في طرابلس عند نهاية القرن الثامن عشر (أ. س. فرومانت دي شامب لاغارد) وتعلقان بتاريخ فزان في القرنين السابع عشر والثامن عشر وعهد علي باشا القرماني. كما راجعت قسماً من مخطوطة (التاريخ الكرونولوجي لمملكة طرابلس بربرياً) التي توجد بالمكتبة الوطنية بباريس. وهي من تأليف الجراح البروفسالي (جيرارد) الذي كان أسيراً بطرابلس خلال (١٦٦٨ - ١٦٧٦) وهي مرجع هام لتاريخ القرن السادس عشر.

أما الرجوع إلى المصادر العربية الطرابلسية فقد كان من أكثر المساهمات التي نهضت بها من أجل التاريخ لطرابلس وطرابلس الغرب. فابن غلبون (الذي سنتحدث عنه في الفصل الخاص بنشأة الأسرة القرمانيّة) كان عالماً من علماء مصراتة، عاش في القرن الثامن عشر، وألف تاريخاً لطرابلس منذ الفتح العربي حتى عصره (١٧٣٠) بعنوان (التذكار في من ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار) وقد أفدت من النص المنشور في القاهرة. كما أفدت من المخطوط الموجود بمكتبة الأوقاف بطرابلس. وكذلك من النسخة الناقصة الموجودة لدى أسرة الفقيه حسن بطرابلس. ونجد في هذه النسخ في الغالب هذا التعبير (إلى أن قال مؤلفه) الذي يبين بوضوح النقاط التي اختصرها الناسخ من النص الأصلي. وبعض هذه الفقرات توجد بنصها الكامل في النسخة المملوكة لأسرة الفقيه حسن. ولكن هذه النسخة الناقصة توجد بها إشارات إلى بعض الاختصارات التي أجريت على النص.

وتبقى مصادر ابن غلبون في حاجة إلى الدراسة. فهو في كثير من النقاط يعتمد على ابن الأثير والتجاني، ويعتمد في خصوص الأحداث القريبية من عصره على أخبار محلية استقاها من مصادر مفقودة. وتاريخ ابن غلبون مرجع هام، خاصة للقرن السابع عشر وبداية العهد القرماني. ويمكن للمصادر

الأوروبية المعاصرة له أن تكمل ما ينقصه من معلومات أو ما يسكت عنه من أخبار.

وقد قام كاتب تركي، هو محمد بهيج الدين، بتلخيص عمل ابن غلبون بشيء كثير من التصرف، وجمعه في كتيب صغير بعنوان (تاريخ ابن غلبون) نشر بالآستانة سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ - ١٨٦٨ م) وهو يتضمن استمراراً ومواصلة حسنة لسرد الأحداث التي جرت منذ سنة ١٨٣٠ حتى سنة ١٨٦٠. وتوجد لهذه الخلاصة ترجمة عربية مطبوعة بطرابلس بمطبعة الولاية من غير تاريخ.

وثمة مصادر عربية أخرى مثل رحلة العياشي الذي مر بطرابلس في نهاية القرن السادس عشر، وسيرد ذكرها أثناء البحث. وأذكر من المصادر الطرابلسية أيضاً كتاب (الإشارات لما في طرابلس من المزارات) تأليف الشيخ عبد السلام ابن عثمان. ثم مجموعة كريم الدين البرموني. وهي هامة لمن يريد أن يتعمق في دراسة الحركة الدينية بطرابلس في القرن السادس عشر.

وفي سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ - ١٩٠٠ م) نشرت في الآستانة دراسة تاريخية عن طرابلس منذ القدم حتى سنة ١٨٨٠. وهي من تأليف أحمد النائب الأنصاري بعنوان (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) وتتكون من ٣٩٥ صفحة باللغة العربية. وبهذا الرقم ينهي القسم الأول من الكتاب. أما القسم الثاني الذي ينبغي أن يتضمن الأحداث التالية حتى سنة ١٨٨٠، فلم يصدر. وقد توفي المؤلف قبل الاحتلال الإيطالي بقليل. وهذا التأليف قليل الأهمية فيما يتعلق بالعصور القديمة. ومن الأشياء الهامة فيه تلك الفقرات التي استخلصها من رحلة العبدري (ص ١٣ - ١٤) الذي مر بطرابلس في القرن الثالث عشر. والمعلومات المحدودة المتعلقة بالعهد العثماني الثاني (١٨٣٥ وما بعدها) ضئيلة الأهمية. وأهم ما في هذا المرجع تراجم الأعلام من العلماء والمتصوفين والزهاد. وهو على الجملة يستحق الرجوع إليه. ولا ريب في أن أثنى المصادر بالنسبة للفترة التي تمتد من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر هي المصادر التركية. ولكن المؤرخين الأتراك لم يهتموا بطرابلس الغرب والشمال الإفريقي، أو اهتموا بها اهتماماً قليلاً محدوداً لانشغالهم بمتابعة الأحداث في ديارهم وحرقت

البخور للسلطان . أما وثائق المحفوظات التاريخية بالآستانة فإنها سوف تكتسب أهمية كبرى عند نشرها . وقد ظهرت بعض الدراسات مثل الدراسات التي نشرت في مجلة الدراسات التاريخية التركية بخصوص الحملة على جربة فألقت ضوءاً على تاريخ طرابلس في عهد درغوث باشا .

ويمكن أن تستخلص بعض المعلومات من السلنامة التركية الخاصة بولاية طرابلس الغرب . وقد خرجت أثناء الحرب الإيطالية التركية بعض المطبوعات التركية تتضمن معلومات ذات قيمة معينة بالنسبة لتاريخ طرابلس والنشاط الذي قام به الأتراك في آخر ممتلكاتهم الإفريقية .

إتوري روسي

# القسم الأول

## الفصل الأول مك دخل

- \* التسميات القديمة والحديثة الخاصة بطرابلس الغرب، ولييا بصفة عامة.
- \* سكان طرابلس الغرب القدامى.

## ١ - التسميات الجغرافية القديمة والحديثة الخاصة بطرابلس الغرب، وليبيا بصفة عامة.

أطلق اليونانيون اسم (ليبيا) على البقاع الأولى التي تعرفوا عليها من المناطق الواقعة غربي مصر. ويعتقد بأن الاسم مشتق من كلمة (ليبي) التي كانت تعني الشعوب التي تسكن الحدود المشتركة بين ليبيا ومصر. ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية - مشتقة من اسم (لواتة، لبثاة، ليسو). أما في العهد الروماني، والروايات المتواترة بعد ذلك، فإن كلمة (ليبيا)<sup>(١)</sup> كانت تعني جزءاً كبيراً من إفريقيا الشمالية، ولكن دون تحديد جغرافي. ولم يستخدم هذا الاسم بتحديد جغرافي دقيق إلا سنة ١٩١١ عندما أطلق على طرابلس الغرب وبرقة.

أما الاسم (إفريقيا) الذي يصادفنا لدى المؤرخين والجغرافيين الرومان، فلا يستبعد أن يكون متحدرًا من الشعوب البربرية التي تعامل معها الرومان واتصلوا بها. وربما كان أصله كلمة (أوريغا Auriga) وقد حدد الرومان بكلمة (أفري Afri) أو (أفريكاني Africani) جميع شعوب إفريقيا الشمالية. وعلى وجه الدقة المنطقة التي تطابق حالياً تونس. وفي القرون الوسطى، وحتى القرن السادس عشر، كانت كلمة إفريقيا تعني بلدة (المهدية) بتونس التي عرفت حينذاك بكثرة ما تعرضت له من هجمات وغزوات الجيوش المسيحية.

وأطلق الرومان كلمة (ماوري Mauri) ومنها (موريتانيا التي تشمل الجزائر

---

(١) في القرن السادس عشر، استعمل (مارمول) الذي عاش اثنين وعشرين عاماً بإفريقيا، أي من سنة ١٥٣٥ وما تلاها، استعمل كلمة (ليبيا) في الدلالة على البلدان الداخلية من إفريقيا الشمالية التي تمتد حتى بلاد السود (السودان).



الحالية وقسماً من المغرب) على سكان إفريقيا الشمالية بصفة عامة<sup>(٢)</sup>.

وظل هذا الاستعمال سائداً في اللغة اللاتينية الحديثة إلى عصور قريبة. أما في العصور الحديثة فقد استعملت كلمة (ماوري) لتعني السكان الأصليين من إفريقيا الشمالية، وبصفة خاصة سكان المدن، تمييزاً لهم عن العرب البدو والأتراك المشرقيين.

أما الكتاب العرب الذين كانوا قليلاً ما يستعملون اصطلاح (ليبيا) فقد احتفظوا بكلمة (إفريقية) التي تطابق إفريقيا الرومانية. واستعملوها في تحديد المنطقة التي تمتد من قسنطينة حتى طرابلس. وفي رأيهم أن إفريقية هي جزء من الأراضي الشاسعة للمنطقة التي تعرف باسم المغرب الذي ينقسم إلى: المغرب الأقصى (المغرب الحالي) والمغرب الأوسط (الجزائر الحالية) ثم (إفريقية) وتمتد شرقي طرابلس. وتشمل عند البعض (لبدة). أما في الجنوب فتقع فزان والواحات.

وقد عرفت طرابلس الغرب بهذا الاسم (تريبوليتانيا Tripolitania) لأول مرة، في القرن الثالث بعد الميلاد، وكانت المنطقة تعرف قبل ذلك باسم (سرتيكا Syrtica) وتشمل المنطقة الواقعة بين الخليجين (خليج سرت وخليج قابس) (Due Sirti) وقد جاءت هذه التسمية التي لم تستعمل إلا نادراً، من المدن الثلاث (صبراتة ولبدة وأوثيا). وعندما انهارت صبراتة ولبدة علق بمدينة (أوثيا) اسم طرابلس الحالية. وسار العرب على هذا الاستعمال الشائع، فسموها طرابلس أو (إطرابلس). واقتصرت هذه التسمية على المدينة فلم تشمل المناطق المجاورة لها. وعندما استولى الأتراك على طرابلس سنة ١٥٥١ كانت كلمة طرابلس بالنسبة إليهم تعني كل الإقليم - الذي بسطوا عليه سيطرتهم - بما في ذلك برقة.

(٢) وقد ساهم البيزنطيون (Maurosivi) وقد طرح الافتراض بأن هذا الاسم مشتق من أصل بونيقي ويطلق كلمة (المغربي) التي يستعملها العرب.

وفي الصحافة العربية المعاصرة<sup>(٣)</sup>، تستخدم كلمة طرابلس الغرب لتعني ليبيا بأكملها، يحدودها الواقعة بين تونس ومصر<sup>(٤)</sup>. أما السكان الأصليون القاطنون بليبيا والمغرب فقد أطلق عليهم العرب اسم (البربر). وهي تسمية تطابق تسمية (الليبي) و(الإفريقي) في الاستعمال القديم.

أما بربريا (Berberia) أو برباريا (Barberia) التي تعني بلد البربر فتصادفنا في أواخر القرون الوسطى، وفي العصور الحديثة، لتدل على إفريقيا الشمالية، وبصفة خاصة المنطقة الساحلية<sup>(٥)</sup>. ولا يستبعد أن يكون قد أثر على تسمية (بربريا) وكذلك (البربر) الاشتقاق الشعبي من كلمة (برابرة Barbari).

وفي العصور الحديثة، أطلقت كلمة (بربارسك Barbareschi) على جميع سكان المنطقة، وعلى وجه الدقة، على قراصنة هذه البلدان.

## ٢ - سكان طرابلس الغرب الأوائل

حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، وهو التاريخ الذي تبدأ فيه معرفتنا التاريخية بطرابلس الغرب، كانت البلاد مسكونة من قبل أقوام تدعى الأقوام الليبية، ونعني بالليبيين الأهالي الذين اعتدنا تسميتهم بالبربر - فيما بعد - والذين يكونون حتى الآن الأساس في العنصر البشري بشمال إفريقيا، رغم الأحداث المتعاقبة والامتزاج بالأجناس الوافدة. ونحن لا نعرف إلا القليل عن هؤلاء الأقوام الليبيين القدامى، وما يزال الجدل محتدماً حول أصلهم، وموطن قدومهم، هل هو في أعلى النيل أم في أثيوبيا (حاميون)؟ أم جاءوا من جنوبي

(٣) يعني بذلك الفترة التي ألف فيها هذا الكتاب. (المغرب).

(٤) لقد تعرضت حدود طرابلس الغرب إلى تعديلات وتغيرات متعددة. وجدير بالملاحظة أن (مارمول) في القرن السادس عشر، يذكر لنا مقاطعة من مقاطعات طرابلس الغرب ويضع ضمنها قابس وجزيرتي جربة وقرقة. (مارمول ص ٢٢٨).

(٥) يذكر (مارمول) (ص ١/٤١) أن بربريا تشمل المنطقة الواقعة بين جبال الأطلس والبحر الأبيض المتوسط. أما برقة فهي التي تقع بين بربريا ومصر.

الجزيرة العربية (ساميون)؟ أم هم جنس خاص أصيل (Autoctona) من أجناس البحر الأبيض المتوسط؟

وفي وسع الدراسات الأنتروبولوجية، وأبحاث ما قبل التاريخ، أن تحيب إجابة محددة على هذه المسائل. ورغبة في الاقتصار على آراء الدارسين، والاستناد إلى الأخبار الوثيقة، يمكننا القول بأنه في العهد الذي أقام فيه الفينيقيون أولى مستعمراتهم على طول سواحل إفريقيا الشمالية، كانت هناك شعوب تسكن طرابلس الغرب، وهي التي اتفقنا على تسميتها (بالليبيين) الذين يذكر هردوت (القرن الخامس قبل الميلاد) بعض أسمائهم:

النامون Nasamoni الذين يسكنون منطقة خليج سرت. بسيلي Psylli وماكاي Macae وجندانس Gindanes في المنطقة الواقعة بين خليج سرت الكبير وخليج سرت الصغير (خليج قابس). ويعيش الجرامنت Garamanti والغانفسنتي Gamphasanti في دواخل القطر. وكانت الأساطير تتحدث عن وجود (اللوتوفاجيين Lotofagi) الذين يأكلون (اللوتو Loto) في منطقة خليج سرت الصغير (قابس وجربة).

أما سترابون (قرب العهد المسيحي) فإنه يذكر الأقوام الذين ذكرهم هردوت، ويضيف إليهم بين سكان الدواخل (الجيولي Getuli). أما أخبار بروكوبيوس فهي من عهد متأخر (القرن السادس بعد الميلاد) وهي أكثر دقة، وتشير إلى أنه كانت تعيش بطرابلس الغرب شعوب (لوانة)، وكانت منتشرة بين خليج سرت الكبير ومدينة (أوثيا) طرابلس. ويعيش إلى الشرق من ذلك (السيليون Seli). وربما كانوا بسيلي الذين ذكرهم هردوت؟ ويعيش في الجنوب (الأوستوريون Austriani).

واستناداً إلى ما هو متوفر لدينا من معلومات فإن قدماء الليبيين كانوا من البدو الرعاة. وقد اجتذبت الحضارة الفينيقية بعضاً منهم، وأغرتهم بالحياة المستقرة والزراعة والتجارة. وكانوا يتكلمون لهجات نسميها نحن ليبية، تولدت عنها اللهجات البربرية التي ما تزال تعيش حتى الآن في غدامس وسوكنة

والجبل، وزوارة وجربة ووسط الجزائر. وانتشرت بينهم أيضاً انتشاراً واسعاً اللغة البونيقية - القرطاجية التي ظلوا يستعملونها في المخاطبة التي بعد الاحتلال الروماني.

أما العبادة الصنمية الوثنية فقد تعرضت بالتأكيد إلى تغييرات لحقت بها، بتأثير العقائد السامية الفينيقية، ثم العقائد المسيحية التي محتها فيما بعد الدعوة الإسلامية، إلا أن بعض آثارها ظلت باقية حتى الآن في العادات، وخاصة في الخرافات والاحتفالات التي تستلهم الطقوس الطبيعية والمواسم.

وينوه بروكوبيوس بالتناقض الواضح بين الحياة المترفة المنعمة التي يعيشها الوندال العاكفون على لذات الحياة ومباهج الخمر والموسيقى وحياة الليبيين (ماوري) الذين يقول عنهم<sup>(٦)</sup>:

(إنهم يعيشون في أكواخ ضيقة، خانقة، ويقضون بها جميع فصول السنة، صيفاً وشتاء، ولا يغادرونها عند تساقط الثلج أو اشتداد الحر، أو لأي سبب من الأسباب الأخرى. وهم ينامون على الأرض، ويفترش الأغنياء منهم بعض الأغطية، ولم يعتادوا على تغيير ملابسهم بتغيير الفصول، ولكنهم يرتدون قميصاً خشناً (كيتون Chiton) ويستعملون نوعاً ثابتاً من اللحاف. لا يستعملون الخبز، ولا يشربون الخمر ولا يعرفون أية لذة من لذائذ المائدة. ولكنهم يأكلون القمح والشعير، دون طبخ، ودون طحن، حتى يتحول إلى دقيق، صنع البهائم لا أكثر ولا أقل).

## الفصل الثاني لمحات من تاريخ طرابلس الغرب قبل الفتح العربي

- \* السيطرة الفينيقية - البونيقية .
- \* السيطرة الرومانية .
- \* نشاط الرومان بطرابلس الغرب .
- \* الوندال والبيزنطيون .

## ١ - السيطرة الفينيقية القرطاجنية :

اقترن ظهور طرابلس الغرب في التاريخ بتأكيد السيطرة الفينيقية، (القرن السابع قبل الميلاد) وما تلاه، من توسع قرطاجنة التي قامت في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، بمد سيطرتها على المراكز التي تمتاز بأهميتها التجارية الكبيرة والتي أطلق عليها فيما بعد الكلمة اليونانية (أمبوريا)<sup>(١)</sup>. وبدأ اليونانيون في نفس الوقت (٦٣١ ق.م) في استعمار سواحل برقة. وأسسوا قورينا. وعليه فإن إقليم (ليبيا) الحالي كان في الفترة الواقعة حول (القرن السادس قبل الميلاد) مقسماً بين سلطتين وحضارتين مختلفتين، وكان الحد الفاصل مطابقاً تقريباً للحد الفاصل (حالياً) بين طرابلس الغرب وبرقة. وهو يقوم على تقاليد تاريخية وأوضاع طبيعية وجغرافية<sup>(٢)</sup>.

إن الفينيقيين أو (البونيقيين) الذين يمكن أن نسميهم القرطاجنيين من جهة، والدوريين الإغريق من جهة أخرى، لم يتفقوا في زمن قصير على اقتسام مناطق السلطة والنفوذ. ونحن نعلم أنه في سنة ٥١٧ قبل الميلاد قام الدوريون الإغريق بتأسيس مستعمرة في مصب وادي (شنيف Cinifo)، وادي كعام القريب من مدينة (لبدة) التي كانت في ذلك الوقت مستعمرة قرطاجنية. وقد تدخلت قرطاجنة على الفور وقامت بتدمير المستعمرة الدورية بمساعدة السكان

S. Moscati (Il Mondo dei Finici) Milano 1966

(١)

(٢) هذه من الآراء التي دأب المستشرقون والمؤرخون الأجانب على ترديدتها لإيجاد مبررات للفكرة الانفصالية. وفاتهم أن يدركوا، أو أدركوا ثم تجاهلوا، أن الخلاف بين الحضارتين والسلطين قد ظل خلافاً بين شعبين استعماريين وافدين ولا شأن للسكان الأصليين به. (المغرب)

الليبيين الذين كانوا يعرفون باسم (مكاي Macae)). ثم اتفق الشعبان الاستعماريان المتنافسان على اقتسام مناطق النفوذ. وتروي لنا أسطورة شعرية بطولية تضحية الأخوين القرطاجنيين اللذين عرف بهما النصب التذكاري بخليج سرت (Arae Philenorum).

ويحتمل ألا تكون قرطاجنة قد استولت بقوة السلاح على المستعمرات البونيقية الأخرى القائمة في منطقة خليج سرت. وإنما كانت سيادتها عليها مجرد ظاهرة امتصاص تجاري وسياسي نشأ عن القوة المتزايدة لدى المستعمرة الرئيسية المحظوظة، وضرورة الحصول على حمايتها وعونها ضد السكان الليبيين بالسواحل والدواخل، ووقايتها من احتمالات التهديد اليوناني<sup>(٣)</sup>.

وقد ازدهرت قرطاجنة في الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن الرابع قبل الميلاد. وكانت تسيطر على الساحل الإفريقي الممتد من برقة حتى مضيق جبل طارق. وكانت تنشر المعارف الجغرافية، وتقيم العلاقات التجارية بين سواحل الأطلس بإفريقيا وبين إسبانيا وبلاد الغال. وقد قام أحد ملوكها (هانون) في القرن السادس قبل الميلاد، بالإبحار على طول الساحل الإفريقي الممتد من أعمدة هرقل حتى خليج غينيا. وفي البحر الأبيض المتوسط، كانت قرطاجنة تسيطر سيطرة تامة، دون مضايقة من أحد. وكانت لها السيادة على جزر البليار ومالطا وسردينيا وكورسيكا أيضاً اعتباراً من ٥٤٥ قبل الميلاد. ولم يكن ينقصها سوى السيطرة على صقلية حتى يتم لها الانفراد المطلق بالبحر الأبيض المتوسط. وكانت توجد، منذ القدم - يرجح أن يكون ذلك منذ ٥٠٩ قبل الميلاد - اتفاقات بين روما وقرطاجنة لتحديد مناطق النفوذ، وقد تم تأكيد هذه الاتفاقات في ٢٧٩ قبل الميلاد. بل وتم نوع من التحالف ضد (بيرو Pirro) التي كانت في ذلك الوقت تثير المضايقات وتقلق الرومان والقرطاجنيين على السواء. إلا أن المسلك المثير للشكوك الذي سلكته قرطاجنة بإقدامها في سنة ٢٦٥ - ٢٦٤ قبل الميلاد، على إقامة حامية في مسينا، والاستعداد للتدخل

Perroud, De Syrticis emporiis. Paris 1881 p. 5785.

(٣)

في شتون إيطاليا، جعل الصراع الروماني القرطاجني أمراً حتمياً.

وكان استنجد سكان مسينا بروما بداية للحرب البونيقية (٢٦١ - ٢٤٢) قبل الميلاد. وهي الحرب التي انتهت بتأكيد السيادة الرومانية على صقلية. وفي الحرب البونيقية الثانية، أصبحت للرومان الأولوية في العلاقات مع سكان إفريقيا، وانتقل (صيفاقس Siface) ثم (مسينساً) إلى جانب الرومان. وأخيراً كانت الحرب البونيقية الثالثة نهاية للسيطرة القرطاجنية. وفي عام ١٤٦ قبل الميلاد الذي تم فيه تدمير قرطاجنة، تم أيضاً إنشاء المقاطعة الرومانية في إفريقيا، وعاصمتها (عوتيكا Uttica).

إلا أن (مسينساً) الملك الليبي على نوميديا كان قد انتزع أثناء الحرب البونيقية الثانية من قرطاجنة (الأمبوريا) الواقعة في منطقة خليج سرت، وتشمل أيضاً مدينة (لبدة)<sup>(٤)</sup>. ويمكن القول إنه منذ القرن الثالث قبل الميلاد انتهى الحكم القرطاجني على الإقليم الذي عرف فيما بعد باسم طرابلس الغرب. وبعد فترة من قيام شبه استقلال، وحكم ذاتي للملوك المحليين، بسطت روما سيادتها وأزاحتهم عن مراكز السلطة والسيادة.

لقد تم تأسيس صبراتة وأوثيا (طرابلس) ولبدة أثناء الهجرات الفينيقية الأولى القادمة من فلسطين. ثم أصبحت هذه البلدان فيما بعد مستعمرات قرطاجنية. ويبدو أن لبدة قد انهارت بعد فترة من التطور المستقل. وأن قرطاجنة قد أعطت لها ازدهاراً جديداً بعد أن تدخلت بقوتها وطردت المستعمرة الإغريقية عند مصب وادي (شينيف Cinifo) وادي كعام.

وكانت أهم المراكز والمستعمرات (الأمبوريات) الواقعة على الساحل الممتد بين خليجي سرت الأكبر وسرت الأصغر هي:

تاكابس	Tacapes	وهي قابس الحالية.
سرسينا	Cercina	وهي جزيرة قرقة.



زوكيس Zuchis وهي تقع في بحيرة واسعة ربما كانت بحيرة  
البيان التي كانت تمثل الحد الفاصل بين  
طرابلس وتونس في سنة ١٩١٠.

صبراتة التي بقيت أطلالها الحالية قائمة قرب زواغة، وقد كانت مدينة  
هامة يمينائها واتصالها بالجبل وغدامس.

أوثيات	(Oea) Uiat	وهي مدينة طرابلس الحالية.
جفارة	Gephara	وهي الجفارة الحالية الواقعة شرقي طرابلس.
لبسي <sup>(٥)</sup>	Lepci	وهي لبدة الحالية الواقعة قرب الخمس وكان يسمونها الرومان (لبس مانيا).
ماكوماكا	Macomaca	قرب تاورغاء الحالية.
ماكومداس	Macomadas	وتعني بالفينيقية المدينة الجديدة. ويعرف موقعها حالياً بقصر الزعفران.
كاراكس	Charax	وهي مدينة سلطان الحالية الواقعة قرب سرت. وكانت موقعاً يتردد عليه التجار القرطاجيون الذين كانوا يبادلون النبيذ بالسلفيوم المصدر من برقة.

ويعتقد بأن المدن الثلاث (لبدة وأوثيات وصبراتة) قد شكلت أثناء  
السيطرة القرطاجية اتحاداً فيما بينها. بينما يمكن القول بأن هذه المستعمرات  
الثلاث والمستعمرات الأخرى المنتشرة بين خليجي سرت لم تتحد، ولم تتجمع  
حول رباط سوى رباط التبعية المشتركة لقرطاجنة التي كانت تحتفظ بحاميات  
فيها، وتقوم بالتدخل للدفاع عنها عند الحاجة. وكانت تجارة هذه المستعمرات

(٥) كانت الصبغة القديمة للاسم (Leptis) بينما كان اسم (Lpdy) اسماً لمدينة واقعة بخليج سرت  
الأصغر (قابس)، ثم تغيرت تسمية (Lepci) فأصبحت (Leptis) ومنذ ذلك الحين (القرن  
الأول وبداية القرن الثاني للميلاد) أضيف إليها صفة (مانيا Magna) تمييزاً لها عن المدينة  
المذكورة. أما العرب فيسمونها (لبدة).

مع البلدان الخارجية خاضعة لتنظيم قرطاجنة ورقابتها. كما كان هناك ضباط معينون من قبل الحكومة المركزية ويعرفون باسم (سوفيتي Sufeti) يتولون الشؤون الإدارية للمستعمرة وجباية الضرائب والخراج. وكان لقرطاجنة أيضاً حق التجنيد الإجباري، أما القبائل التي تعيش في الدواخل بعيداً عن المراكز المحمية فقد كانت مستقلة عن الحكومة القرطاجنية وترتبط بها غالباً بروابط التحالف والاتفاق<sup>(٧)</sup>.

وظلت هناك آثار واضحة للحضارة القرطاجنية حتى بعد سقوط قرطاجنة، كالكتابات البونيقية المتعددة، بالإضافة إلى استعمال اللغة البونيقية إلى جانب الرومانية والإغريقية. كما ظل تأثير الحضارة القرطاجنية ماثلاً في الأسماء وألقاب الوظائف والمعتقدات الدينية<sup>(٨)</sup>. ويشهد القديس أغسطينو، في القرنين الرابع والخامس، على انتشار اللغة البونيقية في مناطق تونس والجزائر الحالية. ونحن نعرف أيضاً أنه في القرن الثاني بعد الميلاد، كان الناس في لبة، وطن سبتيموس سفروس، يتحدثون اللغة البونيقية. وذلك يدل على أن الحضارة البونيقية واللغة البونيقية قد تغلغلتا في المستعمرات القرطاجنية بإفريقيا الشمالية وانتشرتا أيضاً في الأرياف المجاورة، حتى ليؤكد بروكوبيوس من القرن السادس بعد الميلاد، أن الأهالي (الماوري) كانوا يتحدثون البونيقية حتى في دواخل القطر. إن استمرار بقاء اللغة البونيقية، وهي لغة سامية، ساعد على انتشار اللغة العربية التي استطاعت في قرون قليلة أن تحتل مكان البربرية التي لم تبق منها سوى جزر متفرقة منعزلة كواحات في الصحراء. ومن جهة أخرى فإن اعتناق الاعتقادات البونيقية الفينيقية التي تميل إلى فكرة التوحيد، قد هيأ الأفارقة لقبول الدين المسيحي، ثم التلاؤم مع الدين الإسلامي بعد الفتح العربي<sup>(٩)</sup>.

GSELL (Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, III, p. 294 - 308.

(٧) انظر دراسات: G. Levi Della Vida

GSELL, op. cit. vol 17 p. 491 - 498

(٨)

## ٢ - السيطرة الرومانية :

ولم يكن الباعث على التدخل الروماني في إفريقية بعد الحرب البونيقية الثانية، وتدمير قرطاجنة سنة ١٤٦ قبل الميلاد، الرغبة في سحق المنافس القديم والقضاء عليه قضاء نهائياً، بقدر ما كان الخوف من أن تقوم على أنقاض قرطاجنة التي تم إزالتها سياسياً وعسكرياً، سيادات وطنية. وهي نفس المخاوف التي حملت روما فيما بعد على بسط سيادتها المباشرة على إفريقية، وكل الأقاليم التي تمتد من طنجة إلى سرت.

وحيث مات (مسيّسا) في ١٤٨ قبل الميلاد - أي قبل عامين من تدمير قرطاجنة - خلفه ابنه (مسيّسا Micipsa) في حكم هذه الأقاليم الواسعة التي عجزت قرطاجنة نفسها عن السيطرة عليها. ولم تكن قد دخلت حتى ذلك الوقت تحت السيادة المباشرة لروما. وحيث مات (مسيّسا) عهد بالحكم إلى ولديه اللذين تحرك ضدّهما طموح (يوغرتا Giugurta) الذي كان سبباً في الحرب ضد روما.

وخلال الحرب اليوغرطية استقبل (ميتللو Metello)<sup>(٩)</sup> الذي احتل (تالة Thala) سنة ١٠٧ قبل الميلاد وفداً من سكان لبة يطلب إليه إرسال الدعم إلى هذه المدينة<sup>(١٠)</sup>. وقد ذكر الموفدون أن (أملكار) يسيطر على المدينة ويذلها بطموحه واستغلاله. ويخبرنا سالستوس أن سكان لبة قاموا منذ بداية الحرب ضد يوغرتا بعقد معاهدة تحالف مع الرومان. وظلوا منذ ذلك الحين على ولائهم للرومان مستجيبين لكل ما يطلب منهم. وقد استجاب (ميتللو) إلى طلب الوفد، وأرسل إلى لبة أربعة أفواج برثاسة (أنيو G. Annio). وكانت هذه القوة طليعة للّيف الروماني بطرابلس الغرب. ويبدو أن صبرانة وأوثيات كانتا بمنزلة ضعيفة من حيث الأهمية في عهد ذلك المؤرخ، إذ نراه يهمل ذكرهما حين يقول (بين لبة ونوميديا تمتد أرض شاسعة مهجورة).

Sallustio, De Bello Jug. cap. 77 seg

(٩)

Mercier, 1, P. 64

(١٠)

تسجل سنة ١٠٧ قبل الميلاد بداية عهد دخول إقليم سرت في دائرة التاريخ الروماني، وأما في الفترات التالية، حتى عهد قيصر، فلا نجد أية إشارة إلى هذه المنطقة فيما كتبه المؤرخون. غير أنه من المؤكد أن المبادلات التجارية بين الأمبوريات كانت ما تزال نشطة. وكان يتردد على موانئها التجار الرومانيون. وبظهور الإمبراطورية في بداية العهد المسيحي أصبحت هذه العلاقات أكثر قوة. وقد تطورت حتى انتهت إلى تأسيس مستعمرات حقيقية خاصة.

وفي نفس الوقت انتهى حكم نوميديا المستقل، وأصبحت مقاطعة منفصلة. وقد أخذ إقليم إفريقية الذي يطابق إقليم قرطاجنة القديمة يهتم بما يجري في إقليم سرت المجاور. وفي سنة ٦٩ قبل الميلاد، وفي عهد الإمبراطور أغسطس، تمت حملة كورنيليوس بالبو (Cornelio Balbo) على إقليم فزان. ويشير بلينيوس الذي كان يعيش في عهد الإمبراطور فاسباسيانو Vespasiano إلى حملة كورنيليوس بالبو، ويذكر فزان وموقعها وبعض سكانها وبلدانها<sup>(١١)</sup>.

وفي احتفالات النصر التي خُص بها كورنيليوس بالبو عند عودته إلى روما، تبدو رموز وأسماء ممثلي المدن والقلاع التالية:

Cidamo, Garama, Miglis, Tabudium, Buberum, Thuben, Rapsa, De-bri, Thampsagum, Boin, Pege, Baracum, Buluba, Alasit, Balsa, Gal-la, Maxala, Niteris, Enipi, Discera, Mannagi: Niger.

كيف يمكن تحقيق هذه الأسماء التي دخلها - بلا ريب - التحريف في الكتابة اللاتينية أو من قبل الناسخين؟ ويقر بلينيوس نفسه بأن أسماء تلك الشعوب والمدن من الصعوبة بحيث يتعذر النطق بها<sup>(١٢)</sup>. ويحتمل أن يكون (Mons Niger) هو جبل السود. وربما كانت (براكوم) بلدة براك، وجرامة هي جرمة بفزان، أما سيداموس فهي غدامس بالتأكيد.

Hist. Nat V,5.

(١١)

Hist, Nat. V,5.

(١٢)

ولم تفلح حملة بالبو في إخضاع الجرامنت، وعندما قام البربري (تاكفاريناس) بثورته ضد الرومان خلال الأعوام ١٧ - ٢٤ قبل الميلاد في عهد الإمبراطور تيربوس (Tiberio) شارك الجرامنت بجيشهم في حرب العصابات ضد الرومان، ولكن لم يكد يتم إخضاع الثائر والانتصار عليه حتى سارع الجرامنت يطلبون السلم. وهكذا وصل إلى العاصمة الرومانية بعض الموفدين من سكان فزان الذين كانوا مثار عجب واستغراب. ويقول عنهم (تاسيتو Tacito) قلما شوهد مثل هؤلاء الأقوام (raro Urbe visi)<sup>(١٣)</sup>.

وفي عهد (فاسباسيان) قرب سنة ٦٩ قبل الميلاد قام (فاليريوفستو Valerio Festo) قائد اللفيف الروماني بإفريقية بالتدخل لإخماد الصراع الذي نشب بين أوثيات ولبدة. إذ تنازعت المدينتان ولجأتا إلى القوة بسبب الخلاف على سرقة المواشي<sup>(١٤)</sup>. وكان سكان أوثيات أقل عدداً فاستجدوا بالجرامنت واستعانوا بهم، وهم أقوام محاربون ألفوا الغزو والغارات ولذا آلت لبلدة إلى أوضاع سيئة. وتعرض السكان الذين أقفلوا المدينة إلى التلف والهلاك. بينما أخذ الجرامنت يعيشون في الأرض فساداً ويقومون بتدمير الإقليم. وهنا تدخل اللفيف الروماني والفرسان وهزموا الجرامنت، واسترجعت منهم الغنائم كلها عدا ما بيع منها لسكان الدواخل.

وبعد ذلك بقليل، وفي عهد الإمبراطور (دوميزيان Domiziano) (٦٨ قبل الميلاد) قام سكان سرت (الناسمون) بالثورة. وقتلوا المندوبين الرومانيين. وقد تعرضوا بسبب ذلك إلى عقاب رادع قاس سلطه عليهم (فلاكو Flaco) الذي أخضعهم للسيطرة الرومانية من جديد.

وفي القرن الثاني بعد الميلاد، وأثناء الثورات الليبية الكثيرة التي انتشرت في موريتانيا، نعمت منطقة سرت - كما يبدو - بسلم نسبي. وقد ارتبط بهذه الفترة ازدهار أوثيات ولبدة. وقام القنصل الروماني في أوثيات سنة ١٦٣ ب. م

Annales IV, 26.

(١٣)

Tacito, Hestoriae, IV, 50.

(١٤)

بتشييد قوس ماركوس أوريليوس تخليداً لذكراه وتمجيذاً له. وهي القوس المربعة التي ما تزال حتى الآن أعظم شاهد على عظمة روما في هذه البقاع. وقد أنفق (ش. كالبرنيو شلسو C. Calpurnio Celso) بسخاء على تشييد هذه القوس<sup>(١٥)</sup> وقد ختمت العبارات التذكارية التي تمجد الأمبراطور بهذه الكلمات<sup>(١٦)</sup>.

وفي إبريل من سنة ١٤٦ ولد بلبدة<sup>(١٧)</sup> سبتيموس سفروس، ابن سبتيمو جيتا Settimio Geta وفولفيا بيا Fulvia Pia وقد غادر وطنه خلال الفترة الواقعة بين ١٦٤ و ١٧٠. وتوجه إلى روما حيث درس الحقوق، وقد عين عضواً بمجلس الشيوخ في عهد الإمبراطور (ماركوس أوريليوس) وشغل عدة مناصب. وأمضى فترة طويلة من حياته في أطراف الإمبراطورية بإسبانيا والشرق وبلاد الغال. وكان قنصلاً بصقلية في ١٨٩. وكان في بنونيا Pannonia عندما قتل الإمبراطور Comodo سنة ١٩٢. وعاد إلى إيطاليا في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية منقسمة بين المتطلعين إلى العرش. وتمكن في سنة ١٩٣ من الاستيلاء على السلطة. وقد ظل وفيّاً لنشأته الإفريقية، واحتفظ بهلجتها ونطقها، ولم ينسَ مسقط رأسه الذي وجه إليه عنايته، فأقام الحصون بطرابلس الغرب<sup>(١٨)</sup>. ورفع مدينة لبدة وبعض المدن الإفريقية والشرقية إلى مرتبة (Colonia juris italici). وفي القرن الثالث كانت لطرابلس مؤسساتها المالية ونظامها المالي الخاص بمدراته الخاصين (Procurator Privatea) وربما كانت لها أيضاً إدارتها العسكرية. ويبدو أنه في نهاية ذلك القرن أنشأ الأمبراطور (ديوكليزيان Diocleziano) مقاطعة طرابلس الغرب (Provincia Tripolitana) ٢٩٢ بعد الميلاد. وقد أبقي الأمبراطور (قسطنطين) في سنة ٣٢٤ على التقسيمات التي أنشأها

(١٥) هي القوس الموجودة بباب البحر، والمعروفة لدى العامة باسم (خزن الرخام).

(١٦) Arcum pecunia sua solo publico et pundaist et marmore solido fecit.

(١٧) Dione Cassio, XXVI.

(١٨) Sparziano, XVIII, 3.

سلفه، وقد أنشئت أربع مقاطعات (Prefecture) تشمل إحداها إيطاليا وإفريقية. أما مقاطعة إفريقية القديمة التي سبق تقسيمها إلى إفريقية (Africa Proconsolare) ونوميديا فقد تم تقسيمها على النحو التالي.

١ - نوميديا.

٢ - إفريقية القنصلية Africa Pronconsolaree Zengitana

٣ - إفريقية Africa Bizacena

٤ - طرابلس الغرب وعاصمتها تاكابس (قابس الحالية).

وفي عهدي الإمبراطورين جيوفيانو ٣٦٣ - ٣٦٤ وفالنتيانو (Valentiniano) ٣٦٤ - ٣٧٥ تعرضت طرابلس الغرب إلى غارات قام بها الليبيون الذين نهبوا ضواحي لبدة وقتلوا المعمرين. يضاف إلى هذه الأحداث التي عصفت بالبلاد، ذلك التنافس والانشقاق بين حكومة إفريقية والجماعات الوطنية بطرابلس الغرب، وقد أدى هذا الخلاف إلى سلسلة من التدخلات والفساد السياسي بروما، كما يروي المؤرخ (أميانو مرشليانو Ammiano Marcellino).

وظلت إدارة المقاطعات حتى سنة ٤٠٠ على وضعها السابق، ولم يلحقها أي تغيير في الشكل، رغم أنها تعرضت في جوهرها إلى هزات، بسبب ثورات السكان، وانهيار قيمة الحكام وضعف وزنهم. ومنذ ذلك الوقت تقريباً كان الإطار الكامل للتنظيم السياسي والعسكري بطرابلس الغرب ممثلاً فيما عرف بإسم (Notitia Dignitatum)<sup>(١٩)</sup> وتتضمن قائمة المناصب المدنية والعسكرية للإمبراطورية الشرقية، منصب القائد العام، ومقره إيطاليا (Praefectus praetorio taliae) ويتبعه حاكم إفريقية (Vicario d. Africa) وتشمل سلطة الفيكارو إقليمي (بيزاشينا Bizacene) ونوميديا اللتين يحكمهما قنصلان (Gonsulares) وطرابلس الغرب وموريتانيا ستيفنسي (Mauritania Sitifense) وموريتانيا شيزاننسي (Mauritania Gesanense) اللتين يتولى حكمهما عمداً

(Praesides). وللعמיד اختصاصات مدنية فقط. وفي عهد الإمبراطور فالنتينيانو كان العמיד بإقليم طرابلس الغرب (فلافيو بندتو Flavio Benedetto)<sup>(٢٠)</sup>.

### ٣ - الاستعمار الروماني بطرابلس الغرب :

كان أول ما وجه إليه الرومانيون عنايتهم واهتمامهم في القرن الثاني بعد الميلاد ضمان الأمن على الطريق الساحلي الممتد من (تاكابس) قابس إلى لبدّة. وأنشئت لهذا الغرض عدة حصون وأماكن مراقبة على مسافات متقاربة، خاصة عند المواقع المرتفعة وملتقى الطرق. وتذكر لنا خطط (أنطونينو Itenerario di Antonino) وجدول بوتنجر (Peutinger) أسماء هذه المواقع التي تدل عليها الأطلال والقصور التي ما تزال تشاهد آثارها حتى اليوم على طول الساحل، وقد ذكرها الرّحّالون العرب في العصور الأخيرة مثل التبحاني والعياشي. ولئن لم يتم حتى الآن تحديد كل هذه المواقع، إلا أنه لدينا وقائع مؤكدة وموثوقة عن بعضها، (بسيذا القديمة Pisida) هي رأس المخابز (فروة). وما تزال صبراتة تحتفظ بإسمها القديم. و (Turris ad Algam) هي على أقوى الاحتمالات رأس تاجوراء، وربما كانت الموقع الحالي للولي سيدي الأنسدلي. وتوبكتيس (Tubactis) هي مصرّاة التي اكتشفت بها مؤخراً بعض الآثار الرومانية. وتوريس أوفرنتا هي قصر الزعفران (Turris Euphranta).

وجدير بالذكر أن نفس الأسباب الدفاعية قد دفعت الفاتحين العرب إلى أن ينشئوا في نفس المواقع - غالباً - مواقع مراقبة تطابق الأبراج والحصون والقلاع الرومانية<sup>(٢١)</sup>.

وفي القرنين الثاني والثالث أنشئ حزام خارجي من التحصينات أطلق عليه اسم الحدود الطرابلسية (Limes Tripolitanus) وقد أنشئ هذا الحد على

C.I.L. VII, 12.

((٢٠))

(٢١) أنظر الفصل الثامن من هذا الكتاب.



هيئة قوس ينتهي طرفاه عند تونس ولبدة مروراً بالجليل<sup>(٣٣)</sup>.

ولم تعد هذه الحدود كافية في العصور التالية، وبات من الضروري، لحماية النفوذ الروماني خارج هذه الحدود، إنشاء نقاط أمامية متقدمة على الطرق الرئيسية للمواصلات. فأنشئت مراكز بغدامس والقريات الشرقية والقريات الغربية وأبي نجيم. وقد نشطت أعمال الحماية هذه التي تمتد وراء الحدود، في عهد الإمبراطور (كومودو) ١٨٠ - ١٩٢ بعد الميلاد، وفي عهد الإمبراطور سبتيموس سفروس (١٩٣ - ٢١١) بعد الميلاد، وفي عهد ابنه (كر كلا) والاسكندر سفروس (٢٢٢ - ٢٣٥) بعد الميلاد. وعلى امتداد الحدود كانت توجد معسكرات وحاميات صغيرة ومواقع مراقبة، كما كانت المزارع والمساكن الخاصة مهياة للأعمال الدفاعية. واهتم الرومان اهتماماً كبيراً بالطرق وإنشائها لتحقيق التطور الحضاري والاقتصادي للبلاد، وتلبية الدواعي العسكرية الدفاعية. والعلامات الحجرية للطرق التي عثر عليها على طول الساحل وفي الدواخل تشهد بأن الأباطرة (خاصة أولئك الذين سادوا في القرن الثالث) قد وجهوا اهتماماً خاصاً لصيانة الطرق التي تربط الموانئ الساحلية، وحاميات الحدود وتمتد نحو الداخل حتى فزان (عن طريق غريان والقريات)<sup>(٣٤)</sup>.

وكانت أهم المدن الساحلية في العهد الروماني هي :

صبراتة : ما تزال تحمل أطلالها ومسرحها العظيم شواهد عظمتها وأمجادها الغابرة. وكانت مركزاً تجارياً كبيراً، وكان موقعها كمنفذ إلى الجبل ودواخل إفريقيا قد ساعدها على التبادل التجاري (منتوجات غدامس والسودان). ويدل على أهمية صبراتة ذلك الاسم الذي ظل عالقاً بها حتى الآن وهو اسم (طرابلس القديمة) الذي يحتل أن

R.A. Cagnat: La frontière Militaire de la Tripolitaine, à l'époque Romaine, Paris 1912 (٢٢)  
(Mèm. Académie Inscriptions et Belles lettres).

S Aurigemma, Pietre miliari Tripoline, in Riv.della Tripolitania II, 1925 - 1926 p. 3 - 21, (٢٣)  
134 ' 150.

يكون التجار الإيطاليون قد أطلقوه عليها. وتنتمي إلى صبراتة (فلافيا دوميتيلا Flavia Domitilla) زوجة الإمبراطور فاسباسيانو . Vespasiano

أوثيا: شهدت في القرن الثاني للميلاد ازدهاراً عظيماً، وفي هذا العهد (١٦٣) ب. م شيد بها قوس ماركوس أوريليوس. ويحتمل أن يكون قد تم في العهود التالية تسوير المدينة، بعد أن أخذت تهددها هجمات البدو. ومن المؤكد أن الأسوار لم تكن تحيط بها بشكل كامل، لا في ذلك العهد ولا في العهد البيزنطي. وفي القرن السابع - كما سنرى - وجد العرب الجانب البحري منها مكشوفاً، وغير مسور. وهو أمر طبيعي، إذ لم تكن المدينة تحشى أي تهديد أو هجوم من تلك الجهة. وقد دلت بعض الحفريات العابرة وإزالة السور الغربي من المدينة على وجود الشارع الرئيسي لمدينة أوثيا الرومانية. وربما كانت إحدى الطرق المحاذية للسور المزال، تمثل الطرق الفرعية. ويحتمل أن يكون موقع قوس ماركوس أوريليوس ملتقى الطرق الفرعية بالجادة الرئيسية، كما تدل على ذلك شبكة الطرق الحديثة<sup>(٢٤)</sup>. وإلى الشمال الشرقي من القوس عثر على آثار لمبنى قديم يرجع إلى العهد الأيوبي. وربما قامت في عصور متأخرة كنيسة مسيحية<sup>(٢٥)</sup> في الموقع الشمالي الغربي من سيدي سالم. ومن الثابت أنه كان يقوم هناك هيكل للإله (أبوللو) يشاهد من البحر<sup>(٢٦)</sup>.

لبدة: (Leptis Magna) كانت في العهد الروماني تحتل مساحة تقدر بحوالي ٧٠ هكتاراً. وكانت مسورة من جوانبها الجنوبية والغربية والشرقية. وليس بها سور من الجهة البحرية التي كانت تطل عليها بميناء مجهز بعدد من الأرصفة ما تزال آثارها باقية حتى الآن. وقد أنشئت

(٢٤) أنظر الفصل الثامن، طرابلس كما وصفها الرحالة التجاني.

(٢٥) أنظر الحديث عن الكنيسة في مستهل الفصل الثالث.

Notizario Archeologico del Ministero delle Colonie, anno II, 1916 P. 383 - 391.

(٢٦)

السدود للاستفادة من مياه وادي كعام وتوجيهها إلى المدينة حيث تحفظ في خزانات مخصصة لتزويد العدد الكبير من الناس الذين كانوا يقطنون بها. والمعالم الباقية من هذه المدينة ومؤسساتها تشهد بماض عريق في المجد والازدهار. ومن آثارها الباقية الكنيسة (Basilica) والحمامات (Terme) والقوس المربعة التي شيدت تمجيداً لسبتيموس سفروس<sup>(٢٧)</sup>. وفي القرن السابق للميلاد تمتعت لبدة باستقلال إداري. وثمة كتابة لاتينية بونيقية ترجع إلى هذا العهد، تشهد بوجود (سوفيتي<sup>(٢٨)</sup> Sufeti) حتى ذلك الوقت. وقد رفعها الإمبراطور (تراجان) إلى مرتبة (مستعمرة Colonia) وسميت (أوليا ترجانا Ulpia Traiana) وقد بدأ انهيارها مع نهاية السيادة الرومانية، واستمر هذا الانهيار في العهد البيزنطي، حيث تعرضت لهجمات متتالية من البدو. وقد أنشأ البيزنطيون حصنين أماميين (رأس المراقب ورأس الحمام) للدفاع عنها. وقد هجرت المدينة بعد الفتح العربي، وغطتها الرمال. وجدير بالذكر أنه منذ القرن السادس عشر أخذ الأهالي والأوروبيون يستخرجون منها كميات كبيرة من الأعمدة والقطع الرخامية.

ولئن كان حقاً ما قيل من أن روما لم تؤثر في التكوين السلافي البشري لهذه البلاد، كما لم تخلف في اللغة والعادات ذلك الطابع الذي خلفته في البلدان الأخرى، خاصة تلك التي تدعى بالبلاد اللاتينية الجديدة (neo - latini)، فمن المؤكد أنها قد خلفت معالم كثيرة بادية من خلال الإنشاءات العسكرية والأعمال العامة والأعمال الفنية وأسماء البلدان. وبين عشرات المواقع بطرابلس الغرب، وتعرف بالاصطلاحات (قصر وبرج وهنشير)، فإن الكثير منها يوحي بأنها لإنشاءات قديمة، ورومانية على نحو أخص. وهي منتشرة بكل

P. Romanelli, Leptis Magna Roma 1925

(٢٧)

R. Bartoccini Le Terme di Lepcis - Bergamo 1929.

C.I.L. VII, 7.

(٢٨)

مكان، وعلى طول الساحل المحاذي للطريق الساحلية القديمة التي تمتد من تونس حتى سرت. وفي منطقة الجفارة على طول الحدود الداخلية (Limes) وخاصة في مناطق الجبل وطرق القوافل وأبي نجيم، قرب سنة ٢٠٠ بعد الميلاد ألصق الليفي الثالث بمدخل القصر الذي تحف به الأبراج لوحة تذكارية تحمل عبارات الإهداء إلى سبتيموس سفروس وأوريليوس أنطونينو<sup>(٣١)</sup>. وقد عثر في غدامس على حجر تذكاري يحمل إهداء من إحدى فرق الليفي الثالث المرابط بإحدى القرى إلى الإمبراطور الكسندر سفروس<sup>(٣٢)</sup>.

لقد كشفت الأبحاث الأثرية عن وثائق هامة عن السيطرة الرومانية، وقد أدت هذه الأبحاث إلى نتائج ثمينة. وعثر خارج المدن الثلاث على آثار منازل ريفية وزراعية وفسيفساء<sup>(٣٣)</sup>.

تضارب الآراء حول منتوجات الأرض الإفريقية. وقد تردد صدى هذا الخلاف حتى في الشعر. وتجنباً للشواهد الكثيرة، فإننا نكتفي بالإشارة إلى ما أنشده (هوارس) في الإشادة بوفرة المحصول<sup>(٣٤)</sup>،<sup>(٣٥)</sup>.

وقد جاء هذا التناقض من أنهم كانوا يعنون بإفريقية المقاطعة الرومانية التي تعرف اليوم باسم تونس التي كانت مزدهرة، ومستغلة على أحسن الوجوه. ويشهد المؤلفون العرب على روعة الماضي الذي كان سائداً بهذه البقاع. فيقول التجاني (يقص المؤرخون أن غابة طرابلس كانت تمتد حتى الجبل، ثم دمرتها الغزوات، وأجلت السكان عنها)<sup>(٣٦)</sup>.

ويتحدث ابن خلدون عن الكاهنة التي دمرت كل شيء، وأحالت كل

C.I.L. VIII, 4. (٢٩)

C.I.L. VIII, 1. (٣٠)

Gsell, La Tripolitaine et le Sahara au III<sup>e</sup> Siècle de notre ère, in Memoires de l'Académie des Inscriptions vol XLIII 1926 p. 139, 166. (٣١)

Sat, II, 3, 87. (٣٢)

Odi, 1, 22, 15 - 16. (٣٣)

(٣٤) التجاني ص ٢٤٧.

شيء إلى خراب، حتى لا يجد الفاتحون العرب ما يغريهم بالاحتلال والبقاء. وهو يؤكد أن الأرض التي تمتد من طرابلس حتى طنجة كانت مظلمة بالأشجار وعامرة بالقرى المتجاورة<sup>(٣٥)</sup>.

وانتشرت في طرابلس أيضاً أسطورة قناة الزيت التي تحمل الزيت، هذا المحصول الثمين، من الجبل حتى مرسى صبراتة. وقد لاحظ (تيسوت Tissot) أن نفس الأسطورة تتردد عن مدينة (زرزيس) بتونس<sup>(٣٦)</sup>.

وعلى كل حال فمن الثابت أن محصول الزيتون والقمح والرعي قد منحت كلها لطرابلس الغرب ازدهاراً معيناً تشهد به الأساطير والروايات المتواترة والحفريات الأثرية.

#### ٤ - الوندال: (٤٣٩ - ٥٣٥) البيزنطيون (٥٣٥ - ٦٤٢):

في سنة ٤٢٣ مات (أنوريو Onorio) وخلفه ابنه (فالنتينيانو Valentiniano) وكان حدثاً، صغير السن، فتولى الحكم تحت وصاية أمه (بلاشيديا Placidia) ابنة (تيودوس الكبير Teodosio). وكان في طليعة قواد الإمبراطورية آنذاك القائدان (إزيو Ezio) و(بونيفاشو Bonifacio). وقد ظفر هذا الأخير بقيادة إفريقية فأثار غيرة (إزيو) الذي أسرَّ إلى بلاشيديا بأن بونيفاشيو يتصرف في شؤون إفريقية تصرف الملك المستقل. وللتدليل على صحة هذه التهمة اقترح على بلاشيديا دعوته إلى روما، موحياً إليها بأن رفض الحضور إلى العاصمة إنما يعني التأكيد القاطع على عصيانه وتمرده. وفي نفس الوقت بعث (أزيو) إلى (بونيفاشيو) رسائل سرية، محذراً إياه من مغبة الحضور إلى روما، والاستجابة إلى دعوة الإمبراطورة التي تنوي هلاكه والقضاء عليه. وانخدع بونيفاشيو بمكيده منافسه، ورسخ في نفسه الاقتناع بأن حاشية الإمبراطورة تتآمر ضده وتكيد له، فلجأ إلى البحث عن سند له، وتحالف مع

(٣٥) ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٩.

Geographie comparée de la province romaine d'afrique, 1884 - 1888, 11, 206.

(٣٦)

وندال إسبانيا. تلك هي القصة كما أوردها (بوكيوس)<sup>(٣٧)</sup>. ولعلها في حقيقتها وجوهرها ليست سوى ترديد لأمثالها من الأساطير التي تعبر عن الرغبة في توضيح الأحداث التي تغيب عن الناس أسبابها الحقيقية.

كان الوندال آنذاك محكومين بصفة شكلية من قبل (جنسريق Gunterico). أما الحكم الحقيقي فقد كان بيد أخيه (جنسريق Genserico) وهو أكبر سنًا، وأوفر عقلًا، وأكثر شجاعة. وقد أرسل إليهما بونيفاشيو رسله مقترحًا اقتسام أفريقيا وتوزيعها على ثلاثة أجزاء. وقبل الوندال ذلك. وغادروا إسبانيا التي دخلها الغوط سنة ٤٣٩.

وفي هذه الأثناء انكشفت لعبة (أزيو)، وعرفت المكيدة التي دبرها، فبادرت الملكة بلاشيديا بدعوة بونيفاشيو إلى الصمود في مقاومة الغزاة، وأرسلت إليه الدعم والعون. وقد حاول بونيفاشيو أن يقاوم الحصار الذي ضربه جنسريق على (أبونا Ippona) (بونة أو عنابة بالجزائر) وأجبر المهاجمين على الانسحاب، ثم هاجمهم في ميدان مكشوف، ولكنه هزم سنة ٤٣١ وعاد إلى إيطاليا ملتحمًا بخدمة الإمبراطورة بلاشيديا، بينما ظل الوندال سادة على البلاد. وقد اتفق (جنسريق) مع الإمبراطور فالنتينوس في سنة ٤٣٥ والتزم بدفع الخراج، تاركًا ابنه هنريك رهينة. ولكنه قام في سنة ٤٣٩ باحتلال قرطاجنة، وجعل منها عاصمة للدولة الوندالية.

وانهارت الامبراطورية الرومانية، وقتل (أزيو). وأخذ (أتिला Atila) ينشر الرعب في إيطاليا. وفي سنة ٤٥٥ قام نفس جنسريق بنهب روما. وعندما رُسِّخ سيطرته على أفريقية، أخذ يهاجم جزر البحر الأبيض المتوسط. ولم تعد روما قادرة على الوقوف في وجهه. وظلت بيزنطة، الإمبراطورية الشرقية، تطالب بالحقوق الرومانية على إفريقية.

وقد هدم جنسريق جميع أسوار المدن المنتشرة على ساحل خليج سرت، عدا قرطاجنة، حتى لا يحتل الليبيون الأسوار الرومانية، أو يقوموا بإثارة

De Bello Vandalico, 1,34.

(٣٧)

الاضطراب. وحتى يحول دون قيام القوات المرسلّة من الإمبراطور باحتلال هذه المدن وخلق المصاعب في وجه الوندال.

ويضيف بروكبيوس الذي يروي لنا هذه القصة قائلاً: (إن الإجراء الذي بدأ لهم في ذلك الوقت عملاً وقائياً، قد تحول فيما بعد إلى عمل من الأعمال التي تنم عن الغباء، حين تمكن (بليزاريوس) من الاستيلاء على هذه المدن الخالية من الأسوار)<sup>(٣٨)</sup>.

ويقول بروكبيوس: (إن جنسريق قد خص أعيان الليبيين، عند تقسيمه للغنائم، بإقطاعات من الحقول والعبيد تماثل من حيث القيمة ما خص به ولديه (هنريكو وجنزو). أما بقية الليبيين فقد جردوا من أراضيهم التي قسمت على الشعب الوندالي، ولذا عرفت بإقطاعات الوندال). إذن لقد طبق الوندال في إفريقية النظام الإقطاعي. ولكن هذه الطريقة في نزع الثروة لم تمارس إلا في إفريقية (Africa Proconsolare) ضد الأثرياء من السكان، وملاك الأرض من الرومانيين. وقد دخلت طرابلس تحت سيطرة الوندال، ولكنها لم تخضع لسلطتهم المباشرة. وفي الثورات ضد الوندال كانت طرابلس تبدو في الطليعة، ففيها نزل (أرقليوس Eraclio) للانطلاق بحملته الأولى الفاشلة. ومنها دعا (بودنزيو Pudenzio) البيزنطيين.

لقد أرسل الأمبراطور (ليون) إمبراطور الأمبراطورية الشرقية في سنة ٤٧٠، بازيليسكو Basilisco وأرقليوس، إلى إفريقية. وقد أبحر أرقليوس نحو طرابلس واحتلها، وهزم الوندال، واستولى على المدن الواقعة على خليج سرت حيث ترك بها السفن، وزحف برأ بحملته على قرطاجنة. ولكن بازيليسكو الذي كان أمام العاصمة بأسطوله، تواني في الهجوم، فأضاع على نفسه فرصة سهلة لتحقيق الاحتلال. ويبدو أنه خضع لتأثير الحاشية المرافقة له، وقبل الهدنة التي عرضها جنسريق الذي كان يتحين الفرصة المناسبة، حتى أصابها فهاجم الأسطول وذبح من فيه.

De Bello Vandalico, 1,5.

(٣٨)

ودامت سيطرة الوندال على طرابلس الغرب حوالي قرن، ولكنها لم تخلف أي أثر. وجدير بالذكر أن (كباون Cabaon)، أحد الزعماء الليبيين الذين يقيمون بضواحي طرابلس ويسمى بروكيوس: (ماوري) ما كاد يعلم بنية الوندال في التحرك ضده حتى جمع المحاربين من رجاله، ووجه بعض العيون إلى قرطاجنة لمتابعة تحركات الوندال الزاحفين على طرابلس وإبلاغه بها. وقد وضع أمام رجاله اثني عشر صفاً من الإبل. وبذلك تمكن من إلحاق الهزيمة بهم، وولوا هاربين. ويحتمل أن تكون هذه المعركة قد جرت في سفوح الجبل، عند السهل الواقع بين طرابلس وقابس<sup>(٣٩)</sup>.

احتل البيزنطيون طرابلس في عهد الإمبراطور (جوستنيانوس)، ودخلت طرابلس تحت سيطرتهم منذ ذلك الحين. ويقول بروكيوس<sup>(٤٠)</sup> (إن بودنزيو، وهو أحد سكان طرابلس، ثار ضد الوندال، وبعث إلى الإمبراطور يطلب العون والنجدة، مؤكداً قدرته على احتلال هذه المنطقة دون مشقة. وأرسل جوستنيانو القائد (تتموت Tattimuth) على رأس قوة صغيرة، فانضم إليه بودنزيو، واحتل البلاد التي كانت خالية من الوندال، وأدخلها تحت سيطرة الإمبراطور.

كان ذلك في سنة ٥٣١ - ٥٣٢، ولم يكن أمام (جليمروس Gelimero) وقت للتفكير في معاقبة بودنزيو، إذ كان مشغولاً بقضايا هامة، ومنها الثورة في ساردينيا.

وفي هذه الأثناء غادر بليزارىوس بيزنطة، ونزل (بكابوت فاذا Caput Vada) سنة ٥٣٣ واحتل قرطاجنة، وأجبر جليمروس على الانسحاب إلى الجبال.

وكان يحكم طرابلس القائدان (بودنزيو وتتموت) إلا أن وضعهما كان محفوفاً بالخطر، مما اضطر (بليزارىوس) إلى أن يبعث لهما بجيش لدعمهما ضد

De Bello Vandalico, I,6.

(٣٩).

De Bello Vandalico, I,10.

(٤٠)



الليبيين. وقد هُزم الليبيون، وتركزت السيطرة البيزنطية بطرابلس. وفي سنة ٥٣٥ استسلم جليمرس بعد مقاومة بطولية. ووافق بليزاريوس إلى احتفالات النصر بالقسطنطينية.

وقد خلف بليزاريوس في حكم إفريقية (سلمون Salomone) وكان عليه أن يقاوم البربر مقاومة مستمرة. وفي سنة ٥٤٣ قسمت الحكومة الشرقية بين (سرجيو Sergio وشيرو Ciro) حفيدي سلمون. فكان من نصيب شيرو، وهو الأكبر، بتسابوليس (المدن الخمس). أما سرجيو فقد كانت من نصيبه طرابلس<sup>(١)</sup>. وحدث في ذلك الوقت أن توجه الليبيون (الماوري) المعروفون باسم (لواتة) في جيش منظم إلى بلدة لاستلام التعيينات والامتيازات التي تؤكد السلم. وقد أخذ سرجيو بنصيحة بودنزيو، فاستقبل داخل المدينة وفداً يتألف من ٢٨ شخصاً من الأعيان، ووعدهم بتلبية جميع المطالب. وأوقف بقية الأتباع خارج المدينة. وقد أخذ هؤلاء الأعيان يناقشونه أثناء اجتماعهم على مائدة الأكل، محتجين على سلب حيواناتهم فلم يبد سرجيو اهتماماً كبيراً بما كانوا يقولون، ونهض متجهاً نحو الباب، حين أمسك به أحد البربر، محاولاً القبض عليه، بينما احتشد الآخرون حوله في هرج ومرج. وقد سلّ أحد حراس سرجيو سيفه وقتل البربري. وحدث هياج في القصر قتل على أثره جميع الأعيان الذين لم يسلم منهم سوى شخص واحد استطاع الفرار واللحاق بقومه الذين أخبرهم بما حل برفاقه، فتجمعوا وثاروا على البيزنطيين المقيمين ببلدة. وهاجمهم سرجيو وبودنزيو، واستوليا على أموالهم، وسببا النساء والأطفال. وأخيراً وقع بودنزيو البطل قتيلاً في المعركة، وعاد سرجيو أثناء الليل بجيشه إلى بلدة. غير أن (لواتة) عاودت الهجوم وأخذت تلاحقه. وعبثاً حاول سرجيو الحصول على نجدة من سلمون الذي كان مشغولاً ضد الشوار. وقد مات هو الآخر في المعركة.

وقد كانت ثورة (لواتة) بداية لثورة مستمرة متلاحقة توالى فيها أحداث

النصر والهزيمة<sup>(٤٢)</sup>. ويعود الفضل في القضاء على الثورة في سنة ٥٤٧ - ٥٤٨ إلى (جيوفاني تروغلينا Giovanni Troglita). وكان من بين الشوار القائدين الليبي المشهور (أنتالا Antala) وهو من الليبيين المعروفين في مقاطعة (بيزاشينا Bizacene) وقد انضمت إليهم قبيلة لواتة المشهورة. وقد تغنى بمواقفه الشاعر (كوريبو Corippo) في ملحمة المعروفة باسم (Johanneide).

وقد وصف بروكيوس<sup>(٤٣)</sup> لبدة فقال: (إن القسم الأكبر منها مهجور. وإنها مغطاة بالرمال، بسبب ما لحقها من إهمال). وأمر جوستينيانو بإقامة الأسوار حولها على نطاق أضيق من الرقعة السابقة للمدينة حتى لا تعود ضحية سهلة للأعداء والرمال. وقد أهمل الجانب الغربي الذي غزته الرمال وأعاد بناء الأجزاء الباقية على نحو أمتن وأقوى، وأقام هيكلًا رائعًا للعداء، وبنى أربع كنائس أخرى. وأعاد تشييد (البازيليكا) والحمامات وقصر سفروس<sup>(٤٤)</sup>.

ولم يرد ذكر لمدينة (أوثيا) ولكنها كانت ما تزال موقعاً هاماً، وربما عنها بروكيوس بحديثه عن (طرابلس Tripolis). وقد كانت أوثيا مركزاً هاماً. واهتم البيزنطيون بتحسين الأسوار للدفاع عن المدينة ضد هجمات الليبيين<sup>(٤٥)</sup>. ورفع جوستينيانو أسوار صبراتة وأنشأ بها كنيسة.

ومن الناحية الإدارية كانت طرابلس الغرب، في عهد جوستينيانو، تشكل جزءاً من المقاطعات الإفريقية السبع (Diocesi d. Africa)<sup>(٤٦)</sup>. وكان يحكمها قنصل (Consularis) ولم تكن الإدارة في وضع حسن، بسبب طمع الحكام وفساد الموظفين. وكان لطرابلس الغرب تنظيمها العسكري الخاص

(٤٢) ينتهي تاريخ بروكيوس سنة ٥٤٦.

(٤٣) De Aedificiis, VI, 3,9 - Bartoccini, Il recinto giustiniano di Leptis Magna in Tripolitania, vol II, 1925 P. 63 72.

(٤٤) ينسب كثير من المؤرخين الأجانب الدمار الذي لحق بلبدة إلى الفتح العربي. وفي قول بروكيوس تأكيد على أن الإهمال قد لحق بها قبل قدوم العرب (المغرب).

(٤٥) Aurigemma: Notiziario Archeologico del Ministero delle Colonie 11,225.

(٤٦) Diehl, l'Afrique Byzantine p. 107.

بقيادة زعيم (Dux) ومقر قيادته (لبدة). ويرى (ديهل<sup>(٤٧)</sup>) (Diehl) أن البيزنطيين لم يحتلوا كل الأراضي الواقعة داخل الحدود الطرابلسية (limes) ولكنهم اكتفوا بحماية الطريق الساحلي الذي يمتد من قابس حتى لبدة. وكانت القبائل الليبية، في عهد البيزنطيين، تهدد مقاطعة إفريقية بأسرها. وقد دفع ذلك القادة العسكريين إلى تقوية الدفاع على الطريق الواقعة بين غدامس ومطماطة بتونس.

وعادت الثورات إلى الاشتعال من جديد، بعد وفاة جوستينيانو ٥٦٥، وانتشرت في إفريقية. وعند نهاية القرن السادس، أدخل إصلاح إداري هام، وذلك بإنشاء نظام الولايات (Esarcato d. Africa) ولم تلحق به طرابلس الغرب التي ضمت هي وبنتابوليس (برقة) إلى المقاطعة (Diocesi d'Egitto) المصرية. وفي سنة ٦٤١ مات الإمبراطور أرقليوس بعد أن خسر المقاطعات الشرقية في حروبه مع المسلمين. وخلفه الأمبراطور (كوستانت الثاني Costante II) وفي عهده استولى العرب على مصر، ثم على طرابلس الغرب.

Diehl, op. cit. p. 113.



## الفصل الثالث الفتوحات الإسلامية في طرابلس الغرب

- \* ظهور الإسلام.
- \* فتح برقة وتسيير أولى الغزوات نحو طرابلس ٦٤٦ م.
- \* سكان طرابلس الغرب في عهد الفتح العربي.
- \* ولاية زهير ونعمان الفسائي وثورة الكاهنة.
- \* ولاية موسى بن نصير وخلفائه.

## ١ - ظهور الإسلام

لقد انطلق الإسلام - الذي سيؤثر تأثيراً عميقاً على تاريخ طرابلس الغرب وإفريقيا الشمالية - من الجزيرة العربية، وبالذات من الحجاز حيث ولد محمد في مكة في الفترة الواقعة بين ٥٧٠ - ٥٨١ م وأخذ يدعو إلى الدين التوحيدي الجديد. ولما وجد معارضة قوية في مسقط رأسه، مكة، هاجر وأصحابه إلى المدينة في ٦٢٢ م<sup>(١)</sup> وجمع حوله طائفة من المؤمنين شكلت وحدة دينية وسياسية كانت النواة الأولى في إنشاء الدولة الإسلامية. وتوفي محمد في (٨ يونيو ٦٣٢ م)، أي في العام الحادي عشر للهجرة، بالمدينة التي تضم ضريحه المقدس عند المسلمين، تاركاً دولة صغيرة لا تتجاوز حدود الحجاز ولم تثبت أركانها في غير المدينة. وتولى الخلافة من بعده أبو بكر الذي بايعه المسلمون. وقد انتشر الإسلام في عهده، وخرج من حدود الجزيرة العربية إلى سوريا والعراق. وفي خلافة عمر بن الخطاب تم فتح مصر (٦٤٠ م)، وفي العام التالي بدأت أولى الغزوات نحو طرابلس.

## ٢ - فتح برقة وأولى الغزوات نحو طرابلس

تختلف المصادر التاريخية في تحديد تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد برقة. ولكن يمكننا أن نحدد وقوعه في سنة ٢١ هجرية (١٠ ديسمبر ٦٤١ - ٢٩ نوفمبر ٦٤٢ م) بعد الاستسلام الكامل لمدينة الإسكندرية. وربما قام عقبة بن نافع في

(١) اتخذت الهجرة بداية للسنة القمرية العربية وهي توافق يوم ١٦ يوليو ٦٢٢.

نفس السنة، بحملة ضد الجنوب بلغت زويلة<sup>(٣)</sup> - وقد صالحت برقة وزويلة الفاتحين ودفعت الجزية<sup>(٣)</sup>.

وتتفق أغلب المصادر العربية تقريباً على تعيين سنة ٢٢ هجرية (٣٠ نوفمبر ٦٤٢ - ١٨ نوفمبر ٦٤٣ م) بداية للفتح العربي لطرابلس الغرب. وليس بين هؤلاء المؤرخين العرب الذين يتحدثون عن ذلك من عاصر هذه الأحداث أو كان قريباً منها، ولكنهم ينقلون الروايات المتواترة التي تناقلتها الأجيال المتعاقبة. وقد أوردها الكتاب اللاحقون بدون تدقيق تاريخي. وعلى كل حال فإنه من الجائز اعتبار سنة ٢٢ هجرية - ربما خلال الفترة الواقعة بين ربيع وصيف سنة ٦٤٣ م) - السنة التي تم فيها تسيير الحملة بقيادة عمرو بن العاص لمحاصرة مدينة طرابلس. وتقص الروايات أنه لم تجر على الفور مهاجمة المدينة، وأن القائد المسلم قد أقام عند مرتفع يعرف باسم (القبة) شرقي المدينة، وحاصر مدينة طرابلس مدة شهر كامل<sup>(٤)</sup>.

وتقص إحدى الروايات أنه في يوم من الأيام خرج جندي من بني

(٢) Rossi, Il Sahara Italiano, Parte 1 - Fezzan e Oasi di Gat, in Storia del Medio Evo e de- Il'Età Moderna, Roma 1938 p. 334.

R. Brunschvig, Un texte arabe du IX siècle intéressant le Fezzan, in Revue Africaine n. 402, 403, 1945 p. 21 - 25.

(٣) أنظر العرض النقدي المتعلق بهذه الأحداث في كتاب:

L. Gaetani, Annali dell' Islam, vol IV anno 21 p. 123.

(٤) لا نعرف المبني الذي تقوم عليه القبة المذكورة. وربما كان من المنشآت الرومانية أو البيزنطية أو العهود السابقة عليهما التي ينتمي إليها الراوي الذي تنقل عنه الروايات المتواترة؟ وقد دأبت الروايات على تحديد هذا المرتفع بمرتفع (الظهرة) في الوقت الذي ينبغي أن يطابق ذلك المرتفع الذي يقع إلى الشرق من الظهرة، قرب البحر، حيث يقوم ضريح سيدي الشعاب وقامت في عهود متأخرة مقابر القرامانللية. ويذكر الجغرافي البكري (طبعة سلان ص ٨) بشراً تعرف باسم بئر القبة، ويقول إنها كانت أعذب آبار طرابلس. ويحتمل أيضاً أن يكون أحد القرامانلي قد استخرج منها الماء الذي أوصله إلى المدينة، حيث أقامت الحكومة الإيطالية خزاناً للمياه عرف باسم الحميدية، على اسم الحصن الذي أنشأه الأتراك ودمره القصف البحري الإيطالي سنة ١٩١١.

مدلج يتصيد مع سبعة من رفاقه، وسلكوا غرب المدينة، واشتد عليهم الحر في الرجوع فأخذوا يسرون بمحاذاة البحر حتى بلغوا مدينة طرابلس، واكتشفوا أن المدينة لم تكن مسورة من الجانب البحري منها. وكانت السفن ترسو مقابل بيوتهم. وقد وجد المدلجي ورفاقه مسلحاً بين البحر والمدينة فدخلوا منه، وكبروا في الكنيسة المسيحية<sup>(٥)</sup>. وزحف الجيش الإسلامي مهاجماً المدينة. فلم يجد الروم - أي الإغريق - مفرأ من الإفلات بما خف حمله والهروب فوق مراكبهم. وقد غنم عمرو كل ما بقي بالمدينة<sup>(٦)</sup>. فلما ظفر عمرو بمدينة طرابلس جرد حملة على مدينة صبراتة. وكان سكان تلك المدينة التي كانت سوقاً هامة لمنطقة طرابلس<sup>(٧)</sup> الغرب، قد تحصنوا بعد أن أفرعهم نبأ وصول عمرو بن العاص إلى طرابلس. ولما طال حصاره لمدينة طرابلس، وامتنعت عليه شهراً كاملاً، اطمأنوا وخففوا الحراسة، فصحبها جيش المسلمين وقد فتحت أبوابها وانصرف سكانها إلى ممارسة أعمالهم، في غفلة واطمئنان، فوقع المسلمون عليها وغنموا كل ما فيها.

وأثناء حصار طرابلس سير عمرو بن العاص جيشاً إلى الداخل يبلغ بلدة وڤان (التي ما تزال قائمة حتى الآن)<sup>(٨)</sup>.

- 
- (٥) انشاء إزالة السور في سنة ١٩١٣ عثر على آثار كتابات مسيحية يحتمل أنها كانت لإحدى الكنائس البيزنطية.
- (٦) في خصوص الدراسة النقدية للمصادر انظر: حوليات الإسلام / قبايتي ج ٤ ص ٥٥ وما تلاها.
- (٧) هذه الإشارة الخاصة إلى الأهمية التجارية لمدينة صبراتة توجد لدى (ابن عبد الحكم) ترجمة دي سلان. (De Slane Histoire des Berbères 1, p. 302 - 303).
- انظر أيضاً الطبعة المحققة (لتوري Torrey) ١٩٢٢ حيث يضيف ابن عبد الحكم أن عبد الرحمن حاكم إفريقية قام في سنة ١٣١ هـ (٦٤٨ - ٦٤٩ م) بنقل سوق صبراتة إلى طرابلس. هكذا أفهم النص على الرغم من التحريف الذي لحق بنص توري. وربما كان الخبر مجرد تذكير بالازدهار الذي كانت عليه صبراتة. وقد توقف بالفتح العربي بينما احتفظت طرابلس بنشاطها التجاري وزادت منه.
- (٨) حوليات الإسلام ج ٤ عام ٢٢ ص ٥٥ وما تلاها - ابن عبد الحكم طبعة توري ص ١٩٤.



وبعد أن ظفر عمرو بهذه الفتوحات وجمع ما أمكنه من غنائم سلك طريق العودة إلى مصر. ولا يبدو أن المسلمين قد تركوا حامية بطرابلس، بل ويستبعد قيام هذا الاحتمال. ومن الغريب ألا يرد أي ذكر لمدينة لبدة التي كان من المفروض أن تستثير شهية الفاتحين. أترى، ينبغي أن نعتقد بأن تلك المدينة الرائعة قد دمرت، قبل ذلك، وأنها قد خلت تقريباً من السكان في الوقت الذي كانت فيه مدينة صبراتة تعيش الأعوام الأخيرة من ازدهارها التجاري ورخائها الاقتصادي؟

إن حملة سنة ٦٤٣ كانت مجرد غزوة بسيطة لجمع الغنائم، وإلزام الناس بدفع الجزية، وهي حركة استطلاعية استكشافية، وتوجيه نحو إفريقيا التي أخذت تتركز حولها شهوات الفتح<sup>(٩)</sup>.

وعندما عاد عمرو بن العاص، ظلت طرابلس تحكم نفسها بنفسها، غير أنه يجب أن نتساءل من الذي كان يتولى الدفاع عن مدينة طرابلس أثناء الحصار الأول في سنة ٦٤٣ م؟ فمن المحقق أن الروم الذين ركبوا البحر، حين بوغت طرابلس بالهجوم، كانوا هم الجنود الإغريق والمدينة كما رأينا - لم تكن محصنة من جهة البحر. إذ لم تكن تخشى حتى ذلك اليوم من أي هجوم بحري، ولكنها كانت محصنة من جوانبها البرية لحمايتها من غارات البربر. ولا بد أنه كانت هناك حامية إغريقية صغيرة تدافع عن أسوار المدينة. وكان يقوم في المكان الحالي للقلعة حصن روماني بيزنطي يحمي المدينة من الشرق. وذلك يفسر لنا كيف جاءت المباحثة من غربي المدينة. هل رجع هؤلاء الجنود بعد سقر عمرو بن العاص؟ ليست لدينا معلومات. ولعلهم لجأوا إلى بعض موانئ إفريقية البيزنطية.

لقد قلنا إنه في بداية القرن السابع الميلادي، وبعد قيام ولاية إفريقية (Esarcato d'Africa) جرى ضم طرابلس الغرب إلى مقاطعة مصر البيزنطية

(٩) ورد ذكر لبدة في إحدى الغزوات التي جرت بعد عشرين سنة من هذا التاريخ. انظر ذكر الغزوات التالية في هذا الفصل.

(Diocesi). ولكن المصادر العربية تشير إلى أنه أثناء الفتح الإسلامي كان (جرجير Gregorio) يحكم المنطقة التي تمتد من طرابلس إلى طنجة. ويمكننا في هذه الحالة أن نأخذ برأي (ديهل Diehl)<sup>(١٠)</sup> الذي يرى أنه بعد ضياع مصر، أصبحت طرابلس هي خط المواجهة الأمامية مع الفاتحين. ولعلها دخلت في هذه المرحلة ضمن نظام (Esarcato d'Africa).

ومن جهة أخرى فإن جرجير الذي تصرف تصرف الرجل المستقل، وسمى نفسه في سنة ٦٤٦ ملكاً، وضرب النقود باسمه، اهتم بإنقاذ أراضيه أكثر من اهتمامه بمساعدة طرابلس التي لم يبعث إليها بأي دعم سواء أثناء الغزو أو بعده.

### ٣ - سكان طرابلس الغرب أثناء الفتح الإسلامي

يؤلف اللييون الذين سيعرفون من الآن فصاعداً باسم البربر، السكان الأصليين في المناطق الداخلية والساحلية. أما البونيقيون (القرطاجيون) والإيتاليون Itolici والإغريق، فلم يبق منهم أثناء الفتح الإسلامي سوى عدد قليل. وكان اليهود أقلية ضئيلة. كانت هناك بعض المجموعات اليهودية، ولكنها كانت مؤلفة من البربر الذين تحولوا إلى اليهودية. وكانوا منتشرين في المدن الساحلية وبعض مدن الدواخل.

من هم البربر الذين نراهم يسيطرون على تاريخ هذه البلاد، ويقاومون الزحف العربي، ثم يعتنقون الإسلام، ويحتضنون منه المذاهب الخارجية، ويشيرون الثورات والانتفاضات، ويتسببون في بعض المذابح وأعمال الغزو التي ساهمت مساهمة كبيرة في تدمير الإقليم وانهياره؟

لا تتوفر لدينا وثائق معاصرة لذلك العهد أو قريبة منه تساعدنا على تقديم عرض وثيق عن السكان البربر بطرابلس الغرب في القرن السابع للميلاد. إن

L'Afrique Byzantine.

(١٠)

المؤرخين الذين تصدوا لمعالجة مثل هذه الموضوعات ينتمون إلى عصور متأخرة من القرن العاشر، ولا نعلم مدى صحة المصادر التي يعتمدون عليها وقدمها.

إن العرض الذي يقدمه إلينا ابن خلدون عن بربر إفريقيا، والمغرب، في عصره، أي القرن الرابع عشر، أي بعد سبعة قرون من الفتح العربي، يمكن أن يساعد كقاعدة في محاولة بناء هذه الأصول على أسس تعتمد مصادر ودراسات متزنة محددة<sup>(١١)</sup>.

ويقسم ابن خلدون - في القرن الرابع عشر - البربر إلى جذمين كبيرين رئيسيين:

(١) البرانس.

(٢) مادغيس

وتنتمي إلى البرانس:

(١) أوريغة: وتعرف أيضاً باسم هواة، وتضم عدة قبائل نجد بقاياها أو أثر إقامتها في طرابلس الغرب، متمثلة في بعض قبائل غريان ومسلاتة، مثل المجاريس<sup>(١٢)</sup> وبني تازة<sup>(١٣)</sup> وبني خيار<sup>(١٤)</sup>، وبني الخطاب<sup>(١٥)</sup> وعكارة<sup>(١٦)</sup> ومسراتة، وورفل<sup>(١٧)</sup> وبني ثاتب، وبني عمار<sup>(١٨)</sup>.

Ismali Kemali Gli abitanti della Tripolitania. 1916.

(١١)

E. De Agostini, La popolazioni della Tripolitania. Tripoli 1917.

Beguinet, le popolazioni della Tripolitania in la Rinascita della Tripolitania, Roma 1925,

P. 25 - 50.

(١٢) وجدهم التجاني، من القرن الرابع، يقطنون جنزور/ ص ٢١٦.

(١٣) ما يزالون يسكنون جنزور.

(١٤) كانوا يقطنون منطقة الجفارة شرقي طرابلس.

(١٥) أقاموا حكماً لأسرتهم في فزان.

(١٦) هم طوارق هجار أو أهجار المعاصرون.

(١٧) ورقلة.

(١٨) حكموا طرابلس ما يقرب من قرن ١٣٢٤ - ١٤٠٠.

(٢) كتامة: وقد بقي من بطونها بطرابلس، غرب قبيلة سيلين وقبيلة النورة (شرقي الخمس).

وتنتهي إلى جدم مادغيس:

أداسة: وتنحدر منها قبائل ترهونة.

ضريسة: ومن بطونها زناتة التي تشمل بني بيزليت وبني يفرن ومغراوة ورشفانة وبني خزرون<sup>(١٩)</sup> وبني مرين<sup>(٢٠)</sup>. وتنحدر من ضريسة أيضاً زواغة وماجر.

(٣) نفوسة: ويتألف منها سكان الجبل وقد كانت منتشرة قديماً حتى صبراتة.

(٤) لواتة: ومن فروعها الرئيسية نفزاوة ولواتة التي ينحدر منها بنو مالك، حكام قابس في القرن الثامن، وقبيلة ورفجومة المشهورة بثورتها سنة ١٤٤ هـ.

تلك هي القبائل البربرية التي كانت مقيمة بطرابلس الغرب في القرن الرابع عشر والتي نجدها - قرب هذه الفترة - قد تعربت، وخضعت لتحول في تكوينها السلافي وأهميتها العرقية. فإذا حاولنا أن نحدد بالتدقيق القبائل الموجودة بطرابلس الغرب في القرن السابع، والقبائل الوافدة على المنطقة بعد هذا التاريخ، فإننا سنجد صعوبة في هذا التحديد.

ويقول ابن عبد الحكم<sup>(٢١)</sup>، وهو أقرب المؤرخين إلى أحداث هذا العصر، إن البربر قد نزحوا من الحدود الشرقية لمصر وانتشروا في المغرب. وأن زناتة ومغيلة قد توجهتا إلى المغرب وسكنتا الجبال. وإن لواتة قد استقرت في برقة وأنها تكاثرت وانتشرت فيما بعد حتى المغرب، وإن هواره قد استقرت بلبدة،

(١٩) تولوا حكم طرابلس ما يقرب من قرن ١٠٠٠ - ١١٠٠.

(٢٠) بغدامس.

(٢١) الطبعة الثانية من ترجمة Gateau ص ٣٥ من النص العربي وص ٣٦ من النص المترجم.

ونفوسة بمدينة صبراتة. متى تمت هذه الهجرات؟ ولقد ورد ذكر هوارة وحدها في القرن السادس الميلادي كقبيلة مستقرة حول لبدة. أما البكري<sup>(٢٢)</sup>، من القرن الحادي عشر، فيضع هوارة في المناطق الواقعة جنوبي طرابلس.

ومن ناحية أخرى فإن العرب لم يجدوا عند الفتح الأول، بطرابلس الغرب، سوى قبيلتي لواتة ونفوسة. فهاتان القبيلتان الكبيرتان كانتا تسكنان طرابلس الغرب منذ زمن سحيق يمتد بالتأكيد إلى أبعد من تاريخ الفتح العربي.

أما في العهود السابقة للفتح الإسلامي، أي عند نهاية العهد الروماني والبيزنطي، فلا بد أن تكون قد وقعت حركة هجرة إلى الشمال الإفريقي انطلقت من الشرق، وحملت زناتة وهوارة إلى المغرب حيث امتزجتا بالقبائل البربرية المقيمة في تلك المنطقة وتغلبتا عليها. وفي هذا الوقت أخذ ينتشر الجمل في إفريقيا الشمالية، ولم يكن قد عرف في هذه المنطقة من قبل<sup>(٢٣)</sup>.

وقد عادت عدة قبائل من زناتة وهوارة إلى إقليم طرابلس الغرب، في القرنين السابع والثامن، أي في فترة اندلاع أعنف الثورات البربرية وأشدّها. وقرب القرن العاشر للميلاد انتهت هذه التنقلات، وانتظمت هذه القبائل في مواقعها أو قاربت على الاستقرار<sup>(٢٤)</sup>.

#### ٤ - الفتوحات التالية - حملة عقبة بن نافع - أوضاع السكان الأصليين

ولّى الخليفة عثمان بن عفان الذي خلف عمر بن الخطاب في نهاية ٦٤٤ م عبد الله بن سعد على مصر. وقد قام عبد الله بحملة جديدة على إفريقيا وتوغل (عام ٢٥-٢٦ هـ - ٦٤٦ - ٦٤٥ م) في برقة ونهض برفقة عقبة بن نافع ضد

(٢٢) أنظر ما تقدم في خصوص لبدة.

Gautier, Les siècles obscurs de Maghreb, Paris 1927 P. 163-225 .

Ismail Kémali, op. cit. p. 11.

(٢٣)

(٢٤)

طرابلس الغرب، فغزا الروم (الإغريق) الذين صادفهم في طريقه، ثم تابع سيره نحو إفريقية، موجهاً حشوداً من جيوشه في كل الاتجاهات<sup>(٢٥)</sup>.

إن الأحداث التالية لهذه الحملة لا تتصل بطرابلس إلا بصفة غير مباشرة. لقد أبدى (جرجير) البيزنطي مقاومة عنيفة في مواجهة الفاتحين في عدة اشتباكات ومعارك تحدث عنها المؤرخون بطرق وأساليب خيالية. ثم هزم في (سبيطة) بتونس على يد عبد الله بن الزبير الذي حضر لدعم المسلمين. وفي عام ٢٧ هـ (٦٤٧ م) عادت الجيوش الإسلامية إلى مصر<sup>(٢٦)</sup>.

وكما تبين لنا، مما تقدم، فإن هذه الغزوات الأولى لم تكن تحمل طابع الاستيلاء والسيطرة الحقيقية التامة، بالإضافة إلى أنه يجب أن نلاحظ أن الروايات المتواترة عن هذه الأحداث مضطربة متناقضة<sup>(٢٧)</sup>، فضلاً عن أن بعض المصادر فقط تذكر أن عبد الله بن سعد قام بحملة جديدة على إفريقية في سنة ٣٣ هـ (٦٥٣ - ٦٥٤) بعد أن خرج الأهالي على الاتفاقات المبرمة<sup>(٢٨)</sup>. وهكذا نعلم بأخبار غزوة للبددة في ٥٤٣ هـ (٦٦٣ - ٦٤٤ م) قام بها شارق بن سمي.

وتمضي عدة أعوام لا نعلم فيها شيئاً عن أخبار الفتوحات الإسلامية في إفريقية، ويمكن أن نجد تفسيراً لذلك في الأحداث الهامة التي صاحبت ذلك العهد، داخل الدولة الإسلامية الناشئة، أي في الصراع على الخلافة بين المؤيدين لعلي والمؤيدين لمعاوية. وبعد أن ثبتت دعائم الدولة الأموية التي أسسها

(٢٥) ابن الأثير ج ٣ ص ٦٧ - ٦٨.

(٢٦) ابن الأثير ج ٣ ص ٧٠/٦٩ - فورنيل المصدر المذكور ج ١ ص ١١٠ - ابن عذاري ترجمة فانيان، الجزائر ١٩٠١ - ١٩٠٧ ج ١ ص ٣ طبعة دوزي ليدن ١٨٤٨ - ١٨٥١ ج ١ ص ٤ وما تلاها. والطبعة الجديدة بعناية كولن ولفي بروفنسال - ليدن ١٩٤٧ - ١٩٥١ ج ١ - ص ٩ وما تلاها.

(٢٧) حوليات الإسلام، ج ٧ عام ٢٥ هجري حيث تحدث عن الصعوبة في تحديد التاريخ المتسلسل الدقيق للغزوات ضد إفريقية.

(٢٨) ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٧.

معاوية في دمشق ٦٦١، اتجهت عناية العرب واهتمامهم من جديد إلى المغرب.

واستناداً إلى بعض المصادر فقد تم في سنة ٤٦ هـ (٦٦٦ - ٦٦٧ م) تعيين رويفع بن ثابت الأنصاري حاكماً على طرابلس، وأنه قد قام في العام التالي بمهاجمة جربة وقفصة وقسطيلية<sup>(٢٩)</sup>. فهو إذن أول حاكم مسلم على إقليم طرابلس يذكره التاريخ<sup>(٣٠)</sup>.

ولم يحدد بصفة مؤكدة وثيقة تاريخ إسناد حكم إفريقية إلى القائد العربي الشهير الذي يحتل جزءاً كبيراً من تاريخ الفتح الإسلامي في إفريقية ونعني به عقبة بن نافع الذي جاء ليخلف معاوية بن حديج الذي تولى إفريقية من ٤٥ إلى ٤٧ هـ، بل ربما امتد حكمه إلى سنة ٤٨ هـ (٦٦٥ - ٦٦٨ م)<sup>(٣١)</sup>.

وقد قاد عقبة بن نافع، خلال الفترة الواقعة بين ٤٩ - ٥٥ هـ (٦٦٩ - ٦٧٥ م)، حملات طويلة وجد الإسلام فيها فعلاً تأكيد وجوده وترسيخ كيانه في هذه البلاد. وقد اعتنق كثير من البربر الإسلام، وأنشئت حاميات ومراكز للجند في الأماكن الهامة<sup>(٣٢)</sup>.

وتأسست حينذاك (٥٠ هـ) مدينة القيروان المشهورة. وهي أول قاعدة إسلامية ثابتة في المغرب. وهي المهد الأكبر للدعوة الإسلامية في هذه المنطقة. ولم يكن مرور عقبة بن نافع بطرابلس خالياً من الأثر، إذ سجل الخضوع

(٢٩) مصادر ذكرها قايتاني (Chronographia Islamica) 1, p. 511 - 521.

(٣٠) طبقاً لما يراه ابن عبد الحكم فإنه كان والياً على برقة وليس على طرابلس في سنة ٤٣ هـ. ويرى التجاني (ص ١٢٤) أنه عين من قبل معاوية والياً على طرابلس في سنة ٤٦. وقام في العام التالي بحملة على إفريقية واستولى على جربة. ثم مات ببرقة ودفن بها.

(٣١) Gaetani, Chronographia Islamica 1, p. 511 - 521.

طبقاً لما يراه ابن عبد الحكم (ترجمة توري ص ١٩٢ - ١٩٤) فإن معاوية بن حديج قاد ثلاث حملات على إفريقية في الأعوام ٣٤ - ٤٠ - ٥٠ هـ هجرية.

(٣٢) ابن عبد الحكم (طبعة توري ص ١٩٤) وابن الأثير (ج ٣ ص ٣٨٦) ترجمة فانيان (ص ١٩). والبكري ترجمة دي سلام ص ٣٣ وابن عذاري، ترجمة فانيان ص ١٣ ج ١ (طبعة ثانية ص ١٨) يبدو من هذه الطبعة الثانية التي تمت بالاستفادة من مخطوطات جديدة (للبيان) لابن عذاري أن عقبة أصبح والياً على إفريقية في سنة ٥٠ هـ (ص ١٩).

للسلطة الجديدة واعتناق الدين الإسلامي تقدماً كبيراً. ويروى أن عقبة بن نافع قد توغل حتى وُدَّان وغدامس وسأل سكانها عن المواقع الجنوبية فذكروا له (جرمة)<sup>(٣٣)</sup> المدينة الكبرى في فزان. ففتح فزان، واتجه جنوباً إلى كاوار<sup>(٣٤)</sup> حتى انتهى إلى مكان يعرف بعين الفرس<sup>(٣٥)</sup>، حيث تفجر هناك نبع تحت حوافر فرسه. ثم غادر عقبة البلاد بعد أن دعاه الخليفة. وعندما سافر عقبة خلفه على حكم إفريقية (وكانت منضمة في ذلك الوقت إلى مصر) أبو المهاجر دينار حوالي (٥١ هـ) (٦٧١ - ٦٧٢ م)<sup>(٣٦)</sup>.

وليس من الدقة في شيء أن نتحدث حتى ذلك الوقت عن تتابع منتظم في ولاية إفريقية. ذلك أن الأمر لم يكن يعدو قيام حملات وغزوات حسب تعبير المؤرخين. وفي هذا الخصوص فإن ما يرويه ابن عبد الحكم<sup>(٣٧)</sup> عن تأسيس القيروان ذو دلالة خاصة. (وهي قاعدة عسكرية بدائية حتى ذلك الوقت). فلقد حدد لها معاوية بن حديج موقعا في البداية، نقله عقبة بن نافع مسافة مائتين، ثم جاء أبو المهاجر فنقلها هو الآخر مسافة مائتين. ويذكر ابن عبد الحكم<sup>(٣٨)</sup> أن المسلمين قبل ولاية أبو المهاجر كانوا يقومون بغزوات في إفريقية ثم يعودون إلى الفسطاط<sup>(٣٩)</sup>.

(٣٣) جرمة.

(٣٤) مجموعة من الواحات إلى الجنوب من فزان. وقد ذكر البكري (كاوار) (ترجمة دي سنان ص ٣٤) أما أقصى هذه الواحات فهي (بيلما) الغنية بملاحاتها.

(٣٥) البكري (نقلاً عن ابن عبد الحكم) ترجمة دي سنان ص ٣٣. وابن عبد الحكم (طبعة توري) ص ١٩٥.

(٣٦) ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٨٧) حيث ذكر أنه عين على ولاية مصر وإفريقية (للمرة الأولى يجري دمج المنصبين) مسلمة بن مخلد الذي عين نائباً له في إفريقية مولاه أبو المهاجر دينار. أنظر أيضاً: حيث ذكر الاسم الكامل لأبي المهاجر دينار. وكذلك ابن عذاري في الطبعة الثانية ص ٢١ - ٢٣ حيث سدت الثغرة التي أشار إليها (دوزي) في الطبعة الأولى ص ١٤.

(٣٧) ابن عبد الحكم. طبعة (توري) ص ١٩٤ وكذلك ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٨٦ - ٣٨٧).

(٣٨) طبعة توري ص ١٩٧.

(٣٩) قرب القاهرة الحالية.



وأن أول من استقر بها أثناء الحملة. هو أبو المهاجر الذي أمضى الصيف والشتاء، وأبدى مقاومة. وعندما تولى يزيد الخلافة بعد وفاة معاوية سنة (٦٠ هـ) بعث من جديد عقبة بن نافع إلى إفريقية. وقد سار العرب في هذه المرة في البقاع المعروفة باسم الجزائر والمغرب. أي المغرب الأوسط والمغرب الأقصى. وقد أعلن جوليان البيزنطي استسلامه. وحمل عقبة لواء الإسلام إلى سواحل الأطلسي. ويقال إنه اندفع بجواده إلى الخضم هاتفاً (يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك) (١١) ولكنه استشهد في (تهودة) قرب بسكرة في الجزائر الحديثة، في هجوم قام به البربر بقيادة كسيلة زعيم البرانس في أغسطس ٦٨٣ م (١٢).

وقد انسحب زهير بن قيس مع بقايا جيشه حتى بلاد برقة وبقي البربر سادة الميدان، ووقعت القيروان أيضاً في قبضتهم (١٣).

وهكذا نرى، بعد أربعين سنة تقريباً من الفتوحات الإسلامية، أن انتصاراً واحداً للبربر كان كافياً للإطاحة بالسيطرة العربية على البقاع الممتدة من طرابلس الغرب حتى المغرب. ولم يكن الفتح الإسلامي قد أنشأ له قواعد ثابتة راسخة، كما أن انتشار الدعوة كان في مراحله الأولى. بل لم يكن للفتح الإسلامي في البداية حتى طابع الدعوة الدينية، ولكنه كان يتطلع إلى الغنائم وبسط السيطرة السياسية والعسكرية. ولم يعامل المسلمون الأهالي الخاضعين معاملة سيئة، ما داموا على طاعتهم وخضوعهم. وكانت غنائم الحملات تقسم بين الجنود، بعد استخراج الجزء المخصص للدولة. وكان المغلوبون يدفعون الجزية أو الخراج، فإذا أسلموا رفعت عنهم الجزية وفرضت عليهم الزكاة المقررة في الشريعة الإسلامية. وقد احترمت في البداية الإدارات القائمة

(٤٠) ابن الأثير ص ٩٠ ج ٤ والصفحة ٩٢ من ترجمة فانيان.

(٤٢) ابن الأثير ج ٤ ص ٩٠. ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٨ (أنظر أيضاً عن الولاية الثانية لعقبة لدى ابن عذاري، الطبعة الثانية ج ١ ص ٢٣ - ٣٠ حيث جاء النص أكمل مما كان في الطبعة الأولى).

في المناطق المفتوحة، وأسندت أيضاً بعض الوظائف المدنية لغير المسلمين<sup>(٤٣)</sup>. ولكن الالتزام بالخراج وسيطرة أقلية أجنبية لم تكونا من الأحوال التي يطمئن إليها البربر. وسنرى كيف ستتفجر الثورات دون توقف من الآن فصاعداً.

## ٥ - ولاية زهير ونعمان الغساني، وثورة الكاهنة

ظل البربري كسيلة يحكم إفريقية، طوال خمسة أعوام، دون أن يتعرض لأية مضايقة. وفي سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ - ٦٨٩ م) بعث الخليفة عبد الملك بن مروان إلى إفريقية، زهير بن قيس الذي هزم المتمرد كسيلة وقتله، واستعاد القيروان، ثم غادرها تاركاً بها حامية. وبينما كان في طريقه إلى مصر هاجمته قوة إغريقية كانت قد نزلت ببرقة، وقتلته<sup>(٤٤)</sup>. وبدل هذا الحادث على أن إغريق بيزنطة لم يتخلوا حتى ذلك الوقت عن الأمل في استعادة إفريقية.

ونحن نعلم أنه قد ظلت حتى ذلك الوقت حامية إغريقية بقرطاجنة. وهي المنطقة التي لم يشملها الفتح العربي الذي سلك طرق الدواخل حتى انتهى إلى المغرب. وقد أراد البزنطيون الاستفادة من الأحداث الأخيرة، ومن فقد البربر على الفاتحين، في إعلاء حظهم بإفريقية، ولكنه أمل لم يطل مداه. فقد سارت إلى إفريقية حملة عربية جديدة بقيادة حسان بن النعمان الغساني في ٧٧ هـ (٦٩٦ - ٦٩٧)<sup>(٤٥)</sup> لقتال البربر الذين تجمعوا بعد مقتل كسيلة، حول الكاهنة<sup>(٤٦)</sup>، وهي من قبيلة جراوة التي تنتمي إلى زناتة<sup>(٤٧)</sup>. وفي ٧٩ هـ

(٤٣) عن معاملة المسلمين للبلدان المفتوحة أنظر:

حوليات الإسلام ج ٥ ص ٤٥٠ وكذلك:

A. Fattal, Le Statut légal des non musulmans en pays d'Islam Beyouth 1958.

(٤٤) ابن الأثير ج ٤ ص ٩١ - ٩٣. ابن عذاري ترجمة فانيان ج ١ ص ٢٠ - ٢١ فورنيل ج ١ ص ١٩٤.

(٤٥) طبقاً لما يراه ابن عبد الحكم فإن هذه الأحداث قد وقعت في سنة ٣٧ هـ (طبعة توري ص ٢٠٠).

(٤٦) الكاهنة تعني المتنبة والعرافة. وأصل الكلمة من الكلمات السامية. ويحتمل أن يكون العرب هم الذين أطلقوه عليها.

(٤٧) ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٩.

(٦٩٨ - ٦٩٩ م) هزم حسان في إقليم الجزائر الحالي، ولوحق حتى قابس، وقد انسحب واستقر في منطقة سرت، في موقع ما يزال يعرف حتى الآن باسم (قصور حسان). وقد خافت الكاهنة من عودة العرب فأمرت بتدمير البلاد وتخريبها (إن العرب يريدون الذهب والفضة، ونحن نريد الحقول المزروعة والمراعي ولا أرى إلا أن أخرب إفريقية حتى يأسوا منها)<sup>(٤٩)</sup>. وتم فعلاً تدمير الإقليم البربري، وخرب كل ما يمكن أن يثير رغبة العرب في الاستيلاء. وتؤكد هذا الخبر عدة مصادر. ومن المرجح، بل لعله من المؤكد، أنه خلال الغزوات العربية والثورات البربرية التالية، تعرضت البلاد لمناعب كبيرة. وقد ذهب كل ما بقي بها من تنظيم مدني في معارك الجيوش، وتححر البداوة الغالبة<sup>(٥٠)</sup>. ولكن العلاج الذي اقترحه الكاهنة لم يؤد الغرض، فقد عاد حسان بن النعمان، بدعم جديد وفي سنة ٨٤ هـ (٧٠٣ - ٧٠٤ م)، وقام البربر في إفريقية، وتوغل حتى جبال أوراس (بالجزائر) وهناك هزم الكاهنة، وقتلت. وكان البربر قد تخلوا عنها قبل المعركة.

وضمن العرب في هذه المرة السيطرة على إفريقية، ولكن ذلك لم يحل دون انفجار ثورات جديدة، وتكوين دويلات وأسر بربرية تنعم بنوع من الاستقلال الذاتي.

## ٦ - ولاية موسى بن نصير وبداية ثورات الخوارج

قام الوالي الجديد على إفريقية، موسى بن نصير، بتشتيت أوكار المقاومة البربرية، واحتل طنجة وسبتة، وبدأ بمساعدة جيش من البربر عمليات الاستيلاء على إسبانيا. ويذكر بين خلفائه يزيد بن أبي مسلم الذي قتله الثوار سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠ - ٧٢١ م) وكان مقتله نتيجة للصرامة والقسوة التي عامل بها الأهالي البربر. إذ ألزم الذين اعتنقوا الإسلام بدفع الجزية<sup>(٥١)</sup>. ولكن ربما

(٤٩) ابن الأثير ج ٦ ص ٣٠١ - ٣٠٢. ابن عذاري ترجمة فانيان ج ١ ص ٢٧ - ٤٩.

Gautier, p. 254 - 255.

(٤٩)

(٥٠) ابن الأثير ج ٥ ص ٧٦. ترجمة فانيان ص ٥٦ - ٥٧.

وجب أن نبحث عن السبب الحقيقي في انتشار المبادئ الإسلامية (للخوارج) بين صفوف البربر. وهو ما سوف نهتم به في الفصول التالية.

وكان على عبيد الله بن الحبحاب أيضاً أن يواجه ثورات بربرية<sup>(٥١)</sup>. وقد هزم في أقصى المغرب في معركة حامية دامية سقط فيها كثير من فرسان العرب. وهي معروفة في التاريخ باسم (غزوة الأشراف)<sup>(٥٢)</sup>. وقد خلفه كلثوم بن إيراد<sup>(٥٣)</sup> الذي هزم هو الآخر في طنجة، وأرسل الخليفة هشام حاكماً جديداً هو حنظلة بن صفوان الكلبي في سنة ١٢٤ هـ (٧٤١ - ٧٤٢ م) وقد انتصر في سنة ١٢٥ هـ (٧٤٢ - ٧٤٣ م) على عكاشة بن أيوب الفزاري من الخوارج (الصفريين). وعبد الواحد بن يزيد الهواري في معركة مريرة قرب القيروان، وبينما كان حنظلة مشغولاً بالمعركة ضد عبد الواحد وعكاشة، أمر معاوية بن صفوان بأن يلحق به وينجده، وكان معاوية عامله على طرابلس، فلما وصل إلى قابس علم بمصير المتمردين ١٢٥ هـ (٧٤٢ - ٧٤٣ م)، وحينئذ زحف، بمقتضى أمر آخر من حنظلة، بجيوشه على بربر نفزاوة (تونس) وكانوا قد انتفضوا ونهبوا أهل الذمة. وقد قتل معاوية بن صفوان في معركة مع المتمردين، ولكن جيشه انتصر واستعاد الخيرات المنهوبة. وقد عين حنظلة على قيادة ذلك الجيش زائد بن عمرو الكلبي الذي رجع إلى طرابلس<sup>(٥٤)</sup>.

---

(٥١) قبله مباشرة أي في سنة ١٠٩ هـ كان الوالي على إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن الذي أرسل عدة حملات لغزو صقلية. وقد عصفت الرياح بإحدى حملاته على صقلية سنة ٧٢٨ م وألقت بها إلى شواطئ طرابلس فأمر عامله يزيد بن مسلم الكندي بالقبض على قائد الأسطول المستنير بن الحارث وإرساله إلى القيروان حيث قام بضربه لتقاعسه عن الحملة. (ابن عبد الحكم. طبعة توري ص ٢١٦). أماري: المكتبة العربية الصقلية ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٧١٧ وكذلك ابن الأثير والقيرواني والمقرئزي.

(٥٢) ابن الأثير ج ٥ ص ١٣٧.

(٥٣) حكم طرابلس في عهده صفوان بن أبي مالك (ابن عبد الحكم طبعة توري ص ٢١٩).

(٥٤) ابن عبد الحكم. طبعة توري ص ٢٢٣.

## الفصل الرابع ثورات الخوارج في إفريقية

- \* الإباضية في طرابلس الغرب
- \* حكم حنظلة وعبد الرحمن بن حبيب في إفريقية .
- \* طرابلس وطرابلس الغرب تحت الخلافة العباسية .
- \* الولاة الموفدون من الخلفاء العباسيين في إفريقية في النصف الثاني من القرن السابع .

## ١ - الإباضية في طرابلس الغرب

تستمد جماعة الخوارج أصول نشأتها من المنافسات التي قامت في السنوات العشر الأولى لظهور الإسلام والتي أثارت الصراع بين المؤيدين لعلي بن أبي طالب، ابن عم النبي وصهره، وبين المؤيدين لخلافة معاوية بن أبي سفيان، بعد وفاة عثمان بن عفان.

وبعد معركة (صفين) بالعراق سنة ٦٥٧ م، وبعد أن قبل علي فكرة التحكيم في تسوية الخلاف، انشق عليه بعض أتباعه، مؤلفين بذلك النواة الأولى للمنشقين والخارجين. وهو المعنى الذي تحمله كلمة (الخوارج)<sup>(١)</sup>. وحول هذا الخلاف السياسي تطورت فيما بعد خلافات ذات طابع ديني، بحيث أصبح الخوارج جماعة متزمتة تعادي السنيين والشيعة. وقد انقسمت هذه الجماعة بدورها إلى عدة نحل، منها الصفرية والإباضية. وقد عرف الأخيرون بهذا الاسم نسبة إلى إمامهم عبد الله بن إباضة المري، وهو عربي الأصل. توفي سنة ٧٥٠ م. وقد كان للإباضية (تنطق الهمزة بالفتح في الشمال الإفريقي) أتباع كثيرون في أفريقيا الشمالية يزخر بذكرهم تاريخ القرون الأولى للسيادة الإسلامية بطرابلس الغرب.

وقد جاء المذهب الإباضي إلى إفريقية بمجيء الفاتحين العرب، نحو سنة

---

(١) F. Gabrieli, Sulle origini del movimento hârigita in Rend. Acc. Naz. Lincée, Serie 7c vol 111 1941 - 1942 p. 110 - 114 (L'islam nella storia. Bari 1966 - p. 27 - 37).

M. Guldî, Sui Hârigiti in Riv. studi Orientali XXI, 1946 p. 1 - 14

L. Veccia Vaglieri, Sulla denominazione Hâiwarigid XXVI, 1951 p. 41 - 46.

٧٠٠ م<sup>(٣)</sup>. ووجد عدداً كبيراً من الأتباع بين البربر. ويختلف الإباضية عن أهل السنة في بعض المسائل، منها (التخليد في النار حتى للمسلمين غير التائبين. إنكار رؤية الله يوم القيامة. خلق القرآن). كما يختلف في قضية الإمامة (الخلاف)، إذ يرى الخوارج أن ليس بالضرورة أن يكون الخليفة قرشياً. ولكن يكفي أن يكون عادلاً وتقياً ومراعياً للشريعة.

وتتلاءم نظرية الخوارج في الإمامة مع نفسية الشعب البربري الذي اعتاد على نظام القبيلة، وعلى مجتمع حر ينظم شؤونه بنفسه، ويرفض السيادة الخارجية، غير راغب في الخضوع للعرب مثلما هو غير راغب في الخضوع لغيرهم من الفاتحين<sup>(٣)</sup>.

إن ابن خلدون - مؤرخ البربر - الذي عاش بينهم، ووهب الحس النقدي الدقيق، ذكر بأن البربر قد استخدموا مذهبهم الخارجي سلاحاً لمهاجمة الحكومة<sup>(٤)</sup>.

(٢) يذكر الشانخي صاحب (كتاب السير) وهو معجم لأعلام الإباضية بجبل نفوسة، أن سلمان ابن سعد قد جاء من المشرق إلى المغرب داعياً للمذهب الإباضي ثم رحل بعد ذلك عبد الرحمن بن رستم إلى البصرة بالعراق لتلقي أصول المذهب الإباضي على العالم أبي عبيدة، ووجد نفسه مع مجموعة أخرى من البربر في نفس المدرسة. وهم عاصم السدراتي (سدراثة فرع من قبيلة لواتة) وإسماعيل بن درار من غدامس وأبي داود من نفزاوة وأبي الخطاب عبد الأعلى بن الشمس المعافري. وقد بايعوا هذا الأخير إماماً لهم في اجتماع عقدوه بصياد عند عودتهم إلى الوطن وهو أول إمام للإباضية (١٣٠ هـ تقريباً ٧٤٧-٧٤٨ م). ويطلق الإباضية على هؤلاء الخمسة (حملة العلم) ولكن يقال إن بربرياً من جتاون تلقى العلم بمدرسة أبي عبيدة وشغل منصب المفتي بها قبل سفر هذه الجماعة. هذه هي الرواية المتواترة التي رواها كتاب السير (طبعة القاهرة (١٣٠١ هـ) ص ٩٨ - ١٢٣ - ١٤٣) ورحلة هؤلاء الخمسة غير مؤكدة. ومن المؤكد أن مبادئ المذهب الإباضي قد جاءت مع الفاتحين العرب، وتلقاها البربر على الفور وخاصة بربر زناتة حتى قبل سنة ٧٥٠ م.

(٣) Motylinski, L'aqida des Abadites

محاضر المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين، الجزائر ١٩٠٥.

(٤) ابن خلدون (ترجمة سلان) ج ٦ ص ٢١٦.  
انظر المقارنة التي عقدها (جوتييه ص ٢٦٠ - ٢٦٤) بين المذاهب الخارجية والمذاهب المسيحية المنشقة التي أثارت الاضطراب في إفريقية المسيحية خلال القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد.

## ٢ - ولاية حنظلة وعبد الرحمن بن حبيب في إفريقية . الثورة البربرية الأولى

لاحظنا<sup>(٥)</sup> أن حنظلة قد أعاد سلطة خلفاء دمشق على إفريقية، ولكن ذلك لم يكن انتصاراً نهائياً. فإن العرب أنفسهم الذين يقلون عدداً عن البربر قد حملوا إلى إفريقية وإسبانيا وصقلية صدى الخلافات التي كانت تقسمهم في سوريا والجزيرة العربية. ونعني بها الصراعات بين القيسية والكلبية. وقد كان حنظلة كلياً. ورغم أن البربر كانوا يفضلون حكم الكلبيين، لأنه أكثر ليناً إلا أنهم لم ينضموا إلى أي من الفريقين، واستفادوا من الخلاف بين السادة الفاتحين.

وقد استولى خليفة حنظلة، عبد الرحمن بن حبيب، على القيروان في سنة ١٢٧ هـ (٧٤٤ - ٧٤٥ م) وفي أثناء ولايته وقعت الثورة البربرية الأولى بطرابلس الغرب.

لقد أرسل عبد الرحمن، شقيقة نصر بن حبيب، لحكم طرابلس، فقبض على الزعيم عبد الله بن مسعود التجيبي الإباضي، وقتله. فأثار بذلك حفيظة الإباضيين في طرابلس فما لبثوا أن ثاروا عليه. وظن عبد الرحمن أنه سيهدى النفوس الثائرة بسحب شقيقه، وتعيين حميد بن عبد الله العكبي بدلاً منه، على ولاية طرابلس، ولكن زعماء البربر الثائرين مثل عبد الجبار بن قيس المرادي، والحارث بن تليد الحضرمي حاصروا الحاكم الجديد في إحدى قرى طرابلس ثم أذنوا له بالسفر، بعد منحه الأمان، على أثر إصابة جيشه. ولكن بعد أن انتقموا لقتل عبد الله بن مسعود التجيبي بقتل المدعو نصيراً.

وهكذا ظل عبد الجبار سيد الموقف في طرابلس الغرب. واستولى على إقليم بربر زناتة، وقد أرسل عبد الرحمن والياً جديداً، هو يزيد بن صفوان المعافري، وكلف مجاهد بن مسلم الهواري بمحاولة استمالة هواره. وقد تحرك الاثنان من طرابلس للانضمام إلى الفرسان الذين كان يقودهم محمد بن مفرق.

(٥) انظر الفقرة السادسة من الفصل السابق.



كما رد المتوردون حملة أخرى، وقد اضطر قائدها عمر بن عثمان إلى الانسحاب مع مجاهد بن مسلم إلى المشرق حتى سرت. وأصبحت طرابلس الغرب كلها تحت سيطرة عبد الجبار والحارث اللذين لم يلبثا أن اصطدما وقتلا. وحيث أعلن بربر طرابلس زعامة إسماعيل بن يزيد النفوسي (من بربر نفوسة)، وتحرك حاكم إفريقية، عبد الرحمن، نحو الغرب، بعد أن سبقه ابن عمه، شعيب بن عثمان بفرسانه. وقد التقى هذا بإسماعيل وقتله وأسر عدداً من البربر الذين نقلوا إلى طرابلس وأعدموا. وعهد عبد الرحمن بولاية طرابلس إلى عمرو بن سويد المرادي حوالي ١٧٢ هـ (٧٤٩ - ٧٥٠ م)<sup>(٦)</sup>.

### ٣- طرابلس وطرابلس الغرب تحت الخلافة العباسية

في سنة ٧٥٠ م انتهت الأسرة الأموية، وقامت الأسرة العباسية التي نقلت عاصمة الخلافة إلى بغداد. وقد أعلن عبد الرحمن بن حبيب بيعته للعباسيين، ونشر دعوتهم في إفريقية. ولكنه تمرد عليهم في سنة ١٣٧ هـ (٧٥٤ - ٧٥٥ م) وحدث أن قتل عبد الرحمن على يد إخوته، فانتقم له ابنه حبيب بقتل أحد أعمامه. فاتجه أقارب هذا الأخير إلى مساعدة ورفجومة ومساندتها. ولم تتردد هذه القبيلة عن القيام في سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ - ٧٥٨ م) بمحاصرة القيروان، وقتل حبيب بن عبد الرحمن، ودخلت المدينة العربية، وانتزعتها عنوة، وقتلت السكان وربطت خيولها بالمسجد الكبير. وكان يقودها الخارجي عاصم بن جميل. ولما قتل خلفه على القيادة عبد الملك بن أبي الجاد.

وكان العنف الذي ارتكبته (ورفجومة) قد أثار اشمئزاز واستنكار البربر الإباضية الذين كانوا أكثر اعتدالاً، فدفعهم ذلك إلى مقاومتها فنهضوا لها بقيادة

(٦) ابن عبد الحكم (طبعة توري ص ٢٢٤ - ٢٢٥) وابن الأثير ص ٢٣٧ ج ٥ وابن خلدون ج ٦ ص ١١١ من ترجمة دي سلان. ويذكر ابن خلدون أن الثائرين الإباضيين هما من قبيلة هواة، وقد قتلوا في تلك الثورة حاكم طرابلس بكر بن عيسى القيسي. وابن عذاري ص ٧٦ من ترجمة فانيان. ويؤكد كتاب السير ص ١٢٥ أن عبد الرحمن قد سور مدينة طرابلس التي تدفق عليها الناس من كل مكان.

أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري<sup>(٧)</sup>، واستولوا على طرابلس<sup>(٨)</sup>، وطردها حاكمها عمر بن عمر بن عثمان القرشي، ثم قاموا بمحاصرة القيروان والاستيلاء عليها<sup>(٩)</sup> بعد أن استولوا أثناء الزحف على مدينة قابس، ونصبوا على القيروان الحاكم الإباضي عبد الرحمن بن رستم<sup>(١٠)</sup>.

وعاد أبو الخطاب بعد ذلك إلى طرابلس التي ظلت، لعدة أعوام، المركز الرئيسي للحكومة البربرية في إفريقية. ولم يكد يعلم، في العام التالي، بقيام حملة من العرب نحو أفريقية، لنجدة الجند العرب بها، حتى نهض لمواجهةهم في مغمداس<sup>(١١)</sup>، وتمكن من تشتيتهم، (١٤٢ هـ) ٧٥٩ - ٧٦٠ م<sup>(١٢)</sup>. وحينئذ أرسل الخليفة المنصور، محمد بن الأشعث لقمع الثوار يرافقه الأغلب بن مسلم التميمي، وجيشاً كبيراً هاجم به إباضي نفوسة وهوارة والضريسة بتاورغاء. وقد سقط أبو الخطاب في الميدان. وحاول أبو هريرة الزناتي أن يرفع من وضع الإباضية ولكنه هزم وقتل. وأصبح بن الأشعث سيد أفريقية، فأرسل حملة إلى جنوب طرابلس الغرب للاستيلاء على وڤان، وقتل إباضية تلك المقاطعة. وقد

(٧) انظر ما ذكرناه في هامش رقم ٢ من هذا الفصل.

(٨) طبقاً لما يرويه (كتاب السير ص ١٢٦) فإن الإباضية قاموا بإدخال المسلحين إلى المدينة في أكياس. وما كادوا يدخلون إليها حتى هبوا هاتفين (لا حكم إلا لله) وهو نفس الشعار الذي انشق به الخوارج على علي بن أبي طالب.

(٩) مات أثناء هذا الحصار عاصم السدراتي أحد حملة العلم الخمسة عند الإباضية. ويرى آخرون أنه قد توفي بعد ذلك.

(١٠) يوجد وصف لهذا الحصار في كتاب السير ص ١٢٨، وابن الأثير ج ٥ ص ٢٤٠ وابن خلدون ج ٦ ص ١١٢ وابن عذاري (ترجمة فانيان ص ٧٨ - ٧٩). عن المصادر المتعلقة بهذه

الأحداث أنظر: Gaetani, Cronografia generale... ecc

(١١) تطابق (مغمداس) التي ذكرها البكري (ترجمة دي سلان ص ٢١) وورد هذا الاسم أيضاً في كتاب السير في الصفحات ١٣٦ - ١٣٧ - ١٤٢ - ١٤٣. وهي (ماكومداس Macomadas التي أسسها القرطاجيون وتعني في لغتهم ماكوم هداش Maqom hadash) (المدينة الجديدة). وقد سبق أن ذكرناها في المدن القديمة بطرابلس الغرب.

(١٢) ابن الأثير ج ٥ ص ٢٤١ وابن عذاري ترجمة فانيان ج ١ ص ٨٠. وقد ذكر اسم الموقع (مقداش).

استولى أيضاً على زويلة، وقتل الزعيم الإباضي عبد الله بن سنان سنة ١٤٣ هـ (٧٦٠ - ٧٦١ م)<sup>(١٣)</sup>.

ولم يكد عبد الرحمن بن رستم يعلم نبأ هزيمة الإمام ومقتله حتى غادر القيروان وانتقل إلى الغرب حيث أقام الدولة الخارجية في تيهرت (بالجزائر الحالية) التي ظلت مدة تقرب من مئة وثلاثين سنة، واستمرت في الوجود حتى ظهور الفاطميين<sup>(١٤)</sup>. وهكذا انتهت المحاولة الرامية إلى إقامة سيادة بربرية إباضية في طرابلس وإفريقية.

#### ٤ - الولاة المعينون من الخلفاء العباسيين على إفريقية في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي

تولى ابن الأشعث حكم إفريقية حتى سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥ - ٧٦٦ م). وفي تلك السنة ترك البلاد بسبب التذمر الذي شاع بين الجند الذين عينوا قائداً لهم، عيسى بن موسى الخراساني. ولكن الخلافة عهدت بحكم إفريقية إلى البطل أغلب التميمي الذي عرف في الأعوام التالية بحروبه ضد البربر. وكان عهده أيضاً حافلاً بالاضطرابات. وقتل في سنة ١٥٠ هـ في معركة حربية. وخلفه أبو جعفر عمرو بن حفص الذي واجه ثورة جديدة للبربر.

أما إباضية طرابلس فقد بايعوا بالإمامة أبا حاتم يعقوب الذي هاجم طرابلس وهزم حاكم المدينة، الجنيد بن بشار، واضطره إلى الفرار إلى قابس حيث حاصره ثم حاصر (طبنة) حيث كان أبو غفار. وثمة عدة آلاف من البربر الإباضيين والصفريين الذين كانوا يهددون السيطرة العربية في إفريقية. وكان لشوراتهم أحداث مختلفة. وقد انتقل بعد ذلك من حصار طبنة إلى حصار

(١٣) ابن الأثير ج ٥ ص ٢٤١. ابن عذاري ص ٨١. كتاب السير ص ١٣٢. وتري بعض المصادر الأخرى أن المعركة وقعت في سرت سنة ١٤٤ هـ (٧٦١ - ٧٦٢ م) أنظر:

Gaetani, (Cronografia), Periodo 11 fasc. 1 anno 144.

(١٤) كتاب السير ص ١٣٩ وسليمان الباروني (كتاب الأزهار الرياضية القسم الثاني القاهرة ١٣٢٥ ص ٦).

القيروان ثم إلى تونس، حيث قتل أبو جعفر سنة ١٥٤ هـ (٧٧٠ - ٧٧١ م).

وفي هذه الأثناء قدم بالنجدة من الشرق يزيد بن حاتم. وانتقل أبو حاتم الإباضي إلى طرابلس الغرب، والتقى به في سرت. وقد ذكر الشماخي<sup>(١٥)</sup> أنه هزمه في مغمداس<sup>(١٦)</sup>، ويقول آخرون إنه فر إلى الجبل<sup>(١٧)</sup>. وفي ٢٧ ربيع الأول من سنة ١٥٥ هـ (٧ مارس ٧٧٢ م) هاجم يزيد بن حاتم، أبا حاتم، كما هاجمه أيضاً البربر المنشقون عليه، فقتل مع عدد كبير من أتباعه<sup>(١٨)</sup>.

وعهد يزيد بولاية طرابلس إلى سعيد بن شداد<sup>(١٩)</sup>. ثم توجه إلى القيروان فدخلها يوم ٢٦ مايو ٧٧٢ م، وقام بتدبير الشؤون الإدارية للمنطقة. وفي سنة ١٥٦ هـ (٧٧٢ - ٧٧٣ م) قام الأباضيون والصفريون بإشعال نار الثورة. وثار في طرابلس أبو يحيى بن فانوس الهواري<sup>(٢٠)</sup>. وقد فتك به الحاكم عبد الله بن السميت وقتله وعدداً كبيراً من أتباعه<sup>(٢١)</sup>. وكانت ولاية رُوح بن حاتم، أخي يزيد، ولاية هادئة مطمئنة. ويعلل أحد المؤرخين المسلمين ذلك بقوله: (لأن أخاه أقام مذبحه كبرى للخوارج في إفريقية)<sup>(٢٢)</sup>.

(١٥) كتاب السير ص ١٤٦.

(١٦) ابن الأثير ج ٥ ص ٤٦٠.

(١٧) كتاب السير ص ١٣٦. ابن عذاري ترجمة فانيان ج ١ ص ٩١. جرت المعركة قرب جبل يقع إلى الغرب من جندوبة. أنظر أيضاً كتاب السير ص ١٣٧ بخصوص الأسطورة التي نسجت عن أبي حاتم وقبره.

(١٨) ابن عذاري ترجمة فانيان ج ١ ص ٩١.

(١٩) ابن الأثير ج ٦ ص ٦. ابن عذاري ترجمة فانيان ج ١ ص ٩١ وابن خلدون ج ٦ ص ١٤١.

(٢٠) ابن عذاري ترجمة فانيان ج ١ ص ٩١ وابن خلدون ج ٦ ص ١٤١.

(٢١) ابن الأثير ج ٦ ص ٧٨.

(٢٢) البكري ترجمة دي سنان ص ٢٥. وابن الأثير ج ٦ ص ٩٥-٩٦. ابن عذاري ص ١٠٧. وقد أكد الخبر ابن الخاطب. . انظر:

H.H. Abdul- Wahab in Centenario M. Amari 11 p. 433.

وكذلك النويري ترجمة دي سنان في ذيل كتاب (تاريخ البربر ص ٣٩٤).

Histoire des Berbères 1 p. 493.

وفي سنة ٧٧٨ م، أي بعد مضي أكثر من قرن على الفتح العربي، يمكن القول بأن الثورات البربرية قد أخذت. وستطالعنا بعض الانتفاضات التي تقع بطرابلس في ٨١٢ و ٨٣٦ وفي نهاية القرن التاسع الميلادي. ولكن حكومة الأغلبية القوية، وسياسة الاحترام للإباضيين الذين تركوا وشأنهم، ثم الحملة على صقلية التي تدفقت فيها طاقات كبيرة من عناصر القلق التي كان من الممكن أن تتطور من خلال حركات وقلاقل داخلية، كل هذه العوامل هيأت لإفريقية فترة من الهدوء والاطمئنان.

أما الاضطرابات التي كانت تشيع بإفريقية بين ٧٧٨ - ٨٠٠ م فلم يثرها البربر، وإنما أثارها الجند العرب أنفسهم، وخاصة تلك الوحدات القادمة من خراسان التي أثارت الضيق في وجه حكومة نصر بن حبيب والفضل بن روح (٧٩٣ - ٧٩٧ م) وهرثمة بن أعين ٧٩٥ - ٧٩٧ ومحمد بن مقاتل (٧٩٧ - ٨٠٠ م).

ومن بين هؤلاء الولاة الذي تولوا إفريقية يجدر التنويه بهرثمة الذي عرف بقوته وحزمه وسلطته. وكان موضع إعجاب هارون الرشيد. وهرثمة هو الذي أمر ببناء سور طرابلس من الجانب المواجه للبحر.

---

وكذلك الطبعة العربية الإسبانية للنويري:

Historia de los musulmanes de Espana Y Africa-M. Gaspar Remiro (Granada 1010 vol

11 p. 60 trad. p. 63.



## الفصل الخامس

- \* طرابلس تحت سيادة الأغالة والعبيدين وبني زيري.
- \* استقلال طرابلس تحت بني خزرون.
- \* الإمارة الأغلبية في إفريقية. طرابلس تحت السيادة الأغلبية.
- \* حملة عباس الطولوني المصري على طرابلس الغرب. 'نهاية الإمارة الأغلبية سنة ٩٠٩ م.
- \* السيادة العبيدية في إفريقية. طرابلس تحت العبيدين.
- \* ثورات ٩١٢ م في طرابلس و ٩٢٢ في الجبل.
- \* ثورة أبي يزيد في إفريقية (٩٣٨ - ٩٤٧) ونهاية حكم العبيدين ٩٧٢ م.
- \* إمارة بني زيري في إفريقية، استقلال طرابلس تحت بني خزرون (١٠٠٠ - ١١٤٦ م).

## ١ - إمارة الأغالبة في إفريقية. طرابلس تحت سيادة الأغالبة

لقد سبق القول بأن نهاية القرن الثامن الميلادي تميزت بحالة من الهيجان التي سرت بين الجنود العرب في إفريقية. وكانت الخلافة العباسية قد بلغت أقصى درجات القوة والتوسع السياسي العسكري، وفي نفس الوقت، بدأت تظهر في الأقاليم النائية نزعة إلى الاستقلال بالحكم والإمارة. وفي سنة ١٧٤ هـ (٧٩٠ - ٧٩١ م) أسس الأدارسة حكومة مستقلة في المغرب. وعلى مقربة منهم أنشئت إدارة جديدة في إفريقية، أنشأها إبراهيم بن الأغلب الذي عين حاكماً على إفريقية، بحقوق وراثية. وقد ولاه هارون الرشيد سنة ٨٠٠ م. وكان هو مؤسس هذه الإمارة. وعاصمتها القيروان. ثم تونس فيما بعد، وقد عرفت باسم الإمارة الأغلبية.

وكانت طرابلس ومنطقة من الساحل ملحقتين بها. وقد شكلت بذلك جزءاً من دولة تابعة للعباسيين. وكانت خطب الجمعة تتضمن الدعاء للخلفاء العباسيين. وكان من حق أمراء القيروان سك النقود، والتمتع بكافة مراسم الملك.

إن القليل الذي نعرفه عن طرابلس في ذلك الوقت يشير إلى ثورات الجند العرب. وتذمر الناس من الحكام الذين يوليهم الأمراء الأغالبة. وهم في

---

(١) في خصوص هذه الفترة من تاريخ طرابلس الغرب ينصح بالرجوع إلى الدراسة التاريخية الجيدة:

M.Vonderheyden, La Berbérie Orientale sous la dynastie des Benoû L'Aglab, Paris 1927 p. 344.



الأغلب من الأسرة الأغلبية نفسها. وفي سنة ١٨٩ هـ (٨٠٥ م) طرد الوالي سفيان بن المضاء (وهو من سلالة الأسرة الأغلبية). وما كاد ينجو بجلده إلا يشق النفس. وانتخب الجند بدلاً منه إبراهيم بن سفيان التميمي. ثم نكبت المدينة بالخلافات والانقسامات. وقد استدعى الأمير الأغلب عناصر الشغب إلى القيروان، وعمل على إعادة السلم والاستقرار.

وفي سنة ١٩٦ هـ (٨١١ - ٨١٢ م) كان يحكم طرابلس عبد الله بن إبراهيم، أمير الأغلبة<sup>(٢)</sup>. وقد حاصره الجند بمقر إقامته، ثم اتفقوا على خروجه من المدينة. فلم يبعد عنهم كثيراً، وأخذ يجمع المناصرين والمؤيدين بالبذل والعطاء. كان يعطي الفارس كل يوم أربعة دراهم، ويعطي الراجل في اليوم درهمين، حتى اجتمع له عدد كبير زحف بهم على طرابلس، ودخل المدينة<sup>(٣)</sup>. ثم استدعاه والده، واستعمل بعده سفيان بن المضاء. وقد ثارت عليه هواراة<sup>(٤)</sup>، وهم بربر الضواحي، فهزموه عند الجفارة<sup>(٥)</sup> ولحقوا به إلى طرابلس التي استولوا عليها ونهبوها<sup>(٦)</sup>. وقد سار إليهم عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب في ثلاثة عشر ألف فارس، فاستعاد طرابلس، وبنى سورها.

ويعود من جديد إلى الميدان إباضية (تيهت). كان عبد الوهاب قد خلف والده عبد الرحمن بن رستم. وكانت له علاقات وطيدة مع إباضية جبل نفوسة. وكان يمثله بالجليل حكام يقوم هو بتعيينهم. وعندما وقعت الأحداث التي أشرنا إليها، كان عبد الوهاب<sup>(٧)</sup> بالجليل فأقبل على محاصرة طرابلس (حوالي

- 
- (٢) في خصوص الأحداث التي نعرض لها أعلاه انظر ابن الأثير ج ٦ ص ١٨٧ - ١٨٨.  
 (٣) حلل فورنيل (Fournel) هذه الأحداث (ج ١ ص ٤٦٩) ويبدو التشابه الواضح بين أحداث سنة ٨٠٥ وأحداث ٨١١ - ٨١٢.  
 (٤) يرى فورنيل (ج ١ ص ٤٦٩) أن هواراة ثارت على سفيان لعدم دفعه مستحقاتها عن الحملة السابقة التي سارت فيها لصالح الأغلبة.  
 (٥) وادي الرمل، حسب رأي التماخي (كتاب السير ص ١٦٠).  
 (٦) كان يقودهم (إباد بن وهب) - ابن خلدون ج ٦ ص ١٤١.  
 (٧) عن وجود عبد الوهاب بالجليل، انظر: (فوندرهايدن Vonderhyden ص ٤١).

٨١٢ م). وقد قاومت المدينة ذلك الحصار مقاومة قوية، وألحقت بالإباضية أضراراً فادحة<sup>(٨)</sup>.

وفي هذه الأثناء توفي الأمير إبراهيم بن الأغلب، وقد رأى عبد الله الذي تولى الإمارة بعده، أنه من المناسب الاتفاق مع الإمام الإباضي وتقديم بعض التنازلات، بحيث تكون المدينة والبحر خاضعين للأغلبة، وتخضع المناطق الداخلية للإمام الإباضي<sup>(٩)</sup>، ويظهر هذا الموقف مدى ضعف الحكم العربي بطرابلس الغرب، حينذاك، وكيف أن أغلب العنصر البربري كان بعيداً عن الخضوع له.

كان الأغلبة يسيطرون فقط على الشريط الساحلي، بما في ذلك مدينة طرابلس، ومسافة قصيرة إلى الشرق من هذه المدينة (وهي مفتاح العبور نحو الشرق)<sup>(١٠)</sup>. وفي جنوب طرابلس كان الإباضيون، في جبل نفوسة، يخضعون للإمام الإباضي، أما في شرقي طرابلس، وفي برقة، فإن بربر هواره كانوا يعيشون مستقلين. وكانت برقة تشكل - بصفة اسمية - جزءاً من المقاطعة العباسية بمصر. وفي حوالي سنة ٨٧٠ م تشكلت الحكومة الطولونية المستقلة التي ألحقت ببرقة. ويبدو أن سيطرة الأغلبة لم تصل إلى مدينة لبة. وقد تميز عهد إمارة إبراهيم بن الأغلب (٨١٢ - ٨١٧ م) بهدوء نسبي. أما عهد أخيه زيادة الله (٨١٧ - ٨٣٨ م) فقد تميز في بدايته باضطرابات الجند حتى لم يبق له من المناطق الخاضعة سوى المناطق الساحلية من تونس وقابس ونفزاوة وطرابلس<sup>(١١)</sup>. ولم يكتف زيادة الله الأول باستعادة المناطق الضائعة في الغرب،

(٨) ابن الأثير ج ٦ ص ١٨٨ وكتاب السير ص ١٥٠.

(٩) ابن الأثير ج ٦ ص ١٨٨. ابن خلدون ج ٦ ص ١٢١. ويضيف المؤرخون الإباضيون أن الإمام قد بسط سلطته على جميع مناطق طرابلس وجربة ومن جربة إلى سرت. وحين سافر ترك على حكم الجبل السمح بن أبي الخطاب أول الأئمة الإباضيين. (كتاب السير ص ١٥٩ ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى مادة عبد الوهاب).

(١٠) فوندرهايدن ص ٤٢.

(١١) ابن الأثير ج ٦ ص ٢٣٤. ابن عذاري ترجمة فانيان ص ١٢٦.

ولكنه باشر غزو صقلية (٨٢٨ م) وساهم في هذه الحملة سكان مدينة طرابلس والبربر من طرابلس الغرب. وقد ذكر أن أحد زعماء هواره وهو (زواوة بن نعم الخلف) قد انضم إلى الجماعة المسلحة المتجهة إلى فتح صقلية<sup>(١٢)</sup>.

وبعد خمس وعشرين سنة من الهدوء النسبي، تسجل الوقائع ثورة جديدة في طرابلس الغرب ضد الأغالبة، حيث قتل الطرابلسيون في سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٨ - ٨٣٩ م) الحاكم سفيان بن أبي المهاجر وبعث الأمير الأغلبي، لولاية المدينة، الأمير الأغلبي عبد الله بن محمد.

وفي عهد الأمير أحمد (٨٥٦ - ٨٥٧ م) وفي شهر سبتمبر من عام ٨٥٩ م رفض بربر طرابلس دفع الخراج إلى حاكم طرابلس. وبعد أن حصل الحاكم على عون حربي، بقيادة زيادة الله، أخي الأمير أحمد، قام بمهاجمة البربر فهزمهم وألزمهم بدفع الضريبة<sup>(١٣)</sup>.

## ٢ - حملة عباس بن أحمد بن طولون على طرابلس ونهاية الإمارة الأغلبية

كانت برقة - تشكل منذ الفتح الإسلامي جزءاً من إقليم مصر. وكانت قد تأسست بمصر قبل هذه الفترة بقليل إمارة مستقلة أسسها أحمد بن طولون. وقد عصاه ابنه العباس، وخرج عليه، وحاول في ٢٦٥ هـ (٨٧٨ - ٨٧٩ م) تسيير حملة على طرابلس، وعلى الأغالبة، وهي حملة خليقة بالتنويه والتذكير بها، حيث ظلت طرابلس، وكل بلاد إفريقية، معزولة عن الشرق، مدة تقرب من قرن. وقد سار العباس في عشرة آلاف رجل وثمائه فارس وأعمال ثمينية من الذهب من برقة وزحف على طرابلس التي كان والياً عليها محمد بن قروهب<sup>(١٤)</sup> (عين بها سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٨ - ٨٦٩ م) وبعد أن تلقى العون الحربي من الأمير

(١٢) ابن خلدون ج ٦ ص ١٤١. فوندرهايدن ص ٤٢. أماري: المكتبة الصقلية ج ٢ ص ٢٠٤ (وبخصوص الاسم انظر تاريخ المسلمين بصقلية لأماري الطبعة الثانية ج ١ ص ٣٩٤).

(١٣) ابن خلدون ترجمة دي سنان ج ١ ص ١٧٠ - ٤٢٠.

(١٤) النائب ص ٦٩.

الأغلبى إبراهيم الثاني، نهض للقاء العباس في المكان المعروف باسم وادي ورداسة أو قصر حاتم على بعد خمسة عشرة ميلاً من لبدة. وهزم ابن قره ب الذي انسحب إلى طرابلس، فحاصره العباس ثلاثة وأربعين يوماً، وحين أساء العباس معاملة سكان الضواحي استنجدوا بإلياس بن منصور الإباضي الذي كان يحكم جبل نفوسة باسم أبي اليقظان، إمام تيهرت.

وقد وافاهم الياس في اثني عشر ألفاً من الرجال، فهاجمه خارج طرابلس، بعد أن اجتمع عليه هو والنجدة الأغلبية التي أرسلت إلى حاكم طرابلس، فهزم ابن طولون وفر إلى برقة، بعد أن ترك ما حمله من أموال وذخائر<sup>(١٥)</sup>. وفي أواخر عهد الإمارة الأغلبية، نجد أخباراً تتحدث عن وقوع انتفاضات بربرية في طرابلس الغرب ٢٦٩ هـ (٨٨٨ - ٨٩١ م). فقد قامت هوار و زناتة بقتل محمد بن قره ب. وقد استرد الأغلبة المدينة، وعينوا حاكماً عليها، هو شكر (المعروف بالصقلي)<sup>(١٦)</sup>. وفي سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ - ٨٩٧ م) كان قد وليها زيادة الله الثاني، وكان رجلاً نبيل المشاعر، محباً للآداب. وقد نهض السفاح إبراهيم الثاني للزحف على طرابلس، بعد أن أثارت حفيظته الرسالة التي تلقاها من الخليفة المعتضد الذي يدعوه فيها إلى أن يغير سلوكه، ويهدده بتنحيته وتعيين ابن عمه محمد بدلاً منه. وقد التقى في طريقه بعشرين ألفاً من البربر الذين تصدوا له ومنعوه من المرور عبر الجبل والبحر، فأقام المذابح، ثم واصل زحفه إلى طرابلس وقتل ابن عمه محمداً، ثم توغل في مناطق سرت بنية

(١٥) ابن الأثير ج ٧ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ويذكر ابن الأثير أن حاكم جبل نفوسة هو الياس بن منصور بدلاً من أبي منصور الياس كما هو وارد في كتاب السير للشياخي. ابن عذاري (ترجمة فانيان). ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٥ - ابن خلدون ترجمة دي سلان ج ١ ص ٤٢٦ - كتاب السير ص ٢٢٤.

(١٦) التجاني ص ٢١٩ ويقول إن اسمه شكر وهو معروف بالصقلي، ولم يذكر التجاني أنه كان حاكماً لطرابلس. ولكن ذكر أماري في كتابه تاريخ المسلمين بصقلية ج ٢ ص ٢٦٤، ج ٣ ص ٨٥٤.

محاربة الطولونيين في مصر. وفي تاورغاء تخلى عنه الجند، بسبب وحشيته، فاضطر إلى التخلي عن هذه الفكرة والعودة إلى تونس<sup>(١٧)</sup>.

### ٣ - سيادة العبيدين في إفريقية. طرابلس والسيادة العبيدية. ثورات ٩١٢ في طرابلس وثورات ٩٢٢ بالجليل:

جاءت الأسرة التي أزاحت الإمارة الأغلبية من الشرق. وهي إحدى الجماعات الشيعية التي تنادي بإمامة إسماعيل كخليفة شرعي لمحمد وعلي وهو الذي سيخرج من صلبه المهدي. وقد كان لهذه الجماعة الإسماعيلية، منظمات سرية، ودعاة منتشرون في كل مكان. ومن هؤلاء الدعاة أبو عبيد الله الذي جاء إلى إفريقية حوالي سنة ٩٠٠ م، واستطاع أن يظفر بمساندة بربر قبيلة كتامة، فدمر إمارة الإباضية في تيهرت، وحارب الأغالبة وطرد الأمير زيادة الله الثالث (٩٠٣ - ٩٠٤ م) من القيروان. ومن رقادة في سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) وفي هذه الأثناء، كان المدعو عبيد الله قد أعلن أنه المهدي المنتظر، وأنه من نسل إسماعيل. وقد أبلغه أبو عبيد الله فتحرك من سوريا، حيث كان متخفياً، وانتقل في سنة ٩٠٥ م إلى طرابلس. وأوفد أبا العباس ليقدمه ويخطر كتامة بوضوئه. وقبض زيادة الله على الرسول، وعلم منه ما يدور ويدبر، فأرسل إلى حاكم طرابلس الأمر بالقبض على المهدي الذي كان قد غادر طرابلس. ويقال إنه استطاع أن يستميل الحاكم إلى جانبه بما قدمه إليه من هدايا فسمح له بالمرور. وعندما وصل إلى المغرب، وجمع أنصاره من قبيلة كتامة، زحف المهدي نحو الشرق، يتقدمه الداعية أبي عبيد الله. وفي ٩١٠ م استولى الشيعة على رقادة<sup>(١٨)</sup>، وفر زيادة الله إلى طرابلس، حيث أقام بها تسعة عشر يوماً ثم تحول إلى مصر، ومنها إلى القدس ٩١٢ م. وأصبح المهدي سيد إفريقية. وتعرف سلالة هذه الأسرة باسم العبيدين أو الفاطميين نسبة إلى فاطمة بنت محمد وزوجة علي ابن أبي طالب.

(١٧) فوندر هايدن ص ٤٤ - ٤٥ - ٢٢٠.

(١٨) تقع رقادة على بعد عشرين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من القيروان.

إن عهد الحكم الأغلب في إفريقية الذي امتد ما يقرب من قرن، والذي خضعت له مدينة طرابلس - إن لم تكن طرابلس الغرب - خضوعاً متواصلاً طوال تلك الفترة، يسجل إتمام دخول الأهالي البربر في الإسلام، وزوال أي أثر للمسيحية واللغتين اللاتينية والإغريقية، وانتشار اللغة العربية، وبالإجمال (مشرقة) المنطقة<sup>(١٩)</sup>.

ومن الطبيعي ألا يتعاطف الإباضية الذين يشكلون العنصر الغالب في طرابلس ولا البربر الآخرون مع العبيديين المعروفين بالعنف والتعصب فضلاً عن أنهم وافدون طارئون.

وقد أرسل عبيد الله، مكنون بن ضبارة، لحكم طرابلس وهو من العناصر التي يثق بها. وقد صحب قوة من قبيلة كتامة التي كانت معروفة بإخلاصها للمبادئ العبيدية، ولكن سرعان ما انفجرت في إقليم طرابلس الغرب (٩١٠ - ٩١١ م) ثورة قام بإشعالها بربر هواره وزناتة. وقد قام بإخادها بطريقة دموية عنيفة القائد العبيدي أبوزكي تمام الذي قتل هو الآخر. ولقي نفس المصير على يد الحاكم مكنون، بناء على أوامر تلقاها من سيده، وذلك لاشتراكه في مؤامرة موجهة ضد عبيد الله<sup>(٢٠)</sup>.

وبعد عامين من ذلك، سنة ٩١٢ م، أثارت المعاملة السيئة التي سلكتها قبيلة كتامة ضد سكان طرابلس، من رجال ونساء، انتفاضة عامة أخرى. وقد قتل أفراد قبيلة كتامة<sup>(٢١)</sup>، وترك مكنون المدينة هارباً فأقفلت أبوابها، وتولى

(١٩) أنظر تعقيبات (فوندرهايدن ص ٣٢٣ - ٣٢٤).

(٢٠) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٠، ابن عذاري ترجمة فانيان ص ٢٢٧.

(٢١) يمكننا أن نستخلص ملامح الوضع العام بطرابلس تحت العبيديين من المعلومات الخاصة بملاحقتهم العنيفة للجماعات السنية، خاصة ضد العلماء فاضين عليهم معتقداتهم وطقوسهم. وفي (رياض النفوس) من مجموعة أماري (المكتبة العربية الصقلية) أن أبا العباس، أخا عبد الله، الذي مهد السبيل للمهدي قد أمان أبا العباس بن بطريق قاضي طرابلس وأحد علماء الشريعة بها وجلده.

قيادة الدفاع محمد بن إسحاق المعروف بابن قرلين<sup>(٢٢)</sup>. ووجهت خمس عشرة سفينة ضد هذه المدينة المتمردة، ولكن الطرابلسيين هاجموا وأشعلوا فيها النيران<sup>(٢٣)</sup>. وجاء أيضاً جيش من البربر بقيادة أبي القاسم، ابن الأمير العبيدي، فهزم هواره، وفك الحصار عن المدينة<sup>(٢٤)</sup>، واستولى عليها من طريق الحرب. ويرى آخرون أنه استولى عليها عن طريق الاتفاق مقابل<sup>(٢٥)</sup> إنقاذ الأهالي الذين قاموا بتسليم زعماء الثورة، ودفعوا تعويضاً كبيراً<sup>(٢٦)</sup>.

ويروي ابن الأبار أن خليل بن إسحاق بن الورد، المولود بطرابلس، من أسرة عسكرية، وقد درس في شبابه التشريع، وانصرف إلى الطرق الصوفية والتردد على حلقات الذكر الليلية في المساجد، كلف بعد ثورة ٢٢٩ هـ (٩١٢ م) من قبل المهدي بمعاينة المذنبين ومصادرة أموالهم<sup>(٢٧)</sup>.

وبعد عشرة أعوام (٩٢٢ م) قامت ثورة جديدة، أثارت الاضطراب في الجبل. فقد هزم الإبااضيون من قبائل نفوسة بزعامة أبي زكريا يحيى الأرجالي، القائد العبيدي علي بن سليمان ولكنهم هزموا بعد ذلك، في مراكزهم الحصينة بالجزيرة وتيركت والجبل. وقتل أبو زكريا نفسه<sup>(٢٨)</sup>.

(٢٢) ابن عذاري ترجمة فانيان ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢٣) ابن عذاري ترجمة فانيان ص ٢٣٤.

(٢٤) يقال إن السكان قد أكلوا الموتى من شدة الجوع.

(٢٥) ابن الأثير ج ٨ ص ٥٠. ابن عذاري ص ٢٣٦.

(١٦) أربعمائة ألف دينار حسب ما ذكره التجاني ص ٢٠٧ وثلاثمائة ألف قطعة ذهبية حسب ما ذكره ابن خلدون (والنائب ص ٨٥). أما أماري فيقص علينا في المكتبة الصقلية ج ١ ص ٤٠١ وج ٢ ص ١٩٠ أنه بينما كان أبو القاسم قائماً بطرابلس، وصلها أسطول من مسلمي صقلية، من الموالين للخلافة العباسية قاصدين مواضع إفريقية التابعة للعبيديين لمقاومتهم ودعوة الأهالي إلى السنة وطاعة الولي الشرعي. وبالنظر لوجود أبي القاسم بطرابلس فقد عاد الأسطول الصقلي دون أن يهاجم طرابلس.

(٢٧) أماري: المكتبة العربية الصقلية ١ ص ٥٣٠ - ٥٣٢.

(٢٨) سار في حملة ابن المهدي على مصر؛ وكان والياً للعبيديين على صقلية. وقد عرف بقسوته وشده، أنشأ حي (الخالصة) بالرمو. وقد انتهى قتلاً على يد أبي يزيد. وفي ٣٣٢ (٩٤٣ - ٩٤٤) أنشأ مئذنة طرابلس حسب ما يقول التجاني.

إن الهزائم المتلاحقة التي مني بها البربر خلال ٩١٠ - ٩١٢ - ٩٢٢ م لم تضعف من عزائمهم. ففي عام ٣٢٢ هـ (٩٣٣) (٩٣٤ م) قام ابن طالوت وزعم أنه ولد عبد الله الذي مات في ذلك العام، فقاموا معه بعد أن أثار حماسهم، وحاولوا الهجوم على طرابلس، تم تبين لهم كذبه، فقتلوه وحملوا رأسه إلى العبيدين<sup>(٢٩)</sup>.

#### ٤ - ثورة أبي يزيد في إفريقية (٩٣٨ - ٩٤٧ م). نهاية الحكم العبيدي

لقد انشغل أبو القاسم، خليفة عبد الله، بالدفاع عن ممتلكاته ضد ثائر خطير يعرف باسم (أبو يزيد). وهو بربري إياضي، ولد بتونس، واستطاع أن يظفر باتباع كثيرين في كافة أطراف إفريقية الشمالية، وأثار البلاد ضد العبيدين. وكان من عاداته أن يركب حماراً، ولذا عرف بصاحب الحمار. وفي صيف ٩٤٧ م فقط تمكن اسماعيل بن أبي القاسم وخليفته من إخماد هذه الثورة. ومات صاحب الحمار متأثراً بجراحه، وكان بربر نفوسة قد وقفوا إلى جانبه وحاربوا معه<sup>(٣٠)</sup>.

وفي ٣٤٥ هـ (٩٥٦ - ٩٥٧ م) قام أبو الفتح زيان الصقلي (من صقلية) الحاكم العبيدي الطرابلسي، بتدعيم السور وإعلائه من جانبي البر والبحر<sup>(٣١)</sup>. ولم يبق بطرابلس أي أثر آخر لحكم العبيدين. وفي سنة ٩٧٢ م ترك المعز لدين الله، إفريقية، متوجهاً إلى مصر، بعد احتلالها بقليل، حيث أسس مدينة القاهرة، وحيث عرفت أسرته باسم الأسرة (الفاطمية) وباسم (الفاطمين).

(٢٩) كتاب السير ص ١٤٣.

(٣٠) ابن الأثير ج ٨ ص ٣١٥ - ٣٣٢ ابن خلدون ج ٧ ص ١٣ - ابن عذاري 'ترجمة فانيان ج ١

ص ١ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٣١١. Basset, Sanctuaires ecc P. 454.

(٣١) التجاني ٢٠٦ - (أنظر أيضاً ص ٢٤٠ حيث ورد اسمه زيان الصقلي) أنظر النائب ص ٨٧ حيث ذكر أنه أبو الفتح زيان الصقلي. أنظر أيضاً ما يلي في هذا الفصل من أخبار تتعلق بزيان الصقلي الذي كان عاملاً للعبيدين على طرابلس. بعد أربعين سنة من هذا التاريخ.



وقد ظلت تحكم هناك . وترك المعز على بلاد إفريقية يوسف بن بلقين بن زيري وهو بربري من صنهاجة ، ولكنه عهد بحكم طرابلس وإجدابيا وسرت إلى عبد الله بن يخلف الكتامي .

## ٥ - إمارة بني زيري في إفريقية - استقلال طرابلس تحت حكم بني زيري

كان على يوسف بن بلقين وأحفاده أن يقاوموا بربر قبيلة زناتة ، وخصوم صنهاجة ، مقاومة طويلة . وقد استطاع يوسف بن بلقين أن يضيف طرابلس وإقليم طرابلس الغرب إلى البلاد الخاضعة له من إفريقية . ومع الزمن ، وكما يحدث في العادة ، أصبح بنو زيري شبه مستقلين ، والأمرء الحقيقيين لإفريقية . وفي نفس الوقت كانت تتكون في طرابلس دولة بربرية محلية تعرف باسم بني خزرون<sup>(٣٢)</sup> .

بنو خزرون ، أو بنو خزر ، أسرة قوية من قبيلة مغراوة ، من جذم زناتة ، وفي سنة ٣٦٥ هـ ، نجد أحدهم ، وهو خزرون بن فلفل ، يحتل (سجلماسة)<sup>(٣٣)</sup> بالمغرب . ولما انشقت أسرة بني خزرون ونشبت العداوات بين أفرادها انتمى أحدهم وهو سعيد بن خزرون بن فلفل إلى الزيريين الذين كانوا خصوماً لأسرته ، وتحالف معهم ، وحصل بذلك على حكم مدينة (طبنة) .

وقد ارتفعت مكانة بني خزرون بمصاهرة الأمراء الزيريين ، وقد تزوج ورو بن سعيد ، ابنة المنصور<sup>(٣٤)</sup> . وفي نفس السنة ٣٨١ هـ مات فلفل . وكان يشغل نفس منصبه بمدينة (طبنة) . ولما مات المنصور (٣٨٦ هـ) ، وخلفه ابنه باديس ،

(٣٢) عن إمارة بني زيري إنظر: H. R. Idris, La Berbérie orientale sous les Zirides - Paris 1962

(٣٣) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٨٩ - ٤٩٠ - ابن عذاري ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ابن خلدون ج ٧ ص ٣٨ - ٣٦٩ .

(٣٤) ابن عذاري ص ٣٥٨ . ابن الأثير ج ٩ ص ٤٧ حيث ذكر أن المنصور قد زوج أحد أبنائه من ابنة سعيد بن خزرون . ابن خلدون ج ٧ ص ٣٩

ظلت العلاقات طيبة بين بني زيري وبني خزرون. ولكن القرابة التي تربط خزرون بقبيلة زناتة لا يمكن إنكارها ولا إغفالها. وفعلاً فإنهم بعد أن قدموا خدمات جليلة إلى بني زيري، وجد بنو خزرون أنفسهم من جديد يتضامنون مع أقربائهم من قبيلة مغراوة ضد العدو المشترك.

كانوا يقيمون بأقصى حدود المغرب، وزحفوا جميعاً نحو الشرق، وغزوا إفريقية، واشتبكوا في معارك مع باديس وقواته وهذّوا المدن، وكانوا يلوذون بالصحراء كلما شعروا بالتهديد والخطر. وفي سنة ٣٩٠ هـ نرى فلفل ظاهراً على الإقليم الواقع بين قابس وطرابلس. وقد استولى على هذه المدينة الأخيرة بمساعدة زناتة، ويحتمل أن تكون قبيلة نفوسة قد ساعدته هي الأخرى.

كانت طرابلس، بعد بسط سيادة بني زيري عليها، تحكم باسمهم من قبل نائب<sup>(٣٥)</sup> أو عامل يعرف باسم عسيلة بن بكار الذي خان أسياده، وسلم المدينة إلى يانس الصقلي، حاكم برقة، من قبل الخليفة الفاطمي بمصر ٣٩٠ هـ (٩٩٩ - ١٠٠٠ م) فأرسل باديس أحد قواده فتمكّن من التغلب على يانس. وحاصر طرابلس التي صمدت لهذا الحصار حتى جاء فلفل بن سعيد من بني خزرون. وحاول القائد الزيري أن يسد عليه الطريق، ولكن فلفل استطاع أن يضلّله، وسلم المدينة إلى ممثل الفاطميين. وهكذا ربح بنو خزرون من الصراع بين الزيريين والفاطميين، وتمكنوا من الاستيلاء على حكم مدينة طرابلس ٣٩١ هـ (١٠٠٠ م)<sup>(٣٦)</sup>.

وقد استهل فلفل عهده في البداية بالاعتراف بسلطة الفاطميين، وزحف في العام التالي على قابس لتنصيب يحيى بن علي الأندلسي<sup>(٣٧)</sup> الذي أرسل من مصر حاكماً على طرابلس وقابس. وقد عاد يحيى إلى مصر بعد أن ترك خيله

(٣٥) ابن الأثير ج ٩ ص ١٠٩ - أماري المكتبة العربية الصقلية ج ١ ص ٤٣٥.

(٣٦) وقع الصدام طبقاً لما يراه التجاني بجنزور (ص ١٥٤).

(٣٧) ابن عذاري ج ١ ص ٣٧٠ - ٣٧١ - ابن الأثير ج ٩ ص (١٠٩ - ١١٠) ابن خلدون ج ٧ ص ٤١.

بيد الزيريين<sup>(٣٨)</sup>. وسيطر فلغل سيطرة تامة، خالية من المضايقة، وظل في حالة حرب مع الزيري باديس، وحين يش من مساعدة الفاطميين اتجه إلى الخليفة في قرطبة. وأرسل إليه وفدًا. ولكنه توفي سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ - ١٠١٠ م) قبل عودة الوفد<sup>(٣٩)</sup>.

وبعد وفاة فلغل، قررت زناتة بالإجماع مبايعة أخيه ورّو بن سعيد. وفي هذا الوقت، تحرك باديس ضد طرابلس، فابتعد ورّو مع المواليين له من قبيلة زناتة عن مدينة طرابلس. بينما خرج الجند العرب للقاء باديس في الطريق، ومرافقته إلى طرابلس حيث استقر في قصر فلغل (٤٠٠ هـ) (١٠١٠ م). ويذكر ابن عذاري أن باديس قد نزل في ٢٥ مارس ١٠١٠ م تحت أسوار المدينة، واستقبله الأهالي بحفاوة كبيرة. وقد نصب خياماً فاخرة أقام فيها ولكن عاصفة عنيفة هبت فاقتلعت الخيام، وعند ذاك نزل الأمير بقصر فلغل<sup>(٤٠)</sup>.

وقد أظهر ورّو، حينذاك، خضوعه لباديس. واكتفى بأن يكون حاكماً على نفزاوة (تونس) مع التعهد بالتخلي عن طرابلس التي ظل يحكمها باسم الزيريين محمد بن الحسن. ولكن ورّو لم يقم على العهد طويلاً، إذ حاول في

(٣٨) ابن عذاري ج ١ ص ٣٧٨ ويشير إلى زيدان الصقلي الذي أوفده الفاطميون لحكم طرابلس في ٣٩٢ هـ (١٠٠١ - ١٠٠٢) قبل يحيى المذكور هنا. وثمة زيدان الصقلي الذي ذكره أماري في تاريخ المسلمين بصقلية ١ ص ٤١٤.

(٣٩) ابن عذاري ج ١ ص ٣٧٩ - ابن الأثير ج ٩ ص ١٢٥ ابن خلدون ج ٧ ص ٤١.

(٤٠) ابن خلدون ج ٧ ص ٤١، إذا لم يمانني الصواب فإن اسم (فلغل) قد ظل عالماً ببعض أطراف مدينة طرابلس حيث يقع السور الشمالي، وكان ثمة باب يعرف باسم باب (الفلقول) قبل إزالة السور. أما ابن خلدون ج ٧ ص ٤١ وابن عذاري ج ١ ص ٣٨٣ فيشيران إلى قلعة أو قصر (فلغل) الذي يحتمل أن يكون قائماً عند هذه البقعة. ومن العادات المتبعة في عاشوراء إلى سنوات قريبة قيام الأطفال بالطواف على المنازل يطلبون الفول وينشدون الأنشودة المعروفة (يا فول يا فلغل) فهل هي ذكرى الحاكم السيري؟ أم هي مجرد تريدة بسيطة؟ يذكر (دلفيني) في كتابه:

Delphini: Recueil de textes pour l'étude de l'arabe parlé, Paris - Alger 1891 p. 262

ان أطفال الجزائر يتغنون بباديس في إحدى العاجم.

سنة ٤٠١ هـ (١٠١٠ - ١٠١١ م) إعادة الاستيلاء على طرابلس، ولكن المحاولة فشلت وظلت طرابلس أعواماً أخرى تحت حكم الزيريين.

ولما مات وروّ انقسمت زناتة (طرابلس الغرب) بين مؤيد لأخيه خزرون ومؤيد لابنه خليفة. وظل بطرابلس أبو عبد الله محمد بن الحسن ثم أخوه عبد الله بن الحسن يحكمان باسم الزيريين. وعندما قتل الأمير الزيري محمد بن الحسن في سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ - ١٠٢٣ م) قام أخوه<sup>(٤١)</sup> بتسليم طرابلس إلى خليفة بن وروّ، فقاوم حامية صنهاجة للزيريين، ودخل القصر، وطرد الحاكم الزيري، ووضع نفسه تحت حماية الخليفة الفاطمي بالقاهرة.

وعادت من جديد لعبة الصراع بين نفوذ الشرق والغرب. وقد ثبت حكم بني خزرون بطرابلس، مستغلاً الصراع بين الزيريين في إفريقية، والفاطميين بمصر. ذلك الخلاف الذي سيمتد ويطول وتنتج عنه نتائج خطيرة بالنسبة لإفريقيا الشمالية بأسرها.

واستمر بنو خزرون في الاحتفاظ بطرابلس عدة أعوام أخرى، وصمدوا للأمراء الزيريين في إفريقية بمعاونة قبيلة زناتة. وتاريخ هذه الفترة غير واضح كل الوضوح، ويبدو مما يمكن استخلاصه من المراجع التاريخية أن سعيد بن خزرون (أخا وروّ) قد أزاح خليفة الذي ذهب إلى مصر وعاش في بلاط الفاطميين. أما سعيد فقد قتله بنو زغبة في ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ - ١٠٣٨ م). وهم طليعة الهجرة أو الزحف العربي الذي ستحدث عنه فيما بعد. وكانت المدينة تحكم في ذلك الوقت بواسطة أمير يساعده مجلس شورى. وكان العالم أبو الحسن علي بن محمد بن المنمر الذي كان يرأس مجلس الشورى عند مقتل سعيد، قد سلم المدينة إلى خزرون بن خليفة. ولكن أخاً لسعيد اسمه المنتصر، جاء إلى طرابلس في نهاية ١٠٣٨ م واستولى على السلطة. ونفى أبا الحسن

(٤١) ابن عذارى ج ١ ص ٣٩٥ - ٤٠٣ - ابن الأثير ج ٩ ص ٢٣٠ - ابن خلدون ج ٧ ص ٤٢

علي بن محمد المنمّر<sup>(٤٢)</sup> بينما كان عمه خزرون يهرب خفية<sup>(٤٣)</sup>. وصار المنتصر حاكماً على طرابلس وكان له دور هام في هجرة قبائل بني هلال وبني سليم. ويمكن أن تضاف إلى هذه المعلومات النادرة غير الوثيقة من تاريخ طرابلس الغرب في القرن الحادي عشر وبداية القرن الذي يليه، نقطة هامة عن الوضع الديني والسياسي في طرابلس الغرب. ومن المؤكد أن السيطرة العبيدية على طرابلس قد شملت - على الأقل - طرابلس والشريط الساحلي المجاور ونشرت به المذهب الشيعي. إلا أنه بقيام بني زيري وبني خزرون، عاد المذهب المالكي إلى طرابلس التي احتفظت به على الدوام. مع بقاء المذهب الإباضي محدوداً ببربر نفوسة. وقد قللت الهجرة العربية في القرن الحادي عشر من هذه الجماعة الإباضية، مكونة بالتدريج عنصراً جديداً مزيجاً من العرب والبربر. وذلك بالانصهار بين العرب الوافدين وهواة البربرية التي تخلت عن المذهب الإباضي إلى المذهب المالكي السني<sup>(٤٤)</sup>.

---

(٤٢) دفن بغنيمة من قرى مسلاتة. التجاني ص ٢٣٠ - ٢٣١ وابن خلدون ج ٧ ص ٤٣ (حيث يرد اسم العالم المذكور على النحو التالي: أبو الحسن بن المنتصر. وهكذا أيضاً لدى النائب ص ١١٥. أنظر أيضاً:

H. R. Idris, Deux juristes Kairanouais del'époque ziride in (Annales Inst. Et. Orient Univ. Alger XII 1954 P. 153 - 155.

(٤٣) ابن خلدون ج ٧ ص ٤٢. النائب ص ١١٥ - ١١٦ وهو غير دقيق ويرى أن سعيد قد قتل في ٤٤٦. أما ابن خلدون الذي يستند إلى التجاني ص ٢٦٧ فيرى أن الخبر مشكوك فيه، ذلك أن زغبة لم تنتقل إلى إفريقية من مصر إلا بعد ٤٤٠ ولم تكن موجودة بطرابلس في ٤٢٩.

(٤٤) إسماعيل كمال (سكان طرابلس الغرب) بالإيطالية، طرابلس ١٩١٦ ص ١٦.



## الفصل السادس

# هجرة قبائل بني هلال وبني سليم - الموحدون - النورمان

\* أهمية هجرة قبائل بني هلال وبني سليم إلى إفريقيا الشمالية في القرن الحادي عشر - أسباب الهجرة .  
نهاية إمارة بني خزرون .  
توزيع العرب المهاجرين في طرابلس الغرب .  
طرابلس تحت حكم النورمان واستعادة الموحدين لها .

## ١ - أهمية هجرة بني هلال وبني سليم إلى إفريقيا الشمالية ومعناها وأسبابها

كان نزوح العرب، من قبائل بني هلال وبني سليم، نتيجة من نتائج الخلاف والصراع بين الفاطميين والزييريين - كما سنرى - على أنه لا يمكن إغفال العامل الطبيعي في تزايد العدد ورغبة التوسع لدى هؤلاء البدو العرب الذين وجدوا في الغرب متنفساً لإشباع رغبة الغزو والسيطرة.

وقد شكلت هذه الهجرة حدثاً ذا أهمية قصوى، إذ جلبت إلى المغرب عنصراً قوياً وكبيراً من العرب الذين كان لهم أثر واضح في تعديل التكوين السلافي والوضع اللغوي في المنطقة. وقد هز هذا العنصر الوافد، العنصر البربري الغالب بل قضى عليه في بعض الأحيان، وأثر تأثيراً واضحاً في النظام السياسي للمنطقة.

ويجب التذكير بأن أولى الغزوات العربية (القرن السابع) والغزوات التالية، لم تحمل من الشرق إلى إفريقيا الشمالية (عدا مصر) سوى عدد قليل من الجنود، ورجال الدولة الذين كانوا يعودون غالباً إلى مواطنهم الأصلية. وفي القرن الحادي عشر تمكنت هذه الموجة العربية الوافدة من التغلب على البربر، خاصة في طرابلس الغرب وتونس.

يقرر هذا ابن خلدون الذي يلاحظ أن العرب لم يستقروا أبداً بالمغرب قبل الإسلام، وبعد الفتح، وأن نفس القبائل التي اعتبرت (حميرية) من اليمن، مثل كتامة وصنهاجة المتحدرتين - كما تقول الروايات المتواترة - من سلالة (أفريقش) الذي جاءت منه تسمية (إفريقيا) وفقاً لرأي النسابين العرب، كانت قد تبررت. والعرب الذين جاؤوا مع الفتح (القرن السابع) بذلوا مقاومة



قوية ضد البربر. ثم ضرب الإسلام بجذوره في البلاد. وكان على العرب المسيطرين الاكتفاء بالحكم في المدن (أو حمايتها) ولم يستقروا بالأرياف والدواخل. ثم يضيف ابن خلدون أنه في منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) دخل العرب المغرب، واستقروا به وانتشروا في أرجاء البلاد مع بقية القبائل.

وإذا كنا قد لاحظنا في القرون الأربعة السالفة صراعاً مستمراً بين البربر أنفسهم (كتامة وصنهاجة ضد هواره وزناتة، أو البربر الإباضيين ضد البربر السنيين) ثم رأينا صراعاً بين البربر والحاميات العربية والولاة العرب، فسوف نرى، ولمدة أربعة قرون تالية، الصراع يحدث بين البربر، سكان المنطقة، وبين العرب الوافدين. ونرى ثورات مستمرة يقوم بها العرب لصالح هذا الملك أو غيره، وهم يتنقلون باستمرار في المغرب وإفريقية، وينقسمون في الغالب في صراع حول أنفسهم، أو ضد البربر حتى نهاية القرن الخامس عشر، حين تم الاستقرار البشري وأصبح شبه نهائي، فكان من نتائج ذلك سيطرة الهدوء النسبي، دلالة على الإعياء، وإرهاصاً بأحداث جديدة. وتمتد تسلط هؤلاء الأعراب على البلاد، واستغلوا السكان، وألزموا البربر غالباً بدفع الضريبة لينالوا حريتهم أو ليكونوا تحت الحماية، ولكنهم لم يحسنوا إقامة دولة تسيطر على أقاليم كاملة باستثناء بني جامع الذين حكموا قابس لمدة قصيرة. وقد ظل النظام السياسي العربي معتمداً على القبيلة التي يتزعمها (الشيخ) أو على مجموعة القبائل الموحدة (العشيرة). أما الدول فقد ظل البربر يؤسسونها، مثل دولة بني ثابت التي حكمت طرابلس في القرن السادس عشر.

قلنا إن هذا الغزو كان نتيجة للصراع بين الفاطميين والشيعة الزيريين والسنيين<sup>(١)</sup>. وقد تزايد هذا الصراع السياسي الديني إلى درجة وقوع مذبحة كبرى للشيعة في إفريقية ٤٠٧ هـ (١٠١٦ - ١٠١٧ م)<sup>(٢)</sup>. وعندما قام

(١) لقد قاد الصراع في طرابلس ضد الشيعة العالم الطرابلسي أبو الحسن علي بن محمد بن المنمّر، وكان أول من أحيا المبادئ السنية وألغى من الأذان عبارة (حيّ على خير العمل) التي أدخلها العبيديون. التجاني ص ٢٩٩.

الأمير الزيري المعز بإعلان وقوفه في وجه الفاطميين والاعتراف بالخلافة العباسية، في بغداد، أشار أحد وزراء الخليفة الفاطمي بأن يدفع الخليفة ضد إفريقية بعرب بني هلال وبني سليم. وكانوا من بادية الجزيرة العربية. وقد استقروا حينذاك بمصر. وتقول الرواية: إن الخليفة الفاطمي منح كل واحد منهم بعيراً وديناراً وأباح لهم اجتياز النيل قائلًا: (أعطيكم المغرب وملك المعز بن بلكين العبد الأبق فلا تفتقروا)<sup>(٢)</sup>. وقد اجتاز بنو هلال النيل، واستولوا على بلاد برقة واستباحوها، ودعوا إخوانهم بني سليم الذين ظلوا بمصر إلى اللحاق بهم وكانوا يرغبونهم في البلاد. وقد أقام بنو سليم في المناطق الشرقية من ليبيا. بينما سار بنو هلال نحو إفريقية، وتوزعوا (كالجراد المنتشر لا يبرون بشيء إلا أتوا عليه)<sup>(٣)</sup>. وكان أول من وصل إلى إفريقية عرب قبيلة رياح الذين حاول المعز استخدامهم لأغراضه، فأصهر لأحد زعمائهم وزوجه ابنته، وسعى لتوجيه نقيمتهم ضد بني حماد. وهم بنو عمه ومنافسوه. ولما رأهم ينادون بالسيادة الفاطمية، جمع البربر من صنهاجة وزناتة الذين كانوا يعادونه حتى ذلك الوقت، ودعاهم للوقوف في وجه الزحف العربي. وقد هب لنجدته أيضاً حاكم طرابلس، المنتصر بن خزرون بألف فارس من زناتة<sup>(٤)</sup>. وقد هزمت القوة العربية المكونة من زغبة ورياح، قرب القيروان، بربر المعز الذي لجأ إلى المهديّة. ثم كان للنورمان والموحدين توجيه الضربة الأخيرة إلى الإمارة الزيرية التي كانت أول ضحية لهذا العزو العربي. وقد صيغت حول هجرة بني هلال ملحمة شعرية طويلة لم تدرس حتى الآن دراسة دقيقة وافية. وهي متنوعة مختلفة في أحداثها ومضمونها، حسب مختلف البلدان (مصر وطرابلس وإفريقية والمغرب)<sup>(٥)</sup> وقد كانت هذه الملحمة مبعثاً لنسج الكثير من القصص الشعرية

(٢) ابن خلدون ج ٦ ص ١٢.

(٣) ابن خلدون ج ٦ ص ١٨.

(٤) ابن خلدون ج ٦ ص ١٥.

(٥) Bel, La Djazya, nel journ. Asiatique, marzo - Aprile 1902 marzo - aprile 1903.

= M. Hartman, Lieder der libyschen Wiste, Leipzig 1899 cat Berlino W. Ahl Wardt,

التي نرى من المهم جمعها من أفواه المغنين والمنشدين الشعبيين (الطالب). وفيها يتردد اسم الزناتي خليفة البطل البربري الذي واجه الغزو الهلالي ببطولة وشجاعة.

## ٢ - نهاية إمارة بني خزرون بطرابلس

سار الفتح العربي، على شريط داخلي، من إفريقية والمغرب. ولم يستقر العرب فور نزوحهم بالسواحل، حيث ظلت المدن الهامة في أيدي الأمراء البربر حتى بعد الانتصار العظيم الذي تم قرب القيروان. وبعد أن احتل بنوزغبة المنطقة الواقعة بين طرابلس وقابس ظلت طرابلس تحت حكم بني خزرون<sup>(٦)</sup>.

إن تاريخ هذه الأسرة الذي يبدأ سنة ١٠٥٠ م وينتهي سنة ١١٠٠ م غير معروف معرفة كافية. ونحن لا نعلم سوى أن المنتصر بن خزرون قتله في سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ - ١٠٦٨ م) أمير بني حماد، حين تبينت له خيانتة وتواطؤه مع العرب الفاتحين<sup>(٧)</sup>.

وقد حاول - بنوزيري - من المهدية، تأكيد سيادتهم على طرابلس<sup>(٨)</sup>. وقد أرسل أحد أمراء الأسرة، وهو تميم بن المعز ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ - ١٠٧٨ م) ابنه حاكماً على طرابلس. وفي سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) طرد أحد المغامرين الأتراك، المعروف باسم (شاه ملك) الذي قدم من مصر واستغل حالة التذمر التي كانت سائدة بين سكان المدينة فأعلن نفسه حاكماً عليها<sup>(٩)</sup>.

وفي روايات أخرى أنه، بدلاً من المنتصر بن خزرون، خلفه أخوه خليفة،

Verzeihniß der arabischen Handschriften der K. Bibliothek zu Berlin 1887 - 1899, N.M 9188 - 9362).

E.W. Lane, Manners and Customs of modern Egypt, cap. XXI.ed 1890 P.359 - 367.

(٦) ابن خلدون ج ٧ ص ٤٣.

(٧) الحماديون أسرة بربرية من المغرب الأوسط كانت في ذلك العهد تسود الجزائر وتونس.

(٨) ابن الأثير ج ١ ص ٧٣ - ابن عذاري ص ٤٤٨.

(٩) ابن الأثير ج ١ ص ١٦٤ - ابن عذاري ص ٤٥١ - ٤٥٢.

وخلف هذا في سنة ٤٨٨ هـ محمد بن خزرون بن خليفة<sup>(١٠)</sup>. ولكن نفوذ بني خزرون أخذ في الاضمحلال. بينما كان نجم أسرة أخرى في الصعود، وهي أسرة بني مطروح. وقد ساعد هؤلاء الاحتلال النورماني في ١١٤٦. وطرد المحتلون الجدد أسرة بني خزرون. وقد تشتت قسم من هذه الأسرة في طرابلس الغرب. ولجأ أحدهم وهو عبد الصمد بن محمد بن خزرون إلى جبال (أوراس) بالجزائر وكانت منه سلالة لامعة<sup>(١١)</sup>. ولم يخلف بنو خزرون أثراً بين أسماء السلالات والأنساب بطرابلس الغرب في الوقت الذي احتفظت فيه القبائل بأسمائها كاملة مثل زنانة، خاصة في السهل وسهل الحوض (بئر الغنم) والرحيات وغيرها<sup>(١٢)</sup>.

(١٠) النائب ١١٦ - ١١٩. لا نعلم من أي المصادر استقى المؤرخ الطرابلسي هذه المعلومات.

(١١) ابن خلدون ج ٧ ص ٦٣.

(١٢) دي أغسطيني (سكان طرابلس الغرب) المقدمة ص ٨.

## شجرة أسرة بني خزرون (التواريخ كما ذكرها النائب)

خزر  
فلقول  
خزرون  
سعيد

مقاتل	خزرون		(٢) وارو	(١) فلقول
			٤٠٥ - ٤٠٠	٤٠٠ - ٣٩٣
(٧) خليفة	(٦) المنتصر	(٤) سعيد	(٣) خليفة	
٤٨٨ - ٤٦٠	٤٦٠ - ٤٥٠	٤٤٦ - ٤٣٣	٤٣٣ - ٤١٧	
			(٤) خزرون	
			٤٥٠ - ٤٤٦	
			(٨) محمد	
			٩ - ٤٨٨	
			عبد الصمد	

### ٣ - توزيع العرب في طرابلس الغرب

يهمنا من القبائل التي تنتمي لبني هلال، بالنسبة لطرابلس الغرب، بنو رياح وبنو زغبة. وقد جاء هؤلاء مع الطلائع الأولى، واحتلوا منطقة طرابلس وقابس، وظاهروا الموحدین ضد بني غانية، ثم تحولوا تدريجياً نحو الغرب، وجاء بداهم بنو زغبة الذين ساعدوا قرقوش كما سنرى - في طرابلس الغرب وإفريقية. ثم أيدوا بني غانية ضد الموحدین، وتحولوا هم أيضاً نحو الغرب، بعد أن ضایقهم بنو سليم<sup>(١٣)</sup>.

(١٣) ابن خلدون ج ٦ ص ٣١ - ٤٠.

فالهجرة لم تتم كلها في وقت واحد، ولكنها كانت موجات متتابعة، والقادمون الجدد يطردون الذين تقدموهم، ويستولون على ما كان بأيديهم<sup>(١٤)</sup>، أما بنو سليم - خلافاً لبني هلال الذين ساروا إلى الغرب - فقد استقروا ببرقة وطرابلس الغرب. ومن تياراتهم الهامة نشير إلى بني دباب (أولاد سليمان - أولاد أحمد - بنو جابر) ومنهم تتحدر قبيلة (العوامر) التي تضم (المحاميد - الجوارى - النوايل الخ). أما أولاد سالم فتضم (العلاونة - الأحامد - بني زغبة) ومنهم قبيلة المقارحة المعروفة بسطوتها وقوتها<sup>(١٥)</sup>.

وقد شكل بنو دباب - أساساً - وما زالوا يشكلون حتى اليوم، العنصر الرئيسي للعرب في طرابلس الغرب. ومنذ زمن التجاني (بداية القرن الرابع عشر) وابن خلدون (القرن الرابع عشر) كان أولاد سليمان وأولاد سالم يسيطرون على المناطق الشرقية، والمحاميد والجوارى يسيطرون على المناطق الغربية وضواحي مدينة طرابلس<sup>(١٦)</sup>. ولم يتغير الوضع كثيراً منذ ذلك العهد حتى القرن التاسع عشر.

#### ٤ - طرابلس تحت حكم النورمانيين واستيلاء الموحيدين عليها فيما بعد

لم تلبث الأحداث الجديدة التي وقعت في صقلية أن انعكس تأثيرها وردود فعلها على الشمال الإفريقي وطرابلس. فالنورمانيون الذين استطاعوا في سنة ١٠٩١ م استعادة صقلية، وتمكنوا في سنة ١٠٩٦ م من استردادها واستخلاصها بصفة كاملة من المسلمين، تمكنوا أيضاً في سنة ١٠٩٦ م من تحرير مالطا<sup>(١٧)</sup>. وبعد أن أصبحوا سادة لمملكة واسعة، تواجه إفريقية، أنشأوا لهم

(١٤) التجاني ص ١٢.

(١٥) إسماعيل كمال ص ٣٣ - ٣٧ - دي أغسطس ص ١٢ - ١٤.

(١٦) التجاني ص ١١٨ - ١٧٩ - ١٨٧ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢١٢ - ٢١٣.

(١٧) اضطر روجير الثاني إلى التدخل شخصياً في مالطا في ١١٢٧ لتأكيد سيادته عليها. أنظر:

F. Cerone, L'opera politica e militare di Ruggero II in Africa In Oriente, Catania 1913 - p.

أسطولاً بحرياً، أرادوا به استغلال ضعف إمارة الزيريين، من أجل التغلغل والنفوذ إلى الساحل المقابل. وفي سنة ١١٣٥ احتلوا جربة، وفي ٢٥ يونيو ١١٤٣ أنزل أسطولهم جيشاً بطرابلس التي كان يحكمها شيوخ بني مطروح. وكان النورمانيون قد شرعوا في تسليق الأسوار، حين تلقى سكان المدينة نجدة عربية من الريف، قوّي بها سكان المدينة، فخرجوا إلى أسطول الغزاة وحملوا عليهم حملة قوية منكراً، فانهمزوا هزيمة فاحشة، وأرغموهم على الفرار واللاحق بسفنهم<sup>(١٨)</sup>.

وفي سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ - ١١٤٦ م) تعرضت طرابلس، لمجاعة فظيعة. وكانت الأحداث الناشئة عن هذه الكارثة قد سهلت للنورمانيين عملية احتلال طرابلس. كانت الحملة بقيادة (جورج الأنطاكي Giorgio di Antiochia)<sup>(١٩)</sup>. وقد تم له احتلال طرابلس في ١٧ أو ١٨ يونيو ١١٤٦ بالاتفاق مع بني مطروح الذين أزيحوا عن الحكم قبل أيام من وقوع الحملة النورمانيّة، من قبل أحد المرابطين، وقد تم تنصيبه حاكماً على البلاد أثناء مروره بها في طريقه إلى الحج.

وقد منح النورمانيون الأمان للسكان، فعاد الكثير من الهارين إلى المدينة التي كان يتردد عليها الصقليون المسيحيون، بصفة عامة. وقد عمها رخاء سريع<sup>(٢٠)</sup>. وأقام النورمانيون ستة أشهر يحصنون أسوارها، ويحفرون خنادقها،

(١٨) ابن الأثير ج ١١ ص ٧٠ - ٧١.

(١٩) من مسيحي سوريا وقد سبقت له الخدمة مع الزيريين منذ ١١١٠ وتبّأت له فرصة الإحاطة التامة بأوضاع البلدين.

(٢٠) يؤكد ابن الأثير (ج ١١ ص ٧١) أن الجيوش النورمانية قد قامت بنهب المدينة عقب احتلالها. أما التجاني (ص ٢٠٨) فيؤكد أن جورج قد عامل السكان معاملة حسنة وأنهم أعانوه على احتلال مواقع أخرى من الساحل. أما الإدريسي (المكتبة العربية الصقلية لأماري ج ١ ص ١٣٢) فيقول إنهم قتلوا الرجال وسبوا النساء. ويذكر ابن خلدون ج ٧ ص ٤٤ أن بني خزرون كانوا ما يزالون بطرابلس ٥٤٠ هـ (١١٤٥ - ١١٤٦) ولكن الخبر غير صحيح. وللمزيد من المعلومات التي لا تشكل إضافة خاصة انظر (أماري: المكتبة العربية الصقلية ج ١ ص ١٣٢ - ٤٦٢ ج ٢ ص ١٠٠ - ٢٢١ - ٢٢٥، وكذلك تاريخ المسلمين في صقلية الطبعة الثانية ج ٣ ص ٤١٥ - ٤١٧).

وأخذوا رهائن ممثلة في كبار الشخصيات، منهم بنو مطروح والمرابطون<sup>(٢١)</sup>. ثم أعادوا رهائنهم.

وكانت جيوش الحامية النورمانية - حسب رأي التجاني - مكونة من المسلمين والصقليين. وقد أسندت الولاية إلى الشيخ أبي يحيى بن مطروح التميمي، وأسند القضاء إلى أبي الحجاج بن زيري. وفي سنة ١١٤٨ م قام جورج الأنطاكي بالاستيلاء على المهديّة وصفاقس وقابس، بحيث أصبح الإقليم الواقع بين طرابلس وقابس خاضعاً للنورمانيين<sup>(٢٢)</sup>.

وقد دام العهد النورماني بطرابلس اثنتي عشرة سنة. أي إلى الوقت الذي أخذت تزحف فيه من المغرب قوة سياسية دينية جديدة، هي قوة الموحدين التي اكتسحت بقايا الحكم الزيري<sup>(٢٣)</sup> والحاميات التي أقامها النورمانيون في إفريقية.

(٢١) أسس المرابطون في القرن الحادي عشر بالمغرب نظاماً دينياً وسياسياً قوياً شمل المغرب بأسره والأندلس. وقد أسس يوسف بن تاشفين، أحد ملوكهم البارزين، مدينة مراكش قرب سنة ١٠٦٣ م. وقد أراح الموحدون فيها بعد هذه الأسرة. أنظر الإشارات الواردة في كتاب:  
G.B. Birago Avogadro; Historia Africana della divisione dell' Imperio degli arabi Venezia 1950 P. 324 - 326.

عن تبعية طرابلس ليوسف بن تاشفين. (ص ٣١١ - ٣٢٤ - ٣٢٦).  
(٢٢) عن التوسع النورماني في عهد روجيرو الثاني أنظر: أماري، تاريخ المسلمين بصقلية الطبعة الثانية ج ٣ ص ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٣٨٧ - ٣٩٣ - ٤٠٦ - ٤٣٧.  
وانظر كذلك كتاب العمل العسكري والسياسي لروجيرو الثاني بإفريقية والشرق (تقدمت الإشارة إليه ضمن المصادر).

كان روجيرو الثاني يهدف إلى إقامة إمبراطورية إفريقية مستفيدة في ذلك من خبرته بالشؤون الإفريقية ومن كثرة الاتصالات بين صقلية وإفريقية بالنظر إلى العدد الكبير من المسلمين الذي كان ما يزال يعيش بصقلية ومالطا. ويقول ابن خلدون إنه ما كاد النورمانيون يستولون على طرابلس حتى أبلغوا المسلمين من سكان صقلية بحرية الهجرة. ولا بد أن نلاحظ أيضاً أن إفريقيا الشمالية تعتمد في سنوات الجفاف على قمح صقلية وبوليا.

(٢٣) أسس دولة الموحدين ابن تومرت، وهو بربري من قبيلة مصمودة. وقد تزعم حركة دينية مضادة للتأويلات والتفسيرات لفكرة (الله) التي شاعت في ظل المرابطين. وكانت نسمة من الحساس الديني والمثالية قد ألهمت أتباع ابن تومرت الذي يقال - حسب بعض المصادر - إنه مرّ بطرابلس



و حين علم الطرابلسيون بزحف الموحدين دبروا، بصفة سرية، للقيام بشورة ضد النورمانيين، وتمكنوا من طردهم وإجلالهم عن المدينة، وأعلنوا الاعتراف بسيادة الموحدين (٥٥٣ هـ) <sup>(٢٤)</sup> (٢ فبراير ١١٥٨ - ٢٢ يناير ١١٥٩ م) <sup>(٢٥)</sup>. وعندما استولى عبد المؤمن على المهديّة، سنة ١١٦٠ م، قدمت عليه وفود كان من بينها الوفد الذي أرسله أبو يحيى بن مطروح لإعلان مبايعة طرابلس له.

وقد استمر أبو يحيى في حكم مدينة طرابلس حتى سنة ١١٩٠ م. وحين أدركته الشيخوخة حصل على الإذن بالتوجه إلى الحج، وقد استقر بعد ذلك بالإسكندرية بمصر <sup>(٢٦)</sup>.

تشكل سيادة الموحدين فترة من التقدم الحقيقي لإفريقيا الشمالية، وقد ازدهرت في ظلها التجارة مع البلدان المسيحية، وكانت مشمولة بحماية الاتفاقيات، إلا أنه وقعت بعض حوادث القرصنة <sup>(٢٧)</sup>. أما فيما يتصل بالناحية الدينية فقد ترك الموحدون أثراً واضحاً في إفريقيا الشمالية، حيث ازدهرت الدراسات الدينية وانتشر المذهب المالكي.

واستقبل الإباضيون من سكان طرابلس سيادة الموحدين بالترحيب لاتفاق

---

عائداً إلى المشرق بعد أن تلقى العلم على أعظم أساتذة العصر، وقد تمكنوا في وقت قصير من السيطرة على المغرب وإفريقية بأسرها. أنظر:

**I. Goldziher: Le livre de Mohammed Ibn Toumert Mahdi des Almohades, texte arabe accompagné de notices historiques et d'une introduction - Alger 1903.**

(٢٤) يعني المؤلف أن السنة الهجرية تقع بين التاريخين المذكورين من التقويم الميلادي وسيلجأ إلى ذلك فيما يلي من الصفحات.

(٢٥) التجاني ص ٢٠٨ ويقول إن القاضي أبا الحجاج هو الذي نظم الثورة ضد النورمانيين. أما ابن خلدون (ج ٦ ص ١٦٨) فيقول إن الحاكم أبا يحيى بن مطروح قد حرص الطرابلسيين على طرد النورمان. ويقول التجاني إنهم نصبوا الكهائن والفخوخ في الطرقات لمنع الفرسان النورمان من الحركة وتحقيق النجاح للثورة. أنظر أيضاً ابن الأثير ج ١١ ص ١٦٠.

(٢٦) يقال إنه قد أنشد بعض الأبيات في تذكرة لطرابلس..

**Amari, diplomati arabi**

(٢٧)

اتجاههم الديني مع مبادئهم ومذهبهم، في الوقت الذي كانوا في الماضي قد جاهروا بعدائهم لكافة القوى التي اصطدموا بها<sup>(٢٨)</sup>. ولكن سيطرة الموحدين لم تطل. ويروي لنا أحد المؤرخين المغاربة<sup>(٢٩)</sup>، وهو يتحدث عن حملة أبي يعقوب يوسف على قفصة في ٥٧٥ هـ (١١٧٩ - ١١٨٠ م)، أنه بإخماد تلك الثورة لم يبق أي أثر للأعداء في إفريقية. ولكن لن يمضي وقت طويل حتى يصل مغامرون متعصبون هم قرقوش وبنو غانية.

---

Motylinski, Aqida des Abadhites.

(٢٨)

(٢٩) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب طبعة القاهرة ١٣٢٤ هـ ص ١٤٨ - ١٤٩.

## الفصل السابع المغامر قرقوش وبنو غانية - اضطرابات ودمكار في افريقية - بداية عهد الحفصيين "القرن الثامن"

- \* المغامر قرقوش في طرابلس .
- \* بنو غانية في طرابلس الغرب وإفريقية .
- \* بداية الأسرة الحفصية .
- \* طرابلس تحت الحفصيين (القرن الثامن) . اضطرابات وثورات ، تدخل ملك آراغونا وصقلية في شؤون طرابلس .
- \* حكم آراغوني - صقلي في جربة .

## ١ - المغامر قرقوش في طرابلس الغرب

كانت طرابلس قد استراحت قليلاً إلى حكم الموحدين، حين ظهر مغامر جديد، هو بهاء الدين قرقوش - ويلقبه المؤرخون العرب (بالأرمي)<sup>(١)</sup> قادماً من مصر. وكان يعمل في جيش صلاح الدين. وعندما تحلى تقي الدين، أحد أقرباء صلاح الدين، عن فكرة القيام بحملة على إفريقية والمغرب، لم يشأ قرقوش<sup>(٢)</sup> وجماعة من رفاقه التخلي عن احتمالات الحظ والنجاح في المغرب الإفريقي لقد أراد أن يقوم - بمبادرة شخصية - كما نقول اليوم - ولعله كان متفقاً مع صلاح الدين. وقد اجتاز العقبة<sup>(٣)</sup>، واستولى على (سنترية)، أي واحة سيوة، وأوجلة وزويلة التي كانت عاصمة للبربر من بني الخطاب، سادة فزان في القرن العاشر، ففضي قرقوش على هذه الأسرة البربرية، وعذب حتى الموت آخر ملوكها، محمد بن الخطاب بن أزيلطن. وأعلن سيادة صلاح الدين على جميع الأماكن التي استولى عليها، ودعا باسمه في المساجد<sup>(٤)</sup>.

وعندما وصل إلى طرابلس وجد عوناً ودعماً من عرب بني دباب. واستطاع أن يستولي بمساعدتهم على جبل نفوسة، حيث جمع مالاً كثيراً ساعده على تجنيد بعض المرتزقة العرب. ووضع الأمير العربي لقبيلة رباح، مسعود بن

(١) يسميه ابن خلدون في بعض المواضع من تاريخه (الغزي) باسم الجند الأتراك الذين كانوا يرافقونه. وينبغي أن يكون هو نفسه كردياً أو تركياً.

(٢) (قارة) تعني في التركية الأسود و(قوز) تعني (الطائر) وهكذا فإن كلمة قرقوز تعني نوعاً من الطير الذي يشبه النسر. أو نوعاً من أنواع النسر.

(٣) هي الموقع المعروف عند اليونانيين (كاتابثمون Katabathmon) وتقع عند الحدود المصرية.

(٤) التجاني ص ٩٣ (١٠٣ - ١٠٥ - ١١٠ - ١١٥) - ابن الأثير ج ١١ ص ٢٥٦.

سلطان، في خدمته. وبعد أن جمع، بهذه الطريقة، قوة كافية، أقبل زاحفاً على طرابلس التي وجدها مسالمة، خالية من كل حامية<sup>(٥)</sup>، فاستولى عليها قرب (١١٨٥ م) وتملك أيضاً قابس، وبعض الأماكن الأخرى في إفريقية. وفي قابس ركز الذخائر الكثيرة التي جمعها<sup>(٦)</sup>.

وفي نفس الوقت ظهر في إفريقية علي بن اسحاق الميورقي، من أسرة بني غانية، وريث مطالب المرابطين في حكم البلاد الذي اغتصبه الموحدون. وقد نزل في بجاية، سنة ١١٨٤ م، واستولى على قفصة وهدد تونس والمهدية. وكان يعتمد على عون الخلافة العباسية، وسلطان مصر صلاح الدين، ويفهم من ذلك أنه نال تأييداً قوياً من قرقوش الذي استقر بقابس.

وقد دفع هذا الوضع الدقيق الحرج سلطان الموحدين ابن المنصور إلى التحول شخصياً إلى المغرب، ومقاومة الأعداء بنفسه، سواء في ذلك علي الميورقي أو قرقوش. ورغم أنها استطاعا أن يحققا في البداية نوعاً من النجاح إلا أنها هزما في الحامة بتونس، وهربا باتجاه الصحراء (١١٨٧ م) وعادت قابس وقفصة وتوزر وطرابلس إلى سيطرة الموحدين<sup>(٧)</sup>.

وبعد أن قام زميله قرقوش بتدمير الإقليم، أظهر الطاعة للموحدين وعاش فترة طويلة ضيقاً على أبي زيد بن أبي حفص الذي كان يحكم تونس باسم الموحدين. ولكنه لم يلبث طويلاً، وعاد إلى الاستيلاء على قابس، وذبح مشايخ قبيلة الكعوب غدرًا، وزحف على طرابلس واستولى عليها بالتعاون مع يحيى الميورقي أخي علي الميورقي. واتجهوا نحو الجبل. وهنا تخاصم الحليفان وأعلنوا العداء. ويشرح المؤرخون العرب بأن صلاح الدين كان في حاجة إلى عون الموحدين، فمال إلى مصادقتهم، ولم يعد يؤيد ورثة العرش المرابطي. ولذا

(٥) التجاني ص ٩٦ - ٢١٠.

(٦) ابن الأثير ص ٢٥.

(٧) التجاني ص ٨٥ - ٨٦.

صار قرقوش عدواً ليحيى . وتقاتلا في موقع بالجبل يعرف باسم (محسن)<sup>(٨)</sup> وهزم قرقوش الذي لجأ إلى الداخل . وترك بطرابلس عبده المعتوق (ياقوت) الذي قاوم ببسالة الحصار الذي ضربه يحيى الميورقي على المدينة التي لم تستسلم إلا بعد أن حاصرتها سفن ميورقية من البحر، وحصل سكانها على الأمان، ونفي ياقوت إلى مايورقة سنة ١١٩٥ م تقريباً.

## ٢ - مقتل قرقوش

بعد أن استولى يحيى الميورقي على طرابلس، ترك على ولايتها ابن عمه تاشفين بن غازي، واتجه هو إلى الاستيلاء على جبل نفوسة، وإجلاء خصمه قرقوش الذي فر، ولاحقه حتى ودّان، بمساعدة بني دباب، فأسره وقتله مع أحد أبنائه ثم صلبه . وكان ذلك في سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ - ١٢١٣ م)<sup>(٩)</sup> . وترك قرقوش ابناً آخر اشتهر بشجاعته وقوته البدنية . وبعد أن عمل هذا الابن مدة في خدمة الموحدين، هرب إلى فزان، وأشعل بها الثورة . وقد استطاع ملك (كانو) قتله سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وأعاد بذلك السلم إلى المنطقة<sup>(١٠)</sup> . وهكذا تنتهي بشكل بائس 'تعس قصة قرقوش وأسرته . وكانت فترة من الاضطرابات والقلق أثرت أبلغ الأثر في المعاصرين لها . وأصبحت ذكرى للقادمين بعدها . وقد تداول عرب بني دباب، أباً عن جد، قصة هذه الأحداث<sup>(١١)</sup> .

(٨) لم أستطع أن أعرّ عليها فوق الخط وينبغي أن تكون قرب (قَطِيس) التي يرد ذكرها متصلاً بهذه الواقعة الحربية . التجاني ص ٨٨ - ٢١٠ .

Bel, op. cit. p. 96.

(٩) التجاني ص ٩٢ (١١٠) من طبعة تونس سنة ١٩٥٨ ويقال إنه لما اقتيد. للقتل سأل ابنه إلى أين يروحون بنا؟ فقال: إلى حيث رحنا بأبائهم . مشيراً بذلك إلى الزعماء العرب الذين سبق أن قتلهم .

(١٠) التجاني ص ٩٢ (ص ١١١) وقد أصبحت فزان منذ ذلك الوقت وحتى القرن الرابع عشر تابعة لسلطنة كانم، وكان للسلطان ممثل في تراغن .

(١١) التجاني ص ٩٢ (ص ١١١) من الشائع في طرابلس القول (حكم قرقوشي) للدلالة على الأحكام التعسفية الهوجاء . ولكن الأمر في هذا يرتبط بقرقوش آخر يضرب به المثل . أنظر مادة قرقوش في دائرة المعارف الإسلامية .

ويبدو أن المنطقة الواقعة غربي طرابلس، وتعرف بقرقارش، إنما تستمد اسمها من قرقوش الذي شيد قلعة بها<sup>(١٢)</sup>.

وبعد قرقوش قدم إلى إفريقية جند من المغامرين عرفوا باسم الغز، وهم من أتراك آسيا الوسطى الذين سبق أن جاءت بعض جماعات منهم للعمل في جيوش ملوك المغرب. وما يزال يفرن فرع من قبيلة يعرف باسم (الغزان) (جمع غز). ولا ريب في أنهم متحدرون من سلالة جنود قرقوش. ويزعم سكان ورشفانة المعروفون بأنهم من البربر، أنهم يتحدرون من أصل كردي طبقاً للروايات الشعبية المتواترة<sup>(١٣)</sup>.

### ٣ - بنو غانية في طرابلس الغرب وأفريقية

بعد الانتصار الذي حققه يحيى الميورقي على خصمه قرقوش في (محسن) استطاع أن يسيطر على إفريقية وطرابلس الغرب مدة تبلغ حوالي عشر سنوات، دون مضايقة من أحد، وبعد أن تمكن من السيطرة على طرابلس احتل قابس والمهدية والقيروان وبونة وتونس ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م). وقد كانت السيادة في هذه المنطقة للعباسيين. وكان يحكم تونس أخو يحيى الغازي في المهدية. وهو أحد أبناء علي بن الغازي الذي أبرم اتفاقاً تجارياً مع مدينة (بيزا) الإيطالية. وتدخل الملوك الموحدون بقوة وحزم لتدعيم سيطرتهم على إفريقية.

كان يحيى الميورقي قد عاد منذ قليل من حملته على الجبل، حين علم بزحف الناصر الموحيدي (٦٠١ هـ) (١٢٠٥ م)، فانسحب من جديد إلى الجبل، وبلغه هناك أن طرابلس قد ثارت، وخلعت الحاكم الذي فرضه عليها. فزحف يحيى على طرابلس ودمرها. ومن المرجح أن المدينة لم تتعرض خلال القرون الهجرية الأولى لما تعرضت له من تدمير وتلف كاللذين تعرضت لهما في عهد قرقوش وبنو غانية.

(١٢) الترجمة التركية لتاريخ ابن غلبون ص ١٤ والترجمة الإيطالية لابن غلبون ص ٧٤ والنائب ص ٢٠١ فيرود ص ٧ - أغسطس ص ٩.

(١٣) دي أغسطس ص ٢١٩.

وبعد النورمانيين، كانت قد جاءت إلى الحكم أسرة بني مطروح فعملت على تجميل المدينة. وينبغي أن ترد أكثر الأضرار التي حلت بها إلى بداية القرن السابع. ويبدو الرحالة التجاني، بعد قرن من ذلك، أسفه لما حل بالمدينة من دمار وإهمال<sup>(١٤)</sup>.

وقد هزم يحيى الميورقي (١٢٠٥ م) في جبل (التاجرة) بقابس وهرب نحو الشرق، وبهذه المعركة استولى الناصر على إفريقية عدا المهديّة التي ظلت تقاوم الحصار مدة طويلة. وبعد أن استولى عليها انتقل إلى تونس، ووزع عماله على المنطقة، واستعمل على طرابلس عبد الله بن إبراهيم بن جامع<sup>(١٥)</sup>، وهو من أبناء الأسر المخلصة للموحدين الموالية لهم.

ومن تونس، أرسل الناصر أخاه إسحاق لملاحقة أعدائه المنهزمين. وزحف نحو الشرق، واستولى على إقليم بني دمار<sup>(١٦)</sup>، وجبل مطباطة وجبل نفوسة. وتوغل بعد طرابلس حتى سواقي بني متكود. (منطقة سرت)<sup>(١٧)</sup>.

وقد ظل يحيى الميورقي على إصراره الذي لا يقهر، يحبب المناطق الواقعة بين أفريقية والمغرب، باحثاً عن ملجأ في جبال طرابلس وسهولها، وفي فزان. وقد صارت هذه المنطقة الداخلية من ودان إلى غدامس قاعدة متحركة لغزواته لإفريقية حتى بجاية. وفي سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ - ١٢٢٥ م) نراه من جديد يهاجم مواقع الموحدين، فيهزم مرة أخرى. ولم يعد الأمر يقوم على حملات منظمة، ولكنها غزوات كان يقوم بها سليل بني غانية اليائس، في المغرب الأقصى حتى حدود مصر، بجيش من المرتزقة المغامرين<sup>(١٨)</sup>. وقد مات في سنة

(١٤) التجاني (أنظر الفصل التالي).

(١٥) النائب ص ١٤٢.

(١٦) بين قابس وجربة.

(١٧) الموقع في منطقة سرت. أنظر: الزركشي ص ١٢ - ١٣ (وترجمة فانيان ص ٢٢).

Bel, op.cit. p. 134.

R. Basset, Les Sanctuaires du Djebel Nefousa, in journal Asiatique XIII, 1899 p. 455.

(١٨) ابن خلدون ج ٦ ص ١٩٧ - ١٩٨.



٦٦٣ هـ (١١٣٧ - ١١٣٨ م) قرب مليانة، وبموته انتهت أسرة المرابطين<sup>(١٩)</sup>.

#### ٤ - بداية عهد الحفصيين

بين القبائل البربرية العديدة التي تنتمي إلى (مصمودة) التي خرج منها الموحدون، كانت الصدارة تنتهي إلى (هنتاتة). وهم المؤيدون الرئيسيون لابن تومرت وعبد المؤمن. وكان زعيم هنتاتة، أبو حفص، صاحب نفوذ كبير، وهو معروف ببطولته وشجاعته. وقد توفي أثناء عودته من إحدى الحملات في إسبانيا سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ - ١١٧٦ م). وظلت سلالته تتمتع بسلطة واسعة. وكان ابنه أبو سعيد حاكماً على إفريقية حتى سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨ م) وخلفه أحد أبنائه الآخرين، وهو أبو محمد عبد الواحد الذي ساهم مساهمة فعالة في الحرب ضد يحيى الميورقي.

وكما سبق أن لاحظنا، فإنه يحدث في كثير من الحالات أن تكون الولاية وراثية فتؤدي إلى خلق أسرة حاكمة.

والحفصيون - نسبة إلى أبي حفص - بدأ حكمهم في سنة ٦٠٣ هـ، بعبد الواحد. وواصل ابنه، بنجاح كبير، عملية تدعيم حكم أسرته الجديد. مع بقاء التبعية الاسمية للموحدين. وتمكن أخوه أبو زكريا ٦٢٥ هـ (١١٢٧ م) من السيطرة على الحكومة، واستطاع بعد عامين من ذلك إلغاء اسم الموحد من الخطبة. وخلع على نفسه لقب (أمير المؤمنين). وقد مات في سنة ١٢٤٩ م. ويعتبر أقوى أمراء إفريقية والمغرب. وخلفه أبو عبد الله المستنصر (١٢٤٩ - ١٢٥٠ م) الذي بلغ بالحفصيين أقصى درجات القوة. وكانت المملكة الجديدة تمتد من طرابلس حتى تلمسان<sup>(٢٠)</sup>.

(١٩) ابن خلدون ج ٦ ص ١٩٧.

(٢٠) ابن خلدون ج ٦ ص ٢٧٥ - ٢٧٨ - الزركني ص ١٧ - ١٨ (وترجمة فانيان ص ٣١ - ٣٢).

BEL, op.cit. p. 227

## ٥ - طرابلس تحت حكم الحفصيين (القرن الثامن). اضطرابات وثورات وتدخل ملك أراغونا وصقلية في شؤون طرابلس<sup>(٢١)</sup>

انتقلت طرابلس التي ظلت مدة قرن تحت حكم الموحيدين إلى حكم الحفصيين بتونس، حين أخذوا يسلكون مسلك الملوك المستقلين. ويذكر التجاني الحادثة التالية التي تتصل ببداية عهد الحفصيين بطرابلس<sup>(٢٢)</sup>. فيروي أنه كان يعيش بطرابلس في سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) المدعو أبو عبد الرحمن يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن محمد الهرغي. وكان يتمتع بنفوذ واسع. وقد نغم في ذلك العام من قيام الأمير الحفصي بقتل وزيره الجوهرى الذي كان صديقاً له. فأثار ثورة في طرابلس، ولكن أغلبية أهل طرابلس خشيت العاقبة، وأبلغت حكومة تونس التي أرسلت الأمر بقتله. ونفذ فيه الحكم وعلقت جثته وجثث أعوانه بباب هواره. وأرسلت الرؤوس إلى تونس<sup>(٢٣)</sup>.

ولا نعلم على وجه الدقة التابع التاريخي للحكام الحفصيين، وسنكتفي بذكر بعض الأسماء والوقائع<sup>(٢٤)</sup>.

كان يتولى حكم البلاد أبو إسحاق محمد بن عيسى الهنتاني<sup>(٢٥)</sup> حين قام أحمد بن أبي عمارة، من مواليد بجاية، مفسر الأحلام الطامع في السلطة، وأخذ يجوب إفريقيا، وظفر بتأييد بني دباب، وزعم أنه (الفضل) أحد أبناء الحفصيين، وكان قد قتله السلطان الحفصي. وشرع يثير الاضطرابات باعتباره مطالباً بعرش تونس. وقد هاجم هذا المدعي طرابلس مع مرغم بن صابر زعيم قبائل بني جوارى، فتصدى له محمد الهنتاني الذي دافع عن المدينة بقوة وبسالة

(٢١) بخصوص السيادة الحفصية، انظر.

R. Brunschvig; La Berbérie orientale sous les Hafides, Paris 1940 - 1941.

(٢٢) التجاني ص ٢٣٢ (ص ٢٦٧ - ٢٦٨) ابن خلدون (ترجمة دي سلا ج ٢ ص ٣٠٢).

(٢٣) كان قبره ما يزال موجوداً بطرابلس في القرن الرابع عشر.

(٢٤) يذكر النائب في هذا الخصوص بعض المعلومات التي لم أستطع أن أتبين مصدرها.

(٢٥) حكم من ١٢٤٧ إلى ١٢٨٥ حسب ما يورده النائب ص ١٤٩ - ١٥٦.

بينما خضع الإقليم الغربي لطرابلس الغرب من جنزور والماية وزوارة، لابن أبي عمارة الذي احتل قابس، ثم احتل تونس في سنة ١٢٨٣ م. وقد قبض عليه في العام التالي وقتل<sup>(٢٦)</sup>.

وقد ظل البدو من العرب يشكلون على الدوام عنصر خطر دائم على الأمن في طرابلس الغرب وإفريقية. وكان في وسع كل طموح أو مغامر أن يجد الطريق ليجذب إليه الأنصار بالمال. لتحقيق أغراضه. وكانت طرابلس أو سهلها الداخلي، في الغالب، ميداناً لتجميع هؤلاء البدو وحشدهم. كما كان الأمر في العهدين الروماني والبيزنطي اللذين كانت فيهما هذه المنطقة قاعدة لبدو البربر الذين كانوا يغزون طرابلس ولبدة. وقرطاجنة أيضاً.

وتتوفر لدينا معلومات عن الحملة التي قادها الأمير الحفصي أبوزكريا يحيى (سيد تونس الغربية) في سنة ٦٨٥ هـ (١١٨٦ م) على إقليم طرابلس. وقد حصل عند موقع يعرف باسم (الأبيض) على خضوع آجوارى والمحاميد وآل سالم وعرب برقة. وعندما كان بمصراته علم بأن سلطان تلمسان يهاجم بجاية عاصمة إمارته، فغادر طرابلس الغرب عائداً إلى مقر إقامته<sup>(٢٧)</sup>. ولكنه قتل في تونس، حيث قام ناثر جديد بمعارضة الحفصيين. وانطلقت الحركة من جديد في طرابلس الغرب<sup>(٢٨)</sup>.

كان أبو دبوس، آخر أمراء الموحدين، قد قتل في سنة ٦٦٨ هـ وتفرق أبناؤه، وانتقل عثمان إلى شرقي الأندلس ضيفاً على ملك أراغون في برشلونة حيث وجد كثيراً من أقاربه. واستقبل بما يليق به من حفاوة وتقدير. وأصبح ممثل الأسرة الأتلة. وكان يحلم باستعادة ملك والده فركب البحر بنية النزول

---

(٢٦) ابن خلدون ج ٦ ص ٣٠٢ (ترجمة دي سلان ج ٢ ص ٣٨٨) الزركشي ص ٣٥ (ترجمة فانيان ص ٦٣). لقد ورد ذكر هذا الحصار في (الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ) ترجمها:

Cherbonneau, in (Journal Asiatique) serie IV vol XII 1848 P.237.

(٢٧) ابن خلدون (ترجمة دي سلان ج ٢ ص ٤٠ الطبعة الجديدة).  
(٢٨) ابن خلدون ج ٦ ص ٨٦ - ٣٠٨ الزركشي ص ٤٤ (ترجمة فانيان ص ٨٠).

بطرابلس. وقدم له الأراغون سفناً وجنوداً. وأطلقوا سراح القائد العربي مرغم بن صابر الذي كان أسيراً بصقلية<sup>(٢٩)</sup>، ويعتوه رفقة عثمان الذي وصل إلى طرابلس، وحاول الاستيلاء على المدينة بواسطة الجنود المسيحيين والعرب الذين جمعهم مرغم (٦٨٨ هـ) (١٢٨٩ - ١٢٩٠ م). ولكنها فشلا في هذه المحاولة، وتخلياً عن الحصار، ورجعت السفن بعد أن أنزلت عثمان ومرغمًا بسواحل طرابلس حيث أخذوا يجوبان المنطقة ويجمعان الخراج من الأهالي. وبهذه الطريقة جمعوا المال اللازم لدفع أجرة المسيحيين لقاء المساعدة التي قدموها لهم<sup>(٣٠)</sup>. ومنذ ذلك الحين ظل عثمان بن دبوس، ولمدة محددة، معترفاً به كأمر على عرب الجوّاري. وفي مارس ١٣٠٦ م ثارت ثورة سكان تونس على أحد الزعماء

---

(٢٩) أسر مرغم بن صابر سنة ١٢٨٥ من قبل القشطليين الذين كانوا موجودين بسفهم في جربة التي وقعت قبل ذلك بقليل تحت سيطرة الصقليين. وقد قبض عليه حين كان يهبط من الجبل ويسير في جماعة من العرب ضد تونس، عبر الساحل. وقد نقل إلى صقلية واعتقل بمسينا - أنظر:

Storia Sicula di **Batrolomeo Di Neocastro** in *Rerum Italicarum Scriptores*, XIII cap. 85. ويقول ابن خلدون ج ٦ ص ٣٠٨ إنه كان أسيراً في برشلونة. ولا يبدو أن هذا القول صحيح. ويستخلص أماري من مصادر صقلية أنه نقل إلى صقلية وسجن بمسينا وكان رفيقاً في الأسر لشارل الأعرج. أنظر:

**Amari**: La guerra del Vespro siciliano IX Ed. Milano 1886, II, P. 78 - 79.

(٣٠) هذه المعلومات المستخلصة من ابن خلدون ينبغي أن توضع موضع المقارنة مع أخبار المؤرخ الصقلي برتولوميو دي نيوكاسترو الذي سبق أن أشرنا إليه والذي يروي لنا أن الأميرال روجيرو دي لوريا قد نقل مرغم إلى إفريقية وأطلق سراحه مقابل فدية ذهبية. وقد نزل مرغم مع ثمانين شاباً بقيادة بوتراد دي كانيللي القاتلاني، وقد استعان بهم في إخضاع مدينة (تولومينا أو تولوميتا) التي تقع على مسافة سبعة أيام والتي كانت قد تمردت، وقد حاول التخلص من دفع الفدية المتفق عليها ونصب المكائد للجنود الأراغون. ولكن القائد القشطلاني ألح عليه حتى حصل على المبلغ ورجع إلى سفن الأميرالية للعودة إلى صقلية. وقد ذكر نيكولو سبيشالي في كتابه:

**Nicolà Speciale**, *Historia Siciliae* (*Rerum Italicarum Scriptores*, X, II cap. XVI).

أن روجيرو دي لوريا قد قام في ١٢٨٥ باجتياز سواحل بربرية في عمارة بحرية تتألف من ست عشرة سفينة وأنه قد حمل عبيداً من (طلمية).

الطغاة من بني كعب، واسمه (حداج). وكان قد أراد أن يقتحم جامع الزيتونة من غير أن يخلع حذائه، تحدياً لكافة التقاليد المعروفة<sup>(٣١)</sup>، فقتلوه. وقد أثار هذا الحادث بني كعب الذين أقسموا على الأخذ بالثأر. وبعث أحمد بن الليل الذي كان زعيماً لهم، في ذلك الوقت، داعياً عثمان إلى القدوم. وزحف عثمان من إقليم طرابلس حيث كان يقيم، وهاجم تونس، دون جدوى. فلما هزم أكثر من مرة عاد إلى طرابلس، ثم انتقل إلى المغرب<sup>(٣٢)</sup>.

كانت طرابلس تمثل موقعاً له أهميته الكبيرة بالنسبة للحفصيين بتونس باعتبارها معقلاً شرقياً للإقليم الخاضع لسيادتهم. وعندما جاء عبد الواحد إلى طرابلس سنة ١٢١٧ م أمر بتحصين المدينة ورفع سوراً عرف باسم (الستارة) أمام الأسوار الشرقية<sup>(٣٣)</sup>. ولم ينته العمل منه إلا عند سنة ١٣٠٠ م تقريباً. واهتم أيضاً السلطان أبو عبد الله بتجميل مدينة طرابلس.

## ٦ - السيطرة الصقلية - الأراغونية في جربة (١٢٨٥ - ١٣٣٤ م)

بعد مضي أكثر من قرن على نهاية السيادة النورمانية، في شمال إفريقيا، احتل الأميرال الصقلي (روجيرو دي لوريا أو لاوريا Ruggero di Loria Lauria) جزائر جربة وقرقنة ١٢٨٤ م. ويقال إنه قتل في هذا الاحتلال أربعة آلاف نسمة وأسر ستة آلاف نسمة. وأنشأ قلعة للدفاع عن البلدة<sup>(٣٤)</sup>، وأسر في ذلك

(٣١) ابن خلدون ج ٦ ص ٣١٤ (ترجمة دي سنان ج ٢ ص ٤١٥) الزركشي ص ٤٤ - ٤٥ (ترجمة فانيان ص ٨٠).

(٣٢) ولاية طرابلس عند نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر غير واضحة. ويرى النائب (ص ١٥٦) أنه منذ سنة ١٢٨٥ وما تلاها قد تولى الولاية يوسف بن طاهر البربري.

(٣٣) هكذا يؤكد التجاني ص ٢٠٦ الذي يقول إنه استخلص هذه المعلومات التي كانت مكتوبة على باب عبد الله.

Bartolomeo Di Neocastro op. cit. cap. 83.

(٣٤) أنظر:

Niccolo Speciale op. cit X Libro I cap. XXX.

الوقت مرغماً زعيم عرب الجوّاري بطرابلس ١٢٨٥ م ثم أطلق سراحه فيما بعد (سنة ١٢٩٠ م)<sup>(٣٥)</sup>.

وقد وضع روجيرو دي لوريا جزر جربة وقرقنة تحت سيادة البابا بونيفاشيو الثامن الذي نصبه في سنة ١٢٩٥ حاكماً عليها مقابل دفع ضريبة سنوية قدرها خمسون ليرة ذهبية. وقد خلفه في حكم جربة ابنه كارلو، ثم الصبي الحدث روجيرو الثاني، ثم روجيرو الثالث بمساعدة الوصي (كرادو لانشيا Corrado Lancia). وقد جرد الحفصيون بقيادة علي اللحاني جيشاً ضد المسيحيين الذين يحتلون جربة سنة ١٣٠٧، وقد أرغمت النجيدات التي بعث بها ملك صقلية الجيش التونسي على الانسحاب. كما أفادت فيما بعد في إخضاع الأهالي الذين ثاروا بمساعدة تونس.

كانت جربة منقسمة إلى فريقين: أولاد مؤمن ويؤيدون المسيحيين. والماستونة يعارضونهم ويقاومونهم. وقد أثار هؤلاء في سنة ١٣١١ م ثورة خطيرة. وأرسل ملك صقلية فردريك الثاني ملك أراغونا المغامر القشطيالي رامون مونتانيير (Ramon Montaner) لإعادة النظام. وظل هذا حاكماً على جربة من ١٣١١ إلى ١٣١٤ م وتلاه آخرون معينون من قبل ملك صقلية حتى سنة ١١٣٤ م حيث تمكن أهل جربة في تلك السنة، بمساعدة حكومة تونس، من طرد الحامية الأراغونية الصقلية. ورجعوا الحاكم دون بدروسراكوze، وظلت جربة منذ ذلك الوقت، ولمدة نصف قرن، تحت سيطرة الحفصيين<sup>(٣٦)</sup>.

(٣٥) أنظر الفقرات المتقدمة من هذا الفصل.

(٣٦) أنظر:

Marmol, Vol a fol 290.

Cerone, Seconda Spediziane di Alfonso V contro Lisola di Gerba in Annuari de l'insti-  
tut d'Etudis Catalans 1909 - 1910, p. 52.

## الفصل الثامن طرابلس عند بداية القرن الخامس عشر

- \* طرابلس كما وصفها الرحالة التجاني ١٣٠٧ - ١٣٠٨ م.
- \* الأضرحة والمساجد والمدارس.
- \* القوس الرومانية
- \* المقابر.
- \* الأوضاع الثقافية والاقتصادية.
- \* ضواحي طرابلس.
- \* الوضع السياسي والاقتصادي في طرابلس الغرب في القرن الرابع عشر.

## ١ - طرابلس كما وصفها الرحالة التجاني في ١٣٠٧ - ١٣٠٨ م<sup>(١)</sup>

عند نهاية سنة ١٣٠٧ م قام عالم تونسي، هو أبو محمد عبد الله التجاني، بالسفر من تونس في معية أبي يحيى زكريا اللحياني زعيم الأسرة الحفصية، متجهين الى الحج. وكانت المرحلة الأولى من الرحلة جزيرة جربة التي كان اللحياني ينوي انتزاعها واستخلاصها من المسيحيين<sup>(٢)</sup>. وقد فشل الحصار، وعاد الجند إلى تونس. وتابع اللحياني رحلته، وأقام شهرين وعشرين يوماً ببلدة جنزور، ثم دخل طرابلس في ١٤ ديسمبر ١٣٠٧ م. وقد وصف هذه الرحلة، التجاني في كتابه عنها. وسنستفيد منها في إعطاء صورة عن الوضع في طرابلس، في ذلك الوقت<sup>(٣)</sup>.

ولما توجه إلى طرابلس وأشرف عليها (كاد يياضها مع شعاع الشمس يعشي الأبصار، فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء. وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار، رافعين أصواتهم بالدعاء وتخلّي والي البلد، إذ ذاك، عن موضع سكناه، وهو قصبة البلد فنزلنا بها). ويحدثنا التجاني عن القصبة فيقول: (إن آثار الضخامة بادية على هذه القصبة، غير أن الخراب تمكن منها. وقد باع الولاة أكثرها. فما حولها من الدور التي تكتنفها الآن، إنما استخرجت منها. ولها رحبتان متسعتان<sup>(٤)</sup>). وفي الخارج منها المسجد المعروف في القديم بمسجد

(١) أنظر أيضاً:

R. Brunschvig, op. cit. I, p. 391 - 395.

Marmol, op. cit. fol 290.

(٢)

(٣) تقع الصفحات الخاصة بطرابلس بين ٢٣٧ - ٣٠٦.

(٤) يحتمل أن يكون ذلك داخل القلعة.



العشرة<sup>(٥)</sup>، لأن عشرة من أشياخ البلدة كانوا يجتمعون فيه للمشورة، فيدبرون أمر البلد، وذلك قبل تملك الموحدين لها. فلما تملكوها ارتفع ذلك الرسم، وزال من المسجد ذلك الاسم<sup>(٦)</sup>.

(وكان فيما يقابل هذه القصبة، موضع يعرف بالرياض، مخصوص بوالي البلد، وأصله من مباني بني مطروح، رؤساء طرابلس في القديم، ويذكر من حسنه - كان - وثماره وضخامة مبانيه. وهو الآن خرب، غير أن به آثاراً دالة على ما يذكر عنه. وقد أقطع هذا الموضع، في هذا الوقت، لبعض العرب فغيره على حاله، وابتنى في موضعه داراً<sup>(٧)</sup>. وإلى جوار القصبة يوجد حمام البلد، وهو، صغير الساحة، إلا أنه قد بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من الظرف نهايته، وكان هذا الحمام من منافع القصبة، فيبيع من جملة ما يبيع منها. . . وبالبلد حمامان آخران غيره، إلا أنها في الحسن دونه).

أما شوارعها (فلم أر أكثر منها نظافة، ولا أحسن اتساعاً واستقامة، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طويلاً وعرضاً، من أولها إلى آخرها على هيئة شطرنجية، فالماشي بها يمشي مشي الرخ خلالها)<sup>(٨)</sup>.

وقال إن الطرابلسيين كانوا معتنين بأسوار المدينة (ورأيتهم قد شرعوا في حفر خندق متسع، يرومون أن يصلوه بالبحر، من كلا جانبي البلد، وابتداء حفره من الركن الذي بين القبلة والمشرق. وعارضهم في حفره هناك موضع يعرفونه بالرملة، وهو حقف رمل متسع لاصق إلى جانب السور، ولا يزالون أبدأ يتكلفون نقله، من ذلك الموضع، فإذا جهدوا جهدهم في حمله ورمية في البحر، أعادته الريح كما كان لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره).

(٥) أنظر: العمري، وصف إفريقية وإسبانيا - طبعة حسن حسني عبد الوهاب، تونس ص ٩ عن الشيوخ الذين كان يتألف منهم مجلس السلطان الحفصي في القرن الرابع عشر.

(٦) لا ريب في أن التسمية تعود إلى بني خزرون وبني مطروح.

(٧) يرجح أن يكون موضع الرياض المذكورة بين القلعة ومسجد أحمد القرماني الحالي.

(٨) يعتقد بأن الرحابة النسبية وانتظام الشوارع تعكس طوبوغرافية المدينة.

ويحيط بهذا السور الآن فصيل أقصر منه ، على العادة في ذلك، يسمونه الستارة ، ولم يكن في القديم ، وإنما أمر ببنائه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص أيام وصوله إلى طرابلس). وقد مد هذا السور حتى اتصل بالبحر، أيام إقامة الرحالة التونسي.

وفي الأسوار أبواب عديدة. يذكر منها الباب الأخضر (باب زناتة حالياً). وباب الستارة، ويسمى أيضاً (باب عبد الله) ويطابق باب المشية المعروف بهذا الاسم حتى الماضي القريب. ثم باب هواره. وهو بالسور القديم، وهو يقابل الباب المتقدم الذكر. وباب البحر<sup>(٩)</sup>، وهو الذي يؤدي إلى الميناء، وداخل المدينة، خلف باب هواره (بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم، يبيعون بها أغنامهم ومواشيهم، وبخارج باب البحر منها، منظر من أنزه المناظر مشرف على الساحل، حيث مرسى المدينة، وهو مرسى حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر، وتصطف هناك، اصطفاة الجياد في أواربها)<sup>(١٠)</sup>.

## ٢ - الأضرحة والمساجد والمدارس

ويحصى التجاني منها:

- ١ - مسجد عمرو بن العاص (ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص) وهو قرب (موقف الغنم) في المكان الذي يقوم عليه حالياً مسجد أحمد باشا القرماني.
- ٢ - مسجد العشرة، مقابل القصبة.

(٩) أنظر تصنيفات طرابلس للبروفسور أوريجما:

**Aurigemma:** Le fortificazioni di Tripoli Not. arch. min. delle colonie 11 - 1916 p. 217 - 300.

ولقد ورد ذكر باب البحر وباب هواره في الأبيات المنسوبة إلى أبي يحيى بن مطروح، وقد أنشدها أثناء وجوده بالإسكندرية. ولقد أوردها التجاني وترجمها إلى الإيطالية البروفسور أوريجما في عمله المذكور أعلاه

(١٠) التجاني ص ٢١١ (ص ٢٤٦).

٣ - مسجد يقع بين الباب المعروف بالباب الأخضر وباب البحر، وقد اشتهر بنزول ابن تومرت به<sup>(١١)</sup> عند مروره بطرابلس، وإلى جانبه مiazza جعلت للمتوضين والمغتسلين.

٤ - المسجد الأعظم الذي شيده أبو عبيد<sup>(١٢)</sup>، وقد وصفه، وهو جامع متسع على أعمدة مرتفعة، وسقفه حديث التجديد، وبه منار متسع مرتفع قائم من الأرض على أعمدة، مستديراً فلما تم نصفه كذلك، سدس. وكان بناؤه في العام المكمل للمئة الثالثة على يد خليل بن إسحاق<sup>(١٣)</sup>، وأصله من طرابلس. (وهو من أبناء جندها، ومن ولدوا بها، وكانت له صولة وهية، وحظ جليل من العلم وباع متسع في الأدب).

وينقل التجاني: (أن شكراً المعروف بالصقلي ابني الماحل الذي بجامع طرابلس من الجهة الجوفية والقبة التي عليه، في سنة تسع وستين ومائتين) ٨٨٢ - ٨٨٣ م. ويقول إن المسجد الأعظم يقع بين القصبة والمدرسة المنتصرية، القريبة من القوس الرومانية. وهذا يبعث على الظن بأن هذه المدرسة كانت تقوم قريباً من المكان الحالي لمسجد درغوث. وثمة اعتبارات أخرى تجعل هذا الوصف مطابقاً لجامع الناقة، كما سوف نرى فيما بعد.

٥ - المصلى: وهو المكان الفضاء المخصص للعبادة، مثل صلاتي العيدين، عيد الفطر وعيد الأضحى الذي يوافق العاشر من ذي الحجة طبقاً للتقويم

(١١) ربما تطابق هذا المسجد بمسجد حومة غريان.

(١٢) هكذا وردت في المخطوطة وربما كان تصحيفاً لاسم (عبيد الله بن الحجاب والي إفريقية من ٧٣٤ إلى ٧٤١). وهو الذي شيّد المسجد الأعظم بتونس. (النوري ترجمة دي سلان في ذيل كتابه - تاريخ البربر الطبعة الجديدة ج ١ ص ٣٥٩) وكذلك (النوري: تاريخ المسلمين بإسبانيا وإفريقية:

Historia de los musulmanes de Espana y Africa.

النص العربي والترجمة الإسبانية. وقد ورد الاسم خطأ (Habhan) ص ٣٧. أما التجاني فيقول لقد شيده بنو عبيد وقد كرر ذلك في صفحة ٢٦٦. (فهو إذن من إنشاء العبيديين).

(١٣) بخصوص خليل بن إسحاق انظر ما كتبه في الفصل الخامس.

القمري الإسلامي . وكان يوجد هذا المصلى، في عصر التجاني، جانب البلد، بين جنوب وشرق منه . وكان المصلى القديم في الجانب الغربي، وقد بناه عبد الله بن أبي مسلم، وخليل بن إسحاق سنة ثلاثمئة (٩١٢ - ٩١٣ م) في موضع يعرف (بالعيون، سمي بذلك لأن هناك عيون ماء عذبة، وهو بشاطئ البحر، وماؤها ينصرف إليه) ويرجح أن يكون هذا الموضع هو المكان الواقع غربي طرابلس، بين السور والمقبرة اليهودية . وما يزال يعرف (بالعيون) بسبب المياه النابعة من الأرض، المنصرفة إلى البحر .

أما المدارس فإن المنتصرية أجملها، وكان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا فيما بين سنة ستمائة وخمس وخمسين إلى سنة ستمائة وثمان وخمسين ٦٥٥ - ٦٥٨ هـ (١٢٥٦ - ١٢٥٩ م) وهي أحسن المدارس وصفاً وأجملها صنفاً . وتقع قرب القوس الرومانية<sup>(١٤)</sup> .

### ٣ - القوس الرومانية

من المفيد أن نقل هنا وصف التجاني لقوس (ماركوس أوريليوس Arco di Marco Aurelio) الواقعة بين المدرسة التي سبق ذكرها وباب البحر يقول التجاني :

(بين هذه المدرسة وباب البحر، مبنى من المباني القديمة العجيبة وهو شبه قبة من الرخام المنحوت متناسب الأعالي والنحوت التي لا تستطيع المائة نقل الواحدة منها . قامت مربعة، فلما وصلت إلى السقف ثُمنت، على إحكام بديع،

(١٤) يقول التجاني إن القوس الرومانية تقع بين المدرسة المذكورة وباب البحر فهي إذن تقع إلى الجنوب الغربي من القوس، حيث يقوم مسجد قورجي . ويذكر التجاني (ص ٢١٧) (ص ٢٥٢) أبياتاً من الشعر لأحد العلماء التونسيين يمدح فيها المدرسة مشيداً برياضها وروائعها . ويذكر الكاتب الطرابلسي الخروبي وهو من علماء القرن السادس عشر (مخطوطة ٢٥٠ بمكتبة الأوقاف بطرابلس ص ٣) يذكر عرضاً اسم (مدرسة الرخام) التي يَتمثل أن تطابق المدرسة الموصوفة أعلاه التي لا بد أن تكون قد استعمل بها رخام الآثار الرومانية . وقد تم دمارها في القرن السادس عشر .

وإتقان عجيب صنيع، وهي مصورة بأنواع التصاوير العجيبة، نقشاً في الحجر، وقد بني عليها مسجد يصلى فيه وأخبرت أن ذلك كان لأحد الكبراء حاول هدمها، وأخذ رخامها. وعلى بعض قطعها من الجهة الشمالية أسطر مكتوبة بخط رومي، وقد أخبرني أبو البركات بن الفقيه أبي محمد بن أبي الدنيا عن والده الفقيه أبي محمد، أنه لم يزل معنياً بالبحث عمن يحسن ترجمتها، وأنه وجد نصرانياً يعرف ذلك الخط فذكر له نصه: (أمر ببناء الكنيسة فلان بن فلان من حلال ماله الذي اكتسبه من غلة زيتونه، وفي يوم إتمامه لبنائها أو في يوم شروعه في بنائها وصل إليه الخبر من الشام أن نبياً من العرب ظهر بالحجاز اسمه محمد بن عبد الله)<sup>(١٥)</sup>.

إن هذه الحكاية، والتفسير الغريب للنص، يشهدان على مارسخ في الأذهان حتى ذلك العهد من أخبار الازدهار الماضي الذي عاشت البلاد في كنفه في العهد الروماني، ووفرة إنتاج الزيت بها.

#### ٤ - المقابر

يقول التجاني<sup>(١٦)</sup> إنه شاهد مقابر ممتلئة بالموق (ورأيت مقابر طرابلس كلها، فوجدتها قد امتلأت من بني آدم، وغلبت عظامهم على تراب الأرض فلا ترى منها ملء كف من تراب إلا وعليها جمجمة أو عظم، ولا سيما الجهة الشمالية منها. وكثيراً ما يدفنون هناك الغرباء الذين ليسوا من أهل البلد. وهناك مدفن جثة أبي عبد الرحمن بن يعقوب بن أبي يعقوب بن يوسف بن محمد الهرغي، الثائر بطرابلس<sup>(١٧)</sup>. وكان هذا الرجل قد ظهر في أول دولة الأمير أبي زكريا يحيى ظهوراً عظيماً واشتهر بالإقدام والاقتحام في كل الأمور العظام).

(١٥) التجاني ص ٢١٨ (ص ٢٥٢ - ٢٥٣).

(١٦) التجاني ص ٢٣١ (٢٦٧ - ٢٦٨).

(١٧) أنظر الفصل السابع - الفقرة الخامسة.

ولا بد أن بعض هذه المقابر تقع قرب المحطة الرئيسية حيث عثر على بعض شواهد القبور التي ترجع إلى قرون سحيقة<sup>(١٨)</sup>.

وقد زار الرحالة قبر سيدي عبد الوهاب الذي يوجد خارج السور بين شرق وشمال. ويحتمل ألا يكون الضريح الحالي الموجود بباب البحر قائماً في عهد التجاني، وإلا لوجب أن يتحدث عنه كمسجد لا كضريح. ويذكر الحروي - من القرن السادس عشر - المسجد<sup>(١٩)</sup>.

## ٥ - الأوضاع الثقافية والاقتصادية

كانت طرابلس - كما لاحظ بحق الرحالة التونسي - بعيدة عن الحركة الحضارية. وقد كانت للثقافة الإسلامية مراكز هامة بالمغرب في فاس ومراكش وبإفريقية في القيروان وتونس والقاهرة بمصر وقليل منها بطرابلس. ولكن وجود طرابلس على طريق الحجاج، والاتصال بين الشرق والغرب الإسلاميين، قد هيأ لها فرصة الاحتفاظ ببعض التراث الثقافي المتواضع. وكان المسافرون القادمون من الشرق ومصر وتونس والمغرب والأندلس يحملون معهم أنباء البلدان البعيدة وأحداثها، كما ينقلون الكتب ويقومون بالتدريس. وكان يكفي أن يأتي إلى البلاد، فقيه بصفة (قاض)، أو بتكليف من أحد الأمراء، أو يكون في طريقه إلى الحج، أو موفداً إلى بلاطات أحد السلاطين، حتى يتوقف بضعة أشهر فيلتفّ حوله عشاق المعرفة، ويصبحوا له تلاميذ يتلقون عنه العلم، ويحصلون على إجازته التي تشبه الشهادات الحديثة.

وهكذا نفهم كيف أنه لم يكن لطرابلس - عدا مدة قصيرة من العهد القرمانلي - حظ رعاية الأشخاص الذين يرتبط بهم تقدم العلم والحياة العلمية، فاحتفظت بشكل محدود متواضع - ولكن لا يستهان به - بذخائر العلوم الدينية والدينية.

(١٨) متحف طرابلس.

(١٩) المخطوطة المشار إليها سابقاً في هوامش هذا الفصل. (هامش رقم ١٤).

لقد كان الفقيه المشهور، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي<sup>(٢٠)</sup> الذي عاش بطرابلس، يرد على الذين يسألونه (أنى لك هذا العلم ولم ترتحل؟ فقال: اكتسبته من بابي هواره وزناته، وهما بابان من أبواب البلد نسباً إلى من نزل بهما في أول الزمان، يشير بذلك إلى أنه استفاد العلم من لقاء من يفد على طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرقين والمغربيين)<sup>(٢١)</sup>.

وكان من البارزين آنذاك، أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبيد وهو من المتضلعين من علوم الشريعة الإسلامية. ولد بطرابلس في ٦٣٩ هـ (٤١ - ١٢٤٢ م) وقد تلقى العلم على الفقيه أبي موسى عمران بن معمر من طرابلس<sup>(٢٢)</sup>. وعلى الفقيه أبي عباس بن عيسى الغماري الذي كان قاضياً بطرابلس وعلى أبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن مسلم القاسبي، من قابس. وقد ولي قضاء طرابلس هو الآخر<sup>(٢٣)</sup>.

وكان قد توفي، قبل ذلك، بتونس التي ولي قضاءها، الفقيه الطرابلسي أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات أبي الدنيا، صاحب المؤلفات المشهورة في العقائد والقياس والجهاد<sup>(٢٤)</sup>.

وكان يعيش بطرابلس، ويدرس بها، في ذلك الوقت، أبو الحسن ابن الولي (سيدي عبد الوهاب). وقد ذكر أن قبر الفقيه الإمام أبي إسحاق إبراهيم الأجدابي معظم لدى الناس، وهو صاحب تأليف جلية في النحو والفقه وغيرها<sup>(٢٥)</sup>.

(٢٠) توفي قبل سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) أنظر بروكلمان ج ١ ص ٣٠٨ وتوجد نسخة جيدة مخطوطة من كتابه (كفاية المتحفظ) بمكتبة الأوقاف بطرابلس.

(٢١) التجاني ص ٢٢٩ (ص ٢٦٤).

(٢٢) التجاني ص ٢٥٦: هو الفقيه القاضي أبو علي حسن بن معمر الهواري الطرابلسي، وقد توفي بتونس في أواخر يناير ١٢٨٣ م وقد ذكره الزركشي، طبعة تونس ص ٣٧ وهو أخو أبي موسى عمران كما يبدو من أقوال التجاني ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢٣) التجاني ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢٤) أنظر ترجمته لدى الزركشي ص ٣٤ - ٤١.

(٢٥) التجاني ص ٢٦٢.

وذكر التجاني أن اعتماد المدينة في تموينها (على ما يجلب إليها من البحر، ومن عاداتهم ألا يتركوا أحداً يخرج شيئاً مما حصل ببلدهم من الطعام إلى خارجه ويعاقبون على إخراجه). وإذا صح هذا الخبر فإنه يدل على أن محصول تلك السنوات كان ضئيلاً. ومن جهة أخرى، يستنتج من هذا النص، أن التجارة مع السفن القادمة من سواحل إيطاليا كانت نشطة حينذاك، بطرابلس، كما هو الشأن في شمال إفريقيا بأسرها<sup>(٢٦)</sup>.

ويضيف التجاني أن (طرابلس معدومة المثال في إصابة الزرع<sup>(٢٧)</sup>)، إذا أصابت. وليس يدري مثلها في ذلك، وأشهرها بذلك الفحص الذي يسمونه سوفجين. قال البكري: وربما أنبت الحبة في هذا الموضع في بعض السنين مئة سنبلية).

## ٦ - ضواحي طرابلس

وفي ضواحي طرابلس المدينة، لاحظ الرحالة كثرة المحارس والمساجد. وذكر أن هذه المحارس<sup>(٢٨)</sup> تقع في المرتفعات الحصينة، وهي تصلح لمراقبة الأعداء الزاحفين عن طريق البر أو البحر، وينسب بناؤها إلى الأغالبة (القرن العاشر) الذين شيدوها على طول سواحل إفريقيا والمغرب<sup>(٢٩)</sup>. ويلحق بها في العادة مسجد، وقد زالت عنها فيما بعد الوظيفة الدفاعية لتصبح مجرد أماكن للعبادة.

والمساجد الرئيسية التي ذكرها التجاني هي:

١ - مسجد الشعاب، وينسب بناؤه إلى أبي محمد عبد الله الشعاب الطرابلسي.

(٢٦) أنظر الهامش رقم ٢٠ من هذا الفصل.

(٢٧) الإصابة: يعبر عنها في طرابلس وتونس (بالصابة) وهي وفرة المحصول.

(٢٨) التجاني ص ٢١٣ (ص ٢٤٧ - ٢٥١).

(٢٩) التجاني ص ١٩ (ص ٢٣) - ابن الأثير ج ٧ ص ١٩٦ (ترجمة فانيان ص ٢٤٨) ويقول ابن الأثير إن إبراهيم بن الأغلب (بنى الحصون والمحارس على سواحل البحر حتى كان يوقد النار من سبعة فيصل الخبر إلى الإسكندرية في الليلة الواحدة).



وكان نجاراً مشهوراً بالتقوى والكرامات . وكانت وفاته سنة ٣٤٣ هـ  
(٨٥٧ - ٨٥٨ م) .

٢ - مسجد الخطاب، بخارج المدينة، من جهة الشرق . وقد اشتهر خطابه  
البرقي بكراماته .

٣ - مسجد الجدود، ويعرف أيضاً بمسجد الجدة، لأن إحدى جدات بني  
الأغلب، ثم عرف فيما بعد بالمسجد البارزي<sup>(٣٣)</sup>، لسكنائه به . وهو  
بخارج طرابلس من جهة الجنوب . مشرف على المقابر .

٤ - مسجد المجاز، ومعروف بسكنى الفقيه أبي الحسن علي بن أحمد الخصيب  
الطرابلسي .

وقد ترك لنا التجاني أخباراً عن الأماكن التي زارها ابتداء من الحدود  
التونسية حتى مسلاتة . حيث قطع رحلته وعاد إلى تونس وهو يصف زوارة  
الصغرى<sup>(٣٢)</sup>، وتسمى أيضاً وطن المرابطين (وهي قرية ذات نخل كثير باسقى  
الارتفاع وماؤها في غاية العذوبة . وقد استولى الآن الخراب على هذه القرية .  
فليس العامر منها إلا بعض الغامر . وأهلها قوم من الخوارج غلاة في مذهبهم)  
وشيخهم المجل هو عبد الرحيم الزواري . وأمام زوارة وبمقربة سا قصر  
يسمى وزدر (قدم رسمه، وبقي اسمه، وتخلع أكثر البناء الذي به، وهذا  
القصر هو المشهور ببيع من يجتاز به من الحجاج وغيرهم للنصارى)<sup>(٣٣)</sup> وكان هذا  
الفعل منهم كثيراً شائعاً فيما تقدم، وأما الآن فقد قل ذلك لقلّة العابرين . ثم  
تابع الرحلة ماراً بزوارة الكبرى (وهي قرية أضخم من الأولى، وأكبر غاية، وفي  
أهلها شجاعة موصوفة، وعزة نفس، وطاعتهم للعرب مشوية بعصيان) . ثم

(٣٠) تعرف هذه الحصون باسم الرباطات (جمع رباط) ومنها جاءت كلمة المرابط وتعني الشخص  
الذي يتفرغ للدفاع والعبادة .

(٣١) لعلها مقبرة سيدي منذر .

(٣٢) C.A. Nallino, Venezia e Sfax Nel sec. XVIII Secondo il cronista arabo Maqdish in cen-  
tenario M. Amari, Palermo 1910 P. 351 - 352.

(٣٣) أنظر القسم الثاني من هذا الكتاب .

نزل (دلول) وهي تبعد عن زوارة الكبرى عشرين ميلاً، حيث لاحظ خراب  
البنيان بها.

وفي اليوم التالي وصل إلى تلّيل (وهو حصن في رأس تل مشرف على  
البحر، وأهله برابرة نكّارة موصوفون بخبث وشر). ووصل يوم الاثنين إلى  
زاوغة (ومنها تظهر للمتوسم بعض مباني طرابلس) وبهذه المدينة آثار قديمة  
وأعمدة مرتفعة من الرخام قائمة إلى الآن، لا بناء يكتنفها، ووجدت ساريتين  
منها متجاورتين على شكل واحد، وكل واحدة مؤلفة من أربع قطع في غاية  
الضخامة والارتفاع وحسن الصنعة، غير أن إحداها قد سقطت قطعة من  
أعلىها. فأخبرني أهل الموضع أن بعض كبراء العرب كلّفهم رمي تلك القطعة  
لأنه سمع أن كل قطعة منها مملوءة ذهباً، فرموها فكسروها فلم يجدوا بها  
شيئاً).

ويتابع التجاني وصف رحلته فيشير إلى أنه كانت توجد جانب زاوغة  
(من جهة البحر، آثار المدينة القديمة المعروفة بصبرة قاعدة ذلك الموضع كله،  
ولم يكن هناك أحصن منها) وقد وصف صرمان (زاوية أولاد سهل) بقوله:  
(رابطة حصينة يحف بها شجر كثير من التين والرمان والخوخ، وغير ذلك، ولها  
أرض متسعة تعرف بالسابرية، وسهل صاحب الزاوية كان يعرف بأبي عيسى،  
توفي عام ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ - ١٢٧٥ م)<sup>(٣٤)</sup>.

(ثم زاوية أولاد سنان، وهم أقرباء النوائل، ويحكمهم عبد الله بن  
دباب بن جارية، الشديد القسوة، المشهور بتعذيب البربر)<sup>(٣٥)</sup>. وهناك مجمع  
العرب وسوقهم).

وقريباً من الزاوية قرية الماية<sup>(٣٦)</sup>، وهي قرية صغيرة بها نخل يسير،  
وقصور مرتفعة متفرقة. وبمقربة منها قرقوزة، وبها آثار قديمة.

(٣٤) التجاني ص ٢١١ - ٢١٣.

(٣٥) التجاني ص ٢١٤.

(٣٦) التجاني ص ١٨٥ (ص ٢١٤).

وفي غرة سبتمبر حل التجاني بجنزور: (فرأيت غابة ملتفة الأشجار، وبها مياه عذبة، وأكثر شجرها الزيتون، وأكثره من الغرس القديم على نحو زيتون الساحل. وليس يعظم شجره في موضع من المواضع ما يعظم في هذه القرية، وبها مع ذلك نخل كثير، ورطبه متناهي الطيب، وبها أيضاً شجر التفاح والرمان والعنب والتين كثير. وهي كثيرة القصور وقد استولى الرمل على أكثرها. وهم الآن يتوقعون استيلاءه على باقيها). وكانت فيما تقدم من أملاك أهل طرابلس، فلما وقعت فتنة الميورقي<sup>(٣٧)</sup>، بتلك الجهات، وانقطع بسبب ذلك طرق أهل البلد إليها، وانتفاعهم بشيء من عللها، زهدوا فيها فباعوا من بعض البربر، فهم أصل المجريسين<sup>(٣٨)</sup> (وبها جامع متسع للخطبة، يذكر أن عمرو بن العاص رحمه الله أسسه، واحتجز من هذا الجامع موضع دفنت فيه أم سالم بن مرغم وكثير من ولده).

(ويجاور هذا الجامع قصر خرب متسع يعرفونه بالقصر القديم، ويقال إنه أول قصر بني جنزور، ولم يبق منه الآن إلا سوره المحيط به، وهم يعظمون أمره، ويقولون إن فناء ما بقي منه يؤذن بخراب البلدة وفناء أهلها، وإلى جانب هذا الحائط يكون مجتمعهم لنصب سوقهم وهي سوق نافقة ضخمة يجتمع البربر بها من الأقطار النائية في كل جمعة).

ونورد فيما يلي نص حديث التجاني عن وضع العرب والبربر.

(وأهل زنزور قوم من البربر هواريون ثم مجريسون كما تقدم، وكان لمجريس قبل هذا قوة واشتداد بقريتهم هذه، وامتناع من العرب، ولم يكن أحد من العرب ولا غيرهم يدخل غابتها ولا يتجاوز شجرة واحدة منها إلا بإذن منهم. وكان بها إذ ذاك أجناد مرسومون في ديوان العطاء كلهم من أهلها، قد عدوا هنالك جنداً لمن يلي طرابلس، فكانوا يذيقون الأعراب شراً، ويكفون منهم فساداً كثيراً وضراً. ولم تزل العرب حاقدة عليهم إلى أن ضعف الأمر،

(٣٧) أنظر ما تقدم ذكره في الفصل السابع.

(٣٨) التجاني ص ٢١٤ - ٢١٥. مجريس بربر من بطون هواره.

وتمكن مرغم بن صابر من الدولة، وطلب من الملك أخذه هذه القرية بظهير<sup>(٣٩)</sup>، فأعطىها، وذلك في أول سنة ست وسبعين وستائة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ - ١٢٧٨ م).

ولم يقتنع الجلف مرغم<sup>(٤٠)</sup>، فتوجه إلى طرابلس ليطلع أحد الفقهاء على هذا الظهير، ولم يطمئن إلا بعد أن تأكد من صحته. وأنه يحمل العلامة الجارية<sup>(٤١)</sup>. ومنذ ذلك الوقت أخذ يضطهد السكان البربر إلى أن كاد يفيهم، (وفي وقتنا هذا متفرقون إلى جماعات كثيرة، وأظهر فرقتهم فرقة تعرف بالقياد، وبني سلام، وبني خطاب، وبني مزيلة وبني رزق<sup>(٤٢)</sup> وبني إبراهيم وجميعهم منقسمون بين المراغمة من الجواري على رتبهم، لكل واحد منهم جماعة يجيها ويحميها) (على حسب شجره وسعة أرضه) . . .

وغالباً ما يقوم البربر ببيع نسائهم وأولادهم لدفع الجباية، ويلاحظ التجاني أنه ينتج عن ذلك، أن يصبح أهلها (أجراء للعرب ناصحون واسم الملكية لهم هو النصح في الخدمة)<sup>(٤٣)</sup>.

ويذكر أن قرب البحر ضريح الشيخ أبي محمد عبد الجليل الحكيمي ومسجده. مات وقد نيف على المئة ودفن هناك سنة ١٢٨٦ م. وعلى مسافة يسيرة من هذا المسجد من الغرب، وعلى الساحل أيضاً، مسجد يعرف بسقطة<sup>(٤٤)</sup>، وقد ابتناه الفقيه أبو الحسن السقراطي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ (١٢٢٨ - ١٢٢٩ م).

ويحل الرحالون بجنزور ضيوفاً على سالم بن مرغم، زعيم الجواري.

(٣٩) المقصود ملك تونس.

(٤٠) التجاني ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٤١) العلامة هي الاصطلاح الذي يستعمله ملوك العرب ويدمغون به المراسيم وهي تقوم مقام الختم والتوقيع. (أماري Amari, Diplomi p. 396).

(٤٢) دي أغسطيني ص ٢١١ (سكان طرابلس الغرب).

(٤٣) التجاني ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٤٤) في الخط المرفقة بكتاب (أغسطيني: سكان طرابلس الغرب) (سقطة).

وقام التجاني بزيارة تاجوراء الواقعة شرقي طرابلس<sup>(٤٥)</sup>، وهو يقول عنها: (وهي قرية كبيرة عامرة، وبها قصر متسع، يشتمل على دور كثيرة. وفي وسط هذا القصر حصن أقدم بناء منه. يقال إن حميد بن جارية، أبا الجواري، ابتناه وشارك فيه في العمل بنفسه ليحض أهل الموضع على إتمامه. وهو الذي عمّر هذه القرية، ونقل أهلها إليها من أرض هناك تعرف بأرض عبد رب<sup>(٤٦)</sup>). وكان ابتداء عمراتها في سنة خمسين وخمسة. وهم يدعون أنهم عرب، ويتنسبون إلى تميم. ويذكر أنهم سكنوا الأرض المعروفة بأرض عبد رب، من حين الفتح الإسلامي، ثم نقلهم منها حميد بن جارية إلى هذه القرية).

ويذكر التجاني من مشاهير تاجوراء الفقيه أبا العباس أحمد بن عبد السلام الأموي التاجوري، وهو عارف بالتاريخ والأدب. مات سنة ١٣٠٩ م. ويذكر أيضاً الشريف أبا عبد الله محمد الحسيني التاجوري (وله بطرابلس وجهاتها شهرة عظيمة). وهو عارف بالكيمياء ومتطلع إلى السيادة. مات في طرابلس ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ - ١٢٥٥ م). ويذكر بعد تاجوراء قصر (صيار) (بكسر الصاد المهملة تليها ياء معتلة ثم باء مفردة) وهو معمور. ثم بئر طشانة التي تعرف باسم صاحب القبر القريب منها<sup>(٤٧)</sup>. وهو عربي من دباب (وكان هذا الرجل ذا رئاسة في قومه وصيت بعيد، واشتهر بالكرم، فلم يذكر معه في وقته غيره. . . وهو مشابه لما يذكر عن حاتم).

ويشير بعد هذا المكان إلى (عين تامدنت)<sup>(٤٨)</sup> (بالتاء الصحيحة المثناة وبكسر الميم وكسر الدال المهملة وسكون النون) وهي عين متسعة عذبة الماء، يتضمنها واد متسع، يشتمل على غابات مشتبكة ويعني الرحالة منطقة مسلاتة، ثم عين (فارة) وقصر (فارة) (وهو خال لا عمارة فيه) ثم (قصر الورائيز)<sup>(٤٩)</sup>

(٤٥) التجاني ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٤٦) دي أغسطس ٤٧

(٤٧) الطشاني: لدي أغسطس ص ٥٢

(٤٨) تسمية عربية بربرية (عين تامدنت) ومعناها (عين التين).

(٤٩) قوم من البربر - أغسطس ص ٤٩.

(وهم قوم من هراغة أنزلوا بتلك القصور قديماً، فأجلتهم العرب واحتلتها منهم، فانتقلوا منها إلى أرضهم المعروفة بهم التي بين تاجوراء وطرابلس والقصر المعروف ببني خيار).

ويتابع التجاني الرحلة حتى القصر المعروف ببني خيار، ويذكر أنه كان خالياً خرباً أجلت العرب أهله فانتقلوا إلى المحرس بين قابس و صفاقس. وقد وصل إلى (عين ودرس) (بكسر الواو وسكون الدال المهملة وكسر الراء) وهي واقعة قرب (غانيمة) حيث ضريح الفقيه المشهور أبي الحسن علي بن محمد بن المنمر<sup>(٥٠)</sup>.

وهناك عرضت له علة، فانقلب راجعاً إلى طرابلس، ومنها إلى تونس، بعد أن تعذر عليه مواصلة الرحلة.

## ٧ - الوضع السياسي والاجتماعي في طرابلس الغرب في القرن الرابع عشر

تمكننا رحلة التجاني من رسم إطار عام للوضع السياسي والاجتماعي في طرابلس الغرب في القرن الرابع عشر.

كان يحكم طرابلس ممثل الحفصيين في تونس<sup>(٥١)</sup>. ولكن سلطته كانت منحصرة في المدينة. وعلى طول الساحل يعيش أقوام أغلبهم من البربر المستقرين الخاضعين للعرب المحاربين الذين كانوا يفرضون عليهم الضريبة. وإلى الغرب من قابس كانت السيادة لعرب النواثل، وإلى الشرق منها كانت السيادة للعرب من بني وشاح<sup>(٥٢)</sup>، من بطون دباب. وهم ينقسمون إلى بطون كثيرة منها الجواري<sup>(٥٣)</sup> والمحاميد وجماعات صغيرة أخرى.

(٥٠) التاجوري (كتاب الإشارات) ص ٤٩

هكذا وردت في رحلة التجاني ص ٢٦٥ - ٣١٧ - ٤٧٧ طبعة سنة ١٩٥٨ الصادرة عن كتابة

الدولة للتربية القومية والشباب والرياضة بتونس.

(٥١) لعله يوسف بن الطاهر اليربوعي الذي تقدم ذكره.

(٥٢) التجاني ص ٧٠ - ٩٩ (٨٦ - ١١٨).

(٥٣) التجاني ص ١٧٧ (ص ٢٠٦).

. وكانت للمحاميد أغلبية في منطقة قابس ، ولكنهم كانوا أقلية غربي زوارة .  
ومن زوارة شرقاً حتى طرابلس كانت الأغلبية للجواري . وهم ظاهرون بين القبائل  
ببني مرغم (المرغمة)<sup>(٥٤)</sup> وكان زعيمهم سالم بن مرغم . وإلى الشرق ، نحو  
سرت وبرقة ، كان يعيش أولاد سالم مستقلين<sup>(٥٥)</sup> ، وهم أيضاً من سلالة دباب .  
وكان زعيمهم غلبون بن مرزوق .

ولم تعط لنا الرحلة معلومات عن دواخل البلد ، ويمكن القول بأن البدو  
الرحل وأشباه الرحل من السكان كانوا يعيشون في الدواخل عيشة مستقلة عن  
طرابلس . غير أن البربر الذين كانوا يشكلون الأغلبية في جربة وزوارة ، قد  
احتفظوا بجماعات مستقلة في الدواخل أيضاً في غريان وجبل نفوسة .

---

Roman Muntaner, Chronique d'Agron de Sicilie et de Grèce, nel sec XIV (٥٤)

وقد برر المؤلف المذكور صعوبة الدفاع عن جربة بوجود القبائل العربية المحاربة المحيطة  
 بالمنطقة .

(٥٥) لا يذكر التجاني أولاد سليان الذين كانوا يقطنون المناطق الشرقية من طرابلس .





## الفصل التاسع استمرار الحكم الحفصي - حكم بني ثابت أوبني عمار بطرابلس - فترة الانهيار "القرن الخامس عشر"

- \* استمرار حكم الحفصيين .
- \* بداية حكم بني ثابت بطرابلس ١٣٢٤ .
- \* استيلاء فيليب دوريا على طرابلس ١٣٥٥ .
- \* استمرار أسرة بني ثابت في طرابلس وتدخل ملك صقلية الأراغوني .
- \* نهاية بني ثابت وشجرة الأسرة .
- \* طرابلس في القرن الخامس عشر حتى بداية السيطرة الإسبانية (١٥١٠) .

## ١ - استمرار حكم الحفصيين بطرابلس

لقد عمل أبو يحيى زكريا اللحياني، أثناء إقامته بطرابلس (١٣٠٧ - ١٣٠٩ م) على كسب تأييد العرب من قبيلة الجواري، ثم تابع رحلته إلى الأراضي المقدسة. وفي هذه الأثناء توفي بتونس الأمير الحفصي، وخلفه ابنه أبو البقاء خالد، ولكنه وجد خصماً له في شخص أبي بكر، أمير قسنطينة. ولما عاد اللحياني من الحج، وأطلع على أحوال إفريقية، نادى بنفسه أميراً عليها، وزحف على تونس بجنده الذي استأجره. ودخلها في نوفمبر ١٣١١ م وجلس على عرش الحفصيين<sup>(١)</sup> ولم يطل عهد اللحياني. فقد تخلى عن مساعدته العرب من بني عوف وبني دباب. وعندما أقام أبو بكر في قسنطينة حكومة قوية ثابتة، تبسط نفوذها على المغرب الأوسط ويؤيدها بربر المنطقة، نهض لمنافسة العرش الحفصي. وكان اللحياني شيخاً مسناً فدخله اليأس، وجمع في بداية ١١٣٧ م خزائنه (عشرون قنطاراً من الذهب عدا الفضة والأحجار الكريمة على حد قول المؤرخ التونسي ابن أبي دينار)<sup>(٢)</sup>. واتجه إلى طرابلس حيث استقر بها، وفي الوقت نفسه كان جنوده، وعرب الجواري، يجوبون البلاد. وقد أخضعوا أولاد

- 
- (١) ابن خلدون ج ٦ ص ٣٢٥ - الزركشي طبعة تونس ص ٤٩ (ترجمة فانيان ص ٨٩) في سنة ١٣١٣ عقد اللحياني اتفاقية مع حكومة بيزا الإيطالية اعترف فيه لرعاياها بالحق في أن ينشئوا بمواني مملكتهم - بما في ذلك طرابلس - فندقاً وكنيسة وفرنًا ومقبرة، وأن يتبعوا القنصل في منازعاتهم، وحرية التجارة مع دفع عشر قيمة البضائع الموردة وعشرين في المئة من قيمة المعادن الثمينة. (أماري Amari, Diplomi arabi, serie I dip XXIX)
- (٢) ابن أبي دينار القيرواني (المؤنس في أخبار إفريقية وتونس) طبعة تونس ١٢٨٦ هـ ترجمة:

Pellissier e Rémusat, Paris 1845 p. 238

سالم وأولاد سليمان بطرابلس الغرب الشرقية وبلاد برقة وألزمهم بدفع الضريبة .

وفي تونس كان أحد أبناء اللحياني يدافع عن العرش الحفصي ضد أبي بكر، ولكنه هزم وطرد من تونس، ولجأ إلى المهديّة حيث استقر بها<sup>(٣)</sup>. وحينئذ فكر اللحياني في أن وضعه بطرابلس لم يعد آمناً، فاستجلب ست سفن مسيحية<sup>(٤)</sup> وشحن ثروته وأسرته وابنه عبد الواحد، وترك حكم طرابلس إلى صهرة أبي عبد الله محمد بن أبي عمران. ونشر أشرعته نحو الإسكندرية<sup>(٥)</sup> حيث حل ضيفاً على السلطان قلاوون، وظل بها إلى أن مات سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ - ١٣٢٨ م)، حين كان أقاربه وأبناءؤه ما يزالون يقاومون من أجل استرداد العرش الحفصي بتونس. وأخيراً تغلب أبو بكر على منافسيه. وظلت طرابلس مستقلة عن تونس<sup>(٦)</sup>، تحت حكم محمد بن أبي عمران الذي لم يركن إلى الإستسلام، وتحالف مع أبي ضربة لاسترجاع تونس. وقد وجد تأييداً وتحريضاً من حمزة بن عمر زعيم البدو من عرب بني كعب بإفريقية. وقد استطاعا بمعونة هؤلاء العرب الاستيلاء على تونس في نهاية ١٣٢١ م ولكن سرعان ما طردهما وأجلاهما أبو بكر في الربيع التالي. وقد تعاونت أسرة عبد الواد في تلمسان مع بربر زناتة، وعرب بني سليمان، لمساعدة أبي ضربة ومحمد ابن أبي عمران، ولكن حكم تونس ظل بيد أبي بكر. وقد أنهى أبو ضربة أيامه في تلمسان، وظل محمد بن أبي عمران حاكماً على طرابلس.

وفي عام ٧٢٤ هـ (١٣٢٣ - ١٣٢٤ م) اضطر محمد بن أبي عمران إلى

(٣) ويقول المؤرخون (ابن خلدون ج ٦ ص ٣٣٠ والزركشي ص ٥٣) من ترجمة فانيان إنه قد بنى قصرأ سمي بالطارمة. وقد شيده من الرخام والزليج. أنظر:

Aurigemma, (Le fortificazioni della città di Tripoli), p. 1247

(٤) استأجرها من جربة.

(٥) أنظر ابن خلدون ج ٦ ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(٦) ابن خلدون ج ٦ ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

مغادرة طرابلس بسبب المظالم التي ارتكبتها رجل الحاشية البطيسي الذي قتله السكان الذين أساء معاملتهم. كما قتل قاضي المدينة، وهو في تونس<sup>(٧)</sup>.

## ٢ - بداية حكم بني ثابت بطرابلس قرب سنة ١٣٢٤ م

بعد طرد محمد بن أبي عمران، تولى حكم طرابلس محمد بن كعبور، ولكنه قتل بواسطة سعيد بن طاهر المازوقي الذي أخذ يحكم المدينة مع أبي البركات ابن أبي الدنيا. ولما مات سعيد بن طاهر تولى السلطة أحد البربر من قبيلة زاكوة، من هواره، واسمه ثابت بن عمار، ولكنه بعد ستة أشهر من ذلك سقط قتيلاً على يد أحمد بن الطاهر. وحكم هو بدوره مدة قصيرة، ثم قتله بربر زاكوة انتقاماً منه وأخذاً بالثأر.

وأخيراً، وقرب عام ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ - ١٣٢٧ م) اختار الطرابلسيون حاكماً عليهم، هو محمد، ابن القليل ثابت بن عمار، وهكذا ترسخت في طرابلس الأسرة البربرية (بنو ثابت) وتعرف أيضاً ببني عمار<sup>(٨)</sup> الذين احتفظوا بالحكم مدة تقرب من ثمانين عاماً<sup>(٩)</sup>.

(٧) هذه المعلومات وغيرها من المعلومات التالية لم أستطع أن أعثر عليها في كتاب ابن خلدون طبعة بولاق، وهي توجد في الطبعة المترجمة من قبل دي سلان ج ١ ص ٢٥٦ وج ٣ ص ١٧٢. ويبدو منها أن محمد بن أبي عمران قد تمكن من تدعيم أوضاعه بتونس لفترة أخرى قصيرة، وقد حضر صهره عبد الواحد من الإسكندرية بعد وفاة والده، وتمكن بمساعدة العرب من الاستيلاء على تونس لأيام قليلة (صيف ١٣٣٢) ثم أسره أبو بكر الذي عامله معاملة كريهة وعينه حاكماً على الإقليم الواقع بين طرابلس وقابس، ولكنه مات بالطاعون فور وصوله.

(٨) هكذا في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية أنظر مادة (عمار) حيث تتوفر تفصيلات أوفى عن هذه الأسرة. وانظر أيضاً (المؤرخ التركي منجم باشي ج ٢ ص ٥٩٥) وقد ذكر أسرة بني عمار مؤرخون آخرون من الأتراك. أنظر: هامر Hammer الترجمة الإيطالية ج ١١ ص ٢٢٣ - ٣٤٧ وكذلك حاجي خليفة (تقويم التواريخ) ترجمه إلى الإيطالية ج. ر. كارلي:

G.R.Carli Cronologia Historica Venezia 1960 p. 112.

(٩) هذه المعلومات لا توجد بكتاب ابن خلدون طبعة بولاق وقد استخلصت من ترجمة دي سلان ج ١ ص ٦٥٦ ج ٣ ص ١٧٢.

### ٣ - فيليب دوريا يستولي على طرابلس

يقال. إن محمد بن ثابت حكم طرابلس مدة ثمانية عشر عاماً<sup>(١٠)</sup>. وكان يعيش حياة متواضعة يخفي تحتها طموحه إلى الحكم، وكان يشتغل بالتجارة ويرتدي ثياب التجار العاديين، ويسير في الأسواق، ويعامل الناس معاملة لطيفة، وقد استدعى وكيلاً عن السلطان الحفصي بتونس لإدارة البلاد وترك لنفسه مظهر السيادة.

وفي هذا الوقت أخذت سلطة المرينيين وقوتهم في الازدياد، فطاحوا بالحفصيين، واستولى أحدهم، وهو المعروف بأبي الحسن في ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م. على تونس، وتلقى ولاء محمد بن ثابت حاكم طرابلس. وعندما استعاد الحفصيون عاصمة حكمهم، ظلت طرابلس مستقلة وخلف محمد الذي قتلته إحدى القبائل، ابنه ثابت. (يبدو أن ذلك قد تم حوالي ١٣٤٧ م). وكان على خلاف والده، إذ أخذ يتصرف تصرف الملوك وأحاط نفسه بحاشية رائعة ممتازة. وفي عهده أبحر الأميرال الجنويّ فيليب دوريا Filippo Doria من جنوا في حملة على سردينيا. ولما فشل في هذه الحملة فكر في الهجوم على طرابلس التي كان يعلم هو ورفاقه شيئاً عن وسائلها الدفاعية الضعيفة وازدهارها النسبي. وما كادت جنوا تعلم بهذه الحملة حتى تبرأت منها، وقاطعت دوريا<sup>(١١)</sup>.

(١٠) ولكن حكمه لا بد أن يكون قد دام ٢١ سنة إذا صح أن وفاته كانت في سنة ١٣٤٨. أنظر الصفحة التالية.

(١١) C. Manfroni, Tripoli nella storia marinara d'Italia, Padova 1912.

Picca, L'Italia e la Tripolitania attraverso la Storia, Roma 1911.

Manfroni, L'Italia nelle vicende marinare della Tripolitania, Verbania 1942 p. 44 - 46 - 60.

G. Stella, Annales genuenses 1298 - 1409 in Rerum Italicarum Scriptor vol XVII col. 1093.

استعاد الشاعر الإيطالي داننزيو ذكرى هذه الحملة في (أنشودة الدم) ضمن القصائد التي أنشأها في تمجيد الحملة الإيطالية على ليبيا.

واستناداً إلى المصادر العربية فلإن التجار من جنوا كانوا يترددون على طرابلس، فلاحظوا ضعف تحصيناتها، فأغرامهم ذلك بالهجوم عليها. وفي عام ٧٥٥ هـ (٢١ يناير ١٣٥٤ - ١٥ يناير ١٣٥٥ م)، تجمعوا في الميناء<sup>(١٢)</sup> ثم انتشروا في الأسواق منصرفين إلى أعمالهم التجارية، ثم قاموا أثناء الليل بتسليق الأسوار، واستولوا على المدينة، فأعلن الفزع وارتاع الناس الذين خرجوا من بيوتهم للمقاومة، فلما رأوا الأعداء قد تمكنوا من الأسوار، لم يفكروا في غير النجاة بأنفسهم. ولجأ ثابت بن محمد إلى أولاد مرغم، من عرب قبيلة الجواري، فقتلوه وأخاه عمّاراً أخذاً بثأر سابق. وكانت مدة حكمه ستة أعوام<sup>(١٣)</sup>.

وكانت الغنائم وفيرة - طبقاً لما تؤكد المصادر الإيطالية المعاصرة - وقد بلغت مليوناً وثمانئة فيورين Florino من الذهب، بين نقود وبضائع، وسبعة آلاف أسير، واحتفظ الجنويون بالمدينة عدة أشهر<sup>(١٤)</sup>، ثم باعوها بمبلغ خمسين ألف قطعة<sup>(١٥)</sup> إلى أحمد المكي (صاحب قابس الذي جمع المبلغ مما عنده، واستوهب الباقي من أهل قابس والحامة وبلاد الجريد فجمعوها له حصة ورغبة في الخير<sup>(١٦)</sup>).

وبفرار ولدي ثابت إلى الإسكندرية بمصر، ظلت السيادة في طرابلس بيد أحمد المكي الذي اعترف بالسيادة العليا للمرينيين حتى سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٥ -

(١٢) يحدد فيلاني Villani تاريخ هذه الغزوة بسنة ١٣٥٤ م بينما يحدده ستيل Stella بسنة ١٣٥٥، ويرى مؤرخ عربي، هو القيرواني (طبعة تونس ص ١٤٠ - ١٤١) أنها قد وقعت بتاريخ ٧٥٦ هـ، وتقع هذه السنة بين التاريخين الميلاديين التاليين (١٦ يناير ١٣٥٥ - ٤ يناير ١٣٥٦).

(١٣) ابن خلدون طبعة دي سلان ج ١ ص ٦٥٩ ترجمة ج ٣ ص ١٧٥. أنظر أيضاً ملاحظة:

R. Brunschvig, Arabica, II 1956 p. 228.

(١٤) خمسة أشهر حسب رأي القيرواني - تونس ص ١٤١.

(١٥) خمسون ألف مثقال من الذهب حسب رأي ابن خلدون.

(١٦) ابن خلدون - المصدر السابق - ابن بطوطة (تحفة النظار) طبعا باريس ١٨٧٤ - ١٨٧٩ ج ٤ ص ٣٥٠. الزركشي ص ٨٠ (ترجمة فانيان ص ٤٧).

١٣٦٦ م)<sup>(١٧)</sup> وهو العام الذي خلفه فيه على الحكم ابنه عبد الرحمن.

#### ٤ - استمرار أسرة بني ثابت وتدخل ملك صقلية الأراغوني بطرابلس

في السنة ٧٧١ هـ (١٣٦٩ م) استغل أبو بكر بن محمد بن ثابت عودة السيادة الحفصية إلى تونس، فاستأجر بالإسكندرية سفناً مسيحية حاصر بها طرابلس، واجتذب إلى جانبه البدو من العرب، ثم هاجم المدينة واستولى عليها. واعترف بالسيادة الحفصية، وبعث لهم الهدايا ودعا باسمهم في خطبة الجمعة. وحين توفي أبو بكر في ٩٧٢ هـ (١٣٨٩ م) انتهى الحكم إلى ابن أخيه علي بن عمار. وكانت قيادة الجيش بيد قاسم بن خلف الله. وقد شك علي بن عمار في إخلاص قاسم، وداخلته ريبة في رغبته في تأييد حقوق يحيى في الحكم، وهو ابن أبي بكر بن ثابت، وكان حدثاً صغيراً. فبادر إلى إبعاد القاسم عن طرابلس بحجة جمع الضريبة من مصراتة، ثم سمح له بالعودة إلى طرابلس. ولكن قاسماً كان يخاف على حياته، فاستأذن في السفر إلى الحج، فأذن له. والتقى في الإسكندرية بأحد أعوان سلطان تونس، وتمكن بفضل حمايته من التحول إلى تونس حيث حرض السلطان على احتلال طرابلس. فأرسله السلطان على رأس قوة صحبة ابنه أبي حفص عمر.

وقد استمر حصار مدينة طرابلس حولاً كاملاً. وصمد بن عمار بعناد في وجه الجيوش الحفصية، وفي وجه العرب الذين أغرتهم الأموال التونسية. واضطر جيش الحفصيين إلى العودة إلى تونس في ٧٩٣ هـ (١٣٩٢ - ١٣٩٣ م)<sup>(١٨)</sup> واستطاع علي بن عمار أن يحتفظ باستقلاله عن تونس عدة

(١٧) في معاهدة معقودة سنة ١٣٥٨ بين مدينة بيزا الإيطالية والسلطان المريني فارس أبو الحسن ورد ذكر طرابلس بين البلدان التابعة للسلطان. ولكن أحمد بن المكي لم يكن ليكتسب بسيادة سلاطين فاس البعيدين عنه، فقد عقد في سنة ١٣٥٦ م مباشرة مع الفينيسيين معاهدة تجارية في بلاطه بطرابلس. أنظر: أماري:

Amari, Diplomi arabi serie 2° depl. XXXI e Appendice.

(١٨) ابن خلدون ترجمة دي سنان ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٦.

أعوام، ولكنه اضطر إلى البحث عن سند خارجي فجاءه العون من مملكة صقلية. وكان ملوك صقلية الأراغون قد عادوا في نهاية القرن الرابع عشر إلى الاهتمام بشؤون إفريقيا الشمالية. وعادتهم الرغبة في احتلال جربة التي خرجت من أيديهم سنة ١٣٣٤ م. وقد تمكن الأميرال الصقلي (مانفريدي كياروموني من احتلال جربة في سنة ١٣٨٨ م بمساعدة السفن الجنوبية، ولكنه قاد الحملة لحسابه الخاص متأسياً بسلوك (لاوريا Lauria) الذي قام به قبل قرن من ذلك التاريخ، إذ طلب من البابا أن يخصه بالجزيرة، وينصبه حاكماً عليها، فتم له ما أراد، ولكنها لم تلبث أن أعلنت الثورة والاستقلال حتى عن تونس.

وكلف مارتينو الصقلي الكبير Martino il Vecchio ١٣٩٢ م غوليلم تالامانكا Guglielmo Talamanca وفيتودي مالدونديس Vito de Malcondignis بالذهاب إلى تونس ليطلبوا من السلطان أبي العباس إعادة جربة، أو المساعدة في إعادة احتلالها. ولا نعلم ما إذا كانت هذه السفارة قد تمت، أم لم تتم. ولكن من الثابت أن الجربة قد ظلوا على استقلالهم عن سلطان تونس، وأنهم قبلوا في العام التالي، مع ملك طرابلس، عون الملك مارتينو الصغير، ضد السلطان.

وقد بعث هذا الملك إلى إفريقية غوليلم تالامانكا، وأوغوني دي سانتا باشي Ugone di Santa Pace مفوضين تفويضاً تاماً، ومعتمدين بوثيقة رسمية مؤرخة في ٢٢ إبريل ١٣٩٣ للتفاوض مع أمير طرابلس وسكان جربة على أسس إعادة القلعة وجزيرة جربة بكاملها، وتحرير الأسرى المسيحيين ودفع تعويض معين. وقبل أن يسافر المبعوثان (مايو ١٣٩٣) وصل إلى الملك مارتينو، وفد من طرابلس وجربة لإبلاغه بأنهم قد رفعوا علم الملك فوق تلك المواقع، وهم يدعونه لإرساله من يستلم شؤون طرابلس وجربة<sup>(١٩)</sup>.

Rosario Gregorio, Considerazioni sulla storia di Sicilia, libro V cap. VII - 166 in Opere (١٩) scelte 3° ed. Palermo 1845 p. 443.

F. Cerone, Seconda spedizione di Alfonso V contro l'isola di Gerba in annuari de l'Institut

d'Estudis Catalans 1990 - 1910 p. 67 - 69.



وقد تم فعلاً لرسولي الملك الاستيلاء على جربة واحتفظا بها حتى ١٣٩٩ م، وهو العام الذي استعاد فيه سلطان تونس كلاً من جربة وطرابلس.

## ٥ - أسرة بني ثابت - شجرة الأسرة

في سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ - ١٣٩٨ م) حضر سلطان تونس أبو فارس عبد العزيز إلى طرابلس، وأزاح علي بن عمار، وعين بدلاً منه ابن عمه يحيى بن أبي بكر بن ثابت<sup>(٢٠)</sup>. ثم عاد في خريف عام ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) واستولى على المدينة بعد حصار طويل، وعين حاكماً (قائداً) يتولى شؤونها باسمه مباشرة<sup>(٢١)</sup>.

وهكذا انتهت على هذا الوجه أسرة بني ثابت أو بني عمار التي يمكن أن تشكل شجرتها على النحو التالي:

عمار  
ثابت  
(١٣٢٤)  
محمد  
١٣٢٧ - ١٣٤٨ ؟

ثابت	عمار	أبو بكر
١٣٤٨ - ١٣٥٥ ؟		١٣٦٩ - ١٣٨٩
أبو بكر <sup>(٢٢)</sup>	علي	
يحيى	عبد الواحد	١٣٨٩ - ١٣٩٨
١٣٩٨ - ١٤٠٠		

G. La Mantia, La Sicilia e il suo nuovo dominio nell. Africa Settentrionale dal sec XI al XVI in An. Storico Siciliano Nuova Serie XLIV 1922 p. 201.

(٢٠) هكذا يستنتج من ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٥ ترجمة دي سلان.

(٢١) الزركشي طبعة تونس ص ١٠٥ ترجمة فانيان ص ١٩٥.

(٢٢) يرى المؤرخ (منجم باشي) أنه حكم بالاشتراك مع أخيه.

## ٦ - طرابلس خلال القرن الخامس عشر حتى الاحتلال الإسباني

ظلت المملكة الحفصية تحتفظ بطرابلس طوال العشر الأوائل من القرن الخامس عشر. أي أثناء العهد المديد للأمير القوي أبي فارس عبد العزيز (١٣٩٣ - ١٤٣٤ م) الذي اعتاد أن يقود بنفسه حملاته العسكرية في أطراف مملكته الشاسعة. ثم أخذت سلطة تونس تخف، وتتابع الثورات التي ساهم فيها عنصر جديد (المرابطون أي الأولياء)<sup>(٢٣)</sup>. وهو العنصر الذي أخذ في هذا القرن بالذات يؤثر على الحياة في كافة أطراف إفريقيا الشمالية التي أصبحت تعرف في هذا العهد لدى الأوروبيين باسم (بربريا Barberia)<sup>(٢٤)</sup>.

وفي ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م) بعث قائد طرابلس نبيل بن أبي قضاية برأس أحد المرابطين من الدواخل ويدعى ابن أبي سانونة. وفي نفس العام توفي بطرابلس محمد المنصور بن السلطان الحفصي، ونقل جثمانه إلى تونس<sup>(٢٥)</sup>.

وفي نهاية ١٤٥١ تتحدث الأخبار المتوفرة لدينا عن حملة قام بها السلطان الحفصي، في إقليم طرابلس، من أجل جباية الضرائب. وفي خريف ١٤٥٦ -

(٢٣) عن (المرابطة) في القرن الرابع عشر بالشمال الأفريقي انظر:

R. Brunschvig, La Berbérie orientale sous les Hafsides, II, p. 336 - 341.

(٢٤) نرى أن نذكر هنا بحكم قرب الموقع والمعاصرة الحملات الأخيرة للملك الأراغون بصقلية على جربة. ففي سنة ١٤٢٤ قام (أنفانتي دون بدرو I. Don Pedro أخو الملك ألفونسو الخامس بقيادة فرقة قوية ضد جربة، وعندما أحبطت المباغطة اتجه إلى فرقة وهاجمها وقتل سبعمائة من سكانها وأسر ثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسين أسيراً، وقد افتداهم التونسيون بالذهب، وتبادل الأسرى المسيحيين الذين حملتهم نفس السفن إلى سيراكوزة في ١٤ أكتوبر ١٤٢٤.

وفي سنة ١٤٣٢ قام الملك ألفونسو شخصياً بالإقلاع من برشلونة ماراً بـسردينيا وصقلية ومالطا واتجه بأسطوله نحو جربة (١٥ أغسطس) ونزل بها وقاد عدة حملات فاشلة ضد المدافعين عنها الذين كان يقودهم السلطان التونسي نفسه. وأخيراً انسحب بحملته إلى صقلية. انظر:

F. Cerone, art. cit. in Annuari de l'institut d'Estudies Catalans 1909 - 1910 (document aragonesi inediti).

(٢٥) الزركشي ص ١١٢ (ترجمة فانيان ص ٢٠٧).

١٤٥٧ م خرج السلطان من جديد بجيشه، وبعث وزيره إلى طرابلس لينحي القائد ظافر، ويستبدله بقائد آخر اسمه رضوان<sup>(٢٦)</sup>.

ومر السلطان الحفصي على رأس حملته بطرابلس عام ٨٦٣ هـ (١٤٥٨ م) وتابع سيره حتى تاورغاء. وعند عودته ولى أبا النصر جاء الخير قائداً على طرابلس<sup>(٢٧)</sup>.

وبانحياز مملكة الحفصيين شكلت البلدان الشرقية منها (قابس والجريد وطرابلس) حكماً ذاتياً قريب الشبه بالجمهورية. وكان لطرابلس مجلس (شورى) يرأسه (شيخ).

أما السلطة التي يتألف منها الزعماء المحليون في هذا العهد، فهي غير واضحة لدينا كل الوضوح. وطبقاً لما يورده المؤلف الفرنسي المجهول<sup>(٢٨)</sup>:

*Histoire Chronologique du Royaume de Tripoli de Berbérie.*

فإن الشيخ المعروف باسم (سيدي منصور) قد بوع أول ملك مستقل على طرابلس تحت حماية ملك تونس. وقد قتل عام ١٤٧٢ وخلفه يوسف الذي قتله الطاعون عام ١٤٨٠ م. ودعي الشعب بعد وفاته إلى الاجتماع بالمسجد الكبير، وبإيعاز الأمير (مامي؟ Mami) بإجماع الحاضرين. وقد خلفه في سنة ١٤٩٢ م

(٢٦) الزركشي ص ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٥ (ترجمة فانيان ص ٢٣٦ - ٢٤٦ - ٢٤٧) لا يبدو صحيحاً ما يراه برونشفيق: من أن ظافراً قائداً طرابلس هو ظافر بن جاء الخير الذي عين في سنة ١٤٦٣ قائداً لتونس ونائباً للسلطان في حالة غيابه (الزركشي ص ١٤٠ - ترجمة فانيان ص ٢٥٧).

(٢٧) الزركشي ص ١٣٥ (ترجمة فانيان ص ٢٤٧) يكاد يكون من المؤكد أنه هو القائد أبو نصر، ابن القائد أبي مسرور الجاء الخير المتوفى في ١٠ شعبان ٨٧٣ الموافق ١٣ فبراير ١٤٦٩ ويوجد شاهد قبره لدى المركز ليطوريو دي جريجوريو بمسينا، ولا نعلم إذا عثر عليه بطرابلس أو بتونس.

((٢٨)) توجد بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٢١٩ - ١٢٢٠ وقد نشر البروفسور أوريجمما وصفاً مستخلصاً منها لمدينة طرابلس في مجلة المستعمرات الإيطالية:

S. Aurligemma, Una descrizione di Tripoli nel sec XVII in Riv. delle Colonie Italiane VI - 1932 P. 178 - 189 - 259 - 272.

كما يعتمد أيضاً (فيرودي) في كتابه حوليات طرابلس الغرب على هذا المصدر ص ١٧ - ١٨.

الشيخ عبد الله. ويبدو أن هذا الشيخ كان يحكم البلاد حكماً ذاتياً حين هاجمها الإسبان في سنة ١٥١٠ م.

ويؤكد (فيروود<sup>(٢٩)</sup> Féraud) في خبر يبدو أنه مستخلص من كتاب المؤلف المجهول أن آخر شيخ بطرابلس هو عبد الله، وكان رجلاً تقياً ورعاً صالحاً متعصباً لدينه، وقد حمل هذا التعصب على أن يعد فرقة من السفن الصغيرة لمضايقة المسيحيين. وكانت له مع ذلك علاقات تجارية مع صقلية ورودس.

أما المعلومات التي نعرفها على نحو مؤكد وثيق عن تاريخ طرابلس خلال نصف القرن الذي سبق الحملة الإسبانية، فهي ضئيلة وقليلة. وتسمح لنا بعض المعلومات والأخبار المستخلصة من مصادر مختلفة، بعد الفحص والتقييم، بإيضاح بعض الوقائع والأحداث. ويمكن الظن بأن تبعية طرابلس لتونس لم تتوقف نهائياً في سنة ١٤٦٠ رغم أنه من الثابت أن هذه التبعية قد خفت بشكل قوي جداً، وقد تخللها في الغالب ثورات وإقامة حكومات محلية.

ويلاحظ مؤرخ عربي مصري<sup>(٣٠)</sup>، هو ابن إياس، أنه في صيف سنة ١٤٦٨ م وصل إلى مصر خبر وفاة صاحب طرابلس. دون أن يذكر اسمه. وأنه قد قتل في طرابلس في خريف ١٤٩١ م ابن أبي النصر جاء الخير (في النص: رجاء الخير) (الذي كان من أبرز أعيان العرب) وكان ابناً للقائد الذي تركه السلطان الحفصي بطرابلس الغرب سنة ١٤٥٨ م كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ويمكن أن نربط بين هذه الأخبار والأخبار التي يرويها لنا (ليون الإفريقي<sup>(٣١)</sup>)، بأن السلطان أبا زكريا الثالث بن مسعود قد استولى على طرابلس (١٤٨٨ - ١٤٨٩ م) وربما كانت هذه آخر المحاولات لإعادة السيادة الحفصية إلى طرابلس.

(٢٩) فيروود ص ١٨.

(٣٠) تاريخ مصر - القاهرة - ١٢١١ - ١٣١٢ ع ٢ ص ٩٩ - ٢٧٢.

(٣١) ترجمة (ج. تمبورال Temporal) نشر سكيفر Schefer باريس ١٨٩٦ ج ٣ ص ١٨٦. وطبعة راموزيو Ramusio فينيسيا ١٨٣٧ ص ١٢٧ (القسم الخامس - ٥١).

وحسب رأي مارمول<sup>(٣٢)</sup> فإن سكان طرابلس قد ثاروا قرب سنة ١٤٩٠ م بسبب المظالم التي أنزلها بهم (Bu Camen) حفيد زكريا ملك تونس<sup>(٣٣)</sup>. وقد اختاروا أحد الزعماء لرئاسة حكومتهم. وقاموا - بمساعدة العرب - بتسميم القائد التونسي الذي أرسل لمقاومتهم. وظلوا تحت سيادة ذلك الزعيم حتى صار هو نفسه طاغية، فأزاحوه وانتخبوا بدلاً منه أبا بكر عبد الله، وهو أحد الأعيان الزاهدين الناسكين. وقد لبث في الحكم حتى وصل إلى طرابلس الكونت بدرو دي نافارو في سنة ١٥١٠ على رأس الحملة الإسبانية.

هذه الأخبار المستخلصة من المصادر العربية والغربية لم تزدل لدينا وضوحاً، بل لعلها ازدادت تعقيداً وغموضاً بالمعلومات التي كتبها بيري ريس<sup>(٣٤)</sup>، قريب البحار والقرصان (كمال ريس) فهو يقول: (إنه بعد وفاة السلطان عثمان تولى الحكم ابنه أبو بكر، وقد قتله قريبه يحيى بن مسعود الذي اعتلى حينذاك العرش الحفصي، ثم قام خليفته<sup>(٣٥)</sup> بإرسال وزيره لاحتلال طرابلس. وأن الطرابلسيين الذين كانوا قد سثموا حكم الحفصيين قد طردوه وانتخبوا شيخاً عليهم، من بين التجار، وكان رئيس جماعة قرصانية. وبعد أن قتل هذا الشيخ على يد شاب، استدعوا عريباً اسمه عباس، وأسندوا إليه حكم المدينة. وحين كان (كمال ريس) بطرابلس، صحبة قريبه (بيري ريس) في سنة

(٣٢) مارمول ج ٢ ص ٣٠٠ ويحتمل أن تكون معلومات مارمول مستقاة من ليون الإفريقي. وقد ردها أيضاً نيكولو دي نيكولاي:

Nicolo de Nicolai: Navigation et Viaggi, Venezia 1580 P. 20 - 21.

(٣٣) حكم زكريا تونس من ٤٩٠ إلى ٤٩٤، أنظر:

R. Brunschvig in Revue Tunisienne. N.S. fasc. 1, 1930 P. 38 - 48 e la Berbérie orientale sous les Hafside 1, P. 227 - 278.

(٣٤) استقيت هذه المعلومات من الطبعة المصورة الصادرة بالآستانة في ١٩٣٥ تحت إشراف الجمعية التاريخية التركية. وقد قارنت هذا النص بنص المخطوطة رقم ٥٦٢ ب Millet Kutubkhànesi بالآستانة.

(٣٥) تولى أبو عبد الله محمد بن الحسن السلطة في ١٤٩٤. أنظر:

Brunschvig op cit. 1 - 280.

٩١٣ هـ (١٥٠٧ - ١٥٠٨ م)، سلم إليه سكان طرابلس التماساً حتى يرسل إليهم حاكماً من قبله<sup>(٣٦)</sup>، (سجق بك). وحين عاد (بري ريس) إلى الشرق بلغته الأنباء باحتلال الإسبان لطرابلس.

وفي رأي المؤرخ التونسي (القيرواني)<sup>(٣٧)</sup> أن قسماً كبيراً من المملكة الحفصية قد استقل عن تونس في عهد السلطان محمد (ابن الحسن ١٤٢٦ - ١٤٩٤ م). وقد أعلنت طرابلس استقلالها في عهد المدعو محمد بن الكرب الذي سلم المدينة إلى المسيحيين.

ويمكن أن نستخلص بعض الإشارات والتلميحات إلى الأوضاع العامة بطرابلس، خلال الأعوام العشر التي تقدمت الاحتلال الأسباني، من الأخبار الخاصة بالعلاقات التجارية مع الدول الإيطالية. ورسالة (مارشيللو Marcelle) عن حركة التجارة مع بربريا تفيد بأن بعض سفن البندقية التي حلت بميناء طرابلس ١٤٩٦ قد وجدت تعليقات تمنع شحنها أو تزويدها حتى بالمياه، وقد صدرت هذه التعليقات من سلطان تونس<sup>(٣٨)</sup>، مما يدل على أن سيادته ما تزال قائمة على طرابلس ومعتزاً بها حتى ذلك الوقت. وتؤكد هذا الافتراض رسالة أخرى موجهة من حكومة جنوا إلى سلطان تونس بتاريخ ٢٤ يناير ١٤٩٨ تتضمن الاحتجاج على أسر زورق النبيل بترودي فيسكو من رعايا جنوا، في مياه بونة، (من قبل سفيتتين تركيتين جرى تجهيزهما في بلادكم بطرابلس كانت بواسطة العرب والأتراك<sup>(٣٩)</sup>). بينما نجد، بعد عدة أعوام من ذلك، حكومة

(٣٦) هكذا في المخطوطة رقم ٥٦٢ في (Millet Kutubkhanesi) بينا في الطبعة المصورة (٩١٠ هـ) (١٥٠٤ - ١٥٠٥ م). ولقد سبق أن جاء كمال ريس إلى طرابلس في ١٥٠١، ويقال إنه كانت له زوجة بها، حسب ما أوردته يوميات - مارين سانودو. ص ١٠٦ ج ٤.

Marin Sanudo IV P. 106)

(٣٧) طبعة تونس ص ١٥٠.

(٣٨) Malipiero, Annali Veneti in Arch. Storico Italiano VII. I. 1843 P. 632.

(٣٩) E. Marengo, Genova e Tunisi 1388 - 1515 in att. Soc. Ligure di Storia Patria XXXII

1901 - P. 198.

يلاحظ الوجود التركي بطرابلس في نهاية القرن الخامس عشر.

جنوا توفد غاسبارو دي سوبرانيس دوناتو Gasparo De Sopranis Donato إلى  
ملك تونس ليستوضح عما إذا كانت شروط السلم ستضمن جربة وطرابلس أو  
تستبعدهما، إذ لا يبدو أن تلك البلدان كانت تطيعه في ذلك الوقت طاعة تامة  
(In buona obbendencia) (٤١).





# الفصل العاشر نظرة عامة إلى علاقات طرابلس بأوروبا في القرون الوسطى

\* العلاقات التجارية  
\* حوادث، قرصنة، استرقاق.

## ١ - العلاقات التجارية

كانت العلاقات التجارية الأولى لطرابلس بأوروبا تتم عبر صقلية وجزر البحر الصقلي (الأرخبيل المالطي ومنتالبريا) التي استولى عليها العرب في القرن التاسع الميلادي. وظلت هذه العلاقات قائمة حتى في عهد النورمان، وتطورت بصفة خاصة عندما وضع النورمان أقدامهم في الشمال الإفريقي وطرابلس ذاتها (القرن الثاني عشر). ويقول الإدريسي<sup>(١)</sup> الجغرافي العربي الذي ألف في منتصف القرن الثاني عشر، إن ميناء شياكا Sciacca بصقلية كان غاصاً دوماً بالسفن، إذ كانت تتردد عليه بصفة مستمرة سفن إفريقية، وطرابلس الغرب (بربريا). وقد استمرت كثافة المبادلات بين طرابلس وصقلية حتى في القرون التالية، بالنظر إلى القرب النسبي، والاهتمام المتزايد الذي كان يبداه حكام صقلية بتلك الأقاليم. فلم يقتصر الصقليون على احتلال طرابلس من ١١٤٦ - ١١٥٨ م والتدخل في شؤونها قرب ١٣٩٣ م وبصفة مباشرة في ١٣٩٣ م. ولكنهم كانوا لفترة امتدت عشرات الأعوام سادة (جربة) ١١٤٢ - ١١٥٣ م و ١٢٨٥ - ١٣٣٤ م كما قاموا بحملات على جربة وقرقنة في ١٤٢٤ - ١٤٣٢ م<sup>(٢)</sup>.

وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر أصبحت علاقات طرابلس

(١) Amari, Biblioteca arabo - Sicula, 1 p. 78 L'Italia descritta nel (Libro di Re Ruggero) compilato da Edrisi ed. e trad. Schiaparelli Roma 1883 p. 32 trad. p. 37).

ويقول هذا المصدر نقلاً عن مصادر عربية وإسبانية إن طرابلس كانت في القرن الثاني عشر مدينة مزدهرة لقربها من صقلية ومالطا بصفة خاصة ص (٣٢٤).

(٢) أنظر الهامش رقم ٢٤ من الفصل السابق.

بصقلية متداخلة متشابكة مع الأسواق القشطالية النابوليتانية. وكان ثمة تجار صقليون بطرابلس سنة ١٤٤٤ م. وكانوا مهتمين بصفة خاصة بالمفاوضات الجارية حينذاك بين الملك الفونسو (Alfonso il Magnanimo) والسلطان الحفصي، أبي عمر عثمان، لإبرام اتفاقية كانت قد صيغت بنودها أكثر من مرة، ووقعها الملك ألفونسو، ولكنها لم توقع من الطرف الثاني. وفي سنة ١٤٧٧ م تمكن الملك فرديناندو دأراغونا (Ferdinando d'Aragona) من إبرام اتفاقية كان من المقرر أن تشمل نظرياً حتى طرابلس، رغم خروجها في ذلك الوقت عن حكم تونس تقريباً<sup>(٣)</sup>. وكانت الغاية من المفاوضات بين الملك فرديناندو والحفصيين غاية تجارية محضة. ومنذ القرن الثاني عشر وما تلاه (خاصة بعد الدمار الذي لحقه العرب المهاجرون من بني هلال بإفريقية) كانت تلك الأقاليم تزود بالقمح من صقلية. بالإضافة إلى أن التجار الصقليين والقشطاليين كانوا يتعاملون مع الموانئ الإفريقية لتصريف بعض البضائع الأخرى ومبادلتها. وقد اجتذبت الموانئ التونسية أكثر هذه التجارة، ولكن الموانئ الساحلية بطرابلس كانت أيضاً نشطة، تردد عليها السفن. وكان إيواؤها ضرورياً للسفن التي تعمل في الحركة التجارية بين موانئ مصر وسوريا. وقد كانت إحدى البنود الرئيسية في هذه الاتفاقيات تقضي بالالتزام بنجدة السفن الغارقة قرب السواحل واحترامها. وقد غرقت سفينة بندقية بسواحل طرابلس سنة<sup>(٤)</sup> ١٤٩٧ بينما كانت عائدة من الإسكندرية، حاملة بضائع التجار العرب. وتتردد مثل هذه الوقائع كثيراً في وثائق ذلك العصر.

وقد كان لفينييسيا (البندقية) في القرن العاشر علاقات تجارية مع المهديّة وطرابلس (الخاضعتين آنذاك للحكم العبيدي الذي كان يشمل صقلية ومالطا)

(٣) أنظر بشأن هذه المفاوضات:

F. Cerone, Alfonso il Magnanimo e Abu Amar Othman. Trattative e Negoziati tra il Regno di Sicilia di qua e di là del Faro e il Regno di Tunisia (1432 - 1454) in Arch. Storica per la Sicilia orientale, IX 1912 p. 45 - 70, X 1913 p. 22.

Malipiero, Annali Veneti in archivio Storico Italiano, VII part II (1844) p. 635 (M. Sano, Diari, I, col 605 - 15 - 4 - 149.

وتشهد محاضر مجلس الشيوخ بفينيسيا على وجود مثل هذه العلاقات حتى سنة ٩٧١<sup>(٥)</sup>. وفي القرن الرابع عشر تبدو فينيسيا وهي تحظى بنظرة خاصة بين المدن التجارية المتنافسة المتزاحمة، إذ كانت تنافس، وبنصيب أوفر من التفوق والنجاح، مدن جنوا وبيزا والأراغونيس، حول أسواق إفريقية. وقد استطاعت بإحجامها عن المغامرة والدخول في عمليات الاحتلال أن تعقد اتفاقيات عادت عليها بالفائدة والنفع.

ومنذ بداية ذلك القرن - وربما قبل ذلك - كان امتياز استثمار ملاحات رأس المخبز (زوارة) خاصاً بفينيسيا، وقد احتفظت بهذا الامتياز مدة خمسة قرون<sup>(٦)</sup>، عدا فترات بسيطة محدودة. وفي وثيقة من فينيسيا ترجع الى ١٣٢١ نجد الحديث عن ملح رأس المخبز قرب جربة (De Raxababese sen de li gerbi). وفي الاتفاقية التجارية التي أبرمت في ٩ يونيو ١٣٥٦ بين فينيسيا وأحمد المكي صاحب طرابلس وإفريقية الشرقية، وردت الإشارة إلى ملاحات (Saliis Rassambesii). ولا ريب في أن أولئك المسيحيين الذين أشار إليهم التجاني في رحلته، وتحدث عنهم أثناء مروره بجربة في ١٣٠٧ - ١٣٠٩، وقال أنهم اعتادوا شحن كثير من السفن بها<sup>(٧)</sup>، إنما قصد بهم التجار البندقيين. وفي القرن الخامس عشر أقامت فينيسيا خدمة بحرية منتظمة موجهة إلى إفريقيا الشمالية، بما في ذلك طرابلس، عن طريق رحلات سنوية لسفن (بربريا).

(٥) De Mas Latrie, Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale ou Magreb avec les nations chrétiennes au moyen âge. Paris 1886 p. 26.

(٦) عن ملاحات زوارة وفينيسيا في القرون الوسطى انظر القسم الثالث من هذا الكتاب. وانظر أيضاً:

Marin, Storia del commercio de veneziani v. p. 45.

De Mas Latrie, Traités cit p. 221 - 224.

Nallino, Venezia e Sfax nel sec XVIII in Centenario Nascita - M. Amari I p. 350) ristampato C.A. Nallino, Raccolta di scritti editi e inediti vol III Roma 1941 p. 395

(٧) التجاني ص ١٢٢.

وكانت لجنوا نفس العلاقات التي كانت لفينيسيا، رغم ما يبدو من عدم وجود مصالح ظاهرة مستمرة، مثل ما كان يمثل امتياز الملح بالنسبة لفينيسيا.

ويبدو اسم جنوا في تاريخ طرابلس الغرب مقروناً بالحملة الجريئة التي قادها فيلبو دوريا عام ١٣٥٤ م. وكانت طرابلس ضمن الموائء التي شملتها المعاهدات التي عقدت بين بيزا ١٢٣٤ - ١٣١٣ م والسلطان الحفصي أبي بكر زكريا<sup>(٨)</sup> (يحيى الأول وأبو يحيى). وفي ١٣٥٨ م مع السلطان المريني أبي عنان.

وفي القرن الخامس عشر حلت فلورنسا محل بيزا في العلاقات التجارية مع بربريا. وإن كانت لا تتوفر لنا معلومات عن اتفاقيات أو وقائع عامة هامة.

إن حركة التبادل التجاري، استيراداً وتصديراً، كانت مماثلة لتلك الحركة الجارية مع موانئ الشمال الإفريقي. وقد تناولتها أعمال ودراسات (دي ماس لاتري De Mas Latrie) (واماري Amari). ونرى بصفة خاصة بين منتجات طرابلس (العباءات) الزرقاء والحمراء. وكانت سفن المسيحيين (الروم) في القرنين العاشر والحادي عشر تشحن الزيوت وبضائع أخرى مقابل المواد التموينية والمنتجات الزراعية المختلفة، وقد ذكرت أيضاً (عباءات) إحداها<sup>(٩)</sup>. وكان ملح زوارة مشهوراً. وقد نهبت سفينة للنبييل الجنوي (فنشقويرا دي فيفالدي Vinciguerra de Vivaldi) في مياه مالطا، من قبل سفينة تابعة لأسطول البابا. وكانت تحمل ٧٩ شوالاً من الصوف وتسع حزمات كبيرة من الجلد، وتسع ربطات من الحصر وبضائع أخرى، قيمتها كلها ألف دوكاتو، تم شحنها جميعها من ميناء طرابلس<sup>(١٠)</sup>. وكانت سفن فينيسيا تشحن من

Amari, Diplomi Arabi dell' Arch Fiorentino 2e serie, n. XXVIII p. 292 - 294 1° serie (٨)  
n, XXXI p. 309 - 312.

Amari, Diplomi Arabi p. XVI. (٩)

E. Marengo, op. cit. p. 260 (١٠) مارنغو

طرابلس بصفة خاصة الزيت والملح<sup>(١١)</sup> وتنقل إليها الأدوات الخشبية، ثم فيما بعد المنسوجات والخرز. وكانت جنوا تصدر الذهب (نقداً وسبائك) والسفن وخشب البناء والنيذ والمشروبات الروحية والمنسوجات الحريرية، وبقايا القطن، وتوابل الشرق. وتستورد القمح والصوف والزيت الخاص بصناعة الصابون وريش النعام والجلد والحبال والشمع وفواكه (بربريا)<sup>(١٢)</sup>.

## ٢ - حوادث، قرصنة، استرقاق

لم تدخل القرصنة إلى سواحل الشمال الإفريقي، في القرن السادس عشر، على أيدي القراصنة المشهورين من أمثال خير الدين وبربروس ودرغوث، بل كانت قديمة قدم الحروب البشرية، وكانت شائعة موجودة في العصور القديمة، وقد تصاعدت عند سواحل ليبيا والبحر الأبيض المتوسط في العهد الروماني والعهد التالي له. وحين تحكم العرب في السواحل الإفريقية أنشأوا قواعد للغزو والإغارة على الجزر والبلدان المسيحية. ورغم الهدنة، واتفاقيات الصداقة، والاتفاقيات التجارية مع الدول البحرية المسيحية، فقد استمرت الحروب طويلة بين الطرفين، متخذة شكل نشاط قرصاني. ولم تكن القرصنة ميزة قاصرة على العرب، ولكنها مورست بنفس الاندفاع من قبل البحرية المسيحية. ولم تكن تختلف عنها بشيء سوى أنها - أي الحملات المسيحية في جميع الأحوال - كانت أكثر تنظيماً، باعتبارها إرهاباً وتمهيداً للحملات الصليبية<sup>(١٣)</sup>. وهي معروفة بأكثر من الغزوات العربية غير المنظمة. وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الأوضاع شيوع الاسترقاق. ولم تكن ثمة قواعد حقيقية، من الحقوق أو الأعراف الدولية، في عالم منقسم بخلافاته الدينية مثل ذلك العالم

(١١) مالبيريرو

Maliptero, Annali Veneti in Arch. st. Ital, VII parte II p. 638.

P. Picca, L'Italia e la Tripolitania attraverso la storia, in Nuova Antologia 1911 p. 8. (١٢)

M.G. Canale, Tripoli e Genova 1886.

(١٣) يجدر التنويه بتلك الحملة التي قام بها في ١٠٨٧ قراصنة جنوا وبيزا على مدينة المهديّة بتونس.

المعروف في القرون الوسطى . فإن أسرى الحرب، أو المخطوفين، كانوا يعتبرون لدى الطرفين من الخدم المقيدين المغلولين الملمزين بأداء أشق الأعمال وأقساها والتجديف على ظهور السفن الكبيرة. ونتج عن ذلك وجود أرقاء مسيحيين يتعذبون في بلدان الشمال الإفريقي، وأرقاء مسلمين يعانون في البلدان الأوروبية، ويحدث من حين إلى آخر تبادل الأرقاء واستخلاصهم بين الطرفين، ولكن ذلك كان محكوماً برغبة أصحاب الرق وتقديرهم.

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر كانت العلاقات بين الشمال الإفريقي (بربريا) وأوروبا الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط تتم عن طريق المبادلات التجارية، أو أعمال القرصنة، وكانت تتم بالتناوب أو تجري في وقت واحد، رغم الالتزام الذي تأخذ به حكومات الطرفين في احترام المواثيق والتقييد بها.

وقد ازداد عنف النشاط القرصاني في النصف الثاني من القرن الرابع عشر<sup>(١٤)</sup>، واستمر في التصاعد حتى ارتبطت خيوطه بنشاط المشاهير من القراصنة الأتراك المشاركة عند نهاية القرن الخامس عشر<sup>(١٥)</sup>، ولدينا معلومات عن أحداث ووقائع معينة تهم مدينة طرابلس بصفة خاصة.

ففي سنة ١١٨١ م سافرت سفينة يملكها بعض الأفراد من بيزا، منطلقة من سواحل صقلية، محملة بالقمح. فرمت بها الرياح والأحوال الجوية السيئة عند موقع يعرف باسم (ماكري<sup>(١٦)</sup> Macri) غربي طرابلس. وقد فرض الأهالي

---

(١٤) يقول ابن خلدون إنه قرب سنة ١٣٥٠ تشكلت فرقة من البحرية العربية التي كانت تهاجم السفن والجزر والسواحل المسيحية، وقد كانت تعود إلى الديار بأعمال وفيرة من الغنائم الثمينة والعبيد. ولقد كان عدد العبيد كبيراً ببلدة بجاية حتى إن صدى صرير الأغلال كان يتردد في شوارعها عندما ينصرف الأرقاء إلى العمل. وكان مبلغ الفدية عالياً بحيث كان يتعذر على المسيحيين توفيره.

(١٥) أنظر القسم الثاني من هذا المؤلف ص ١٢٣.

(١٦) هو المعروف باسم (بورتو ماقرو Porto Magro). أنظر هوامش القسم الثاني من هذا الكتاب ص ١٦٩.

على البحارة بيع ما لديهم من القمح ، رافضين تزويدهم بالمياه ما داموا مستمرين في رفض البيع . وفي هذه الأثناء اقتربت سفينة طرابلسية من السفينة المسيحية فظن البحارة أنها سفينة قرصنة ، فبادروا إلى مغادرة سفينتهم على ظهور القوارب . واستولى المهاجمون على السفينة . وتمكن بحارتها الهاربون من الوصول إلى طرابلس فأسرههم الشيخ أبو بكر الذي كان يحكم طرابلس<sup>(١٧)</sup> نيابة عن الموحدين . . . وكانوا عشرة أفراد من رعايا بيزا التي عملت على تحريرهم وإنقاذهم ، فوجهت خطاباً إلى السلطان الموحدي أبي يعقوب يوسف الذي كانت تتبعه طرابلس في ذلك الوقت<sup>(١٨)</sup> .

وفي ١٣٠٥ م استولى القشطي (جاسبردي كاستيلنو Jaspert de Castelnou) في مياه طرابلس على سفينة محملة بما قيمته خمسة آلاف من البضائع ، وتحول بغنيمته إلى جزيرة (بنتالاريا) بلدة (قوصرة) . وفي نفس السنة شكر سلطان تونس ملك أراغونا على اهتمامه بمصلحة جماعة أسرها القرصان (سيمون ريكارد Simon Ricard) على إحدى السفن التي أبحرت من طرابلس ، ملاحظاً أن الأشخاص التونسيين والطرابلسيين الذين كانوا على ظهر السفينة هم من رعاياه الذين يدينون له بالولاء والطاعة .

وفي سنة ١٣٠٧ م غرقت سفينة في مياه طرابلس . وكان صاحبها (برناردو ماركيت Bernardo Marquet) وتم تبادل الرسائل لاسترجاع البضائع التي كانت فوق السفينة<sup>(١٩)</sup> .

وفي سنة ١٣٥٨ م قام ماركو فرنييه Marco Vernier من أصحاب السفن بتوجيه احتجاج إلى طرابلس طالب فيه بإرجاع جميع أمواله ، وإطلاق سراح

(١٧) هو الشيخ أبو بكر الذي كان يحكم طرابلس باسم الموحدين .

(١٨) Amari, Diplomi arabi le serie, diploma II p. 7 - 9 - 2e serie diploma XIII p.269.

Andrès Gimenez Soler.

(١٩)

Documentos de Tunez, originales o' traducidos del Archivo de la Corona de Arragon

Annuari de l'institut d'Etudes Catalans III 1909 - 1910 p. 209 - 259.



الأسرى الفينيسيين الذين ألقى عليهم القبض وعوملوا معاملة الأسرى الأرقاء، خلافاً لما هو متفق عليه بين البلدين. وقد أرسلت فينيسيا في ١٣٦٢ م رسولاً إلى ابن مكّي صاحب طرابلس وقابس وصفاقس وجربة<sup>(٢٠)</sup>.

ورست سفينة التاجر القشطي (طريس Torres)<sup>(٢١)</sup> في ١٤٤٣ م بحمولتها التي تتكون من ٨٠ (غرارة) من القمح عند (بورتو ماقرو Porto Magro) (قرب لبدّة). وقد قام نائب القاضي وسكان منطقة المرسى بخداع صاحب القمح والبحارة، فاستولوا على السفينة، وقتلوا التاجر وأسروا البحارة الذين نقلوا إلى قائد طرابلس الذي أطلق سراحهم<sup>(٢٢)</sup>.

وغادرت سفينة تابعة للبندقية ميناء (كانديا - جزيرة كريت) في ١٤٧٥ م محملة بالنبيذ والقطن وبعض البضائع المختلفة، وكان على ظهرها أربعة من العرب الخطيرين الذين قاموا عند رأس (ماليا Capo Mallia) بقتل رجال السفينة، والاستيلاء عليها ونقلها إلى طرابلس حيث باعوها بثمنية دبل<sup>(٢٣)</sup>.

وفي سنة ١٤٩٣ م علم الكابتن (جيرونيمو كونتاريني Geronimo Contarini) حين كان بمياه مالطا على رأس سفيتين عاملتين في سواحل (بربريا) بقيام بعض القراصنة الأتراك بمهاجمة ثلاث سفن تجارية تابعة للبندقية، محملة بالبضائع، واستيلائهم عليها وتحويلها إلى طرابلس الغرب لاقسام غنائمها. فاصطحب سفيتين مالطيتين وزورقاً، بعد أن وعد أصحابها بالغنائم، واتجه إلى طرابلس التي وصلها يوم ١٠ أغسطس ١٤٩٣، واقترب بسفنه من الميناء مسترداً السفن الثلاث، وقليلًا من البضائع التي كانت بها. وقد

(٢٠) هو أحمد المكّي. أنظر ما ذكرناه عنه في الصفحات السابقة. أنظر الوثيقة الخاصة بالحادث المذكور لدى: De Mas Latrie, p. 228.

(٢١) يقع هذا الميناء قرب لبدّة. أنظر القسم الثاني من الكتاب ص ٢٢٨.

(٢٢) F. Cerone, Alfonso il Magnanimo ecc. arch. Storico per la Sicilia Orientale X 1913 P. 26 - 62.

(٢٣) Malpiero, Annali Veneti in Arch. St. Italiano VII - 11 - P. 619.

قفز زعيم القراصنة الأتراك لاجئاً إلى البر، وجرح في هذه المعركة ما يقرب من ستين مسيحياً، وقتل جميع الأتراك، وأصبحت سفينة القيادة البندقية في المؤخرة. وعندما احتجت طرابلس على خرق حرمة الميناء، وطالبت بإرجاع الغنائم، رد كونتارينو بالرفض مستنداً في ذلك إلى أن السفن التركية هي البادئة بالاعتداء وخرق الاتفاقيات القائمة بين سلطان تونس وجمهورية البندقية. وأن أعلام السفن كانت تركية، ولم تكن عربية. وأنها كانت أول من فتح النار أثناء مهاجمة الميناء. وانتهى الحادث بهذه الطريقة. وبعد أن تمكن كونتارينو من تحرير البحارة البندقيين عاد إلى فينيسيا، وكوفئ على شجاعته وعمله الحازم القوي، بتعيينه (قبطاناً للخليج) وهو الاسم الذي كان يعرف به البحر الادرياتيكي حينذاك (Capitano Del Golfo)<sup>(٢٤)</sup>.

إن مخاطر التجارة مع سواحل الشمال الإفريقي لم تكن تتمثل في القرصنة فحسب. ولكن المسيحيين كانوا يتعرضون لمضايقات وانتقام مما يقتطفه مواطنوهم القراصنة، حتى في مدينة طرابلس ومدينة تونس ومينائيهما وديوانيهما (الجسارك) وفنادقهما.

وليس هناك مجال لاستعراض القواعد والتقاليد التي كانت تحكم العمليات التجارية في موانئ الشمال الإفريقي (بربريا). وفي وسع القارئ أن يرجع في الخصوص إلى أعمال ودراسات (دي ماس لاتريه) وأعمال (أماري).

ونذكر في ختام هذا الفصل، من القسم الأول من الكتاب، أنه على الرغم من عدم الانتظام المستمر فإن العلاقات بين إفريقيا الشمالية والموانئ المسيحية في البحر الأبيض المتوسط، وفي طليعتها الموانئ الإيطالية، قد ساعدت وأفادت في حفظ العلاقة والروابط بين ضفتي هذا البحر. وعلى الرغم، من أن ما نعرفه عن هذه العلاقات قليل في الواقع فإنه يمكننا القول بأن هذه العلاقات كانت خلال الفترة التي تمتد من القرن الثاني عشر حتى الخامس عشر، أكثر

---

(٢٤) المصدر السابق ٧ - ١ - ١٨٤٣ ص ١٤٢ - ١٤٣.

حيوية، وأكثر ودية مما هي عليه في القرنين اللذين أعقبا احتلال الأتراك لطرابلس وتونس والجزائر احتلالاً مباشراً. (أي خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر حتى القرن السابع عشر).

وقد دخلت قرب سنة ألف للميلاد، وما بعدها، اصطلاحات عربية تجارية في اللغات اللاتينية الجديدة مثل تعريفة: Tariffa وديوانة Dogana. كما انتقلت عادات ومنتجات زراعية وصناعية من الشرق إلى أوروبا. وقد شاركت في هذا التبادل موافي الشمال الإفريقي، ومن بينها ميناء طرابلس الذي ساهم في هذا المجال بنصيب متواضع يتناسب وحجمه.



## القسم الثاني

### الفصل الأول

### سيطرة الأسبان وفرسان مالطا على طرابلس

١٥١٠ ~ ١٥٥١ م

- \* الاحتلال الإسباني ١٥١٠.
- \* مظاهر الفرح في أوروبا، والأسف في العالم الإسلامي، لسقوط طرابلس.
- \* حملة ضد جربة. هجوم العرب على المدينة.
- \* أوضاع طرابلس تحت الحكم الإسباني.
- \* القراصنة العثمانيون في سواحل الشمال الإفريقي.
- \* التنازل عن طرابلس إلى فرسان مالطا ١٥٣٠ - ١٥٥١ م.
- \* حكم فرسان مالطا في طرابلس ١٥٣٠ - ١٥٥١ م.
- \* حصار العثمانيين لطرابلس واستيلاؤهم عليها عام ١٥٥١ م.
- \* قائمة بأسماء حكام طرابلس من فرسان مالطا.

## ١ - الاحتلال الأسباني ١٥١٠

هاجم الإسبان طرابلس واستولوا عليها في ٢٥ يوليو ١٥١٠ م.

ويقص المؤرخون العرب الذين يميلون إلى تفسير الأحداث التاريخية الكبرى باستخدام الأسطورة أو الخرافة، أن طرابلس كانت تعيش في ازدهار عظيم، وتنعم برخاء كبير، وأن الاستقرار الطويل، واستتباب الأمن الداخلي والخارجي قد عودا الناس الاستسلام إلى الحياة الناعمة المريحة، فأغفلوا التسليح، ونسوا استخدام السلاح.

وقد وصلت في ذلك الوقت إلى ميناء طرابلس بعض السفن المسيحية. ونزل التجار إلى البر لشراء بعض البضائع. فاستضافهم أحد السكان في بيته، وأكرمهم بما قدمه إليهم من مختلف الأطعمة، ومن بينها (دلاعة) أي بطيخة. ولم يكن المضيف يملك سكيناً في بيته لقطع هذه الدلاعة. فأسرع إلى السوق يشتري سكيناً. وقد استغرب هؤلاء التجار من رخاء المدينة ووفرة ثروتها، ولاحظوا أن سكان طرابلس قد أصبحوا مجردين من السلاح إلى درجة يمكن معها الاستيلاء على المدينة بسهولة ويسر. وقد نقلوا ذلك إلى ملكهم عندما عادوا إلى وطنهم، فأرسل على الفور أسطولاً لاحتلال طرابلس<sup>(١)</sup>.

---

نشر روسي هذا الفصل بكامله في كتاب مستقل وقد نقله إلى العربية خليفة محمد التليسي بعنوان (طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا) نشر مؤسسة الثقافة الليبية - طرابلس ١٩٦٩.

(١) أورد هذه القصة العياشي الرحالة المغربي الذي عاش في القرن السابع عشر في كتابه (الرحلة) ورددها ابن غلبون والنائب. وفيرو في حوالاته الطرابلسية. (Féraud, Annales P. 19).

ولكن الاحتلال الإسباني لطرابلس سنة ١٥١٠ حدث يجب أن يدرس على وجه آخر يختلف عن هذا التفسير كل الاختلاف.

لقد أدخلت أحداث القرن السادس عشر طرابلس وإفريقيا الشمالية بأسرها في إطار السياسة الأوروبية مدة طويلة استغرقت عشرات الأعوام.

ففي سنة ١٤٥٣ سقطت القسطنطينية. وواصل محمد الثاني ثم بايزيد الثاني وسليم الأول من بعده فتوحاتهم في شبه جزيرة البلقان. تلك الفتوح التي زادت من حدة التناقض السياسي والديني بين الشرق والغرب، وأصبحت تهدد أوروبا المسيحية.

وكانت تجري في أوروبا ذاتها أحداث أخرى تتجه إلى حفظ التوازن، ثم إلى مواجهة التوسع الإسلامي الذي تولى الأتراك العثمانيون توجيهه وقيادته منذ قرون.

وكانت المقاومة، وحركة الاسترداد، وقد انطلقتا من أقصى بلدان أوروبا الغربية، ونعني بها إسبانيا التي استطاعت في سنة ١٤٩٢، أن تطوي صفحة آخر الممالك العربية في غرناطة.

وقد أصدر الملك الكاثوليكي فرديناند دي أراغونا، والملكة إيزابيلا دي كاستيليا أمراً يقضي بإجلاء جميع المسلمين من شبه جزيرة أيبيريا<sup>(٢)</sup>. وكان الإسبان في ذلك الوقت في مستهل حياة وطنية جديدة.. فلم يكتفوا بتحرير بلادهم من الفاتحين القادمين من إفريقيا والشرق، ولكنهم ألحقوا أنفسهم، في حماس عارم فتي، إلى العمليات التجارية والتوسع في احتلال البلدان، وانتهوا بالضرورة إلى احتلال سواحل إفريقيا الشمالية، تلك السواحل التي يبين التاريخ أنها كانت دائماً عرضة للاحتلال من كل شعب يتطلع إلى التفوق والسيادة على البحر الأبيض المتوسط.

---

(٢) الأمر الصادر في ١٥٠٢ كان يفرض على المسلمين الاختيار بين الجلاء أو اعتناق الديانة المسيحية. أما أمر الطرد فقد أصدره الملك فيليب الثالث في سنة ١٦٠٩.

وفي نفس الوقت كان البرتغاليون يدفعون سفنهم في إقدام إلى اكتشاف سواحل إفريقيا الواقعة على المحيط الأطلسي. واكتشف الإيطالي كريستوفرو كولومبس - الذي كان يعمل لحساب إسبانيا - قارة أمريكا. ووجد فاسكودي جاما (١٤٩٧) الطريق البحري للهند الشرقية. بينما كانت البندقية مضطرة إلى امتشاق السلاح وانتهاج السبل السياسية للدفاع عن إمبراطوريتها الاستعمارية المهزوزة. أما الدول الغربية في أوروبا فقد وحدتها الحركات القومية في عمال كيرة زادت من قوتها، ومكنتها من السيطرة السياسية والتجارية.

كانت إسبانيا في ذلك الوقت، على رأس تلك الحركة، تركز جهودها لهذا النشاط المتحمس الحافل بالوعود.

ومن سواحل إسبانيا التي كانت عرضة لغزوات العرب التي كانت تنطلق بصفة خاصة من وهران والجزائر وبجاية<sup>(٣)</sup> كانت تخرج المراكب الإسبانية لغزو سواحل إفريقيا الشمالية ونهبها. وكان احتلال الشمال الإفريقي يبدو شيئاً ضرورياً للإسبان تدعو إليه أسباب سياسية واقتصادية، وفي نفس الوقت أسباب دينية<sup>(٤)</sup>.

وكان الكردينال (خيمينش Ximenes)، أسقف طليعة ورئيس وزراء فردناند الكاثوليكي، قد جعل من نفسه داعية وملهماً لهذه الحملات التي اتخذت لون الحركة الصليبية. وفي سبتمبر ١٥٠٥ احتلت أولى الفرق الإسبانية المرسى الكبير. وفي ١٧ مارس ١٥٠٩ استولى الكونت (بدرودي نافارو Conte Pietro di Navarro)<sup>(٥)</sup> على وهران. وفي ٥ يناير ١٥١٠ احتل نفس القائد مدينة

(٣) De Sandoval, Vida y hechos del emperador Carlos Quinto Pamplona 1634 - vol I cap. 23.

(٤) F. Braudel, Les Espagnols et l'Afrique du nord de 1482 - à 1577 in Revue Africaine, 1928 P. 184 - 233, 351, 428.

(٥) ولد بيدرو دي نافارو أو الكوندي بدرودي نافارو Pedro Navarro قرب سنة ١٤٦٠. ويختلف المؤرخون في مسقط رأسه فمن قال إنه في (بسكاليا Biscaglia) ومن قال إنه ولد في نافارا. Navarra وكان رجلاً مفضولاً على المغامرة والمجازفة، اشتغل بالقرصنة البحرية في مستهل =



بجاية. وفي هذه البلدة عقد في شهر مايو من نفس العام إتفاقية مع سلطان تونس أعلن بموجبها تبعيته للملك الكاثوليكي.

وفي ٧ يونيو غادر الكونت بدرو بجاية على رأس قوة تتألف من ثمانية آلاف رجل، واتجه إلى (فافينيانا Favignana) لينتظر السفن القادمة إليه من نابولي وصقلية، للمشاركة في الهجوم على طرابلس<sup>(٦)</sup>، تحت إشراف نائب الملك بصقلية وتوجيهه. وقد تم تنفيذ هذه الحملة بمشاركة جنود إيطاليين، خاصة من صقلية<sup>(٧)</sup>.

وقد عاد الأسطول إلى (فافينيانا) في ١٥ يوليو ١٥١٠ حيث توقف في جزيرة (غوزو Gozo) بمالطا. وانضم إليه بعض المالطيين بصفة مرشدين (لمعرفتهم بطرابلس وخبرتهم بكافة سواحل الشمال الإفريقي)<sup>(٨)</sup> وتولى مهمة الإرشاد البحري المرشد المالطي (جوليانو أبيلا<sup>(٩)</sup> Giuliano Abela). كانت الحملة مكونة من ستين سفينة، ومن غليوطيين، وعدد من المراكب ذات الشراعين، وخمسين مركباً من ذات الأشرعة الثلاثية.

وفي مالطا انضمت إليها خمس سفن مالطية مسلحة تسليحاً جيداً. وحين غادرت الحملة مالطا، يوم ٢٠ يوليو، كانت تتكون من مئة وعشرين

= حياته، ثم انخرط في جيش دون كونسالفو دي قردوفة (Don Consalvo di Cordova) في جزر أيونيا وإيطاليا الجنوبية وقد برز في كثير من المحلات بشجاعته وحنكته العسكرية، خاصة كمهندس عسكري أثناء إعادة احتلال مملكة نابولي. وقد منح في سنة ١٥٠٤ إقطاع مدينة (أوليفيتو Oliveto) بمقاطعة Abruzzo كما منح أيضاً لقب (كونت). وفي سنة ١٥٠٩ أسندت إليه قيادة الحملة على وهران. أنظر:

Historia del Conde Pedro Navarro ecc. di Don Martin De Los Heros Madrid 1854 (Collection de Documentos Inéditos para la Historia de Espana vol XXV - XXVI.

(٦) مارتين دي لوس هروس ص ١٤٠.

(٧) ساندوفال، فصل، ٣٦.

(٨) M. Longhena, 'L'impressa di Tripoli nel 1510 in Rv. d'Africa, gennaio febbraio 1912 P. 4.

Archivum Melitense VI Malta 1929.

(٩) روسي:

قطعة بحرية بين صغيرة وكبيرة. وعلى ظهرها خمسة عشر ألف جندي إسباني وثلاثة آلاف جندي إيطالي ومجموعة من المغامرين<sup>(١٠)</sup>.

وقد قص علينا الكونت بدرو دي نافارو قصة احتلال المدينة في رسالة وجهها إلى نائب الملك بصقلية بتاريخ ٢٩ يوليو من العام نفسه<sup>(١١)</sup>. ومن المهم أن نتابع هذا القائد الذي يخبرنا بأن الأسطول قد وصل طرابلس صباح الخميس ٢٥ يوليو، وهو يوم القديس يعقوب. وهو قديس مبجل عند الإسبان عزيز عليهم. وقد نزل إلى البر، في ساعات قليلة، ستة آلاف رجل قام نصفهم بمهاجمة المدينة، بينما بقي النصف الآخر لحماية المهاجمين وتأمين عملية الهجوم على العرب القاطنين بالريف. وسرعان ما استولى المهاجمون، بمساعدة المدفعية، على جزء من السور، وعلى برجين من أبراجه، ثم استولوا على البرج القائم عند باب العرب<sup>(١٢)</sup>، وفتحوا الباب الذي دخل منه الإسبان إلى المدينة. وظلوا يحاربون ثلاث ساعات داخل شوارع المدينة، إذ كان الطرابلسيون يقاومون بعنف.

ليس صحيحاً إذن، ما تردد من قول بأن سكان طرابلس قد أصبحوا مجردين من السلاح، كما تصور لنا الأسطورة التي ذكرت فيما تقدم.

(كان هناك عدد كبير من الموق بين صفوف العرب، وهم من الكثرة بحيث لا تجد موطئاً لقدمك إلا فوق الجثث. ويقدر عدد القتلى بين العرب بحوالي خمسة آلاف. أما الأسرى فهم أكثر من ستة آلاف. أما قتلى المسيحيين

(١٠) م. لونقينا، نفس المصدر السابق ص ٥.

(١١) توجد الرسالة في (يوميات) مارين سانودو ١١ - ٧٤٦ - ٤٧٧، وقد ترجمها مانفروني:

C. Manfroni in *Tripoli nella storia marinaria d'Italia*, Padova 1912 P. 35.

C. Manfroni. *L'Italia nelle vicende marinare della Tripolitania* Intra 1935.

(١٢) في الإسبانية Puerta de los Alarbes أي الباب الذي يؤدي إلى عرب البادية. وهو يطابق باب المنشية، وربما باب الحرية.

فقد كان عددهم قليلاً. وإذا صحت هذه الأرقام فإنها تدل أيضاً على أن مدينة طرابلس كانت آهلة بعدد كبير من السكان.

ومن المؤكد أن المدينة كانت حينذاك مزدهرة وغنية، وتشهد بذلك العبارات التالية التي خاطب بها القائد، نائب الملك بصقلية: (سيدي<sup>(١٣)</sup>)... إن هذه المدينة هي أكبر في واقعها مما كنت أتصور، وزعم أن الذين يشيدون بها، ويطرونها، يتحدثون عنها حديثاً حسناً، إلا أنني أرى أنهم لم يقولوا إلا نصف الحقيقة، سواء فيما يتصل بتحسيناتها أو نظافتها، حتى تبدو مدينة إمبراطور أكثر منها مدينة لا تنتمي لأي ملك خاص).

ورغم أنه من الممكن أن يكون إعجاب الكونت بدرودي نافارو صادراً عن شعور طبيعي بالزهو والفرح بنجاح المهمة التي أنجزها، إلا أن المقارنة بالمواقع الأخرى التي احتلها هذا القائد من إفريقيا الشمالية، في ذلك الوقت، تظهر كيف كان لهذا الإعجاب ما يبرره، في طرقها الفسيحة نسبياً، ومنازلها المترفة الجميلة، وفي ذلك الأثر التاريخي الخالد البارز، وهو قوس ماركوس أوريليوس. إن الشهرة التي شاعت عن غنى طرابلس (التي اجتذبت قبل قرن ونصف فيلبودوريا في حملاته القرصانية الجريئة) قد انتشرت في أوروبا بطريقة خيالية. وعندما وصل نبأ الاستيلاء على طرابلس سنة ١٥١٠ رددت الشائعات بأن في طرابلس تاجر ين يملك كل منها مليوناً من النقد الذهبي السائل<sup>(١٤)</sup>.

ويقدم لنا باتستينو دي تونسيس Batistino de Tonis الذي شارك في الحملة هذا الوصف لمدينة طرابلس: (تقع مدينة طرابلس في سهل منبسط. وهي مربعة الشكل، ويحيط بها سور يبلغ امتداده أكثر من ميل: ولها سوران مزدوجان تحف بهما خنادق منخفضة وضيقة. السور الأول فصيل منخفض، أما السور الثاني فهو مرتفع جداً، وضخامته متناسبة مع الأبراج، وهي ذات مواقع دفاعية ضخمة، ومحاطة بالبحر من جهاتها الثلاث ولها ميناء ممتاز قادر على

(١٣) هو نائب الملك بصقلية.

(١٤) م. سانودو (اليوميات).

إيواء أربعمئة سفينة ومراكب من ذات المجاذيف. ومن أجل ذلك كان ضياع هذه المدينة مبعثاً للأسى والأسف. ويقال إن سكانها أكثر من عشرة آلاف نسمة، جلهم من العرب وبعضهم من اليهود، وقد أسر منهم حوالي خمسة آلاف أو أكثر، أما البقية فقد قتلوا، ولم ينج منهم إلا القليل الذي تخطى السور من جانب الحي اليهودي<sup>(١٥)</sup> Jodecha الواقع شمال المدينة).

وترك لنا باتستينودي تونسيس أيضاً قصة حية عن احتلال المدينة. وقد بلغ الهجوم ذروته عندما تمكن حامل العلم (جيم ديز Jaime Diez) من رفع العلم الأول (فوق السور، داخل القلعة والباب العربي)<sup>(١٦)</sup>، ودخلت القوات المسيحية المدينة، كأنها أسراب الطيور، لا يكاد الإنسان يصدق أنها دخلت من الأبواب، وأخذت تقتل وتطارد الأعداء الذين تحصنوا بالقلعة والمسجد الكبير، وبعض الأبراج والحصون. ولم تتوقف الجيوش البحرية عن المقاومة عند جهة باب البحر. ولما كانت القوات البرية قد دخلت المدينة، فقد اضطرها شعور الخجل إلى إظهار مزاياها، وأمكنها، أي البحرية، بعد ذلك أن تحتاز السور وتدخل المدينة التي أصبحت مباحة من جميع جهاتها. أما الأعداء فقد قتلوا شر قتلة، وحوصر الأحياء في القلعة والمسجد، وتمكنت القوات من الاستيلاء على المسجد بعد قتال مرير، وأسر الملك الذي يدعى (الشيخ)<sup>(١٧)</sup> مع أولاده وزوجته وأسرته المالكة. كما أطلق سراح مئة وخمسين أسيراً من أسرى العرب وعبيدهم الذين وجدوا مصفدين في الأغلال) وقد مات في هذه المعركة مئة وخمسون جندياً مسيحياً وأكثر من ألفين من العرب<sup>(١٨)</sup>.

(١٥) هو الحي اليهودي الواقع إلى شمال من المدينة (الحارة).

(١٦) أنظر الهامش المتقدم بخصوص الباب العربي.

(١٧) الشيخ هو الرئيس.

M. Longhena, art. cit. P. 7.

(١٨)

S. Aurigemma, (1) Fortificazioni di Tripoli in Not arch Min. Colonie 11 P. 257 - 259.

(2) Il Castello di Tripoli di Barberia in Rinascita della Tripolitania Roma 1926 p. 538.

وثمة تقرير Relación لشخص مجهول شارك في الأحداث، وهو يزودنا بتفاصيل أخرى عن نزول القوات وعمليات الاحتلال.

لقد وصل الأسطول الإسباني إلى مشارف طرابلس يوم ٢٤. وأرسل على الفور الكولونيل البندقي (نسبة إلى البندقية، فينيسيا)<sup>(١٩)</sup> (جيرولامو فيانييلو Gerolamo Vianello) الذي كان قد أقام بطرابلس، من قبل، بوصفه تاجراً. وكان على معرفة كاملة بالمدينة. وذلك لكي يجمع المعلومات عن الوضع العام، ولتأكد مما إذا كانت قد وصلت إلى البلاد نجيدات تركية.

وتم تنفيذ عمليات النزول، صباح يوم ٢٥، تحت قصف المدافع الطرابلسية التي كانت تقابلها نيران المراكب الغازية. وقد جرى تقسيم قوة الحملة إلى مجموعتين: الأولى مكونة من أربع فرق. وتعداد كل فرقة ألف جندي وكانت بقيادة:

Diego Pacheco

ديجو باكيكو

Joanes de Arriaga

جوناس دي أرياجا

Juan Salgado

جوان سالجادو

Avila

أفيللا

وكانت هذه الفرق مكلفة بمهاجمة المحاربيين المقيمين خارج المدينة، والعمل على الحيلولة دون وصول النجدة من الريف. أما القسم الآخر، المكون من بقية الجيش والمؤلف من أحد عشر ألف رجل، فكان مكلفاً بالهجوم وتسلق الأسوار.

ويؤكد هذا التقرير أيضاً أن المقاومة الكبرى قد تمت حول المسجد الكبير، حيث قتل ألفان من العرب، بين رجال ونساء. وأن (الشيخ) قد أغلق على نفسه القلعة، ثم سلم نفسه مع بقية المسلحين وولديه وأخ له. وأن قتلى

(١٩) أنظر بخصوصه:

N. Naldoni, in Atti I Congresso Studi Coloniali Firenze 1931 - vol II p. 264.

العرب كانوا ستة آلاف، وأنه أسر حوالي عشرة آلاف، وجرى إطلاق سراح مئة وسبعين أسيراً مسيحياً، وأغلبهم من صقلية ومالطا.

أما القوات الإسبانية والإيطالية فقد كانت خسائرها ثلاثمئة قتيل، بينهم أميرال الحملة (كريستوبال لوبيز دي أرياران (Cristobal Lopez de Arriaran) وكان من الممكن أن تكون الغنائم أكبر مما استطاعت أن تحصل عليه القوات الغازية، لولا أن العرب قد أخطروا بهذه الحملة قبل خمسة وثلاثين يوماً من وقوعها، عن طريق أحد تجار (جنوا)، وكان قد علم بذلك بواسطة أصدقائه من التجار الجنوبيين بصقلية. ولذلك بادروا إلى نقل ثرواتهم على ظهور الإبل (خمسة آلاف) إلى المناطق المجاورة مثل تاجوراء وجنزور.

وكانت طرابلس في ذلك الوقت مدينة تجارية، وتعتبر أغنى من تونس، ويتردد عليها تجار العرب وتجار الشمال الإفريقي والأترك وتجار جنوا وصقلية ومالطا. وقد استولى الغزاة، في الميناء، على مركب من نوع (كرافيللا Caravella) ومركب آخر من نوع (غاليرا Galera) ذي اثنين وعشرين مقعداً، ومركبين من نوع ثمانية عشر مقعداً، وعدة زوارق أخرى. وفي اليوم التالي، للاحتلال تم الاستيلاء على عدة سفن كانت قد وصلت من الإسكندرية والشرق، على غير علم منها بوقوع المدينة تحت السيطرة الإسبانية<sup>(٢٠)</sup>.

وثمة تفاصيل مختلفة هامة، فيما رواه سوريتا (Curita)<sup>(٢١)</sup> وهو من عهد متأخر قليلاً عن الفترة التي وقعت فيها الأحداث المذكورة. فيقول إن تعداد المدافعين عن المدينة يبلغ أربعة عشر ألف مقاتل. وأن الإسبان قد هاجموا المدينة من باب البحر، ومن الباب المعروف لديهم باسم باب النصر (من الواضح أنه باب المنشية) وأن الشيخ قد أسر في أحد الحصون المواجهة للقلعة. وقد أسر

(٢٠) طبع هذا التقرير بمجموعة:

Martin De Los Heros, loc. cit. p. 479 - 482.

Historia del Rey don Fernando el Catholico, Caragoca 1580, vol II Libro IX.

(٢١)

معه أخوه وابنه. كما فر (الجَنَوِيون) الذين كانوا يساعدونه في الدفاع راكبين خيولهم خارجين من أحد الأبواب الصغيرة.

ويتحدث مصدر آخر عن أن زعيم طرابلس (الشيخ الذي كان ولياً صالحاً محترماً جليلاً)<sup>(٢٢)</sup> أسر في القصة، أي في القلعة، وأرسل إلى مسينا. ويخبرنا قنصل البندقية في باليرمو بتاريخ ٣ سبتمبر بوصول مجموعة من الأسرى تقدر بحوالي ألف وأربعمائة أسير. وأنهم كانوا في انتظار وصول المزيد من الأسرى. وأن الأسرى قد بيعوا في المزاد العلني بسعر يتراوح بين ثلاثة دوكات وخمسة للشخص الواحد<sup>(٢٣)</sup>.

## ٢ - مظاهر الفرح في أوروبا، والأسف في العالم الإسلامي، لسقوط طرابلس - حملة على جربه - هجوم العرب على المدينة

استقبل نبأ احتلال طرابلس بفرحة عظيمة وبهجة غامرة في أوروبا المسيحية. وقد شجع هذا النجاح ملوك إسبانيا على أن يدفعوا بحملاتهم نحو إفريقية دفعة قوية. ويبدو أن الحماس قد سرى إلى الملك الكاثوليكي، فأحب أن ينهض بنفسه إلى قيادة حملة تهدف إلى توسيع رقعة انتصاراته.

وجرت في الأندلس استعدادات جادة لتحقيق هذه الغاية، خلال شتاء وربيع سنة ١٥١٠ - ١٥١١. وكان من المقرر أن تسافر الحملة من ميناء مالطا. ولكن الأحداث التي وقعت في إيطاليا قد صرفت - منذ ذلك الوقت - اهتمام الملك فرديناند عن الشؤون الإفريقية<sup>(٢٤)</sup>.

وقد أثار احتلال طرابلس بهجة خاصة في إيطاليا. ودعا مندوب البلاط البابوي في بولونيا (فرانشيسكو اليدوسي Francesco Alidosi) المسيحيين إلى تنظيم مظاهرة كبيرة تعبيراً عن فرحتهم وبهجتهم باحتلال (مدينة تسمى

(٢٢) ساندوفال: نفس المصدر. فصل ٣٦.

(٢٣) ساندو: (يوميات) ١١ - ٤٦٨.

(٢٤) م. مارتين دي لوس هيروس ص ١٤٥ - ١٤٦.

طرابلس البربرية وهي أرض عامرة بالسكان<sup>(٢٥)</sup>. وقد تبادل (دوج) البندقية التهاني الحارة مع ملك إسبانيا ونائب الملك في صقلية<sup>(٢٦)</sup>. وفي روما احتفل بسقوط طرابلس يوم ١٠ أغسطس، ونظم موكب ديني<sup>(٢٧)</sup>. وكان استقبال هذا النبا عظيماً يتناسب مع ما كانت تتمتع به طرابلس من سمعة باعتبارها مدينة غنية وقوية بحصونها.

وكانت فرحة سكان إيطاليا الجنوبية وصقلية ومالطا فرحة عميقة. ويبدو أنه قد أنشئ بهذه المناسبة في صقلية وسام تذكاري<sup>(٢٨)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنه كان من بين التهاني التي وصلت إلى فرديناند الملك الكاثوليكي للإشادة بهذا الحدث السعيد، تلك التهنة التي وجهها إليه المرشد الأكبر في رودس (أمريكو د امبواز Emerico d'Amboise). إذ ما كاد يبلغ باحتلال طرابلس، من قبل نائب الملك بصقلية، حتى بادى على الفور إلى تقديم التهاني. وانتهاز هذه الفرصة لإبلاغه بالانتصار الذي أحرزه أسطوله، في نهاية أغسطس من ذلك العام، على أسطول سلطان مصر في خليج (الأياس Laiazzo). وقد حث المرشد الأكبر الملك على مواصلة حملاته على إفريقية حتى مصر، على أمل أن يتمكن من ضم قواته إليه (لخدمة الله في هذه المهمة السامية)<sup>(٢٩)</sup> (Y serviz a Dios en tan meritoria impresa). ونجد صدى هذه البهجة التي ترددت في إيطاليا بسبب احتلال طرابلس - خاصة إيطاليا الجنوبية - في ذلك المدح الذي وجهه إلى الملك الكاثوليكي المدعو أنطونيو دي فراريس، المعروف باسم (غالاتيو Galateo) المتوفي سنة ١٥١٧ م. فقد أشاد في هذا المدح بانتصاراته الإفريقية التي حفظت كالابريا وصقلية من الغزوات الإسلامية (خاصة بعد احتلال طرابلس، المدينة العظيمة التي تقع في موقع

(٢٥) G. Pantanelli, Tripoli in un documento Bolognese del secolo XVI Bologna 1912.

(٢٦) م. سانودو (يوميات) ١١ - ٢٨٤.

(٢٧) م. سانودو (يوميات) ١١ - ١٢٣.

(٢٨) مارتين دي لوس هيروس ص ١٤٧.

(٢٩) الرسالة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٥١٠ وقد أوردها مارتين دي لوس هيروس ص ٤٦٧ - ٤٦٨.



ملائم لغزوات الأفارقة والعرب . وهي ملجأ للأتراك الذين يغزون الشواطئ المسيحية). ويضيف قائلاً (إنه) يرى أن احتلال طرابلس كان أهم من احتلال تونس). ويلاحظ في نفس الوقت (أن تونس أيضاً ستقع تحت سلطته بفضل المسيح)<sup>(٣٠)</sup>.

ولم يكن بأقل من ذلك شعور الأسف الذي سرى في البلدان الإسلامية المجاورة مثل تونس ومصر لسقوط هذه المدينة الهامة في أيدي المسيحيين.

وفي رسالة من تونس مؤرخة في ٩ نوفمبر ١٥١٠ . وقد نقلت من باليرمو وذكرها مارين سانودو في يومياته، ورد (أن العرب ومشايخهم كانوا يعتزمون قتل جميع المسيحيين، ولكن سلطان تونس منعهم من ذلك . وهي تؤكد في الوقت نفسه أن الملك كان يستعد لمهاجمة طرابلس، وكان يتوفر على ثلاثين ألف رماح وعشرين ألف من الرماة وعشرين ألف مسلح آخر)<sup>(٣١)</sup>.

ويلاحظ مارين سانودو نفسه بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٥١٠ نقلاً عن أحد القادمين من القاهرة ودمياط أن العرب المغاربة في الإسكندرية قد تجمعوا في المسجد فور علمهم بسقوط طرابلس في يد الجيش الإسباني، وهجموا على فندق الإسبان هناك، وألحقوا به أضراراً فادحة، ولكن أمير الإسكندرية عالج الموقف وأصلحه)<sup>(٣٢)</sup>.

ولكن سلطان مصر في ذلك الوقت كان ضعيفاً جداً . وبعيداً كل البعد عن التأثير على مصير طرابلس . وكان الخطر الذي يهدد هذا الاحتلال الجديد، يكمن في الهجوم المتوقع من جانب عرب الدواخل . وقد طلب بدرودي نافارو، في رسالته إلى نائب الملك في صقلية - التي سبق أن ذكرناها - أن ترسل إليه المدافع والمجانيق والأقواس .

La Giapigia e vari opuscoli di Antonio De Ferrari detto il Galateo, vol II, Lecce 1868 (٣٠)

p. 102 - 116.

(٣١) سانودو (يوميات ١١ - ٧٠٩ - ٧١٠).

(٣٢) سانودو (يوميات ١٠ - ٦٢٤).

ورغبة في ضمان استمرار السيطرة الإسبانية على طرابلس، واتخاذها قاعدة للعمليات الحربية القادمة في إفريقية، نهض الكونت على الفور إلى حملة على جزيرة جربة. وبعد أن استلم دعماً قوامه ثلاثة آلاف رجل بقيادة (ديجو دي فيرا Diego de Vera) غادر طرابلس يوم ٢٨ أغسطس على رأس حملته، وترك لحماية طرابلس والدفاع عنها حامية مكونة من ثلاثة آلاف رجل بقيادة الكولونيل سامانيجو Samanyego وبالموبينو Palumbino).

وقد حمل الكونت بدرو دي نافارو معه اثني عشر ألف جندي. ولحقته به في جربة سبع عشرة سفينة إسبانية بقيادة (دون غارسيا دي توليدو Garcia de Toledo) وعلى ظهرها ثلاثة آلاف رجل. وجرت المعركة ضد العرب في جو خائف، شديد الحرارة. فانتهت إلى كارثة. حين أخذت القوات المسيحية تتهاافت في فوضى وتشتت على إحدى الآبار. وكان العرب يترصدهم ويستدرجونهم، وما كادوا يجرونهم إلى هذه الحالة حتى هاجمهم. وأقاموا لهم مذبحاً في الموقع. وقد ارتفع عدد الضحايا إلى أربعة آلاف بين قتيل وجريح. وفي رواية أخرى إلى ألفين. وكان ضمن الموق دون غارسيا دي توليدو، وابن دوق ألبا، وشخصيات أخرى مثل غارسيا سارمينتو.

وقد غادر الأسطول جربة يوم ١٣ أغسطس، فاستقبلته العواصف في الطريق، ولم يصل طرابلس إلا يوم ١٩ سبتمبر<sup>(٣٣)</sup>. وبينما كانت الحملة في جربة استطاع بضعة آلاف من العرب، بقيادة بعض الزعماء المسيحيين الذين

(٣٣) م. لورنينا، المصدر المذكور، ص ٩ - ١٠.

- م. سانودو (يوميات ١١ - ٤٢٧ - ٥١٤). وقد أخبر قنصل فينيسيا بالرمو أن ثمان سفن قد خرجت قاصدة جربة ولكنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها. وثمة وقائع إياضية نشرها مترجمة مع التعقيب عليها (موتولنسكي) بعنوان:

Expédition de Pedro de navarre et de Garcia de Tolède contre Djerba 1510 Paris 1907.

انظر أيضاً (التقرير Relacion) الذي نشره مرتين دي لوس هيروس و (سوريتا: تاريخ الملك دون فرناندو الكاثوليكي) الكتاب التاسع، الفصل التاسع عشر.

فروا من معسكر بدرودي نافارو، مهاجمة المدينة، وتمكنوا من تسلق السور، ولكن المدافعين ردوهم على أعقابهم، وقذفوا بهم خارج السور<sup>(٣٤)</sup>.

وفي أكتوبر أبحر الكونت بقصد احتلال المنستير، تاركاً بطرابلس ديجو دي فيرا مع ثلاثة آلاف جندي. ولكن العاصفة ردت به إلى طرابلس بعد أن تكبد خسائر فادحة في سفنه ورجاله<sup>(٣٥)</sup>.

وفي الشتاء أعد الكونت حملة على جزيرة قرقنة، وهو يهدف من ذلك بصفة خاصة إلى الحصول على قاعدة بحرية لسفنه، ولعمليات قادمة يقوم بها ضد جربة والساحل. ولكن هذه العملية كان مصيرها الفشل أيضاً، إذ تعرضت إحدى الفرق المؤلفة من أربعائة جندي إلى هجوم شنه عليها العرب أثناء الليل، عندما كانت مشغولة بتطهير بعض آبار المياه. ويعتقد أن هذه العملية قد تمت نتيجة خيانة بعض الرواد المرشدين وتواطؤهم. وقد أبيتدت الفرق. وكان بين القتلى البندقي الذي سبق ذكره وهو (جيرولاموفيانللو الذي كان يشرف على تلك الأشغال ويتولى إدارتها)<sup>(٣٦)</sup>.

وكان العدد القليل من الطرابلسيين الذين نجوا في يوليو ١٥١٠ قد لجأوا إلى العرب المقيمين بالضواحي. وكانوا يعملون بمساعدتهم على استعادة المدينة. وتآلفت مراكز تنظيمية في الجبل وغريان وتاجوراء والمناطق القريبة من طرابلس.

وقد أدرك السلطان الحفصي بتونس أن برنامج الإسبان كان يقوم على احتلال جميع بلدان الساحل الشمالي لإفريقيا المعروفة باسم (بربريا). وحاول أن يتخذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عن أرضه، ويبدو أيضاً أن السلطان أبا عبد الله محمد بن الحسن كان يميل إلى مساعدة الطرابلسيين حلفائه الطبيعيين على الأعداء المسيحيين.

(٣٤) م. سانودو (يوميات ١١ - ٦٣٩).

(٣٥) م. سانودو (يوميات ١١ - ٧٠٦).

(٣٦) التقرير Relacion المشار إليه فيما تقدم والذي نشره مارتين دي لوس هيروس.

وكانت الأنباء تتوالى من تونس بغضب المسلمين هناك، وثورتهم على المسيحيين، وابتهاجهم بهزيمة الإسبان في جربة.

وكانت تجري في تونس الاستعدادات وإرسال الرجال لدعم العمل الحربي من أجل استرجاع طرابلس<sup>(٣٧)</sup>.

وقد وصل الكونت بدرو دي نافارو إلى كابري بجيشه الذي هبط إلى أربعة آلاف رجل، وأسطوله الذي نزل إلى ثلاثة وعشرين شراعاً، بعد الهزيمة التي مني بها في قرقة.

ومنذ ذلك الحين لم يعد يبدو اسمه في تاريخ طرابلس، بعد أن بدت صورته زاهية بالنصر يوم ٢٥ يوليو ١٥١٠، ثم طمستها نكبات جربة وقرقة.

وثقل هذا الحادث على نفوس الإسبان، وأحسوا بمرارته وفداحته. ويبدو أن هذا الحادث المنحوس الذي وقع في أغسطس ١٥١٠ هو الذي أطلق العبارة المشهورة (Los Gelves, madre, malos son de ganar) ومن المعروف أن الإسبانين وحلفاءهم قد تعرضوا لهزيمة أخرى شنعاء في عملياتهم البحرية والبرية سنة ١٥٦٠. وسوف نرى أن (هوجودي مونكادا) (Hugo de Moncada) هو الشخص الوحيد الذي أحرز انتصاراً باهراً ملحوظاً سنة ١٥٢٠.

أما الكونت بدرو دي نافارو فقد عمل في خدمة الإسبان ضد فرنسا في إيطاليا سنة ١٥١٢ ووقع أسيراً في أيدي الفرنسيين، ثم أطلق فرانشيسكو الأول سراحه. وعمل في خدمة الفرنسيين ضد بلاده حتى قبض عليه مواطنوه في بداية ١٥٢٩ ونفذوا فيه حكم الإعدام. ويعتقد أن إعدامه قد تم في (كاستيل دل أوفو) بنابولي (Castel dell'Ovo)<sup>(٣٨)</sup>.

---

(٣٧) م. سانودو (يوميات ١١ - ٨٢٣). أنظر أيضاً: دي ماس لاتري ص ٢٧٩. ويروي المؤرخ التونسي (القيرواني) ص ١٥١ تونس أنه حين احتل المسيحيون طرابلس بعث السلطان محمد جيشاً بقيادة محمد أبو حداد، قائد (توزر) الذي أسر زعيم المسيحيين. (هكذا).  
(٣٨) مارتين دي لوس هيروس.

### ٣ - أوضاع طرابلس تحت حكم الإسبان

لقد تحدثنا عن محاولة قام بها العرب لاسترجاع طرابلس في صيف ١٥١٠. وفي فبراير ١٥١١ أعادوا الكرة من جديد، فهاجموا المدينة التي كان يدافع عنها ديجودي فيرا بقوة قوامها خمسة آلاف رجل. أما المهاجمون فقد كانوا حوالي أربعين ألف رجل<sup>(٣٩)</sup>. ومع ذلك فلم يستطيعوا التغلب على المقاومة الباسلة التي أبداهها المتحصنون المحاصرون، وكان ثمة أكثر من مئة (مرابط) يطوفون في دواخل طرابلس وتونس ويدعون العرب للجهاد ومهاجمة طرابلس. وقد انفجر لغم ألقى من السور، فتسبب في مذبحه للمهاجمين، وأصاب المسيحيين أيضاً بخسائر فادحة<sup>(٤٠)</sup>.

إن رسائل قنصل البندقية ببالرمو تبث على الاعتقاد بأن الأوضاع قد تحسنت في طرابلس عند أواخر ١٥١١. ولكن كان لا بد من الاحتياط ضد احتمالات الهجوم الجديد من قبل الأهالي والأتراك الذين بدأوا، منذ زمن، يظهر على السواحل الإفريقية. ونحن نعلم أن سفناً تركية (عثمانية) قد هددت طرابلس سنة ١٥١٢، فالتحذات الاحتياطيات بتحسين القلعة والصخرة<sup>(٤١)</sup>.

لقد ألحقت مدينة طرابلس بمملكة صقلية، وأخضعت مباشرة لحكومة نائب الملك الذي كان يقيم بصقلية. وفي سنة ١٥١١ استدعي ديجودي فيرا من جديد ليتولى القيادة العامة للمدفعية وخلفه على منصب الحاكم والقائد (دون جيم دي ريجوسن Don Joume de Reguesens). وقد جاء في معيته دون

(٣٩) سوريتاج ٢ الكتاب التاسع الفصل ٣٢.

(٤٠) P. Perali, La guerra di Tripoli del 1511 - in un Doria orvietano dell'epoca in Bibliofilia, XIV, 1912 p. 324.

(٤١) م. سانودو (يوميات) ١٢. يحتمل أن تكون الصخرة المذكورة حصناً دفاعياً بالميناء عرف فيما بعد باسم (Castellejo). وكانت أوضاع القلعة في سنة ١٥١١ سيئة وقد كتب دون هوغو دي مونكادا إلى شارل الخامس أن إصلاحها يتطلب مبلغاً يتراوح ما بين 35 إلى 40 ألف دوكاتو.

Collecion de documentos, ecc XXXIV p. 117.

أنطونيو فنتيميليا (A. Ventimiglia) وجيوفاني أنطونيو مونكادا G. de Moncada والقس غاسباري دي سانجوسا G. di Sanguessa من هيئة القديس يوحنا القائمة حينذاك برودس. كما حضر معه آخرون. ومجموعة من الجند تتألف من ألفين وخمسمائة رجل<sup>(٤٢)</sup>.

ولكن الإسبانين الذين كانوا يباهون باحتلال طرابلس، باعتباره حدثاً سعيداً وانتصاراً للمسيحية بأسرها، لم يغفلوا عن ضمان الاحتكارات التجارية لصالحهم في تلك البقاع<sup>(٤٣)</sup>. ونحن نعرف النظم التي كانت تطبقها الجمارك في طرابلس والتي صدرت عن نيابة الملك بصقلية خلال (١٥١١ - ١٥١٢ - ١٥٢١)<sup>(٤٤)</sup>. فقد كان بطرابلس مسؤول جبركي، أو أمين جبرك، يساعده مخزّن ومحصلان ومحرر ومباشران. وقد شغل منصب أمين المخزن في ١٥٢١ الاسباني ديجودي أوبرجن (Diego di Obregon) الذي كان قد شارك في العام السابق في الحرب بجزيرة. وكانت الضريبة المفروضة على البضائع المتبادلة بين العرب والمسيحيين تشكل نسبة عشرة في المئة. وتعفى من الضريبة المواد التموينية الخاصة بجند الحامية. كما تجبى عن الغنائم البحرية التي يحملها القراصنة المسيحيون للبيع في أسواق طرابلس، نسبة عشرة في المئة بالإضافة إلى حقوق الأميرالية.

وكان يتدفق على مدينة طرابلس عدد كبير من الرقيق، خاصة من جبال برقة. وتحدد التنظيمات الجمركية دفع عشرين (تاري) عن كل رأس من الأرقاء المجلوبين من برقة وغيرها، يستوي في ذلك البيض والسود. وبخصوص فدية العرب بطرابلس فتتقضي التنظيمات بدفع نفس القيمة التي كانت تدفع في المدينة المذكورة، قبل الاحتلال الاسباني، من أجل افتداء واستخلاص الرق

(٤٢) سورتا (المصدر المشار إليه) ج ٢ الكتاب التاسع - الفصل ٣٢.

(٤٣) دي ماس De Mas, Traités, ecc. p. 336 - 342.

(٤٤) G. La Mantia, La Secrezia o dogona di Tripoli e i capitali della sua amministrazione approvati dal vicere di Sicilia negli anni 1511 a 1521 in archivio Storico Siciliano XLI (1916) p. 466 - 490.

المسيحي . أي خمسة دوكات من الذهب عن كل رأس . ودوكاتو واحد كحق لقائد باب المنشية .

ويلاحظ أن الجرابي كانوا يدفعون للجمر ك نفس ما يدفعه الرعايا الآخرون التابعون لصاحب الجلالة . وكانت مدينة البندقية التي تبعت بسفنها إلى طرابلس لعرض بضائعها ، تدفع ضريبة باهظة . وقد احتج تجار البندقية المتضررون من هذا الإجراء في سنة ١٥١٨ ، لدى الملك شارل الخامس عن طريق السفير (كورنارو Cornaro) .

وقد أخذ الوضع التجاري بطرابلس ينهار بسرعة بسبب هذه الإجراءات التضيقية التي قللت من عدد السفن المترددة على ميناء طرابلس . بسبب الأوضاع العامة في البلاد وعزلة المدينة ، إذ كان الثوار يمنعون أية حركة منتظمة تتجاوز أسوار المدينة ، ويعوقون اتصالها بالدواخل والمراكز الساحلية الأخرى ، بينما انتعشت حركة تجارية في الموانئ الصغيرة المنتشرة على الساحل الطرابلسي البعيدة عن السيطرة الأسبانية .

ولم تعد مراكب البندقية التي أطلق عليها اسم (مراكب بربريا) لاختصاصها بالزيارات السنوية لهذه الموانئ ، تجد من المناسب التوقف في طرابلس ، وتحولت إلى الرسو برأس مسرارة (La Maxerata) شرقي طرابلس للمتاجرة مع الأهالي<sup>(٤٥)</sup> .

وفي سنة ١٥١٣ عين ملك إسبانيا ، نائب الملك بصقلية ، دون هوجو دي مونكادا (Hugo de Moncada) حاكماً على طرابلس (مدى الحياة) بمخصصات سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكاتو لمواجهة النفقات اللازمة<sup>(٤٦)</sup> .

وكانت طرابلس في ذلك الوقت تابعة لصقلية . وقد بعث نائب الملك في سنة ١٥١٢ النبيل الصقلي جيوفاني فرانشيسكو باترنو (G.F. Paterno) ليتولى

(٤٥) م . سانودو (يوميات ٢٧ - ٢٥) .

(٤٦) م . سانودو (يوميات) رسالة من باليرمو بتاريخ ٢١ - ٢ - ١٥١٤ .

حكمها باسمه . وقد أقام بها عدة أعوام وعرف بدفاعه عن المدينة .

وفي ١٦ أكتوبر ١٥١١ وزع في كاتانيا منشور أعلن فيه نائب الملك بصقلية، هوجودي مونكادا، أنه سوف تقدم للراغبين في السفر إلى طرابلس والإقامة بها (المساكن الملائمة) وتخصص لهم الأراضي المناسبة للزراعة، ويعفون من كل ضريبة أو رسوم لمدة عشرة أعوام كما يبرأون من كل إدانة مدنية أو جنائية عدا الجرائم الخطيرة<sup>(٤٧)</sup>.

وبموت فردناند الكاثوليكي سنة ١٥١٦ وفقدان الكاردينال خميس سنة ١٥١٧، أهملت اسبانيا حملاتها على إفريقيا، بالنظر إلى انهماك شارل الخامس في صراعاته بإيطاليا، ومزاحمة منافسه الأول، فرانشيسكو الأول، ملك فرنسا.

ولا نعلم سوى القليل عما كان يجري بطرابلس خلال هذه الفترة ومن ذلك تسجيل خسائر فادحة في وباء الطاعون الذي أصابها في سنة ١٥٢٣<sup>(٤٨)</sup>.

ويقص علينا (ليون الإفريقي)، وهو مسلم اعتنق الديانة المسيحية أثناء الأسر، وعرف بأعماله وآثاره الجغرافية (أن طرابلس كانت حين زيارته لها تستعيد سكانها وأن القلعة كانت مجهزة بأسوار ضخمة ومزودة بمدفعية).

وفي إطار الأوضاع العامة بطرابلس والسواحل المتاخمة لها من الشمال الإفريقي تجدر الإشارة إلى حملة ناجحة قام بها دون هوجودي مونكادا - أميرال

(٤٧) أنظر: G. Longo, La Sicilia e Tripoli, Catania, 1912 p. 23 - 26 - 36 - 39.

كانت فكرة استيطان المسيحيين بطرابلس تدخل في اتجاهات السياسة الاسبانية ولكن دون هوجودي مونكادا كتب في ١٥١١ إلى شارل الخامس يقول (إن فكرة تعميرها بالمسيحيين فكرة لا طائل من ورائها).

(pensar de problarla de Cristianos es excusado) coleccion de documentos, ecc, XXXIV

p. 117.

(٤٨) م. سانودو (يوميات ٣٤ - ٤٢٧).



اسبانيا سنة ١٥١٥<sup>(٤٩)</sup> - على جزيرة جربة في سنة ١٥٢٠ . وكان تحت إمرته مئة شراع وثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة جندي من المشاة، وألف من الفرسان .

وكانت الفرقة التي تقدمت الزحف على الجزيرة قد هوجمت وأحاط بها العرب، وخسرت ستائة رجل، وأوشكت على التلف التام، ولكن نائب الملك لم يفقد صوابه، وعاد بالهجوم على أعدائه في اندفاع قوية مدعمة بفرق أخرى، وأجبر الشيخ على الاستسلام، وتوقيع اتفاقية بتبعية للملك الكاثوليكي<sup>(٥٠)</sup>.

أما (شيخ طرابلس) الذي اقتيد أسيراً إلى صقلية فقد أطلق سراحه بعد عشر سنوات من أسره. ويبدو أنه منذ ١٥١١ كان العرب النازحون عن طرابلس يجعلون من عودة الشيخ شرطاً أساسياً لعودتهم إلى المدينة. وقد أرسلوا مبعوثاً إلى بالرمو، ولكن نائب الملك لم يستجب لمطالب النازحين الطرابلسيين، وفكر في تعمير المدينة بالمسيحيين - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ثم اقتنع بإطلاق سراح الشيخ واستخدام نفوذه لتهدئة الأوضاع السياسية وتسويتها.

وفعلاً فإن ثمة رسالة موجهة من الملك شارل الخامس في سنة ١٥٢٠ إلى نائب الملك بصقلية تتضمن موافقته على فكرة إعادة الشيخ لاستخدامه في توطيد العلاقات بين المحتلين والأهالي، وتهدئة الحالة.

كما كتب الملك شارل الخامس إلى ملك نابولي، داعياً إياه إلى كسب مودة أبناء الشيخ وإرسالهم إلى طرابلس في نفس المهمة<sup>(٥١)</sup>.

(٤٩) قام شعب بالرمو الثائر بطرد (دون هوجو دي مونكادا في ١٥١٦) وقد عين بعد ذلك قائداً عاماً للأسطول الاسباني وحملاته على إفريقيا وتولى أيضاً منصب حاكم طرابلس.

(٥٠) Vida de el famoso Caballero Don Hugo de Moncada, opera di Gaspar de Baeça 1564 pub. Coleccion de documentos inéditos para la historia de Espana XXIV p. 15 - 78.

(٥١) المصدر السابق ص ١١٧ - ٢٢٩.

وتفيد رسالة أخرى من بالرمو<sup>(٥٢)</sup> بتاريخ ١٢ يناير ١٥٢٣ (بأنه قد عاد إلى طرابلس ذلك الشيخ الذي كان يحكمها عند احتلالها. وقد حفظت له سيادته ومركزه الشخصي، بحيث عاد إلى المدينة سكان أكثر من خمسمائة بيت. وأرسلت بعض الأخشاب والمواد الأخرى اللازمة للمنشآت وهم يأملون - عن طريق الشيخ المحب لدى سكان المدينة - في عودة الأمور إلى مجراها العادي، بمرور الزمن).

وفي هذه الأثناء أخذ يتزايد نفوذ القراصنة العثمانيين وتعاظم سطوتهم على سواحل الشمال الإفريقي.

#### ٤ - القراصنة العثمانيون في شمال إفريقيا

كان القراصنة العثمانيون طلائع الامبراطورية العثمانية على سواحل (بوبريا) شمال إفريقية. وقد هياؤا الظرف<sup>(٥٣)</sup> لاحتلال كل البقاع التي تمتد من الجزائر حتى طرابلس. ويمكننا أن نؤرخ ذلك بنهاية القرن الخامس عشر، بمعنى أنه اعتباراً من نزوح العرب عن الأندلس، بدأ التدخل التركي في غربي حوض البحر الأبيض المتوسط. بل إن مسلمي إفريقية الذين أصبحوا مهددين بتزايد القوة الإسبانية قد بعثوا يستدعون الأتراك إلى ثغورهم وطلبوا نجدة سلطان القسطنطينية، وبدأ حوالي سنة ١٥١٠ قيام العلاقة الدائمة بين السواحل الإفريقية وقراصنة الأتراك الذي تميزوا بالجرأة والإقدام.

(٥٢) م. سانودو (يوميات ٣٣ - ٦٠٤).

(٥٣) تتوفر حول هذا الموضوع مصادر كثيرة (وببلوغرافيا وافرة، يمكن أن تراجع من أجلها الصفحات ٤١٦ - ٤٨١ من كتاب سلفاتورى بونو: قراصنة الشمال الإفريقي. طبعة تورينو ١٩٦٤.

Salvator Bono, I corsari barbareschi, Torino 1964.

وانظر أيضاً العمل الدقيق: قراصنة الشمال الإفريقي من تأليف ستانلي لان بول.

Stanley Lane Poole, The Barbary Corsairs, London - New York 1890 E.

E. Bravetta, Pirati e Corsari, Milano 1932.

وفي سنة ١٥١٢ - وكما أشرنا من قبل - ظهرت أولى الإشارات إلى وجود السفن التركية التي أخذت تهدد طرابلس التي لم يخض على احتلالها من قبل الإسبان سوى زمن قليل. وبدأ حينذاك نشاط الإخوة (بربروس)<sup>(٥٤)</sup>.

وطبقاً للروايات المتواترة فإن أحد أئمة جيش محمد الثاني، وكان يسمى يعقوب، قد استقر به المقام في (ميليتينة (Militene (Medilli) قرب سنة ١٤٨٠. ورزق بأربعة أولاد هم عروج وإسحاق والياس وخضر. وأصبح عروج في وقت قصير قرصاناً مرعباً مخيفاً. وكانت حياته مليئة بالمغامرات. وقد أسره فرسان رودس مدة من الزمن، ثم أطلقوا سراحه فقصده جربة، حيث لحق به أخوه خضر المعروف فيما بعد باسم خير الدين بربروس.

وقد أثار عروج كثيراً من القول حوله، وأحاطت به شهرة كبيرة أثناء وجوده بسواحل إفريقيا الشمالية، حيث تطلق عليه المصادر الغربية اسم بربروجسا، وهو الاسم الذي ورثه فيما بعد يخوه خير الدين، ويذكره به المؤرخون الغربيون<sup>(٥٥)</sup>. (Cairedino o Ariadeno Barbarosse).

(٥٤) في كتابة موجودة بمسجد خير الدين بالجزائر بتاريخ ١٥٢٠ وردت الإشارة إلى أنه (خير الدين بن الأمير المجاهد في سبيل الدين أبي يوسف يعقوب التركي).

(Revue Africaine, XI, 1867 p. 455 art. (di A Devoulux).

(٥٥) في الوثائق الاسبانية التي ترجع إلى القرن السادس عشر رسم اسم خير الدين بطرق مختلفة (Cayradin, Zayradin, Haradin)

(Hariadeno Barbarossa o Barbaroja)

انظر: مجموعة (الوثائق غير المنشورة من التاريخ الاسباني collection de documentos inéditos por la histoire de Espana vol III passim وما يزال الجدل يدور حتى اليوم حول أصل اسم (بربروسا) فبعضهم لا يرى أن هذا الاسم يشير بالفعل إلى لون لحية الحمراء. ويرى آخرون أن الأصل فيه تركيب لكلمتي (بابا عروج). وقد أوردت المصادر التركية غير المنشورة قصة عروج وإخوته.

(F. Babinger, Die Geschiech sschreiber der Asmanen) und ihre werke, Leipzig 1927, p. 78 - 79 - 383.

وثمة ترجمة عربية لوقائع تركية نقلت إلى الفرنسية ونشرها:

Sander-Rang et Denis, fondation de la Régence D'Alger, Paris 1837.

وفي سنة ١٥١٠ وضع الأخوان نفسيهما في خدمة السلطان محمد، سلطان الحفصيين، بتونس. وحصلا على الإذن باستخدام (حلق الوادي) قاعدة لعملياتهما، مع الالتزام بتقديم خمس الغنائم إلى السلطان. ومنذ ذلك الوقت أخذوا يجوبان البحار، ويغزوان ويهددان الممتلكات الإسبانية في إفريقيا. وفي سنة ١٥١٤ هاجم عروج بجاية. وفي سنة ١٥١٥ هدد بربروس طرابلس<sup>(٥٦)</sup>. وفي نفس السنة سجل ظهوره بثلاثة مراكب أمام تونس<sup>(٥٧)</sup>. وفي عام ١٥١٦ احتل الجزائر وتولى حكمها عروج (بربروسا).

وفشلت كل محاولات الاسبان في استرجاع الجزائر. وقتل عروج بعد سنتين بواسطة فرقة فرسان اسبانية، غربي تلمسان<sup>(٥٨)</sup>، فخلفه على الحكم أخوه خير الدين (بربروسا). ووضع نفسه تحت حماية سلطان القسطنطينية، سليم الأول، وحصل على مساعدات بحرية ومتطوعين من الشرق.

وقد سعى خير الدين سنة ١٥٢٥ إلى الاستيلاء على جربة كما ضايق حلق الوادي. وكانت مراكبه العديدة التي كانت تبلغ في بعض الحالات ثمانين سفينة، تغزو سواحل إفريقيا الشمالية، وتعرقل حركة التجارة.

وكان النشاط الكبير الذي أبداه القراصنة الأتراك قد زاد من صعوبة

---

كما توجد ترجمة اسبانية غير منشورة، تم نقلها إلى الإيطالية ونشرها:

Pelaez, Palermo 1887.

أنظر أيضاً:

hammer, Geschichte des osm. Reiches II

p. 125.

(٥٦) سوريتاج ٢ - الفصل العاشر ٩٧. وقد وردت به أول إشارة إلى خير الدين في المصادر الغربية.

(٥٧) م. سانودو (اليوميات الفصل ٢٠. رسالة من باليرمو بتاريخ ١٨ - ٥ - ١٥١٥ تشير إلى وجود بربروس بطرابلس ورسالة أخرى بتاريخ ٢٩ - ٧ - ١٥١٥ تشير إلى وجوده بتونس.

(٥٨) م. سانودو (اليوميات) حيث تشير رسائل من (فلادوليد) في نوفمبر ١٥١٧ إلى احتلال بربروسا لتلمسان. وفي رسالتين من باليرمو بتاريخ ٣١ - ٥ - ١٥١٨ و ٦ - ٥ - ١٥١٨ إشارة إلى مقتل بربروسا.

الوضع وتعقيده بالنسبة إلى الإسبان في إفريقية. وكانت طرابلس نفسها تعاني أوضاعاً سيئة. ففي سنة ١٥٢٦ كان الشيخ الذي وثق فيه الإسبان قد فر من المدينة وانضم إلى الثوار بتاجوراء<sup>(٥٩)</sup>. وساد الخوف من هجوم متوقع يقوم به الأسطول التركي. وترددت في أكثر من مرة شائعات خلال الفترة الواقعة بين ١٥١٧ - ١٥٢٩ عن إرسال حملات ضد الإسبان في طرابلس<sup>(٦٠)</sup>.

## ٥ - التنازل عن طرابلس إلى فرسان مالطا

النظام المعروف الآن باسم هيئة فرسان مالطا<sup>(٦١)</sup>، كان قد تطور عن هيئة (أمالفيتانية Amalfitana) دينية كانت تتولى - قبل الحروب الصليبية - رعاية أحد الملاجئ في القدس، ومساعدة المعوزين، خاصة الحجاج الذين يقصدون الأراضي المقدسة عند المسيحيين.

وقد تحولت الهيئة في زمن الحروب الصليبية إلى منظمة دينية فرسانية وضعت تحت حماية القديس (يوحنا باتيسيا) وأطلق على أعضائها اسم (اسبترارية Ospedalieri) نسبة إلى أعمال الاستشفاء التي يقدمونها، كما عرفوا باسم اليوحانيين في بعض الحالات النادرة.

ومع أن القيام على شؤون المستشفيات ظل هو الطابع الغالب على نشاطاتهم، غير أنه كانت للفرسان مهام عسكرية. وقد ساهموا في الدفاع عن الأراضي المقدسة ضد المسلمين. وقد كانت لهم أملاك كثيرة واسعة في فلسطين وسوريا وكيليكية. وعندما طردهم صلاح الدين سنة ١١٨٧ من القدس، مع بقية الصليبيين، استقروا في عكا (القديس يوحنا داكري) حتى سنة ١٢٩١، وطردوا أيضاً من آخر هذه الأجزاء من الأراضي المقدسة، فانسحبوا إلى قبرص،

(٥٩) م. سانودو (اليوميات) رسالة بتاريخ ٢٦ - ٣ - ١٥٢٦ وردت الإشارة إلى فرار شيخ طرابلس وانضمامه إلى الثوار بتاجوراء.

(٦٠) م. سانودو (اليوميات) الفصل ٢٤ - ٥٦٧ إلى ١١١.

(٦١) بخصوص فرسان مالطا انظر المقال الذي كتبه

(M. Rava, I Cavalieri di Malta a Tripoli in L'Oltremare giugno 1929) p. 253 - 257.

وأحتلوا حوالي سنة ١٣٠٦ جزيرة رودس والجزر المجاورة لها، وأقاموا دولة حقيقية تحت حماية البابا وأمرأء المسيحية.

وبعد قرنين، أي في ٢٦ ديسمبر ١٥٢٢ دخل السلطان سليمان الأول رودس التي دافع عنها الفرسان ببسالة، بعد حصار عنيف، دام ستة أشهر. وترك الفرسان هذه الجزيرة الجميلة والتجأوا إلى شيفتافيكيّا (Civitavecchia) وتم تعيين مركز المنظمة في فيتربو (Viterbo) وظلت فرقة الأسطول في شيفتافيكيّا حيث كانت تقوم بعمليات جريئة في ملاحقة القراصنة المسلمين.

ولم يكن هذا الركود الذي اتسمت به أعمال المنظمة، أثناء إقامتها بإيطاليا، ليتلاءم مع تاريخها الطويل الحافل بالصراع ضد أعداء الصليب. وكان الفرسان يرغبون في استعادة رودس أو الاستقرار في أية جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط حيث يمكنهم أن يستأنفوا نشاطهم الصليبي. وفي أكتوبر ١٥٢٤ أرسل المرشد الأكبر إلى شارل الخامس وفدّاً يطلب منهم جزيرة مالطا. وقد أبدى الامبراطور ترحيبه بهذا الطلب، واشترط أن تتولى المنظمة مهمة الدفاع عن قلعة طرابلس ومدينتها. وقد أرسل المرشد ثمانية من الفرسان لزيارة جزيرة مالطا وغوزو وطرابلس، وقدموا تقريراً عن أحوال القلعة والصور وميناء طرابلس<sup>(٦٢)</sup>. وذكر المبعوثون الثمانية أن المدينة تقع في مكان صحي، ويحيط البحر بثلاثي مساحتها، أما الثلث الباقي فيحيط به سور دائري طوله ٣٧٢٨ خطوة. وأن ثمة مسافة من السور تبلغ حوالي مئتي خطوة، قد لحقها الدمار، يقصد الاستفادة من موادها في تدعيم تحصينات القلعة. أما الأسوار فيبلغ ارتفاعها قصبتيْن ونصفاً، وهي مهددة في أكثر من موضع بالانهيار والخراب. وقد جرت حمايتها بواسطة أسوار إضافية لا تصمد للمدفعية، وهي بلا أبراج وخنادقها ضيقة وليست عميقة.

(Bosio: Istoria della S. Religione Gerosolimitana).

(٦٢)

أنظر أيضاً أعمال (أوريجينا) التي سبق ذكرها.

كما تابعت في كثير من النقاط بحثي الذي نشر باسم:

Il dominio dei Cavalieri di Malta a Tripoli in Archivum melitense VI Malta 1924.

أما المنازل والمنشآت (فمن المؤكد أنها كانت كلها مدمرة نتيجة الهجوم الواقع على المدينة ١٥١٠). وأما القلعة فتكاد تكون مربعة الشكل، وذات برجين أو ركنين حادين يواجهان المدينة. وهي في حاجة إلى الإصلاح والترسيم سواء فيما يتصل بالأساسات التي تهتر وتآكلت بتأثير البحر، أو فيما يتصل بتلبس الأسوار المكونة من تربة رملية. ويعتقد أنها لن تصمد للمدفعية العنيفة، يضاف إلى ذلك أن القلعة والمدينة تخضعان لتحكم هضبة أو جبل صغير يقع إلى الجانب الجنوبي الشرقي. أما الميناء فهو صغير وغير مأمون وتهده الرياح الشرقية وتقيه بعض الجزر الصغيرة من الجهة الغربية وطرابلس مزودة بالمياه. وثمة بئر قرب القلعة من الجهة الشرقية. وأن السكان قد انخفضوا إلى ستين عائلة عربية، وهم يملكون خمسة وعشرين حصاناً للدفاع عن المدينة، والقيام بهجمات على الأعداء. وهم موالون للإسبان. أما الدخل فيتمثل في نسبة العشرة بالمائة التي تجيها الجمارك على البضائع وضريبة الرق. وهي (دوكاتو) لكل رأس سواء في الدخول أو الخروج.

وكان على نائب الملك بصقلية (دون أتوري بنياتلي Don Ettore Pignatelli) أن يدير وسائل المحافظة على طرابلس والقيام بشؤونها. وكان يتلقى من الإمبراطور مبلغ اثني عشر ألف سكودو سنوياً للنفقات العادية. أما العتاد والنفقات الإضافية الطارئة فكان يتولاها الإمبراطور. وكانت بالقلعة مدافع كثيرة.

وقد ترددت المنظمة في قبول العرض بإلحاق طرابلس ضمن سيطرتها، الأمر الذي كان شرطاً ثقيلاً مقروناً بمنح مالطا<sup>(٦٣)</sup>. وقد نصح المبعوثون الذين زاروا طرابلس سنة ١٥٢٤ المرشد الأكبر بعدم قبول هذه المهمة الثقيلة، ومع ذلك فقد كان لا بد من الإذعان لإرادة الإمبراطور، وعدم إضاعة الفرصة التي تهيء للمنظمة تنظيمياً يتلاءم مع تقاليدها وأهدافها. وقد استغرقت المفاوضات

(٦٣) م. سانودو (اليوميات) ٥٣ - ٣٥٩ حيث ينقل رسالة بتاريخ ١٠ - ٦ - ١٥٣٠ يشير فيها إلى تردد فرسان مالطا في قبول طرابلس وعدم رغبتهم فيها بسبب النفقات وبعد المسافة.

مدة طويلة حتى أمكن الاتفاق النهائي . وذلك لتوالي بعض الأحداث التي أذهلت شارل الخامس ، وصرفته عن التفكير في طرابلس ، وهي حرب إيطاليا وروما سنة ١٥٢٧ . وأخيراً وقع الإمبراطور في ٢٤ مارس ١٥٣٠ مرسوم التنازل عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا في (كاستيل فرانكو بولونييزي Cas-telfranco Bolognese) .

وقد ورد في هذا المرسوم ما يلي :

(رغبة منا في تدعيم الدبر والمنظمة والهيئة الدينية لمستشفيات القديس يوحنا وتوفير إمكانية الاستقرار لها .

واستناداً إلى رغبتنا في أن ينال المرشد الأكبر الجليل المبجل ورؤساء الهيئة وقادتها وفرسانها مقرأ ثابتاً ومركزاً محدداً . . .

وانطلاقاً من محبتنا ومن العطف الذي نحمله لهذه الهيئة ، فقد قررنا عن طيب خاطر التنازل للمرشد الأكبر والمنظمة عن مقر ثابت دائم . ويعتبر مرسومنا هذا ساري المفعول على جميع العهود التالية لنا ، على ورثتنا وجميع خلفائنا في مملكتنا . ونحن نتناول ونمنح بكامل الإرادة الحرة المرشد الأكبر والدين والمنظمة المعروفة باسم القديس يوحنا المقدسي إقطاعاً نبيلاً دائماً حراً مشمولاً بالإعفاء كلاً من المدينة والقلعة والجزر التابعة إلينا في طرابلس ومالطا وغوزو مع جميع البقاع التابعة لها .

وإقراراً منهم بإقطاعنا ، عليهم أن يقدموا صقراً في كل عام ، عند الاحتفال بعيد جميع القديسين . . .)<sup>(٦٤)</sup> .

---

(٦٤) بوزيو: في كتابه فرسان القديس يوحنا المشار إليه (ج ٣ - ٨٠) ويوجد أصل هذا المرسوم باللغة اللاتينية بمالطا (Palazzo Magistrale) وقد نقلت منه صورة طبق الأصل في الجدول الثاني من بحثي :

Storia della Marina dell Ordine di S. Giovanni di Gerasaleumuc, di Rodi e di Malta.  
Roma 1916.



وفي يونيو ١٥٣٠ كان مندوبو المرشد الأكبر الذي انتقل في هذه الأثناء إلى (نيس) ثم إلى (سيراكوزة) قد استلموا السيطرة على مالطا، واتجهوا إلى طرابلس حيث استلموا من (فرانشيسكو فلاسكيز F. Velasquez) نائب الحاكم، كسفاً بالمدفعية التي كانوا ملزمين بإرجاعها إلى الإمبراطور. وسرعان ما وصلت إلى طرابلس سفيتتان تحملان العتاد والمؤونة وقافلة من الفرسان وفرقة من الجنود، تحت قيادة غاسباري دي سانغوسا (Gaspere de Sanguessa) أول حاكم توفده المنظمة إلى طرابلس<sup>(١٥)</sup>.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار المعنى التاريخي والنتائج المترتبة على هذه السيطرة الإسبانية، أدركنا أنها كانت مجرد حدث ضمن الدور الذي مثلته إسبانيا، بحظ قليل من النجاح، في شمال إفريقيا خلال القرن السادس عشر.

إن إسبانيا - كما لاحظنا في بداية هذه الدراسة كانت مدفوعة بطموحها إلى التفوق على كافة الدول والانفراد بالسيادة على البحر الأبيض المتوسط. كما كانت مدفوعة بالحركات الدينية، في توسعها واحتلالها للمراكز الرئيسية من سواحل الشمال الإفريقي. ولكن مشاكل أوروبا والقوى والوسائل التي استنفدتا اكتشافات العالم الجديد، قد حالت دون تأكيد هذه السيطرة بشكل دائم. وإذا تجاوزنا عن بعض المشاكل والصعوبات الأخرى التي استنفدت الطاقات الإسبانية،<sup>١</sup> فلا يبدو لنا أنه كانت لأسبانيا ولا لحكامها خطة استعمارية منظمة مضمونة. كانوا يفكرون في إقامة سلسلة من الحاميات (برسيديوس Presidios) على الساحل. دون التوغل في الداخل.

وقد فكر الكاردينال خمينس (Ximenes) في ١٥٠٩ والملك فرديناند في سنة ١٥١٢ في إرسال فرسان من الهيئات الدينية العسكرية في (سانتياغو، وكلاترافا، والقنطرة) إلى بجاية ووهران وطرابلس وذلك للقيام بدور مماثل لفرسان رودس.

(٦٥) يوزيو: ج ٣ ص ٨٤.

وقد جاء في رسالة الملك فرديناند إلى (بدرودي نافارو) في مايو ١٥١٠ تأييده لوجهة النظر القائلة بإسكان المسيحيين في وهران وبجاية وطرابلس. أخذاً بالفكرة القائلة باستحالة الاحتفاظ بها مدة طويلة، بالإبقاء على سكانها العرب<sup>(٦٦)</sup>.

ويمكن أن يقال إن ذكر الاحتلال الإسباني لطرابلس ظل مقروناً أو مرتبطاً بصفة عامة بإعادة تحصين القلعة وبنائها.

أما دواخل طرابلس فلم تطأها أقدامهم أبداً إلا في حملات قصيرة موجّهة ضد القرى الساحلية القريبة من طرابلس.

## ٦ - حكم فرسان مالطا في طرابلس ١٥٣٠ - ١٥٥١<sup>(٦٧)</sup>

إن مسؤولية النهوض بأعباء قلعة هامة، والتهديد المستمر من البر والبحر والأوضاع القلقة للمنظمة التي لم تنظم شؤونها في مقرها الجديد، بالبطا، وبعض الانقسامات الداخلية بين الفرسان أنفسهم، كل هذه الأسباب جعلت مركز الحاكم في طرابلس دقيقاً حرجاً. وقد أسند هذا المنصب في الغالب إلى شخصيات من ذوي الشأن والشجاعة. وقد شغل منصب الحاكم مرتين (فرا أوريليو بوتيجلا Fra Aurelio Bottigella) وهو قائد بحري جريء. كما شغل منصب الحاكم مدة ثلاث سنوات (١٥٤٦ - ١٥٤٩ م) (فرا جيوفاني لافاليتي Giovanni La Valette) وقد أمسك بزمام الأمور بطريقة حازمة. وكان موضع تقدير. كما كان الزمن يدخر له مستقبلاً رفيعاً.

وكان إلى جانب الحاكم، في الغالب، نائب له وفارس يشغل منصب أمين الخزانة، ويهتم بإدارة البنود المالية التي لم تكن تتكافأ أبداً مع أهمية أعمال

(٦٦) بردول بمقاله المشار إليه في المجلة الإفريقية ١٩٢٨ ص ٢٣٠ - ٢٣١ سورتا في مصدره. المشار إليه، ج ٢ الكتاب التاسع، الفصل ٤٩.

(٦٧) أنظر:

I Cavalieri Geroslimitani a Tripoli negli anni 1530 - 1551 dall'opera di Giacomo Bosio..

Istoria.. parte III a cura di S. Aurigemma, Intra 1937.

التحصين وضرورتها. كما يشرف على حركة الجمرک الذي اقتصر على بعض الاستيرادات والتصديرات الضئيلة، فأل دخله بالتالي إلى شيء محدود بسيط. وكان يقيم في القلعة بصفة عادية خمسون شخصاً من الفرسان، ومائتان تقريباً من الجنود، منهم اثنا عشر مدفعية. وقد تم تجنيدهم في مالطا وإيطاليا.

أما المدينة فقد كانت تتولاها حامية من الأهالي لا يزيد عددها على مئة بين فرسان ومشاة. وقد نقص عدد السكان كما يبدو إلى ثمانين أسرة.

ولقد تعرضت طرابلس إلى متاعب كبيرة من جراء الهجوم الذي وقع سنة ١٥١٠ - كما سبق أن أشرنا - وقد هدم جزء من السور لاستخدامه في تدعيم القلعة التي كانت تبدو في حالة لا تمكنها من الصمود أو مواجهة أي هجوم قوي عنيف. وقد أطلق على الركنين أو البرجين اللذين يقعان عند طرفي الجانب المواجه للشرق اسم القديس جورج (للركن المواجه للمدينة) واسم القديس جاكومو (للركن المواجه للبحر) بينما أطلق على الساحة الواقعة بينهما اسم القديسة بربرا.

أما داخل القصر فقد كان يضم بيت الحاكم والفرسان والمخازن، كما كانت هناك - بلا ريب - كنيسة يغلب على الظن أنها مسماة باسم القديس ليوناردو. وكان في خدمتها أربعة من القساوسة التابعين للمنظمة، وكان هناك باب رئيسي إلى جانب برج سان جورجو يصل القلعة بالمدينة<sup>(٦٨)</sup>.

وقد توفرت للميناء حماية طيبة بوجود البرج المسمى (سان بيترو) ويقوم قرب الجمرک، عند نقطة التقاء السور الشمالي الشرقي بالسور الشمالي

Rossi, Il dominio dei cavalieri di Malta in *archivum melitense* VI p. 46 - 50 (٦٨)

Ramanelli, Scavi e scoperte nella città di Tripoli in *Not. Arch. Min. Colonie* III 1932 P. 110 - 111.

Aurigemma, Il Castello ecc, p. 543.

Guidi, Il restauro del Castello di Tripoli negli anni XII - XIII con una breve descrizione del fortilizio e delle opere d'arte che vi sono custodite, Tripoli 1935.

الغربي. كما كان هناك حصن آخر يسمى (كاستيلاجو Castellejo) يحمي مدخل الميناء عند أقصى أطراف الجزر<sup>(٦٩)</sup>.

إن سلطة حاكم طرابلس (كما هو الشأن أيضاً في العهد الإسباني) لم تكن لتمتد إلى أبعد من نطاق المدينة. كانت بعض القرى الواقعة على الساحل الغربي مثل جنزور والماية وزواغة (طرابلس القديمة) تدفع خلال الأعوام الأولى للاحتلال الضريبة، بطريقة غير منتظمة.

وفي تاجوراء التي تقع على مسافة اثني عشر كيلومتراً شرقي طرابلس، تركزت - كما أوضحنا - مقاومة العرب ومقاومة القراصنة الأتراك الذين كانوا يتطلعون إلى استرجاع طرابلس، ويثيرون القلاقل والمضايقات في وجه الحماية المكونة من الفرسان.

وفي ذلك الوقت أصبح خير الدين (بربروسا) سيد الجزائر، وتزايدت قوته، وصار فيما بعد قائداً عاماً لكافة الأساطيل العثمانية. وكان يعترض في جراً وإقدام أساطيل البندقية والإمبراطورية. وكان يقوم بغارات متوالية على السواحل الإيطالية والإسبانية، ويزود بالسلاح والجنود نائبه الذي يسمى هو الآخر خير الدين، ويحمل في خيلاء لقب ملك تاجوراء. وقد حول بلدة تاجوراء إلى قلعة حصينة. وأقام بها برجاً لحماية ثغرها الصغير الذي كانت تؤمه وترسوه سفن القراصنة<sup>(٧٠)</sup>.

وكان سلطان تونس مولاي الحسن الذي تولى العرش سنة ١٥٢٦ يدعي حقوقاً شرعية للسيادة على طرابلس الغرب. وكان على علاقة حسنة مع منظمة فرسان مالطا. وقد أبدى عدة محاولات لطرد الأتراك من تاجوراء، وتسليمها إلى

(٦٩) أنظر دراسات أوريجينا عن القلعة وتحصينات طرابلس.

(٧٠) م. سانودو (اليوميات) ٥٥ - ٥٠٨.

أنظر أيضاً الوثائق الملحقه بكتابي (طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا ص ٨١ - ٨٢) قدم خليفة التلي خلاصة هذه الوثائق في آخر الكتاب المعرب.

الفرسان، حكام طرابلس<sup>(٧١)</sup>. وقد قاد أوريليو بوتيجلا Aurelio Bottigella الذي عهد إليه بحكم طرابلس سنة ١٥٣٥، حملة ناجحة على تاجوراء. أما خلفه (غارسيا كورتس Garzia Cortès) فقد اصطحب معه، من مالطا، سنة ١٥٣٣ مهندس المنظمة (المايسترو بشينو Picino) وهو من فلورنسا، وكان مكلفاً بدراسة التحصينات الضرورية العاجلة التي تحتاج إليها القلعة. وقد تم فعلاً تدعيم الأوضاع الدفاعية في القلعة، خلال الأعوام التالية، في عهد الحاكم شكلنج Schiling<sup>(٧٢)</sup>.

وفي هذه الأثناء مات في مالطا المرشد الأكبر (ليزلي أدامو I'Isle Adamo) وأصبحت أوضاع طرابلس مهددة بالخطر، بعدما احتل خير الدين (بربروسا) تونس، في شهر يونيو في العام التالي، وأرسات جماعة من الفرسان إلى طرابلس لدعم حاميتها، في ديسمبر ١٥٣٤ م<sup>(٧٣)</sup>.

وكان الخطر من وجود (بربروسا) في تونس واضحاً جداً حتى وجد شارل الخامس نفسه مضطراً إلى أن يقود بنفسه حملة قوية، على تلك القلعة المنيعه، وقد شاركت في الحملة منظمة فرسان مالطا بإرسال الرجال والسلاح. وهزم (بربروسا) وطرد من تونس. وأعيد إلى العرش السلطان الحفصي مولاي الحسن (يوليو ١٥٣٥ م).

(٧١) م. سانودو (اليوميات) ٤٦ - ٩٩ - ٢٣٨ - ٦٢٢ الفصل ٥٧ - ٤٣٨ ثمة إشارات كثيرة مختلفة في هذه اليوميات الثمينة، يبدو أنها تؤكد أن التحالف بين نظام فرسان مالطا وسلطان تونس كان تحالفاً فعالاً خاصة في عام ١٥٢٢. وقد قامت قرب شهر يونيو من ذلك العام قوات تونسية بمحاصرة تاجوراء. وقد رفض السكان العودة إلى حكم الأتراك. وقد ذكروا للموفد التونسي أنهم قد أعلنوا ولاءهم للسلطان التركي وأنهم يفضلون أن يمزقوا إرباً إرباً على العودة تحت عرش تونس. وفي نهاية تلك السنة غادر الأتراك تاجوراء إلى جربة ثم عادت تاجوراء في الأشهر الأولى من عام ١٥٣٣ إلى سيطرة (خير الدين التركي) اليوميات ٥٨ - ٥٣٣.

(٧٢) بوزيو ج ٣ ص ١٢٤ - أوريجيا (القلعة. . ص ٥٥٣) - روسي: طرابلس تحت حكم الإسبان - التذييل - الوثيقة رقم ٣.

(٧٣) روسي: سيادة فرسان مالطا على طرابلس. . . في: Arch. Melit ج ٦ ص ٤٨ و ٦٣ - ٦٤. وكذلك تذييل كتابه (طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا الوثيقة الرابعة).

أما خير الدين، صاحب تاجوراء الذي يسانده ويعاضده المغامرون من القرصان الذين يتدفقون عليه من كل مكان، وكان بعضهم مرسلاً إليه من (بربروسا) نفسه، فقد كان يعمل على تشديد الضغط على طرابلس، واستطاع أن يشيد برجاً سمي برج (القيادة أو القائدة alqaide) على مسافة ميل من القلعة.

كان الحاكم آنذاك، فرا جورج شككنج. وكان أحد قادة البحرية الشجعان. وقد حصل على نجدة من مالطا، قامت في صيف ١٥٣٦ م تحت قيادة بوتيجلا بهجوم على البرج، واستولت عليه وهزمت خير الدين صاحب تاجوراء. ويحتمل أن يكون قد قتل في تلك الأثناء، ومن المؤكد أنه لم يظهر له ذكر منذ ذلك الوقت<sup>(٧٤)</sup>. وقد ظهر في مكانه حوالي سنة ١٥٣٩ م في تاجوراء مراد آغا، زعيماً وقائداً للثوار، ويسميه كتاب العصر من الغربيين Moratago o Muradaga.

أما الأخبار التي ردها المؤرخون العرب عن وصوله فقد كانت حافلة بالخيال. وهي تقص علينا أنه بعد احتلال الإسبان لطرابلس سنة ١٥١٠ م، قام وفد من تاجوراء بالسفر عن طريق البحر إلى القسطنطينية سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٩ - ١٥٣٠ م) طلباً لنجدة السلطان ومساعدته. وعندما وصل الوفد إلى القسطنطينية تعجب الأتراك من مسلك أعضائه، فسألوهم عن المكان الذي قدموا منه، فأجابوا أنهم من طرابلس الغرب، وأنهم قدموا القسطنطينية التماساً لمساعدة السلطان. وقد استقبلهم السلطان وأصغى إلى مطالبهم، مستخدماً في الترجمة بينه وبينهم المسيحي الأصل (أولوج)<sup>(٧٥)</sup> (علج) مراد آغا الذي كان

(٧٤) أنظر الوثيقة الرابعة والوثيقة الخامسة في ذيل كتاب روسي عن (طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا). تعريب خليفة محمد التليسي.

(٧٥) يقول (نيكولودي نيكولاي) الذي قابل مراد آغا أثناء حصار طرابلس عام ١٥٥١ وتحدث إليه (إنه خصي. وأصله من راقوزة وإنه كثير الخبرة بفنون الحرب).

Nicolò de Nicolai, Navigazioni et Viaggi - Venezia 1580 P- 22.

ويخصوص حياة مراد آغا انظر:

يعرف اللغة العربية. وقد أعاد السلطان الوفد صحبة مراد آغا نفسه الذي حل بطرابلس واعترف به زعيماً أو رئيساً على سكان غريان سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ - ١٥٤٦ م)<sup>(٧٦)</sup>.

ونخبرنا (بوزيو)<sup>(٧٧)</sup> أنه في سنة ١٥٣٩ م أغار (بربروسا) على المياه الإيطالية. وأن مراد آغا نائبه (كاهيته) قد استحثه وألح عليه في القيام بالاستيلاء على طرابلس.

وفي سنة ١٥٣٩، عقب المرة الثانية التي تولى فيها أوريليو بوتيجلا الحكم، جاء إلى طرابلس (فرا هرناندو دي براكامونتي (Hernando de Bracamonte) وكان يشغل منصب المرشد الأكبر في ذلك الوقت، (جيو فاني دي هوميديس Giovanni de Homedes) الذي أخذ يسعى لدى شارل الخامس ويلح على أهمية طرابلس وضرورة الاهتمام بأوضاعها الدفاعية الضعيفة وطلب من الإمبراطور أن يختار بين أمرين (إما أن يساعد في تسوير طرابلس من جميع الجهات بأسوار قوية حصينة حديثة، ويحيطها بأبراج ملكية منيعة وخنادق حسنة، وإما أن يأمر جلالته بأهون الأصرار، وهونسف القلعة بالألغام وتخريب الميناء بردمه، وإغراق بعض المراكب المشحونة بالصخور والرمال عند مدخله)<sup>(٧٨)</sup>.

إن المكاتبات المتبادلة بين سلطان تونس الخاضع لحماية الإسبان، وبين (دون فرانتني غونزاغا Don Ferrante Gonzaga) نائب الملك بصقلية، تلقي أضواء على الأوضاع العامة بطرابلس، وبقاعها الأخرى، في تلك الأعوام، فهو

R. Bartocchini, La Moschea di Murad Agà in Tagiura in Architetture ed Arti Decorative, III - 1924.

S. Aurigemma, Murad Agà in Riv. della Colonie Italiane 1930 p. 853 - 873

(٧٦) ترددت هذه الرواية لدى الرحالة المغربي (العيّاشي) فاس ١٣١٦ ص ٦٦ - ٦٧ وذكرها أيضاً ابن غلبون ص ٦٧ الطبعة الإيطالية، ورددتها أيضاً النائب ص ١٨٥.

(٧٧) بوزيو (ج ٣ ص ١٢٨).

(٧٨) بوزيو (ج ٣ ص ١٨٨).

يرد على (غونزاغا) الذي يوصيه بإرسال قوة لتحرير جربة وتاجوراء (بتاريخ ٢١ نوفمبر) (أن الشوكة في العين تؤلم أكثر من الشوكة في القدم).

لقد استولى الأتراك على بعض أراضيهم، وهي في نظره أهم من تاجوراء. وحين تلقى تحريضاً مماثلاً رد عليه السلطان بالقول الذي رد به في سنة ١٥٤١ مؤكداً أن اهتمامه منصرف إلى تحرير القيروان، وأنه إذا استرجع هذه الأراضي فسيسهل عليه الاستيلاء على تاجوراء.

وفي العام التالي أبلغ سلطان تونس غوزانغا بأنه قد وصلت مراكب تركية إلى سواحل الشمال الإفريقي، وأنها تركت قسماً من ركابها بتاجوراء. أما الباقي فيبدو أنه يتجه إلى المهديّة. ويبدو أن الأتراك قد وضعوا خطة واسعة كبيرة يرمون من ورائها إلى احتلال ساحل شمال إفريقيا بأسره<sup>(٧٩)</sup>.

وفي سنة ١٥٣٧ وسنة ١٥٣٩ جرت بين (بربروسا) وبين الإمبراطورية مفاوضات تدخل في نطاق المحاولة التي تهدف إلى فصل (بربروسا) عن السلطان سليمان. وقد طلب بربروسا طرابلس وتونس وبجاية. ولما كان من المتعذر تسليمه تونس فقد وعد ببونة وبجاية، وحتى طرابلس إذا كانت المنظمة مستعدة للتنازل عنها<sup>(٨٠)</sup>.

---

Lettre inédite di Muley - Hassen Re di Tunisi e Ferrante Gonzaga Viveré di Sicilia (٧٩)  
1537 - 1547 publicate de Federico Adorici e illustrate - da Michele Amari - Modena  
1865 p. 44 - 45 - 62 - 65.

Gaetano Capasso, Il Governo di Don Ferrante Ganzaga in Sicilia dal 1535 - 1543 in  
(Arch. Storico Siciliano XXXI 1906 p. 37 - 39).

Janichcourt, (Etudes Kairouanaises) in Revue Tunisienne 1932 p. 327.

Carlo Capasso, Barbarossa e Carlo V in Riv. Stor. ital. serie IV, II 1932 p. 169 - 209 - (٨٠)  
304 - 348.

ومن جهة أخرى يبدو أن نائب الملك بصقلية دون فرانتي قونزاغا قد أوفد في سنة ١٥٤٠ سفيراً إلى ملك إسبانيا مقترحاً عليه العمل على احتلال تاجوراء وجربة بقصد إجلاء الأتراك عن سواحل المشرق ثم يتجه بعد ذلك إلى احتلال (قليبيّا) على الساحل التونسي ثم القيروان بالتعاون مع ملك تونس (برودل المصدر المذكور ص ٤١١).



وفي عهد ولاية فرناندو دي براكومنتي نجد - للمرة الأولى - الإشارة إلى وجود أحد المسيحيين المعتنقين للإسلام، ويدعى مراد آغا (Morataga)، وهو يقوم بمساعدة بربروسا بتضييق الحصار على المدينة<sup>(٨١)</sup>، ويزحف بخطوط جبهته إلى مسافة ثلاثة أميال من القلعة، ولذا فقد كانت تجري أعمال حفر الخنادق، وتعلية الحصن (Castellejo) لتأمين الدفاع عن الميناء. ومن أجل تحقيق هذه الغاية أرسل إلى طرابلس أكثر من مرة، قائد عام البحرية فرا جورج شكلنج (G. Schiling) في ديسمبر ١٥٤٣ وأبريل ١٥٤٣<sup>(٨٢)</sup>. وقد رفض سكان السواحل الغربية الذين كانوا خاضعين في البداية لطرابلس، دفع الضريبة.

وفي عهد (كريستوفانو دي سوليس فرنان (Cristofano de Solis Farfán) سنة ١٥٤٥، تقرر الحملة ضد المائة قرب جنزور. وتوجه حينذاك على رأس أربعة مراكب تابعة للمنظمة (فراسنيورينو قنارا (Signorino Gattinara). وفي إحدى الليالي الأولى من شهر أغسطس خرج حوالي ألف من المسلحين، قسم منهم عن طريق البر والآخر عن طريق البحر، وتجمعوا قرب

---

(٨١) أما أن مراد آغا كان يعمل تحت قيادة بربروسا فذلك أمر تؤكد الأخبار التي أوردناها فيما تقدم. ويذكر المؤرخ التركي حاجي خليفة في كتابه (تحفة الكبار) أن مراد آغا كان صحة بربروسا في ١٥٣٥ غداة هزيمته في تونس. أنظر:

L. Bonelli, in Centenario della nascita de Michele Amari, Palermo 1910 vol II p. 348 - 349.

حيث نشر رسالة مخطوطة لبربروسا بتاريخ ١٥٤٣ يحتج فيها على قيام سفن البندقية باستخلاص بعض الأسرى المسيحيين ممن كانوا على ظهر سفينتين قادمتين من الشمال الإفريقي بقيادة مراد آغا. وكان مراد آغا قد وصل إلى تاجوراء في ١٥٤٢ بثلاث سفن محملة بالأتراك. (٨٢) روسي: طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، الوثيقتان السابعة والثامنة بذييل الكتاب. ويقول بوزيو (ج ٣ ص ١٢٦) أن حاكم طرابلس فراهرناندو دي براكومنتي قد أبلغ مالطا بوصول مراد آغا إلى تاجوراء في مستهل خريف سنة ١٥٤٢ موفداً من بربروسا بسفينتين كبيرتين مسلحتين تحملان ثلاثمائة جندي تركي مكلفاً بدعم الثورة على سلطان تونس والعمل بقدر الإمكان على الاستيلاء على مدينة طرابلس وقلعتها.

وبخصوص التضارب في تواريخ وجود مراد آغا بتاجوراء ووصوله إليها انظر:

Aurigemma, I Cavalieri gerosolimitani a Tripoli negli anni 1530 - 1551 Intra 1937 p.94.

القرية، ولكن سوء تصرف ضارب الطبل الذي أعطى إشارة الهجوم قبل موعدها كان سبباً في إخفاق المباغته. ومع ذلك فقد كانت الغنائم قيمة، وأسر ٤٢٥ أسيراً<sup>(٨٣)</sup>. وقد قاد (لافاليتي La Valette) الذي حكم طرابلس من سنة ١٥٤٦ إلى ١٩٤٩ عدة حملات متكررة على مراد آغا. ووسع المجال أمام المدينة المحاصرة بإبعاد نطاق الحصار عنها. كما قاد في سنة ١٥٤٦ حملة مفاجئة خرجت أثناء الليل للهجوم على تاجوراء، عن طريق البر، قوامها جنود مسلحون بالقربانيات، وتدعمها سفينتان قامتتا بإنزال بعض المدافعين الذين توغلوا حتى البرج الذي يحمي الميناء الصغير بتاجوراء. فأشعلوا النار في أحد مراكب مراد آغا. وعندما طلع النهار لاحقهم مراد آغا في طريق عودتهم إلى طرابلس. وجرت معركة بين الفريقين أسر فيها الفارس (مارزليا Marziglia)<sup>(٨٤)</sup>. وقد تزايد القلق بخصوص الدفاع عن طرابلس، وتوجه المرشد الأكبر بطلب المعونة من البابا أيضاً. وأرسل إلى روما في ٨ يناير ١٥٤٧ رئيس دير لومبارديا (فرا كارلو سفورزا Fra Carlo Sforza) لكي يتولى نقل الطلب والتذكير بالأوضاع الحرجة التي تواجهها المدينة.

وقد يكون من المناسب أن نورد هنا النص الكامل للتعليمات التي صدرت إلى المبعوث:

(تعليماتنا إليكم أيها المتدين الجليل اللامع فراكارلو سفورزا عن القضايا التي تتناولونها بالبحث مع صاحب القداسة عن قضية طرابلس. أولاً - قبلوا قدمي صاحب القداسة فور وصولكم إلى روما، وبلغوه نيابةً عنا، رغبتنا في خدمته كأبناء حقيقيين وخدام مطيعين. وقدموا إليه الرسالة التي

(٨٣) بوزيوج ٣ ص ٢٣٩.

(٨٤) بوزيوج ٣ ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

أوريجمما: (مراد آغا) مجلة وزارة المستعمرات ص ٨٥٧ - ٨٥٨، أنظر أيضاً الوثيقة العاشرة الملحقة بكتاب روسي عن طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا. حيث تتحدث الوثيقة المذكورة عن إرسال قائد السفن فرا هرناندو في يوليو ١٥٤٦ إلى تاجوراء للاستيلاء على سفينة مراد آغا.

بعثناها باعتمادكم، وذكروه كيف أنه منذ أن منح قداسته جزر مالطا وقوزو وقلعة طرابلس إلى المنظمة، ونحن نبدي اهتماماً دائماً بتدعيم هذه القلعة وتزويدها بالجنود وكافة الأشياء الضرورية، متكبدين في ذلك نفقات باهظة وإرهاقاً كبيراً للمنظمة، وكما هو معلوم لدى قداسته فإنه منذ أربعة أو خمسة أعوام<sup>(٨٥)</sup>، قد جاء إلى هنا التركي مراد آغا، وهو من أتباع بربروسا وقد أعلن نفسه ملكاً على تاجوراء. وهي أرض قريبة جداً من قلعة طرابلس. وقد استطاع بطرقه الخاصة أن يجمع حوله - بالإضافة إلى الأتراك الذين معه - عدداً آخر من العرب الذين ربطتهم به صلات ود وتحالف، ومن ذلك الوقت تعرضت القلعة إلى حرب متتابة متواصلة عادت بالضرر على الطرفين. ورغم أن ملك تونس - بتأييد من منظمنا - قد اهتم بطرد مراد آغا ولكنه لم يتمكن من ذلك، مما زاد في قوته كل يوم، سواء بتأييد من بربروسا أو من درغوث ريس، وهو قرصان كبير من الموالين له والمقربين إليه. وطبقاً للمعلومات المتوفرة لدينا، فإنه بتأييد من بربروسا، ويتضامن واتفاق مع درغوث ريس والأهالي المجاورين، يعد العدة الآن لتنفيذ خطته للاستيلاء على القلعة. ويعتقد أنه سينفذ خطته تلك، ولو بالاقصرار على الأقل - على احتلال مدينة طرابلس التي تحيط بتلك القلعة. فإذا قدر له أن يحتلها فسيصبح من المتعذر الاحتفاظ بها والدفاع عنها. وإنه إذا حدث هذا - لا قدر الله - فسوف تكون خسارة فادحة لا لمملكة صقلية وكالابريا ولكنها خسارة للمسيحية بصفة عامة. وستكون وكراً للقراصنة الذين ستمتلىء بهم هذه البحار.

ونظراً إلى أن إمكانيات المنظمة ليست كافية ولا صالحة لمواجهة هذه الأخطار، واستناداً إلى ما كتب إلينا من تقارير من طرابلس عن ضرورة العمل لحشد أربعة آلاف أو خمسة آلاف جندي، حتى تتمكن المنظمة فيما بعد من طرد هذا التركي، من أرض تاجوراء؛ وأنه إذا تم ذلك فسوف يحقق خيراً كثيراً، وراحة عظمى للمسيحية - وهذا أمر لا يمكن إتمامه إلا بتأييد قداسته ومساندته -

---

(٨٥) ربما كانت أكثر من خمس سنوات. فقد وصل مراد آغا إلى تاجوراء قرب ١٥٣٩.

أرجو أن تلتمسوا منه أن يتكرم بتأييدنا في هذه المهمة، بالعدد المذكور أعلاه، كله أو جله، فبهذه الطريقة يمكننا أن ننفذ هذه العملية. ومن أجل هذا، التمسوا منه في إلحاح، للأسباب المنوه عنها سابقاً ولأسباب أخرى ملحة تقتضيها هذه الظروف وتجنباً للإطالة، نتركها لحكمتمكم بعد أن سبق أن أعلمناكم بها بتوسع<sup>(٨٦)</sup>. مليتا ١٥٤٦ (١٥٤٧).

إذن، لقد كان المرشد الأمير يطلب مساعدة البابا لحشد حملة تتألف من أربعة أو خمسة آلاف جندي وتكفي لطرد مراد آغا من أراضي طرابلس. وقد أوضحت رسالة المرشد توضيحاً تاماً الإطار العام للأوضاع. ولكن المساعدات لم تأت، لا من البابا، ولا من الإمبراطور. وكان نفوذ إسبانيا وسيطرتها على إفريقية قد أخذ في الانهيار، منذ مني جنود شارل الخامس (١٥٤٠) وأسطول أندريانا دوريا بهزيمة في الجزائر. وأصبح الأسطول التركي المتحالف مع الأسطول الفرنسي سيد البحر الأبيض المتوسط.

وفي سنة ١٥٤٧ مات خير الدين بربروسا المؤسس الرئيسي للقوة البحرية التركية. ولكن بقي الأتراك قادة لهم وزنهم وقيمتهم. وكان في طليعتهم من حيث الشهرة والمكانة، درغوث الذي ورد ذكره فيما تقدم.

درغوث. ويطلق عليه الكتاب الأوروبيون المعاصرون له، واللاحقون (Dargut, Dragut, Dorguette). أما العرب فيسمونه (دارغوث) والأتراك (Dorghut) وبالتصغير (درغوثشيه). ولد حوالي ١٤٨٥ في مقاطعة (منتيشة Menteshà) على السواحل الغربية من الأناضول<sup>(٨٧)</sup>. وانصرف منذ شبابه الباكر إلى القرصنة في بحار الشرق. وفي سنة ١٥٣٣ ذكرين القراصنة العثمانيين الذين كانوا يهاجمون سفن البندقية في بحر إيجه<sup>(٨٨)</sup>. ثم انتقل إلى العمل تحت

(٨٦) روسي: سيطرة فرسان مالطا المنشورة في (Arch. Melit.) ج ٦ ص ٦٥ - ٦٦.

(٨٧) هي بارض (Charabalac) أمام (استنكوي) حسب ما يورده:

P. De Salzar, Historia de la guerra y presa de Africa ecc. Napoli 1552.

P. De Sandoval, Vida y hechos del Emperador Carlo B Pampola 1634.

(٨٨) م. سانودو (اليوميات) الفصل ٤٨ - ص ١٢٢ - ١٢٨.

قيادة (بربروسا) واشتهر بسلب السفن المسيحية في مياه شمال إفريقيا. وفي يونيو ١٥٤٠ فاجأه (جانتينو دوريا G. Doria) عند سواحل كورسيكا فأسره وباعه إلى أسرة (لومليني Lomellini) من جنوا، وقد استخدموه في التجديف فوق مراكبهم. وافتدي سنة ١٥٤٤ بناء على اهتمام شخصي من بربروسا، فاستأنف نشاطه القرصاني بمزيد من الحيوية والقوة تحت علم سلطان القسطنطينية<sup>(٨٩)</sup>.

وأصبح وضع طرابلس ضعيفاً لا يقوى على الصمود، بل مرت فترة وجدت المنظمة نفسها في سنة ١٥٤٨ مضطرة إلى التفكير في تركيز قواتها بطرابلس، بعد أن تأكدت لديها استحالة الاحتفاظ بطرابلس ومالطا معاً بطريقة مشرفة مضمونة. وقد خططت لذلك بناء على اقتراحات قدمها بعض الفرسان من ذوي المكانة والنفوذ، من بينهم (لافاليتي)<sup>(٩٠)</sup>. ولكن تغلب الاتجاه الداعي إلى ترك المشكلة دون حل نهائي، وانتظار ما يسفر عنه الزمن والأحداث من توجيه وإرشاد.

وفي سنة ١٥٤٩، عند نهاية حكم جيوفاني لافاليتي، كاد مراد آغا أن يقع أسيراً في أيدي فرسان مالطا من جراء كمين نصبه له فرا جيوفاني دي شردان مع عدد من الفرسان الطرابلسيين المرتزقة، وبعض سكان المنشية. وكان مراد آغا متجهاً في كوكبة صغيرة من الفرسان لحضور حفل ختان في بيت أحد أصدقائه المخلصين، وهو عبد القادر بن الشوشانة، شيخ إحدى القبائل. وقد أسر ابن الشوشانة وعربي آخر. واقتيدا تحت الحراسة إلى طرابلس. أما مراد آغا الذي حوضر وطوق في البداية، فقد تمكن من الإفلات، محتماً بالمقاومة اليائسة التي أبداهها حرسه الخاص المرافق له، ومعتمداً على سرعة جواده العربي. وبدلاً من الاحتفاظ بابن الشوشانة، أو الحصول على مبلغ كبير لافتدائه وإطلاق سراحه، أراد الفرسان أن يستميلوا إليهم بعض سكان المنشية والساحل فبادروا

(٨٩) ترجم لدرغووث الكاتب التركي علي رضا سيفي في كتابه (درغووث ريس طبعة ثانية -

القسطنطينية ١٩١٠) ثم أعيد طبعه بالحرف التركي اللاتيني في ١٩٣٢.

(٩٠) انظر الوثيقة الحادية عشرة في ذيل كتاب روسي عن فرسان مالطا.

إلى إطلاق سراح الأسير، بشرط أن يعمل على إزاحة مراد آغا عن المكانة التي يتمتع بها بين عرب الضواحي والدواخل.

وقد عهد بمهمة التفاوض مع ابن الشوشانة والأهالي إلى الشيخ المنصور وابنه علي والي أحمد بن (جوهرة؟ جواره؟ Bengioara) من الزعماء ذوي النفوذ بالمنشية.

وما كاد مراد آغا يشعر بذلك حتى أشاع أن ابن الشوشانة ما يزال على إخلاصه له، في السر. وأن زعماء المنشية مكلفون من قبله بالتظاهر بالاتفاق مع فرسان مالطا حتى إذا حانت الفرصة ثاروا على المنظمة، بناء على تعليماته. ووقعت المنظمة في المكيده. واعتقلت ثلاثة من الزعماء المذكورين، وتسعة أشخاص آخرين وأرسلتهم جميعاً إلى مالطا، حيث حوكموا وبرئت ساحتهم<sup>(٩١)</sup>. ولم يكن لمثل هذه الأحداث أن تستجلب عطف الأهالي وتجاوبهم مع فرسان مالطا.

وكان درغوث قد أقام في سواحل الشمال الإفريقي (بربريا) أهم قواعد نشاطه القرصاني. وفي سنة ١٥٤٩ تمكن بمساعدة مراد آغا الذي أرسل إليه مئة من الرماة<sup>(٩٢)</sup> من احتلال المهديّة (إفريقية لدى كتاب ذلك العصر). ومن هناك كان يقذف بسفنه لسلب المراكب والسواحل المسيحية خاصة سواحل إيطاليا. وكان من الضروري إقصاؤه عن هذه المراكز. وقد قام دوريا بالفعل بحملة، تحت قيادة نائب الملك بصقلية جيوفاني دي فيجا، ومساندة منظمة الفرسان التي بعثت أربعة مراكب ومجموعة من الفرسان. واحتل المهديّة في ١٠ ديسمبر ١٥٥٠<sup>(٩٣)</sup>.

ونشير إلى أنه أثناء الحصار المسيحي للمهديّة بعث درغوث بأربع سفن

(٩١) بوزيو (ج ٣ ص ٢٦٣ - ٢٦٤).

(٩٢) ب. دي. سالازار، نفس المصدر المذكور ص ٥٩ - ٦٠.

(٩٣) بوزيو (ج ٣ ص ٢٧٦ - ٢٧٨) انظر أيضاً الوثيقة الثانية عشرة في ذيل كتاب روسي عن فرسان مالطا.

من نوع غليوطة إلى مراد آغا في تاجوراء طالباً عونهُ . وقد هاجم هذه السفن جيوفاني مورت Moret ، وهو قرصان من نيس، في نهاية أغسطس ١٥٥٠ قرب طرابلس وتاجوراء . وقد تمكنت السفن من الإفلات، ولكن بعد أن قتل بعض بحارتها وبعض رجال مراد آغا الذين هرعوا إلى الشاطئ<sup>(٩٤)</sup>.

أما درغوٹ الذي ترك أحد نوابه بالمهدية فقد أخذ، طوال عدة أشهر، يجوب المناطق الداخلية من تونس<sup>(٩٥)</sup>، ثم جمع فرقته القرصانية في مضيق القنطرة بجزيرة، وحاصره دوريا هناك في إبريل ١٥٥١، ولكنه استطاع أن يسحب سفنه عبر قناة أرضية حفرها، وخرج بها إلى عرض البحر واستولى على المركب الرئيسي القادم من صقلية لدعم دوريا. وفي نهاية أبريل باغت مالطا ونزل بجنوده في سواحلها. وقد قاموا بسلب قرية (سيجوي Siggéui) ثم تابع درغوٹ رحلته إلى الشرق، حيث لحق بالأسطول العثماني الذي جاء بعد ثلاثة أشهر لحصار طرابلس.

وفعلاً، لم تتأخر الأنباء باقتراب الأسطول العثماني. وقد أرسلت المنظمة منذ نهاية إبريل ١٥٥١ إلى طرابلس غاسباري دي فاليس Gaspare de Vallies)، وكان يشغل رتبة مارشال بالمنظمة، وذلك ليخلف (بيترونونيس دي هريرا Pietro Nunez de Herrira) على منصب الحاكم. مجددين له نفس التوصيات والتوجيهات المعتاد تقديمها إلى كل الحكام ملحين عليه بالتزام النظام والعداات الحسنة وحماية القلعة وحراستها هي والمدينة والحصن<sup>(٩٦)</sup>.

De Salazar , op.cit. p. 66.

(٩٤)

Monchicourt, L'insécurité en Méditerranée durant l'été de 1550 in Revue Tunisienne 1917 p. 317 - 324

(٩٥) هاجم درغوٹ قصبة التي هب أهلها للدفاع عنها ولم يفلح في احتلالها.

Monchicourt, Episodes de la carrière tunisienne de Dragut in Revue Tunisienne 1918 p. 35 - 43.

(٩٦) انظر الوثيقة الثالثة عشرة في ذيل كتاب روسي عن فرسان مالطا.

وفي بداية يوليو تواترت الأنباء بخروج الأسطول التركي من الدردنيل واتجاهه نحو مالطا وطرابلس.

فأرسلت المنظمة إلى طرابلس، بصفة عاجلة، (غوليلمو كوبيير - Guglielmo Coupier) مع خمسة وعشرين فارساً، وفرقة من الجنود الذين جندوا في مسينا بقيادة (جيوفاني كالابريزي G. Calabresi) وكان كوبيير مكلفاً بتولي مهام نائب الحاكم العام. أما السفن التي حملت الجنود إلى طرابلس فقد نقلت عند عودتها النساء والأطفال الذين رأى الحاكم أنه من المناسب تسفيرهم من طرابلس<sup>(٩٧)</sup>. وأخذت المدينة تنهياً لمواجهة الصدام والهجوم المعادي.

## ٧ - حصار العثمانيين لطرابلس واستيلاؤهم عليها سنة ١٥٥١

طبقاً لما تقصه إحدى الروايات الطرابلسية المتواترة<sup>(٩٨)</sup>، فإن الأسطول العثماني بقيادة درغوث قد مر بطرابلس سنة ١٥٥١ في طريقه إلى تونس<sup>(٩٩)</sup>، فالتمس مراد آغا والأهالي من درغوث التوقف بطرابلس ومهاجمة فرسان مالطا. فاعتذر درغوث في البداية بأنه ليست لديه تعليمات من السلطان بهذا الخصوص، ولكنهم بينوا له سهولة المهمة، والتزموا بتبرير هذا التصرف أمام السلطان. وتم حصار المدينة براً وبحراً. وطالب المحاصرون باستنقاذ حياتهم والإذن لهم بالرحيل. فوافق درغوث على مطالبهم واستولى على المدينة.

ولكن الواقع أن الحملة على طرابلس كانت مدبرة من القسطنطينية<sup>(١٠٠)</sup>، وأن الأسطول العثماني كان يتألف من حوالي مئة وخمسين

(٩٧) بوزيو (ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٩٣) وكذلك روسي في كتابه المشار إليه، الوثيقة رقم ١٤.

(٩٨) أورد هذه القصة الرحالة المغربي (العياشي) في رحلته ج ١ ص ٦٦ وكذلك ابن غلبون في تاريخه ص ٩٤ (ص ٦٨) وكذلك فيروود في حوالاته الطرابلسية ص ٤٠.

(٩٩) حسب الروايات المتواترة فإن الأسطول كان متجهاً إلى تونس لدعم (علج علي) باشا في حصاره لتونس. ولكن هذا من سبق الأحداث التي جرت بعد عشرين سنة من هذا التاريخ.

(١٠٠) انظر الوثيقة الرابعة عشرة الملحقة بكتاب روسي عن فرسان مالطا التي تتضمن العمليات الخاصة بالنجدة التي وجهت في يوليو إلى طرابلس. وقد كانت المنظمة على علم بأن خروج الأسطول العثماني سيكون نحو مالطا أو نحو قلعة طرابلس.



شراعاً (أي سفينة) بقيادة سنان باشا، ومساندة درغوث ريس وصالح بك حاكم رودس. وقد حاذى الأسطول الساحل الصقلي، ثم هاجم مالطا وحاول عبثاً الهجوم على مدينة (نوتابيلي Notabile)، ولكنه استطاع أن يغزو جزيرة قوزو، وأسر منها خمسة آلاف أسير.

ثم اتجه إلى طرابلس فوصلها في الخامس من أغسطس. وكان بالقلعة من وسائل الدفاع - بما في ذلك النجدة الأخيرة - حوالي مئة من الفرسان وخمسمائة من الجنود من كالأبريا ومالطا ورودس وبعض المئات من العرب الموالين للمنظمة. وإزاء هذه القوة، كان الأتراك يتوفرون على عدد قوي من الجنود وعلى المدفعية القوية، وعدد كبير من الأهالي المحاربين الذين جمعهم مراد آغا.

وقبل أن يأمر سنان باشا ببداية الهجوم، وصل إلى طرابلس السنيور (دارمونت D'Aramont) سفير ملك فرنسا لدى سلطان القسطنطينية، وهو بالتالي شخصية محترمة ومحبوبة لدى الأتراك. كان قد توقف بمالطا أثناء رحلته من فرنسا إلى تركيا. فرجاه المرشد الأكبر أن يتجه إلى طرابلس للبحث في إقناع القائد التركي بالعدول عن خطة الهجوم على طرابلس، ولكن سنان باشا رفض الاستجابة أو الإصغاء إلى دعوة العدول عن هذه المهمة. وبعد أن أمضى سنان وقتاً كافياً بتاجوراء للتخطيط، وتركيز جهوده وتنسيقها بالاتفاق مع مراد آغا، بدأ سنان عملية الحصار، وطلب من الحاكم على الفور تسليم المدينة، الأمر الذي رد عليه (غاسباري فاليس) بالرفض قائلاً إنه يفضل الموت على الاستسلام.

وفي ٨ أغسطس اقترب المهاجمون بمدفيعتهم من القلعة، تحت حماية الحواجز والخنادق، وتجمعوا في جبهة عند الجانب الشرقي من القلعة عند السهل الممتد بينها وبين الظهرة، (حيث تقوم حالياً طرابلس الجديدة). ولم يكن متيسراً لسنان باشا مهاجمة المدينة عن طريق البحر لأن مدفعية حصن (Castellijo) كانت تمنع سفن الأتراك من الدخول إلى الميناء.

وفي ذلك اليوم نفسه بدأت تنطلق أولى طلقات المدفعية التركية التي كانت ترد عليها مدفعية المحصنين في القلعة رداً فتاكاً مؤثراً عرّض الأتراك لخسارة أربعة أفراد من خيرة رجال المدفعية لديهم، واثنين من (الشواش) وبعض (الرياس) وعدد كبير من الانكشارية. ورئيس كتبة بترت القنابل يده<sup>(١٠١)</sup>.

وفي ٩ أغسطس استؤنف القصف، بطريقة أكثر عنفاً، واقتربت المدافع التركية إلى مسافة مئة وخمسين متراً من القلعة. وعند المساء تسبب انفجار البارود في مقتل ثلاثين تركيا<sup>(١٠٢)</sup>. وتعرض سور القلعة إلى أضرار بالغة لا يمكن إصلاحها. وكان الماء قليلاً سيء المذاق، نظراً لاستحالة الاستفادة من الماء العذب الموجود في البئر القائمة تحت الجانب الشرقي من القلعة. كما كانت ثمة حالات عصيان وتمرد، واشتباه في الخيانة. ويمكن القول بأنه قد تسرب إلى نفوس المحاصرين منذ اليوم الأول الشعور بعدم الثقة وضعف الإيمان.

وبعد أن جمع الحاكم المجلس، وتشاور معه في الأمر، قرر الاستسلام بمقتضى بعض الشروط، وأرسل وفداً يتألف من شخصين إلى سنان باشا لعرض هذه الشروط التي أظهر سنان باشا قبولها وموافقة عليها.

وكان من بين هذه الشروط أن تتاح الحرية للمحاربين من فرسان مالطا بالعودة إلى المسيحية (لعلها إلى البلاد المسيحية). ولكن الحاكم الذي دعي إلى سراق القائد التركي، وتوجه إليه صحبة أحد الفرسان، لم يلبث أن كبل بالأغلال، ونقل إلى أحد المراكب، وعاد الفارس المرافق إلى القلعة ينقل شروط الاستسلام. وهي إطلاق سراح ما يقرب من مائتين من الفرسان والجنود وأسر البقية الباقية.

وفي يوم ١٤ أغسطس فتحت المدينة والقلعة أبوابها للأتراك الذين اندفعوا إلى السلب والنهب. وقد جرد الجميع باستثناء المدافعين عن حصن

(١٠١) نيكولودي نيكولاي في مصدره المذكور آنفاً ص ٣٩.

(١٠٢) نيكولودي نيكولاي، نفس المصدر السابق ص ٣٩.

(Castellejo) الذين كان في وسعهم الخروج بكل ما يقتضيه الشرف العسكري. أما الجنود المرتزقة فقد كان مصيرهم الأسر والاسترقاق. وأما العرب الذين كانوا في خدمة الفرسان، ثم وقعوا في قبضة الأتراك، فقد قطعوا تقطيعاً. واستطاع بعضهم أن يلوذ بالفرار قبل الاستسلام بقليل، وينجو بنفسه هارباً إلى تونس. وقد ذهب زعيمهم فيما بعد إلى مالطا، وحصل على إقرار بالصدقة الدائمة مع المنظمة لنفسه ولخلفائه<sup>(١٠٣)</sup>.

واحتفل الأتراك بانتصارهم يوم ١٦ أغسطس، عند الخندق المقابل لخرائب القلعة، في الجانب الشرقي منها، حيث أحدثت المدفعية التركية ثغرة في السور. وشارك في هذا الحفل السفير الفرنسي السنيور دارمونت بناء على دعوة القادة الأتراك. وفي المساء أضاء الأسطول التركي الأنوار احتفالاً بهذه المناسبة.

وأصبح مراد آغا حاكماً على طرابلس. وهو المنصب الذي كان يتطلع إليه دارغوث في الخفاء. وعاد الأسطول العثماني إلى القسطنطينية يحمل عدداً من أسرى المسيحيين، وغنائم وفيرة. ولم تستطع سوى بقية ضيئلة من الفرسان لا تزيد على مئتين، ركوب البحر صحبة السنيور دارمونت والعودة إلى مالطا، حيث حوكموا وسجنوا<sup>(١٠٤)</sup>.

وحين وصل السفير الفرنسي إلى مالطا استقبله المرشد الأكبر استقبالاً عادياً فاتراً، كما يشهد بذلك (نيكولاي) سكرتيه ورفيقه في الرحلة<sup>(١٠٥)</sup>. لقد أظهر الفرسان من الإسبان والإيطاليين سخطاً وحنقاً على الفرنسيين، بل وعلى زملائهم وإخوانهم في المنظمة، رغم الحياة التي تقاسموها والنظام الذي يوحد بين أعضاء الدير.

وكان قد أخذ منذ مدة يتسرب إلى تلك الوحدة المتهاسكة للمنظمة التنافس القائم على أساس وطني وسياسي. وكان للصراع الفرنسي الإسباني

(١٠٣) بوزيوج ٣ ص ٣٠٧.

(١٠٤) أرشيف مالطا (Decreta Concilio run 209) fol 126.

(١٠٥) نيكولودي نيكولوي ص ٢٢.

الذي ساذ القرن السادس عشر انعكاساته على العلاقات في صفوف فرسان مالطا.

وقد أخذت الهمسات والانتهاكات للسفير الفرنسي تتعالى وتزايد، حتى إن ملك فرنسا طلب من المرشد الأكبر (الاسباني هوميديز) تصريحاً بنفي تلك الانتهاكات، فكان له ما أراد<sup>(١٠٦)</sup>.

أما (دي فاليسس) الذي حكم عليه بالسجن فقد لبث في سجنه حتى صار (لافاليتي)، وهو من مواطنيه، مرشداً أكبر، فعفا عنه حين خفت سورة الأحقاد والانتقام السياسي.

ولا يتردد (بوزيو) في رد أسباب ضياع طرابلس إلى جبن بعض الجنود المرتزقة ونذالتهم، وإلى الانقسامات التي شطرت المسيحية، ولا يمكننا أن نقول بخطأ هذا الحكم. ولكن علينا أن نفطن وندخل في اعتبارنا صعوبة الاحتفاظ بمدينة كطرابلس، بعيدة عن القاعدة، محاطة بالأعداء المحليين. والقراصنة الأتراك، ثم محاصرة المدينة بقوات كبيرة من الأتراك، بالإضافة إلى أن المنظمة نفسها لم تكن مستعدة استعداداً كاملاً من الناحيتين المادية والمعنوية. وكان من نتائج (الإصلاح) الذي أدخل على المنظمة فقدانها لمشاركة رجال انجلترا وألمانيا وإمكانياتها. لقد انهار الفرسان الذين يدافعون عن طرابلس، منذ الوهلة الأولى، واستسلموا لمصيرهم، ولعلهم لم يقوموا بكل ما يجب أن يؤديه لكي يسقطوا بطريقة أكثر شرفاً ومجداً.

لم يترك حكم الفرسان أثراً واضحاً بطرابلس. ولكن من المؤكد أن بعض التحصينات في القلعة<sup>(١٠٧)</sup> كانت من أعمالهم. خاصة برج القديس جاكومو الذي دمرته القنابل فيما بعد، وأعيد ترميمه مع إدخال بعض التعديلات عليه.

Charrière, Negotiations de la France dans le Levant II P. 154-162.

(١٠٦)

ورد ذكر وقائع سنة ١٥٥١ بشكل مؤيد للحاكم الفرنسي والسفير الفرنسي دارمونت في:

Villégagnon, De Bello melitense, Paris 1555.

(١٠٧) أوريجيا (قلعة طرابلس) ص ٥٤٧.

ويمكن أن نشاهد في الحديقة الصغيرة<sup>(١٠٨)</sup>، أمام المتحف، درعاً حجرية، ربما كانت تحمل شعار المنظمة، وقد ظلت ظاهرة عند المدخل الرئيسي للقلعة حتى سنة ١٩٣٠.

ونذكر في الختام أن منظمة فرسان مالطا قد حاولت مرة أخرى سنة ١٥٥١ استرجاع المدينة، ووجهت حملة في سنة ١٥٥٢ على زوارة، وساندت الحملة التي قامت بها القوى المسيحية المتحالفة سنة ١٥٥٩ - ١٥٦٠ والتي كانت تستهدف طرابلس، ولكنها انتهت نهاية تعسة بعملياتها الحربية في جربة.

إن الوثيقة التي تتضمن خطة المنظمة لإعادة احتلال طرابلس قد وردت في التقرير المعروف باسم (Costae Discorsi Barberia)<sup>(١٠٩)</sup> الذي قدمه في سنة ١٥٨٧ الكومنداتور فرانشيسكو لنفريدوتشي Lanfreducci والكفاليير أوتوني بوزيو Bosio إلى المرشد الأكبر فردالا Verdala الذي كان قد كلفهما بإعداده. وهما يقدمان في التقرير معلومات عن هجوم مفاجيء يمكن أن يتم تنفيذه بنجاح، بقوة قوامها ألف وخمسة مئة مسلح. وقد تدخلت فعلاً سفن المنظمة من جديد في شؤون طرابلس سنة ١٥٨٩ بمناسبة قيام ثورة بين الأهالي. كما هوجم ميناء طرابلس، أكثر من مرة من قبل فرق مالطية، كما حدث في سنة ١٦٣٩ وسنة ١٦٤٢<sup>(١١٠)</sup>.

في القرن الثامن عشر كانت العلاقات بين طرابلس ومالطا علاقات سلمية. وجرى تبادل المجاملات بين البك والمرشد الأكبر<sup>(١١١)</sup>.

(١٠٨) أزيل في سنة ١٩٣٤ بمناسبة ترميم القلعة. أنظر: G. Guidi, op. cit. p. 26

(١٠٩) نشرت في الإيطالية مع ترجمة إلى الفرنسية نقلاً عن مخطوط بالجزائر. وقد قام بنشره:

Charles Monchicourt e Pierre Grandchamp nella Revue Africaine 1925, p. 35-165.

(١١٠) أنظر بحثي عن فرسان مالطا المنشور في: Archivum melitense VI p. 67

(١١١) روسي: مراسلات بين المرشدين الكبار هيئة فرسان القديس يوحنا بمالطا وبآيات طرابلس منذ

١٧١٤ حتى ١٧٧٨ في مجلة الدراسات الشرقية (الإيطالية) ١٠ - ١٩٣٣ - ١٩٢٥ ص ٤١٤ -

١٥

ROSSI, Riv. degli Studi Orientali X, 1923 - 1925 p. 414 - 430.

وجدير بالملاحظة أن المرشد الأكبر في مالطا قد ظل حتى القرن الثامن عشر يحمل لقب (سيد أو ملك) وأمير الحكم الملكي بطرابلس.

## ٨ - قائمة بأسماء حكام منظمة مالطا بطرابلس

- ١ - غاسباري دي سانجوسا  
Gaspare de Sanguessa  
١٥٣٠ - ١٥٣١
- ٢ - برناردينو مأكادو  
Bernardinus Macado  
١٥٣١ - ١٥٣٢
- ٣ - أوريليو بوتيجلا  
Aurelio Bottigella  
١٥٣٢ - ١٥٣٣
- ٤ - غارسيا كورتس  
Garzia Cortès  
١٥٣٣ - ١٥٣٥
- ٥ - جورج سكيلنج  
Giorgio Schiling  
١٥٣٥ - ١٥٣٧
- ٦ - أوريليو بوتيجلا  
Aurelio Bottigella  
١٥٣٧ - ١٥٣٩ (للمرة الثانية)
- ٧ - هرناندو دي براكامونتي  
Hernando de Breacamonte  
١٥٣٩ - ١٥٤٤
- ٨ - كريستوفانو دي سوليس فرنان  
Cristofano de Solis Farfan  
١٥٤٤ - ١٥٤٦
- ٩ - جيوفاني لافاليتي  
Giovanni La Valette  
١٥٤٦ - ١٥٤٩
- ١٠ - بيتر نونيس دي هريرا  
Pietro Nuñez de Harrera  
١٥٤٩ - ١٥٥١
- ١١ - غاسباري دي فاليس  
Gaspare de Vallies  
أبريل ١٥٥١ أغسطس ١٥٥١

## الفصل الثاني الحكم العثماني - الولاية الأوائل

- \* مراد آغا (١٥٥١ - ١٥٥٦؟)
- \* درغوث باشا (١٥٥٦ - ١٥٦٥).
- \* الحملة المسيحية علي جربة (١٥٦٠).
- \* أوضاع طرابلس في سنة ١٥٦١.
- \* حصار مالطا و وفاة درغوث باشا ١٥٦٥.
- \* خلفاء درغوث في حكم طرابلس حتى سنة ١٥٨٦.
- \* الاضطرابات في طرابلس خلال الأعوام ١٥٨٨ - ١٥٩٠ والأعوام العشرة التالية.
- \* تدبير الهجوم على طرابلس من قبل قوات مالطا وصقلية و نابولي في ١٦٠٠.
- \* طرابلس الغرب خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر.
- \* معلومات جغرافية واجتماعية وبشرية.
- \* النظام الإداري لولاية طرابلس بعد الاحتلال العثماني.

## ١ - مراد آغا (١٥٥١ - ١٥٥٦؟)

رغم أن بعض المصادر تفيد بأن حكم طرابلس قد آل عقب الاحتلال العثماني إلى درغوث<sup>(١)</sup>، إلا أن الذي لا ريب فيه أن حكم تلك المدينة قد عهد به حينذاك إلى مراد آغا<sup>(٢)</sup>. وقد اتجه إلى إصلاح المدينة التي دمرت بسبب الغارات المتوالية. كما انصرف إلى تشييد حصون جديدة، احتياطاً للغارات المتوقعة في المستقبل. وتابع في نفس الوقت العمل على إنهاء المسجد الكبير الذي يحمل اسمه، والذي ما يزال قائماً حتى الآن بتاجوراء<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) أسند إليه بدلاً من ذلك سنجق (قارلي ايلي).
- (٢) البرموي: روضة الأزهار، مخطوط بمكتبة أوقاف طرابلس ص ٥٢ - أنظر أيضاً كتاب (الإشارات ص ٦)، و(النائب ص ١٩٠). يبرهن المؤرخ التركي صفوت بك في المجلة التاريخية العثمانية (رقم ١ - ١٩٠٨ ص ٢٢) بوثائق تاريخية على أن مراد آغا قد عين بليربي على طرابلس قبل درغوث وهو ينسب عدم تعيين درغوث بهذا المنصب إلى المنافسة التي كانت قائمة بينه وبين سنان باشا. أنظر أيضاً الترجمة الحديثة (درغوث ريس) طبعة القسطنطينية ١٩٠٩. ويقول مارمول في الجزء الثاني من كتابه صفحة ٣٠٤ إن سنان باشا قد سلم طرابلس إلى مراد آغا صاحب تاجوراء. ويقول بوزيو (ج ٣ - ٣١٤) مؤكداً أن سنان باشا قد نصب مراد آغا حاكماً على المدينة والقلعة وأوصى بأن يخلفه عند وفاته درغوث باشا. أنظر أيضاً فيرود (الحوليات) ص ٥٣.
- (٣) ترى الروايات الطرابلسية المتواترة (كتاب الإشارات ص ٢٢) أن المسجد قد بني من أموال الغنائم وأن أعمدته قد أخذت من بعض السفن المسيحية (يحتفل أن تكون منقولة من لبة). أنظر:

**R. BARTOCCINIE AURIGEMMA**

**T. COCCO**, Murat Aga signore di Tripoli di Tagiura in arch. Storico per la Dalmazia, ottobre 1926 p. 17 - 21.



وفي سنة ١٥٥٢ قام فرسان القديس يوحنا بحملة مفاجئة أو بنوع من الغارة والغزو لاسترقاق بعض الأشخاص واستخدامهم في الأعمال الدفاعية بالطا<sup>(٤)</sup>.

وقد قامت بهذه الغارة فرقة بحرية مؤلفة من اثني عشر مركباً بقيادة أسقف كابوا (ليونو ستروتزي Leone Strozzi) وكانت السفن تحمل فوق ظهرها ثلاثمائة وثمانية من أعضاء هيئة الفرسان، بالإضافة إلى ألف من الجنود. وقد غادرت الحملة مالطا يوم ١٢ أغسطس متجهة إلى ساحل (بربريا). وفي ليلة ١٣ تمت عملية النزول بزوار. وقد قام بعض المالمطين المتكرين في الملابس المحلية بعمليات استطلاعية في المنطقة، مستغلين قدرتهم على التفاهم مع الأهالي بسبب لهجتهم العربية التي تشبه إلى حد بعيد لهجة سكان إفريقيا الشمالية، وقد أبلغوا عن وجود مجموعة كبيرة من الخيام والنيران في أحد الوديان القريبة، مما يوحي بوجود جيش مرابط بالموقع. إلا أن قادة الحملة استهانوا بهذا القول، ولم يعبأوا به، ولم يهتموا بقرب هؤلاء المسلحين منهم، ورأوا أنه مجرد نجع من نجوع البادية. وبادروا بالهجوم على زوار دون أن يتخذوا الاحتياطات اللازمة. وكانت الغارة مظفرة ناجحة إذ أسروا ما يقرب من ألف وخمسمائة أسير. غير أنهم فوجئوا قبل عودتهم إلى السفن بمجموعة من المسلحين تقدر بحوالي أربعة آلاف مسلح، تعترض طريقهم. ويقال أن مراد آغا نفسه كان يتولى قيادة هذه المجموعة. وتعرضت الحملة المالمطية إلى خسائر فادحة، وتركت في ميدان القتال عدداً كبيراً من القتلى والفرسان والجنود الإيطاليين والمالمطين<sup>(٥)</sup>.

ذكرنا أن مراد آغا قد اهتم كثيراً بتحسين طرابلس. وقد وضع في سنة ١٥٥٣ تصميمات لإنشاء حصن، عند الجانب الشمالي الغربي من المدينة<sup>(٦)</sup>، ولكن

(٤) بوزيوج ٣ ص ٣٢٧ - ج ١٠، فسالو (تاريخ مالطا) ١٨٥٤ - ص ٤٣٢ روسي: سيادة فرسان مالطا على طرابلس في Arch. Melit. ج ٦ ص ٦٦ - ٦٧.

(٥) بوزيوج ٣ ص ٣٢٧ - ٣٣١.

(٦) في رسالة من خوان براكامونتي من تاجوراء إلى نائب الملك بصقلية. وقد ذكرها أوريجيا في دراسته عن تحصينات مدينة طرابلس.

الاضطرابات صرفته عن الاستمرار في هذه المشروعات، وكان عليه بالإضافة إلى ذلك أن يهتم بجزيرة جربة التي كانت في ذلك الوقت تابعة لطرابلس. وكان لديه من المبررات القوية ما يدفعه إلى الشك في أن الشيخ سليمان، زعيم جربة، ما يزال يحتفظ بعلاقات مع الإسبان عن طريق نائب الملك بصقلية. وقد هدده وأنذره بشدة، ولكن الشيخ سليمان رد بقوله إنه ليس ثمة ما يبرر قيام مثل هذه الظنون والشكوك<sup>(٧)</sup>. في حين لم يكن ثمة ريب في صلاته السرية مع الإسبان الذين كان يطلب مساعدتهم ويعرض عليهم تسليم الجزيرة. ونحن نعلم من الوثائق الإسبانية لذلك العصر أن مراد آغا قد أمر في ٢٩ مارس بقتل أحد قواد جربة المدعو (Matera)<sup>(٨)</sup> كما كان مراد آغا مشغولاً أيضاً بمواجهة النفوذ الإسباني في تونس. ويبدو من الترجمة الإسبانية لرسائل مراد آغا وسنان باشا (قائد الأسطول العثماني) إلى سلطان تونس، بتاريخ يونيو ١٥٥٢، أن الأتراك كانوا يفكرون في مهاجمة المهدية وحلق الوادي لطرد الإسبانين رغم التزامهم في ذلك العام بالتعاون مع القوات البرية والبحرية الفرنسية العاملة في البحر الترتيني.

وقد أبلغ مراد آغا سلطان تونس بقرب وصول الأسطول العثماني إلى المياه التونسية. وأنه تلقى الأوامر للحاق به، والاستعداد لذلك، وجمع المؤن ووسائل النقل والأخشاب اللازمة لوقاية المدفعية. وأن نفس الأمر قد صدر إلى (بيلري الجزائر). والواقع أن الأسطول التركي قد أخره الفرنسيون عند السواحل الإيطالية<sup>(٩)</sup>.

وفي سنة ١٥٥٣ أرسل حاكم المهدية الأسباني رسولاً إلى نائب الملك بصقلية يستحثه على إرسال أجور الجند، ويخطره بأنه إذا لم يتم ذلك فسيجد

E. Cat, Mission bibliographique en Espagne (Ecole de lettres d'Alger) VIII P. 81. (٧)

E. Cat, loc. cit. (٨)

Monchicourt, Dragut amiral ture (1551 - 1556) Revue Tunisienne (٩)

N.S.I (1930) P. 113 - 115.

نفسه مضطراً لقبول عروض مراد آغا والي طرابلس الذي يعرض عليه، باسم سلطان القسطنطينية إنقاذ الحامية وإخراج الأمتعة مقابل تسليم القلعة<sup>(١٠)</sup>.

وهكذا يبدو، أنه خلال السنوات العشر الأولى للحكم التركي بطرابلس، وطوال القرن السادس عشر، قد امتدت سلطة حكومة طرابلس فشملت كل الأجزاء الغربية من تونس. ويذكر ابن غلبون<sup>(١١)</sup>، أن سكان جربة وقابس قد اعترفوا بدرغوث الذي يعتبره - خطأ - أول حاكم تركي على طرابلس.

ويبدو من بعض المصادر أن مراد آغا قد مات سنة ١٥٥٣، ولكن الخبر الذي أشرنا إليه فيما تقدم، يدل على أنه كان ما يزال على قيد الحياة في سنة ١٥٥٤.

ويؤكد المؤرخون الأتراك<sup>(١٢)</sup> أنه بعد احتلال طرابلس تم تثبيت درغوث في منصب (بك سنجق قارلي إلي Qarli Eli) وهي (اكارنانيا Acarnania) باليونان، وتقع على ساحل أييرو الذي يمتد من بريفيسا إلى ليبانتو. وهو المنصب الذي كان يشغله قبل احتلال طرابلس. وقد سعى لدى السلطان للحصول على منصب (بيليري الجزائر)<sup>(١٣)</sup> ولكنه لم يظفر به. كما لم يظفر بمنصب قائد الأسطول العثماني بالنظر إلى معارضة رستم باشا في ذلك<sup>(١٤)</sup>. ونحن نعلم، من جهة أخرى، أن درغوث قد وجد نفسه خلال السنوات ١٥٥٢ - ١٥٥٤ ضمن الأسطول العثماني الذي كان يعمل في البحر التريني، بالتحالف مع الفرنسيين. وفي سنة ١٥٥٣ - ١٥٥٤ أسندت إليه القيادة العليا للأسطول مع بقاء لقب (كابودان باشا) لسنان. وفي سنة ١٥٥٥ عهد بهذا

E. Charrière, *Negotiation ecc.* II p. 257.

(١٠)

(١١) ابن غلبون: طبعة القاهرة ١٩٣٠ - ١٩٣١ ص ٩٤ (٦٨).

(١٢) حاجي خليفة: تحفة الكبار. طبعة ١٩١٠ ص ٦٩.

(١٣) عين في هذا المنصب (صالح ريس) الذي كان قبل ذلك بك رودس.

E. Charrière op. cit. p. 321.

(١٤)

المنصب إلى بيالي باشا<sup>(١٥)</sup>. وفي مستهل سنة ١٥٥٦، وبعد أن علم درغوث ب وفاة مراد آغاد، طلب تعيينه حاكماً على طرابلس، فاستجيب إلى طلبه. وفي ١ مايو كان يشاهد مالطا وهو يتخذ طريقه نحو طرابلس، وتمكن قبل الوصول إليها من الاستيلاء على سفينة تابعة للبندقية، في مياه لمبدوزا، مشحونة بالمواد، في طريقها إلى مالطا<sup>(١٦)</sup>.

وقد ظل اسم مراد آغا حياً في الروايات الطرابلسية، خاصة، بين سكان تاجوراء حيث شيد مسجده الجميل الذي يحمل اسمه والذي دفن بجواره<sup>(١٧)</sup>، بالإضافة إلى المدرسة الملحقة به. وقد نسب إليه أيضاً بناء بئر للسابلة (سبالة) على الطريق التي تربط طرابلس بتاجوراء، قرب الملاحية. وتقول الأسطورة، إن الأرض قد تفجرت ماء تحت ضربة من حريته. وقد اقترنت شهرته، كما اقترنت شهرة درغوث، بشيء من الهالة الدينية المقدسة<sup>(١٨)</sup>، فعرف أنه (مرابط) أي ولي من أولياء الله المدافعين عن العقيدة<sup>(١٩)</sup>.

(١٥) نفس المصدر المتقدم ص ٣٢١.

(١٦) طبقاً للوثائق الإسبانية التي قام بدراستها (كات E. Cat) أنه حين مرض مراد آغا أوفد السلطان إلى طرابلس درغوث، فوصلها في الوقت الذي كان مراد آغا ما يزال على قيد الحياة. أما ابن غلبون فيؤكد (٩٨) (٧٢) أن درغوث قد تولى حكم طرابلس في نفس الوقت الذي استمر فيه مراد آغا على سيادته على تاجوراء دون تدخل في شؤون الولاية. وقد توفي سنة ٩٦٧ هـ. أما النائب فيقول إن وفاته كانت سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٦ - ١٥٥٧) وهي أقرب إلى الاحتمال. وثمة خبر هام أورده بوزيوج ٣ ص ٣٧١ نقل فيه أن درغوث قد مر بمالطا في مايو ١٥٥٦ متجهاً إلى طرابلس ليخلف مراد آغا الذي توفي قبل ذلك بقليل. أنظر برنيا ٥٣ - ٥٤ وفيرود ص ٥٥ - ومونكيكورت ص ١١٧.

(١٧) أنظر في الخصوص دراسات: ر. برتوشيني ودراسات س. أوريجيا. وقد شارك في تشييد المسجد أسرى ومسيحيون كثيرون.

(١٨) أذكر أني سمعت إشارة إلى الاعتقاد الشعبي العام الذي يجعل من مراد آغا أنحاً لدرغوث.

(١٩) البرموني: روضة الأزهار (مخطوط بمكتبة أوقاف طرابلس - ص ١٣١) يذكر أن مراد آغا قد اعتقل أحد الأولياء وألقى به في جب، بعد أن اتهمه باستلام أموال أحد الشائرين العرب، وقد استنزل عليه الولي نقمة سيدي عبد السلام، فلم يلبث مراد آغا أن أصيب بمرض لم يشف منه إلا بعد أن وضعت فوقه عصا الولي. وقد بادر فور شفائه إلى التوجه إلى زليطن =

لقد بدا العثمانيون الأوائل في نظر الطرابلسيين منقذين ومحررين من النير المسيحي، وأحاطت بهم هالة المدافعين عن الدين، ولكن ذلك لم يمنع الأهالي، خاصة البدو، من الشعور بالحقد البالغ العنيف على الحكم التركي، والانتفاض عليه مراراً وتكراراً.

## ٢ - درغوٲ باشا (١٥٥٦ - ١٥٦٥)

تولى درغوٲ الحكم المباشر للولاية، في سنة ١٥٥٦، وأخذ يتصرف في شؤونها بهمة عظيمة لم تقتصر على المدينة، ولكنها شملت الدواخل والمقاطعات المجاورة لتونس التي كانت تعتبر بلداً معادياً، بسبب وقوعها تحت الحكم الإسباني. وفي ديسمبر ١٥٥٦ زحف درغوٲ على (قفصة) واستولى على جربة. وترك على قيادة قلعتها أولوج علي (علج علي) وثبت في مشيختها الشيخ موسى بن جلود أخا عثمان بن جلود<sup>(٢٠)</sup>، وهو من المخلصين له الحائزين ثقته، ونقل معه إلى طرابلس الشيخ سليمان الذي أعده بعد ذلك<sup>(٢١)</sup>. وقد أقام البرج الكبير للدفاع عن الجزيرة، ولم ينته العمل فيه إلا سنة ١٥٥٧ كما تشير اللوحة التذكارية. وهي السنة التي زحف فيها على القيروان، على رأس جيش

---

لزيرة سيدي عبد السلام ومكث بها سبعة أيام هو ومرافقوه دون أن يتمكن من مقابلة الولي الذي استقبله في الأخير ملتحفاً بملابسه، ولا يلمح وجهه إلا بمشقة. وقد أغمي على الولي وظل على هذه الحال يومين أو ثلاثة، وحين استيقظ قال لابنه عمران (هؤلاء الأقوام سم زعاف، وفي كل المرات التي توقفتها بطرابلس أو بغيرها تجنبت الوقوف بأبوابهم إلا لضرورة. وما من مرة قابلتهم إلا اعتراني مرض. ثم تساقط جلد الولي كما يتساقط جلد الثعبان. ويضيف البرموني قائلاً إن مراد آغا قد عاد بعد ذلك إلى زيارة الولي وأخذ عنه (التلقين) وتعهد بعدم الإضرار بأحد من الناس. ويذكر أنه توفي بعد ذلك وكان مشهوراً في عصره، بل كان أشهر الحكام الأتراك بطرابلس. وكان يعيش بعمل يديه ويخيط الملابس (هكذا) وكان عادلاً. وكان له فضل تحرير طرابلس من الإفرنج. توفي سنة ٩٦٧ هـ (١٥٥٩ - ١٥٦٠) بطرابلس ونقل جثمانه إلى تاجوراء حيث دفن بها قرب المسجد الذي بناه ليرحمه الله).

(٢٠) حكمت أسرة (جلود) جربة حتى القرن الثامن عشر. ومنذ بداية القرن السابع عشر توقفت الجزيرة عن التبعية لطرابلس وانتقلت إلى نفوذ تونس.

E. Cat. Mission Bibliographique ecc. P. 8.

(٢١)

يتألف من ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل . ويبدو أن هذا الزحف قد تم بناء على رغبة السكان . ولم يترك درغوث بطرابلس سوى ثلاثمئة جندي وألف وخمسمائة من العرب وثلاثة آلاف من الأرقاء لحماية القلعة .

كانت القيروان قبل ذلك ببضع سنوات مستقلة عن تونس . ويحكمها زعيم من أهلها اسمه محمد بن أبي الطيب . وقد استطاع درغوث أن يستولي على المدينة بسهولة ، وشنق محمد المذكور .

وفي سنة ١٥٥٧ اجتاحت وباء الطاعون مدينة طرابلس ، ومات الكثير من سكانها ، بينهم عدد كبير من الأرقاء المسيحيين<sup>(٢٣)</sup> .

وجه درغوث عناية خاصة وكبيرة إلى التحصينات العسكرية ، وشيد المسجد الذي يحمل اسمه . وشرع في إقامة البرج الذي عرف فيما بعد باسم (برج التراب) عند الجانب الشمالي الغربي من السور . كما رمم القلعة وبنى قصرًا كبيراً في قلب المدينة اتخذ منه سكناً<sup>(٢٤)</sup> .

### ٣ - الحملة المسيحية على جربة (١٥٦٠)

أنهى صلح (كاتو - كامبريسيس Cateau - Cambresis) الذي عقد في سنة ١٥٥٩ الصراع بين فرنسا واسبانيا . وخلف شارل الخامس على الحكم

R. Basset e O. Houdas, Epigraphie Tunisienne in Bulletin de Correspondance Africaine (٢٢) 1882 P. 196.

E. Cat. op. cit. p. 86. (٢٣)

Aurigemma, Notiz, arch. min. delle colonie II P. 272. (٢٤)

Una descrizione di Tripoli ecc. Riv. delle colonie VI - 1932 - 178 - 189 - 259 - 272.

ثمة رسم لمدينة طرابلس يرجع تاريخه إلى سنة ١٥٥٩ بالمكتبة الوطنية بفلورنسا ، يشير إلى قصر أقامه القرصان درغوث . وكان يدعى في اللغة التركية (السراي) . ويوجد شارع قرب المقر القديم لبنك روما يسمى طريق السراي ويحتل أن يكون ذلك القصر الذي يتألف من ثلاثة أدوار والمحلى بالقيشاني والمزود بالنوافذ والذي ورد ذكره في :

Voyage dans les Etats Barbaresques - Paris - 1785 P. 172.

وترى الروايات المتواترة أنه قد شيد من قبل فرسان مالطا .

فيليب الثاني<sup>(٢٥)</sup>. فكان أول ما اتجه إليه تفكيره هو العمل على إيقاف التهديد العثماني في إفريقية مستجيباً في ذلك أيضاً إلى إلحاح المرشد الأكبر لفرسان مالطا. وقد وافق على مشروع حملة ترمي إلى استرجاع طرابلس واستخلاصها من درغوث. وأبدت إيطاليا اهتماماً كبيراً بهذه الحملة إلى درجة أنها قامت بطبع صورة خيالية تمثل حصاراً مضروباً حول مدينة طرابلس<sup>(٢٦)</sup>. ذلك أن الحملة لم تصل إلى طرابلس، ولكنها اشتبكت عند (جربة) في معركة بحرية انتهت بها إلى كارثة ماحقة، كما سوف نقص ذلك.

وكان نائب الملك بصقلية (دون مدينا شيلي Duca di Medina Coeli) قد كلف من قبل فيليب الثاني بتنظيم الحملة وقيادتها، فبادر إلى الاستعداد، واستطاع أن يعد خلال سنة ١٥٥٦ السفن والفرق العسكرية اللازمة، وقد شاركت فيها بالإضافة إلى إسبانيا المقاطعات التابعة لها، وكذلك البابا وفلورنسا وفرسان مالطا. وقد تجمع في مدينة (مسينا) أربعة عشر ألف رجل من إسبان وألمان وإيطاليين. وكان الأسطول يتألف من أربع وخمسين قطعة بحرية من نوع (غاليرا وجليوطة) وثماني وعشرين قطعة بحرية كبيرة، وعدد آخر من السفن الصغيرة. وكانت بقيادة (أندريا دوريا Andrea Doria) حفيد دوريا الكبير. أما الجيش البري فقد كان بقيادة (دون الفارودي ساندي Don Alvaro De Sande).

غادرت الحملة مالطة، في فبراير ١٥٦٠، ووصلت جزيرة جربة، وتوقفت عند (روكيتا Rocchetta) للتزود بالمياه. وهناك دخلت في أول صدام مع العرب والأتراك الذين يحمون الجزيرة ويدافعون عنها. ثم تابعت سفرها نحو المياه الضحلة (بالو Palo) أمام زوارة. وهنا أجرى (دون الفارودي

(٢٥) بخصوص سياسته في البحر الأبيض المتوسط انظر:

F. Braudel, La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Paris 1949 (2e ed. Paris 1967).

(٢٦) C. Manfroni Una Ristanpa che rappresenta un attacco navale di Tripoli non mai avvenuto, in Rivista marittima, Roma 1913 P. 267 - 276.

ساندي) محادثات مع عرب قبيلة المحاميد الذين كانوا يعادون الأتراك، فأبدوا الاستعداد لتأييد الحملة المسيحية على طرابلس. وعلم أيضاً أن درغوث الذي كان بجربة قد عاد برجاله وفرسانه إلى طرابلس. وأوفد (علج علي) إلى القسطنطينية، يطلب نجدة السلطان ومعاونته. ومن جهة أخرى فإن الأحوال الجوية قد عاقت السفن عن مواصلة رحلتها نحو الشرق إلى طرابلس. فقرر دون مدينا شيلي إنزال الجيش بجربة لإنقاذه من خطورة المياه الضحلة.

وفي ٢ مارس رست الحملة من جديد في جربة، وفي اليوم السابع منه نزلت كل الجيوش التي استطاعت، بعد معركة ظافرة ضد العرب والأتراك، السيطرة على القلعة وإعدادها للدفاع. وبينما كانت الحملة المسيحية تضيع الوقت في الانتظار بجربة، كان الأتراك يعدون حملة مضادة يواجهونها بها. وقد أبلغ السلطان منذ سنة ١٥٥٩ بالحملة التي يجري إعدادها ضد طرابلس. وقد بعث فعلاً بتاريخ ٥ ربيع الأول ٩٦٧ (٥ ديسمبر ١٥٥٩) فرماناً إلى درغوث ينبهه إلى وجوب الحذر ويدعوه إلى حسن معاملة الأهالي للاحتفاظ بولائهم ومساندتهم. وأرسل في نفس الوقت رسائل ومنشورات إلى زعماء العرب من شيوخ طرابلس وجربة وتاورغاء<sup>(٢٨)</sup> وعلمائها.

لقد ذهب درغوث، إذن، إلى جربة لإعداد وسائل الدفاع ونقل الأسلحة، ثم تحصن بطرابلس في انتظار الهجوم الذي لم يقع. . ووصل بدلاً من ذلك الأسطول العثماني بقيادة بيالي باشا الذي هزم الأسطول المسيحي قرب جربة في الليلة الواقعة بين ١٠ - ١١ مايو، واستولى على تسع عشرة (غاليرا) سفينة كبيرة. وبقي بجربة دون الفارودي ساندي صامداً في القلعة لحصار بيالي باشا ودرغوث<sup>(٢٩)</sup>.

(٢٨) الوثائق التي نشرها صفوت بك في المجلة التاريخية العثمانية (باللغة التركية) ١ - ٢ (١٩٠٨).

(٢٩) وصل درغوث إلى جربة في ١٦ مايو ١٥٦٠ (صفوت بك ص ١٠٠) ويؤكد شيرني في كتابه:

CIRNI, Successi dell' armata ecc. Venezia 1560. p. 133 - 138.

أن درغوث الذي كانت رايته خضراء قد وصل من طرابلس على رأس ١١ (غاليرا) ثم غاب



وحين غادر درغوث طرابلس متجهاً إلى جربة لم يبق بها في نهاية مايو سوى ألف رجل تحت قيادة نائبه (القائد)، كما كان بها ما يقرب من مئتي مدفع للدفاع عن الأسوار. وكان التموين بها قليلاً. وكان من شأن أي هجوم مسيحي، في مثل تلك الظروف، أن ينتهي إلى أحسن النتائج ويخرج بالنصر الأكيد<sup>(٣٠)</sup>.

وفي هذه الأثناء، ظل دون الفارو صامداً مستمراً في مقاومته، منتظراً، بلا جدوى، وصول الدعم إليه من مالطا وصقلية. وحاول القيام بعدة (خارجات) لفك الحصار المضروب حوله. وفي إحدى هذه المحاولات وقع هو نفسه في الأسر (٢٩ يوليو). وبعد يومين من ذلك استسلمت الحامية، بعد أن وهنت قواها وتفوق عليها العدو بعدده.

وهكذا انتهت هذه الحملة التعسة، بعد أن قتل الكثير من أفرادها أثناء المعركة أو ذبح عند الاستسلام.

وقد حاول جان أندريا دوريا Gian Andrea Doria بتحريض من المرشد الأكبر لفرسان مالطا، القيام بهجوم مفاجئ على طرابلس يوم ١٠ أغسطس. ولكنه وجد نفسه، نتيجة خطأ ربانة السفن، أمام تاجوراء بدلاً من طرابلس. وحين انتبه إلى هذا الخطأ، محاولاً تلافيه، هبت عاصفة ألقت به عند (لمبدوزا) ثم (بنتاليريا) حيث علم هناك باستسلام حامية جربة<sup>(٣١)</sup>.

وكان من المقرر أن يقوم بيالي باشا ببعض الغارات والغزوات في البحر الأبيض المتوسط، قبل عودته إلى القسطنطينية. ولكن درغوث الذي ضايقه الثوار العرب بالدواخل، في العام السابق، أقنع بيالي باشا بالتوجه إلى طرابلس لمساعدته في القضاء على التمرد، قرب تاجوراء. وقد وصل بيالي إلى طرابلس

---

وعاد إليها يوم ٢٨ صعبة المدفعية والجنود. وقد تلقى المحاصرون إمدادات من السلطان أحمد، سلطان تونس الذي كانت تربطه صلات صداقة بدرغوث. أنظر القيرواني ص ١٦١.

(٣٠) مونيكورت ص ١٤٧.

(٣١) مونيكورت ص ٢٤٧.

وصول الفاتحين. وقد دخلت السفن التركية الميناء مزينة بالأعلام والشارات التي غنمتها من الأعداء. وكانت أعلام الأعداء منكسة فوق سوارى السفن وعند مؤخرتها دلالة على النصر<sup>(٣٢)</sup>. وأقام بيالي باشا بطرابلس الأيام القليلة الكافية لمعاقة سكان تاجوراء، وتجريدتهم من السلاح، ثم ألق بأسطوله وتزود بالمياه في جزيرة قوزو بمالطا، وسيراكوزة بصقلية، ووصل إلى القسطنطينية في ٢٧ سبتمبر<sup>(٣٣)</sup>.

#### ٤ - أوضاع طرابلس عام ١٥٦٠

لقد ترك لنا أسقف كاتانيا (نيكولو ماريا كاراشيولو<sup>(٣٤)</sup> Nicoló Maria Caracciolo) الذي كان أسيراً بطرابلس سنة ١٥٦١ وصفاً لأوضاع المدينة وحكومتها في ذلك العهد، من خلال تقرير قدمه في سنة ١٥٦٢ إلى نائب الملك بصقلية، يحثه فيه على القيام بحملة على طرابلس. وكان يرى أن هذه الحملة ضرورية وعاجلة، وأن إغفالها والتجاوز عنها لا يمكن أن يتم (دون تعريض ممالك صقلية ونابولي للخراب الدائم وتعريض جميع المسيحيين<sup>(٣٥)</sup> للإذلال الكبير المهيئ).

(٣٢) ص ٤٧. لقد صارت تاجوراء منذ سنة ١٥١٠ وكراً للثوار والتأمر على حكام طرابلس الأجانب.

أنظر التفصيلات الواردة في الصفحات التالية.

(٣٣) ULLUOA ص ٤٧ - ٤٨.

(٣٤) ج. لونفو (صقلية وطرابلس - كاتانيا ١٩٦٢ ص ٥١ - ٥٤). أسر درغوث الأسقف كراتشيولو أمام جزيرة سترونبولي حين كان في طريقه من صقلية إلى نابولي ثم أطلق سراحه بعد أن قدم فدية ثمينة. ويقال إن درغوث قد ألزمه بالقسم على أن يدفع مبلغاً كبيراً آخر إذا صار باباً.

(٣٥) توجد مخطوطة هذا التقرير بأرشفيف الفاتيكان تحت اسم:

Discorso dell'essere di Tripoli del Vescovo di Catania 1562.

وقد نشره وقدم له ج. فرايكن في مقاله:

J. FRAIKIN: Un piano di attacco di Tripoli nel 1562 in Rivista d'Italia luglio 1912 p. 119 - 128.

كان درغوث قد بلغ، في ذلك الوقت، السبعين أو الثمانين من عمره. ويبدو أنه كان ما يزال يحتفظ بقواه رغم ما كان يشكوه من علل كانت تضايقه منذ حين. وكان يعتبر أقدر على الشؤون البحرية منه على الشؤون البرية، وكان على استعداد دائم للدخول في معارك يائسة (عن خوف لا عن تدبير) وكان الحظ حليفاً له في كل عملياته. ولم يكن حوله رجال من ذوي القيمة العالية. فقد كان القسم الأكبر من أتباعه من القراصنة، ورؤساء السفن القرصانية. وقد اعتادوا - كقائدهم - على الغزو في البحر الأبيض المتوسط<sup>(٣٦)</sup>. أما الجند فقد كانت قيادتهم إلى (السنجق دار)<sup>(٣٧)</sup>.

وامتدت سيطرة درغوث فشملت طرابلس الغرب بأسرها. وبلغت جنوباً منطقة غريان، وشرقاً منطقة مصراتة، وكان حكمه على غربي طرابلس أكثر توسعاً وامتداداً حيث شمل كل الجنوب التونسي من جربة وصفاقس والمونستير وسوسة والقيروان.

وكان تحت تصرف درغوث دخل البلاد الذي كان يرتفع إلى مئة ألف سكودو سنوياً. وكان ينفق منه على الحرس الذي لم يكن كبير العدد. وهو يتألف في أغلبه من (المشاركة) الأتراك أو من الطارئين على الإسلام المعتنقين له حديثاً. وكان سلاح الفرسان يتألف من خمسمائة فارس. وكانت الحامية في طرابلس تتألف من ستماية من المشاة وألف وخمسمائة من الفرسان، أما بقية الجيش فهي موزعة على الحاميات الداخلية والساحلية، هذا إلى سبعين قطعة مدفعية أرضية، ومثلها على ظهور السفن. وتكون كلها مدفعية الباشا التي لا يمكن الاستهانة بها. وكانت إمدادات الأسلحة النارية متوفرة في الوقت الذي كانت تقل فيه مؤن الجيش.

F. Braudel. Les Espagnols en Afrique du Nord de 1542 à 1577 in Revue Africaine (٣٦) LXIX 1928 p. 426 - 427.

(٣٧) تقرير الأسقف كراتشيول. . . السنجق دار، معناها صاحب العلم أو حامله، أي القائد، وهو يحمل لقب «بك». والفقرات التالية ملخصة عن التقرير وتردد آراء الأسقف المذكور.

كان الأهالي يكرهون درغوٲ، ويضيقون بالضرائب الفادحة ولا يطبقونها. وكان البدو من أولاد سليمان في الشرق<sup>(٣٨)</sup>، والمحاميد في الغرب<sup>(٣٩)</sup>، وزعماء الجبل يرفضون الخضوع لحكمه، وكانوا في حالة تمرد دائم. وقد رأينا كيف ثار سكان تاجوراء على حكومة طرابلس في سنة سابقة.

وفي مثل هذه الأوضاع كان من السهل، حسب رأي الأسقف كروتشيوللو، الاستيلاء على طرابلس بطريقة تعتمد على المباغتة، وبحملة تتألف من ست وستين سفينة تحمل على ظهرها تسعة آلاف من المشاة، على أن تلتزم السرية التامة في العمل، إذ إن درغوٲ قد زرع جواسيسه حتى في البلدان المسيحية. وهو يتلقى عن طريق (حلق الوادي) بتونس أخباراً باللغة العربية، يبعث بها إليه العرب المقيمون بمملكة نابولي وصقلية.

ويقول الأسقف إن الحملة يجب أن تنزل جنودها شرقي طرابلس، في الموقع المعروف باسم (برج الماء) حيث يكون نجاح الحملة أمراً محققاً، بالنظر لضعف أسوار المدينة والقلعة، واحتمال تضامن العناصر الطارئة على الإسلام في الدفاع عن قضية واحدة مشتركة.

ومن المعلوم أنه لم يجر حتى مجرد التدبير أو التخطيط لهذه الحملة. فقد كانت ذكرى فشل حملة جربة وإخفاقها ما تزال حية في النفوس، حتى ذلك الوقت.

## ٥ - حصار مالطا و وفاة درغوٲ باشا ١٥٦٥

في ذلك المعقل المنعزل بجزيرة مالطا المجهزة بالحصون القوية الممتازة، نظم فرسان القديس يوحنا أسطولاً جريئاً كان يضايق قراصنة الشمال الإفريقي والأتراك، ويقطع عليهم سبيل الاتصال بالقسطنطينية وجزر إيجه ومقاطعات إفريقيا الشمالية.

(٣٨) في النص (سليمان Sulman).

(٣٩) في النص (Alahamiti).

وكان قراصنة طرابلس والجزائر يقيمون حساباً كبيراً لسفن مالطا التي لم تكتف بالمراقبة البحرية التي تقوم بها في حملات سنوية، تعرف باسم القوافل. ولكنها كانت تنتقل في الغالب بهجمات وغزواتها إلى موانئ الشمال الإفريقي للقيام بعمليات تخريبية، وأسر الأرقاء الذي يستخدمون في أعمال التحصين بمالطا. وفي الأعمال البحرية التي تعتمد على المجدف.

وفي نهاية ١٥٦١ نزلت حملة من فرسان مالطا ليلاً بقصر أحمد (بمصراتة) ونهبت الموقع. ثم عادت أدرجها حاملة معها خمسة وستين أسيراً (أغلبهم من النساء والأطفال)<sup>(٤٠)</sup>.

إن أسباب الخلاف بين الأتراك وبين فرسان مالطا لا تدخل تحت حصر. نظراً لحالة الحرب الدائمة القائمة بين الطرفين. فلم يكن يمضي عام دون اصطدامات أو خطف للسفن. ففي ربيع ١٥٦٤ استولت الفرقة المالطية على سفينة صغيرة تابعة لسواحل (بربريا). وسفيتين للشحن كانتا تحملان التجهيزات المرسلة من الآستانة إلى درغوث بطرابلس.

وفي يوليو، من نفس العام، هاجمت هذه الفرقة المالطية، في منخفض الأدرياتيك، سفينة تركية كبيرة في طريقها من القسطنطينية إلى البندقية<sup>(٤١)</sup>.

ولم يكن السلطان سليمان الطاعن في السن الذي قدر له في الماضي أن يطرد فرسان رودس، ثم ينتزع منهم السيادة على طرابلس، ليعرض عن إلحاح أتباعه الذين كانوا يطالبونه بإنزال العقاب الرادع الذي يضرب به المثل، يجد به من جرأة فرسان مالطا وتطاوهم. ويبدو أن درغوث قد التمس من السلطان، أكثر من مرة، الموافقة على القيام بتلك الحملة. وقد أسندت قيادة الجيش إلى السردار مصطفى باشا. وكان الأسطول تحت إمرة بيالي باشا. ولكن السلطان أوصى قواده كثيراً بأن يسلموا قيادهم لخبرة درغوث ومهارته، عند التحاقه بالحملة على مالطا.

(٤٠) بوزيوج ٣ ص ٤٤٨ - ٤٤٩.

(٤١) روسي: تاريخ بحرية نظام فرسان مالطا ص ٤٦ - ٤٧.

وكانت الحملة تتكون من مئتي قطعة بحرية، وخمسين ألف رجل. وقد وصلت أمام الجزيرة يوم ١٨ مايو ١٥٥٦، فوجدت الفرسان قد أعدوا أنفسهم للدفاع عنها، في حصون (سان المو Sant' Elmo وسان ميكيلي San Michele وسان أنجلو Sant' Angelo) وفي (البرغو Borgo).

وفي يوم ٢٩ مايو، وصل (علج علي)، وأصله من كالابريا، قادماً من الإسكندرية لدعم الحملة. وكان درغوث قد وصل إلى مالطا يوم ٣٠ مايو ١٥٦٥ قادماً من طرابلس على رأس ثلاث عشرة قطعة وغليوطين وألف وأربعمئة مسلح.

وعندما بدأ مصطفى باشا حصار سان المو في أقصى جزيرة (شيب الرأس أو شائب الرأس Sceberras) التي تقوم عليها الآن مدينة (فالتينا)، عارض درغوث الخطة التي رآها غير مناسبة، وكان من رأيه تحييد الهجوم على حصن سان أنجلو والبرغو. ومع ذلك فقد اتجه بكل قوته وحماسه إلى قيادة الهجمات المتكررة على حصن سان المو. وصد المدافعون هذه الهجمات بلا ملل ولا إعياء. وعاد الأتراك إلى تجديدها دون توقف، وبتضحيات كبيرة في الجند. وكانت المدفعية التركية تدك الحصن وجرت المعارك في الأيام الأخيرة فوق الأسوار.

وفي ١٦ يونيو، وبينما كان درغوث خارج الخنادق يهيم بقيادة هجوم جديد حاسم، أصابته شظية صخرية طائشة في رأسه، منطلقة من القصف الصادر عن حصن سان أنجلو. وقد ظل بين الحياة والموت حتى يوم ٢٣ يونيو، حيث توفي في نفس اليوم الذي تمكن فيه الأتراك من اقتحام آخر المعقل الدفاعية. ودخلوا حصن سان المو، وقد نقل جثمانه إلى طرابلس ودفن بجوار المسجد الذي بناه.

وقد أثارت وفاة درغوث شيئاً من القلق بين صفوف المهاجمين، ومع ذلك، واصل مصطفى باشا الهجمات، على أمل الاستيلاء على مركز الدفاع، أي البلدة التي كانت تحميها قلاع سان أنجلو وسان ميكيلي. وكانت مقاومة الفرسان والجنود الإيطاليين مقاومة بطولية، كما لو كانوا يشعرون في ذلك

الوقت أنهم، بدفاعهم عن مالطا، إنما يدافعون عن مصائر إيطاليا والمسيحية بأسرها.

وقد ضاعف المرشد الأكبر (فرا جيوفاني لافاليتي) من جرأته وحيويته وطاقاته حتى يشجع زملاءه، في تلك الفترة العصبية المريعة التي امتدت طوال شهري يوليو وأغسطس. ولم تصل إلا في التاسع والعشرين من يونيو نجدة صغيرة من صقلية. أما النجدة الكبرى التي كانت معقد الآمال فلم تصل إلا في الليلة الواقعة بين السادس والسابع من سبتمبر. حين يُست الحملة العثمانية من النصر، وأخذت تعد العدة للانسحاب، بعدما فقدت ما يقرب من عشرين ألف رجل، وهي أرقام تفوق جداً خسائر الفرسان التي بلغت في مجموعها ستائة من الفرسان، وتسعة آلاف تقريباً من مقاطعات إيطاليا ومالطا من الجنود الذين أبدوا مقاومة بطولية.

إن مالطا التي تحتفل بالسابع من سبتمبر، كعيد وطني، ما تزال تحتفظ في متحف السلاح بخنجر ودرع ينسبان - دون سند مؤكد - إلى درغووث. وثمة رأس بري يقع غربي سان ألو (عند الطرف الأقصى المقابل للمرسى حيث شيد فيما بعد برج أو حصن تينيه Tigne) يعتقد أنه الموقع الذي أصيب فيه درغووث بضربته القاتلة ويسمى (رأس درغووث)<sup>(٤٢)</sup>.

---

(٤٢) بخصوص الحصار، انظر:

Bosio, (III p. 566 - 576).

Cirni. (Commentari) ecc Roma 1567.

C. Sanminiatielli Zabrella, (Lo Assedio di Malta 18 maggio - 8 Settembre, 1565, Torino 1902.

Rossi, L'assedio di Malta nel 1565 secondo gli storici ottomai in Malta letteraria, maggio 1926 p. 143 - 152.

وبخصوص الروايات التركية حول الحصار المذكور انظر (هامر Hammer).  
في تعبير ابن غلبون (أظهر العلم والورع). . . العرب.

وقد أطلق الكتاب المسلمون على درغووث صفة الشهيد<sup>(١٣)</sup>، لأنه مات وهو يقاوم الكفار. وذكراه مقدسة عند المسلمين الذين يتمتع لديهم بمنزلة (الولي) أي (المrabط) كما يقال في لغة العامة. مثل مراد آغا.

وقد اهتم الأتراك بإحياء ذكره أكثر من اهتمام الطرابلسيين الذين يقترن اسمه في أذهانهم بمسجده وضريحه، والذين لم يحبوه أثناء حياته، وكانوا ينظرون إليه كحاكم أجنبي. وحين حاولت الحكومة العثمانية في مطلع القرن الحديث تدعيم قواتها، أطلقت اسم (درغووث) على بعض السفن الحربية، رمزاً للأجداد القديمة وتخليداً لها. وعلى الرغم من الظلال المقيتة التي يقدم من خلالها التاريخ الغربي صورة هذا القرصان الجريء والبحار الماهر، فإنه من الحق أن يقال أنه كان إحدى الشخصيات المميزة للقرن السادس عشر. مات في سن متقدمة. أقرب إلى الثمانين منه إلى السبعين، ومع ذلك فقد كان ما يزال في عنفوان قوته وحيويته.

وفي مالطا، وفي سنة ١٥٦٥، بدأ الصراع بين الهلال والصليب. وقد انتهى بانتصار المسيحية ذلك الانتصار الذي تأكد بعد ستة أعوام من ذلك في معركة (ليبانو). وقد أضعف من هذه الانتصارات وقوع تونس في سنة ١٥٧٤ بصفة نهائية في أيدي الأتراك الذين ظلوا بهذه الطريقة سادة الشمال الإفريقي. وقد تطلب الأمر مضي أكثر من ثلاثة قرون أخرى قبل أن تتمكن الدول الأوروبية من الغلبة ونقل سيطرتها وحضارتها إلى سواحل الشمال الإفريقي.

## ٦ - خلفاء درغووث حكم طرابلس ١٥٨٦

لم يتأكد رأي المؤرخين، أو يتم الاتفاق بينهم على الشخص الذي خلف درغووث في الحكم سنة ١٥٦٥. فبعض الروايات ترى أن هذه المهمة قد أسندت إلى يحيى باشا الذي لا نعرف عنه سوى أنه مات في سنة ٩٧٣ هـ.

Spartaco Murgo, Dragut il Pirata - Re di Tripoli in Tribuna coloniale 23-12-1922.



(٢٩ يوليو ١٥٦٥ - ١٨ يوليو ١٥٦٦) وأنه قد دفن بقصر قرقوش بقرقارش<sup>(٤٤)</sup>.

أما بعض المصادر الأخرى فتري أن خلافة درغوٲ قد انتهت إلى (علج علي) المعروف لدى المؤرخين الغربيين باسم (Lucciali - Occhiali Occiali) وكان هذا الرجل من الذين اعتنقوا الإسلام، وأصله من (كالابريا Calabria) ومن مواليد بلدة (كاستلي Castelli) الواقعة قرب (رأس الأعمدة Capo delle Colonne) وكان قد أسره أحمد علي، وهو أيضاً يوناني الأصل من المحدثين في الإسلام وكان من رؤساء البحر بالجزائر. فرمى به إلى عمل المجدف. وكان قبيحاً دميماً ولذا لقب (بالفرطاس). وقد برز اسمه في أعوان درغوٲ. وقد أرسله سنة ١٥٦٠ إلى القسطنطينية للإبلاغ بوصول الأسطول المسيحي إلى جربة. وعاد مع الحملة العثمانية ضمن حاشية بيالي باشا. وكان له نصيب وافر في توجيه المعركة الحربية التي انتصر فيها الأتراك. وفي سنة ١٥٦٥ كان يشارك في حصار مالطا. وحين مات درغوٲ رافق جثمانه إلى طرابلس، ثم عاد إلى مالطا عند نهاية الحصار<sup>(٤٥)</sup>. وقد حصل على ثروة طائلة من القرصنة، ومن الثروة التي خلفها درغوٲ<sup>(٤٦)</sup>. ولا يستبعد أن يكون قد خلف درغوٲ في حكم طرابلس. وكان عليه أن يواجه مهام شاقة لإخضاع عرب الدواخل المتمردين. وفي سنة ١٥٦٧ تمكن من إخضاع أهالي تاجوراء وتاورغاء. وألزمهم بدفع الضريبة التي بلغت ثلاثة آلاف دوكاتو<sup>(٤٧)</sup>.

وقد بني (علج علي) البرج المربع للدفاع عن السور المجاور لباب المنشية. وكان قد هد في الأساس ليكون مخزناً للبارود. ومن هنا جاءت التسمية (دار البارود). وقد كشفت الترميمات الأخيرة عن الوضع الهندسي الداخلي لهذا الحصن، بميادينه الخاصة بالمدافع، وبفتحاته (feritoie) التي تواجه السهل الواقع شرقي طرابلس، حيث تقوم المدينة الجديدة. ويذكر أحد الشواهد

(٤٤) ابن غلبون ص ٩٩ (ص ٧٤) - النائب ص ٢١٣ - فيرود ص ٧٧.

Cirini, Commentari, fol 120.

(٤٥)

<sup>١</sup> Haedo, Historia de Argel fol 77.

(٤٦)

(٤٧) مارمول ج ٢ ص ٣٠٥.

التاريخية بتاريخ ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ - ١٥٦٨) أنه شيد من قبل علي باشا<sup>(٤٨)</sup>. وفي ١٥٦٨ عين السلطان سليم الثاني، علي باشا (بيلربي الجزائر). وبعد ثلاثة أعوام من ذلك برز في معركة (لبانتو) حيث سحب فلول الأسطول العثماني إلى القسطنطينية. وكان قد نال حظوة كبيرة لدى السلطان الذي كرمه وغير اسمه من (علج علي) (ومعناها الجنس المسترق غير العربي) إلى (كيلغ Qilîg) ومعناها السيف. وعهد إليه بالقيادة العليا للأسطول. وهو معروف لدى الأتراك باسم (Qilîg) علي وبهذا عرف المسجد الجميل الذي بناه في (طبخانة Topkhane) على ضفاف البسفور.

مات في ٢٧ يونيو ١٥٨٧ في القسطنطينية عن عمر يناهز الثمانين<sup>(٤٩)</sup>.

وعندما انتقل (علج علي) إلى حكم الجزائر سنة ١٥٦٨، خلفه على حكم طرابلس جعفر باشا<sup>(٥٠)</sup>. وهو روسي الأصل لا تتوفر لدينا معلومات وثيقة عنه. وقد وقعت في هذا العهد معركة (لبانتو) التي تذكر في تاريخ طرابلس بالنظر إلى أهميتها، ومشاركة طرابلس فيها بستة مراكب (غاليات)

(٤٨) أوريجيا Not. Arch. Min. Colonie II p. 279

(٤٩) نشر عن (علج علي) كتاب لا يخلو من الأخطاء هو:

Defontin - Maxange (Alger avant la conquête Eudji Ali Corsaire Beglier bey d'Afrique et grand-Amiral, Paris 1930.

انظر أيضاً:

Volente, Vita di Occhiolo, Milano 1960.

(٥٠) تذكر مخطوطة (جيرارد) المؤلف الفرنسي المجهول، وكذلك (فيروود ص ٧٧) أن الوالي كان اسمه جعفر وهو الاسم الذي تؤكد اللوحة التذكارية التي كانت معلقة بباب المنشية. ويرى آخرون، مثل النائب ص ٢١٣، أن الولاة الذين تعاقبوا بعد درغوث هم يحيى باشا ومصطفى باشا، ويفغل ذكر (علج علي). أما (القيرواني) فيرى أن خليفة (علج علي) كان مصطفى باشا. وهكذا ورد اسم بيلربي طرابلس في مرسوم صادر من القسطنطينية بتاريخ ١٥٧٤ يوضح أوضاع الحملة على تونس... أنظر:

رفيق: وثائق رسمية حول حملة تونس - مجلة كلية الآداب - جامعة استانبول (١٩٢٦) باللغة التركية.

و (غليوطين). وقد فقدت طرابلس فيها (غاليرتين وغليوطين). ولم يسلم الوالي من الكارثة إلا بمسقة<sup>(٥١)</sup>.

ويلاحظ أن (الجامعة المسيحية) التي تمت في سنة ١٥٧٠ كانت تنوي - طبقاً للمخطط الاسباني - أن توجه حملاتها أولاً إلى استعادة طرابلس واحتلال الجزائر. ولكن خطة الهجوم المباشر على الأتراك تغلبت في آخر الأمر، بالنظر إلى إلحاح البندقية والبابا عليها<sup>(٥٢)</sup>.

وساهم جعفر باشا أيضاً في احتلال (حلق الوادي) وتونس في سنة ١٥٧٤، ضمن الحملة التي كانت بقيادة (علاج علي) قائد الأسطول، وسانا باشا<sup>(٥٣)</sup>.

ويبدو أن حكم جعفر باشا قد اتسم بالطغيان، وأنه قد أرق البلاد

---

(٥١) مخطوطة (جيرارد ج ١ ورقة رقم ١٤٩). وقد أكد المؤرخ التركي حاجي خليفة في كتابه (تحفة الكبار ص ٩٣) وجود جعفر باشا في معركة لبانتو، وكذلك (هامر ١٢ ص ٥٩٧) بينما يذكر مارمول (ج ١ - ٢٩١) اسم (شعبان شليبي) حاكم طرابلس الذي حضر المعركة على رأس ٢٢ (غليوطة).

(٥٢) بالإضافة إلى الكثير الذي كتب حول معركة لبانتو، يحسن الرجوع إلى:

D. Serrano, La Liga de Lepanto entre Espana, Venecia y la Santa Sede 1590 - 1573 Madrid 1918 - 1919-1-2 vol.

(٥٣) طبقاً للوثائق التي نقلها أ. رفيق في دراسته المنوه عنها في الهامش رقم ٥٠ من هذا الفصل فإن (بليري طرابلس) الذي نهض ضد حلق الوادي وتونس هو مصطفى باشا. ويذكر حاجي خليفة (ص ٩٨) والمؤرخ Pecevi (ج ١ - ٥٠٢) مصطفى باشا. أما (السجل العثماني ج ٤ ص ٣٧٥) فيقول إن مصطفى باشا كان بليري الجزائر ثم طرابلس. وقد ساهم في الحملة على تونس. وتجد هذه المعلومات المتضاربة خلافاً في رأي فيرود (ص ٧٧) الذي يرى أن جعفر باشا قد أرسل إلى تونس قائد جنده مصطفى باشا. وربما أمكن توضيح الأمر بأحسن من ذلك بافتراض أن بليري طرابلس في ذلك العهد كان يسمى (مصطفى جعفر) على طريقة التسمية الثنائية الشائعة لدى الأتراك. ويشير (السجل العثماني) (ج ٢ - ص ٧٠ - ٧١) إلى شخصين مسميين باسم جعفر باشا أحدهما روسي الأصل، تولى ولاية تونس وتوفي في ٩٩٥ هـ (١٥٨٦ - ١٥٨٧) والثاني كان حاكماً على (تبريق Tebrig) دون أن يشار إلى أن أيّاً منهما قد تولى ولاية طرابلس الغرب.

بالضرائب الفادحة البغيضة. وقد هاجر سكان جربة، وتشتتوا في مختلف البقاع، هرباً من جوره وبطشه<sup>(٥٤)</sup>. أما سكان طرابلس فقد ثاروا على فداحة الضرائب. وفي سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ - ١٥٧٥) ثار المدعو (حجاج؟ Haggag) في غريان<sup>(٥٥)</sup>. وعمد جعفر باشا في سنة ١٥٧٧ إلى تخفيض الضريبة بواقع النصف حتى يحد من ثورة (نويس)<sup>(٥٦)</sup>. وقد خلد اسم جعفر باشا بلوحة تذكارية ترجع إلى سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١ - ١٥٨٢) وضعت فوق باب المنشية. بمناسبة إعادة ترميمه. وقد ثبتت على جانب آخر من السور عندما جرى تهديم الباب<sup>(٥٧)</sup>. وسوف نشير - فيما بعد - إلى ما تم في عهد جعفر باشا من احتلال الأتراك لفزان، وتنشيط العلاقات التجارية مع بورنو سنة ١٥٧٨. وتوفي جعفر باشا حوالي سنة ١٥٨٢، وخلفه رمضان باشا ولا نعرف إلا القليل عن أحداث عصره<sup>(٥٨)</sup>. لقد جاء إلى الحكم من الجزائر سنة ١٥٨٣<sup>(٥٩)</sup>، وقاد حملة على أهالي الجبل الثائرين، ووصل إلى ككلة في عنفوان الصيف، ووجد الآبار قد ردمت، وكان عليه أن يعود أدراجه، وكانت متاعب الحملة قد أوهنت نفوس الانكشارية فقتلوه في طريق العودة سنة ١٥٨٤<sup>(٦٠)</sup>.

وكانت أرملته، وهي مسيحية الأصل قبرصية سبيت سنة ١٥٧٠، عائدة إلى القسطنطينية على ظهر سفينة كبيرة (غاليرا)، فهاجمها عند جزيرة (زانتى

(٥٤) فيرود ص ٧٧.

(٥٥) ابن غلبون ص ٩٩ (ص ٧٤).

(٥٦) نوير: بطن من بطون قبيلة المحاميد.

(٥٧) أوريجيا. Not. Arch. min. Colonie II p. 180.

(٥٨) هذا ما يمكن أن يستخلص من فيرود ص ٧٧.

(٥٩) Garrot, Histoire générale de l'Algerie, Algerie 1910 p. 437.

(٦٠) مخطوطة (جيرارد) ورقة ١٥١ - ١٥٤ ج ٢ وقد اعتمد عليه فيرود ص ٨٠. وكذلك:

D. Haedo, (trad. nella Revue Africaine XXIV 1880 p. 432.

أما دي ثو:

De Thou (Histoire Universelle IX for 226.

فيقول إن الجند قد قتلوه أثناء حربه ضد سلطان القيروان.

(Zante) الكابتن البندقي (P. EMO) فاستولى على السفينة بعد معركة مريرة. قتل فيها مئتان وخمسون رجلاً من البحارة، وكانت تحمل أربعمئة من الأرقاء، وثمانيئة ألف سكودو. وقد اغتصب النساء ثم ألقى بهن في البحر، ولقيت الأرملة نفس المصير.

ولم تدخر الحكومة العثمانية وسعاً في الحصول على تسوية عادلة لهذا العمل القرصاني الذي قام به البندقي الذي قطع رأسه، وأعيدت السفينة، وعوض الأسرى الأربعمئة بعدد مماثل<sup>(٦١)</sup>.

ويقول فيرود (متابعاً في ذلك جيرارد) إن رمضان باشا قد خلفه على الحكم مصطفى باشا الذي حكم حتى سنة ١٥٨٨. ولكننا نفتقر إلى الأخبار الوثيقة في هذا الصدد بينما توجد وثائق يمكن أن يستخلص منها أن (بليري طرابلس) في سنة ١٥٨٦ كان حسن باشا. وكان له أسطول يجوب البحر الأبيض المتوسط. وقد قام القراصنة الطرابلسيون بالاستيلاء على سفينة إنجليزية قرب جبل طارق، ونقلوا الأسرى إلى طرابلس. وكان السلطان مراد الثاني على علاقات طيبة مع الملكة إليزابيث، ملكة إنجلترا. فكتب إلى حسن باشا يأمره بإطلاق الأسرى، ولكن الوالي رد قائلاً (لن أطلق سراح هؤلاء الكفار، حتى ولو أقصيت من منصبي، وسأغنم سفنهم حيثما وجدت). وكتب إليه السلطان، مرة أخرى بتاريخ ٢ رجب ٩٩٤ هـ (يونيو ١٥٨٦)، ولكننا نجهل النتيجة التي انتهت إليها هذه المكاتبة الأخيرة<sup>(٦٢)</sup>.

وقد حكم حسن باشا طرابلس حتى سنة ١٥٨٦ أو سنة ١٥٨٨،

---

Hammer, (trad. italiana XIII p. 283-284

(٦١) هامير.

أما (فيرود) ص ٨٠ فيرى أن المرأة كانت أخت رمضان باشا وليست أرملة وأن اسم هذه الأخت أمينة.

(٦٢) استخلصت هذه المعلومات من المقال الذي نشره أحمد رفيق المدغم بوثائق المحفوظات العثمانية في المجلة التركية:

Yeni Meg' nùah anno 1-1917

m. 4 p. 69-71

والراجع أن يكون هو المقصود باسم (علج حسن) الذي تحدث عنه (حاجي خليفة) في تاريخه، وقال: إنه قدم في صيف ١٥٨٨ من المغرب إلى القسطنطينية وعين على رأس الأسطول العثماني، وهو نفسه الذي سافر في العام التالي لقمع الثورة في طرابلس<sup>(٦٣)</sup>.

## ٧ - الاضطرابات في طرابلس خلال الأعوام ١٥٨٨ - ١٥٩٠ والأعوام العشرة التالية

لقد مرت طرابلس الغرب خلال أواخر السنوات العشر الأولى من القرن السادس عشر، ومطلع القرن التالي له، بفترة من الاضطرابات المتواصلة، بسبب ازدياد الروح العدائية لدى العرب، وانتشار الفوضى في أوساط الإنكشارية التركية التي جعلت منها - منذ ذلك الحين - مشاراً للاضطرابات والقلق.

ويلاحظ المؤرخ الطرابلسي، ابن غلبون، بحق، أن الجند قد تغلبوا على الحكومة، وأن الوالي الموفد من القسطنطينية لم يعد يتمتع بأي امتياز، أو بتعبير المؤرخ نفسه (وتغلب الجند على أمر البلد، فلم يكن لواليتها من قبل السلطان تصرف، واضطرب أمرها وفسد نظام الملك وكثر الهرج في الرعية)<sup>(٦٤)</sup>.

ونقم سكان الدواخل بسبب ظلم الأتراك، وجعلت الاضطرابات

---

وقد نشر (ميرويس) أيضاً وثائق من محفوظات مارسيليا أشارت إلى حسن باشا كحاكم على طرابلس سنة ١٥٨٦.

M. Mireur (Documents pour servir à l'histoire de la France, mélanges historiques V p. 631.

أما ماسون فيرى أن الحادث قد وقع بطرابلس ١٥٨٣.

Masson, Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique Barbaresque Parigi - 1903.

Costa e Discorsi di Barberia di Lanfreducci e Bozio, Revue Africaine 1925 p. 78-81.

(٦٣) حاجي خليفة (تحفة الكبار) ص ٩٩.

(٦٤) ابن غلبون ص (١٠١) (ص ٧٦).

والثورات البلاد في حالة من الهيجان الملائم للاستجابة إلى دعوات الرجال الذين امتلأت نفوسهم بالحماس الديني والطموح السياسي. وتلك هي الفترة التي تعكس أكثر من غيرها حوادث الانتفاضات التي كان يقودها المرابطون أو المغامرون.

ويقول ابن غليون إن يحيى بن يحيى السويدي، وهو رجل علم وورع، قدم من المغرب، فوضع نفسه على رأس الثورة التي اندلعت في سنة ٩٦٦ هـ (١٥٨٨ - ١٥٨٧) بتاجوراء على المذبحة التي قام بها الأتراك لمجموعة من الحجاج. وقد وجد أتباعاً له في تاجوراء ومسلاتة. واستطاع بفصاحته وبيانه أن يجمع حوالبه (حاضر الوطن وباده). وقد خرج إليه الجند الأتراك لمقاومته وقمع حركته. ولكنهم هزموا عند مسلاتة، وكسروا وقتل منهم نحو الألف من قبل سكان زليطن وضواحيها<sup>(٦٥)</sup>.

ووجد الوالي نفسه إزاء خطر محقق عظيم، فاتجه إلى طلب النجدة من والي تونس. ويبدو أنه كافأه على هذا الصنيع بالتنازل عن حقوقه في جزيرة جربة<sup>(٦٦)</sup>.

وتقدم الثائر حتى تاجوراء، وحاصر طرابلس، ولم يجد بأساً في طلب

---

(٦٥) ابن غليون ص ١٠١ (٧٦). مخطوطة جيرارد ج ١ ورقة ١٥٨ - فيرود ص ٨١ - ٨٢. ورد ذكر ثورة يحيى في مخطوطة عبرية يمتلكها (م. غاستر M. Gasster) الذي أعطى عنها معلومات في مقال نشر بعنوان المهدي في طرابلس سنة ١٥٨٩ في مجلة (Islamica) المنشورة في (199 - 193 Lipsia 1926 P. 193) وتختلط الرواية اليهودية فتمزج بين التاريخ والأسطورة وتقول إن يحيى بن يحيى قد قدم على تاجوراء، وزعم أنه المهدي وأعلن نفسه ملكاً على سكان المنطقة ومصراة وغريان، وقد أباد الأتراك وأرغم اليهود على اعتناق الدين الإسلامي ومنع استعمال العملة التركية، وسك نقوداً خاصة به، وقد طلب محمود باشا (هكذا) حاكم طرابلس نجدة الأساتنة. وقد حضر لنجدته حسن باشا الذي هزم ولم ينج إلا بمشقة، ثم عاد بقوات أكبر وانتصر على العرب الثائرين وقبض على يحيى وقتله وسلخه وأرسل جلده محشواً بالقش إلى القسطنطينية. وقد ألغى حسن باشا الإجراءات التي فرضها على اليهود بالتحويل الإجباري عن دينهم.

(٦٦) جيرارد ج ١ ورقة ١٦٠.

النجدة من فرسان مالطا. وكانت هيئة فرسان مالطا التي حكمت طرابلس من ١٥٣٠ إلى ١٥٥١، والتي حاولت استعادة البلاد بالتعاون مع الحلفاء المسيحيين عن طريق الحملة التي جردت سنة ١٥٦٠، وانتهت إلى الكارثة المؤسفة التي وقعت في جربة، تحتفظ بتطلعها إلى السيطرة على تلك القلعة الهامة (طرابلس). أو كانت ترغب - على الأقل - في كنفها عن أن تكون وكرّاً للقراصنة. وسنرى أنها أعدت في سنة ١٦٠٠ أيضاً حملة على طرابلس بالتعاون بين فرسان مالطا وصقلية ونابولي. وجدير بالذكر في هذا الصدد أن فارسين إيطاليين تابعين لفرسان مالطا وهما (بوزيو Bosio ولانفردوتشي Lanfreducci) قدما في سنة ١٥٨٧، بتكليف من المرشد الأكبر، تقريراً يقترحان فيه القيام بعمليات مفاجئة ضد طرابلس<sup>(٦٧)</sup>. ونفهم من ذلك أن هيئة فرسان مالطا لم تحجب مساعدتها عن الثائر يحيى. ويرى Dal Pozzo (دال بوتزو) الذي اعتمد في تاريخه على وثائق محفوظات مالطا أن والي طرابلس (حسن آغا، ملك طرابلس) قد انتقل إلى القسطنطينية، حين تفاقم أمر الثورة، لطلب العون والنجدة. وقد قام الحاكم الجديد - أثناء غيابه - بالزج بالجنود الأتراك الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف رجل، في عملية إخضاع الثورة فقتلوا جميعاً. وحين نقص ما بيد هذا المرباط (يحيى) من مدفعية وذخيرة وخبراء، فكر في الاتجاه إلى فرسان مالطا. وأرسل وفداً إلى المرشد الأكبر يطلب عونه ومساعدته على طرد الأتراك من كل سواحل الشمال الإفريقي (بربريا).

وأرسلت هيئة الفرسان الجنرال (هوميديس Homedes) قائد الأسطول على ظهر السفينة (كابتانا) التي غادرت مالطا في ١١ أغسطس ١٥٨٩ وأنزلت أسلحة ومعدات حربية وبعض الخبراء بشاطئ غير بعيد عن طرابلس. مع الوعد بمزيد من العون والدعم. وفي ذلك الوقت كان حسن باشا قد حصل على نجدة من السلطان، ورجع إلى طرابلس بخمس عشرة سفينة، وثلاث

(٦٧) مونكيكورت وجراند شامب: المجلة الإفريقية الفرنسية ٦٦ - ١٩٢٥ ص ٣٥ - ١٦٥.



(معونات) وتسعة قوارب . وأحضر إلى المدينة عوناً من الرجال والذخيرة<sup>(٦٨)</sup>.

وتتحدث عن هذه الفترة وثيقة هامة، ننقلها بنصها الكامل عن محفوظات هيئة فرسان مالطا، بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٥٨٩ (أي بعد بعثة الجنرال هوميديس)، وتتعلق بإرسال الفارس (كارلو ماركي Carlo Marchi) إلى السواحل الطرابلسية للحصول على معلومات عن نشاط (حسن آغا) الذي وصل بأسطوله، حينذاك، إلى بربريا. وكانت من مهمات الرسول أيضاً تشجيع (المرابط) يحى على الاستمرار في المقاومة.

«تعليماتنا إليكم أيها الأخ في العقيدة، كارلو ماركي، الفارس الإيطالي، عما يجب عمله في رحلتك التي كلفناك بها، إلى سواحل بربريا.

سافروا باسم الله وبركة العذراء والقديس جيوفاني باتستا حامينا وراعينا بواسطة (الفرقاطة) التي أمرنا بأن تقلكم مع مجلس القيادة الذي خصصناه لكم. وحاولوا النزول قرب طرابلس، أو في أي مكان يبدو لكم أكثر ملاءمة وأمناً وبعداً عن التعرض للأعداء أو ملاقاتهم.

فإذا لم تجدوا في تلك الجهات من تتحدثون إليه فدبروا أمركم بمشورة المجلس إلى أن يساعدكم الله في الحصول على معلومات وثيقة، لا بخصوص التعليمات الصادرة عن حسن باشا فقط، ولكن عن حركة (المرابط) الذي يقود العرب أيضاً.

وحاولوا أولاً أن تستخبروا، بصفة خاصة، عن كل ما قام به حسن آغا، عقب مجيئه إلى طرابلس، وحالة القلعة، وكمية سلاحها ونوعيته، وعما إذا كان يخطط للبقاء (ببربريا) أثناء الشتاء، أم أنه سيعود، بعد أن يعيد الأمور إلى نصابها، وموعد عودته وسفره. وما إذا كان سيذهب أولاً إلى تونس، وبصفة عامة، عن كل ما يبدو لكم جديراً باهتمامنا من شؤون الحملة التركية.

---

Dal Pozzo (Historia della sacra religione militare di S. Giovanni Gerosolimitano - Vero- (٦٨) na e Venezia 1703 - 1715 P. 314 - 315.

واستخبروا أيضاً عما فعله (المرابط) وما ينوي فعله. وما إذا كان قد استلم الإمدادات والسلاح الذي أرسلناه إليه. وإذا ساقكم الله إلى مكان آمن قريب منه، وتمكتم من التحالف معه بضع ساعات، دون تعريض شخصكم للخطر، وبعد الحصول على ضمانات متمثلة في رهائن، وفقاً لما تقضي به الحكمة والاحتياط، فلن يكون إلا الخير من ذهابكم إليه لتشجيعه على الصمود والدفاع. وأن تنقلوا إليه أننا أرسلنا إليه البريد، لمعرفة حاجاته، وأننا لن نتخلف أو نتقاعس عن مساعدته، بكل ما في وسعنا. وهو أمر اعملوا على إفهامه إياه بكل طريقة. فإذا تعذر عليكم مخاطبته شخصياً فاتصلوا به عن طريق العرب، وتغلغلوا في أوساطهم لمعرفة ما إذا كانوا قادرين على مقاومة الأتراك ومحاصرة مدينة طرابلس، رغم الدعم الذي ورد إليها، مع الحرص على كافة التفاصيل التي ترونها ضرورية، والتزام الحذر والحيلة. فإذا رأيتم أنكم قد حصلتم على المعلومات الكافية فاتخذوا سبيل العودة بأسرع ما يمكن، مع الحذر بأن لا يقع لكم مكروه في الذهاب والإياب. حاكم الله ورعاكم<sup>(٦٩)</sup>.

ولا تتوفر لدينا أية معلومات عن نتائج هذه المهمة التي قام بها الفارس (كارلو ماركي). ولكن لدينا معلومات عن الأوضاع العامة في مدينة طرابلس، عند نهاية سنة ١٥٨٩، سجلها شاهد عيان، هو الرحالة المغربي (أبو الحسن التمكروتي) الذي مر بطرابلس، في أكتوبر ١٥٨٩ في طريقه إلى القسطنطينية. وقد ذكر أنه وجد بطرابلس أسطولاً مكوناً من ستين سفينة<sup>(٧٠)</sup>. وأن المتمرد كان رجلاً متوحشاً، فظاً قاسياً. وأنه ثار للحد من عنف الأتراك وجورهم، ولكنه كان يتصرف في الواقع بدوافع الطموح وشهوة السيطرة والسلطان، وأنه

---

(٦٩) محفوظات مالطا:

Libri Bullarun, vol 445 (1588 - 1590) fol 274

Arch. Melit. VI P. 67 - 68.

روسي: سيطرة فرسان مالطا الخ.

(٧٠) حسب رأي المؤرخ العثماني (سيلانيكي Selàniki) في تاريخه ص ٢٦٧ وحاجي خليفة في (تحفة الكبار) ص ١٤٢ كانوا بقيادة جعفر باشا.

ألقى بالأتراك أضراراً فادحة وخسائر كبيرة. وأنه قتل منهم في معركة واحدة ألفاً وثمانئة رجل، من اليهود الذين كانوا يجرون المدافع.

وقد استطاع الكابودان باشا، بعد مساعدة انكشارية الجزائر وتونس، أن يهزم المتمردين، ويدفع به وأتباعه إلى الصحراء، وقتل مئتي رجل من تاجوراء (لعلهم كانوا من أتباع المراتب). وفي ١٨ نوفمبر ١٥٨٩ غادر الكابودان باشا طرابلس، متجهاً بأسطوله إلى القسطنطينية. وقد سافر الرحالة المغربي مع هذا الأسطول.

أما الأحداث التالية التي وقعت سنة ١٥٩٠ فهي غير واضحة رغم أننا نعرف، بصفة عامة، النهاية البائسة التي انتهى إليها الثائر، فما كاد يسافر الأسطول حتى عاد الثائر إلى إضرام الثورة معتمداً على مساعدة فرسان مالطا.

وفي سنة ١٥٩٠ أرسلت من جديد فرقة من الأسطول مكونة من ثلاث قطع بقيادة (هوميديس) مع سفينتين مساعدتين إلى طرابلس. وقد سافر على ظهرها الكومنداتور (ستيفانو كيارومنتي Stefano Chiramonte) مكلفاً بالاتفاق مع الثائر على خطة احتلال طرابلس. وكان عليه أن يتوجه إلى مقابلة (المرابط) والاتفاق معه، لتوفير حراسة مكونة من خمسمائة مسلح لمساندة مجموعة من الخبراء والثقات، كان من المقرر أن تقوم تحت قيادة (الكومنداتور أكتافيو دي كستلوني ساليرنس Ottoria de Castellone Salernes) بالاقتراب من مدينة طرابلس، وزرع لغم بأحد المواقع المناسبة، ونسف باب المدينة، فإذا دخلوا المدينة كان في وسعهم نسف باب القلعة بلغم آخر. وتقضي الخطة بوجوب

(٧١) النفحات المسكية في السفارات التركية، نشر:

H. De Castries, Paris 1929 P. 31.

وقد أكد دال بوتزو ج ٢ ص ٣١٥، سفر الباشا (حسن آغا) مع الأسطول العائد إلى القسطنطينية في نهاية ١٥٨٩.

(٧٢) روسي: سيطرة فرسان مالطا ورشة

Archivum Melitense VI p. 69 - 70.

ودال بوتزو ج ١ ص ٣١٨ - ٣٢٠.

(٧٣) دال بوتزو ج ١ ص ٣٢٠.

تدمير القلعة، واسترجاع مدفعية هيئة فرسان مالطا التي بقيت بها عقب الانسحاب الأول. وعلى المرباط أن يقدم الرهائن التي تحفظ فوق السفن كضمان، وأن يكون مستعداً لمساندة العملية. فإذا اتفق كيارومونتي مع المرباط فيجب أن يعود إلى السفن لاتخاذ القرار النهائي. وتضيف المصادر المالطية أن كيارومونتي قد نزل بزواغة، وذهب للتحادث مع (المرباط يحیی). ولكن يحیی وجد صعوبة في الاتفاق على العملية، ولم يفعل شيئاً من هذه الخطوة الانقلابية الجريئة ضد طرابلس.

ويقول أحد المؤرخين الأتراك<sup>(٧٤)</sup>: إنه بعد سفر الباشا قام المتمرد بمهاجمة والي<sup>(٧٥)</sup> تونس أحمد باشا الذي كلف بالدفاع عن طرابلس، وأضرم النار في مخزن البارود، فقتل أحمد باشا. ولكن جنوده هاجموا المتمردين بعنف وهزمهم وقتلوا (المهدي) المزعوم (يحیی) وسلخ جده وأرسل إلى القسطنطينية حيث عرض فترة من الزمن في ميدان (بايزيد)<sup>(٧٦)</sup>.

وكان الرحالة المغربي الذي أشرنا إليه موجوداً بالقسطنطينية في ربيع ١٥٩٠ حين وصل جلد القتيل، فوق إحدى السفن التي كادت تتعرض للغرق. وهو يقص علينا أن الجلد قد عرض في أسواق المدينة، وأن السلطات قد كافأت الذين قتلوه بالنقود والهدايا وأقطعهم بعض الأراضي في بلدانهم<sup>(٧٧)</sup>.

وقد أكد هذا المؤرخ الطرابلسي ابن غلبون. ويقول إن المتمرد قد سلم إلى الأتراك من قبل (نوير) أحد زعماء قبيلة المحاميد. ومكافأة لهم على هذا

(٧٤) سيلانيكي ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٧٥) يعرف أحمد باشا والي تونس (بالاستنكولي) لأن أصله من (كوس) وقد صار ابنه علي كابودان باشا للأسطول العثماني وصدرأ أعظم فيما بعد (١٦١٨) - حاجي خليفة ص ١٤٢. بجانب حاجي خليفة الصواب حين يقول في ص ٩٩ إن حسن باشا قد تمكن في حملته التي قام بها سنة ٥٨٩ من قتل المرباط الثائر.

(٧٦) دال بوزيوج ١ ص ٣٢٠ وقد ذكر أن المرباط سلخ حياً وحشي جلده بالقش وأرسل إلى القسطنطينية.

(٧٧) نفس المصدر المتقدم ص ٣٤.

الصنيع (كتب لهم في خراج البلد، وجعل لهم منه سهماً وافراً، وأمر بتعظيمهم حين القدوم لدار الملك، طرابلس، فلم يزالوا عليها وفيهم بقية من ذلك إلى يومنا هذا) أي إلى عهد المؤرخ، حوالي سنة ١٧٣٠<sup>(٧٨)</sup>.

وجرى تغيير (بليربي طرابلس) الذي لا نعرف اسمه، وعين بدلاً منه أحمد باشا بن عويس في يوليو ١٥٩٠.

أما الفترة التي تمتد من سنة ١٥٩٠ إلى سنة ١٦١٠ تقريباً فهي من أشد الفترات غموضاً في تاريخ طرابلس. وتعطينا مخطوطة (جيرارد) التي أخذ عنها (فيروود) هذه السلسلة من الولاة المتعاقبين<sup>(٨٠)</sup>:

مصطفى باشا من ١٥٨٤ حتى ١٥٨٨.

حسين باشا حتى ١٥٩٥.

إبراهيم باشا حتى ١٦٠٠.

اسكندر باشا حتى ١٦٠٦.

سليم باشا حتى ١٦٠٧.

علي وأحمد باشا من ١٦٠٧ حتى ١٦٠٩.

وهذه القائمة من الولاة غير ثابتة تاريخياً، بل ثمة وثائق تبدو مشككة في صحة هذه القائمة، كما رأينا فيما تقدم من حديث عن وجود حسن باشا بطرابلس.

إن السجل العثماني لثريا بك Thureyyā يخبرنا بأن جعفر باشا الملقب (بالفرنج) (وهو أحد المعتنقين للإسلام الذين تربوا في مدرسة علج علي) كان حاكماً لطرابلس من سنة ١٠٠١ هـ إلى ١٠٠٥ هـ (١٥٩٢ - ١٥٩٣ إلى ١٥٩٦ - ١٥٩٧).

(٧٨) ابن غلبون ص ١٠١ (ص ٧٦).

(٧٩) سيلانيكي ص ٢٦٦.

(٨٠) فيروود ص ٨٠.

ونفتقر إلى الشواهد التاريخية واللوحات التذكارية لهذا العهد. وقد ورد ذكر علي بك في إحدى هذه اللوحات التذكارية المثبتة في مسجد درغوث باشا بتاريخ ١٠١٣ هـ (١٦٠٤ - ١٦٠٥). ولعل مرد ذلك إلى قيامه بالترميم، وربما كان يشغل في ذلك الوقت مركز قائد الجند.

وقد استخرج (فيروود) بعض أخبار هذه الفترة من تاريخ جربة، حيث أقام إبراهيم باشا مذبحة، في تلك الجزيرة سنة ١٥٩٨، وسلخ الشيخ عبد الله البرجي حياً بتهمة معارضة قوانينه الجائرة ومقاومة العنف الذي قامت به قوات الباشا المذكور. وفي عهد اسكندر باشا شيد التونسيون حصناً عند (البيان) رسم الحد الفاصل بين تونس وطرابلس. وقد قدموا - حوالي تلك الفترة - مساعدات لسكان جربة، وانتزعوها بصفة نهائية من تبعية طرابلس<sup>(٨١)</sup>.

وفي نطاق هذا الغموض الذي يلف العصر، وقلة الأخبار عنه، فإن الشيء المؤكد أنه قد استمرت، طوال ذلك الزمن كله، ثورات العرب على الأتراك المسيطرين. ففي سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ - ١٦٠١) قاد المدعو عبد الصمد ثورة على الأتراك. وبعد ثلاث سنوات من ذلك، قاد المدعو (نيال)<sup>(٨٢)</sup> ثورة أخرى في تاجوراء. ومن الثابت أنه كان والياً (مرابطاً) كالأخرين وكان للثورة طابع ديني، وقد عبر المرابط عن حقه على الأتراك في العبارة التالية (حيثما يضع التركي قدمه يسود الخراب ولا ينمو العشب)<sup>(٨٣)</sup>. وقد هاجم المتمردون المعسكر التركي الواقع عند السهل الشرقي للمدينة. وذبحوا الإنكشارية، ودخلوا المدينة ونهبوها. ولقي هذا المرابط مصير أسلافه، إذ خذله أتباعه وخانوه وسلموه، فسלخوه وأرسلوا جلده إلى القسطنطينية<sup>(٨٤)</sup>.

إن الرحالة المغربي (التمكروتي) الذي أشرنا إليه، والذي مر بطرابلس

(٨١) فيروود ص ٨٥ - ٨٦.

(٨٢) ابن غلبون ص ١٠١ - ١٠٢ (ص ٧٧).

(٨٣) هذه العبارات لم ترد لدى ابن غلبون، وقد ذكرها فيروود ص ٨٣.

(٨٤) فيروود ص ٨٤.

سنة ١٥٨٩ - ١٥٩٠، كشف لنا عن العداء الحاقـد الذي كان يضمـره الطرابلسيون للأتراك. وهو حقد تبرره تصرفات الأتراك الجائرة الذين حرموا السكان جزءاً من أراضيهم ومساكنهم، وارغموا الأهالي على تزويجهم بناتهم.

ويلاحظ الرحالة المغربي من جهة أخرى أن جميع سكان إفريقية يحملون شعور الثورة على الأتراك، وهم على استعداد لتبني أية قضية يرفعها ثائر عليهم سعياً للتحرر من تلك العبودية. ويقول إن كثيراً من التونسيين والمصريين الذين التقى بهم في القسطنطينية كانوا يحسدون المغرب على أوضاعه ويبدون الرغبة في أن يكونوا خاضعين لسلطان المغرب الشريف<sup>(٨٥)</sup>، بدلاً من الأتراك ولكن علينا أن ننبه إلى مظاهر المنافسة بين سلطان الشرق الذي كان يتصرف باعتباره خليفة لجميع المسلمين، وبين سلطان المغرب الذي لم يعترف أبداً بسيادة الأتراك العثمانيين أو خلافتهم..

## ٨ - مشروع خطة لهجوم فرق بحرية من مالطا وصقلية ونابولي على مدينة طرابلس

عقد الفرسان الأمل لاسترجاع طرابلس على استغلالهم لهذا الوضع المضطرب أو، على الأقل، العمل على إلحاق الضرر بها. وقد تدخلوا - كما رأينا - في سنتي ١٥٨٩ - ١٥٩٠ لمساعدة يحيى الثائر. وخططوا في نهاية يونيو ١٦٠٠ لإرسال فرقة بحرية إلى طرابلس، تتكون من خمس سفن من نوع (غاليرا) وثلاث سفن أخرى من نابولي، بقيادة (د. غارسيا توليدو D. Garzia Toledo) وأربع سفن وجليوطين من صقلية بقيادة (أندريا دي سالازار Andrea Salazar) وكانت قد وصلت كلها إلى مالطا، وتقضي بمفاجأة طرابلس ومباغتتها بتلغيم المدينة والقلعة. وقد أعطيت التعليمات التالية إلى القائد العام للأسطول (فرا. بيتر دي كونساليس دي مندوسا Pietro Gonçales de Mendosa) أسقف أيبيرنيا (Ibernia).

(٨٥) دي كاستريه ص ٣٣.

(فيما يخص تنفيذ هذه المهمة فإنه بعد القيام بالاستعراض وتجربة الفرقة عند طرف المرسى الشرقي، كما هو محدد، فلا نرى تذكيركم بشيء سوى أنه من المناسب إرسال أحد الأفراد للاستخبار وجمع المعلومات عن طرابلس، بالطريقة التي تبدو للسنينور غارسيا أكثر ملاءمة، متخذين الحيلة بعدم اكتشافهم والانتباه - قبل كل شيء - إلى النزول في إحدى الليالي المناسبة من حيث الطقس، حتى يتمكنوا من زرع الألغام قبل وصول الناس، وبذلك تؤدي مفعولها عند الانفجار. ونحن نقف في خبرة الكابتن (يلريقادرو Belregardo) قائد سفيتنا سان جورج الذي سيكون في وسعه النزول إلى البر، بعد الاطمئنان على سفيتته، وذلك لإنجاح العملية.

أما الربانة الآخرون فإنه بعد إنزالهم للأفراد إلى البر، أصدرنا إليهم التعليمات للاحتفاظ بالعدد المناسب من البحارة والحراسة اللازمة للسفن الكبيرة حتى لا تفكر طغمة البحارة الكافرين في التخريب. وحين تكونون في البر، فلن رغبنا إلى جميع ربانة السفن، العمل على طاعة سفينة القيادة النابوليانية معلناً ومقرراً عدم رفع العلم عنها ما دمتم تديرون الأمور فوق البر.

إذا أراد الله، فستكون هذه الحملة على طرابلس ناجحة، ورأينا الذي أقمناه على مبررات ومنطق حي، أن يتم تدمير كل شيء، وتسويته بالأرض مع توخي أن يكون تدمير القلعة بواسطة الألغام مؤدياً إلى تخريب الميناء أيضاً<sup>(٨٦)</sup>.

وقد سافر هذا الأسطول الموحد من مالطا في ٢٨ يوليو وعبر سواحل بربريا. ولكن الطرابلسيين كانوا قد أخطروا بهذه الحملة فاستعدوا للدفاع، وفوتوا فرصة المباغتة على الأساطيل الثلاثة التي قرر قاداتها العودة إلى مالطا دون القيام حتى بمجرد المحاولة للنزول بالبر<sup>(٨٧)</sup>.

. Archivum melitense, VI p. 70 - 71

(٨٦) روسي:

(٨٧) دال بوتزوج ١ ص ٤٣٢ - ٤٣٣.



## ٩ - طرابلس الغرب في النصف الثاني من القرن السادس عشر . معلومات جغرافية وبشرية واجتماعية

تتجمع لدينا، من الوصف الذي كتبه (مارمول نحو ١٥٧٠)<sup>(٨٨)</sup>، ومن تقارير فرسان مالطا (بوزيو ولانفردوتشي في ١٥٨٧)<sup>(٨٩)</sup>، معلومات نرى من المفيد إيرادها في هذا المقام لتقديم إطار مختصر للوضع الجغرافي الاجتماعي بطرابلس الغرب أثناء النصف الثاني من القرن السادس عشر.

لا يتبع مارمول ترتيباً تاريخياً منظماً في ذكره للمواقع، فإذا أعدنا تنظيم المواقع التي يذكرها، مبتدئين من الشرق إلى الغرب، فإننا نجد لديه ذكراً للبلدان التالية:

**صحراء برقة :** وهو اسم يطلقه مارمول على الرقعة التي تمتد من مصراتة شرقاً. ويقول مارمول: إن العرب يسمون هذه المنطقة صحراء برقة.

**نعيم :** (Naim) ويرى مارمول أنها تطابق نصب فيليني (Arc Philenorum) وينطلق من هنا إلى الغرب فيشير، إلى رأس سرت (capo de Sorta) ثم يذكر (سيباكا Sibaca) ويوفراتة (Eufrata) وشديق Cedec ولارد Lard ويذكر أيضاً:

**زوديقة :** (Zudica) ويقول إنه يسكنها عدد صغير من صيادي السمك. وهي تطابق (ترييري Trieri) القديمة. وربما تطابقت أيضاً مع (شديق Cedec) التي أشرنا إليها فيما تقدم وهي (Zudica - Sudica - Sudico) كما تبدو من

(٨٨) مارمول: ج ٢ ورقة ٢٨٨ - ٣٠٨.

(٨٩) أنظر الهامش رقم ٦٧ من هذا الفصل.

الخرائط الجغرافية للقرون الوسطى، فهل تطابق  
(اليهودية Giudecca)؟.

قصور حسان : (Caçar Hascen) بين سرت ومصراتة. وهي أطلال  
ذات أسوار قديمة. بناها جيش عقبة بن نافع كما يقول  
ابن رقيق<sup>(٩٠)</sup>.

تاورغاء : (Taurca) وهي تاورغاء المعروفة. ومن المناطق التابعة  
للجباية التركية. وقد ثار سكانها في سنة ١٥٦٧ عند  
نشوب الثورة في تاجوراء<sup>(٩١)</sup>. وقد نهبها محمد بك والي  
الإسكندرية ونهبها أيضاً قائد طرابلس (محمد بك)  
وألزمها بدفع ثلاثة عشر ألف دوكاتو غرامة.

مصراتة : خضعت فترة من الزمن لطرابلس وتونس.

مسلاتة : موقع خصب على بعد اثنتي عشرة عقدة (هكذا) شرقي  
طرابلس.

لبدة : (Lepide) مدينة أثرية قديمة.

تاجوراء : (Tajora) على بعد أربع عقد شرقي طرابلس وبها  
مسجد عظيم وحصن بناه الأتراك مؤخراً على هيئة قلعة  
مستديرة وكانت عاصمة للعرب حين كانت طرابلس  
تحت سيطرة المسيحيين.

العمرس : (Hamron) على مسافة عقدتين من طرابلس. وكان

---

(٩٠) مؤرخ عربي توفي بعد سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦) كتب كتاباً كبيراً في تاريخ إفريقيا والمغرب. وهو  
مفقود، وقد ذكره كثير من المؤرخين العرب السلاحين وذكره مارمول أكثر من مرة في وصفه  
لإفريقية.

(٩١) أنظر ما تقدم في هذا الفصل من حديث عن هذه الثورة.

سكان المدينة يترددون على أسواق طرابلس حين كانت بيد المسيحيين.

قصر أحمد : (Cassar Hamet) أطلال سميت أخيراً (بالصهرنج) (Cisterna) على بعد فرسخ من طرابلس.

قار : (Car) (قرقارش؟) على ساحل البحر قرب طرابلس. وبها أطلال قديمة. وكان يسيطر عليها العرب حين كانت طرابلس تحت حكم المسيحيين. وبينها وبين طرابلس القديمة محاجر، ربما شيدت بها تلك المدينة.

جنزور : (Gianzor) على بعد أربع عقد شرقي طرابلس (هكذا في الأصل). موقع خصب. كان سكانه يترددون على سوق طرابلس أوان خضوعها للسيادة المسيحية.

صرمان : (Sarman) قرب طرابلس القديمة. تسكنها هواره. بها شجر وعدد كبير من السكان.

زاوية بن جربوع : (Zauit ben Giarbu) وهي الزاوية الحالية. تتمتع بمكانة محترمة لدى السادة المسلمين، إذ يعيش بها بعض الأولياء.

زواره : (Zaora).

ومن المواقع الداخلية وسكانها، يذكر مارمول:

بني يفرن ونفوسة : وهي جبال طرابلس ويسكنها البربر مثل جربة.

غريان : جبال على بعد ست عشرة عقدة إلى الجنوب من طرابلس. تنتج الزعفران وتدفع لطرابلس أكثر من ثمانين ألف دوكاتو في العام.

بنو وليد : (Beni Guarid) جبال على بعد اثنتين وثلاثين عقدة من طرابلس، وسكانها من البربر. ويعيشون حياة مستقلة.

والأرض غنية بنخيلها. وهي تنتج كميات وافرة من الزيت. وهم من أتباع الأتراك. وغالباً في حرب ضدهم.

أما عن طرابلس فيذكر أن درغوث قد أنشأ بها قصرين قبالة البحر، ودعم السور بأبراج وحصون. وكان الحصن تحت حماية الأتراك. أما المدينة فيسكنها العرب.

أما وصف (بوزيو ولانفردوتشي) فأكثر ترتيباً، إلا أنه لا يخلو من الخطأ وعدم التدقيق. وهو يقتصر على الساحل، ويهدف إلى إعطاء إرشادات للملاحة والحملات البحرية. ونذكر منه المواقع التالية:

**نعيم** : (Naym) بخليج سدره. وهي محاطة بطابية. ويسكن البدو بضواحيها. ويقيم بها الشيخ عبد الله الذي يتبع والي طرابلس. ولكنه يشور في الغالب ويمارس سلطة وسيادة على جميع العرب القاطنين من رأس بونندريا (Capo Bonandrea) حتى طرابلس.

**سبيكة** : (Scibeica) وهي (Sibica) في خريط ذلك العهد، وتطابق حالياً مرسى الزعفران. وهي بئر ماء عذب.

**رأس مصراته** : (Capo Misurato) وبالقرب منه مجموعة من المساكن التي يقطن بها العرب (يعني: مصراته).

**زليطن** : (Ziletta)<sup>(٩١)</sup> غنية بمنتوجات المنطقة من الزعفران والزيت والتمور ودقيق فزان.

**بورتوماقرو** : (Porto Magro) هل هو مرسى (عقرة؟) (Ugra). وهو برج حول منازل يسكنها العرب. وهو خال من

---

(٩٢) بوزيو ولانفردوتشي يضعانها خطأ إلى الغرب من تاجوراء.

المدفعية. ومرسى صالح لإيواء عشرين مركباً في كل وقت. (مرسى عقرة؟) به مساكن كثيرة للعرب، وتشحن منه التمور والعبيد المجلوبون من فزان (بلد السود).

- لوكاتا : (Loccata) قرب لبدة. وهي مدينة محاذية للساحل.
- تاجوراء : (Tesura) ميناء صالح. وعلى بعد ثلاثة أميال منه توجد البلدة المعروفة بهذا الاسم. ويبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة وهي غنية وعامرة بالناس من ذوي الشأن. ومسورة بأسوار ترابية (طوابي).
- الساحل : (Seghel) وهي بلدة على بعد ستة أميال غربي تاجوراء.
- المنشية : (Miscia) طرابلس. وبها عدد كبير من الرجال الذين يتوفرون على حراسة حسنة.
- جنزور : (Zanzera) على بعد اثني عشر ميلاً غربي طرابلس.
- المالية : (La Maya).
- الزاوية : (Zevia).
- طرابلس القديمة : على بعد ثلاثين ميلاً غربي طرابلس ويسكنها عدد من العرب.
- زواغة : (Zuaga) على بعد ٢٥ ميلاً غربي طرابلس القديمة. وبها حوالي خمسمائة نسمة، وساحلها مفتوح. وبها برج في وسطها.
- زواردة : على بعد اثني عشر ميلاً إلى الغرب من زواغة. قرية كبيرة. بها ما يقرب من ألفي نسمة. وبها مسجد يشاهد على بعد ميلين من الساحل.
- مستنقع زواردة : (Stagnone di Zuara) خليج يبلغ ثلاثين ميلاً. وأعماقه ضحلة. وتتوفر به المياه العذبة تحت السطح.

ظهر الحمار : (Groppa d'Asino) على بعد اثني عشر ميلاً إلى الغرب .

ضحل بالو : (Secco di Palo) ويمتد من (ظهر الحمار) حتى زريس بتونس المعاصرة .

أما وصف طرابلس الذي قدمه الفارسان الإيطاليان المتبعان إلى هيئة فرسان مالطا فيطابق المعلومات التي تؤخذ من الأخبار السالفة<sup>(٩٣)</sup> . فالمدينة تضم ستة آلاف نسمة أغلبهم من النساء والأطفال . وثمة أعداد من اليهود والعييد . ولا يزيد عدد المسلمين المتصدين للدفاع عن ثمانمائة . وتصلها المواد التموينية من جنزور ومصراته ، والزيت من غريان ، ويتاجر العرب واليهود مع الإسكندرية ، ويتاجر رعايا البندقية مع (زانتى وشيفالونيا وكورفو) . وينقل إلينا الفارسان رأي بعض الخبراء العارفين بالموقع الذين يؤكدون إمكانية الاستيلاء على المدينة والقلعة باقتحام الخندق الذي يفصل القلعة عن المدينة بواسطة ألف وخمسمائة من الجنود .

ويلاحظ - طبقاً لتقرير بوزيو ولانفردوتشي - أن سلطة حكومة طرابلس في سنة ١٥٨٧ كانت تمتد من رأس (أندريا) في (برقة) شرقاً حتى تشمل صفاقس غرباً ، وإلى الشرق من ذلك تسيطر حكومة الإسكندرية . وإلى الغرب من ذلك حكومة تونس . إلا أن سلطة حكومة طرابلس لا تتجاوز الشريط الساحلي . وقد تحدثنا عن الشيخ عبد الله ، وهو زعيم عرب الشرق ، وهو ملتزم بالشورة في أغلب الأحيان . أما الجنوب الغربي ، نحو القيروان ، فقد تركزت فيه مقاومة البدو . ويدخل مارمول أيضاً مدينة قابس وجزيرة جربة في نطاق سلطة حكومة طرابلس .

(٩٣) انظر ما تقدم من وصف لمدينة طرابلس في الصفحات السابقة .

## ١٠ - النظام الإداري لولاية طرابلس عقب الاحتلال التركي

من المفيد في هذه المرحلة أن نحدد، بقدر الإمكان، النظام الإداري الذي أقامه الأتراك في ولاية طرابلس.

وتعني كلمة (باشاليك) في اللغة التركية، المقاطعة الخاضعة لسلطة الباشا. فحين استولى الأتراك على شمالي إفريقيا، أقاموا بها ثلاث (باشويات) أي (باشاليك) وهي الجزائر وتونس وطرابلس. وتتبع السلطان عن طريق (كابودان) باشا، أي القائد العام للأسطول التركي. وتقوم بينها وبين السلطات المركزية علاقات من التفاهم المتبادل في الشؤون الداخلية، وفي المواجهة الدفاعية ضد المسيحيين، غير أن المصادر التركية تستعمل في حديثها عن هذه الولايات الثلاث كلمة (أوجاق) بدلاً من (الباشاليك). وهو تعبير مشتق من النظام الانكشاري الذي كانت تحكم به تلك الولايات الثلاث. وتطلق كلمة (أوجاق) على هيئة من الانكشارية أو فرقة. وباشا طرابلس، إذن، هو رئيس (الأوجاق). الإنكشاري بالمقاطعة التي يحكمها. وهو يحمل بالإضافة إلى لقب الباشا لقب (ميرميران أو بليري)<sup>(٩٤)</sup>. وتوجد تحت تصرفه الهيئة الإنكشارية المشرقية. وهم مسيحيون في الأصل، انتزعوا من عائلاتهم في سن مبكرة، ودربوا عسكرياً ونشئوا على العقيدة الإسلامية. وهيئة الإنكشارية رؤساء يتدرجون في رتبهم حسب نظام خاص. (بك. داي، آغا. بلوك باشي. أوضا باشي) وهذا الأخير يرأس (أوضة)، ومعناها في التركية (غرفة). فهو تقريباً قائد فرقة تتكون من عشرين شخصاً. أما (البك) فهو اللقب الذي يمنح للضباط المكلفين بمهام أعلى. ثم صار لقباً خاصاً بقائد الحملة. (المحلة أو النوبة) المكلفة بجباية الضرائب من الأهالي. ثم أطلق على صاحب السلطة التنفيذية في قيادة الجيش. وفي العهود الأخيرة صار لقب (بك) من ألقاب التكريم

(٩٤) بخصوص هذا اللقب، انظر:

J. Demy (Chansons des Jannissaires d'Alger in mélange René Basset II Paris 1925 p. 62-63.

والتشريف التي تخص أبناء (الباشوات) حتى ولو لم تكن لهم مهام أو مناصب عسكرية. أما لقب (داي) ومعناه (العم) فقد أخذ بمرور الزمن يقتصر معناه على الضابط المكلف بدفع رواتب الجند. أما الشؤون العامة للحرس الإنكشاري فقد كانت تجري مناقشتها في المجلس المسمى (الديوان) الذي يرأسه (الآغا) وتخضع له مجموعة من صف الضباط برتبة (شاويش).

أما رؤساء البحرية فيسمون (رايس). وللكابودان رايس سلطة على جميع السفن التابعة للباشا أو الداوي أو لمن يتولى شؤون الحكومة. ونجد أيضاً بين المناصب منصب (نائب رايس). وهو القائد الثاني أو الربان المساعد للسفينة (Yelkengi) أي (المختص بشؤون الأشرعة).

أما البحارة فيتألفون في أغلبهم من المتطوعين الأتراك أو من المسلمين المشاركة والمعتنقين مؤخراً للإسلام. ونسبة العرب من أهالي البلاد قليلة. ويستخدم الأسرى المسيحيون في التجديف، تحت ضرب السياط<sup>(\*)</sup>.

وتشكل العناصر المنتمية إلى البحرية القرصانية نوعاً من الرابطة أو الهيئة أو المنظمة القرصانية تسمى (طائفة). ولها الحق في الحصول على جزء من الغنائم، بعد حسم الأنصبه المخصصة للحكومة (بليك) والقادة الكبار.

ويساعد الباشا (كاهية) وهو نائبه. ثم (خزندار) ويختص بشؤون الخزينة. وعدد من (الخوجات) وهم يقومون بوظيفة الكتبة والاستشارة ثم (قاضي الجند) وعدد من (الدفتردار) أي الموظفين الإداريين، ووكيل الجباية والخراج ويتولى شؤون المخازن والتموين.

أما الجندي العادي فتطلق عليه الكلمة التركية (يولد داش Yoldash)<sup>(٩٥)</sup>.

(\*) كما يستخدم أسرى المسلمين في التجديف تحت ضرب السياط. لقد كانت ثمة تقاليد سائدة وقواعد مطبقة لدى الطرفين.

(٩٥) أفادت في جمع هذه المعلومات من مصادر مختلفة عربية وشرقية مثل القيرواني من أبي ضيفاء وابن غلبون وعقوبات القناصل والتقارير والأخبار. ولقد حاول (جيرارد) في مخطوطته أن =



ويسمى حرس الباشا أو حرس القصر (حنبة Hanba). أما سلاح الفرسان فيدعى (سباهي Spahi).

لقد تعرضت حكومات الولايات (الباشويات) إلى تغييرات مختلفة، تبعاً لظروف القوة والضعف التي مرت بالامبراطورية العثمانية. فنجد في البداية في سواحل (بربريا) إفريقيا الشمالية باشوات مشهورين عظاماً من أمثال درغوث وعلج علي في طرابلس، وصالح رايس وحسن البندقي في الجزائر، ثم يأتي بعد ذلك دور الباشوات الذين يقلون عن أولئك سلطة وأهمية، من الذين واصلوا اسماً تمثل الباب العالي، ولكن لم يكن لهم أي وزن أو ثقل مباشر في الإدارة والحكم المحلي. أو هم لم يكونوا - على الأقل - من القوة بحيث يستطيعون فرض أنفسهم على الحرس الانكشاري. وهم أعجز عن فرض أنفسهم على الأهالي في الدواخل الذين كانوا يستردون دوماً استقلالهم ويرفضون دفع الضرائب.

وتظل مدينة طرابلس في بعض الأحيان معزولة عن بقية أجزاء البلاد. وعلى هذه الحال كانت طرابلس سنة ١٦٠٠. وحدث بعد ذلك أن فقد الباشا كل هيئته وامتيازته. وكثيراً ما كان يرجع أو يقتل من قبل الحرس.

وهكذا أخذت تضعف باستمرار العلاقات بين طرابلس والقسطنطينية. وبين القسطنطينية والجزائر وتونس. حيث سيطر القواد وأخذوا يتنازعون السلطة، ويستقلون بها كما لو كانوا في أرض منقطعة عن الحكومة المركزية. وكانوا يتصرفون تصرف الملوك المستقلين ويعقدون الاتفاقيات مع الدول الأخرى. وذلك يفسر تلك التسمية التي أطلقها الأوروبيون على هذه المقاطعات (Reggenze Reami).

= يقدم لنا وصفاً لحكومة طرابلس ونظام الحكم بها. والعرض الذي قدمناه هنا غير كامل، وكان ينبغي ذكر مناصب ووظائف أخرى، مثل رئيس الجمارك وريس دار الصناعة وقائد الفرسان الوطنيين، كما يمكن زيادة التعرف على طبيعة العلاقات مع القسطنطينية ومدى تبعية الولايات للامبرالية العثمانية. وقد كانت أوامر القسطنطينية ومراسيمها تنقل في العادة بواسطة موفدين يسمون (qapigi).

إن الدايات والبكوات والأغوات، أي الضباط الكبار، وفي بعض الأحيان بعض صفوف الضباط ورؤساء البحرية، كانوا يتمكنون من السيطرة على الحكم، والأخذ بزمام الأمور، في طرابلس وتونس والجزائر.

وهكذا تعقب فترة الباشوات الموفدين من القسطنطينية فترة الدايات والبايات. وينبغي علينا أن نفهم الأمر على الوجه التالي: بعد أن كان الحكم والولاية يعينون من القسطنطينية، أصبحوا يختارون اختياريًا حرًا من قبل الأهالي. وكثيراً ما يحصل هؤلاء الدايات والبايات على اعتراف القسطنطينية التي تخلع عليهم (القفظان) والسيف وتمنحهم لقب باشا وميرمران. وقد تدخلت الأستانة في بعض الحالات لفض النزاع المحلي، وفرض الوالي الذي تعينه. وجاءت فترة من الزمن أصبحت فيه الولايات الثلاث منفصلة بشكل كلي عن القسطنطينية. فتأسس في تونس حكم العائلة الحسينية (١٧٠٥) وفي طرابلس حكم الأسرة القرمانلية (١٧١١). وفي الجزائر (١٧١٠) تولى حكم البلاد الدايات المنتخبون من الديوان مباشرة.

ويكتفي السلطان بالنسبة للفريقين بإرسال اعترافه، وتثبيتهم في المنصب، مقابل هدايا تقدم إلى البلاط والوزراء ورسل السلطان (Gabīgi Gabīgībasi)<sup>(٩٦)</sup>. وتغيرت فيما بعد أيضاً نظم الحرس، فقد تخلص الباشوات الأقوياء من أمثال القرمانلية، بوسائل الغدر والتصفية العنيفة، من كافة العناصر الإنكشارية المثيرة للقلق. واستبدلوهم بحرس من الأرناؤوط ومن الطارئین على الإسلام. وأنشأوا (عصابات Bande) من القولوغلية والعرب<sup>(٩٧)</sup>.

إن رقعة أوجاق طرابلس غير محددة تحديداً دقيقاً، فهي تضم من الوجهة النظرية ليبيا الحالية بأسرها، ولكن سلطة طرابلس على برقة لم تكن قائمة. وظلت على هذا الحال حتى القرن السابع عشر. كما سوف نرى. وكانت

(٩٦) في المقابر (الترية) الملحقة في العادة بالمساجد بطرابلس يلاحظ المشاهد أنها تعلوها عائم ضخمة وقد تكون ملونة في بعض الحالات.

(٩٧) ولدوا من زواج الجنود الأتراك بالنساء المحليات. أنظر ترجمة روسي لتاريخ ابن غلبون ص ١١٦ رقم ٤.

حدودها حتى القرن السادس عشر تضم جزءاً من الأراضي التونسية الحالية . وهكذا نفهم أن حكومة طرابلس في سنة ١٥٨٧ كانت تمتد حتى قابس و صفاقس<sup>(٩٨)</sup> ثم تحركت هذه الحدود، في القرن السابع عشر، نحو الشرق . مع عدم الرسم الدقيق لها، فقد كانت تعرف بصفة تقليدية عند (البيان) وجزيرة جربة التي كانت في عهد مراد آغا وخلفائه تابعة لطرابلس، ثم انتقلت في نهاية القرن السادس عشر إلى نفوذ (أوجاق) تونس التي ضمت إليه بصفة نهائية - فيما يبدو- في عهد يوسف داي التونسي . (١٦١٠ - ١٦٣٧)<sup>(٩٩)</sup> .

---

(٩٨) بوزيو ولانفردوتشي ص ٦٧ ويقولان إن حدود حاكم تونس تنتهي عند صفاقس وأن صفاقس تابعة لوالي طرابلس .  
 (٩٩) روسو (الحوليات التونسية) ص ٤٨ - حسن حسني عبد الوهاب (خلاصة تاريخ تونس) تونس ١٣٤٤ ص ١٤٣ .



## الفصل الثالث الحكم العثماني - الدّيات والباشوات ١٦١٠-١٦٧٢

- \* صفر داي (١٦٠٩ - ١٦١٤)
- \* مصطفى شريف داي (١٦١٤ - ١٦٣٠)
- \* رمضان داي (١٦٣١ - ١٦٣٣)
- \* الساقزي محمد باشا (١٦٣٣ - ١٦٤٩)
- \* علاقات طرابلس بفزان وبورنو
- \* علاقات طرابلس ببرقة
- \* الساقزي عثمان باشا (١٦٤٩ - ١٦٧٢)
- \* طرابلس قرب ١٦٧٢
- \* ضواحي طرابلس قرب ١٦٧٢

## ١ - صفر داي

في مستهل القرن السابع عشر (وفي رأي ابن غلبون في سنة ١٠١٢ هـ أي ١٦٠٣ - ١٦٠٤) كان على رأس الولاية بطرابلس أحمد أو علي<sup>(١)</sup> أو جعفر باشا<sup>(٢)</sup>. وقد تمكن أحد زعماء الحرس المدعو (سليمان داي) والشهير (بصفر داي)<sup>(٣)</sup> من قتل بعض عناصر الجند، وتدعيم سيطرته وبسطها على البلاد<sup>(٤)</sup>، بعد أن كان - قبل ذلك - يدير شئون الخزنة وجباية الضرائب - وقد خرج عليه في سنة ١٠١٥ هـ (١٦٠٦ - ١٦٠٧) المدعو عويس الذي كان يسانده سكان تاجوراء، وعرب قبيلة بني رقيعة<sup>(٥)</sup>. ونهض سليمان (صفر داي) لمنازلتهم ومقاومتهم بقوات بحرية وبرية. وتمكن من دخول تاجوراء مستغلاً الشقاق الذي نشب بين أهاليها وبين بني رقيعة. وقتل الجند بسكان تاجوراء، وقتلوا منهم عدداً كبيراً، كما نهبوا البلدة ودمروها.

إن الأخبار القليلة التي تتوفر لنا عن صفر داي تظهره في صراع مستمر

(١) هكذا ورد لدى فيرود ص ٩٠ - ٤٤٩. وفي وثائق القنصلية الفرنسية بتونس التي نشرها P. Grandchamp (La France en Tunisie au début du XVII siècle II - (1601 - 1610) III (1611 - 1620) Tunis 1924 - 1925.

ورد بتاريخ ٣٠ - ٥ - ١٦١٠ ذكر (علي باشا) والي طرابلس، بمناسبة عملية افتداء. وفي ٩ - ٨ - ١٦١٢. كما وردت بهذه الوثائق معلومات هامة عن شخصية الوالي بطرابلس في تلك الفترة.

(٢) هكذا لدى النائب ص ٢٢٧.  
(٣) ابن غلبون ص (١٠٢) (٧٧) - فيرود ٨٩ - ٩٠.  
(٤) ابن غلبون ص ١٠٢ (ص ٧٧).  
(٥) ومنهم (قبيلة الرقيعات) القاطنة بضواحي طرابلس.

مع سكان الدواخل، خاصة سكان تاجوراء التي عاد إلى مهاجمتها مرة أخرى بقواته فور عودتها من حملة على فزان<sup>(٦)</sup>. ومع ذلك فإنه كان زعيماً متوافراً على طاقات واضحة. وقد ترك أثراً لفترة حكمه ظهر في الحياة المعمارية بطرابلس. إذ توجد عند مدخل جامع الناقة لوحة تذكارية بتاريخ ١٠٩ هـ (تبدأ هذه السنة يوم ٢٦ مارس ١٦١٠ بالتقويم الميلادي). وهي تخلد ذكرى ترميمه للمسجد. وتوجد أيضاً كتابة أخرى بمتحف طرابلس باللغة التركية بتاريخ ١ شوال ١٠١٢ (١٤ نوفمبر ١٦١٣) تشهد بتجديده (لباب البحر). ويعرف عنه أيضاً تنشيطه للتجارة وإرساله لبعثة إلى فزان. وقد استقبل السلطان إدريس سلطان بورنو في سنة ١٦١٤ وفد الداي بكل مظاهر التكريم والحفاوة البالغة. وهو الوفد الذي أرسل لتجديد الحلف الذي عقده والد السلطان (عبد الله) مع حسين باشا<sup>(٧)</sup>.

وتشهد رسائل الأسرى الفرنسيين بالسيطرة التي مارسها صفر داي على طرابلس وتحكمه في شئونها، فتقول: (إن سيدنا صفر داي يسطر سيطرته على البلاد بأسرها ولا يقيم أي وزن أو اعتبار للبasha). وكانت للبasha سلطة اسمية. وكان الطرابلسيون، في سنة ١٦١٢ يقومون بتجهيز أربعة مراكب كبيرة للأعمال القرصانية في الشتاء، وسبعة مراكب في الصيف.

وكان بطرابلس من الأسرى مئة وخمسون قبض عليهم في الستين الأخيرتين<sup>(٨)</sup>. ومع ذلك فقد كان طغيانه وعنفه وجوره على الناس من الأسباب التي أدت إلى إنهاء حكمه، وفقدان حياته. فحين عاد علي باشا إلى الآستانة، أرسل الباب العالي والياً جديداً على طرابلس اسمه أحمد<sup>(٩)</sup>، وقد وصل في

(٦) أنظر التفصيلات عن هذه العلاقات في الفقرة الخامسة من هذا الفصل.

(٧) جيرارد ج ١ ص ١٧٢ - برنيا ص ٨٩.

(٨) P. Masson: Histoire du commerce français dans le Levant au XVII siècle Paris 1896 p. 41.

(٩) مخطوطة جيرارد ج ١ ص ١٧٢ - برنيا ص ٩٠. وهذه النقطة من تاريخ طرابلس محاطة بالغموض. وقد ذكر جيرارد (ص ١٦٩ ج ١) وجاراه برنيا في القول بأن صفر داي قد =

١٦١٤ وتقبل الهدايا التي قدمها إليه الداى، ولكنه لم يستطع أن يفرض سلطته كحاكم ممثل للباب العالي. واستولى الضجر على الناس فاستسلموا للاضطرابات والقتال. وأمكن إخضاع سكان غريان وترهونة بواسطة مراد بك قائد الجيش التركى، غير أن الطرابلسيين تمكنوا من إبلاغ احتجاجهم إلى الوزير الأكبر والسلطان الذي كلف كابودان باشا الأسطول العثمانى (خليل باشا) بقتل صفر داى<sup>(١٠)</sup>.

وقد غادر خليل باشا الأستانة في ١٠٢٣ هـ (تبدأ السنة في ١١ فبراير ١٦١٤) وقام بعملية بحرية استعراضية ضد مالطا، وأنزل بعض القوات التي ردها المدافعون عن الجزيرة، ثم تحول نحو طرابلس، واستدعى صفر داى للحضور إلى إحدى السفن، وقيده بالأغلال، ثم، وبحضور أعيان البلاد الذين أخذوا يستعرضون مظاهر حكمه الفاسد، أمر بشنقه أمام القلعة<sup>(١١)</sup>!

وقد مثل السلطان بطرابلس، في عهد سليمان داى، شريف باشا (وبسطرمة باشا). وقد عرف هذا الأخير بهذا الاسم لكثرة ما قدم من هدايا من

---

أطاح في ١٦٠٩ بصديقه سليمان داى الذي كان (أغا) الجيش وأقنع الأستانة بالاعتراف به بما قدمه لها من هدايا. ولكن الأستانة أوفدت في سنة ١٦١٢ علي باشا الذي لم يستطع أن يمارس أية مسؤولية.

(١٠) هم سكان تاجوراء طبقاً لما يذكره ابن غلبون ص ٤٥ (ص ٧٨ - ١٠٣) من طبعة القاهرة. وهم الطرابلسيون طبقاً لما يراه جيرارد، وبرنيا ص ٩١، وفيود ص ٩٢.

(١١) يقول ابن غلبون (ص ١٠٣) (٧٨) إن سكان تاجوراء هم الذين أخطروا السلطان أحمد الأول بالظالم التي ارتكبها صفر داى، فأرسل السلطان أسطولاً في سنة ١٠٢٣ هـ (١٦١٣ - ١٦١٤) وقبض على صفر داى بخدعة وصلب بأحد سوارى سفينة القيادة. أما فيود (ص ٩١ - ٩٢ وبرنيا ص ٩٢ - ٩٣) فإنها يجمعان الرواية التي ترى أن صفر داى قد شقن أمام باب المنشية. أما المؤرخ العثمانى (نعيم) ج ٢ ص ١١٦ فيروي أن الأسطول وصل إلى طرابلس في ١٦ يوليو، وأن ثروة الداى قد صودرت وصلب هو أمام القلعة بعد اجتماع عقد بمركب القيادة. ويطلق ذلك ما يرويهِ المؤرخ حاجى خليفة في كتابه (تحفة الكبار) ص ١٠٤ (وصل إلى طرابلس ١٠ يوليو) وتبلغ الأموال التي صودرت من الداى مئة وخمسين ألف قرش. (هامر ١٥ ص ٢٦٥).



هذا النوع من الأكل إلى السلطان (وتصنع البسطرمة من لحم الغزال)<sup>(١١)</sup>.

## ٢ - مصطفى شريف داي

لا نعرف على وجه الدقة واليقين الشخص الذي تولى حكم طرابلس بعد سليمان داي (صفر)<sup>(١٢)</sup>. ففي إحدى الروايات أن خليل باشا قد ترك على حكومة طرابلس أحمد باشا. ودعمه بقوات مرسله من قارة عثمان الذي كان يحكم تونس. وقد خلفه سليمان باشا الذي أرسله الباب العالي إلى طرابلس، وقد سادت مدة حكمه موجة من الثورات قام بها أهالي غريان وترهونة. وقد تدخل سيدي الصيد في إخمادها والتغلب عليها<sup>(١٣)</sup>.

وجاء بعد سليمان باشا في سنة ١٦٢٣ حسن باشا الذي استطاع إيقاف الاضطرابات في الدواخل بمعونة زعيم (أولاد نويز) وقادر بك قائد الفرسان العرب<sup>(١٤)</sup>.

وفي رواية أخرى أن الإنكشارية قاموا بعد مقتل صفر داي بمبايعة أحد أشرف (قسنطينة) بالجزائر، وهو (مصطفى شريف)، زعيماً عليهم (ودايًا) لطرابلس. وهو من أصل جزائري، وكان قد وفد على طرابلس في عهد سليمان داي، وكان له إلمام بالطب، وقد تميزت شخصيته بالدمائة واللطف والظرف. واقتصرت مهامه على (تفريق رزق الجنود وضبط الخراج) حتى سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ - ١٦٢٦) أو سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠ - ١٦٣١)<sup>(١٥)</sup>.

(١٢) ابن غلبون ص ١٠٣ (٧٨).

(١٣) لا أعلم القيمة التي تنطوي عليها المعلومات التي زودنا بها حاجي خليفة في كتابه تحفة الكبار ص ١٠٥ التي تشير إلى أن قائد الأسطول العثماني كان بطرابلس في ١٦١٧ حين كان يشغل منصب البك بها المدعو سويدان أوغلو الذي قدم العون للأسطول الذي أصرت به العواصف في تلك الفترة.

(١٤) هو سيدي الصيد الذي نتحدث عنه فيما يلي من الهوامش.

(١٥) برنيا ٩٤ - ٩٦ وربما كان المفتش البابوي في مالطا قد عني هذه الأحداث في رسالته المؤرخة في ٢٩ مايو ١٦٢٩ الموجهة إلى الكاردينال بربريني (نقل البعض أن جماعات كبيرة من العرب قد تضررت أضراراً كبيرة بضواحي طرابلس) مكتبة الفاتيكان - Barb. Latini ١٦٧٨.

(١٦) ابن غلبون ص ١٠٤ (٧٨) - فيرود ص ٩٢.

ولا يمكن التوفيق بين هذه الروايات المتضاربة إلا بإدراكنا أنه إلى جانب الباشوات الموفدين من الباب العالي، كان شريف داي يتولى شئون المدينة. وقد انتهى هو الآخر نهاية سيئة. وقد قام الباب العالي - بعد أن أبلغه خليل باشا بسوء الأوضاع في طرابلس - بإرسال قاسم باشا والياً عليها<sup>(١٧)</sup>، وقد صدرت إليه التعليمات بمعاينة مصطفى شريف الذي اعتصم بالقلعة وتحصن بها، هو وجنوده ومدفعيته، بينما أقام قاسم باشا قرب حصن درغوث. ونشبت بين القلعة والحصن معركة بالمدفعية<sup>(١٨)</sup> ولكنهم لم ينجحوا في القبض على الداي إلا بانتهاج أسلوب الخداع والتضليل. ويروى أن أحد الجنود تنكر في زي الشيخ (سيدي الصيد) وتشبه به<sup>(١٩)</sup>. وكانت للداي عقيدة في الشيخ. فاستجاب إلى دعوة هذا الجندي المتنكر بالنزول، بعد أن قدم إليه السلم، فنزل ظناً منه أنه سيدي الصيد (فقطعه قبل أن يصل الأرض)<sup>(٢٠)</sup>.

وقد جدد مصطفى شريف معاهدة التحالف مع بورنو، وشجع القرصنة، وفي سنة ١٦٣٠ توغلت إحدى سفنه الكبيرة حتى مياه سردينيا وغرقت بها، وقد نجا البحارة، واستطاع الأسرى المسيحيون الذين كانوا فوق ظهرها أن يستردوا حريتهم بإلقاء جلادهم في البحر<sup>(٢١)</sup>. وفي سنة ١٦٣١ كان للمقرصنة

---

(١٧) يرى فيرود ص ٩٢ أن قاسم باشا كان بطرابلس وتولى الأمر فور مقتل سليمان داي وظل بالحكم إلى مبايعة مصطفى شريف. أما ابن غلبون فيقول إن الحرس نفسه قد ثار ضد الداي وحاصره بالقلعة ص (١٠٤).

(١٨) برنيا ص ١٠٣ - ١٠٤.

(١٩) انظر ما ورد بخصوص سيدي الصيد في الفقرة السابعة من الفصل السابع.

(٢٠) هكذا لدى ابن غلبون ص ١٠٤ (٧٨ - ٧٩) أما فيرود (ص ٩٢ - ٩٣) وبرنيا ص ١٠٤ فيجاريان مخطوطة جيرارد فيرويان أن الداي نفسه قد أبدى الاستعداد للاستسلام ولكنه اشترط التحدث إلى سيدي الصيد الذي كان ينتظره بالديوان أمام القلعة. وما كاد يهبط من القلعة حتى قطعه الجنود إرباً إرباً. وقد غضب الشيخ الصيد من هذا التصرف واستنزل اللعنات على طرابلس وأقسم ألا يعود إليها.

(٢١) برنيا ص ١٠٤ - ١٠٥.

الطرابلسيين خمسة عشر مركباً. وكانوا مرهوني الجانب أكثر من قراصنة الجزائر وتونس، وقد أسروا في ذلك العام مئتين وخمسين أسيراً فرنسياً<sup>(٢٢)</sup>.

ولا تتوفر لدينا أنباء كافية عن حياة الأسرى الأرقاء بطرابلس في ذلك العهد. ولا ريب في وجود بعض آثارها في محفوظات القنصليات والإرساليات والمؤسسات الخاصة بعثق الأرقاء وتحريرهم. ويبدو من سجلات القنصلية الفرنسية بتونس ذلك الخبر المؤسف الذي يتصل بالمدعو (فيتورينو داليو-Vit-torino Da Leo) الذي أسره القراصنة الجزائريون وهو على ظهر زورق متجه من بالرمو إلى نابولي، فنقل إلى تونس ثم إلى طرابلس حيث مات بها في سنة ١٦٢٦، بعد ثماني عشرة سنة من الأسر<sup>(٢٣)</sup>.

### ٣ - رمضان داي

رغم وجود قاسم باشا فقد انتقلت ممارسة السلطة، بعد مقتل مصطفى شريف، إلى المدعو رمضان داي أحد أفراد الحرس، وفي عهده اكتسب الساقلي محمد نفوذاً قوياً. وهو أحد اليونانيين الذين اعتنقوا الإسلام. واسمه الأصلي (جيوفاني سوفيتي Giovanni Soffieti) من جزيرة (كيوس Chio). ويعرف في اللغة التركية باسم الساقلي محمد<sup>(٢٤)</sup>. وتروي أخبار طرابلس أنه جاء إلى طرابلس بحاراً على ظهر سفينة مسيحية، ووجد نفسه في أحد الأيام خارج باب هواره<sup>(٢٥)</sup> حيث يجلس العرافون وقارئو الكف، فتنبأ له أحدهم بأنه سيصبح حاكماً على طرابلس. ثم سافر إلى الجزائر واعتنق الإسلام، وجهاز سفينة وصار قرصاناً. ثم عاد إلى طرابلس بسفينة، وقدم نفسه إلى رمضان داي، مبدياً

P. Masson Histoire du commerce français au XVII siècle p. 42 - 43. (٢٢)

Grandshamp, op. cit. IV p. 135. (٢٣)

مخطوطة جيرارد التي يعتمد عليها ص ٩٣ و برنبا ص ١٠٥. ويرى ب. دان P. Dan أنه (٢٤)

ينتمي إلى أسرة (جوستياني).

(٢٥) ابن غلبون ص ١٠٥ (٨٠).

الرغبة في خدمته، وأصبح فعلاً أحد (رياس) طرابلس، وتزوج من إحدى بنات رمضان داي<sup>(٣٧)</sup>.

كانت الحكومة ضعيفة، وكانت ثمة امرأة تدعى مريم بنت فوز الشهابلية<sup>(٣٨)</sup> زوجة أحد الحراس، وتتمتع بنفوذ واسع في المدينة. وكانت لها مكانة لدى العرب لأنها كانت تتوسط بينهم وبين الحرس. وكان رؤساء الحرس يقصدونها مباشرة فيما يعرض لهم من الأمور ويراجعونها في منزلها.

وحين رأى الساقزي محمد هذا الوضع أقنع رمضان داي بأن يسلم إليه السلطة، وقبل رمضان، وأشار عليه بحيلة تجنبه الصدام مع الجند، وذلك بأن أمره بأن يخرج للغزو، وأن يعلم رفاقه في البحر بذلك، ثم يعود ليلاً، ويستأذن في دخول القلعة، ففعل ذلك. ودخل القلعة فاستولى عليها وبطش بمن فيها. وفي الصباح بايعه الناس<sup>(٣٩)</sup>.

#### ٤ - الساقزي محمد باشا (١٦٣٣ - ١٦٤٩)

كان أول ما اتجه إليه تفكير الساقزي محمد هو الاستحواذ على ثروة مريم المذكورة، فعمد أولاً إلى تسميم زوجها، وأدخلها إلى القلعة كزوجة له أو لأحد أعوانه، ثم قتلها واستولى على ثروتها. وقد أحسن اختيار قائد ممتاز هو (عثمان ساقزي). وهو أيضاً من نفس الموطن (جزيرة كيوس). ويبدو أنه كان عبداً أعتقه شريف داي. وقد عينه محمد الساقزي (قائداً) لمنطقة ساحل الأحامد ومسلاتة وكلفه بجمع الضرائب والأعشار. وقد اكتسب عثمان الساقزي، من حياته بين العرب، خبرة بسلوكهم وعاداتهم. وحين رغب محمد الساقزي في إخضاع البدو، بمساعدة أحمد بن رقيعة، سلم قيادة الجند إلى عثمان الذي استطاع بالمكنة والخديعة والحملات المستمرة أن يضايق العرب، وكان جابر بن موسى، من تاورغاء، قد أعلن الثورة، والتف حوله الناس لما عرف به من الكرم والسخاء.

(٢٦) ابن غلبون ص ١٠٦ (٨٠).

(٢٧) دي أغسطيني (سكان طرابلس الغرب) ص ٣٢٠.

(٢٨) ابن غلبون ص ١٠٦ - ١٠٧ (٨١).

فذهب عثمان لمحاربته، والتقى الطرفان بتاورغاء، فانهزم جيش عثمان، فنزل عن فرسه واستند إلى جذع نخلة، وقال لرجاله أنه سيقتل نفسه ما لم يعودوا إلى الهجوم. فأنارت هذه الحركة حمية الجيش، فعاد إلى الهجوم. وقتل جابر ونهبت دياره ونجوعه. ونقل أبناؤه إلى مكان قرب مصراتة يعرف باسم أولاد الشوشانة حيث قتلوا هناك.

ولم يلبث الساقزي محمد الذي عرف بمقدرته ونشاطه أن حصل من السلطان مراد الرابع على أمر تعيينه والياً على طرابلس، ومنحه لقب الباشوية<sup>(٣٩)</sup>. ولكي نوضح الطريقة التي كانت تتم بها تعيينات الولاة في مقاطعات الشمال الإفريقي، ونبين مدى الثروات التي يجمعونها، نرى من المفيد أن نذكر واقعة أوردتها المؤرخون الأتراك<sup>(٣٠)</sup>.

في نهاية عام ١٠٥٣ هـ (١٦٤٣) جاء إلى طرابلس كابودان الأسطول الإمبراطوري العثماني، بيالي باشا. ودعا محمد داي إلى مباحثات يجريها معه فوق سفينة القيادة. وخشي محمد داي أن يلقي نفس نهاية صفر داي<sup>(٣١)</sup>، فبعث إلى الباشا صحنين من الذهب وصحنين من الفضة، هدية للسلطان. وبعث بهدايا أخرى إلى الوزير الأكبر، وقدم هدايا لبيالي باشا الذي عاد إلى القسطنطينية واتهم بعدم تقديم كل الهدايا الثمينة إلى السلطان. فحكم عليه بالإعدام.

وقد ارتبط ذكر محمد الساقزي بالضرائب الفادحة التي فرضها على النخيل والزيتون. كما قرر رسوماً على حق المرور من باب المنشية وباب البحر كانت تدر عليه ألفين وخمسة ريال في السنة. وقد زاد خليفته من هذه الضرائب<sup>(٣٢)</sup>.

(٢٩) النائب ص ٢٣٤.

(٣٠) نعيمة ج ٤ ص ٦٦ - ٦٧. حاجي خليفة (تحفة الكبار) ص ١١٤

G. Sagredo, Memorie storiche di Monarchi ottomani - Venezia 1679 p. 774.

Hammer, II p. 239

(٣١) أنظر ما تقدم بخصوص صفر داي ونهايته.

(٣٢) ابن غلبون ص ١٠٧ (٨٢).

ومات محمد باشا في نوفمبر ١٩٤٩ متسماً. ويقال إن ذلك كان بسبب تفاحة قدمها إليه طبيب مسيحي من رقيعة. ودفن بالتربة الملحقة بمسجد درغوث التي بناها رمضان داي ثم وسعها محمد الساقزلي وأوقف عليها أوقافاً كثيرة<sup>(٣٣)</sup>. كما قام بإصلاح وترميم مسجد القلعة<sup>(٣٤)</sup>. ونشطت القرصنة في عهده نشاطاً كبيراً. ولكنها كانت تلقى مقاومة عنيفة أيضاً. خاصة من فرقة مالطا. ففي ربيع ١٦٣٤ جهز سبعة مراكب وأخرج ثلاثة منها في يونيو بقيادة أشهر (الرياس) فاستولوا على مركبين فرنسيين محملين بالبضائع، قادمين من إزمير. ولكن سفن الباشا هوجمت قرب طرابلس من قبل ستة مراكب مالطية بقيادة (الفارس فرا كارلو فالدينا Fra Carlo Valdina) وقد تمكن الفرسان من انتزاع السفينتين الفرنسييتين والاستيلاء على سفينتين طرابلسيتين. وقتلوا عدداً من أعدائهم بينهم الرياس (شريف) وأسروا ثلاثمائة وثلاثين شخصاً، بينهم الرياس (مراد) الذي كان من المسيحيين المعتنقين للإسلام<sup>(٣٥)</sup>.

ولكن هذه الخسارة الفادحة لم تكن لتثبط من عزيمة محمد باشا الذي أعاد تنظيم فرقته بحيث صارت تتوفر على عدد يتراوح بين ٧ إلى ٩ مراكب. ومركب من نوع (غاليرا). وفي يوم ١٣ مارس ١٦٣٨ هوجمت الفرقة الطرابلسية من جديد في مياه كالايريا من قبل السفن المالطية العاملة تحت قيادة (فرا جاكومو دي ليج شارول Giacomo de Liège Charrault) فاستولت على ثلاث سفن برئاسة الرياس إبراهيم المدعو (Beccaza) وقتل من الطرابلسيين ٢٠٩ وأسر

(٣٣) ابن غلبون ص ١٠٩ (٨٤) تحمل الكتابة المسجلة فوق قبره تاريخ ١٠٥٩ هـ (تبدأ بالتاريخ الميلادي ١٥ - ١ - ١٦٤٩). وقد دفن بنفس التربة ابنه علي بك المتوفى في رمضان من نفس السنة. وثمة ترجمة غير دقيقة لحياة محمد باشا أوردها (ثريا بك) في السجل العثماني ج ٤ ص ١٥٥.

(٣٤) اللوحة التذكارية التي تذكر الترميم توجد بالمتحف وتحمل تاريخ ١٠٤٤ هـ (١٦٣٤ - ١٦٣٥).

(٣٥) مخطوط جيرارد وقد جاره برنبا ص ١١٩. أنظر روسي:

Il dominio dei cavalieri, in Archivum melitense VI p. 72 - 73 - ID, storia della Marina dell' Ordine p. 68.

٢١٤ . وقدرت خسائر طرابلس في المعركة بحوالي مئة ألف سكودو. وقد تم تحرير كثير من الأسرى المالطيين بطرابلس مقابل الأسرى الطرابلسيين .

وفي العام التالي، وفي ليلة يونيو، تمكنت الفرقة المالطية من التسلل إلى ميناء طرابلس، وأحرقت مركبين. وفي سبتمبر ١٦٤٠ تمكنت فرقة مالطا بقيادة (لاندغرافيو داسيا Landgravio d. Assia) من مهاجمة مركب طرابلس عند رأس الأعمدة فأسرت ٣٦ تركياً، وقتلت واحداً وأطلقت سراح ١٤ أسيراً مسيحياً. عشرة منهم من مملكة نابولي وأربعة فرنسيون كانوا في خدمة باشا طرابلس. أما الرايس فقد كان من جنوا، ومن الداخلين في الإسلام، وكان يعمل قبل ذلك لحساب الإسبانيين ثم فر من باليرمو بعدد من الرقيق إلى ساحل الشمال الإفريقي .

وفي ١٦٤٢ تمكن الفارس (فرا برنارد فكيي Bernordo Vecchietti) بواسطة المراكب المالطية من إحراق بعض المراكب الطرابلسية في ميناء طرابلس، واستولى في ٦ سبتمبر من ذلك العام على فرقاطة طرابلسية كان بها ١٣٧ أسيراً<sup>(٣٦)</sup>.

ومع ذلك كله فقد كان من الثابت وجود نوع من العلاقات الدبلوماسية بين مالطا وطرابلس، في بعض الأحيان. وثمة وثيقة مرسلة من المرشد الأكبر (لأسكاريس Lascaris) إلى باشا طرابلس بتاريخ ٢٩ فبراير ١٦٤٤ ترجوه فيها إطلاق سراح خمسة بحارة مالطيين أسروا بطرابلس قبل عام من ذلك. بينما كانوا على ظهر سفينة يمتلكها (جيوسبي بويسون Giuseppe Buison)<sup>(٣٧)</sup>.

## ٥ - علاقات طرابلس بفزان وبورنو

تعود فزان التي لم نتحدث عنها، منذ حديثنا عن القرن الثالث عشر، إلى فلك السياسة الطرابلسية في القرن السادس عشر. فبعد مقتل ابن المغامر

(٣٦) المصدر السابق ج ٦ ص ٧٨ - ٨١.

(٣٧) محفوظات هيئة فرسان مالطا - مالطا - مجلد ١٤٢٢ رسالة ٢٩ - ٢ - ٦٤٤.

(قرقوش)<sup>(٣٨)</sup> تولى سلاطين كانم حكم البلاد بواسطة ممثل عنهم يعرف باسم (ماي). ومقره تراغن بالحفرة الشرقية، بين مرزق وزويلة. وترى الروايات المحلية المتواترة أنه بضعف سيطرة كانم على فزان، قامت على حكمها أسرة محلية (خرمان) التي أزاحها عن الحكم (ربما في بداية القرن السادس عشر) أولاد محمد، من سلالة مغربي شريف اسمه محمد<sup>(٣٩)</sup>.

وتنقص الروايات أن (خوذ) زوج المتصر بن محمد صاحب فزان قد داخلها ما يداخل النساء من الغيرة من ضررتها، وما تحظى به من تقديم لدى زوجها فراسلت الأتراك، ودعتهم إلى احتلال فزان في ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ - ١٥٧٨)، ثم ندمت على فعلتها، ووقفت في وجه الزحف. ولكنها أسرت وقتلت بقصرها بسبها. وكان زوجها قد مات قبل مقدم الأتراك. كما فر ابنه الناصر إلى السودان، وترك الأتراك عاملاً منهم اسمه (مامي التركي).

وفي سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ - ١٥٨٣) ثار أهل البلد على مامي وقتلوه ومن معه من الجند، عن آخرهم، ولم يفلت منهم سوى قسم قليل من أولاد علوان (العلاونة) الذين كانوا عوناً للجند. وعاد الناصر إلى فزان، واستعاد سلطته، واستقر بها حتى سنة ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ - ١٦٠٠)، وهي السنة التي مات بها<sup>(٤٠)</sup>. وخلفه ابنه منصور الذي أراد سليمان داي إرغامه على دفع الإتاوة،

(٣٨) أنظر ما تقدم من ذكر قرقوش في الفصل الثامن من القسم الأول من هذا الكتاب.

(٣٩) بخصوص العلاقات بين طرابلس وفزان انظر المراجع التالية:

G. Nachtigal, Sahara und Sūdân I p. 166.

G. Pesenti, Aclume notizie sugli esploratori del Fezzan e sulla sua storia fino ai giorni nostri Boll. della R. Soc. geogr. it. serie V vol VI - 1917 p. 720 - 722.

Rossi, Le relazioni del Fezzan con Tripoli e la costa del Mediterraneo in Boll. Soc. Georg. Ital ser. 8 Vol I 1948 p. 298

- أشار المؤلف إلى المعلومات الواردة في كتاب ابن غلبون عن فزان، وقد أفاد منها (فرومانت) نائب قنصل فرنسا بطرابلس. وقد نقل عنه فيها بعد فيرود والألماني كراوس.

(٤٠) ابن غلبون ص ٩٩ - ١٠٠ (٧٤ - ٧٥).



فامتنع عليه<sup>(٤١)</sup>، فأرسل الداي جيشاً تصدى له المنصور، هزمه في الجولة الأولى، ثم عادوا إلى الهجوم فهزموه وجرح جراحاً قاتلة. بينما فر أخوه الطاهر إلى السودان ١٠٢٠ هـ (١٦١١ - ١٦١٢) واستولى الأتراك من جديد على فزان. وجعلوا عليها عاملاً تركياً اسمه (حسين النعال). وانتهى هذا أيضاً نهاية سيئة إذ قام أهل البلدة عليه في ١٠٢٢ هـ فقتلوه، وأبادوا الحامية ورجع الطاهر من السودان فبايعه أهل فزان، واعترفوا بسيادته عليهم، وسار فيهم في البداية سيرة حسنة، وأدار الأمر بحكمة وتدبر حتى سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٢ - ١٦٢٣) ثم طغى وتجبر، وزاد في الخراج على الخرماني<sup>(٤٢)</sup>، بوادي الأجال، فلدجأوا إلى طرابلس. ولم يستسلموا لمحاولات الطاهر الذي كان يسعى للتصالح معهم وإرضائهم عن طريق (مرابطي) سبها، وعامله على سوكنة أبي نوح المصراطي. واتجهوا إلى رمضان داي وصهره محمد الساقزلي الذي كان يسيطر على شؤون الحكم، فوجه معهم جيشاً إلى فزان<sup>(٤٣)</sup>. ولما علم الطاهر بذلك فر إلى (برنو)، وكان ملكها إذ ذاك عمر المقدسي الذي كان سعيداً بوقوع الطاهريين يديه ليسوي معه حساباً قديماً، ويتقم منه لقتل إبن أخيه محمد المنصور. واحتل

(٤١) أنظر ما تقدم عن سليمان داي.

(٤٢) لم يرد هذا الاسم القبلي لدى أغسطيني في كتابه طرابلس الغرب.

(٤٣) ابن غلبون ص ١١٣ (ص ٨٨).

(+) في الطبعة التي حققها الشيخ الطاهر الزاوي (فر إلى أبي نوح) وفي تعليقه بهامش ص ١٥٧ أشار إلى أنها وردت بمخطوطة مكتبة الأوقاف (إلى أبي نوح). . . وقد صحح ذلك روسي في ترجمته لتاريخ ابن غلبون كما ذكرها أيضاً في هذا الكتاب. . . وهو الصواب (المغرب).

(+) عند ابن غلبون ص ١٥٨ (وكان في نفسه من الطاهر شيء بسبب سمله عيني ابن أخيه محمد المنصور).

(+) يقصد المؤلف جهيم أخا الطاهر، وإلا لوجب أن يقول محمد بن جهيم ابن أخيه الطاهر كما وردت لدى ابن غلبون ص ١٥٨. وقد ورد بهذه الصفحة خطأ قوله (ومات ولده جهيم بها) والصواب (ومات والده جهيم بها) ولعلها من الأخطاء المطبعية. . (المغرب).

(+) النص الأخير ورد عند ابن غلبون كما يلي (وفر أمامهم متقلباً في أرض فزان إذ أدخل أرضاً دخلوا فيقاتلهم حتى سقم الجميع) ص ١٥٩ وهو يختلف اختلافاً بيناً عن النص الذي أورده المؤلف. فالإشارة إلى النهب والقتل زيادة لم ترد في الأصل الذي اعتمد عليه. . (المغرب).

الأترارك البلد وعينوا عاملاً عليها أحمد بن هويدي الخرمانى الذي بقي بها مع الحامية حتى سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٦ - ١٦٢٧) فتوجه إليهم الأمير محمد بن جهيم (أخو الطاهر) الذي فر إلى (كاشنة) بالسودان . وقد دعاه الفزانىون خفية بعد وفاة والده إلى العودة إلى فزان . وقد اصطدم الطرفان بين زويلة وتراغن ، وانتصر محمد بن جهيم ، وانحصر الجيش التركي بمرزق ، وحين بلغ بهم الإرهاق مبلغه وفي ما معهم من الزاد ، طلبوا العون من محمد باشا ، فوجه إليهم الدعم المطلوب . وحين علم محمد بن جهيم بذلك تخلى عن الحصار ، وأخذ يجوب أرض فزان ينهب ويقتل .

وقد اجتمع فقهاء فزان (المرابطون) واتفقوا على إيقاف القتال ومراجعة محمد باشا ، وأرسلوا إليه وفدًا يتكون من الفقيه علي الحضيري وأخيه . وهما من سلالة سيدي حامد الحضيري<sup>(٤٤)</sup> . وفيما يلي الشروط التي تقرر الصلح على أساسها<sup>(٤٥)</sup> :

- ١ - أن يخرج الترك من أرض فزان .
- ٢ - أن يحكم فزان أحد شيوخها .
- ٣ - أن يكون محمد بن جهيم شيخ فزان .
- ٤ - أن يؤدي إتاوة كل سنة مقدارها أربعة آلاف مثقال ذهباً ، ألفان منها تبرا وألفان يعطون قيمتها عبيداً وإماء . وجعلوا ثمن العبد الذكر خمسة وعشرين مثقالاً ، وثمان الأمة ثلاثين مثقالاً ، وثمان الخصي ثمانين . ويتم نقل العبيد على نفقة (شيخ فزان) الذي يتولى تعويض من يموت أثناء الرحلة حتى سوكنة . أما المسافة بين سوكنة وطرابلس فتتم على نفقة حكومة طرابلس .

(٤٤) أغسطس ص ٣٧٢

وقد وردت في الصفحة ١٦٠ من الطبعة التي حققها الشيخ طاهر الزاوي (كلالة سيدي حامد الحضيري) وهو خطأ مطبعي واضح صوابه (سلالة سيدي حامد الحضيري) (المعرب) .

(٤٥) كراوس وفرومنت في مصادرها المذكورة . ابن غلبون ص ١١١ - ١١٦ (٨٧ - ٩٠) .

٥ - على شيخ فزان أن يبعث كل عام هدايا إلى سلطات طرابلس المختلفة .  
وقد ذكر منها (البك) وكاهية السقيفة (مستشار الباشا) وكاهية الحرب  
(النائب العسكري للبك) ثم آغا الأتراك (وهو قائد الإنكشارية) وآغا  
العرب وأمين السر والشاوش<sup>(٦٧)</sup>.

وتم الصلح حين التزم محمد بن جهيم بهذه الشروط . وسحبت القوات  
التركية ، وظلت العلاقات بين طرابلس وفزان سليمة لفترة من الوقت .

وكانت لطرابلس أيضاً علاقات نشطة مع بورنو، وهي العلاقات التي  
بدأت منذ عهد درغووث باشا، ونحن نجد أثراً لها في أخبار طرابلس عند بداية  
القرن السابع عشر، أثناء عهد سليمان داي<sup>(٦٨)</sup> . وتم خلال ١٦٣٦ - ١٦٣٨  
تبادل أيا والوفود بين الساقزلي باشا (وماهي هامور Mahi Hamour) صاحب  
بورنو.

وفي ١٦٥٢ جدد عثمان باشا علاقات الصداقة والتجارة مع الحاج علي  
صاحب بورنو الذي بعث في ذلك الوقت سفيراً، اسمه إسماعيل، يحمل رسالة  
باللغة العربية وهدايا تتألف من مئتي عبد أسود من الجنسين وسرج مطرز. وعاد  
السفير يحمل إلى سيده هدايا عثمان باشا، وهي بعض الرقيق المسيحي وخمسون  
فرساً<sup>(٦٩)</sup>.

---

(٤٦) ابن غلبون ص ١٦٠ (واشترطوا لأغة العسكر ثلاثة عشر مثقالاً وثلاثاً ذهباً ولكتبة دار الملك  
سبعة مثاقيل إلا ثلاثاً، ولسعي النويه؟ (هكذا في طبعة الشيخ الطاهر الزاوي)، أما روسي  
فيثبتها (سفير النوبة) أي قائد القافلة وأمرها فقد خصصوا له ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثلاثاً  
ونخصياً. (المعرب).

(٤٧) أنظر ما تقدم بخصوص صفر داي .

(٤٨) استخلص هذه المعلومات من مخطوطة جيرارد ومن مقال :

De La Roncière, Une Histoire du Bornou aux XVII siècle par un chirurgien français à  
Tripoli in Revue de l'histoire des Col. Français 1919 p. 78 - 88.

## ٦ - علاقات طرابلس ببرقة

كانت برقة معروفة قديماً بازدهارها. ولكنها كانت قد انهارت قبل الفتح العربي، في القرن السابع. ولكنها ظلت على أهميتها حتى القرن الحادي عشر. وكانت لها علاقات مع مصر والجمهوريات البحرية الإيطالية حفظت للتجارة نشاطها.

وكان الفتح العربي في منتصف القرن الحادي عشر قد سجل نهاية ازدهار البلاد. ويقول ابن خلدون<sup>(٤٩)</sup> عن برقة التي كانت تشمل منطقة سرت (أما برقة فدرست وخربت أمصارها، وانقرض أمرها وعادت مجالات للعرب، بعد أن كانت داراً للوثة وهوارة).

أما مارمول الذي قدم لنا وصفاً مطبوعاً لإفريقية باللغة الإسبانية في سنة ١٥٧٣ فيقول: إن عرب برقة الواقعة بين بربريا (غربي مصراتة حتى المغرب) وبين مصر، كانوا على درجة بالغة من الفقر تضطربهم إلى رهن أطفالهم للتجار المسيحيين من صقلية، حتى يحصلوا على القمح، وأنهم قليلاً ما كانوا يقدرّون على الوفاء بالرهن، فيظل أبناؤهم عبيداً بصقلية ويعتقون في الغالب الدين المسيحي. ويؤكد مارمول أنه شاهد عدداً كبيراً منهم في تلك الجزيرة. ويتحدث عن عرب برقة فيصفهم بأنهم قطاع طرق يعترضون القوافل المتجهة من المغرب أو سواحل الشمال الإفريقي إلى مصر<sup>(٥٠)</sup>.

وقد اعتاد الحجاج الذين يمرون بطرابلس في القرن السابع عشر على التزود بلوازمهم من المؤن، بما يكفي لثلاثة أشهر إذا كان الفصل شتاء، وما يكفي لشهرين إذا كان الفصل صيفاً قبل أن يضربوا في تلك المفازة التي ليس لها نظير، ويعنون بها صحراء برقة. هكذا كانوا يسمون البلاد التي كانت موطناً لكالهاياك ومقرراً لحضارة زاهرة.

(٤٩) ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٣.

(٥٠) مارمول (وصف إفريقية) ج ١ ص ٤٢.

ويصف الرحالون - مثل العياشي الذي مر بها في ١٦٦٢ م الأطلال القديمة، مستعرضاً ذلك في سلسلة متصلة من الأماكن الأثرية. كما يصف أقواماً من البدو القطاع، يجوبون الجبل الأخضر، متحملين طغيان الزعماء البدو، دون أثر لأية حكومة.

ويعود الفضل إلى محمد باشا الساقزي وخليفته عثمان باشا الساقزي في احتلالهما - ولو بشكل محدود - لبعض المناطق الرئيسية من الساحل وإن كانا مدفوعين في ذلك بدافع الطمع في الجباية والخراج.

وتم احتلال بنغازي قرب ١٦٣٥ وأنشئ بها حصن. وبعد ذلك بقليل، قرب سنة ١٦٣٩<sup>(٥١)</sup>، قام عثمان الذي كان يعمل قائداً في خدمة محمد الساقزي على رأس حملة برية، من طرابلس، تدعمها فرقة من السفن، متجهاً إلى واحة أوجلة الواقعة على طريق القوافل التي تصل فزان بمصر. وقد واجهت الحملة الطرابلسية مقاومة من المدعو أحمد بن عبد الهادي الذي تصدى لها بجيشه وقومه. ولعب عثمان معه لعبة المكر والدهاء، وتظاهر بالنوايا السلمية وأنه قدم إلى تلك الواحة دون أهداف حربية، فدخل بهذه الطريقة إلى البلدة، وقبض على أحمد وقبده بالأغلال، وجرد الأغنياء من ثرواتهم وسجن حتى النساء - فيما يقال - واستل الأقران من آذان الأطفال. وبعد أن جمع هذه الغنائم الطائلة والعبيد الذين كان من بينهم أحمد بن عبد الهادي عاد عثمان إلى طرابلس منتصراً<sup>(٥٢)</sup>.

وتلا احتلال بنغازي احتلال درنة قرب ١٦٦٢، وكان سكان سرت والجبل الأخضر يخضعون بصورة ظاهرية لعثمان، وكانت سلطة العثمانيين في الواقع محدودة بعدد من المراكز الساحلية، وكان في بنغازي نائب للباشا، وكان

(٥١) فيرود (الحوليات الطرابلسية) ص ١٠٠ - ١٠٢.

(٥٢) ابن غلبون ص ١١٨ (٩٢) - كانت الفضة التي غنمها من الوفرة بحيث استخدمها محمد باشا الساقزي في سك النقود، وكانت أول عملة تسك بطرابلس، وتعرف باسم قرميل. وكانت تزن نصف درهم ولها قيمة أربعة طرانيش، ولا يجري تداولها إلا في إقليم طرابلس.

الناس يدفعون الضرائب. وكان التجار من طرابلس ومصراتة يقومون بتصدير الصوف والإبل وغيرها من الحيوانات والعبيد<sup>(٥٣)</sup>. وكان لدنة أيضاً حاكم موفد من طرابلس، وكانت لها صلة تجارية كبيرة مع الإسكندرية وكريت (كانديا)<sup>(٥٤)</sup>.

## ٧ - الساقزلي عثمان باشا (١٦٤٩ - ١٦٧٢)

بعد وفاة محمد باشا قام الكيخيا محمود، بتكليف من الخازن رمضان، بإبلاغ عثمان بك بوفاة الباشا<sup>(٥٥)</sup>، فحضر إلى القلعة ودعي لاستلام الحكم. فامتنع في البداية ثم قبل (فأخذه محمود كيخية وأجلسه على الكرسي وبايعه. وتابعه على ذلك رمضان الخازن ومصطفى شلبي<sup>(٥٦)</sup> ومحمد بك حتى بايع أهل القلعة كلهم) وأمر المنادي بالنداء بالرحمة للراحل والنصر للقادم الجديد، وبايع الناس بالإجماع، ومنح كل جندي عشرة ريالات<sup>(٥٧)</sup>.

وقد زاد عثمان باشا من نشاط القرصنة، مثيراً بذلك تدخل القوى المسيحية، ففي سنة ١٦٥٨ أرسلت إنجلترا إلى طرابلس الأميرال (ستوكس) (Stoakes) الذي ألزم عثمان باشا والديوان على القبول بمعاهدة صلح. وفي ١٥ يوليو ظهر الفرنسي (الكفالير بول Paul) بأسطوله أمام طرابلس طالباً لإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، وأفلح في الحصول على قائمة بأربعمئة أسير فرنسي، والتأكيد بإطلاق سراحهم وتسليمهم مقابل فدية قدرها مئة وخمسون سكودو عن الشخص الواحد. وقام عثمان باشا بتحسين وسائل الدفاع البحري، وأقام

(٥٣) استقر كثير من سكان مصراتة منذ ذلك الوقت في بنغازي مكنون (مستوطنة).

(٥٤) العياشي (الرحلة) فاس ١٣١٦ ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٥٥) لعله رمضان خوجة الذي أنشأ في سنة ١٠٦٤ (١٦٥٣ - ١٦٥٤) المسجد والكتاب الواقعين بمدينة طرابلس والمعروفين باسم جامع النخلي. وربما جاء الاسم من أحد أئمة المسجد الذين كانوا يتولونه.

(٥٦) شالابي هي الصيغة العربية للكلمة التركية (شلبي).

(٥٧) ابن غلبون ص ١٠٩ (٨٤).

مدفعية جديدة بين حصني درغوٲ والمندريك، احتياطاً لأية هجمات محتملة<sup>(٥٨)</sup>.

وفي أغسطس ١٦٦٢ جاء إلى طرابلس الأميرال الهولندي (رويتـر Ruyter) ليبرم اتفاقيات مماثلة للاتفاقيات التي عقدت مع الجزائر وتونس، فاستقبل استقبالاً حسناً، ولكنه لم يتمكن من إبرام الاتفاقية. في حين حصل الإنجليزي السير جون لاوسون John Lawson في ١٨ أكتوبر ١٦٦٢ على موافقة عثمان باشا بتجديد الاتفاقية التي عقدت في عهد كرومويل سنة ١٦٥٨<sup>(٥٩)</sup>.

ورغبة في ضمان حرية التجارة لمواطنيه، وتوفير الحماية لهم ضد الهجمات القرصانية، قام سفير إنجلترا في ١٦٦٣، بناء على تعليمات من حكومته، باستصدار تصريح من السلطان بتركيا، يعترف فيه الباب العالي لإنجلترا بحق معاقبة رعاياه من طرابلس وتونس والجزائر، في حالة الإخلال باتفاقيات الصلح التي عقدت معها (عقدت مع الجزائر سنة ١٦٦١) ويقضي التصريح بأن لا يكون للعمل الحربي الذي تقوم به إنجلترا ضد القراصنة وضد مدنهم، أي أثر في الإضرار بالسلم والصدقة القائمين بين صاحب الجلالة البريطانية والإمبراطور العثماني. وقام سكرتير السفير الإنجليزي بالقسطنطينية (Rycaut) بنقل نسخ من هذا التصريح إلى حكام الولايات الثلاث طرابلس وتونس والجزائر. وقد وصل إلى طرابلس في ٢٩ أغسطس على ظهر المركب (بونافنتور Bonaventure) بقيادة الكابتن وليام بركلي (William Berkely). واستقبلهما الباشا بالترحيب، وتعهد بعدم خرق اتفاقات السلم وياحترام قداستها<sup>(٦٠)</sup>.

(٥٨) مخطوطة جبرارد ج ٢ ص ٨١ - فيرود ص ١١٧ - ١١٨ - برنبا ص ١٥٦ وكذلك

P. Piccolomini, C. Corrispond. tra la Corte di Roma e l'inquisito re di Malta durante la guerra di Candia nell Arch. Stor. Ital 1910 - p. 23.

Edward Hertslet, A complete Collection of the traites and Conventions, vol I London (٥٩) 1827 p. 125.

Feraud p. 119.

Knolles, (The Turkish History) continuary, de Rycaut, VI ediz. Londra 1687 II p. 137. (٦٠)

إن الحرية التي تركت لحكام طرابلس وتونس والجزائر، في إبرام اتفاقيات ومعاهدات فورية مع الدول، وقبول الباب العالي بحق الدول الكبرى، في إلزام تلك الحكومات باحترام شروطها بالقوة، من الأدلة الواضحة على وهن العلاقات (بربريا) أي الشمال الإفريقي، وبين القسطنطينية، وضعف سيادة السلطان عليها.

كانت الحرب في ذلك الوقت مشتتة في كريت بين الأتراك والبندقيين (فينيسيا) (١٦٤٥ - ١٦٦٩). وكانت القسطنطينية تحت قراصنة الشمال الإفريقي على المساهمة في هذه الحرب، ولكنهم كانوا يرفضون أو يعتذرون أو يرسلون بعض سفنهم إلى بحر إيجه لمضايقة أساطيل البندقية وحلفائها. وفي سنة ١٦٦٧ بعث عثمان باشا بسبع سفن للالتحاق بالأسطول العثماني<sup>(١)</sup>. وقد أتاحت أعوام الحرب في كريت، وانشغال القوى المسيحية بالجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، ومساعدة الجزيرة المحاصرة، فرصة كبيرة لقراصنة الشمال الإفريقي لزيادة نشاطهم حتى أصبحوا في النصف الثاني من القرن السابع عشر، أخطر مما كانوا عليه في الماضي وأكثر إرهاباً وإرعاباً.

وفي ١٦٦٩ قام أسطول فرنسي بقيادة (دالميراس D. Alméras) بالظهور أمام طرابلس، واستطاع أن يفرض على الباشا، في تلك المناسبة، تمكين الأخوة المخلصين (Fratelli Redentoristi dell' Ordine) من إنقاذ خمسة وعشرين أسيراً فرنسياً، وكان بطرابلس في ذلك الوقت ١٥٥٩ أسيراً مسيحياً<sup>(٢)</sup>.

وقد اتسم حكم عثمان باشا بالقوة، ولكنه كان عرضة لكثير من المؤامرات والثورات العربية. وفي سنة ١٦٦٦ قام شريف مصطفى بن رجب بك، ومحمد ابن نويز زعيم المحاميد بالتآمر لقتل عثمان باشا يوم ١٢ يوليو، بمناسبة إنزال المركب (الشمس الذهبية) وأحبطت المؤامرة وأعدم ابن رجب بك، وفي سنة ١٦٦٧ قام زعيم المحاميد على رأس حركة جديدة، امتدت فشملت بني وليد

Hammer, III p. 625-

(٦١) هامرج ٣ ص ٢٢٥

(٦٢) فيرود ص ١٢٤ - برنيا ص ١٥٦.



وترهونة ومصراته وأولاد سليمان، وزحف على طرابلس، وفي المعركة التي جرت يوم ١٢ يونيو هزم رجب بك وقواته التركية. وفي سنة ١٦٦٩ قام عثمان باشا بارتكاب عمل من أعماله الوحشية فقتل في طرابلس خمسة وعشرين شخصاً من أبناء القبائل الثائرة، فأثار بذلك نائرة المحاميد، ولكن عثمان باشا استطاع أن يستميلهم بالهدايا والعطايا، وتمكن من إرسال ١٥٠٠ إنكشاري وثلاثمئة أسير مسيحي لدعم قلعة ككلة والاحتفاظ بالجبل تحت سلطته<sup>(٦٣)</sup>.

وحصل عثمان أيضاً على اعتراف السلطان محمد الرابع به، وتعيينه على رأس الولاية، وكان عليه أن يعمل كل مستين على كسب عطف السلطان ووزرائه، بما كان يقدمه من هدايا ثمينة وسخية<sup>(٦٤)</sup>. ونحن نعلم أنه بعث في إحدى السنوات ستين ألف سكودو هدية إلى السلطان وعشرة آلاف سكودو للوزير الأكبر، وهدايا أخرى لضباط الحاشية السلطانية ووالدة السلطان. وكانت تغطية هذه النفقات الكبيرة تأتي من غنائم القرصنة ومن الضرائب الفادحة التي أثقل بها كاهل المواطنين، وأرهقهم بأكثر مما كان الأمر في عهد سلفه محمد الساقزي.

ويقول ابن غلبون<sup>(٦٥)</sup> - نقلاً عن البهلول - (ومن عظيم ظلمه الفاحش أنه إذا باع أحد الشركاء عقاراً، ولو جزءاً لا يتجزأ، أغرم البائع وغير البائع مكس العقار كله، ممن باع ومن لم يبيع). وارتفع التزام ضريبة المرور من بابي المدينة من ألفين وخمسمائة ريال إلى أربعة وعشرين ألف ريال، وكان يحصل عن كل عبد مبلغ العشر من ثمن بيعه. وفرض على كل عبد يجلب من فزان ضريبة قدرها

(٦٣) معلومات مستخلصة من مخطوطة جيرارد. أنظر أيضاً:

باولو توسكي: المصادر غير المنشورة من تاريخ طرابلس الغرب.

P. Toschi, Fonti inedite di storia della Tripolitania, II (Voyage to the Straits) di Augusto Holsteyn in Annali R. Istituto Orientale di Napoli vol II 1930 p. 23 - 24.

فيروص ١٢٢ - ١٢٣

(٦٤) ابن غلبون ص ١٠٩ (طبعة القاهرة ص ١١٠) ص ٨٥.

(٦٥) ابن غلبون ص ١١٨.

ريالاً وثمناً<sup>(٦٦)</sup>. تلك هي الإجراءات المطبقة في المدينة، أما في الدواخل فيتسلط القواد على الرعايا، ويرغمونهم على دفع الخراج الذي يرتفع ارتفاعاً فاحشاً. وقد نزح بعض الأهالي إلى بلدان أخرى، ففرض على الباقين ما لزم البلدة كلها، قبل الزواج. وكان عثمان يجبر الناس على شراء غنائمه البحرية بأسعار عالية، ويلزم الصناع بما ألزم به التجار (حتى إن ما قيمته أربعون، باعه من أخذه بثمانية عشر). وقد أحصى النخيل وفرض على كل نخلة عشرين عثمانياً في العام، وفرض ضرائب خفيفة على الكروم، وصنف البساتين صنفين (سمى صنفاً مرصداً وهو القوي الشجر وسمى الضعيف غير مرصد، ووظف على كل جابية ريالين إلا ربعاً، وعلى غيره نصف ذلك، وربما كان المرصد في بعض السنين لا يفي بما عليه، وربما أعطى صاحبه الوظيفة (الضريبة) ولا يبقى له شيء). ولم تجد الاحتجاجات. وفرض على أهل تاجوراء قبول إحصاء النخيل، وفرض على كل شجرة قرميلاً ونصفاً بينما تدفع أماكن أخرى قرميلاً واحداً في العام<sup>(٦٧)</sup>.

ولى عثمان قيادة الجيش ابن أخته رجب بك، وحين مات هذا الأخير بالطاعون<sup>(٦٨)</sup> ولى سليمان، وهو ابن بنت أخيه. وقدم عليه أبناء ابن أخيه فأقامهم على بعض المناصب، فظلموا الناس وتعسفوا<sup>(٦٩)</sup>. وكان القراصنة الذين وجه إليهم عثمان باشا أقصى اهتمامه وعنايته، سبباً في ما حل به من هلاك، نتيجة الجشع والتسلط الذي كان يمارسه في الاستئثار بالنصيب الأكبر من الغنائم.

ففي سبتمبر ١٦٧٢ استولى على مركبين بندقين وآخر فرنسي، تقدر قيمتها جميعها بحوالي مئة وخمسين ألف سكودو، ولم يرض الجند بالحصاة التي

(٦٦) الثمن هو اسم لأحد أجزاء العملة المستعملة في ذلك العصر.

(٦٧) ابن غلبون ص ١١٨ (٩٢).

(٦٨) ربما كانت وفاته في ١٠٦٨ هـ (١٦٥٧ - ١٦٥٨) إذ إن كثيراً من القبور الملحقة بالمدرسة تحمل هذا التاريخ.

(٦٩) يذكر ابن غلبون عند هذه النقطة عادات شائعة في البلاد.

قررها لهم، وهي عشرون ألف سكودو، فاتفقوا على رفضها والخروج عليه، وخلع بيعته. وفي إحدى الأمسيات أطلق أحد الجنود رصاصاً بندقيته أمام مقهى بسوق الترك كان غاصباً بالناس. فكان ذلك إعلاناً للثورة. وتمكنت قوة تتألف من حوالي أربعمئة انكشاري بقيادة مصطفى البهلوان (من فوجيا بإزمير) من الاستيلاء على الثكنات والحصن. فطلب عثمان باشا عون العرب ومساعدة رجب رئيس الحرس التركي وعثمان ريس رئيس المرسى. ولكن عثمان بك كان محاصراً في قصره الواقع قرب مسجد درغوث. كما قتل بعض أعوان الباشا والمخلصين له وقطعوا تقطيعاً، وأغلق الباشا القلعة على نفسه. وحين رفض رجب بك الخروج، نصب الثوار مدافعهم قرب قوس (ماركوس أوريليوس) وفوق حصن درغوث وأسوار الحي اليهودي (الحارة). كما ركزوا بنادقهم فوق دار القنصل البريطاني فاستطاعوا أن يرغموا رجب بك على الاستسلام. وقد قتلوه بعد ذلك، (٢١ نوفمبر)، مع علي الجربي وأحد الفرنسيين المعتنقين للإسلام) وكذلك (مانولي Manole وجاكومو جوستينياني G. Giustiniani وهما من أقاربه من إغريق جزيرة (كيوس)<sup>(٧٠)</sup>. وأمر عثمان باشا بضرب المدينة من القلعة، ودمر دار عثمان رئيس المرسى الذي انتقل إلى جانب الثوار، فرد هؤلاء بمدفعيتهم التي نصبت في أفضل المواقع وأحسنها. فقصفوا القلعة واحتلوا دار البارود وحصن الولي الذي يوجد خارج باب زناتة، قرب خزان المياه بالظهرة.

ولم تجد وعود الباشا بزيادة المخصصات وتخفيض الضرائب. ولم يكن لها أي تأثير على الإنكشارية، كما لم تفد في اجتذاب العرب إلى صفه، بل إن قسماً منهم قد اتفق مع (ديلاور بك) القائد الجديد للحرس. وأما الآخرون الذين كان يقودهم عبد الله بن منصور، زعيم المحاميد، فقد حيل بينهم وبين تقديم مساعدة فعالة للباشا المحاصر. ولما تيقن عثمان باشا، أنه هالك، شرب يوم ٣٠

نوفمبر ١٦٧٢ الس، فمات. وكان في الثانية والسبعين. ويرى آخرون أنه مات بالسكتة القلبية<sup>(٧١)</sup>.

أنشأ عثمان باشا المدرسة المعروفة باسمه (مدرسة عثمان باشا) قرب جامع درغوث. وصحنها الجميل (بخلواتة) المخصص للطلبة يؤدي إلى مقبرة مجاورة وحديقة أخرى معدة هي أيضاً للدفن. وتمتاز (الميضأة) الرخامية بدقة الصنع. وقد أوقف عليها أوقافاً كثيرة منها الفندق الكبير (الواقع بأقصى سوق الترك) والحمام الكبير.

وعلى الجملة فإن عثمان باشا رغم عنفه وجوره وطغيانه، فإن اسمه يذكر بين أقوى ولادة ذلك العصر وأقدرهم<sup>(٧٢)</sup>.

## ٨ - طرابلس قرب ١٦٧١

لقد ترك لنا الجراح البرونفسي (جيرارد Girard) وصفاً لمدينة طرابلس، قرب سنة ١٦٧٢. وكان قد أسر في المياه الطرابلسية، أثناء حرب كريت، وظل بطرابلس حتى سنة ١٦٧٦، وألف كتاباً بعنوان: (Histoire Chronologique)، وقد أفدنا منه في سرد وقائع هذا العصر. وقد استفاد<sup>(٧٣)</sup> في تأليفه من الملاحظات الشخصية التي كونها أثناء أسره، وهي شاملة لكل الأحداث التي شاهدها ووقف عليها، أو التي استخلصها من وقائع السنوات السابقة لوجوده بطرابلس، كما يرويها شيوخ الأتراك والمسيحيين المتحولين إلى الإسلام والعرب والأسرى المسيحيون الذين كانوا يقاسون ويعانون آلام الأسر مدداً تتراوح بين أربعين وخمسين عاماً. كما حصل على معلومات من القنصل

(٧١) ابن غلبون ص ١٢٦ - ١٢٧ (٩٨ - ١٠٠) توسكي ص ٢٦ - ٢٩ فيرود ص ١٢٦ - ١٢٩  
De La Croix, Mémoires contenant diverses relations de l'Empire Ottoman, Paris 1784 - 1 p.  
340-352.

(٧٢) التاريخ الخارجي هو ١٠ ذو القعدة ١٠٦٤ (١٣ سبتمبر ١٦٥٤).

(٧٣) ذكر عثمان باشا بطريقة موجزة عابرة في السجل العثماني لثريا بك. ج ٣ ص ٤١٩.

(٧٤) خبر مستقى من مخطوطة جيرارد.

(ن - برادلي N. Bradley) بخصوص تاريخ العلاقات الإنجليزية الطرابلسية. أما عن الفترة الواقعة من ١٦٧٦ حتى ١٦٨٥ فقد أفاد في تكوين معلوماته مما كان يستخلصه من الرسائل التي كانت تصله من (بربريا) الشمال الإفريقي ومن القسطنطينية<sup>(٧٥)</sup>.

لقد بدت طرابلس قرب سنة ١٦٧٢ للمؤلف جيرارد الذي كان مهتماً بجمع عناصر وصفه التاريخي لها، مدينة ذات شكل خماسي، غير متناسقة الأطراف، ويبلغ محيطها ١٨٠٠ خطوة (هندسية) محاطة بأسوار ذات بابين، وستة أبراج، وحصن، ثم القلعة<sup>(٧٦)</sup>. ويؤدي باب المنشية إلى الريف، وهو واقع بين خندق القلعة، ودار البارود، يليه الدباغ وبرج الولي وبرج باب زتاتة، ثم الركن الذي به حارة اليهود. ثم حصن غير كامل بدأ في تشييده محمد الساقزلي لإحكام السيطرة على المدينة. فعاقه الموت عن إتمامه. ثم حصن الطابية أو حصن الشريف (شيده محمد شريف داي قرب ١٦٢٧) وهو الحصن الذي ساعد الثوار في سنة ١٦٣١ على ضرب القلعة التي اعتصم بها شريف داي وحوصر فيها. وكذلك أثناء الثورة ضد عثمان الساقزلي.

وكانت القلعة تتوفر على صهريج، وبها جسر قابل للرفع. وفي الزاوية يقوم حصن درغوث الذي يتصل هو الآخر بجسر قابل للرفع. وبين القلعة سور يحمي الميناء. وثمة ساحة تدعى (البلفدير - ميرادور (Mirador) تنصب فيها المدفعية في بعض الأحيان، وثمة برج مربع شبه خرب، ثم باب البحر، ويوجد خارج هذا الباب سكن رئيس المرسى، وعلى طول السور ثمة مجموعة من الدكاكين لتخزين الأشربة والحبال. وتشاهد بعد الباب مجموعة من الأبراج

(٧٥) مخطوطة جيرارد ص ٥ - ١٠.

(٧٦) انظر مقال أوريجيا المذكور أدناه بخصوص رسم (سلر Seller) الذي نشر بلندن سنة ١٦٧٥ والذي قال عنه جيرارد (ج ١ ص ٣٣) إنه دقيق جداً. ولتحديد هذه الوقائع الطبوغرافية انظر:

**Aurigemma**, Per la Storia delle fortificazioni di Tripoli in Riv. Colonie Italiane 1929 p.

460 - 473.

الصغيرة القائمة على الأسوار وساحة تدعى ساحن حصن المجزرة، أقامها عثمان باشا سنة ١٦٦٩، ومنها يمكن ضرب مدخل الميناء.

ولم تكن للمدفعية خنادق، ولا حصون أمامية، كما كان الشأن في العهد الإسباني وعهد فرسان مالطا. فقد ردم الأتراك الخنادق. ويبلغ محيط القلعة حوالي خمسمائة خطوة، وبه باب واحد يقفل أثناء الليل، وثمة نافورة أمام المدخل تقذف ماء استخرج بطريقة صناعية. وتأتي بعد ذلك السقيفة التي يقيم بها حرس الكيخيا، وإلى اليمين، وبعد الباب الأول، ممر طويل يجلس فيه محمد وعثمان باشا على نوع من كراسي العرش لمقابلة رسل السلطان. وقد قام بالي داي بإتلاف هذا العرش بناء على نصيحة خليل باشا<sup>(٧٧)</sup>. ثم يمر الداخل بأبواب أخرى. وبعد الباب الرابع، يدخل المرء بلاطاً يدعى (الميدان) حيث يمضي رئيس الدولة الطرابلسية أغلب الوقت في تصريف شئون الحكم. وبها مقعد ملاصق للجدار يستخدم (كرسيًا للعرش)، وخلفه نوافذ ذات قضبان متشابكة، يصدر الوالي تعليماته من خلالها إلى الكتبة الذين يجلسون عند الممشى الذي يقع خلفها. وإلى يسار الميدان يوجد مسجد القلعة الذي كان كنيسة في عهد فرسان مالطا. أما بقية القلعة فهي مساكن ومخازن وأفراخ ومطاحن. والأسوار مزودة بأربعين مدفعاً. وثمة باب وهمي يؤدي من القلعة إلى البحر.

أما الميناء فيحميه حصن المنديريك<sup>(٧٨)</sup> (Castellejo) حيث توقد الأضواء ليلاً لإرشاد السفن. وكان عثمان باشا قد حصن هذا البرج تحصيناً جيداً في سنة ١٦٦١، ثم عمل بالي داي وإبراهيم داي<sup>(٧٩)</sup> على وصل برج المنديريك ببرج درغوث بواسطة سور منيع، وحصن صغير، فوق أحد المرتفعات التي كان بها في الماضي طاحون هوائي وضريح الولي سيدي (Antioche). وتساهم البطاريات المقامة عند الشاطئ الشرقي من المدينة في الدفاع عن الميناء. أما

(٧٧) انظر ما ذكر بخصوصه في مستهل الفصل القادم.

(٧٨) انظر ما تقدم بخصوصه في هذا الفصل.

(٧٩) انظر بخصوصه الفصل القادم.

طرق المدينة فهي في الغالب ضيقة، والمباني بها مكونة من دورين وشرفات وردحات داخلية (وسط الحوش). لقد دمرت البلاد تدميراً كاملاً خلال الفترة الواقعة بين ١٥١٠ - ١٥٥١، وفي القرن السابع عشر بعث الأسرى اليونانيون متعة إنشاء المنازل الجميلة المترفة. وكان مسجد درغوث أجمل مساجد المدينة التي بلغت في ذلك الوقت ما يقرب من عشرين مسجداً، ويليه مسجد سيدي سالم ومسجد الخروبة. وتقع المقابر خارج المدينة. وكانت للقراصنة مقبرة خاصة بهم داخل سور سيدي حمودة، أمام باب المنشية.

ويقيم الإنكشارية في الفنادق. وقد أنشأ عثمان باشا الفندق الكبير سنة ١٦٥٤ في سوق الترك، وهو يحوي أكثر من مئة غرفة، ثم الفندق الجديد قرب مسجد درغوث، وقد أنشأه سليمان كاهية في ١٦٧١ م. وأنشأ عثمان باشا قرب القلعة سوقاً مغطاة تعرف الآن بسوق (الربع) قرب مسجد أحمد القرماني<sup>(٨)</sup>. وكانت تعرف في ذلك الوقت باسم (سوق العرب) مقابل السوق الأخرى التي تعرف باسم (سوق الترك).

#### ٩ - ضواحي طرابلس قرب ١٦٧٢ -

كانت سلطة طرابلس، حينذاك، تمتد حتى بن قردان غرباً. وكانت زوارة أهم المواقع على الساحل الغربي. وهي معروفة ويتردد عليها تجار البندقية بسبب الملاحات التي كانت تدر دخلاً طيباً للوالي. وكان البندقيون يقومون بتوجيه سفنهم لشحن الملح، مقابل أثمان فورية تدفع عند كل شحنة أو مقابل التزام سنوي يقرب من ألفي سكودو، وكان للبندقية وكيل دائم بطرابلس للقيام على الشؤون المتصلة بهذا النوع من التجارة. كما كان للوالي مندوب بزوارة يتولى شؤون نصريف الملح نيابة عنه.

وإلى الغرب من زوارة تقع زواغة، ويسمونها المسيحيون طرابلس القديمة، وهي عبارة عن أطلال خربة مهجورة. ثم الزاوية وهي مدينة هامة

(٨٠) مخطوطة جيرارد ص ٧٩.

بدرستها الإسلامية التي تقوم على تدريس العلوم القرآنية . وبها (قائد) مكلف بجباية الضرائب . وتعرف (جنزور) بخصوبتها وبها أيضاً (قائد) . وإلى الغرب منها يقوم برج قرقارش، وبه كهوف أرضية، وبئر ماء عذب، ويأوي إليه الأسرى المسيحيون العاملون في قطع الأشجار بذلك الشاطيء.

وإلى الشرق من ذلك تمتد المنشية الغنية ببيوتها الجميلة التي يسكنها الأتراك والطارئون على الإسلام والعرب . وقد أنشأ عثمان باشا ومحمد باشا دوراً جميلة في المنشية، تحف بها أشجار الفواكه من رمان ولوز وبرتقال وليمون . وفي العمروس تعقد السوق كل يوم جمعة . وبتاجوراء مقر (قائد) . وقد فقدت تاجوراء أهميتها ودمرت أكثر من مرة من قبل الأتراك، ويظفر مسجد مراد آغا القائم بها بتقدير كبير لدى المسلمين .

وعند رأس (الهنشير) توجد بيوت مبنية من الصخر أقامها الأسرى المسيحيون، وبالقرب منها (ملاحة) . وغير بعيد عنها ضريح سيدي الصيد الذي يتمتع بحق الاستجارة به واللجوء إليه .

أما في الداخل فإن السيطرة للقبائل، وأقربها إلى مدينة طرابلس قبائل ورشفانة التي كانت تحتل رقعة أوسع من رقعتها الحالية<sup>(٨١)</sup> .

---

(٨١) معلومات مستقاة من مخطوطة جيرارد ج ١ ص ٢٤ - ٣٠ .



## الفصل الرابع

### العهد العثماني (تابع)

### الدَّايَاتُ وَالْبَاشَوَاتُ

١٦٧٢ - ١٧١١

- \* خلفاء الساقزي عثمان باشا من ١٦٧٢ - إلى ١٦٨٤
- \* القرصنة والقناصل
- \* الحاج عبد الله داي ١٦٨٤ - ١٦٨٦
- \* إبراهيم التارزي داي ١٦٨٦ - ١٦٨٧
- \* محمد الإمام باشا ١٦٨٧ - ١٧٠١
- \* عثمان قهوجي داي
- \* مصطفى غليبولي داي
- \* خليل بك ١٧٠٢ - ١٧٠٩
- \* قائمة بأسماء الدايات والباشورات والبيكوات الذين تعاقبوا على حكم طرابلس منذ ١٥٥٤ حتى سنة ١٧١١ .

## ١ - خلفاء الساقزلي عثمان باشا ١٦٧٢ - ١٦٨٤

لما مات عثمان باشا أعلن حسين الرئيس نبأ وفاته، وأبلغ به سكان المدينة الذين تجمعوا في صباح اليوم التالي في القلعة وبايعوا عثمان ريس والياً عليهم. وكان عثمان هذا يونانياً من جزيرة (Cerigo) ومن المستجدين في الإسلام، وخلعوا عليه لقب داي، وعين علي القبطان (كابودان) الملقب بالإغريقي، كاهية له، وذلك في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٢. ولكن إبراهيم مصروغلي (ابن المصري) الذي كان قد خرج على رأس حملة لمقاومة الثوار في الدواخل<sup>(١)</sup> رفض الموافقة<sup>(٢)</sup> على المبايعه. وتفسر معارضته ومعارضة رفيقه (كور محمد)<sup>(٣)</sup> وعدد كبير من الإنكشارية بأن عثمان كان يونانياً مستجداً في الإسلام غير أصيل فيه. وفي جلسة صاحبة عقدت في الديوان أزيح عثمان ريس عن كرسي الرئاسة، ووضع بدلاً منه بالي شاوش وهو من (أبيرو - جانينا). وكان شاوش عثمان باشا. وعين كاهية له مصطفى البلهوان (أول ديسمبر ١٩٧٢)، وأسندت لعثمان رئاسة السفن، وظل بها زمناً قصيراً ثم قتل خنقاً في ١٤ ديسمبر ١٩٧٢<sup>(٤)</sup> كما قتل علي كابودان خنقاً على ظهر إحدى السفن في أول يناير ١٦٧٣<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) تستخدم كلمة محلة في التعبير عن الجماعة المسلحة التي تخرج للحملات بقيادة البك.
  - (٢) ابن غلبون ص ١٢٨ (١٠٠) فيرود ص ١٣١ - ١٣٢.
  - (٣) كور في التركية معناها الأعمى.
  - (٤) باولو توسكي: المصادر غير المنشورة من تاريخ طرابلس الغرب: حوليات معهد الدراسات الشرقية بنابولي (١٩٣٠) ص ٧٣.
  - (٥) على الرغم من أن مراد بك لم يكن على رأس حكومة تونس التي كان يتولاها الحاج محمد =

وتجدر الإشارة إلى أن (بالي شاوس) قد أظهر قسوة نحو المسيحيين، أكثر مما فعل أسلافه. فألغى بعض التنازلات التي تقرر في عهد محمد وعثمان الساقزي، ودمر كنيسة (سان جورج) المخصصة لليونانيين، كما دمر كنيسة الإرسالية الفرنسيسكانية، وسمح فقط بممارسة الطقوس الدينية في الحمامات (سجون الأرقاء) طبقاً للمعاملة التي يعامل بها أسرى المسلمين في حمامات ليفورنو ومالطا<sup>(٦)</sup>.

وأرسلت الحكومة الطرابلسية وفداً إلى القسطنطينية يحمل هدية للسلطان محمد الرابع، تتألف من عشرين ألف زوكيني ذهباً وثمانية خصيان، وثمانية عباات طرابلسية حمراء، وخمسة أغطية فاسية، وأصناف أخرى من الحرير والصوف وسروج للخليل وساعة كبيرة وثلاث ساعات صغيرة. وهدايا مماثلة أقل قيمة للوزير الأكبر (أحمد كوبرلو Kôprülû) والوزير الثاني وقائمقام القسطنطينية، وسلطات أخرى ضمن الحاشية. وكان من بين الرقيق الذي أرسل إلى السلطان أحد فرسان مالطا، وهو الفارس (تيميريكورت Thèmericourt) الذي غرق في مياه طرابلس فأسره الطرابلسيون. واستقبل السلطان الوفد في قصره بأدرينوبوليس Adrianopolis في فبراير ١٦٧٣. وقد قتل الفارس تيميريكورت بناء على أمر السلطان، بعد أن رفض اعتناق الدين الإسلامي<sup>(٧)</sup>.

وفي هذه الأثناء قام مراد بك<sup>(٨)</sup> قائد الحرس بتونس على رأس حملة لمهاجمة طرابلس انتقاماً لصديقه عثمان باشا. وكان الحرس الطرابلسي بقيادة القولوغلي

= المتشلي داي إلا أنه كان متصرفاً في شؤون تونس. وقد توفي في ١٦٧٥. أنظر: أ. زوسو (الحوليات التونسية).

(٦) دي لا ركروا (المذكرات) ص ٥٢.

(٧) توسكي في مقاله المذكور ص ٣١

C. Magni, Quanto di piu curioso ecc II Parma 1692 p. 56 - 60.

(٨) فيرود ص ١٣٤.

شعبان بك<sup>(٩)</sup> الذي خلف في هذا المنصب (ديلاور بك) الذي قتله (بالي داي). وقد خرج في قوة تتألف من ألفين وخمسمائة مسلح ضد مراد بك الذي كان يتوفر على قوة قوامها تسعة آلاف مسلح يدعمهم (موسى) زعيم جربة، وأولاد نوير. وقد وقع الصدام في العجيلات وانتهى إلى هزيمة الطرابلسيين. وقد استسلم أربعمئة انكشاري للقوات التونسية، بعد أن تخلت عنهم قوات الفرسان.

وحينئذ دعا بالي داي عرب المنطقة لمساعدته، بواسطة الولي سيدي عبد الحفيظ بن سيدي محمد الصيد، فجاء سكان تاجوراء والساحل، ومحمد المريض من تrehونة، وزعماء مسلاتة ومصراتة وغريان، ومنصور وصالح مع المحاميد. وقد أدى انتشار هذه القوة ودعوات الولي سيدي عبد الحفيظ إلى ارتحال مراد بك وعودته إلى تونس.

وفي ٢٦ أبريل ١٦٧٣ وصل إلى طرابلس الباشا الجديد. وأصله من (بوسنيا). وكان السلطان قد أرسله إلى طرابلس مندوباً عنه ثم أسند إليه ولاية طرابلس. وحل الباشا بالمدينة مخفوفاً بكل مراسم الإحتفال لاستقباله، وأنزل بالبيت الذي كان مخصصاً لرجب بك. وخصصت له مخصصات شهرية دون أن يكون له أثر ومشاركة في شؤون الحكم الذي استأثر به (بالي داي) لنفسه.

وكان التهديد التونسي ضد طرابلس قد شجع عرب برقة في بنغازي ودرنة على محاولة طرد الأتراك. فطلب محمود بك دعماً من طرابلس، فأرسلت إليه قوة تتألف من ثلاثمئة انكشاري عن طريق البحر، ومئتين وخمسين فارساً عن طريق البر، تمكن بواسطتها من إقرار الأمن والنظام. إلا أن ثورة العرب بطرابلس كانت أخطر من هذه الثورة البرقاوية، وذلك أنهم أرادوا الإستفادة من العون الذي قدموه (لبالي داي) في المطالبة بتحقيق ما وعد به من الإعفاء من الضرائب. وقد شبت الثورة في كل المناطق الواقعة بين غريان وتاورغاء، ولم

(٩) القولوغي هو ابن الإنكشاري. أنظر ملاحظة روسي في ترجمته الإيطالية لابن غلبون ص ١١٦ هامش ٤.

يستطع بالي داي إخماد هذه الثورة إلا بعد مجهود كبير وبالتعاون مع المحاميد وأولاد نوير.

ولم يلبث الولي سيدي عبد الحفيظ الصيد أن اصطدم ببالي داي نفسه، ووقعت بينهما وحشة خاف منها سيدي الصيد على نفسه، ففر إلى تونس ولم يعد إليها إلا بعد وفاة الطاغية (١٦ مايو ١٩٧٥). وبويع بعده مصطفى البهلوان، إلا أن رؤساء البحرية، ومنهم مصطفى الكبير المعروف بالإستكولي وأحمد ريس درغتلو وإبراهيم مصطفى مصروغلو، كانوا متغيين في عملية قرصانية في بحر إيجه، حيث غنموا سفينة. وقد توقفوا أثناء عودتهم بقصر أحمد (بمصراتة) وهو مرسى به حصن يصلح قاعدة للقراصنة الطرابلسيين. فلما علموا بموت الداي وتعيين خلفه اتفقوا على إزاحته. وما كادوا يصلون إلى طرابلس حتى نادوا بزميلهم مصروغلو دايًا على طرابلس.

كانت صورة الباب العالي بطرابلس في هذا الوقت صورة ضعيفة هزيلة، فلم يكن خليل باشا الذي أرسلته القسطنطينية يتمتع بأية سلطة، وظل جامدًا لا يحرك ساكنًا إزاء صراع الزعماء المحليين الذي كان يرقبه في سلبية تامة.

وفي هذه الأيام التي سيطرت فيها الفوضى، وأعقبت حرب كريت، تزايد نشاط القراصنة، وأصبح أكثر كثافة وحجمًا مما كان، دون تقيد أو احترام أو مراعاة للمواثيق المبرمة. وقد دعا ذلك من جديد الفرق البحرية المسيحية للقيام بمظاهرات قوية ضد شواطئ طرابلس. ففي عهد بالي داي تمّ خرق شروط الصلح التي وقعها عثمان باشا مع الإنجليز. وفي عهد إبراهيم داي قامت ست سفن طرابلسية، خلال شهري أغسطس وسبتمبر ١٦٧٤، بالاستيلاء على سفينتين إنجليزيتين (مارتين - هانتر Martine Hunter) كانت الأولى متجهة من البندقية إلى قادس، والثانية من ليفورنو إلى إزمير، فأرسلت إنجلترا إلى طرابلس السير (جون ناربرو J. Narbrough) قائد الأسطول الإنجليزي بالبحر الأبيض المتوسط، يرافقه (ناتانيال برادلي Nathniel Bradley) الذي كان قنصلًا لإنجلترا

بطرابلس. ووصلت الفرقة البحرية يوم ٣ مارس ١٦٧٥، وطلب برادلي إعادة الغنائم التي غنمها القراصنة فوق السفينتين. ولم يوافق الداى على ذلك. بل بادر إلى إجراء التحصينات الدفاعية، اللازمة في الميناء، قرب برج المندريك. وقامت السفن الإنجليزية يوم ٢٦ بقصف الأعمال الدفاعية، ثم تحولت إلى مالطا. وتمكن القراصنة من الخروج من نطاق الحصار الإنجليزي والتحول إلى المشرق حيث باغتوا قرب جزيرة (سابينزا Sapienza) السفينة التجارية (برستول Bristol) التي كانت متجهة من إزمير إلى ليفورنو فسلبوها، وأفرغوا شحنتها من البضائع في درنة، ثم نقلوها بعد ذلك عن طريق البر<sup>(١٠)</sup>.

وفي ليلة ٢٤ يناير ١٦٧٦ عاد الإنجليزي بأساطيلهم إلى طرابلس، واقتحموا الميناء ببعض زوارقهم التي قامت بعملية جريئة أحرقت فيها أربعة مراكب للداي<sup>(١١)</sup>. وفي ٢٦ يناير ضربوا المدينة، ثم استمروا في حصارها. وقد تضايقت المدينة من الخسائر التي تعرضت لها، واعتراها الخوف من التعرض لما هو أسوأ<sup>(١٢)</sup>. وقد ظل الساحل حتى مصراتة تحت رقابة السفن الإنجليزية طوال شهري يناير وفبراير. واستولت القوة الإنجليزية على بعض الوسائط البحرية الصغيرة، وأشعلت فيها النار. وقد وجد في بعضها أعلام رسمت عليها ثلاثة أقمار وذراع تشهر سيفاً. واضطر إبراهيم داي في ١٥ مارس ١٦٧٦ إلى توقيع اتفاقية صلح أجبر الطرابلسيون بموجبها على إرجاع جميع الأسرى الإنجليزي أو رعايا الإنجليزي، دون دفع أية فدية، وتقديم تعويض قدره ثمانون ألف دولار عن الإهانات التي لحقت صاحبة الجلالة البريطانية ورعاياها. وهددوا بتوقيع عقوبات أشد قسوة ضد أية عملية تهدف إلى خرق السلم<sup>(١٣)</sup>.

Rycaut Cont. a knolles, the Turkish History, London 1687 - 11 p. 242

(١٠)

(١١) المصدر السابق ص ٢٤٤.

(١٢) مخطوط جبرارد (فيرود) الحوليات ص ١٣٩ - ١٤٥ - هولستين طبعة توسكي ص ١٠.

(١٣) يوجد نص الاتفاقية المذكور باللغة الإنجليزية ضمن محفوظات القنصلية البريطانية بطرابلس ولكنه غير كامل. وقد نشره:

Hertslet, A complete collection ecc - 1 - London 1872 p. 128

وساهم الطاعون الذي انتشر في طرابلس في زيادة الأوضاع سوءاً، إذ مات يوم ٢٦ مارس ١٦٧٦ خمسون ألف شخص منهم أحد عشر ألفاً من سكان المدينة وحدها. وثمانية من الأسرى المسيحيين. وكان بين الموق أيضاً سيدي عبد الحفيظ الصيد الولي المبجل<sup>(١٤)</sup>.

وشعر إبراهيم بالنذر التي يحملها الجو السياسي في طرابلس، وأن مصيره لن يختلف عن مصير أسلافه، فخشي أن يفقد أمواله ويذهب ضحية لمؤامرة من المؤامرات، بزعامة مصطفى الكبير أو مصطفى غروس Gros<sup>(١٥)</sup> المعروف بالإستكولي وكان صديقاً له. فتظاهر الداي بالرغبة في نفي ابنه جزاء له على ما ارتكب من أخطاء. وكان ابنه يشغل منصب رئيس المرسى وقد اجتمع الجند الإنكشارية في البيوت القريبة المعدة لسكنائهم قرب باب هواره (باب المنشية) وذهبوا إلى الداي يشفعون عنده في نفي ابنه، فأبى ذلك عليهم فوضع ابنه على ظهر سفينة بقيادة الرئيس عمر الميتشو، كانت تتهياً للسفر نحو مصراته، وشحن فوق السفينة نفسها صناديق من الأمتعة الغالية الثمن وقلائد مملوءة مالا، ثم تظاهر بأنه ذاهب لتفقد الأعمال الجارية شرقي الميناء عند البرج المعروف ببرج سيدي الشعاب. ومن هناك ركب البحر وفر إلى الإسكندرية (أول أبريل ١٦٧٦)<sup>(١٦)</sup>.

وأجمع الجند على بيعه إبراهيم شلبي الذي كان رئيساً لحمام سان أنطونيو. وكان إبراهيم هذا من المورة (Morea). وكان كاهية أحمد بك. ومن مواليد الأناضول. وفي ٨ أبريل كانت السفن تعود من المشرق<sup>(١٧)</sup> تحت قيادة مصطفى

(١٤) معلومات مستقاة من مخطوطة جيرارد - فيرود ص ١٤٢ - ١٤٣ - ١. هولستين (باولو توسكي) ص ١٨.

(١٥) من الكلمة الإيطالية (غروسو Grosso) ويدعى أيضاً (غراندو) أي الكبير.

(١٦) ابن غلبون ص ١٢٩ - ١٣١ (١٠١ - ١٠٣). وطبقاً لما يرويه جيرارد الذي جراه (هولستين وفيرود) أن إبراهيم داي قد سمم زوجته للاقميرة بنت عثمان غيرة عليها من الوقوع في أيدي الآخرين بالنظر إلى عدم إمكان تفسيرها دون إثارة شكوك الآخرين. أما ابن غلبون فيرى أنه قد ركب البحر مع أسرته وأتباعه ص ١٣١ (١٠٣).

(١٧) انظر أساء السفن وربابنتها في تقرير (هولستين نشر توسكي ص ٤٢).

الإستتكوني الملقب<sup>(١٨)</sup> (غراندو) أيضاً، بعد قيامه بتجديد بعض الجنود في المشرق. ولم يجد صعوبة في إزاحة إبراهيم شليبي، وإعلان نفسه، (داياً) بدلاً منه. واختار (كاهية) عثمان شريف.

وكان الهروب غير المتوقع للماكر ابراهيم مصر وغلوا قد فاجأ السير جون ناربرو أيضاً، فرأى من الحيلة وحسن التقدير أن يعيد عقد الاتفاقية مع الداي الجديد مصطفى (غراندو)<sup>(١٩)</sup>. وقد حاول ابراهيم مصر وغلوا العودة إلى طرابلس، فذهب إلى القسطنطينية<sup>(٢٠)</sup>، وسعى للحصول على حكم المقاطعة التي فر منها. وحصل على الموافقة في أغسطس ١٦٧٦ ومنح لقب بليربي وأرسلت لحمايته تسع سفن من نوع (غاليوطا)، ورافقه محمد آغا ريس رسول السلطان. ورفضت طرابلس قبول عودة ابراهيم داي، فعاد مندوب السلطان في يناير ١٦٧٦ إلى القسطنطينية مع ثلاثين شخصاً من أعيان البلاد الذين تولوا الإبلاغ عن المظالم التي ارتكبتها ابراهيم داي خلال عهده السابق. وقد رغب ضباط الباب العالي في إرغام الطرابلسيين على الانصياع لإرادة السلطان، ثم تغلبت فكرة التغاضي (أي استعمال الرأفة نحو البلدان النائية). وسمح للوفد الطرابلسي بالعودة محفوفاً بشعور الأمن والاطمئنان إلى عدم عودة السداي السابق إلى حكم البلاد<sup>(٢١)</sup>.

ولما استتب أمر السلطة لمصطفى الكبير أظهر صرامة وحزمًا في معاملة الجند<sup>(٢٢)</sup>، ونفى عدداً كبيراً منهم، كما أظهر رأفة بالرعية ومحبة لها، وأسقط عنها

(١٨) أنظر الهامش رقم ١٥ المتقدم.

(١٩) يوجد ملحق المعاهدة بمحفوظات القنصلية البريطانية بطرابلس. وهو بتاريخ ٢٦ صفر ٨٧ الموافق ٢٦ مايو ١٦٧٦.

(٢٠) انظر ما سوف يرد بخصوصه في الفقرات التالية من هذا الفصل.

(٢١) رشيد (تاريخي) استنبول ١٢٨٢ ج ١ ص ٣٣١ - ٣٣٥ - ٣٣٦. فون هامرج ٣ ص ١٠٨٧.

(٢٢) ابن غلبون ص ١٣٢ (١٠٤) انظر ما رواه هذا المؤرخ عن مخصصات الجند والبحارة.



بعض الضرائب. وكانت وفاته غرة صفر ١٠٨٨ (٥ أبريل ١٦٧٧) بالطاعون<sup>(٢٣)</sup> ودفن بروضة مدرسة عثمان باشا<sup>(٢٤)</sup>.

ولما مات مصطفى الكبير بايع الجند رجلاً مسناً اسمه عثمان بابا، وهو عالج مستجد في الإسلام من مواليد<sup>(٢٥)</sup> (نيس Nizza) كان عبداً لبعض الجند الجزائري، مكلفاً بتوزيع مخصصات الجيش<sup>(٢٦)</sup>. وقد استطاع القنصل الإنجليزي (كابل H. Caple) أن يلزمه بالتوقيع على ملحق لمعاهدة ١٦٧٧<sup>(٢٧)</sup> بتاريخ ٢٨ مايو ١٦٧٨. وقد وقعه بالإضافة إلى عثمان بقية ضباط الحكومة وفيهم خليل باشا الذي كان ما يزال بطرابلس حتى ذلك الوقت. وإذا لم تكن ثمة وقائع أخرى فإن هذه الواقعة وحدها تكفي للدلالة على ضعف تبعية الولايات الثلاث، وطرابلس بصفة خاصة، للباب العالي. وقد كان خليل باشا (طرطوراً) بلا سلطة يمثل الباب العالي، ولكن الدول كانت تتفاوض مع الداي الحاكم المحلي الحقيقي. ورغم بقاء الباشا واستمراره في تمثيل السلطان فإن المعاهدات كانت تجدد عند تغيير الدايات.

وحكم عثمان مدة تزيد على العام، ومات في ١٦٧٨<sup>(٢٨)</sup>، وخلفه آق محمد تيمور الأناضولي<sup>(٢٩)</sup>.

وقد حققت الفرقة المالطية في سبتمبر ١٦٧٨ انتصاراً جديداً على

(٢٣) ابن غلبون ص ١٣٣ (١٠٥).

(٢٤) يوجد قبره بين الركام، وقد كتب عليه هذا قبر المرحوم مصطفى داي مدينة طرابلس الغرب توفي في ١ صفر ١٠٨٨.

(٢٥) معلومات مستقاة من مخطوطة جيرارد الذي جراه فيرود ص ١٤٨.

(٢٦) ابن غلبون ص ١٣٣ (١٠٥).

(٢٧) محفوظات قنصلية إنجلترا بطرابلس. ولم يرد الملحق فيما نشره (هرتسل Hertslet).

(٢٨) تاريخ الوفاة ليس ثابتاً. في مخطوطة جيرارد (كذلك فيرود ١٤٨) حددت بتاريخ ٢٧ أبريل ١٦٧٨. ولكن ذلك لا يتفق مع تاريخ الاتفاقية المذكورة أعلاه. ويقول ابن غلبون ص ١٣٢ (١٠٥) خطأ أيضاً إنه حكم عاماً وشهراً واحداً وأنه توفي في ربيع الأول ١٠٨٩ (٢٣ أبريل - ٢٢ مايو ١٦٧٨).

(٢٩) تعني كلمة (آق Aq) في التركية (الأبيض) وكلمة (تيمور) تعني الجديد. وقد ورد هذا اللقب =

القراصنة الطرابلسيين. فقد استطاعت مراكبها بقيادة الفارس البرتغالي (دون جيوفاني كورّيّا دي سوسة G. Correa de Susa) أن تغرق قرب قبرص مركبين لقراصنة طرابلس، بعد معركة عنيفة. وأمكن إنقاذ ١٤٤ من ملاحى المركبين و١١ عبداً مسيحيّاً<sup>(٣٠)</sup>. وافتدى أحد رؤساء البحرية الطرابلسية المسمى أحمد ابن بيرام في سنة ١٦٨٤ بمبلغ سبعمائة قرش مقسطة على أربعة عشر شهراً<sup>(٣١)</sup>.

وخلال هذه الفترة، ظل خليل باشا الملقب بالأرناؤطي، بطرابلس. وكان يدرس إمكانية الفرصة المناسبة للإطاحة بالحكومة المحلية، وكان يعد العدة لمؤامرة بالتعاون مع كاهيته أحمد ومحمد الدباغ وعلي كابودان المنيكشالي من (منيكشيه - في المورة) والخان محمد الخزندار الذي كان عبداً من أصل فينيسي اعتنق الإسلام وجمع ثروة طائلة<sup>(٣٢)</sup>.

وبعد أن اتفقوا على الخطة بعثوا جندياً يدعو آق محمد لحضور الاجتماع الذي يعقدونه، وكان من المقرر أن يعقبه خليل باشا على القلعة فيدخلها ويستولي على كرسي الحكم. فلما خرج آق محمد نهبه أحد الحرس إلى المؤامرة التي تحاك ضده، فرجع على الفور إلى القلعة وبطش بكل من وصل إلى يده ممن أظهروا التأييد لخليل باشا، وكان من بينهم عدد كبير من العرب. وأصبح وضع آق محمد داي دقيقاً حرجاً بسبب خروج المحاميد عليه

---

لدى جيرارد، ونقله عنه فيرود ص ١٤٨ كما ورد أيضاً لدى حسن صافي في كتابه تاريخ طرابلس باللغة التركية طبع الأستانة ١٣٢٨. أما ابن غلبون فيذكره بلقب (الخدّاد).

(٣٠) دال بوتزوج ٢ ص ٤٧٤ - ٤٧٦ - روسي: تاريخ البحرية ص ٧٧.

(٣١) محفوظات مالطا مجلد ٦٤٦ ص ٣٧٧. وقد ورد في نفس المصدر ص ٦٤٧ أنه في سنة ١٦٨٥ أطلق سراح محمد بن أحمد وهو أسير طرابلسي بلغ من العمر ثمانين سنة، بعد أن أمضي بالأسر بمالطا ٥٦ عاماً.

(٣٢) ابن غلبون ص (١٠٦). وقد أوقف محمود المذكور أمواله على أعمال البر والخير والمنشآت الدينية بقصر أحمد بمصراته، وعلى معبد يقع إلى الغرب من (الزندانة الكبرى) أو الحمام الأكبر (أي السجن الأكبر) ويطلق موقعه جامع محمود الذي أنشئ سنة ١٠٩١ (١٦٨٠ - ١٦٨١) والمصل بالقرب منه، والمسجد الملاصق لضريح سيدي الخطاب، وهو أيضاً بتاريخ ١٠٩١ هـ.

بعد أن لجأ إليهم مصطفى البهلوان من منفاه بجربة وأثارهم عليه . كما كان آق محمد يرتاب في أمر (قائد) غريان ، مراد المالطي (من أصل مالطي مسيحي) ، فأمر قائد الجند بالتخلص منه وقتله غيلة . ولكن حسن عبازة ، قائد الانكشارية بطرابلس ، المتطلع إلى الاستيلاء على السلطة ، تدخل لإنقاذ مراد الذي أبلغ بنوايا الداي نحوه ، فجمع أنصاره وأعوانه والمخلصين له وزحف بهم على طرابلس ، وقتل الداي . وبايعوا حسن عبازة مكانه ، وأصبح مراد قائداً للجند يحمل لقب (بك) (٣٣) .

كانت فزان تبدو حتى ذلك الوقت بمظهر الإقليم الهاديء ، أو لعل دايات طرابلس الضعاف الذين شغلوا بخلافاتهم وحروبهم لم يجدوا ما يساعدهم على التفرغ والاهتمام بشأن هذا الإقليم . فبعد الصلح الذي عقد مع محمد الساقزي باشا سنة ١٦٣٠ (٣٤) ظلت البلاد خاضعة لمحمد بن جهيم الذي كان يحمل لقب (الشيخ) . وحين مات في (١٦٥٨ - ١٦٥٩) تولى ابنه الحكم حتى وفاته (١٦٨٢) ، ثم تولى الأمر أخوه نجيب ، فامتنع عن أداء الخراج ، بحجة أنه سبق أن أداه إلى الخازن الذي زور عليه وأنكر الأداء . فأمر الداي حسن عبازة ، مراد بك بالخروج إليه في حملة قوية ، فقاتله وقتله في قرية (دليم) (٣٥) (بينها وبين مرزق نحو ست ساعات أو خمس) . فاستولى على الخزانة ، وولى محمد الناصر - أخا القتيل (٣٦) - أمر البلد ، وأسقط عنه خراج ثلاث سنين إلى أن يستقر حال البلد .

ولما عاد مراد من حملته على فزان ، غنياً مهيباً ، ثار على حسن عبازة بمساعدة الجند ، وخلعه ونفاه إلى جربة (يونيو ١٦٨٨) ونصب (يلك محمود) (٣٧)

(٣٣) ابن غلبون ص ١٣٦ (١٠٧) .

(٣٤) انظر ما ذكر بخصوص الساقزي محمد في الفصول السابقة .

(٣٥) أغسطيني (سكان طرابلس الغرب) ص ٣٦٦ .

(٣٦) ابن غلبون ١٣٨ (١٠٩) .

(٣٧) تعني كلمة (يلك Yuluk) بالتركية (الأمرد) . والتفسير الذي أعطاه لها ابن غلبون بأنها (مجرى الماء) ص ١٣٨ (١٠٩) خطأ .

داياً ثم خلعه بعد يومين وعين بدلاً منه علي الجزائري - روميلي الأصل - في ١٣ يونيو ١٦٨٣ .

وكان الزعيم الحقيقي لطرابلس في ذلك الوقت مراد بك تحيط به حاشية من الأعوان والأنصار (القباضية) من أمثال حسين كابودان الملقب (كلايجي)<sup>(٣٨)</sup> ومراد الفوشلي (نسبة إلى فوشة قرية بالأناضول).

وفي رجب ١٠٩٥ (١٤ يونيو - ١٣ يوليو ١٦٨٤) قرر مراد بك وأعوانه خلع الجزائري، واختاروا بدلاً منه الحاج عبد الله داي الإزميري. وكانت العصبة المتكونة من المستجدين في الإسلام سيدة الموقف، وتتصرف في الأمر بالإبرام والنقض، كما تشاء، وحسب ما يروق لها. وبخصوص دواخل البلاد فلا تردد أية إشارة إليها في المصادر التي تهتم بتاريخ هذه الفترة. وكانت الحياة العامة في طرابلس متركزة على نشاط القرصنة.

## ٢ - القرصنة والقناصل

في النصف الأول من القرن السابع عشر، بدأت الدول الأوربية في تثبيت قنصلها بسواحل إفريقيا الشمالية (بربريا). وحاولت عن طريق المعاهدات الحصول على تحرير الرقيق، ووضع حد للأعمال القرصانية. وقد مثل القرنان التاليان سلسلة متتابعة من الخرق للاتفاقيات والتهديد والغارات، كما رسخت خلالها قاعدة مهينة، وهي الخراج أو الرسوم التي كانت تدفع مقابل عدم الاعتداء على السفن البحرية. فكان يجب على من يرغب في عدم التعرض للمضايقات أن يدفع هذه الرسوم، دون أن يأمن عدم التعرض لتسلط الرؤساء الذين يؤيدهم الدايات والباشوات بصفة علنية أو نسبية.

---

(٣٨) شيد حسين بالقرب من شارع الشط مسجده الجميل بمثلثة جميلة، وقد انتهى في جمادى الثانية من عام ١٠٩٩ (أبريل ١٦٨٨). وتقوم بالقرب منه داره الريفية الأنيقة التي كانت تضم عدداً من الحريم من المسيحيات الشابات. وقد كان حسين من المستجدين في الإسلام. ويقال ان أصله من كالابريا - فيرود ص ١٥٠.

ولم تستطع الدول الكبرى، في ذلك الوقت، مثل فرنسا وإنجلترا وفينيسيا، وبومنتي - فيما بعد - أن تضع حداً لجشع القراصنة، والعمل على تأديبهم إلا على فترات زمنية ومراحل. أما الدول الصغرى، فقد كان عليها أن تخضع لدفع الرسوم حتى سنة ١٨٣٠ التي قضي فيها على القرصنة بصفة نهائية.

إن نظام فرسان مالطا، بمركزه في البحر الأبيض المتوسط، ونظام فرسان القديس ستيفانو والقديس ماوريزيو ولازارو، إنما أنشئت جميعها لمواجهة حملات القراصنة. وقد حاولت أن تحد من جراءة القراصنة الطرابلسيين والتونسيين والجزائريين، ولكنها لم تستطع أن تمنع شياطين البحر من مهاجمة السفن والتوغل حتى في خلجان البحر الأبيض المتوسط وموانئه، تنهب السواحل وتأسر الرجال وتسبي النساء والأطفال. وكانت سواحل صقلية ونابولي أكثر تعرضاً لهذه الهجمات.

وقد انتزعت فرنسا وإنجلترا الأسبقية لإقامة علاقات قنصلية بطرابلس، وترد أولى الإشارات إلى وجود قنصل أو وكيل قنصلي لفرنسا بطرابلس في العشر الأولى من القرن السابع عشر، وإن كان ذلك بشكل متقطع. وفي سنة ١٦٣٠ أرسل الملك لويس الثالث عشر (برينقيير Bèrenquier) إلى طرابلس فعمل على تحرير الأسرى من مواطنيه، وترك قنصلاً لفرنسا هو دو مولان<sup>(٣٩)</sup> Du Molin. وفي سنة ١٦٤٠ استقر بطرابلس تاجر فرنسي اسمه (بايون Bayon) واستطاع أن يكسب نفوذاً واسعاً مكنه من أن يعمل ويتصرف كقنصل، في حماية مصالح الفرنسيين، رغم عدم حصوله على هذا المركز بصفة رسمية. وتصرف مثله أيضاً تاجر من مرسيليا اسمه (استيين Estienne). ولكن العلاقات المنظمة المنتظمة بين فرنسا وطرابلس لم تبدأ إلا في سنة ١٦٨٠، وعلى ذلك يبدو أنه من الواجب أن يعترف للإنجليز بأسبقية إقامة علاقات قنصلية مع طرابلس، وإنشاء قنصلية بها. ويعتقد فعلاً أنه منذ سنة ١٦٥٤ قام الأميرال (بليك Blake) بتنصيب قنصل بطرابلس. ومن الثابت على كل حال أن الأميرال

(٣٩) معلومات مستقاة من مخطوطة جيرارد ج ٢ - فيرود ص ٩٢ - ماسون ص ٦٠.

(ستوك Stookes) قد ترك في سنة ١٦٥٨ قنصلاً بطرابلس هو (صمويل توكر Samuel Toker). ولا يبدو أنه كان للبندقية في القرن السابع عشر قنصل خاص بها في طرابلس، وكان أمر حماية المصالح التجارية المحدودة القائمة مع بربريا، والمشاكل الناشئة عن الاعتداءات موكولاً إلى ممثلها (بايلو Bailo) في القسطنطينية. على أنه يبدو أن القسطنطينية كانت في سنة ١٦٧٦ - ١٦٧٨ بسبيل إقامة علاقات أكثر مباشرة مع طرابلس. وتفصيل ذلك نوردّه فيما يلي:

كان الداوي إبراهيم مصر وغلو الذي فر من طرابلس عام ١٦٧٦ قد أجرى اتصالات في القسطنطينية، للعودة إلى حكم تلك البلاد، وتعيينه والياً عليها، (باشا). وقد أجرى في ذلك الوقت مع محمد الحفصي<sup>(٤٠)</sup> الذي حصل على نفس المنصب، بالنسبة إلى تونس، مباحثات مع ممثل البندقية (موروسيني Morosini) من أجل إقامة علاقات صداقة وتجارة بين الولايتين والبندقية. وتقضي الاتفاقيتان اللتان حررت نصوصهما بأن تقوم ثمانى سفن بندقية، أربع منها برخصة طرابلسية وأربع برخصة تونسية، بالتردد على مرافئ طرابلس للقيام بأعمال الاستيراد والتصدير، دون التعرض لأي اعتداء من القراصنة. وقد هيأ موروسيني نفسه للتوقيع على الاتفاقيتين، بعد أن حصل على موافقة مجلس الشيوخ البندقي (السناتو)، لولا أن تونس وطرابلس رفضتا استقبال الواليين.

وقد استطاع محمد الحفصي باشا فقط أن يسيطر في ١٦٧٨ على ولايته، ووقع معه السفير البندقي الاتفاقية المذكورة في السنة ذاتها، ولكنها لم تدخل حيز التنفيذ، إذ تعذر على الباشا أن يمارس سلطة قوية في تونس التي أقصي عنها، وأعيد إلى القسطنطينية في ١٦٨٠<sup>(٤١)</sup>.

ولم يفلح مصر وغلو في الحصول على مساندة الباب العالي لتمكينه من

(٤٠) معلومات مستقاة من مخطوطة جيرارد ج - فيرود ص ١١١ - ماسون ص ١٦٩.

(٤١) هكذا وردت في الوثائق الفينيسية المذكورة. أما روسو في كتابه (الحوليات التونسية) فقد ذكرها

(الحفصي) ص ٦٢.

(٤٢) روسو ص ٦٣.

السيطرة على ولاية طرابلس. وقد أوضح ذلك السفير البندقي في رسالة مؤرخة في ٦ أغسطس ١٦٧٨، بعث بها إلى مجلس الشيوخ لقد استطاع (Capsa Bassa) الحصول على تعيينه والياً على تونس، بعد أن اقتسم الوزير الأكبر ووزرائه ثماني بورصات ثم ستمائة أخرى. ولكن المصروغلو لم يستطع أن يظفر بهذا النجاح بالنظر لقلّة ماله، وتمكن فقط من الحصول على وعد الوزير بمساعدته وإزاحة الباشا الحالي لطرابلس فور دفعه هدية لخزانة الوزير قيمتها ثلاثمئة (بورصة).

هكذا كانت القسطنطينية تنظم توزيع المناصب، وإدارة المقاطعات، وهكذا أيضاً فشلت مبادرة السفير موريوسي في إقامة علاقات تجارية أكثر أمناً مع طرابلس.

وتبين فيما بعد أن المدعو نيكولو باربيك Nicoló Barbich من بلدة (سلفيه Selve) قد طلب في سنة ١٦٨٣ تعيينه قنصلاً بطرابلس التي أقام بها خمس سنوات في الأسر. وعندما سئل الحكماء الخمسة (Cinque Savi) عن رأيهم في إنشاء قنصلية بطرابلس لاحظوا ضعف المبررات التجارية لإقامة مثل هذه القنصلية، وركزوا على الاعتبار الخاص برعاية الأسرى من مواطنيهم<sup>(٤٣)</sup> وحمايتهم. وكان التنافس الفرنسي - الإنجليزي والتنافس الفرنسي - الفينيقي (البندقي) بخصوص الامتيازات القنصلية والنفوذ السياسي في الولاية، في كثير من الحالات، سبباً في تعكير العلاقات المتبادلة بين هذه الدول<sup>(٤٤)</sup>. وسوف نجد الفرصة للتحدث عن هذه الخلافات فيما يلي من الفصول.

إن التأريخ للقناصل بطرابلس معناه سرد تاريخ المدينة. فما أكثر ما تدخلت

---

(٤٣) استخلصت هذه المعلومات المتعلقة بمفاوضات بايلو موريوسي في ١٦٧٦ - ١٦٧٨ وإنشاء قنصلية بطرابلس في سنة ١٦٨٣ من المقال التالي:

D. Levi, Le relazioni fra Venezia e la Turchia dal 1670 al 1684 e al formazione della Sacra Lega, in arch. Veneto - Tridentino, VII 1925 p. 1 - 46 - VII (1925) p. 40 - 100 XVII (1026) p. 97 - 155.

(٤٤) أنظر ما يلي من الحديث عن هذه العلاقة في الصفحات التالية.

الدول الكبرى، وما أضخمهم ما آل إليه نفوذها وتأثيرها على الأحداث التي آلت بالمدينة.

### ٣ - الحاج عبد الله داي (١٦٨٤ - ١٦٨٦) - إبراهيم تارزي داي (١٦٨٦ - ١٦٨٧)

في عهد الداي الحاج عبد الله تلقى القراصنة الطرابلسيون درساً قاسياً على يد الفرنسيين: كانت قد قدمت في سنة ١٦٧٧ إلى ملك فرنسا مذكرة ينصح فيها بتوجيه حملة على قراصنة طرابلس الذين كانوا يتفرون في ذلك الوقت على سبعة مراكز حكومية، ومثلها مراكز خاصة. وتقول المذكرة إن أكثر من ثمانئة أسير فرنسي يوجدون بطرابلس، وهم مرغمون على أعمال المجذاف على ظهور السفن الطرابلسية. وأن سفيتين فرنسيتين سلبتا وتعرضتا للهجوم في سنة ١٦٧٦، بينما كانتا راسيتين بميناء قبرص<sup>(٤٥)</sup>. وفي سنة ١٦٧٩ أرسل القائد (دي فالبليل De Valbell) لعقد اتفاقية تحمي السفن التجارية الفرنسية من الهجمات المتتالية، ولكنه لم ينجح في مفاوضاته. وأرسل الأميرال (دوكين Duquesne) إلى المشرق لمعاينة قراصنة طرابلس على نحو ما فعل مع قراصنة تونس والجزائر، وقد فصل من أسطوله فرقة بقيادة المركيز (دوفر فيل D'Aufreville) اصطدمت في مياه المورة بست سفن طرابلسية. كانت سفينة القيادة فيها تدعى (القمر) وتتوفر على ٦٥ مدفعاً وخمسةة بحار، وقد لجأ قراصنة طرابلس إلى ميناء (كيوس). فقام المركيز دوفر فيل والأميرال دوكين بمحاصرتها وضربها رغم احتجاج ضباط الباب العالي حتى أذعن للشرط المفروضة<sup>(٤٦)</sup> بإعادة الأسرى الفرنسيين وإحدى السفن واحترام السفن التجارية الفرنسية في المستقبل (٢٧ نوفمبر ١٦٨١).

ورغبة في ضمان فرنسا لحقوقها بطرابلس، أوفدت القنصل (دي لا مجدلين De la Magdaleine)، ولكن الطرابلسيين لم يلبثوا أن خرقوا الاتفاقيات،

(٤٥) J. B. Labat, Memoires du Chevalier d'Arvieux, Paris 1735 vol V p. 413 - 419

(٤٦) رواردي كارد ص ٢٤٣.



واستأنفوا في سنة ١٦٨٢ مهاجمة السفن الفرنسية، واعتقلوا القنصل (دي لا مجدلين) في مقره. وقد رد الفرنسيون على ذلك فقام الأميرال دوكين في سنة ١٦٨٣ والمارشال دي استريز D'Estrées في سنة ١٦٨٥ بضرب مدينة طرابلس<sup>(٤٧)</sup>. وفي هذه السنة أيضاً عدلت نصوص اتفاقية سنة ١٦٨١. وكانت الشروط الجديدة أكثر قسوة، وهي تظهر في فرنسا التي كان يحكمها لويس الرابع عشر، إرادة قوية صارمة. وقد تضمنت حرية التجارة بين البلدين، وحصانة السفن التجارية، ونصت المادة الخامسة على التعويض عن السفن والبضائع المنهوبة منذ سنة ١٦٨١، وقدر التعويض بمبلغ ٦٦٦، ١٦٦ من القروش الإشبيلية، تدفع بعضها نقداً، وبعضها في شكل منتجات محلية مثل الجلود والشعر. إلخ. كما فرضت أيضاً إعادة جميع الرعايا الفرنسيين أو الأجانب الذين كانوا يسافرون تحت الراية الفرنسية ممن استرقوا منذ سنة ١٦٨١، أو قبل هذا التاريخ، حتى تاريخ المعاهدة (المادة ١٢).

وقد حددت بعض المواد الأخرى أن القضايا بين الفرنسيين يكون أمر البتّ فيها موكولاً إلى القنصل وحده. أما القضايا المتعلقة بالنزاع بين الفرنسيين والأتراك أو العرب فيتم النظر فيها أمام الديوان بحضور القنصل. ويحق للقنصل أن يمارس في مقر قنصليته الطقوس المسيحية، وأن يرفع فوق مقره أو زورقه العلم الوطني. ويفهم من بعض الإشارات الواردة في المادتين (١٢) - (٢٧) أن السفن الطرابلسية لم تكن في ذلك الوقت بالميناء، ولكنها كانت خارج الميناء في غزوات، ويلاحظ أنه قد ورد أيضاً ذكر درنة، مما يدل على انتعاش تجاري في ذلك الوقت.

وقد طلب الداي العجوز الحاج عبد الله، عفو ملك فرنسا في رسالة ذليلة حملها يوسف خوجة الدفتر دار الكبير ومحمد خوجة وأربعة أشخاص آخرين برتبة (بلوك باشي)<sup>(٤٨)</sup>.

(٤٧) رواد دي كارد ص ٢٤٤ - ماسون ص ١٧٠ - ١٧١ - فيرود ص ١٥٧ - ١٦٢.

(٤٨) ترجها فيرود في حولياته ص ١٦٥ - ١٦٦ - برنياس ص ١٩١ - ١٩٣.

وقد خَلَف طرابلس في ١٦٨٥ والاتفاقية الناتجة عنه أثراً قوياً في نفوس الطرابلسيين. وطبقاً للروايات المحلية فإن الحاج عبد الله قد نصح من قبل بعض أعيان المدينة بالانصياع إلى شروط الفرنسيين. وكان من هؤلاء الناصحين عمر محمود بن فشلوم<sup>(٤٩)</sup>، وهو من زليطن. وكذلك بنو المكني. وغيرهم. وقد حاول مراد بك المالطي أن يعرقل عقد هذا الصلح الذي كان في حقيقته استسلاماً تاماً، وضربة قاسية لكبرياء القراصنة الطرابلسيين ومصالحهم. إذ أطلق سراح أكثر من ألف ومئتي أسير مسيحي دون دفع أية فدية<sup>(٥٠)</sup>.

ويكتب المؤرخ الطرابلسي ابن غلبون معلقاً على ذلك في مرارة وألم (فمن يومئذ تقوى الإفرنج في البلد، وعلا شأنهم، واشترطوا في صلحهم ذلك أموراً لا يلتزمها مؤمن يوقن بقاء الله ووعدده. منها دخول طاغيتهم كائناً من كان بنعله على ملكها، يطاءً بساط ملك خليفة الله ورسوله في الأرض، ويمشي كبيرهم شاهراً سلاحه بين يدي الملك. وأن لا يحاكموا مسلماً في خصومة إلى الشريعة المطهرة، وإنما تكون الحكومة بدار كبيرهم. أيقظ الله لهم ملك الإسلام وأعانهم حتى يردهم إلى الصغار)<sup>(٥١)</sup>.

وكان مراد المالطي يكره مسلك الأتراك، ويستقبح سلوكهم السيء في الحكم، فكان لذلك يفضل العيش في الدواخل، ولا يكاد يقيم بالمدينة إلا قليلاً. وقد استعان، بمنصور بن خليفة الترهوني في إضعاف المحاميد وتشتيتهم بعد أن طغوا وتجبروا على سكان الدواخل. كما حاول بعد ذلك أن يواجه أيضاً طغاة الأتراك، فاستعان عليهم أولاً بمراد الفوشلي صهره، وحسين قبطان. ثم

(٤٩) أنشأ عمر بن عبد الله فشلوم مسجد فشلوم الواقع قرب الشارع الكبير بتاريخ ذي الحجة ١٠٩٠ (٣ يناير - ١ فبراير ١٦٨٠).

(٥٠) فيرود (الحوليات الطرابلسية) ص ١٦٤ حيث أورد تقريراً هاماً كتبه بقي دي لأكرو مترجم ملك فرنسا للغتين التركية والعربية. وكان قد رافق حملة استريز. ويذكر أن عدد سكان مدينة طرابلس في ذلك الوقت أربعون ألف نسمة منهم ٣٥٠٠ من الأتراك و٣٥٠٠ من العرب و١٥٠٠ من المسيحيين بما في ذلك الأسرى. وتتوفر على إحدى عشرة سفينة حربية وثلاث غليوبات، ويتألف الجيش من ١٢٠٠ من السباهيس الأتراك والقولوغلية. الخ.

(٥١) ابن غلبون ص ١٤٠ (١١١).

فكر في أن يكيد للاثنين ويتخلص منهما. فاحتال أولاً في القبض على مراد الفوشلي فكتب إلى حسين كلايحي، وعبد الله داي، وإلى بني فشلوم، بإرساله إليه مقيداً في ترهونة. فلما وصلوا إلى مراد المالطي (يعين الوزغة) بترهونة قتلهم وكتب إلى الداي، وإلى بني فشلوم يطلب إرسال حسين كلايحي، فلما قبضوا على حسين، وخرجوا به لتسليمه إليه مروا به على مقبرة سيدي حمودة التي كانت خارج باب المدينة، فصاح حسين بالجند الذين كانوا يستروحون ويشترتون ما يحتاجون إليه بتلك الساحة. واستغاث بهم فانتزعوه من حراسه انتزاعاً، وأدخلوه المدينة، وسدوا أبوابها (١٥ ربيع الأول ١٠٩٧ فبراير ١٦٨٧) فقتل بمساعدة الجند عمر وحمود ابني فشلوم، وحبس الحاج عبد الله داي، وبائع التارزي إبراهيم. وكانت قيادة الجيش ولقب (بك) من نصيب التركي محمد المعروف باسم (صقال دلسي) الذي استطاع بمعونة المحاميد التغلب على مراد المالطي ودحره، قرب تاجوراء، بعد أن تحلى عنه العرب من أولاد شبل، وخذلته بقية القبائل الأخرى<sup>(٥٣)</sup>. ويقال إن أحدهم قد أكل من لحمه<sup>(٥٤)</sup>.

وكان إبراهيم تارزي رئيساً اسمياً. أما الغالب على الحكم والسلطة والمهيمن على الشؤون الطرابلسية فقد كان حسين كابودان كلايحي الذي تخلص في النهاية من صنيعته، في نهاية سنة ١٦٨٧، وخلعه وبائع (قاردغلي محمد الإمام) - وهو من الجبل الأسود - (مونتيجرو). وكان قبل ذلك إماماً لأحد المساجد.

#### ٤ - قاردغلي محمد الإمام باشا (١٦٨٧ - ١٧٠١) وخلفاؤه

لقد رأى الداي الجديد الذي حنكته التجارب، وتوفرت له فطنة واسعة أن لا سبيل لترسيخ النظام، في الجهاز الحكومي، وضمان السلم، إلا بالتخلص من الطاغية حسين كابودان. واستطاع أن يكسب في هذا الخصوص تعاون رجال البحر الذين سلموه إليه عقب عودته من إحدى الحملات، فقتله وزميليته

(٥٢) هل هم بربر فساطو؟ (دي أغسطسني ص ٣٢٠).

(٥٣) ابن غلبون ص ١٤١ - ١٤٢.

مصطفى صرك وإبراهيم صغجكلي، وقطعت رؤوسهم وعرضت بأعلى دار البارود<sup>(٥٤)</sup>. وانتزع من أحمد الفرطاس رئاسة الجند، وولاها الحاج عثمان الأناضولي، ثم عزله عنها وولاها (كنعان)<sup>(٥٥)</sup> وهو من المشرق. أما رئاسة الفرقة البحرية فقد أسندت إلى خليل. وهو من بلد الداي (قرادغلي). وقد سبب له حوادث خطيرة مع فرنسا، نتيجة استيلائه على بعض السفن الفرنسية. وعندما احتج القنصل الفرنسي لويس لامير Louis Lemaire على هذا التصرف، أودع السجن، كما قامت فرقة بحرية فرنسية سنة ١٦٩٢ بقصف مدينة طرابلس، دون أن تظفر بالترضية التي كانت تنتظرها<sup>(٥٦)</sup>، وأخفقت في مهمتها وتدخل الباب العالي أيضاً فأوفد رسولا<sup>(٥٧)</sup> إلى طرابلس في مارس ١٦٩٣ لإقناع الطرابلسيين باحترام السلم مع فرنسا، ولكن دون جدوى، وأطلق سراح القنصل الفرنسي لامير فذهب إلى الجزائر. وعاد في مايو ١٦٩٣ إلى طرابلس بفرقة بحرية يقودها (دنيس دوسولت Denis Dusault)<sup>(٥٨)</sup> فأعاد الصلح باتفاقية وقعت في ٢٧ مايو ١٦٩٣. وقد تأكدت بها شروط اتفاقية سنة ١٦٨١ بالإضافة إلى ما تنص عليه المادة الخامسة من حصول فرنسا للمرة الأولى على الترخيص بنقل أعمدة الرخام من لبة<sup>(٥٩)</sup>، وأماكن أخرى من طرابلس الغرب. كما تقضي بتسليم الأسرى الذين أسروا في الميناء، دون فدية، أما الذين أسروا في عرض البحر، فيدفع عن كل رأس فدية قدرها مئة وخمسون قرشاً إشبيلياً<sup>(٦٠)</sup>. وأخذت

(٥٤) أنظر ما تقدم ذكره عن دار البارود في الفقرة السادسة من الفصل الثاني القسم الثاني من الكتاب.

(٥٥) ابن غلبون ص ١٤٣ - ١٤٤ (١١٣ - ١١٤).

(٥٦) يرى ابن غلبون أن محمد باشا قد تميز بإقدامه على تحصين المدينة ص ١٤٤ (١١٥).

(٥٧) وصل القابجي: أي مندوب السلطان محمد آغا إلى تونس في شهر فبراير في ذلك العام على ظهر سفينة فرنسية. وقد تولى القنصل الفرنسي استقباله.

(٥٨) أنظر ما ذكره ابن غلبون في الخصوص ص ١٤٤.

(٥٩) غراند شامب ٨ ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٦٠) روارد دي كارد ص ٢٥٣. ماسون ص ١٧٣ - ١٧٥.

فيرو ص ١٨٣ - ١٨٤ غراند شامب ٨ ص ٤٦٨ - ٤٧٢.

هية فرنسا ومركزها بطرابلس يساويان مركز انجلترا التي أتيح لها أن تفرض سطوتها وتؤكد نفوذها، بقوة، منذ نهاية ١٦٥٨ ثم في ١٦٧٥ - ١٦٧٦. وقام محمد داي أيضاً بتأكيد الصلح مع<sup>(٦١)</sup> انجلترا في ٧ مايو ١٦٩١. وقد استطاعت انجلترا في ١١ أكتوبر ١٦٩٤، في عهد القنصل (توماس بيكر Thomas Baker) أن تقنع محمد داي بالاعتراف لها بامتيازات أكثر، تختص بقنصلها وعلمها<sup>(٦٢)</sup>، كنوع من المواجهة والتوازن مع النفوذ الفرنسي.

وقد طالت أيام محمد داي الذي يلقبه ابن غلبون بلقب الباشا<sup>(٦٣)</sup> - مما يدل على حصوله على هذا التعيين من السلطان - وأحبه الشعب والجند، ولكنه اضطر هو الآخر إلى أن يواجه بعض محاولات التمرد في المدينة، ومحاولات الثورة في الدواخل. فما كاد محمد داي يستلم زمام الحكم حتى اتفق مصطفى شرياني مع بعض الجند للإطاحة بمحمد داي، وخلع بيعته. فلما أحس بهم خليل قاردغلي تسليح وهاجم المتآمرين وقتلهم. وقد سر محمد داي بذلك، وقرب إليه خليلًا وجعله قائداً للسفن وعقد له على ابنته «زينوبة».

وقامت في الدواخل ثورة خطيرة بقيادة منصور بن خليفة (من ترهونة) الذي كان مكروهاً من قادة الجند الأتراك لما قدمه من عون في الماضي إلى مراد المالطي. وقد استاء منصور من تصرفات الأتراك ونظامهم ورفض دعوة المثل بين يدي محمد الإمام باشا، فبعث إليه جيشاً كبيراً بقيادة يوسف بك<sup>(٦٤)</sup> الذي سار تحت لوائه كثير من العرب، من أعداء منصور والحاquدين عليه. فلما بلغ منصور نبأ الحملة فر نحو الشرق، ودعا قبائل سرت لمساعدته. وقد تصدى للأتراك وحلفائهم في موقع يقال له (أم اللجن) بين تاورغاء والهيشة، وكبدوهم

(٦١) يوجد نص التصديق على الصلح لدى (هرتسلت) وهو بتوقيع محمد داي وكنعان بك وقاسم كاهية ومحمد آغا.

(٦٢) هرتسلت ص ١٢٥.

(٦٣) ابن غلبون ص ١٤٦ (١١٦).

(٦٤) أرى أنه يوسف الذي ينتمي إلى أسرة المكيني. ويقول فعلاً ابن غلبون إنه علي المكيني أخوه (ص ١٤٩) (١١٩) وأسرة المكيني التي أعطت لطرابلس علماء وقادة من ذوي الشأن والمكانة، يبدو أنها وفدت من تونس خلال الفترة الأولى من الاحتلال التركي.

هزيمة فادحة (آخر رجب أو أوائل شعبان من عام ١١٠٨ هـ) (فبراير أو مارس ١٦٩٧). وتعرض يوسف بك للنقمة والغضب، وعزله الداوي عن قيادة الجيش التي سلمها إلى صهره خليل. وأزدهى منصور خليفة بهذا الانتصار فطغى وتجبر وأساء معاملة الناس، وتوجه إلى برقة، فأمر الوالي عامله على الجبل الأخضر محمد بن محمود بملاحقته ومقاومته. فجمع لهذا الغرض جنوده وأقواماً من درنة وبنغازي (ومن أصلهم من مصراتة وزليطن والقولوغلية) والعرب والموالين من الجبازنة والبراغيث وأولاد برعوص (البراعصة) وأولاد علي فاجتمع لديه منهم ألفان ومئتان من الفرسان. وقد هاجمه عرب برقة فهزموه وطاردوه واستولوا حتى على حريمه. ومات بعد ذلك بموقع يعرف باسم (قرارة بن جدي)، وهي محل حُرث بين زليطن ومصراتة، في ١١٠٩ (١٦٩٧ - ١٦٩٨) في معركة مع خصمه عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي، ومن انضم إليه من أولاد عبد الرحمن الجبالي وأولاد زيان وأولاد سلطان تاورغاء وبني معدان والقولوغلية بمصراتة<sup>(٦٥)</sup>.

وقام عبد الله بن عبد النبي بشورة، يدعمه في ذلك أولاد سلطان من تاورغاء، فنشر الدمار والخراب في مصراتة وزليطن، بلد الفواتير. حتى خرج إليه خليل في حملة عسكرية فهزمه قرب تاورغاء (١٦٩٩ - ١٧٠٠)<sup>(٦٦)</sup>.

وفي سنة ١١٠١ هـ (١٦٨٩ - ١٦٩٠) رفض الناصر، صاحب فزان، دفع الخراج. فوجه إليه حملة بقيادة يوسف بك، فقاتله قرب مرزق، دون أن يحقق نتيجة حاسمة. وكان بالحملة من أولاد المكني علي ومحمد الغزِيل اللذان أغريا محمد باشا بالحملة وزينا له سهولتها. وقد غضب يوسف بك عليهما، وتوعدهما بالشر، ولكنها استطاعا أن يسلكا سبيل الحيلة والمكيدة، فاستطاعا أن ييثا بذور الشقاق بين خصومهما، وسلم الناصر نفسه إلى يوسف الذي استولى

(٦٥) ابن غلبون ص ١٤٥ - ١٤٦ (١١٥ - ١١٧).

(٦٦) ابن غلبون ص ١٥٠ (ص ١٢٠). وفي كتاب: Etats des Royaumes de Berbérie - Tripoli - Tunis et Alger, Rouen 1703 - 1731, p. 1 - 90

وفي رسالة من طرابلس بتاريخ ٢٠ يونيو ١٧٠٠ يتحدث عن (محمد داي أوباشا) كما تنفي الرسالة على قرة يوسف بك الذي كان يعود في ذلك الوقت من إحدى حملاته.

على الخزانة، ثم توجه إلى طرابلس واستصحب معه الناصر الذي أودع السجن.

وتولى أمر فزان - بتكليف من الباشا - محمد الغزّيل. وبعد خمسة أشهر ثار ضده أهل البلد وقتلوه، وبايعوا (تماماً بن محمد) من الأسر المحلية. وخرج علي المكخي على رأس قوة للانتقام لمقتل ابن عمه، واتفق مع تمام، وقاتل محمد بن جهيم الذي أسره وسجنه في سبها. وقد تدخل أخوه يوسف وأفلح في إطلاق سراحه. وحينئذ رأى محمد باشا أنه من الملائم إعادة الناصر إلى حكم فزان. فأخرجه من السجن ونصبه حاكماً عليها<sup>(٦٧)</sup>.

كانت التجارة مع فزان، في ذلك الوقت، ذات وزن واعتبار. وكانت تنقل إليها المنسوجات الذهبية والفضية المستوردة من البندقية، وكذلك النحاس الأصفر. ويجلب منها العبيد والتبر والعاج. وكان العبيد يباعون في أسواق الشرق. أما البضائع الأخرى فتوجه إلى أسواق البندقية وليفرونو ومارسيليا<sup>(٦٨)</sup>.

وتنوه الأخبار العربية المحلية<sup>(٦٩)</sup> بشخص محمد باشا وتصوره بأنه كان (حليماً لين الجانب، حسن السيرة، لم يتخذ أعواناً لخاصته، ولم ير مستعملاً لحرير أو ذهب... كان ملازماً للخمس في الجماعة<sup>(٧٠)</sup>)، يؤم الناس إن غاب من عينه للإمامة بالقلعة، كثير التوقير للعلماء...).

ويقول عنه قنصل فرنسا (دي لالاند De la Lande) إن الرحمة في شخصه أقوى من العدل، وأنه باختصار يمكن أن يضرب كمثال على الشهامة في بربريا).

homme dont la clémence a été plus grande que la justice... en un mot, qui peut être cité comme un prodige de bonté en Barbarie)<sup>(٧١)</sup>.

(٦٧) ابن غلبون ص ١٤٩ - ١٥٠ (١١٩ - ١٢٠).

(٦٨) ماسون ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٦٩) ابن غلبون ص ١٥٤ (١٢٣).

L. Bercher, Lexique arabe - français Alger - 1944 p. 61

(٧٠)

(٧١) ماسون ص ٣٣٤.

وكان يلقب (بشايب العين)، وبهذا الاسم يعرف المسجد الذي بناه بسوق الترك بطرابلس في ١١١٠ هـ (١٦٩٨ - ١٦٩٩). وكان بناؤه على يد ثقته التونسي مصطفى قارباق. كما جدد محمد باشا بناء السوقين المحققين بمسجده (سوق الترك وسوق الحريش) في العالم التالي<sup>(٧٢)</sup>.

وفي سنة ١٦٩٤ أرسل محمد باشا جنوداً لمساعدة داي الجزائر في حربه على (باي تونس)<sup>(٧٣)</sup>، وبعد ستة أعوام طلب مراد باي تونس مساعدة طرابلس على داي الجزائر الذي لم ترق له الهدايا التي بعث بها إليه باي تونس. وقد ذهب خليل بك مع الجنود التونسيين، وقاتل في قسطنطينية وستيف بالجزائر، وتعرض لخسائر فقفّل راجعاً إلى طرابلس<sup>(٧٤)</sup>.

وفي ربيع ١٧٠١ م كان خليل بك بجبل نفوسة، فثار عليه الجيش فظفر بهم في ذلك المكان، وقتل أكثر رؤسائهم، ونزل من الجبل حتى بلغ سهل جنزور، ولم يستطع أن يتحكم في الجيش، فتخلّى عنه وفر إلى تونس<sup>(٧٥)</sup>. وقد

(٧٢) ابن غلبون ص ١٥٤ (٢١٣).

(٧٣) ابن غلبون ص ١٥٥ (١٢٤). يقول قنصل فرنسا بتونس في كتاب:

E. Plantet (Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France avec la Cour, I, Paris 1893 p. 520

إنه قد وصلت يوم ٢٥ أغسطس ١٦٩٤ ثلاثة مراكب وخمسة زوارق طرابلسية وأنزلت برأس قرطاج ما يقرب من ألف جندي لمساعدة داي الجزائر الذي كان مشتبكاً في حرب مع باي تونس. أما المؤرخ العثماني رشيد (ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩١) فيعطي معلومات عن الصدام الجزائري التونسي وتدخل حكومة الأستانة باسم الأخوة الإسلامية والحاجة إلى استخدام سفن ولايات الشمال الإفريقي في تحرير جزيرة (كيرس) من احتلال البندقية. ويذكر أنه قد عين في ذلك الوقت من قبل الأستانة المدعو دستاري محمد باشا (٣ فبراير ١٦٩٥). أما (هامرج ٢٤ من الترجمة الإيطالية ص ٥١٠) فيقول إن اسم الوالي (جاري محمد باشا).

(٧٤) فيرود ص ١٨٧ - ١٨٨. لقد ورد وصف حملة مراد بك على الجزائر في تاريخ قام بترجمته:

A. Cherbonneau (Journal Asiatique) 1851 L. XVII p. 36

(٧٥) في رسالة صادرة من تونس بتاريخ ٨ - ٦ - ١٧٠١ ورد ذكر ثورة وقعت بطرابلس في ١٩ أبريل. وقد أدى طغيان خليل بك إلى انتشار الحقد العام عليه بين صفوف الأهالي. وقد وصل خليل بك إلى تونس في ١٥ مايو واستقبله مراد بك أحسن استقبال. (بلانت: مراسلات بآيات تونس وقناصل مع بلاط فرنسا ج ٢ باريس ١٨٩٤ ص ١٣).



قام هذا الجيش<sup>(٧٦)</sup>، أو قام قسم منه بالمدينة قبل عودة الجيش<sup>(٧٧)</sup> بخلع الشيخ محمد باشا في ذلك العام، ووضعوه فوق سفينة متجهة إلى مصر ونفوه.

## ٥ - عثمان قهوجي داي

وباعوا خلفاً له عثمان قهوجي، ويعرف بهذا اللقب، لأنه كان يطبخ القهوة بسوق الترك، وكانت مهمته مقتصرة على تولي شؤون الخزانة وتفريق رزق الجند<sup>(٧٨)</sup>. وهي بالفعل مهمة الداي في ذلك الوقت. أي أنه موظف إداري في خدمة الجند الذين اختاروه. وقد عين محمد الساقزي قائداً للجيش. وتأكيذاً لمواثيق الصداقة مع فرنسا بعث عثمان داي رسالة بليغة إلى ملك فرنسا<sup>(٧٩)</sup>. ولكنه لم يكد يمضي في الحكم ثلاثة أشهر حتى استبدل بمصطفى داي غليبولي، قائد سفينة القيادة. ولم يتم نقل السلطة بسهولة. فقد قاوم عثمان، وأطلق نيران القلعة على المدينة ثم قبض عليه ونفي مع جميع أتباعه وأعوانه. ولم يبق منهم سوى قائد الجيش<sup>(٨٠)</sup>.

## ٦ - مصطفى غليبولي داي

وقد اتخذ الداي الجديد موقفاً عدائياً صارماً نحو قنصل فرنسا والإرسالية الفرنسيسكانية، بعد أن بلغته الأنباء بسوء معاملة الأسرى الأتراك في مدينة (شيفتافيكييا Civittavecchia) فقبض على أربعة من أعضاء الإرسالية الفرنسيسكانية وسجنهم لمدة عدة أيام<sup>(٨١)</sup>، بينما أكد معاهدته مع انجلترا<sup>(٨٢)</sup>. وكان خليل بك الذي فر إلى تونس<sup>(٨٣)</sup>، قد لحق بعد ذلك بصهره محمد باشا في

(٧٦) ابن غلبون ص ١٥١ (١٢١).

(٧٧) فيرود ص ١٨٨.

(٧٨) ابن غلبون ص ١٥٢ (١٢١).

(٧٩) توجد ترجمة لها لدى فيرود ١٨٩ - ١٩٠.

(٨٠) ابن غلبون ص ١٥٢ (٢١) - فيرود ص ١٩٠ - ١٩٢ (وهو أكثر دقة).

(٨١) فيرود ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٨٢) بتاريخ ربيع الثاني ١١١٣ (٥ سبتمبر - ٤ أكتوبر ١٧٠١) وهي تحمل توقيع محمد بن أحمد (ميرميران) باشا. ولا ريب في أنه اسم الباشا الموفد من الأستانة في ذلك الوقت.

تركيا، وقام بتجهيز سفينة بالأسلحة، وعاد إلى تونس، لمحاولة احتلال طرابلس. وقد استغل التدمير الذي انتشر بين الأهالي من تصرفات مصطفى داي<sup>(٨٤)</sup> فنزل بالزعفران (مكان بسرت) وزحف على طرابلس أثناء غيبة الداوي مع جيشه. واستلم المدينة، وأفسد ذمة الجيش بالوعود بزيادة المخصصات ورفع أجرتهم فخذلوا الداوي مصطفى وسلموه إلى خليل الذي بعثه (١٧٠٢) إلى تاورغاء حيث قتل بها.

## ٧ - خليل بك (١٧٠٢ - ١٧٠٣):

وكان حكم خليل بك مضطرباً كحياته المضطربة. فما كاد يتم له الأمر حتى كان عليه أن يواجه ثورة عرب غريان والمحاميد. فقام في ربيع ١٧٠٣<sup>(٨٥)</sup> على رأس حملة قوية تتألف من ثلاثة آلاف انكشاري وخمسة آلاف فارس وستة آلاف من عرب غريان، فلاحقهم ودخل معهم في معركة بوادي الأربع بينما كان المحاميد يغزون السهل حتى المواقع الريفية المحيطة بطرابلس، ويضايقون السكان. وقد عاد في يونيو ظافراً بعد أن هزم المتمردين<sup>(٨٦)</sup>.

وكما سبق القول فقد كان خليل بك صديقاً لمراد صاحب تونس وكان قد ساعده على داي الجزائر في سنة ١٧٠٢. وحدث أن قتل مراد بك على يد بعض المتآمرين بقيادة إبراهيم شريف الذي أعلن نفسه (باياً) لتونس فحفظ خليل في نفسه حقداً على باي الولاية المجاورة، وصادر عدداً من الخيول التي يملكها إبراهيم شريف أثناء مرورها بطرابلس، وحين طلب إبراهيم إرجاعها رد عليه خليل رداً جافاً<sup>(٨٧)</sup>. يضاف إلى ذلك أن سفينة قرصنة تونسية اضطرتها

(٨٣) انحاز باي تونس إلى جانب خليل بك ضد طرابلس والجزائر. وقد قطعت العلاقات التجارية

بين طرابلس وتونس بناء على تحريض من الجزائر. (بلانت ج ٢ ص ١٥ - ١٦).

(٨٤) حدد للعشرين (قريباً) قيمة (ريال) الذي كان يساوي في السابق ١٣ قريبا.

(٨٥) ابن غلبون ص ١٥٤ (١٢٣) - فيرود ص ١٩٤.

(٨٦) فيرود ص ١٩٤.

(٨٧) ابن غلبون ص ١٥٧ (١٢٦).

الأحوال إلى اللجوء إلى ميناء طرابلس فاحتجزها خليل بكل ما كان فوقها من أحمال ثمينة وعبيد<sup>(٨٨)</sup>. فقام إليه إبراهيم شريف على رأس محلة قوية، يقال إنها كانت تتألف من ثمانية عشر ألف رجل، وقد اصطحب معه عثمان قهوجي، وشعبان بن قره يوسف آغا اللذين<sup>(٨٩)</sup> كانا منفيين بتونس. وقد جرت المعركة إلى الجنوب الغربي من طرابلس في موقع يعرف باسم (طرة)<sup>(٩٠)</sup>. وهزم خليل بك، وأغلق على نفسه المدينة المحاصرة (١٥ ديسمبر ١٧٠٤)<sup>(٩١)</sup>. واكتسحت الجيوش التونسية منطقة المنشية، ناشرة الخراب والدمار. واستمر الحصار مدة تزيد على الشهر. وكانوا يقصفون القلعة، من مواقعهم غربي المدينة، دون أن يفلحوا في إحداث أضرار كبيرة بها، كما لم ينجحوا في نفس أي نقطة من السور، بل إن المحاصرين قد قاموا أثناء الحصار بالخروج من باب البحر، وباغتوا التونسيين، وضربوهم من الخلف، وألحقوا بهم خسائر فادحة. وفي يوم ١٩ يناير ١٧٠٥<sup>(٩٢)</sup> انسحب إبراهيم شريف إلى تونس بمن بقي له من رجال المحلة<sup>(٩٣)</sup>.

وكان خليل من أقوى حكام طرابلس، وقد نوه قنصل فرنسا (كلود لامير Claude Lemaire) بمزايه الطيبة<sup>(٩٤)</sup>. ويقول عنه ابن غلبون: إن هيئته قد

(٨٨) روسو (الحوليات التونسية) ص ٨٧.

(٨٩) ابن غلبون ص ١٥٦ (١٢٥).

(٩٠) ابن غلبون ص ١٥٦ (١٢٥).

(٩١) فيرود ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٩٢) ابن غلبون ص ١٥٦ - ربما كانت هي الخرجة التي وصفها القنصل لامير - فيرود ص ٢٠٠.

(٩٣) طبقاً للأخبار التونسية (بلانتت ج ٢ ص ٢٢) فقد خرج بك تونس يوم ٢٩ أكتوبر ١٧٠٦

على رأس قوة تتألف من عشرة آلاف مسلح وقام بمحاصرة مدينة طرابلس يوم ١٠ ديسمبر،

وحين اضطره الطاعون إلى أن يرفع الحصار غادرها يوم ١١ يناير ١٧٠٥ (هكذا؟) فوصل

تونس في أول مارس. وقد اعتاد يهود طرابلس الاحتفال يوم ٢٣ تبت من كل عام بإقامة

(بوريم) خاص عرف باسم بوريم شريف على اسم باي تونس إحياء لذكرى الحصار الذي

وقع بين ١٧٠٤ - ١٧٠٥ وشكر الله الذي ساعدهم في تلك الظروف العسيرة. وفيها يلي فقرة

من هذا البوريم (في عهد خليل، قائد الجيش، قدم من زرزيس إبراهيم شريف وزحف على

طرابلس بجيش قوي وسفن. وأقام بالقرب من المدينة وحاول الاستيلاء عليها وتدميرها.

وكان حوله من الرجال الأقوياء عشرة آلاف شخص..).

(٩٤) ماسون ص ٣٣٤ - فيرود ص ٢٠٠.

زادت بعد انتصاره على التونسيين (فكان إذا أرسل السرية القليلة من جنده وأتباعه فرّت الأعراب أمامها) وكان أول من اتخذ الحجاب من ملوك طرابلس (هكذا) وأول من لبس الحرير والذهب، وقد نحا في ذلك نحو ملوك تونس. وكان حازماً صارماً في معاملة أتباعه الذين كانوا يخشون سطوته وبأسه<sup>(٩٥)</sup>.

وكان خليل بك رجلاً مستقيماً في علاقاته مع الدول الكبرى. واحتفظ بأوثق علاقات الصداقة مع فرنسا، بفضل المودة والألفة اللتين قامتتا بينه وبين القنصل الفرنسي (لامير). وأوفد في سنة ١٧٠٤ الحاج مصطفى لتحية ملك فرنسا، وعاد في العام التالي يحمل هدايا ورسالة تحية<sup>(٩٦)</sup>. وبينما كانت الحرب مستمرة دون انقطاع<sup>(٩٧)</sup> بينه وبين مالطا ودولة البابا، فقد استولى فرسان مالطا في سنة ١٧٠٣ قرب رأس سبارتيفنتو Spartivents على زورق طرابلسي فوقه سبعون رجلاً. كما استولوا على سفينة أخرى في ١٧٠٥. وفي ٢٥ يونيو من عام ١٧٠٩ فوجئت سفينة القيادة (Capitana) وسفينة طرابلسية أخرى تحت قيادة علي قبطان<sup>(٩٨)</sup>، عند خليج برنديسي Brindisi بالفرقة الموحدة لأساطيل مالطا تحت قيادة (فرا لودفيجو فليوريني Lodvico Fleurigny). وقد هوجمت السفينة الطرابلسية من قبل السفينة (سان جيوفاني) بقيادة الفارس الشجاع فرا جيوسبي دي لانغون Giuseppe de Longon. وقد أبدت السفن الطرابلسية مقاومة بأسلة، وحاولت محاذاة السفينة المهاجمة، إلا أن اشتعال النار - صدفة أو يأساً - في السفينة (كابيتانا) الطرابلسية دفع البحارة إلى إلقاء أنفسهم في البحر. وقد التقطت الزوارق أربعمئة نوتي وخمسين أسيراً مسيحياً فكت عنهم الأغلال.

(٩٥) ابن غلبون ص ١٥٦ - ١٥٧ (١٢٥ - ١٢٦).

(٩٦) فيرود ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٩٧) في مكتبة (لينشي) مخطوطة كورسيكية ٧٤١ - ورفات ١٢٤ - ١٢٨ توجد وثيقة لاتفاق تم بين قنصل فرنسا بطرابلس ١٧٠٤ - ١٧٠٦ وبين مركز الدعوة المسيحية لتحرير (أحمد بايندرلي) أحد رؤساء السفن، وكان أسيراً فوق السفن البابوية. وقد تقرر أن تدفع طرابلس فدية لتحريره قدرها ألف سكودو توجه لصالح المستشفى الذي أقامه القنصل المذكور بالمدينة.

(٩٨) ابن غلبون ص ١٥٨ (١٢٧).

وكانت السفينة الطرابلسية مجهزة بست وخمسين قطعة مدفعية ومئتين وأربعين قاذفة وتحمل خمسمائة نوتي وأربعاً وأربعين أسيراً مسيحياً.

أما السفينة الأخرى فقد كانت تتوفر على أربعين مدفعاً وثلاثين قاذفة حم وخمسين رجلاً، وعشرة أسرى من المسيحيين. وكان بين الأسرى رؤساء بحريان. ولم يفقد فرسان مالطا سوى ستة رجال بالإضافة إلى ٣٩ جريحاً<sup>(٩٩)</sup>. وقد كانت من بواعث حملات خليل الداخلية ضرورة الحصول على الخراج. ويخبرنا القنصل الفرنسي (كلود لامي) بأن خليل بك كان في برقة سنة ١٧٠٦<sup>(١٠٠)</sup>، وبلغ واحة أوجلة، حيث اضطر خلال أربعة وعشرين يوماً من إقامته إلى تقديم التمور إلى خيوله الألف، بالنظر لقلّة الشعير. ثم تحول إلى بنغازي، وأخذ يستعد للتوجه إلى درنة. ولكن صهره محمد باشا توفي في طرابلس أثناء غيابه (أكتوبر ١٧٠٦) فتولى صديقه حسين آغا القيام بأمور الحكم حتى عودة خليل بك. ومن ذلك الحين تولى خليل اسماً وفعلياً كل السلطات الحكومية، وحصل على فرمان من السلطان أحمد الثالث بتعيينه (بليربي) طرابلس بتاريخ أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر من عام ١٧٠٨<sup>(١٠١)</sup>.

وفي نهاية ١٧٠٩ خرج خليل باشا لمحاربة عبد الله بن عبد النبي الصهناجي الذي استولى على القافلة التي كانت تحمل خراج فزان. وقد بلغه أثناء هذه الحملة أن الرايس (إبراهيم ألي) (من الأيا بالساحل الجنوبي للأناضول) قد خلع بيعته، وعين مثله حسين آغا بدلاً منه - فعاد خليل على الفور وعسكر بجيشه في المنشية. فخرج سكان المدينة لمحاربتة<sup>(١٠٢)</sup>. وفي ٢٢

(٩٩) روسي: سيطرة الفرسان إلخ (Arch. Metil) ج ٦ ص ٨١ - ٨٣ وكذلك (تاريخ البحرية الخ... ص ٨٤.

(١٠٠) فيرود ص ٢٠٣.

(١٠١) نشر فرمان وترجمة بابتجر في مقاله:

F. Babinger (Bestallungsschreiben Ahmed III fur Chalili Pasha, Statthalter van Tripolis (Berberie) Von Jahre 1120 - 1708 in mitt. sem. f. Orient. Sprachen XXXIII (1930) II Abteilung, p. 130 - 137.

(١٠٢) ابن غلبون ص ١٥٩ (١٢٨) وقد فتح بهذه المناسبة (باب زناتة) الذي لم يسبق أن فتح من قبل، ثم أعيد إغلاقه كما يقول المؤرخ بعد المعركة.

أكتوبر وجهت طلقة مدفع إلى المدينة فقتلت المألطي (لورنزو حفرانة L. Hafrane).

وفي يوم ٢٥ أكتوبر، أثناء المعركة الدائرة بين أهل المدينة وأتباع خليل باشا قتل (بندتو فيليبي Benedetto Filippi) رئيس الخندق<sup>(١١٣)</sup>. وجيوفاني سفرازيتا G, Sfrazetta وهو بواب القلعة وأصله من فينيسيا.

ولما فشل خليل باشا في استعادة المدينة عاد إلى الداخل، واتفق مع عبد الله الصهناجي نفسه - وهو الذي سبق أن خرج لمحاربته - فخرج إليه القائد الجديد للجيش (قارة محمد) ولاحقه حتى تاورغاء، حيث غدر بعبد الله الصهناجي وقتله، وفر خليل نحو ودان، وحل ضيفاً على الناصر صاحب فزان، ثم توجه إلى مصر، ومنها إلى القسطنطينية، شاكياً عارضاً أمره على السلطان<sup>(١١٤)</sup>.

واستقل إبراهيم (اليلي) بالحكم عاماً كاملاً، تصرف خلاله بحرية مطلقة، وشرّد شيعة خليل باشا قتلاً ونفيّاً، وأحاط نفسه بأهل البلد متخلصاً من النفوذ التركي. وداخله شيء من الشك في (قارة محمد) قائد الجيش وهو تركي من الأناضول، فنحاه عن القيادة، وسلمها إلى محمد حسنين شاوس، ثم إلى صهره محمد بك الملقب (بابن الجن)<sup>(١١٥)</sup> وهو قولوغلي، ومن رؤساء البحرية المشهورين، وقد ظفر بحب الأهالي، وإعجابهم به، لما تميز به من شجاعة ونسب قولوغلي (أبوه تركي وأمه عربية)<sup>(١١٦)</sup>. وقد قام قارة محمد بإثارة عرب غريان وجاء بهم إلى طرابلس للانتقام، فلقية محمد بن الجن بتاجوراء، وقتله، وسقط في المعركة ثلاثمائة متمرّد.

(١١٣) سجل وقائع الإرسالية الفرنسيسكانية المعروف باسم الكتاب القديم (Libro Vecchio)

(١١٤) أنشأ خليل بك بالظهرة المسجد المعروف باسم أحد الأئمة (جامع دوران) ابن غلبون ص ١٥٩ (١٢٨).

(١١٥) ويقال له أيضاً (ولد الجن).

(١١٦) ابن غلبون ص ١٦٠ (١٢٩) - فيرود ص ٢٠٥

أما سرد الأحداث التالية فيرتبط بقيام حكم الأسرة القرمانلية.

## ٨ - قائمة بأسماء ولاية ودايات طرابلس منذ سنة ١٥٥١ حتى سنة ١٧١١<sup>(١٠٧)</sup>:

١٥٥٦ - ١٥٥١	مراد آغا
١٥٦٥ - ١٥٥٦	درغوث باشا
١٥٦٨ - ١٥٦٥	علي باشا
١٥٨٩ - ١٥٦٩	مصطفى باشا
١٥٨١ -	جعفر باشا
١٥٨٥ - ١٥٨٢	رمضان باشا
١٦٠٠	حسين باشا
١٦٠٦	سليم باشا
١٦١١	علي باشا
١٦١٤ - ١٦٠٦	سليمان صفر داي
١٦٣٠ - ١٦١٤	مصطفى شريف داي
١٦٣٣ - ١٦٣١	رمضان داي
١٦٤٩ - ١٦٣٣	محمد ساقزلي باشا
١٦٧٢ - ١٦٤٩	عثمان ساقزلي باشا
١٦٧٢	عثمان ريس داي
١٦٧٥ - ١٦٧٢	بالي شاوس داي
١٦٧٦ - ١٦٧٥	إبراهيم مصروغلي داي
١٦٧٦	إبراهيم شلبي داي
١٦٧٧ - ١٦٧٦	مصطفى الكبير داي

(١٠٧) أنظر أيضاً ترجمة روسي لكتاب ابن غلبون ص ١٩٦ إذ وردت هذه القائمة على وجه يختلف، خاصة عن الفترة ١٥٦٨ - ١٥٨٨ حيث يحف الغموض بتعاقب الولاة وتسلسلهم وأسمائهم. ولقد فضلنا الإبقاء على القائمة كما أعدها المؤلف نفسه.

١٦٧٨ - ١٦٧٧	عثمان بابا داي
١٦٧٩ - ١٦٧٨	آق محمد داي
١٦٨٣ - ١٦٧٩	حسن عبازة داي
١٦٨٣	يلك محمد داي
١٦٨٤ - ١٦٨٣	علي الجزائري داي
١٦٨٧ - ١٦٨٤	الحاج عبد الله داي
١٦٨٧	إبراهيم تارزي داي
١٧٠١ - ١٦٨٧	محمد باشا الإمام
١٧٠١	عثمان قهوجي داي
١٧٠٢	مصطفى غليبولي داي
١٧٠٩ - ١٧٠٢	خليل باشا
١٧١٠ - ١٧٠٩	إبراهيم أليلي
١٧١١ - ١٧١٠	إبراهيم خوجة
١٧١١	الحاج رجب
١٧١١	محمود أبو موسى



الفصل الخامس  
استمرار العهد العثماني  
قيام الأسرة القرمانيّة  
عهد أحمد باشا القرماني  
١٧١٤ - ١٧٤٥

- \* القرمانيون .
- \* الأحداث التي أدت إلى استيلاء أحمد باشا القرماني على الحكم .
- \* حملات على الدواخل وفزان وبرقة .
- \* القرصنة والعلاقات مع الدول المسيحية الكبرى والقسطنطينية .
- \* شخصية أحمد باشا القرماني .
- \* أعماله .
- \* وفاة أحمد باشا القرماني .

## ١ - القرمانيون<sup>(١)</sup>

يتفق قيام السيادة القرمانيّة في طرابلس سنة ١٧١١ مع قيام أسرة الحسين بن علي في تونس سنة ١٧٠٥، التي استمرت في الحكم حتى سنة ١٩٥٦. بينما ظل النظام الانكشاري في الجزائر قائماً مدة طويلة، واستمر بها حكم الدايات القلق المضطرب حتى سنة ١٨٣٠، دون أن تتمكن إحدى الأسر من جعل الحكم وراثياً فيها.

وينبغي البحث عن الأسباب التي مكنت الأسرة القرمانيّة من السلطة، في تلك الطاقة التي توفرت لأحمد باشا الذي استطاع أن يواجه خصومه ويصمد لهم. ويقضي قضاء ثاماً على كل محاولات التمرد والعصيان، بالإضافة إلى ضعف الجند من الأتراك والمشاركة والإنكشارية الذين وجه إليهم أحمد باشا الضربة القاضية الأخيرة.

لقد نشأ في طرابلس وضواحيها خلال قرنين من السيادة التركية عنصر

---

(١) ثمة دراسات خاصة عن الأسرة القرمانيّة هي :

- ١ - ن. سلوش (طرابلس تحت السيادة القرمانيّة) وقد نشر بمجلة العالم الإسلامي الفرنسيّة ج ٦ سنة ١٩٠٨ ص ٥٨ - ٨٣ - ٢١١ - ٢٣٢ - ٤٣٣ - ٤٥٣.
- ٢ - فادالا (مقال عن تاريخ الأسرة القرمانيّة) وقد نشر بمجلة تاريخ المستعمرات الفرنسيّة ج ٧ - ١٩١٩ ص ١٧٧ - ٢٨٨.
- ٣ - ر. ميكايي (طرابلس تحت حكم القرمانيّة) نشرته مؤسسة (أنترا) بالإيطالية وقد ترجمه طه فوزي إلى العربيّة ونشره معهد الدراسات العربيّة العليا بالقاهرة.
- ٤ - ك. برنيا (القرمانيون) بحث بالإيطالية نشر بمجلة (لييبا) الصادرة بطرابلس سنة ٣ - ١٩٥٣ - (ص - ٥ - ٥٩).

بشري جديد غالب، هو العنصر القولوغلي المتحدر من سلالة الأتراك المتزوجين بالنساء المحليات. وقد أصبح القولوغلية خلال القرن الثامن عشر عنصراً غالباً، له وزنه القوي، في الحياة العامة، إذ يتفوق على الأتراك بقربته إلى العرب والبربر الذين يكونون الأغلبية العظمى من السكان بطرابلس والساحل والمنشية والدواخل. ويتميز أيضاً بقدرته على فهم مشاعر السكان المحليين وحاجاتهم، غير أنه ينبغي عدم المبالغة في تقدير هذه الناحية. فقد ظل القرمانيون أنفسهم، في نظر سكان طرابلس، في ذلك الوقت، دخلاء طغاة منتزعين للسلطة. وعلى كل حال فإنه لم يكن مما يتفق مع طباع سكان طرابلس الغرب المتخلفين الذين تتكون أغليتهم من البدو المنقسمين المتناحرين، أن يكون لديهم نوع من شعور التضامن العام والارتباط بأسرة واحدة. ومع ذلك فإن الانصهار والاندماج بين القولوغلية والسكان المحليين قد أخذ دائماً يزداد ويتطور في نفس أسرة القرماني، فبالإضافة إلى التزاوج فإننا نراه في المراسم الحكومية، وسير الحياة في البلاط. ففي الوقت الذي كانت فيه اللغة الرسمية المستعملة في عهد أحمد باشا هي التركية، بدأ في عهد علي باشا إدخال اللغة العربية التي أصبحت لغة البلاط والدوائر في عهد يوسف باشا. ويمكن أن يقال عن هذا الأخير بأنه كان سيّداً (طرابلسياً) تولى السيادة على طرابلس.

وقد كان في وسعه أن يمنح لسلالته حكومة مضمونة مسالمة لولا طغيان السنوات الأخيرة، والغيرة الجاحدة وطموح الحكم الذي نكب الأسرة القرمانيّة بالصراع بين الإخوة. وأخيراً لو لم يتم احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ فيلفت نظر تركيا إلى آخر الأجزاء من الأراضي الإفريقية التي يمكنها أن تستعيد فيها سلطتها المباشرة.

أما موقف الباب العالي من القرمانيين فيمكن فهمه على ضوء انشغال الدولة العثمانية في ذلك الوقت، ببعض الأحداث الداخلية، ثم التزامها بالدفاع ضد التهديد الروسي، فاعترفت بالأمر الواقع، وخلعت على سادة طرابلس الجدد التعيين الذي سبق أن خلعت على غيرهم مثل محمد باشا وعثمان باشا،

بالإضافة إلى أن الاعتراف بولاية الشمال الإفريقي (بربريا) كان يقترن في الغالب بهدايا سخية تقدم إلى السلطان والحاشية.

وقد سلكت ولايات تونس وطرابلس طريق تلك الظاهرة التي أسفرت عن تكوين ولايات (باشويات) ذاتية وراثية. وبرزت بشكل ظاهر في أطراف الأبراطورية العثمانية، عند نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. فعلي باشا في (جانينا) بالبنانيا الجنوبية. وأبوشاتلي Busciatli في البنانيا الشمالية. ومحمد علي بمصر. وقد تميز انهيار الإمبراطورية العثمانية وتمزقها بتكوين هذه السادات المستقلة في أطرافها النائية. وقد بذل الباب العالي في ١٨٢٠ محاولة قوية للتماسك استطاعت أن تقي أو تؤخر تفكيك الإمبراطورية. وفي إطار هذه المحاولة عادت إليه طرابلس لتعيش مدة ستة وسبعين عاماً أخرى ١٨٣٥ - ١٩١١.

وعلى الرغم من أن أحمد باشا كان ينعم بلقب (أمير المؤمنين) ويستمتع به، إلا أن القرمانيين لم يخلعوا للباب العالي، وظلوا يدعون للسلطان في صلاة الجمعة، وقد طبع اسمه على العملة الطرابلسية المستعملة التي كان خليل بك أول من نظمها.

## ٢ - الأحداث التي أدت بأحمد باشا القرماني إلى حكم طرابلس

كان محمد بن الجن - كما أسلفنا - قولوغلياً، وقد تضاعفت قوته وزادت سطوته بعد الانتصار الذي أحرزه بتاجوراء، فحدثته نفسه بالتخلص من إبراهيم داي بمساعدة شيوخ الساحل والمنشية فحاصره في المدينة مدة ستة عشر يوماً، وفي يوم عيد الفطر (أول شوال ١١٢٢) قام الأهالي بفتح أبواب المدينة، ونفي إبراهيم داي إلى الإسكندرية، ووضع بدلاً منه إسماعيل خوجة، إمام جامع الخروبة، وقد تم تعيينه بناء على إشارة محمد بن الجن. ومن المؤكد أنه كان رجلاً ضعيفاً لا وزن له، وقد أراد محمد بن الجن باختياره له أن يكون أداة في يده يتصرف فيها كما يشاء.

وقد عمل الداي الجديد على التخلص من العناصر التركية، ولم يترك إلا

القليل منها الذي لم يتورط في مشاكل الحكم. ولم تدم حكومة الداي اسماعيل سوى فترة قليلة، إذ لم تزد مدتها على شهرين. ففي مساء اليوم الأخير من ذي القعدة ١١٢٢ (١٩ يناير ١٧١١) استبدله محمد بك بن الجن، بالحاج رجب. وفي هذه الأثناء كان قارة محمد المنفي قد حاول القيام بحركة انقلابية بطرابلس، ولكنه لم يكد يبلغ تاجوراء حتى هزم وفر من جديد إلى غريان.

إن الذي يلاحظ تتابع الأحداث خلال الأعوام ١٧١٠ - ١٧١١ لا بد أن يرى أن حكم طرابلس قد انتهى بصفة تامة إلى محمد بن الجن الذي كان بيده الحل والربط والتعيين والعزل وفق ما يشاء، وما تملي عليه أهواؤه. وقد مكث الحاج رجب مدة قليلة في منصب الداي<sup>(٢)</sup>. وفي شهر يونيو تقريباً تولى ابن الجن هذا المنصب، وأسند قيادة الجيش إلى محمود أبي أميس. وهو أحد ضباط الديوان. وقد سعى هذا الأخير بدوره إلى الاستيلاء على خيوط الحكم في ليلة ٤ يوليو فقتل غدرًا محمد بن الجن وأعلن نفسه حاكمًا على البلاد<sup>(٣)</sup>. وهكذا تعاقب على الحكم، خلال ستة أشهر، أربعة (دايات) هم إسماعيل ورجب ومحمد ومحمود.

(٢) كتب القنصل بولارد Poulard يقول إن حكم هذا الداي لم يدم سوى أربع ساعات (فيروود ص ٢١٠).

(٣) حاولت أن أعيد ترتيب هذه الأحداث التي تتميز باضطرابها واختلاطها في مختلف المصادر. وقد استعنت في ذلك بكتابات ابن غلبون وفيروود (٢٠٥ - ٢٠٦) وبرنيا (ص ٢١٧ - ٢١٨). ويناقض ابن غلبون نفسه. فهو في صفحة ١٦١ يقول إن رجب داي قتله محمود أبو أميس بينما يقول في صفحة ١٩١ إن القتل كان محمد بن الجن. ولا يذكر (فيروود) حكم رجب داي. ومن جهة أخرى فإنه في الاتفاقية المبرمة مع إنجلترا بتاريخ ٢٧ يونيو ١٧١١ كان يبدو محمد بن الجن في منصب الحاكم ومحمود أبو أميس كقائد للجند. (برنيا ٢٠٥ - ٢٠٦). وقد ذكر فيروود التاريخ المحتمل لقتل محمد بن الجن وهو ٤ يوليو. وتؤكد هذا الترتيب للأحداث رسالة صادرة من تونس عن القنصل (أ. سورهايند A. Sorhainde). أنظر: (بلانتت ص ٦٦) وهي بتاريخ ٢٥ يوليو ١٧١١ (أن بك طرابلس قد قتله في يوم ٤ الجاري محمود الذي كان يتولى منصب الخزندار. وقد أعلن نفسه حاكمًا على الإيالة، ويقال أن القاتل هو خوجة سابق لخليل بك، لم يقدم على الاستيلاء على السلطة إلا ليحفظ بها لسيده السابق، وصاحب نعمته. ويقال إنه في طريقه إلى العودة لاستلام منصبه القديم، ويحتمل العكس، أي أن يتشبت بكل قواه بالحكم، ولكن ليس هناك شك في أنه سيهزم. وأن خليل بك سيسترد السلطة للمرة الثالثة).

وقد حان الوقت لأن تظهر يد قوية تضع الأمر في نصابه، وتعيد النظام إلى طرابلس، ولو كان ذلك بثمن فادح من المذابح. وفي هذا الوقت ظهرت على السطح شخصية أحمد القرماني.

قرماني، اسم تركي، نسبة إلى (قرمان) وهو الاسم الذي يطلقه الأتراك على الجزء الجنوبي من الأناضول. ونحن نجهل الزمن الذي استقر فيه القرمانيون بطرابلس. يحتمل أن يكون ذلك قد تم في النصف الثاني من القرن السادس عشر، مع وصول أفواج الإنكشارية الأوائل الذين جاءوا إلى الولاية.

يقول ابن غلبون (هو أحمد بن يوسف بن محمود بن مصطفى القرماني، نسبة إلى القبيل المشهور بأرض الأناضول)<sup>(٤)</sup> ويقول عن جدهم (كان جده مصطفى كبير طائفة من الجند، موقراً مهابةً وأبوه يوسف، نشأ عاملاً ولم يزل كذلك مهابةً موقراً بدار الملك، مشهوراً بها) ولم يتعرض أثناء الحكم التركي لما يتعرض له أبناء القولوغلية، من إهانة وتحقير من قبل الأتراك. وقد تقلد أحمد عمل أبيه. إذ ولّاه خليل باشا على ساحل المنشية. ورغم أن ذكره لا يرد صراحة فليس هناك شك في أنه كان له دور في الأحداث التي روينها عن سنتي ١٧١٠ - ١٧١١. وفي الإشارة السالفة إلى زعماء المنشية الذين أيدوا محمد بن الجن، ضد الداي إبراهيم، يمكننا أن نتعرف أيضاً على أحمد القرماني. لقد كان أحمد القرماني قولوغلياً<sup>(٥)</sup> فهو بالطبع حليف لمحمد بن الجن القولوغلي. وقد ساعده - دون ريب - في إزاحة إسماعيل داي، والقضاء على العناصر التركية التي طوردت في سنة ١٧١٠ مطاردة عنيدة قاسية. حتى ليلاحظ ابن غلبون قائلاً (هكذا انتهى حكم الأتراك وبدأ حكم القولوغية). فهو إذن قد تحالف مع محمد بك بن الجن<sup>(٦)</sup> (الداي فيما بعد) ضد الأتراك، وضد العنصر الوطني البربري العربي، وكان على

(٤) ابن غلبون ص (١٩٠) (١٥٧).

(٥) بخصوص العنصر القولوغلي بالساحل والمنشية، انظر الصفحات من ٣ إلى ٣٠ من الدراسة الهامة التي قام بها (أغسطيني) عن سكان طرابلس الغرب.

(٦) يرى فيرود ص ٢٠٨ أن أحمد القرماني قد تزوج ابنة محمد بن الجن.

استعداد للتخلص من العنصر القولوغلي أيضاً. وقد وجد أحمد القرماني في نفسه في خطر عندما اتفق محمود أبي أميس مع العناصر الوطنية<sup>(٧)</sup> وقتل محمد داي بن الجن في ٤ يوليو ١٧١١، وتولى السلطة مكانه. ولم تتأخر مظاهر العداوة بين محمود أبي أميس والقرماني في الظهور. وطبقاً للروايات المتواترة فإن محمود أبي أميس أمر - بعد أسبوعين من توليه السلطة - أحمد القرماني بالذهاب ضمن بعثة إلى غريان. حيث تلقى أعوان أبي أميس الأمر بقتله هناك. وقد تسرب الشك إلى نفس أحمد القرماني من أمر هذه البعثة فعاد أدراجه ووصل إلى طرابلس<sup>(٨)</sup> يوم الثلاثاء ٢٨ يوليو ١٧١١ - وهو يوم سوق المدينة<sup>(٩)</sup> - وكان أهالي المنشية والساحل المواليين له، قد نادوا به حاكماً، وساعدوه على محاصرة المدينة التي كان له بداخلها أيضاً بعض المؤيدين والمناصرين. وفي مساء اليوم نفسه فتحت المدينة أبوابها للزعيم المنتصر أحمد القرماني، وقتل محمود أبي أميس نفسه حتى لا يقع في يد عدوه<sup>(١٠)</sup>.

واكتفى أحمد القرماني بلقب (بك) وقيادة الجيش، وترك يوسف المكني لمنصب الداي بالقلعة. وكان يوسف قبل ذلك - في عهد محمد باشا الإمام - قائداً لسلاح الفرسان<sup>(١١)</sup>. وانسحب أحمد القرماني إلى المنشية، ولكن أحداثاً جديدة طارئة جرت به إلى العمل والتصرف. إذ كان على السيادة القرمانية أن تؤكد نفسها إزاء خطرين: يتمثل أحدهما في شخص خليل باشا الذي أقصي عن الحكم في سنة ١٧٠٩، وعادت نفسه إلى التطلع إلى الاستيلاء على الحكم بمساعدة الأتراك. أما الخطر الثاني فهو متمثل في الاضطرابات القائمة بين سكان الدواخل. وقد انتصر على الخطرين حظ أحمد القرماني وصموده.

(٧) يرى فيرود ص ٢٠٦ - ٢٠٨ أن محمود أبي أميس نفسه كان عربياً وأن سكان طرابلس من العرب قد بادروا إلى مبايعته.

(٨) ابن غلبون ص ١٦١ - فيرود ص ٢١٠ وهو يؤكد أن ذلك قد وقع في ٢٧ يوليو.

(٩) لعله سوق الثلاثاء الواقع شرقي المدينة في ذلك الوقت.

(١٠) لا يقول ابن غلبون إنه قد انتحر. وقد استخلص هذا الخبر فيرود ص ٢١٠ من رسالة للقنصل الفرنسي بولارد بتاريخ ١ أغسطس.

(١١) ابن غلبون ص ١٦١ - فيرود ص ٢١٠.

كان خليل باشا الموفد من السلطان قد وصل في أوائل أغسطس ١٧١١ إلى ميناء طرابلس، تصحبه فرقة بقيادة (الملا إبراهيم) الذي نزل إلى المدينة صحبة المندوب السلطاني (Qapıgı Bash) وعقد اجتماعاً للديوان بحضور الداي ورجال البحرية، وناقشهم في الوضع مناقشة طويلة. وقرر الطرابلسيون عدم القبول بخليل باشا. وربما رشوا المندوب السلطاني ليقوم بإبلاغ رغبتهم إلى السلطان ورفضهم لولاية خليل باشا عليهم<sup>(١٢)</sup>. ولكن خليل باشا لم يتزحزح عن هدفه، فتابع السفر حتى زوارة، حيث أنزل ثمانئة شخص. واستطاع أن يكسب بالمال تأييد عرب السهل، خاصة أولاد نوير، وزحف على المدينة براً<sup>(١٣)</sup>، وأمر الأسطول بالتوجه إلى محاصرتها بحراً. وأرسل أحمد القرمانيلى جيشه المكون من القبولوغلية والعرب. ووقع الصدام في منطقة قريبة من زواغة<sup>(١٤)</sup>. وهزم خليل باشا وألقي عليه القبض، وقتل، ونقل رأسه فوق حربة إلى طرابلس يوم السبت ٢٩ أغسطس ١٧١١.

وبعد أن توقفت السفن أمام طرابلس، مدة تقرب من أسبوعين، عادت أدراجها إلى تركيا<sup>(١٥)</sup>. وكان من المؤكد، إذ ذاك، أنه كان يعد لتلك المذبحة العامة للأتراك، في سبيل التخلص من آخر خلايا الإنكشارية، وفسح الطريق للعمل الحكومي. وهي المذبحة التي نجد شبيهاً لها في تلك المذبحة التي أقامها محمد علي بمصر للمماليك، بعد قرن من الزمن. كان أحمد القرمانيلى يمتلك بالمنشية، قرب سيدي الهاني، قصراً خاصاً. وقد دعا إليه الجنود والضباط الأتراك فقتلهم جميعاً، واحداً تلو الآخر، فكلما دخل واحد منهم (السقيفة الطويلة)

(١٢) فيرود ص ٢١٠ - ٢١١.

(١٣) فيرود ص ١٥٤.

(١٤) وليست الزاوية كما يقول فيرود ص ٢١٢.

(١٥) ابن غلبون ص ١٩٢ - فيرود ص ٢١١ - ٢١٢. وفي سجل وقائع الإرسالية الفرنسيسكانية (ص ٩٢ من المخطوط) أنه في مارس ١٧١١ اعتنق الإسلام أكثر من خمسين أسيراً مسيحياً، ولكن بعد ستة أشهر من ذلك، قطعوا إرباً إرباً بزواغة (طرابلس القديمة) لانحيازهم إلى جانب خليل بك.



قطع رأسه حتى أتى عليهم جميعاً. ويقال إنهم كانوا حوالي ثلاثمئة رجل. وفي نفس الوقت قامت في المدينة وضواحيها حملة ملاحقة للعناصر التركية أو الموالية للأتراك<sup>(١٦)</sup>. ولكي يبرر أحمد القرماني في هذه التصرفات تجاه السلطان أحمد الثالث، أرسل وفداً برئاسة أحمد بن عثمان، مع هدايا ثمينة وعرائض الجند والأهالي، تلقي ضوئاً على سوء تصرفات خليل باشا واقتراءاته على (المتمردين) الذين طردوه من البلاد<sup>(١٧)</sup>.

وفي العام التالي (أغسطس ١٧١٢) وصل إلى طرابلس الرئيس محمد باشا الملقب (بجانم خوجة) موفداً من السلطان أحمد للاطلاع على الحالة في طرابلس. وقد استقبله أحمد القرماني في المدينة، ولكن أحاطه بعدد من المخبرين وراقبه مراقبة صارمة، وأخذ كل الفتن التي كانت تطل برؤوسها حتى انتهى المندوب من مهمته، وأكمل إقامته، وودعه بكل مظاهر التكريم والمجاملة<sup>(١٨)</sup>.

### ٣ - حملات ضد الدواخل وأخرى بفزان وبرقة

بعد أن اطمأن أحمد القرماني إلى الخارج<sup>(١٩)</sup>، اتجه بجهوده للعمل ضد العرب في الدواخل. ففي صيف ١٧١٣ انتفض سكان تاجوراء، بالتحالف مع سكان ترهونة وقسم من أولاد حامد بن جارية. وقد تمكن من التغلب عليهم، والدخول إلى تاجوراء وترك شقيقه الحاج شعبان بن يوسف حاكماً عليهم. وكان يشغل منصب قائد الفرسان، وبعد ذلك قام المتمردون بمهاجمة الحاج شعبان في

(١٦) اعتمد المؤلف على كتاب عشر سنوات في بلاط طرابلس للمسز تولي من تلخيص (أ. سافين: طرابلس في القرن الثامن عشر) باريس ١٩١٢ ص ٤٣ باللغة الفرنسية.

A. Savine, Tripoli au XVIII siècle, Paris 1912 p. 43.

(١٧) ابن غلبون ص ١٩٢ - ١٩٣.

(١٨) ابن غلبون ص ١٩٣ - فيرود ص ٢١٥ - ٢١٦.

(١٩) يرى فيرود ص ٢١٨ أنه بعد ذلك بقليل قدم على البلاد المدعو (باكير) وهو أحد الباشوات الموفدين من الباب العالي، ولم يكن حظه بأحسن ممن تقدموه ولم يتمكن حتى من النزول إلى البر.

قلعة تاجوراء التي دافع عنها حتى أدركه أخوه بجيش قوي مؤلف من سكان الساحل والمنشية. ووضعت تاجوراء مرة أخرى تحت قبضة الحديد والنار، وفرضت عليها الضرائب الفادحة حتى لا تكون قادرة على العصيان<sup>(٢٠)</sup>. وفي نهاية ١٧١٣ ثار حسين القولوغلي، وانتقل إلى مسلاتة حيث حصل على عون ترهونة، بقيادة بن منصور الترهوني. فنهض لهم أحمد بك بنفسه فشتهم وأحرق نجوعهم وأرغمهم على اللجوء إلى الجبال<sup>(٢١)</sup>. وثمة متمرّد آخر يعرف (بابن عشرين) قد لقي نفس المصير مع بعض زعماء العائلات المشهورة التي تضامنت معه.

وكان هناك مشاغب خطير آخر هو علي بن عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي المعروف باسم (أبو قيلة)<sup>(٢٢)</sup> وهو ينتمي إلى أسرة تحترف النهب، وقد سبق أن أشرنا إليه في الأحداث الماضية. وقد قام في سنة ١٧١٥ بمهاجمة المناطق الجنوبية الشرقية من إقليم طرابلس الغرب. وارتكب أعمال عنف ضد أولاد خليفة الذين قتل منهم ستمائة رجل، وكذلك فعل مع أولاد نصر، كما انتهك أعراض النساء، وجمع حوله كثيراً من الأتباع والمناصرين، مدعياً أنه (المهدي). وقد بلغ برقة، وجنوب الجبل الأخضر، واستولى على قافلة كانت تحمل خراج واحة أوجلة إلى طرابلس. وقد نهض أحمد بك للقائه في منطقة الزعفران قرب سرت وهاجمه بغتة فانتسح معسكره. وتمكن علي من الفرار من هذه المذبحة التي وقع فيها أخوه عبد النبي. وقد عاد أحمد بك إلى طرابلس منتصراً واستقبل استقبالاً رائعاً في مطلع سنة ١٧١٦<sup>(٢٣)</sup>. وما كاد يستريح قليلاً بطرابلس حتى

(٢٠) ابن غلبون ص ١٩٣.

(٢١) ابن غلبون ص ١٩٤.

(٢٢) روسي: الشعر الشعبي بطرابلس الغرب - مجلة (تريبوليتانيا) ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ص ٢٤٣. ولقد أصبح أبو قيلة مضرب المثل في السطوة والقوة.

(٢٣) ابن غلبون ص ١٩٥ - ١٩٦.

إن كثيراً من هذه الأحداث المرتبطة بإعادة سلطة الحكومة على الدواخل، وكذلك الأحداث التي وقعت بين ١٨٣٥ - ١٨٥٨ أثناء العهد العثماني الثاني، تذكرنا، مراحل الاسترداد التي تمت في العهد الإيطالي ١٩٢٢ - ١٩٣٠. فمناطق سرت ومصراتة وترهونة تتردد غالباً في أخبار الاضطرابات الداخلية. كما كانت سرت على الدوام المهدي الرئيسي للثورات.

أغراه (المكني) بقيادة حملة على فزان التي رفضت في ذلك الوقت دفع الخراج. وقد قام أحمد القرمانيلى شخصياً بقيادة هذه الحملة في سنة ١٧١٦، وبلغ مرزق وحاصرها مدة تقرب من عشرة أيام، ولكنه اضطر إلى رفع الحصار والرجوع إلى طرابلس، بعد أن ترامت إليه الأنباء بوقوع اضطراب بها في نهاية ١٧١٦. وقد لحق به مندوبون من صاحب فزان يعلنون خضوعهم ويتعهدون بالتقيد بالشروط القائمة.

وفي خريف ١٧١٨ قاد أحمد القرمانيلى حملة على صاحب فزان بعد أن (ظهر منه من قلة الأدب ما يوجب التوجه إليه) حسب تعبير المؤرخ ابن غلبون. ولعله عني بهذه العبارة رفض دفع الخراج. وفي نفس الوقت هزم أخوه شعبان، علي بن عبد النبي في منطقة (دريدر) قرب مزدة. بعد أن حاول من جديد الخروج على سلطة الدولة. ولم يستطع أحمد القرمانيلى في هذه الحملة أن يسيطر على مرزق التي أغلقها السلطان في وجهه. وانتقاماً من الأهالي الذين رفضوا الخضوع، أباح لجنده وأعوانه نهب البلاد التي لم تستجب له مثل القطرون (إقليم تحت ولاية صاحب فزان، كثير النخل والزراعة، يرده أهل كاوار ومن حوله من جفافة السودان وأهل النوبة).

وكان الجيش الذي أرسل إلى القطرون بقيادة إبراهيم الترياقى الذي أصاب غنائم وافرة اختصها لنفسه<sup>(٢٤)</sup>. كان صاحب فزان في ذلك الوقت محمد ناصر الذي كان قد أرسله إليها محمد الإمام باشا (المعروف بشايب العين).

وقد مات محمد ناصر في سنة ١١٣١ هـ (١٧١٨ - ١٧١٩) فخلفه ابنه أحمد ناصر الذي وجه إليه أحمد القرمانيلى في سنة ١١٤٤ هـ (١٧٣١ - ١٧٣٢) حملة سار فيها ابنه محمد بك قائد الفرسان، وابنه محمود، على رأس المشاة، ثم دعمها بعد ذلك بالقائد خليل بن خليل. وقد أصيب أحمد ناصر بالرعب، فطلب الصلح والترم بدفع الخراج ومصاريف الحملة. وعلم أحمد القرمانيلى

(٢٤) ابن غلبون ص ١٩٦ - ١٩٧.

بذلك فأرسل قوة أخرى بقيادة الكاهية حسن الأحمر، يحمل أمراً إلى ابنه بأن لا يعود دون صاحب فزان.

واستسلم أحمد الناصر وابنه، وجاء إلى طرابلس حيث أقام أحمد القرمانيلى حفلة غربية، بحضور أعضاء الديوان، باع فيها صاحب فزان بفلسين إلى ابنه محمد بك، ثم أمره بالعودة إلى حكم فزان باسمه. وكلف رجب بن الحاج أحمد بن مصطفى بيري بمرافقته. والقيام بتدمير أسوار مرزق. وقد أعيد بناء الأسوار فيما بعد، في عهد محمد باشا، خليفة أحمد باشا وابنه<sup>(٢٥)</sup>.

ووقعت في برقة أيضاً اضطرابات وحركات عصيان. ففي عام ١١٣٢ هـ (١٧١٩ - ١٧٢٠) كان يحكم درنة وبنغازي وجبال برقة الحاج شعبان القرمانيلى أخو أحمد القرمانيلى. وكان ضمن القواد الذين ساروا في ركابه إلى برقة إبراهيم الترياقى وعلي بن خليل الأدمى وهما من القولوغلية، وإبراهيم بليلو. وقد حركهم الطموح وشجعتهم دعوات المدعو مفتاح بن عبد الرحمن الأصفر الذي كان يدعي معرفة المستقبل. فأغراهم ذلك بالثورة والحصول على اعتراف قسم كبير من الأهالي. وقد تحرك القائدان المتمردان من برقة نحو الغرب، وأرغما القبائل الواقعة في طريقهما على الطاعة ودفع الضريبة. وقد تمكن من الاستيلاء على تاورغاء وأسرا القائد المحلي، وحاولا أسر حسين أغا المكلف بجباية الضرائب، ولكنه تمكن من الفرار إلى طرابلس، وواصل السير نحو الغرب، حتى وصلا مصراته، واستملا الأهالي إلى جانبهما، واستوليا على البارود والرصاص المخزن بقصر أحمد (مصراته البحرية) والمعد للدفاع عن تلك المنطقة ضد هجمات السفن المسيحية، وجعا إلى صفيهما بعض المشاغبين الذين يدعون معرفة الخبايا، وزحفا على تاجوراء حيث واجههما فرسان أحمد القرمانيلى فشتتوهما. ثم أعلن أحمد القرمانيلى العفو عن جميع المتمردين عدا الزعيمين علي بن خليل وإبراهيم الترياقى، وقد فر الأول إلى مصر وتاه الآخر في وحشة الصحاري الداخلية<sup>(٢٦)</sup>.

(٢٥) ابن غلبون ١٩٦.

(٢٦) ابن غلبون ص ١٩٧ - ١٩٨ (١٦٣ - ١٦٤).

وحاول (جانم آغا) الذي أشرنا إليه فيما تقدم، والذي قدم إلى طرابلس كمبعوث للسلطان، بعد جلوس أحمد القرمانيلى على كرسي الحكم، حاول أن ينشئ سيادة على برقة، وأن يتحرك منها لاحتلال طرابلس. وكان قد رقي إلى رتبة كابودان باشا، أي أميرال الأسطول العثماني التابع للسلطان أحمد الثالث ١١٢٦ هـ (١٧١٤ - ١٧١٥) وقد عزل بعد ذلك، ونفي إلى (كانديا) بكريت، بعد ثلاثة أعوام من تعيينه. وهناك تمكن من الاستيلاء على سفينة تركية، وشحن فيها كنوزه وأمواله، وحاول بمساعدة بعض المغامرين من جماعته الاستيلاء على أي مقاطعة من ولايات إفريقيا الشمالية<sup>(٢٧)</sup>.

وفي سنة ١١٣٣ هـ (١٧٢٠ - ١٧٢١) استولى على برقة، واعترف به كثير من زعماء البدو، ومنهم عبد الله أبو طرطور الجبالي، وصالح بن سليمان، وسليم بن خالد بن موسى وغيرهم من زعماء الجبل الأخضر، ومرتفعات برقة. وبعث إليه أحمد القرمانيلى حملة بحرية تمكن من التغلب عليها<sup>(٢٨)</sup>، ثم أرسل إليه قوات برية أخرى عن طريق ساحل سرت، تحت قيادة المدعو إبراهيم، واستطاعت الحملة في هذه المرة أن ترغم جانم خوجة على مغادرة برقة في ربيع ١٧٢١. وحاول المغامرة من جديد، عند السواحل الغربية، وانتقل ببعض السفن إلى زوارة، ولكنه لم يجد من الأهالي المساعدة المنتظرة فتخلى عن فكرة الاستيلاء على طرابلس<sup>(٢٩)</sup>.

A. Refik, Tarikhi Simalar Costantinopoli 1331. p. 126 - 136.

(٢٧)

(٢٨) ابن غلبون ص ١٩٨.

(٢٩) فيردو ص ٢٢٥ - ٢٢٦ - سانت إيلر، ويتحدث هذا المصدر (ص ٦٩) عن جانم خوجة الذي عزله السلطان فحاول المغامرة باحتلال طرابلس، وقد دعاه إلى ذلك سكان طرابلس وساعدوه ثم تخلوا عنه بعد ذلك بسبب وعود مغرية من والي طرابلس. وحاول جانم خوجة الاستيلاء على تونس ولكنه انتهى إلى اللجوء إلى قراصنة الجزائر الذين استضافوه. وحاول أيضاً أن يعقد اتفاقاً مع فرسان مالطا للقيام بحملة على تونس. وفي سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ - ١٧٣١) عفا عنه السلطان، وتولى قيادة الأسطول لمدة سنتين ثم عزل ودعي للمرة الثالثة لاستلام نفس المنصب (١١٤٥ هـ) (١٧٣٢ - ١٧٣٣). ولما كان قد أسن وبلغ التسعين فقد نفي في ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ - ١٧٣٧) إلى (كوتاهية) بالأناضول. وكان صديقاً لسفير فرنسا المركزي (فيلانيف Villeneuve) وكانت بينهما مراسلات باللغة الفرنسية (١. رفيق).

وفي سنة ١٧٢١ حيكت مؤامرة بقيادة المدعو ابن الرايس الذي انضم إليه بعض بني علوان، على الأسرة القرمانلية. ولكن المؤامرة التي دبرت ضد شخص أحمد باشا قد منيت بالفشل، وقتل أخوه الحاج شعبان بمنزله، وهرب ابن الرايس، ولجأ إلى بدو المحاميد. وقد قام بالتعاون معهم في سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ - ١٧٢٣) بمهاجمة إقليم سرت، وظل يسيطر عليه حتى هزمه إبراهيم القائد الجديد للفرسان، بعد أن خذله البدو، فأسر ونقل إلى المدينة، حيث نفذ فيه حكم الإعدام<sup>(٣٠)</sup>. وفي ربيع سنة ١٧٣٣ اجتاح المدينة وباء الطاعون، ومات فيه أكثر من أربعة آلاف نسمة. وفي العامين التاليين قاست طرابلس وبرقة كثيراً من أثر الجفاف والمجاعة الناشئة عنه<sup>(٣١)</sup>.

#### ٤ - القرصنة والعلاقة بين الدول المسيحية والقسطنطينية

كان لا بد أن يحتاج أحمد باشا إلى المال الكثير لكي يوسع لأتباعه في الرزق، ويقوم بالتزامات الحملات الحربية المتكررة. وكانت الوسيلة الرئيسية لتوفير الثروة في ذلك الوقت هي القرصنة. وقد ترك أحمد باشا الحرية لرؤساء بحريته في التصرف، حتى ضد سفن الدول الكبيرة التي تقوم بينه وبينها معاهدات صداقة وتبادل تجاري. رغم علمه بضرورة عدم إثارة الدول الكبرى، ودفعها إلى اتخاذ إجراءات رادعة ضده. وهكذا استولى القراصنة الطرابلسيون في سنة ١٧١٣ على سفينة فرنسية محملة بالزيوت، وجاء إلى طرابلس في العام التالي الكابتن (دوكين Duquesne) وحصل على ترصية مناسبة. وقد كان هذا الكابتن ابناً للأميرال دوكين الكبير. ولكي يظهر أحمد باشا حسن نواياه ومشاعره الطيبة نحو فرنسا، أرسل وفداً يحمل هدايا إلى ملك فرنسا تتألف من خيول ونعام وغزلان<sup>(٣٢)</sup>. وتجدد الصلح بين فرنسا وطرابلس.

(٣٠) ابن غلبون ص ١٩٩ - ٢٠٠ (١٦٥ - ١٦٦).

(٣١) فيرود (الحوليات) ص ٢٣٨ - ٢٤٢.

(٣٢) فيرود ص ٢٢٢ - ٢٢٣ - برنيا ص ٢٢٧ - ويخصوص العلاقات مع فرنسا انظر دراسة: ر. ميكايي العلاقات بين مملكة فرنسا وإيالة طرابلس الغرب في النصف الأول من القرن الثامن عشر - المجلة الاستعمارية الإيطالية ١٩٣٤ - ص ٦٥ - ٨١ - ١٥٩ - ١٨٢ - ٢٤٧ - ٢٧٦.

في سنة ١٧٢٠ على أساس الاتفاقية المبرمة في ١٦٨٥. ولا بد أن نلاحظ النص الذي تضمنته المادة السادسة والعشرون والذي يقضي باعتبار الآباء المسيحيين والمبعوثين من أعضاء الإرسالية، أي كانت الدول التي ينتمون إليها، رعايا الملك فرنسا مشمولين بحمايته، بحيث لا يتعرضون لمضايقة في أشخاصهم أو ممتلكاتهم أو كنائسهم<sup>(٣٣)</sup>. وتعكر صفو العلاقات السلمية التي اتفق عليها في سنة ١٧٢٠ إذ نهبت سفينة تابعة لمارسييا عام ١٧٢٢. وطالت المفاوضات من أجل تسوية الحادث، ودفعت هذه المماثلة فرنسا إلى إرسال سفينة حربية في ١٧٢٥ بقيادة الكومندان (دي واتن De Wattan) وفي سنة ١٧٢٧ بقيادة الكومندان (دي مونس De Mons) وفي يوليو ١٧٢٨ بقيادة الأميرال (غراندبريه Grandpré) وقد قام هذا الأخير خلال الأيام الواقعة بين ٢٠ - ٢٦ يوليو بقصف المدينة، فأحدث بها أضراراً بالغة<sup>(٣٤)</sup>. وسافر قبل أن يقرر الطرابلسيون قبول الاتفاق، إذ لم يتم التوقيع على اتفاقية صلح جديدة إلا في يوليو ١٧٢٩، وقد أعاد الطرابلسيون بموجبها السفن المنهوبة ودفعوا تعويضاً، وطلبوا العفو من ملك فرنسا<sup>(٣٥)</sup>.

وفي سنة ١٧٣١، وبينما كانت تمر بطرابلس فرقة من الأسطول التابع لملك فرنسا، نزل بطرابلس المركز دانتين D. Antin وأجرى محادثات مع الباشا حول تنفيذ الاتفاقيات المبرمة، بعد الغارة على المدينة<sup>(٣٦)</sup>، وقامت انجلترا في سنة ١٧١٦ بتأكيد نصوص اتفاق سنة ١٦٦٧ فأوفدت في سنة ١٧٣٠ الأميرال

(٣٣) رواردي كارد ص ٢٥٥ ..

(٣٤) Univers Pictoreque Algérie ecc-Paris 1850 p.1101.

(٣٥) رواردي كارد ص ٢٧٤ - فيروص ٢٢٧ - ٢٣٦ وقد أفاض فيروود في وصف هذه الأحداث .

(٣٦) Nouveau voyage fait en Levant les années 1731 et 1732 par le sieur Tollo Paris 1742.

P. 96 - 104.

(٣٧) يوجد النص التركي للاتفاق محفوظاً لدى القنصلية الإنجليزية وهو لا يطابق تمام المطابقة النص الذي نشره (هرتسلي).

(كافانديش Cavendish) لتأكيد نفس نصوص الاتفاق السابق<sup>(٣٨)</sup>. واهتمت هولاندا أيضاً اهتماماً كبيراً بالاحتفاظ بعلاقات طيبة مع طرابلس، حماية لنشاطها البحري الذي كانت تمارسه بالشرق. ووقعت سنة ١٦٨٣ اتفاقيات صداقة، ثم جددتها في سنة ١٧٠٣. وفي ١٢ سبتمبر ١٧١٢ وصلت إلى طرابلس ثلاث سفن هولندية بقيادة نائب الأميرال (بترسون Peterson) فجدد العلاقات الطيبة مع طرابلس، وأهدى مئة قنطار من البارود وأربعة مدافع من البرونز. وفي أكتوبر ١٧٢٨ أبرمت هولاندا اتفاقية سلم جديدة مع أحمد باشا القرماني الذي أرسل مندوباً طرابلسياً إلى لاهاي لتأكيد مشاعر الصداقة التي يكنها الطرابلسيون للهولاندين. وقد عاد المندوب يحمل إلى سيده أربعة آلاف فيورين وألفين لنفسه وخمسمائة لسكرتيره. ولا بد أن نلاحظ أن الهدايا النقدية، وكذلك هدايا المدافع والذخيرة، التي كانت الدول الكبرى تشتري بها السلم، في ذلة وصغار، إنما كانت تستخدم في إعادة تنظيم القرصنة البحرية<sup>(٣٩)</sup>.

وفي سنة ١٧٤٣ أرسلت بعثة طرابلسية ثانية إلى هولاندا، واستقبلت استقبالاً حسناً كما أحيطت بكل مظاهر التكريم.

وأقيمت مع النمسا علاقات صداقة، بفضل وساطة حكومة القسطنطينية. وفي سنة ١٧٢٦ عقدت اتفاقية تم بموجبها ضمان سفن الإمبراطور من التعرض لانتهاكات القراصنة. وامتد الضمان وتوسع حتى شمل سفن نابولي وصقلية وتوسكانا<sup>(٤٠)</sup>. وقد وصل أول قنصل نمساوي إلى طرابلس في ١٧٢٩.

(٣٨) يوجد نص الاتفاقيتين باللغتين الإنجليزية والتركية بمحفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس بتاريخ ٣ رمضان ١١٤٣ هـ (١٢ مارس ١٧٣١) ويحمل توقيعات أحمد باشا (ميرمران) ونعمان (محافظ) ويوسف (أمير آلاي). إما لقب الداي الذي كان ما يزال موجوداً حتى سنة ١٧١٦ فقد اختفى ولم يعد له وجود في تاريخ طرابلس منذ ذلك الحين.

(٣٩) فيرود ص ٢١٧ - ٢٣٣.

(٤٠) نص الاتفاق المبرم بين شارس السادس وإمبراطور النمسا وحكومة طرابلس نشره نقلاً عن اللغة اللاتينية دي لونغو في كتابه: صقلية وطرابلس المنشور في كاتانيا سنة ١٩١٢ ص ٦٧ =



وهو (جيوسيبي ماير Giuseppe Mayer)<sup>(٤١)</sup>. وكان الصلح الذي عقده شارل السادس قد أثار شعوراً من الأسى لدى (لودفيج موراتوري الأكبر Ludovico Muratori) الذي وسم الدول المسيحية بالعار في حويلاته عن سنة ١٧٢٦، لأنها بدلاً من أن توحد قواها (لسحق أوكار أولئك القراصنة الملاحين، كانت تذهب لاستجداء صداقاتهم الغادرة بالرجاء والهدايا، إن لم نقل بقبول الجزية)<sup>(٤٢)</sup>.

وفي سنة ١٧٤٢ وقعت خلافات بين أحمد باشا وحكومة نابولي بسبب سفينة قرصنة طرابلسية تم الاستيلاء عليها عند سواحل كالابريا. وقد انتقم أحمد باشا لهذا الحادث بأسر بحارة سفينتين نابولتانيتين كانتا راسيتين بميناء طرابلس في ذلك الوقت. وقبض على القنصل النابوليتاني وأسرته. ولم تتم تسوية الحادث إلا في العام التالي، بعد أن قدمت حكومة نابولي الترضية المطلوبة<sup>(٤٣)</sup>.

ونشأت أيضاً خلافات بين مالطا وطرابلس. وكان ذلك أمراً طبيعياً، إذ كان من أهم أهداف نظام فرسان مالطا مطاردة المسلمين. وفي ١١ أبريل ١٧٢٣ استطاعت إحدى سفن مالطا القبض على سفينة طرابلسية في (ليكاتا Licata). وبعد أيام قليلة من ذلك، علم المرشد الأكبر لفرسان مالطا أن سفينة تركية استولت عند بنتالاريا على قارب تابع لمدينة جنوا وآخر تابع لصقلية كانا محملين بالملح. فأمر سفنه بالخروج إلى عرض البحر والقيام بعمليات مطاردة للسفن التركية. وقد قامت الفرقية سان فنشنسو بقيادة الفارس (دي كامبري De Chambray) بمهاجمة سفينة معادية كانت في الواقع السفينة الرئيسية (باترونا) لطرابلس. واضطرتها إلى الاستسلام، واقتادتها إلى مالطا، بعد معركة استغرقت أربع ساعات. وكانت تتوفر على ٤٨ مدفعاً

= والاتفاق موقع بتاريخ ذي القعدة ١١٣٩ من قبل (أحمد) والي طرابلس و(ابراهيم) حامل العلم و(مصطفى) محافظ المدينة و(علي) قائد الإنكشارية و(حسين) قائد الجند.

(٤١) أنظر فيرود حول الأحداث الغريبة التي أحاطت بالقنصل النمساوي ماير ص ٢٣٧.

(٤٢) لونغو (صقلية وطرابلس) ص ٦٣.

(٤٣) فيرود ص ٢٤١.

وتحمل أربعمئة رجل. فأسروا منهم ٢٦٧ رجلاً، منهم عشرون من أسرى الطرابلسيين، وأطلقوا سراح ٣٣ عبداً مسيحياً وماتت البقية في المعركة. وقد فقد المالطيون أربعة من رجالهم وجرح عشرة منهم جروحاً خطيرة<sup>(٤٤)</sup>.

وفي أكتوبر ١٧٣٧ استولى القس (فرديناند دلشي Ferdinando d'Elci) عند مياه (رأس باسيرو Capo Passero) على سفينة طرابلسية من نوع (ترتانا) مسلحة بأحد عشر مدفعاً واثنى عشرة قاذفة حم وبها ٤٥ تركياً واثنان من أحداث الإسلام، أحدهما الرايس بروفنسالي. والثاني من لوكا. وأربعة أرقاء مسيحيون (صقلي وبروفنسالي وكالابري والآخر من خليج فينيسيا على بحر الأدرياتيك).

ومع ذلك كله فإن العلاقات بين القرمانيلى وفرسان مالطا خلال القرن الثامن عشر كانت طيبة إلى حد ما، وكانوا يتبادلون الهدايا والمجاملات والمراسلات الودية، وكانت الحوادث التي تقع دون قصد، من حين إلى آخر، بين سفن الدولتين، تحل بصفة سلمية<sup>(٤٥)</sup>.

وفي مارس ١٧٢٢ حصل أحمد باشا من القسطنطينية على تعيينه الرسمي والياً على طرابلس<sup>(٤٦)</sup> وقد منح لقب (ميراميران، ولقب باشا)<sup>(٤٧)</sup>.

## ٥ - شخصية أحمد باشا القرمانيلى

كان ذلك الرجل الذي أقدم في برودة على ذبح الإنكشارية الطرابلسية،

Relazione della pre sa fatta della Patona di Tripoli... dal Sig. cap. cav. De Chambray il (٤٤)

13 maggio 1723 ms. nella Bibl. Naz. di Fireze.

Palatino 882, X,2.

Libri Conc. Status vol 267 fol 267

ويوجد تقرير مخطوط بأرشيف مالطا.

(٤٥) أنظر أيضاً تاريخ البحرية الخ. . روسي ص ٨٦.

Rossi, Corrispondenza tra i Gran maestri ecc. (Eo in Riv. degli Studi Orientali) X 1925

p. 414 - 432.

(٤٦) فيرود ص ٢٢٦.

J. Deny, art. cit. in Mélanges René Basset II p. 62 - 63.

(٤٧)

وثبت لكثير من الهجمات، وقاد بنفسه جيوشه في كثير من المعارك التي انتصر فيها، يتوفر على طاقة لا تنفد، تكمن عادة في نفوس المؤسسين للسيادة والحكم العائلي. لم يكن أحمد باشا بالشخصية المتعلمة المثقفة، ولكن سطوته وكرمه جذبا إليه المتعلمين والدارسين الذين تجمعوا حول بلاطه. وكان الهدوء النسبي الذي ساد البلاد، بعد سنوات طويلة من الاضطرابات الداخلية، قد ساعد على إحياء الدراسات الدينية وبعثها<sup>(٤٨)</sup>. وكانت مدائح الشعراء تضافي على الأمير الطرابلسي هالة من السيادة والملكية التي يبدو أنها لم تحط بأحد من الحكام الذين تعاقبوا في الماضي على حكم البلاد، في تلك العصور التي اتسمت بالانهيار السياسي والروحي. وقد خص الشاعر الشريف أبو عبد الله بن العربي، الأمير القرماني بقصيدة مدح تجري على النسق العربي التقليدي، وقد استهلها بقوله:

لك الخير عرج بي على طلل الربع      محط المنى مغني الكمي المقنع  
وختمها بقوله:

أديب أريب فاضل متعفف	نجيب حبيب عالي القدر أروع
أقول لأصحابي عليكم بأحمد	أفاد فجاد بالحباء المنوع
فكم أضحك المحزون من نقش رسمه	وأبكى جريئاً بالشكاسة مولع
أتيت وجيش الهم جر خميسه	فقهقر جنبا من حسام مروع
إليك أبا الأمداد حنت مطيقي	وأمالها سفن وجسمي بموضع
لها منك حاجات وفيك فطانة	سكوتي بها خير لكم من توجعي <sup>(٤٩)</sup> .

كان من ثمرات الرعاية التي أضفاها أحمد القرماني على العلماء تلك الدراسة التاريخية عن طرابلس التي قام بها أبو عبد الله محمد بن غلبون الذي

(٤٨) يؤكد ابن غلبون ص ٢٠٠ - ٢٠٦ ازدهار مدرستي طرابلس وتاجوراء. ويذكر من علماء العصر أبا عبد الله محمد بن مصطفى الماعزي وهو من القولوغلية، (وقد درس بمصر ورجع إلى طرابلس، وقد كرمه الأمير القرماني وساعده على تشييد زاويته المعروفة باسمه في المنشية. كما يذكر أبا عبد الله النعاس بتاجوراء وعلماء أسرة المكّي.

(٤٩) ابن غلبون ص ٢٠٤ - ٢٠٦ وكذلك (المهمل العذب) للنائب ص ٢٩٥.

ينتمي إلى أسرة عربية كبيرة بمصراته . فقد ألف في سنة ١٧٣١ - ١٧٣٢ كتابه (التذكار في من ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار) وقد دفعه إلى تأليفه قصيدة أنشدها أحمد بن عبد الدائم الأنصاري ، وفي الرد على هجاء شخص مجهول ، يعتقد أنه من فزان ، لطرابلس والطرابلسيين ، وهي تتألف من خمسة وعشرين بيتاً تتضمن خلاصة للوقائع البارزة في تاريخ طرابلس . وحول هذا الموضوع نسج ابن غلبون تاريخه الذي يبدأ بالفتح العربي حتى يصل إلى العام العشرين من عهد أحمد القرماني . ويروي لنا المؤلف أنه قد اختلف مراراً مع ممثلي الحكومة في مصراته ، حيث كانت لأسرته زاوية خاصة ، يدرس بها ، وأنه قد لجأ غالباً إلى الباشا الذي كان يحسن استقباله ، وحين هطلت أمطار غزيرة في صفر ١١٣٩ هـ ( ٢٨ سبتمبر - ٢٦ أكتوبر ١٧٢٦ ) غمرت الفيضانات مصراته وهدمت المنازل ، وأتلفت الحيوانات والمزروعات ، أظهر أحمد باشا القرماني كرمًا وسخاء تجاه ابن غلبون ، وأعانه بالمال على إعادة بناء الزاوية التي أنشأها هو نفسه . وكذلك أعاد بناء المسجد الذي بناه محمود الخزندار ، ووضعته تحت إشراف أسرة ابن غلبون . ومع ذلك فإن هناك تأكيدات بأن ابن غلبون نفسه ذهب ضحية لطغيان الأمير الذي مجده ، ولنزواته المتقلبة التي انتهت به إلى الحكم على هذا العالم بالموت<sup>(٥٠)</sup> .

وما من شك في أن بلاط أحمد باشا كان بلاطاً رائعاً مزدهراً ، وكثيراً ما يجد فيه ملجأ وملاذاً كثير من الحكام والأمراء المعزولين . وقد توطدت الصداقة في عهده بسلاطين المغرب وإشرافه الذين كانوا يمرون بطرابلس أثناء ذهابهم إلى مكة وعودتهم منها . وفي فبراير ١٧٣١ حلت ضيفة على الباشا زوجة سلطان المغرب المولى إسماعيل وهي المعروفة باسم (للاخناتة) فأكرمها وعاملها معاملة محترمة لائقة بمقامها الكبير ، وأنزلها بجناح فخم من قصوره . ولما سافرت قدم لها

---

(٥٠) أنظر الترجمة التركية لكتاب ابن غلبون ص ٣٥ وكذلك الصفحات من ٨ إلى ١٢ من مقدمة (أتوري روسي) لترجمته الإيطالية لكتاب ابن غلبون .

خمسين بغيراً ووفر لها حراسة كافية، وأمر عماله بأن يقدموا إليها كل ما تحتاج إليه<sup>(٥١)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن التاريخ يذكر أن أحمد باشا القرماني قام في سنة ١٧٤٢ بقتل الحاج محمد، صهر إبراهيم داي الجزائر، وكان عائداً من الحج، واستولى على خيوله التي بلغت مئتين وإبله وكان عددها مئتين وخمسين بغيراً. وأخذ ما كان بحوزته من المال، ويقدر بحوالي خمسمائة (زوكيني) ويعتقد بأنه فعل ذلك بتحريض من داي الجزائر نفسه<sup>(٥٢)</sup>.

وقد أظهر أحمد باشا على الدوام نوعاً من التسامح إزاء الفئات غير الإسلامية، كما عامل اليهود معاملة إنسانية. وقد ظفروا طوال العهد القرماني بأهمية تجارية كبرى في طرابلس<sup>(٥٣)</sup>. كما أحترم المسيحيين وحى دوماً الرسل الفرنسيسكان. وفي سنة ١٧٣٠ حضر إلى طرابلس أحد القساوسة من هيئة تخليص الأسرى، قادماً من القسطنطينية، واعتق ثلاثين أسيراً (٢٦ من البندقية و٤ من ميلانو) بعد أن اقتداهم بمبلغ ١٠٤١٢ دوكاتو وحصل في الخصوص على جواز مرور شامل، كما عامله أحمد القرماني معاملة طيبة، تتسم بالمجاملة<sup>(٥٤)</sup>.

---

(٥١) ابن غلبون ص (٢٠١). كانت طرابلس تحتفظ بعلاقات مع البلدان الشرقية والغربية من إفريقيا الشمالية، خاصة فيما يتصل بمرور قوافل الحجيج، وقد كلف مولاي علي بن محمد (سلطان المغرب) بحمل هدية من والده سلطان المغرب إلى أمير طرابلس أثناء مروره بها للحج في سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ - ١٦٦٩) نقلاً عن كتاب الاستقصاء للناصري.

(٥٢) فيرود ص ٢٤١.

(٥٣) ن. سلوش (رحلة من أجل الدراسات اليهودية في إفريقيا) باريس ١٩٠٩. أدى وصول الاسبان إلى طرابلس إلى القضاء على الجالية اليهودية في سنة ١٥١٠، وقد أعادت بناء كيائها في النصف الثاني من القرن السادس عشر وتشكلت من عناصر من جبل نفوسة وغريان وزليطن واسبانيا وليفورنو. وكانوا يعيشون منعزلين بحيهم المعروف (الحارة) ولهم (قائد) يضبط علاقاتهم بالحكومة. وقد أخذوا بعد ذلك يستولون تدريجياً على مقاليد الاقتصاد وشؤون الصناعة مثل صناعة المعادن الثمينة.

N. Slousch, Un Voyage d'études Juives en Afrique Paris 1909.

Rossi, Una missione de Redentoristi a Tripoli di Barberia nel 1730 in Riv. degli Studi Orientali X 1923 - 25 P. 140 - 144 ep. 413.

## ٦ - أعماله

يعدد ابن غلبون أعمال أحمد باشا على هذا النحو<sup>(٥٥)</sup>:

أنه أوقف أوقافاً كثيرة على سور البلد، وأجرى المياه للمدينة على (حنايا) لم يسبق بها<sup>(٥٦)</sup> وخصص لها وقفاً لصيانتها، وبني (الفسقية) لسقي البحارة (شرقي المدينة)، وأنشأ السوق الجديدة<sup>(٥٧)</sup>، بإزاء القلعة من جهة الشمال، وجدد باب الخندق (غربي القلعة) بين سوق الخضرة وسوق الحدادين (أي

(٥٥) ابن غلبون ص ٢١٠ - ٢١١ (١٧٤ - ١٧٦).

(٥٦) في يوميات مسز تولي (عشر سنوات في بلاط طرابلس) يوجد رسم بالألوان لهذا الإنشاء المائي الضخم الذي نتين بوضوح أنه كان قائماً خلال الفترة التي ألفت فيها كتابها. وكانت قد غادرت طرابلس في ١٧٩٣. ويؤكد الفقيه حسن في (الدفت) أن أحمد القرماني قد أنشأ في سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ - ١٧٢٣) ناعورة وأقواساً، ويفهم من ذلك أن الماء يرفع بواسطة الناعورة ويوزع بواسطة الأقواس التي تنقله إلى المدينة. ويكتب (أنتوني كنيكت) مستشار القنصلية الإنجليزية بأكثر دقة في تقريره إلى القنصل فيقول (إن ما تعانيه المدينة من قلة المياه العذبة قد دفع الولاة السابقين إلى جلب الماء إلى المدينة باستغلال أحد الينابيع الطيبة ونقل مائه بواسطة شبكة طولها ميل تزود داخل القلعة والحمامات العامة. وهي مسطحة وتقوم على ثلاثمائة قوس. إن السفن التجارية والحربية تزود بمياهها عند النبع الرئيسي). وفي تخطيط المدينة سنة ١٧٦٦ أشير إلى مجرى ماء يقوم على ١٥٦ قوساً ينقل الماء إلى قلعة البك. كما ورد في كتاب (رحلة إلى دول البربارسك:

Voyage dans les Etats Barbaresques. ecc. Paris 1785.

وقد نقل عنه س. مورقو في جريدة Idea Nazionale، وطبقاً لما ورد في رسالة مؤرخة في ١ مارس ١٧٨٥ (ص ١٥٦ - ١٨٨) عن وجود خزان للمياه يزود الحمامات، وبتجميعنا لهذه الوقائع يمكن أن ننهي إلى أن الخزان المذكور كان يقوم قرب خزان الحميدية الحالي أي قرب الولي، وحيث كان يقوم موقع حصين يطابق (برج الماء) الذي ورد رسمه في الرسوم المطبوعات البندقية التي ترجع إلى ١٥٦٧ ومع (بطارية الماء) التي ورد رسمها ملحقاً بعمل الرحالة (دلاشيل). . . (أنظر أوريجينا ج ٢ ص ٢٢٨).

وما تزال المنطقة تعرف حتى الآن باسم (العونة) كما تشاهد حتى آثار الحوض الذي بني لتسهيل تزويد السفن بالمياه. ويحتمل أن يكون هذا الإنشاء قد هدم في أواخر القرن الثامن عشر في عهد علي برغل.

(٥٧) يقول ابن غلبون إنها كانت سوقاً أقيمت سنة ١١٣٦ (١٧٢٣ - ١٧٢٤)، أما (دفت) الفقيه حسن فيسميها (سوق متاع الشيشمة) ويقول إنها أنشئت سنة ١١٣٥ (١٧٢٢ - ١٧٢٣).

ميدان الساعة). وبنى المخازن التي على يمين وشمال الداخل إلى القلعة. ورفع السور الفاصل بين القلعة والخندق. وبنى الحواصل التي على يمين الداخل إلى القلعة من الباب الملصقة بسور المدينة تجاه القلعة. وبنى بالقلعة بيوتاً ومقاصير أنيقة، وجدد ما وهى منها، وقد كانت قبله خراباً.

وثمة عمل آخر، لم يذكره ابن غلبون، وقد ورد ذكره في (دفتر) الفقيه حسن، وفي إحدى الكتابات بالمسجد، وهو البرج الذي يدافع عن الميناء، ولعله برج (المندريك) الذي بني طبقاً لما يذكره (الدفتر) في سنة ١١٤٠ هـ (١١٢٧ - ١١٢٨) م، ثم المسجد الذي يحمل اسمه والمدرسة والروضة الملحقتان به، وقد انتهى العمل فيه سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ - ١٧٣٨) حسب التواريخ التي تحف بقاعة الصلاة. وهو التاريخ نفسه الذي يوجد مكتوباً عند باب المئذنة. بينما تشير التواريخ المسجلة على الأعمدة الخارجية المواجهة لسوق المشير إلى سنتي ١١٤٩ - ١١٥٠ هـ (١٧٣٦ - ١٧٣٧).

إن الأعمدة الجميلة والعمل الدقيق في الزخرفة والتليس للجدران والقباب والانسجام العام في التركيب والظلال. تجعل من مسجد أحمد باشا أعظم عمل تذكاري للأسرة القرمانلية<sup>(٥٨)</sup>.

## ٧ - وفاة أحمد باشا القرمانلي

لقد تضايق<sup>(٥٩)</sup> الباشا المسن في أواخر حياته، من جراء فقد بصره، فوضع حداً لآلامه بالانتحار ليلة ٣ - ٤ نوفمبر ١٧٤٥. وضرّجه مقام في المقبرة الملحقة بمسجده الذي بناه<sup>(٦٠)</sup>.

(٥٨) أوريجيًا: (مسجد أحمد القرمانلي بطرابلس) في مجلة (ديدالو Dedalo) يناير ١٩٢٧ ص ٤٩٢ - ٥١٣ - مع ١٥ صورة.

(٥٩) فيرد ص ١٢٤٤ استناداً إلى معلومات معاصرة مسجلة في محفوظات القنصلية الفرنسية.

(٦٠) يلي ذلك تاريخ الوفاة الذي يشير إلى ١١٥٨ (١٧٤٥). أما دفتر الفقيه حسن فيحدد الوفاة بعشرة شوال الذي يطابق ٥ نوفمبر.

وينبغي أن يكون حينذاك قد بلغ الستين من العمر. ذلك أن القنصل  
الفرنسي بولارد الذي زاره، غداة مبايعته، قدّر أنه كان في الخامسة  
والعشرين<sup>(٦١)</sup>.

---

(٦١) فيرود ص ٢١٠.



## الفصل السادس

### السيادة القرمانيّة

#### - عهد محمّد باشا القرمانيّ -

#### علي برغل

- \* محمد باشا القرماني (١٧٤٥ - ١٧٥٤).
- \* القرصنة والعلاقات مع الدول الكبرى.
- \* مؤامرات وثورات في طرابلس سنة ١٧٤٥ - ١٧٥٢.
- \* الأعوام الأخيرة من عهد محمد باشا ووفاته.
- \* علي باشا القرماني (١٧٥٤ - ١٧٩٣) - مؤامرات.
- \* القرصنة - حملة البندقية على طرابلس سنة ١٧٦٦.
- \* طرابلس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. المجاعة والطاعون في سنة ١٧٨٤ - ١٧٨٦.
- \* العلاقات مع الدول المسيحية.
- \* الأوضاع في دواخل طرابلس الغرب.
- \* يوسف القرماني يقتل أخاه حسناً ١٧٩٠.
- \* علي برغل يستولي على السلطة ١٧٩٣ - ١٧٩٥.

## ١ - محمد باشا القرمانيلى (١٧٥٤ - ١٧٤٥)

كان لأحمد باشا القرمانيلى، قرب سنة ١٧٣٠ ثلاثة أولاد، محمود بك حاكم برقة، ويوسف بك قائد الفرسان، ومحمد بك<sup>(١)</sup>. وقد مات يوسف أثناء حياة والده. وفي سنة ١٧٤٥ بقي محمود بك ببرقة، فخلف أحمد باشا ابنه الأصغر محمد. وكان أثيراً لدى الأهالي لأنه من أم عربية هي أرملة خليل باشا الذي قتل سنة ١٧١١<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - القرصنة والعلاقات مع الدول الكبرى:

لا تتوفر أخبار كثيرة عن السنوات العشر التي أمضاها محمد باشا القرمانيلى في الحكم. وما من شك في أنه قد استفاد من الهيبة التي خلفها والده، واستطاع أن يمسك بزمام الأمور بقوة وحزم. ولم يتوقف القراصنة الطرابلسيون في عهده عن خرق المعاهدات القائمة مع الدول الكبرى. وكانت العلاقات مع مملكة نابولي سيئة. ففي يوم ٥ أبريل ١٧٤٦ توجه أربعة ضباط من رجال الباشا إلى القنصلية النابوليتانية، ومزقوا العلم وأعلنوا الحرب. واستغل ذلك على الفور القراصنة الطرابلسيون في ملاحقة السفن النابوليتانية. وفي ٥ مايو ركب قنصل نابولي سفينة، من نوع (ترتانا) إنجليزية، وغادر طرابلس<sup>(٣)</sup>. وقد قطعت العلاقات السلمية مع النمسا، ففي ٣١ ديسمبر ١٧٤٨ حضر مفوض من

(١) ابن غلبون ص ٢١٥ (١٧٩)

(٢) فيرود ٢٤٤

(٣) محفوظات القنصلية الإنجليزية سجل (حركة السفن).

توسكانا إلى طرابلس للتفاوض باسم صاحب الجلالة الإمبراطور. وقد عقد الصلح في ١٦ فبراير ١٦٤٩ وأعيد رفع العلم فوق القنصلية النمساوية<sup>(٤)</sup>.

ووقع في ٤ يناير ١٧٤٩ حادث مفجع من حوادث القرصنة، على مسافة قصيرة من جزيرة (شيفالونيا). فقد تعرضت السفينة التجارية التابعة للبندقية والمسماة (سانتا ترينتا وسان فرانشسكو) بقيادة الكابتن (زورزي ترافانلي Zorzi Travanelli) والمتجهة إلى كريت لنقل الزيت والصابون إلى هجوم قامت به سفينتان طرابلسيتان. وقد دافعت السفينة عن نفسها ببسالة مستخدمة مدافعها وبنادقها، ولكنها غلبت في النهاية بالتجهيز الحربي والعدد الكبير للأعداء. وقد قتل من بحارتها البالغ عددهم ٥٦ بحاراً أربعة عشر رجلاً وجرح ستة وثلاثون أثناء دفاعهم البطولي عن علم سان ماركو، ودفع الطرابلسيون ثمن هذا الانتصار غالياً، إذ فقدوا أكثر من ثلاثمئة من مجموع رجالهم البالغ ستمائة رجل<sup>(٥)</sup>. ونقل الكابتن ترافانلي والجرحى (الذين مات ثمانية منهم أثناء الطريق) إلى طرابلس، أسارى، وقد تم علاجهم في المستشفى (لا ريب في أنه المستشفى الذي كان يديره الفرنسيسكان) ثم بيعوا بعد ذلك للتجار اليهود والعرب. ولم يفلح الباشا في إقناع الكابتن ترافانلي باعتراف الدين الإسلامي، مع وعده بتعيينه قائداً لسفن القرصنة الطرابلسية. وقد تم افتدائه في نفس العام عن طريق القنصل السويدي المكلف بحماية رعايا البندقية ومصالحها، وبوساطة من قنصل فرنسا، وغادر طرابلس في ٣٠ أغسطس على ظهر سفينة من مرسيليا، مرت بليفورنو ثم وصلت فينيسيا في ٢٠ سبتمبر<sup>(٦)</sup>. وقد نقل في التقرير الذي رفعه

(٤) محفوظات القنصلية الإنجليزية (سجل حركة السفن) وقد طبعت اتفاقية سنة ١٧٤٩ بفلورانس بإيطاليا سنة ١٧٥٠.

(٥) هذه مبالغات القدماء التي نقلها المؤلف دون احتياط أو روية، وهي على كل حال أسلوب معروف في أغلب المصادر التاريخية القديمة يلجأ إليه عادة في تبرير الهزائم. ولعله ما يزال قائماً بشكل أو بآخر في البلاغات الحربية الحديثة التي تهول من خسائر الأعداء وتقلل من خسائرها. (المعرب).

(٦) C. Coró, Avventurose peripezie di un capitano veneto schiavo in Tripoli nel 1749 in (Tripolitania, dic. 1931 p.5 - 10)

إلى حكومته، أن عدد سكان مدينة طرابلس في تلك الفترة يتراوح بين ١٦ - ١٧ ألف نسمة، نصفهم تقريباً من اليهود. وقال إنه إذا استقرت العلاقات السلمية فإنه في الإمكان توجيه ثلاثين سفينة (هكذا) سنوياً لنقل الزيت والشمع والصوف وغيرها. وذكر أن البحرية القرصانية للبasha تتألف من أربع سفن من نوع (شايكي) وثلاث سفن من نوع (غليوطة) وسفينة (كابتانا). وهي تخرج مرة واحدة في العام وتستغرق عملية الغزو البحري أربعين يوماً، وقد لا تخرج في بعض الأعوام. وثمة قراصنة يخرجون لحسابهم الخاص ولكنهم ملزمون بدفع ثلث الغنائم للبasha.

وفي ٩ سبتمبر ١٧٥١ عقد الإنجليز اتفاقاً جديداً مع طرابلس، ينظم العلاقات السلمية والتجارية. وقد جرت المفاوضات بين البasha والأميرال (كيبيل Keppel) والقنصل (وايت)<sup>(٧)</sup>. وقد تقرر في هذا الاتفاق، بالإضافة إلى النصوص المعروفة باحترام السفن والأشخاص والإميازات القنصلية، أن تشمل نصوصه سكان (مينوركا Minorca) وجبل طارق اللتين انتقلتا بموجب صلح (أوترخت Utrecht) إلى السيادة البريطانية<sup>(٨)</sup>. والتزمت إنجلترا من جانبها بإرسال الذخائر والأسلحة إلى طرابلس<sup>(٩)</sup>.

وفي الأشهر الأولى من عام ١٧٥١ وصل إلى طرابلس المستر (هاميكين Hameken) موفداً من البلاط الدانمركي. وقد افتدى اثني عشر رجلاً دانمركياً بمبلغ ٢١٥٠٠ زوكيني، وعقد اتفاقية صلح، ودفع مبلغ ٢٦٠٠٠ زوكيني. أما الفرنسيون فقد قاموا في سنة ١٧٥٢ بإضافة ملحق إلى اتفاقية ١٧٢٨

(٧) وصل إلى طرابلس ٢ أبريل ١٧٥١ يحمل هدية إلى البasha.

(٨) يوجد نص الاتفاقية بالإنجليزية والتركية ضمن محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس. وقد أورده أيضاً باللغة التركية المؤرخ التركي (بهيج الدين) في ترجمته لابن غلبون الصادرة بالأسطانة سنة ١٢٨٤ هـ ص ٣٧ - ٤١ - أنظر أيضاً: حسن صافي (تاريخ طرابلس) باللغة التركية الأسطانة ١٣٢٧، وكذلك (هرتسلت ج ١ ص ١٤٣) ويحمل الاتفاق توقيع محمد بن أحمد (ميرميران) وابنه علي بن محمد، وحسن بن علي (الكاهية) وحسن آغا (رئيس الديوان).

Zinkelsen, Geschichte des asmanischen Reiches, V (Gatha 1857) p. 880 - 881.

(٩)

يتألف من مادة تقرر عقوبات صارمة بحق القراصنة الذين يسيئون استعمال حق التفتيش على السفن الفرنسية. وأرسل محمد باشا وفداً إلى فرنسا، كما بعثت الحكومة الفرنسية بعثة عسكرية مكلفة بالنظر في إمكانية إقامة مركز لتحسين نوع الخيول الفرنسية بالخيول البربرية المحلية<sup>(١٠)</sup>.

### ٣ - مؤامرات وثورات بطرابلس في ١٧٤٥ وفي ١٧٥٢

كان علي (محمد باشا) أن يظل على الدوام متيقظاً للأخطار التي تواجهه بسبب المؤامرات التي كانت تحاك ضده. ففي نهاية سنة ١٧٤٥ قتل حسن كاهية وابنه أحمد، بعد أن تورطاً في مؤامرة كانت تهدف إلى تنحية محمد باشا وتعيين شقيقه محمود بك. كما خنق في العام التالي رئيس البحرية وابنه، رغم أنها كانا يمتنان إليه بصلة القرابة، بعد أن ثبت لديه تأمرهما ضده.

وقد أراد ولدا حسن كاهية الانتقام لأبيهما وأخيها، فجاء على رأس قوة من المسلحين، ولكنها هزما إزاء الهجمات المتوالية التي شنها عليهما سكان الدواخل<sup>(١١)</sup>. كما انفجرت اضطرابات جدية قصيرة في طرابلس في الليلة الواقعة بين ٣٠ - ٣١ يوليو ١٧٥٢، وهددت حياة محمد باشا ووضعها موضع الخطر. وقد قادها البحارة الأرناؤوط العاملون في خدمة الباشا، ولم يكن لهم، كما يقول القنصل الدانمركي (سميث Smith) الذي شهد الثورة، من عمل سوى القرصنة، كما كانوا مسؤولين عن كافة المواقف العدائية من السفن التجارية. وقد تجمعوا ضد الباشا بسبب تضييقه عليهم وإصداره لأوامر لا تتلاءم مع الحرية التي كانوا ينعمون بها في الماضي. ويصف القنصل هذه الثورة فيقول: (لقد بدأت الانتفاضة عند التاسعة والنصف ليلاً، عند خروجهم من المسجد، عقب صلاة العشاء التي يؤدونها جماعة في شهر رمضان، وقد بادروا إلى قتل الشيخ (شيخ البلاد) مع أربعة من أعيان المدينة، ثم تمكنوا من السيطرة على الحرس، كما استولوا على حصن أخذوا يضربون منه قلعة الباشا. وقد أصيب

(١٠) فيرود ص ٢٥٠ برنبا ٢٣٣.

(١١) فيرود ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

الناس بالذهول، إلا أن عرب الدواخل تجمعوا عند باب المدينة، وأخذوا يهتفون بحياة محمد باشا وطلبوا فتح الأبواب للانضمام إلى سكان المدينة. ولما أدرك الشوار عدم مناصرة الناس لهم اجتازوا المدينة، وفتحوا (باب البحر) وركب عدد منهم (يبلغ المئتين) إحدى السفن الراسية الخاصة بالقنصل الإنجليزي، ونشروا قلوبها للريح، وشحنوها بمدافع الأبراج، وأبحروا بها. بعد أن أعلموا جميع القناصل أنهم سيهاجمون جميع السفن التي تعترض طريقهم. وكان على رأسهم نائب أميرال طرابلس، وأربعة من رؤساء القراصنة. وفي اليوم الثاني قبض على ما يقرب من خمسين شخصاً كانوا قد اختبأوا في مواقع مختلفة. وكان من بينهم بعض الرؤساء، فقطعت رؤوسهم جميعاً. وهكذا تخلصت البلاد من العناصر الشريرة، وأعلن الباشا أنه لم يعد يرغب في استخدام أحد من أبناء تلك البلاد، (ألبانيا)<sup>(١٢)</sup>.

#### ٤ - الأعوام الأخيرة من عهد محمد باشا ووفاته

كان القنصل (سميث) قد وقع في مايو ١٧٥٣ اتفاقاً مع طرابلس. وكتب إلى مجلس الدائمك (Deputati del Collegio) مقدماً هذه الصورة عن الوضع العام في طرابلس: (لم يعتبر الحكم حتى الآن وراثياً ولكنه ينتقل من أسرة إلى أخرى، والأسرة الحالية تتولى الحكم منذ ما يقرب من أربعين عاماً. وحسب ما يبدو، ففي وسعها أن تحتفظ بالحكم في المستقبل، إذا أمد الله أعواماً أخرى في عمر الباشا القائم على الحكم، وهو ما يزال شاباً ولكن صحته معتلة. وعلى كل فإن ابنه (علياً) يبلغ من العمر عشرين عاماً وقد توفرت له خبرة كافية للصمود أمام الأعداء المتوقعين. إن العرب يميلون بطبيعتهم إلى الثورة، وهم يأملون من وراء تغيير الحكم أن يلقوا معاملة أقل عنفاً)<sup>(١٣)</sup>.

(١٢) من رسالة باللغة الإيطالية للقنصل الدائمك محفظة بالقنصلية الإنجليزية بتاريخ ٥ - ٨ - ١٧٥٢. وقد ورد سرد لهذه القصة في كتاب المسز تولي ولكن بأقل دقة (ص ١٨). كما أشار إليها أيضاً فيرود ص ٢٥٣ - ٢٥٤. كما ذكر هذا الحادث الفقيه حسن في (دفتره).

(١٣) هو ابنه علي الذي خلفه في العام التالي.

إن الباشا الأخير الذي توفي في ١٧٤٥<sup>(١٤)</sup> قد قام بإخاد أكثر من عشرين ثورة<sup>(١٥)</sup> خلال اثنين وثلاثين عاماً، من عهده. وقد خلفه ابنه الثاني، بدلاً من ابنه الأول الذي اكتفى بحكم المقاطعة التي أسندها إليه والده. وأقامه عليها أخوه أيضاً فيما بعد، وهي واقعة في الشرق وعاصمتها بنغازي. ويمضي فيشير إلى أن أختاً صغيراً لمحمد باشا كان يتولى حكم درنة، كما كان للباشا أخوة آخرون أصغر سناً. أما الداخل فيحكمه الشيوخ والقواد. وهم أحياناً من العرب، وأحياناً من أحداث الإسلام الذين يظفرون بحماية على حساب العرب. فلم يكن بيت الباشا بكامله في أيديهم وحسب، ولكنهم كانوا يملكون المناصب الكبرى في الدولة. وقد أشار في آخر الرسالة إلى الانسجام القائم بين أفراد الأسرة القرامنلية في ذلك الوقت<sup>(١٦)</sup>.

وفي ربيع ١٧٥٤ انفجرت ثورة في درنة ضد البك، ولكنها أخذت على الفور بمساعدة محمد باشا<sup>(١٧)</sup>.

وقضت العلة على حياة محمد باشا فتوفي يوم ٢٤ يوليو ١٧٥٤ وهو في الخامسة والأربعين من العمر. فبايع الشعب بالإجماع ابنه علياً الذي كان عائداً لتوّه من غريان<sup>(١٨)</sup>، بعد أن قام بإخاد بعض الحركات التمردية. ويحمل شاهد ضريح محمد باشا، بترية القرمانيلى، هذه العبارة البسيطة (هذا قبر المرحوم محمد باشا بن أحمد القرمانيلى توفي في شوال ١١٦٧ (يوليو ١٧٥٤)).

## ٥ - علي باشا القرمانيلى ١٧٥٤ - ١٧٩٣ - مؤامرات

صعد علي باشا القرمانيلى إلى سدة الحكم وهو ما يزال شاباً حدثاً، في

(١٤) يقصد أحمد باشا مؤسس الأسرة القرمانيلى.

(١٥) كانت في الواقع تتراوح بين ٣٤ و ٣٥ ثورة.

(١٦) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس، رسالة بتاريخ ١٨ مايو ١٧٥٣.

(١٧) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس، رسالة القنصل الدائم في تاريخ ١٦ أبريل ١٧٥٤.

(١٨) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس، رسالة من القنصل الدائم في تاريخ ٢٥ يوليو ١٧٥٤. وكذلك (الدفتري) بتاريخ ٢ شوال ١١٦٧ الأربعاء ٢٤ يوليو ١٧٥٤.

ريغان الشباب . وقد أمسك به مدة بلغت أربعين عاماً، وهي حالة نادرة في أي بلد من بلدان الشمال الإفريقي (بربريا). وقد وجد نفسه في البداية مشمولاً بحبة الشعب. ولكنه لم يلبث طويلاً حتى أخذت تهدده مؤامرات بعض الزعماء المطالبين بمنصب القيادة في الجيش. بالنظر إلى صغر سن الابن البكر للبasha. وقد طمح أحد ضباط الحرس إلى هذا المنصب الهام الذي يمكن أن يصبح شاغله القوي خطراً على البasha نفسه<sup>(١٩)</sup>. ولذا أصر علي باشا تعيين (البك). وفي نهاية ١٧٥٤ جاء إلى طرابلس، خليل، خال علي باشا وابن عمه. وكان أحمد باشا قد عينه حاكماً على درنة. وتردد القول بإسناد منصب (البك) إليه، لولا أنه وجد مقتولاً خنقاً في ١٨ سبتمبر<sup>(٢٠)</sup> بالقلعة في ظروف غامضة. وأسند حكم درنة إلى محمود بك بالإضافة إلى بنغازي<sup>(٢١)</sup>. ولم يرق لبعض ذوي الطموح استمرار الأسرة القرمانلية في الحكم. وكان علي باشا على علم بالمؤامرات التي تحاك ضده. فقام في مطلع ١٧٥٦ بخنق الخازن ونفي رئيس البحرية<sup>(٢٢)</sup>. وكانت أخطر هذه المؤامرات تلك التي نظمها في سنة ١٧٥٨ مصطفى أبو شاكر قريب الأسرة القرمانلية وأسرته المكني. وقد حاول المتآمرون إثارة سكان المنشية والساحل، أثناء الليل، ولكنهم أخذوا في الوقت المناسب، وقتل مصطفى بينما سجن إبراهيم المكني في القلعة<sup>(٢٣)</sup>.

(١٩) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس، رسالة من قنصل الدانمرك بتاريخ ١٦ - ٨ - ١٦٥٤.

(٢٠) رسالة بمحفوظات قنصلية إنجلترا بتاريخ ٢٥ - ١٠ - ١٧٥٤ موجهة من قنصل الدانمرك ويقول فيرود (٢٥٥) أن خليل كان ابن عم علي باشا وأنه قضى عليه حقد خصومه الذين تألبوا عليه بسبب موقفه المعارض لنشاط القرصة.

(٢١) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس، رسالة من قنصل الدانمرك بتاريخ ٢٥ - ١٠ - ١٧٥٤.

(٢٢) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس، رسالة من قنصل الدانمرك بتاريخ ٢٦ - ٣ - ١٧٥٦.

(٢٣) فيرود ص ٢٥٦ - ٢٥٦.



## ٦ - القرصنة وحملة البندقية على طرابلس سنة ١٧٦٦

إن عمل القراصنة الطرابلسيين الذي قيده المعاهدات التجارية، والاتفاق مع الدول الكبرى، قد أصبح ضد الدول الصغيرة التي لم تعقد، حتى ذلك الوقت، اتفاقيات مع طرابلس. ومع ذلك فإن رعايا الدول المتعاقدة كثيراً ما كانوا يتعرضون في عرض البحر لهجمات القراصنة الطرابلسيين. وقد قامت إنجلترا في عهد قنصلها (وايت)، في أكتوبر ١٧٥٤ ثم في يناير ١٧٦١، بتعديل اتفاقياتها. وقد جاء اللورد (كليفلاند Cleveland) في سنة ١٧٦٢ بفرقة بحرية إلى طرابلس راغباً في إعادة التوقيع على المعاهدة<sup>(٢٤)</sup>.

إن كل ذلك - رغم قلة المعلومات - يوحي بأن خرق الاتفاقيات كان يجري بصفة مستمرة غالبية. وقد كان القنصل (فراسير) الذي خلف القنصل (وايت) يشكو في مراسلاته من غطسة الباشا وقراصنته<sup>(٢٥)</sup>.

وكان قد تأسس بطرابلس، منذ ما يقرب من قرن أو أكثر، قبل العهد القرمانلي، مكتب صغير للشؤون الخارجية يهتم بالعلاقات مع الدول الكبرى، وذلك لتهديئة النفوس وتخفيف الغضب وإبعاد الخطر، ويحتمل أن يكون أيضاً لابتزاز الأموال. ورسخت عادة إرسال الوفود إلى أوروبا لتبادل الهدايا والرسائل والعود. ففي سنة ١٧٥٦ ذهب محمود آغا سفيراً لطرابلس إلى السويد<sup>(٢٦)</sup>. وفي سنة ١٧٦٥ ذهب أحمد آغا إلى لندن لتقديم هدايا إلى ملك إنجلترا. وقد أبعدته الحكومة البريطانية، بعد عامين من إقامته، على نفقتها. وفي نهاية سنة ١٧٧٣ ذهب سيدي إبراهيم آغا إلى لندن، وتولت الحكومة الإنجليزية نفقات تسفيره<sup>(٢٧)</sup>. وكانت العلاقات بين طرابلس ومالطا علاقات طيبة وودية إلى حد

(٢٤) يوجد نص التعديل والتصديق بمحفوظات القنصلية البريطانية وهو يحمل توقيع علي باشا وإبنه البكر حسن (أميرالاي) وقائد الجيش ويوسف بن علي (الكاهية).

(٢٥) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس رسالة من قنصل الدائم بتاريخ ١٦ - ١٠ - ١٧٥٦.

(٢٦) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس. مراسلات قنصل إنجلترا خلال ١٧٦٥ - ١٧٦٦.

(٢٧) توجد معلومات غريبة في الخصوص لدى (فادالا ص ٢٠٠ - ٢٠١).

ما. ومع ذلك فإنه يتبين أنه في يوم ٨ أغسطس ١٧٦٥ دخلت السفينة (سانتا أرسولا) بقيادة الكابتن (بترو جلاللي) مالطا وعلى ظهرها بعض البحارة وستة عشر عربياً أسروا فوق سفينة طرابلسية بقيادة الرايس (Veli Dobrac). وذهب الحاج محمد آغا إلى مالطا سنة ١٧٧٦ لتقديم الاحترامات الى المرشد الأكبر (دي روهان De Rohan)<sup>(٣١)</sup>.

وقد انتعشت العلاقات بين طرابلس والبندقية في العهد القرمانلي، وأصبحت أكثر نشاطاً وحيوية. فقد بعث والي طرابلس، الحاج عبد الرحمن آغا إلى البندقية سنة ١٧٦٤ وتفاوض في تلك المدينة مع مفوض الجمهورية (بروسبيرو فالمارانا Prospero Valmarana)<sup>(٣٢)</sup>. وعقد في ١١ ديسمبر ١٧٦٤ اتفاقاً أولياً صودق عليه في أبريل ١٧٦٥ باتفاق نهائي منظم. ويعترف هذا الاتفاق للقنصل البندقي بحقوق وسلطات توازي حقوق القناصل الآخرين وسلطاتهم، ويضمن احترام سفن الجمهورية ورعاياها، كما يمنح امتيازات الملح بوزارة إلى البندقية وحدها<sup>(٣٣)</sup>، ويمنع السفن الطرابلسية من الدخول إلى خليج البندقية، أي بحر الأدرياتيك، بحيث لا تتجاوز جنوباً رأس (سانتا ماريا) من جهة (شيمارا Cimara) من جهة أخرى<sup>(٣٤)</sup>.

(٢٨) محفوظات فرسان مالطا - مالطا (Libri Conc. Status) بتاريخ ٢٥ - ٨ - ١٧٦٥.

(٢٩) روسي: مراسلات بين المرشدين الكبار لفرسان مالطا وبايات طرابلس من ١٧١٤ إلى ١٧٧٨ - مجلة الدراسات الشرقية الإيطالية - السنة العاشرة ١٩٢٣ - ١٩٢٥ ص ٤١٤ - ٤٣٠.

(٣٠) رسالة باللغة التركية موجهة إليه بتاريخ ٢٢ يوليو ١٧٦٤ من المبعوث الطرابلسي توجد محفوظة مع ترجمة لبلاتو في محفوظات الدولة بفينيسيا سجل ١٦٦ رقم ٦٥٤ (Arch. di stato a Venezia).

(٣١) ك. ناللينو (صفاقس والبندقية في القرن الثامن عشر) ص ٣٤٩. روسي: بعثة خلصين بطرابلس سنة ١٧٣٠ - مجلة الدراسات الشرقية ١٠ - ٢٣ - ١٩٥٢ ص ١٤٠ - ١٤٤.

(٣٢) ناني موشينيقو: F. Nani Mocenigo, Tripoli ei Veneziani 1764 - 1766 in memorie storiche militari fase. I del 1914 Gittà di Castello 1914

وقد نشر النص التركي للاتفاقية المذكورة في الترجمة التركية لكتاب ابن غلبون ص ٤٤ - ٥١ وكذلك لدى ناجي ونوري (في تاريخ طرابلس الغرب). وتتكون الاتفاقية من ٢٣ مادة، وقد =

وقد استقبل الكابتن (ماركانتونيو بويك M. Bubich) الذي نقل المندوب الطرابلسي، وكذلك القنصل (جيو سبي بالوفيتش G. Ballovich)، استقبالا حاراً. وقد عاد الكابتن إلى البندقية يحمل معه ٥٤ أسيراً أطلق سراحهم، كما حمل معه وثائق هامة تتعلق بما جمعه من معلومات عن القوة العسكرية للحامية. وعمق الميناء<sup>(٣٣)</sup>، وغير ذلك من المعلومات التي ستفيدهم فيما بعد في حملتهم على طرابلس.

ولم تتأخر طرابلس كثيراً عن خرق الاتفاقيات. ففي سنة ١٧٦٥ قام القراصنة - بأمر من الباشا أو بتغاض منه - بسلب سفن البندقية، وقد فوجئت سفينة من نوع (غليوطة) بقيادة أحمد رايس، وهي تهاجم سفينة تابعة لمقاطعة (بوليا) فاقتيد إلى (زارا) حيث قتل أحمد نفسه أثناء محاولة الفرار.

وعاد من جديد إلى البندقية عبد الرحمن آغا الذي استطاع بمكر ودهاء أن يبتز أموالاً من جمهورية البندقية. ورجع إلى طرابلس، وبدلاً من أن يعمل على تسوية الخلاف زاد من تعقيدته.

ولما استمرت الاعتداءات على السفن البندقية وبحارها وعلمها، أرسل مجلس الشيوخ في صيف ١٧٦٦ الكابتن (جاكوموناني) مع أربع فرقيطات وغرايين (كورفيت) ووجهتها طرابلس. وقد ظهرت هذه السفن بمياه طرابلس بمظهر المتحضر للمعركة، المستعد لها، مما أربع الباشا الذي قبل على الفور بإعادة الأسرى والسفن والبضائع وتقديم التحية الواجبة للفرقة البحرية، ومعاقة الرؤساء المسؤولين. وعقد في أغسطس ١٧٦٦ اتفاق جديد يؤكد النصوص السابقة<sup>(٣٤)</sup>.

= وقعها علي باشا وولي عهده حسن بك آغا الإنكشارية وأحمد كاهية ومصطفى الخزندار والحاج يوسف ومحمود وأحمد خوجة. وتوجد اتفاقية ١٧٦٤ واتفاقية ١٧٦٥ بنصيهما وترجمتهما بأرشفيف الدولة بفينيسيا - السجل ١٦٦ رقم ٥٥ - ٦٦.

(٣٣) ناني موشينيقو ص ٨٢.

(٣٤) النص التركي للاتفاقية الذي يتضمن تسع مواد مع ترجمة من دومينيكو سان فرمو توجد محفوظة في محفوظات الدولة بفينيسيا (السجل ١٦٦ رقم ٥٩). وقد نشرت الترجمة في ذيل =

وقبل ذلك بشهر أرسلت فرنسا إلى ميناء طرابلس سفيتين من نوع (فاشيلي) وفريقطين ومركبين من نوع (شابيكي) تحت قيادة الأمير (لستنوا Listenois) ليطلب احترام السفن الفرنسية. فأكد علي القرمانيلى اتفاقيات سنة ١٧٢٨، مع إضافة ملحق بخمس مواد أخرى<sup>(٣٥)</sup>. وبعث رسالة اعتذار مهينة<sup>(٣٦)</sup> إلى الحكومة الفرنسية، يتعهد فيها بالترام الموائق الجديدة. وتحدد الصلح في ١٧٧٤، وقد حمل بهذه المناسبة سيدي عبد الرحمن البدري وسيدي أحمد بك صهر الوالي، هدايا إلى ملك فرنسا تتألف من خيول وإبل ونعام وغزلان وصقور<sup>(٣٧)</sup>.

## ٧ - طرابلس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

تتيح لنا وفرة المعلومات والأخبار عن هذه الفترة أن نعالج بشيء من الإفاضة الوضع بطرابلس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. فقد عبر (أنتوني كنيكت Anthony Knecht) مستشار القنصلية الإنجليزية، وهو يكتب تقريره للقنصل الذي يخلفه على المنصب في سنة ١٧٦٧<sup>(٣٨)</sup>، عن أسفه لانتهاء

---

الكراسة المشار إليها سابقاً من تأليف (ناني موشينقو). ونشر النص التركي ملحقاً بالترجمة التركية لتاريخ ابن غلبون، ص ٥٢ - ٥٣. وفي سنة ١٧٧٣ وجه الباشا إلى دوج فينيسيا رسالة يؤكد له فيها عدم ارتكاب أية مخالفات ضد البندقية وامتيازاتها. وقد خلف القنصل (بالوفيتش) في سنة ١٧٧٧ القنصل أنطونيو بلاتو. أنظر برنيا ص ٢٣٥ حول بعض ما وقع لهذا القنصل. أنظر أيضاً:

Relazione spedita dal sig. segret. di S. E. Jacopo Nani capitano straordinario delle navi da Tripoli ad un suo nobile Amico in Venezia trattato accordato da essa. E.S. col Bas-s'a di Tripoli. Venezia 1888 cura di A Torre p. 17

(٣٥) فيرود ص ٢٥٨ - روارد دو كارد ص ٢٣٤.

(٣٦) ترجمها فيرود ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٣٧) فيرود ص ٢٦٣ - برنيا ص ٢٣٦ وكذلك:

H. Dehéran: La vie de Pierre Rulfin orientaliste et diplomate Paris - 1929 - p. 47 - 50.

(٣٨) أنظر ما تقدم ذكره بخصوص هذا التقرير. لقد رجعت مباشرة لهذا التقرير ضمن محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس. وقد نشر باولوتوسكي ترجمة لهذا التقرير في مجلة المعهد الشرقي بنابولي ج ٣ - ١٩٣٠ ص ٣ - ٤٩.

الأسرة القرماتلية، كما لاحظ تدمير السكان واستيائهم وهو يذكر في تعداده للمناصب التي تأتي بعد منصب الوالي (الباشا):

- البك : وهو القائد العام للجيش المكلف بجباية الخراج والرسوم.  
 آغا : الإنكشارية وهو قائد جميع الجيوش قبل أن يتولاها البك مباشرة ويساعده (أغوات) آخرون.  
 الكاهية : وهي أعلى وظيفة مدنية، ويتولى صاحبها نيابة الوالي، وهو مستشار خاص له، يقدم العرائض، ويفض الخلافات.  
 رايس البحر : وهو أول سلطة بحرية، يتولى شؤون الميناء ويرأس عدداً آخر من الرؤساء.  
 الخزنदार الأكبر : وهو أمين خزينة الحكومة.  
 الخزنदार الأصغر : وهو أمين صندوق خاص بالوالي.  
 الكاهية الأصغر : ويتولى قيادة الحرس الخاص كما يعمل مربياً للبك الصغير (ولي العهد).

شيخ البلاد : وهو نوع من العميد البلدي الذي يتولى شؤون المواطنين. كما يتولى أربعة أو خمسة يعرفون باسم (خوجة) الشؤون الإدارية للباشا. ويمثل الحكومة نواب في المقاطعات، يعرفون باسم (قادة) . . . قائد). أما الديوان أو المجلس فيتألف من الموفدين إلى سفارات في أوروبا و القادة العسكريين. وهو يتولى مناقشة الشؤون الهامة وفرض الضرائب وإبرام الاتفاقيات. غير أن علي باشا قد جمد الديوان وتجاهله، وقليل ما كان يدعو أو يستشير<sup>(٣٩)</sup>.

أما القوات العسكرية - طبقاً لما يذكره كنيكت - فتتألف من مئين إلى ثلاثمئة من الداخلين حديثاً في الإسلام، وأربعمائة إنكشاري، وخمسمائة أرناؤوطي (الباني مسلم) وستمئة عربي. وأما البحرية فتتألف من الأرناؤوط

(٣٩) يلاحظ دي لانسى قنصل فرنسا في سنة ١٧٦٥ أن الواليين السابقين من الأسرة القرماتلية قد تجاهلا الديوان وكانا يحكمان حكماً مطلقاً. وإذا كان أحمد باشا ومحمد قد استطاعا أن يسكنا بزمام الأمور بعدالة وحزم فإن علياً (كان شخصية ضعيفة تخضع لتأثير الحاشية والأتباع). فيرود ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

الداخلين في الإسلام والعرب المتطوعين الذين يعملون على أساس الحصة من غنائم القراصنة التي كانت قد أخذت منذ أعوام في الانبيار. فقد أصبحت الفرقة الطرابلسية في سنة ١٧٦٥ تتألف من ثلاث سفن من نوع (شابيكي). وكانت أقوى هذه السفن الثلاث مسلحة بعشرين قطعة مدفعية، وخمس سفن أخرى من نوع (غليوطة) استولى الفرنسيون والمالطيون والبندقيون على ثلاث منها<sup>(٤٠)</sup>.

وقد كان الباشا مضطراً إلى مراعاة سفن الدول الكبرى احتراماً للمواثيق القائمة. ونستثني من ذلك سفن (جنوا ونابولي ومالطا). فقد كان القراصنة الطرابلسيون يفجرون نقرتهم وينفسون عن غيظهم بالعمل ضد سفن هذه الدول الثلاث. ولقد كان للسفن الطرابلسية خط أو مسلك بحري مفضل (فهي تتجه من طرابلس إلى مالطا ثم تحاذي سواحل صقلية، مستمرة نحو كالابريا، وتدخل فينيسيا (البحر الأدرياتيكي) وتغر بأرخبيل آسيا وسواحلها وتصل الإسكندرية ثم تعود إلى قواعدها).

وكان العدد الكبير من الداخلين في الإسلام يشكل الحرس الخاص للباشا. ويقدر (كنيكت) عددهم بين المئتين والثلاثمئة. أما (دي لانسى De Lancey) فيرتفع بهم إلى خمسمائة أو ستمائة. ويلاحظ أنه كانت لهم سطوة، وكانوا يفرضون رأيهم حتى على الباشا<sup>(٤١)</sup>.

وكان اليهود عدداً كبيراً وكانوا نشطين<sup>(٤٢)</sup>. وكان أحد تجارهم المدعو (سانكو Sanco) ملتزماً بسك النقود الطرابلسية. أما العنصر المسيحي فلم يكن كبيراً، وكان يتألف من قناصل جميع الدول الكبرى وأتباعهم ورعاياهم وبعض التجار ويذكر (كنيكت) منهم أحد مواطني مدينة جنوا وآخر من ليفورنو وهو

(٤٠) فيرود ص ٢٥٧.

(٤١) فيرود ص ٢٥٨.

(٤٢) يرى دو كسيرا Doxera أنهم كانوا في سنة ١٧٨٣ حوالي ثلاثة آلاف نسمة من مجموع السكان البالغ أربعة عشر ألف نسمة.

صاحب حانوت صغير. ويذكر إسم المدعو (فروزينو Farrozino) وهو من أصل جنوي. (أي من مدينة جنوا).

وثمة معلومات أخرى تكمل جزئياً تقرير (كنيكت)، تقدمها إلينا يوميات (ليدي ورثلي Lady Worthley) وكانت الكاتبة على إمام بسيط بلغة البلاد. وقد قبلت بالقصر، بحيث أتيح لها أن تعرف البلاط القرمانيلى معرفة حسنة، وتحدد تحديداً حقيقياً ملامح العناصر التي يتألف منها هذا البلاط. وقد تمكنت أيضاً أن تطوف بمختلف منشآت القصر (القلعة) المتصل بعضها ببعض بواسطة طرق ومدارج مظلمة خفية، حيث تحجب كل أسرة حريمها الخاص.

وهي تصف علي باشا بقولها (إنه قصير القامة، وليس هناك شبه بينه وبين أبنائه. وقور المظهر، محترم رغم أنه لم يبلغ الأربعين من العمر) كان ذلك في ١٧٨٥<sup>(٣٦)</sup>. وإلى جانبه (للا حلومة) أو لالا الكبيرة<sup>(٣٧)</sup> زوجته. وهي ملكة البلاط الصغير. وهي امرأة واعية ومحنكة كما تصفها الكاتبة تخفف بلطفها من قسوة زوجها وقادته (وكانت تعارض العادة البربرية التي تقضي بإلقاء المرأة العربية التي يغويها المسيحيون في البحر داخل كيس مقفل مشدود إلى صخرة تعجل بإغراقها)<sup>(٣٨)</sup>.

ولم تكن الأحداث العائلية الخطيرة التي ألّمت بالأسرة القرمانيلى لتستحق كل هذا اللطف الذي تشف عنه شخصية اللا حلومة التي كان قلبها يتعذب للآخرين. وكانت صورتها المحفوفة باللطف والألم تشع في الظلام الدامس لتلك القلعة القرصانية. وقد تزوج الابن الأول من الجميلة الحسنة عائشة، وأثار منذ الأعوام الأولى حسد إخوته، خاصة سيدي يوسف الذي كان ينظر نظرة سيئة

(٤٣) يوميات الليدي ورثلي ص ٣٢ - ويقول دوكسيرا ملاحظاً في سنة ١٧٨٣ (إن الباشا يبلغ الستين من العمر تقريباً، وله مظهر طيب ويرتدي ملابس متواضعة).

(٤٤) اللا معناها السيدة. وحلومة تصغير لحليمة واللا الكبيرة معناها السيدة الكبيرة وهي الزوجة الأولى للباشا.

(٤٥) يوميات الليدي ورثلي ص ٤٥٢.

ألى الوريث المقبل، حين يراه مصحوباً (بالنوبة)<sup>(٤٦)</sup> ومحفوظاً بحرس الشرف. وكانت الأم المسكينة تتباً بالمأساة التي ستقع، وتفضي في الغالب بآلامها للضيقة الأجنبية. وتحيط بالباشا حاشيته التي تتألف من الكاهية عبد الله ومن الوزير أو السكرتير مصطفى الكاتب. ومن رئيس الميناء وهو أحد أصحابه. ومن اللواتي ظفرن بثقة الشيخ علي باشا، العجوز اليهودية البدينة (إيستر) التي كانت تستدعى في الغالب لتسلية، وتنمية بما ترويه له من قصص وما تسرده من خرافات وحكايات. ولعلها هي اليهودية التي أشار إليها (كنيكت) في تقريره وقال عنها إنها مكلفة برعاية شؤون الحريم وتزويده بالجواهر والملابس. فهي إذن مستشارة وتاجرة. وكانت غنية جداً<sup>(٤٧)</sup>.

وتحدثت الكاتبة في الغالب عن منازل وفيلات في منطقة المنشية المزينة بالقيشاني الفاخر<sup>(٤٨)</sup>، وما تزال توجد بعض المنازل في المنشية كانت في الأصل للقرمانلية، مثل فيلا (ناحوم) و(حوش لولاتو). ولا بد أن البيتين الواقعين قرب جامع القبطان قد كانا على غاية من الجمال في السابق، وأحدثهما عهداً ما يزال بمدخله المقوس الرائع وبرسومه النباتية والحيوانية اللطيفة. ويعرف الآن باسم (للا عائشة) وهي ابنة يوسف القرمانلي وزوجة الحاج خليفة، أمين بيت المال الذي كان مديراً للساحل في بداية العهد العثماني.

ولكي نعطي فكرة عن الوضع الإقطاعي في طرابلس الغرب في ذلك الوقت - إذا صح التعبير - نرى من الملائم أن نسوق الواقعة التي أثرت على

(٤٦) وردت (النوبة) لدى المؤرخ التونسي القيرواني ص ١٦٤ - ١٨٠ - ٢٨٦ وتعني النوبة (الحراسة المسلحة) والفرقة الموسيقية.

(٤٧) صورت أخبار العصر حسن بك في صورة حسنة إلا أن (دوكسيرا) ١٧٨٣ يراه (شاباً مضطرب النفس. طموحاً، استولى منذ زمن على السلطة الحقيقية، ولم يترك لوالده سوى ظلها ومظهرها) ويقارن بعد ذلك بين الأب والابن فيقول (يتميز الباشا الشيخ بالنوايا المستقيمة ولكنه عاجز وخامل مولع بالذهب، ضعيف الذكاء ولا سلطة له، بينما يتوفر الشاب على روح معتزة وبديهة سريعة، وهو محارب وعدو لكل مسيحي عامة ولدولة فينيسيا خاصة).

(٤٨) يوميات الليدي ورثلي ص ٤٢ - ٤٣ وكذلك: م. رومانلي (منازل طرابلس العربية القديمة) في مجلة (Architettura e arti Decorative) السنة الثالثة - ١٧٢٤.



الكاتبة، وكانت جديرة بالتعقيب، وتقول (خارج المنشية ثمة أرض واسعة، في حوزة أحد رجال الدين، وتعرف هذه المنطقة باسم (الصيد) وهو اسم الرجل، ومعناه (الأسد)، وهو معبد لا يستطيع أحد أن يتعدى على حرمة بما في ذلك الباشا. وتصبح حياة أي قاتل مصونة داخل هذه المنطقة)<sup>(٤٩)</sup>.

والمكان الذي تشير إليه الكاتبة هو الهنشير والولي الذي تحدث عنه هو الذي أشرنا إليه، في أحداث سنة ١٦٣٠<sup>(٥٠)</sup>، وهو محمد الصيد اليحياوي، وله قرابة بقبيلة (بني رقية) الرقيعات المقيمة بضواحي طرابلس. وكان رجلاً ورعاً تقياً صالحاً منصرفاً إلى العبادة والتصوف. وقد استطاع، بفضل تلك القداسة التي أحاطت به، أن يقف في وجه الطغاة وحكام ذلك العصر الحديدي، من تاريخ طرابلس، وأصبحت داره - أي معبده ومسجده - ملجأ وملاذاً حقيقياً للمستغيثين والمستجيرين. وقد توفي في نهاية رمضان من عام ١٠٥٠ (أوائل يناير ١٦٤١) وخلفه ابنه عبد الحفيظ الذي تمتع هو وسلالته بنفس المزايا التي كانت للأب. وفي منطقة الهنشير يبدي حارس الضريح للزوار العمود الذي ينز عرقاً كل رمضان. وتوحي القرية بكاملها بمنظر الحصن المسلح بالأسوار والهبة الدينية والاعتقادات.

وقد كان من مصلحة القرمانيين - كغيرهم من الحكام الذين تقدموهم - أن يكسبوا تأييد سلالة هذا الولي. وقد قام يوسف القرماني نفسه بتشيد مسجد على نفقته، في موقع آخر وبني له قبة جميلة، وجعله ملاذاً آخر أحدث من ملاذ الهنشير، وأقامه في الحي المعروف (المرغني) باسم دفينه الولي (سيدي. المرغني)<sup>(٥١)</sup>.

(٤٩) يوميات اللبدي ورثلي ص ١٤.

(٥٠) أنظر ما تقدم ذكره في الفصول السابقة بخصوص هذا الولي.

(٥١) ابن غلبون ص ١٠٤ (٧٩) - العياشي (الرحلة) ج ١ ص ٦٢ - ٦٣ والجزء الثاني منها، ص

٣٧٩ - ٣٨٠ - عبد السلام بن عثمان التاجوري (كتاب الإشارات) ترجمة (جيسارو) ص ٢٣ -

رحلة الورتلاني - تونس ١٣٢١ ص ١٥٩ والجزء الثالث ص ١٧٥. أنظر كذلك فيرود ٢٤٢ - =

## ٨ - القرصنة والطاعون في ١٧٨٤ - ١٧٨٦

اجتاحت طرابلس في سنة ١٧٦٧ مجاعة فظيعة<sup>(٥٢)</sup>، وفي صيف ١٧٨٤ انتشرت المجاعة من جديد، وقد لاحظت ليدي ورثلي في يومياتها لشهر أغسطس (أن المدينة في ظروفها الراهنة، تمر بحالة مرعبة من المجاعة حتى إن المرور بشوارعها، على الأقدام أو فوق ظهور الخيل، أصبح شيئاً خيفاً مفزعاً بسبب الجوعى الذين يموتون كل يوم على الطرقات)<sup>(٥٣)</sup>.

وكما يحدث في العادة، فقد كانت المجاعة تجر خلفها الطاعون. وقد ظهرت الإصابات الأولى في ربيع ١٧٨٥<sup>(٥٤)</sup>. وكان القبول الأعمى بفكرة القدر دون حذر ولا احتياط، والجهل، وقلة الأطباء (ثمة طبيب من جنوا وحيد في خدمة الباشا) قد مكنت هذا الوباء من حصد كثير من الأرواح.

ومن مجموع السكان البالغ عددهم أربعة عشر ألف نسمة، (وهو الرقم الذي تذكره الكاتبة لسكان المدينة)، قضى الطاعون على الربع وهو رقم له أهميته، وكثيراً ما كانوا يعجزون عن نقل الموتى إلى المقبرة. وكان الجنود القولوجية، يطوفون بالمدينة ويزيحون الجثث. وقد انقطع الوباء في أوائل سنة ١٧٨٦. وكان الطاعون الذي اجتاح البلاد في سنة ١٧٨٥ سبباً من أسباب الانهيار الذي حل بطرابلس نتيجة ما جره عليها من أضرار فادحة. ويقول أحد الكتاب الفرنسيين عنه<sup>(٥٥)</sup> Les ravages indicibles الذي كان له أوحم

= ٢٤٤ حيث يذكر مراسم وتقاليد غريبة كانت قائمة في العلاقة بين أحد باشا القرماتلي والولي. ويذكر الجراح الفرنسي جيرارد في تاريخه عن الفترة الواقعة قرب ١٦٧٥ ما كان يتمتع به ضريح سيدي الصيد من مزايا خاصة في اللجوء إليه والاستجارة به.

(٥٢) فيرود ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٥٣) يوميات الليدي ورثلي ص ٦٧.

(٥٤) يوميات الليدي ورثلي ص ٨٢.

(٥٥)

A. C. Froment de Champ la garde,

(Histoire abrégée du règne d'Ali Caramanli Pascia di Triploli de Barbarie ms. Bibl. Publica di Malta, n 113 p. 29.

العواقب على الوضع الاقتصادي والنظام الاجتماعي الآخذين من قبل في الضعف والهزال).

## ٩ - العلاقات مع الدول المسيحية :

عقدت في ١٠ سبتمبر ١٧٨٤ اتفاقية صداقة وتجارة بين طرابلس وإسبانيا، وقد تضمنت فيما تضمنت من مواد، المادة ١٨ التي تحدد رسوم الميناء على أساس ٢٧ قرشاً عن كل سفينة ترسو بميناء طرابلس، وتعفى السفن من دفع الرسوم على الرسو في الموانئ الأخرى التابعة للمملكة أو الإيالة، ولا يلزم الربان بتسليم المقود والأشعة (المادة ٢٣)<sup>(٥٦)</sup>، وتم تعيين أول قنصل لإسبانيا بطرابلس<sup>(٥٧)</sup>.

وقد تركزت امتيازات البندقية بطرابلس، في استغلال ملاحات زوارة. وفي ١٥ نوفمبر ١٧٨٣، وصلت إلى طرابلس فرقة بحرية بندقية بقيادة (أندرينا كويريني Andrea Querini) وهي ملكفة بسفارات لدى ولاية تونس والجزائر وطرابلس. وقد استقبل رئيس البعثة استقبالاً كريماً من والي طرابلس ثم تابع رحلته إلى زوارة حيث فض الإشكال الناشئ عن تأخر الباشا في دفع مستحقات العمال الوطنيين الذين تولوا شحن الملح. وحين وصل إلى زوارة

---

(٥٦) نشرت الاتفاقية في مجموعة (مارتنس Martens) الطبعة الثانية الجزء ٣ ص ٧٦٠. وقد ظلت عادة تسليم المقود والأشعة قائمة لدى دول الشمال الإفريقي (بربارسك) مدة طويلة من الزمن. وهي نوع من الضمان لدفع رسوم الميناء والجمرك أو للحيلولة دون الإفلات المحتمل أو هروب الأسرى المسيحيين.

(٥٧) فيرد ص ٢٧١ - ٢٧٢. وقد كان أول قنصل لإسبانيا بطرابلس وقد اشترى الإسبانون السلم مع طرابلس والباب العالي بثمان فادح. وقد نصت الاتفاقية الإسبانية الطرابلسية ١٧٨٤ على منح جواز مرور من القنصل الإسباني يوصي السفن الإسبانية بأن تعامل السفن الطرابلسية معاملة لرعيا بلد صديق لصاحب الجلالة. وهكذا تحمي مثل هذه الاتفاقيات القرصنة ضد مصالح الدول الصغيرة بإيطاليا.

كانت ترسو بمينائها ست سفن من البندقية، وسفيتان دتمركيتان لشحن الملح<sup>(٥٨)</sup>.

ويقول فيرود<sup>(٥٩)</sup> إن جمهورية البندقية قد تنازلت فيما بعد عن امتيازاتها إلى ميلانو. ورغم العلاقات السلمية الودية القائمة مع فينيسيا فقد ساعد علي باشا القرمانيلى، حمودة باشا باي تونس، ووقف إلى جانبه في الصدام الذي وقع بين تونس والبندقية في ١٧٨٤ - ١٧٩٢ وأرسل إليه المدافع والأسلحة<sup>(٦٠)</sup>.

وكانت هولندا التي أخذت مصالحها التجارية في البحر الأبيض المتوسط والشرق الأقصى في النمو، قد عقدت اتفاقيات تجارية مع طرابلس في ١٧٠٣ و١٧١١ و١٧٢٨. وفي سنة ١٧٤٩ سافر مندوب عن القرمانيلى إلى (لاهاي) وقد قدم إلى الجمعية الوطنية ومنح مكافأة بأربعين ثم بخمسين ثم بستين فيورينو في اليوم.

وفي سنة ١٧٨٠ بعث علي باشا القرمانيلى إلى (غوليلم الخامس) برسائل تهنئة بعودته إلى (لاهاي) ومبلغاً بإرسال أحد وزرائه وبعض الهدايا<sup>(٦١)</sup>. وفي سنة

---

(٥٨) كان ضمن المسافرين مع فرقة كويريني التاجر البندقي (دوكسيرا Marino Doxera) الذي ترك لنا وصفاً لرحلته بعنوان (istorico Giorale) في بلدان إفريقيا الشالية. وتوجد مخطوطة هذه الرحلة تحت رقم ٢٥٨ بمكتبة Civico Museo مجموعة شيكونيا. وقد نشر قسماً منه (١. بيلوت) بعنوان:

A. Pilot. Un Viaggio a Tripoli verso la fine del 1770, in Ateneo venetoluglio - Agosto 1913

كما لخصت هذه الرحلة في مجلة الجمعية الجغرافية ١٩١٣ ج ٢ ١١٨١ - ١١٨٤ وقد نشرها مؤخراً فرانيسكو كورو تحت عنوان:

Una rclazion veneziana dell' anno 1784 sulle reggenze di Tunisi, Algeri e Tripoli - in Tripolitania nov. 1913 p. 9 - 17

(٥٩) فيرود ص ٢٧٢.

(٦٠) كارلو نالينو: البندقية وصفافس إلى ص ٣٤٦.

(٦١) A. Blessich La penetrazione italiana in Tripolitania, in Bollettino R. Soc. Geogr. Ita- liana, serie IV vol IX Roma 1908 p. 777

١٧٨٥ وصل إلى ميناء طرابلس قائد السفينة الهولندية الكابتن (كينسبرجن Kensbergen) الذي سلم الباشا مبلغ ستين ألف فيورينو. ولم يرض الباشا بالمبلغ، ورغب في أن يبعث ابنه إلى هولاندة على ظهر السفينة الهولندية ذاتها، ولكن قائدها رفض ذلك بحجة أن بلاده لم تعد ترغب في استقبال سفراء. فقام علي باشا بطرد هذا القنصل الهولندي (ورنسمان Warnsman) من طرابلس. وقد عاد هذا القنصل بعد مدة حاملاً إلى الباشا هدية بمبلغ ألفي دوكاتو<sup>(١٧)</sup>. ولاحظ قنصل فرنسا (فالير Vallière) قرب سنة ١٧٨٦ أن تجارة طرابلس كانت في حالة من الركود التام نتيجة للمجاعة والطاعون اللذين اجتاحا البلاد في الأعوام الماضية، والمبادلات التجارية القليلة المحدودة كانت تتم مع مارسيليا وليفورنو عن طريق بعض التجار اليهود، وكذلك مع البندقية، وكان القائد مصطفى رئيس الجمرك، وهو نابوليتاني الأصل، يحتفظ بعلاقات تجارية مع صقلية ونابولي.

وكان الأسرى الإيطاليون في ذلك الوقت قليلين ولا يزيدون على مئة<sup>(١٨)</sup>، ويلقون معاملة غير سيئة. وكانت العلاقات التي قامت بين طرابلس وملكة الصقليتين في سنة ١٧٢٦ في عهد أسرة (أستريا Austria) قد استؤنفت مباشرة بين نابولي وطرابلس بواسطة اتفاقية ١٧٤١. وفي يوليو ١٧٦٣ قامت سفينتان نابوليتان بمهاجمة سفينة قرصنة طرابلسية، في بحر إيونيو، وعلى ظهرها ثمانية مدافع، واثنان وثمانون رجلاً. وتتوفر بعد ذلك معلومات عن تأكيد الاتفاقيات بين طرابلس ونابولي في ١٧٨٥ - ١٧٨٧<sup>(١٩)</sup>.

## ١٠ - الحالة في دواخل طرابلس الغرب

في المنشية وتاجوراء ومسلاتة ومصراتة والزاوية وزوارة، كان القادة يشون في الناس الشعور بسلطة الحكومة. كما كانت غريان أيضاً خاضعة تقريباً لسلطة هذه الحكومة. أما في المناطق النائية فقد كان البدو يحيون حياة حرة خارجة عن

(٦٢) فيرود ص ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٨٩.

(٦٣) فيرود ص ٢٧٥ - ٢٧٧.

Blessich, art. cit. p.871 - 877

(٦٤)

كل قيد. ففي الشرق كان أولاد سليمان بزعامة سيف النصر يسيطرون على منطقة سرت وطرق فزان. وكانوا قد قتلوا رمضان آغا (قائد) مصراته، في سنة ١٧٢٨. وتمت المصالحة بين الباشا وأولاد سليمان بوساطة الولي سيدي الصيد<sup>(٦٥)</sup>. أما النوائل في المنطقة الغربية، على حدود تونس، فقد كانوا في الغالب ملازمين للثورة، مثل ورشفانة في المنطقة الساحلية الغربية. وقد ظل المحاميد في الجبل (الجنوب والغرب من طرابلس) موالين لخلصين للقرمانلية، اعترافاً بالمعاملة المخلصة الصادرة التي لقوها في الماضي من أحمد باشا القرمانلي. وكان حسن بك، الابن الأكبر للباشا، يخرج من حين إلى آخر على رأس محلة إلى الدواخل لجمع الضرائب ومعاينة المتمردين. وقد قاد في سنة ١٧٨٩ حملة على سيف النصر وقبيلة أولاد سليمان.

ولم يكن في الإمكان أن تبلغ السلطة المباشرة لحكومة طرابلس إلى فزان، ومع ذلك فإنه يبدو أن هذا الاقليم كان هادئاً ومواظباً على دفع الخراج. أما بنغازي ودرنة فقد كان يحكمها ممثلون عن حكومة طرابلس.

## ١١ - مقتل حسن بك القرمانلي على يد أخيه يوسف

كان الحقد الذي يشعر به يوسف نحو أخيه حسن بك قد انتهى به إلى قتله. ولم يدع العدد الكبير من الأعوان الذين يحيطون بحسن بك وتحمس الناس له سبيلاً ليوسف سوى سبيل الغدر. ففي يوم الجمعة ٢٠ يوليو ١٧٩٠<sup>(٦٦)</sup> ذهب إلى القلعة، ودخل على والدته، وأبلغها برغبته الأكيدة الراسخة في التصالح مع أخيه. فاستدعت (للا حلومة) ابنها حسن بك حتى تتم المصالحة بحضورها. وتبادل الأخوان الحديث، بعض الوقت، أمام الأم، ثم أقسما على المصحف بأن يعيشا في وفاق ووئام، في مستقبل الأيام، ثم أشار سيدي يوسف إلى عبيده فسلموه مسدسين، فأطلق النار فجأة على البك الذي كان يجلس

(٦٥) فيرود ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٦٦) فيرومنت ص ٣١. لقد تم اختيار يوم الجمعة عن قصد لخروج الناس فيه من المدينة إلى (سوق الجمعة) الواقع شرقي مدينة طرابلس.

بجوار أمه. وقد رفعت للاحلومة يدها لحماية ابنها، ولكنها أصيبت بجروح فيها، وحاول البك أن ينهض ليوجه ضربة من سيفه إلى يوسف الذي بادر فأفرغ فيه المسدس وأصابه في قلبه. وقد تألم الأهالي لموت البك. وكانت فجيرة أمه وأرملته فيه كبيرة<sup>(٦٧)</sup>. ودفن حسن بك في مسجد القرمانيلى بجوار جده أحمد باشا<sup>(٦٨)</sup> ودعي أحمد - الابن الثاني - من الزاوية وأسند إليه منصب البك. وقد أبت رغبة يوسف في البروز والسيادة إلا أن تؤكد نفسها ضد أحمد بك أيضاً. ففي عام ١٧٩٠ خرج الاثنان في حملة إلى مصراتة، وكان أولاد سليمان يقفون إلى جانب مصراتة ويؤيدونها، ويقف الشيخ خليفة من قبيلة المحاميد إلى جانب القرمانيلى. وقد قتل في هذا الصدام ابن سيف النصر.

ولكن سيدي يوسف عاد في سنة ١٧٩٠ إلى إضرام الخلاف مدفوعاً بتأييد عرب الضواحي، وتحريض أحد الأولياء (الشيخ الفطيسي) فحاصر سيف تلك السنة مدينة طرابلس. وقد ظل طوال العام التالي وقسماً من العام الثالث ١٧٩٣ خارجاً على سلطة والده، وقام بعدة غارات على أسوار المدينة. وقد تمكن علي باشا من الحصول على تأييد المحاميد وسيف النصر وأولاد سليمان والنوائل بينما كان عرب ترهونة وغريان يؤيدون يوسف ويقفون إلى جانبه.

## ١٢ - علي برغل يستولي على الحكم بطرابلس (١٧٩٣ - ١٧٩٥)

بينما كانت الأسرة القرمانيلى تنهار وتتفكك بفعل خلافاتها الداخلية، كان

(٦٧) يوميات الليدي ورثلي ص ٢٢٩ - فرومنت، المخطوطة المذكورة ص ٣١ - ٣٢ فيرود ص ٢٨٣ - ٢٨٤ وانظر كذلك:

MÉDINA (Les Karamanlis de la Tripolitaine et l'occupation temporaire de Tripoli par Ali Boulgour, in Revue Tunisienne XIV gennaio 1907.

وانظر أيضاً، سلوش (طرابلس تحت حكم القرمانيلى) مجلة العالم الاسلامي المجلد ٦ - ١٩٠٨ ص ٦٤. وبين المصادر غير المنشورة نذكر (وقائع) الإرسالية الفرنسيسكانية المعروفة باسم (الكتاب القديم) مخطوط ص ٢٩٧. ورسالة من قنصل الدائم لوكنر Lochner لمحفوظات القنصلية الإنجليزية وهي مؤرخة في ٢٠ - ٧ - ١٧٩٠.

(٦٨) سجلت على قبره بعض الأبيات الشعرية وتاريخ الوفاة ذو القعدة ١٢٠٤ (يوليو ١٧٩٠).

(علي برغل)<sup>(٦٩)</sup> وكيل الخارج بالجزائر (أي المختص بالشؤون البحرية)، قد طرد من تلك المدينة <sup>(٧٠)</sup> في فبراير ١٧٩٣، لما ارتكبه من فظائع، فانتقل إلى الأستانة وسامو الحكومة<sup>(٧١)</sup>، وحصل على فرمان السلطاني بتعيينه والياً على طرابلس. وقد مر بالمورة وجزر يونيو، وجمع مئآت من المرتزقة المغامرين، وظهر يوم ٢٩ يوليو بأسطوله أمام طرابلس. واقترب من حصن الميناء وأبلغ الأهالي إرادة السلطان.

وكان علي باشا شيخاً مسناً ضعيفاً، أفزعه ظهور الأسطول، وتملكه الخوف من احتمال وصول امدادات جديدة له من القسطنطينية التي كان يتوقع منذ مدة أن تفاجئه بمثل هذه المواقف. فخرج على الفور من القلعة ليلة ٣٠ يتبعه الكاهية، وأخوه بك بنغازي الذي كان قد وصل قبل ذلك بقليل، لدعمه ومساندته. وفروا جميعاً إلى تونس في الوقت الذي كان علي برغل يدخل المدينة في يوم ٣٠ يوليو. وقد طرح أحمد بك وسيدي يوسف أحقادهما القديمة وخلافتها جانباً، وقاما بتسليح سكان الدواخل في محاولة لاسترجاع المدينة. وتلا ذلك حصار طويل حافل بالأحداث الخيالية<sup>(٧٢)</sup>.

(٦٩) يوميات الليدي ورثلي ص ٢٥٧ - فرومنت ص ٤٠ - فيرود ص ٢٨٤ - ٢٨٩. (٧٠) فيرود.

**FERAUD** (Ephémérides d'un secrétaire officiel sous la domination Turque à Alger de 1775 à 1805, Revue Africaine, XVIII 1875 p. 295.

ويبدو من هذه اليوميات أنه في يوم ٧ فبراير ١٧٩٣ قام حسين باشا بإلقاء القبض على سيدي علي وكيل الخارج وأركبه بالقوة إحدى السفن المسافرة إلى تركيا صحبة قارة محمد الخرندار. (٧١) أحمد جودت باشا (تاريخ) باللغة التركية ج ٨ ص ٣٤٣. لقد توسط له أخوه الذي كان بدار الصناعة بالأستانة لدى كتابودان الأسطول حسين وتمكن بواسطته من الحصول على تعيينه (بليربي) طرابلس.

(٧٢) محفوظات القنصلية الإنجليزية، رسائل القنصل لوكاس (وقائع الإرسالية الفرنسيسكانية) رسائل بلاتو، القنصل الدائري (محفوظات القنصلية الإنجليزية) فرومنت - برنيا ص ٢٤٠ - ٢٤٦ فيرود ص ٢٨٩ - ٣٠٤ - سلوش، مجلة العالم الإسلامي ١٩٠٨. وانظر أيضاً: م. كوهين (اليهود بليبيا - عادات وتقاليد، ترجمه إلى الإيطالية م. م. مورينو - روما ١٩٢٩). ١٩٢٨.



ولم تتبع للاحلومة زوجها، عند هربه، وبقيت بأحد منازل المدينة، حيث توفيت في ١٧٩٣، وهي تحمل الرؤيا المؤلمة للأسرة المشتتة المتمزقة. وقد تعرض اليهود إلى اضطهاد أكثر من غيرهم<sup>(٧٣)</sup>. وسجنت استر تلك المرأة المتنفذة القوية، وكبلت بالأغلال لأنها رفضت دفع مساهمة مالية فورية. وطلب من القنصل البندقي (بلاتو) الذي يدير القنصلية الدائمية دفع ١٢ ألف زوكيني، وحين رفض الدفع طرد من طرابلس، وأعلنت الحرب على حكومته.

ولم تفلح جهود يوسف بك ضد هذا المغامر الذي كان يتوفر على أسوار قوية وجنود شجعان وذخيرة ومدافع. وقد ساءت أحوال المحاصرين وأصبحت خطيرة بسبب انعدام المواد الغذائية، وبسبب وحشية المغامر علي برغل وجشعه وطمعانه.

وفي يوم من أغسطس ١٧٩٤ خرج علي برغل من المدينة وهزم يوسف القرمانلي الذي فر إلى تونس<sup>(٧٤)</sup>.

وفي تونس أخذ يستعد لاسترداد السلطة من هذا المغامر. وكان علي برغل قد طلب من حمودة باشا، أثناء حصار المدينة، تزويده بالذخيرة، فرفض باي تونس ذلك، فأعلن عليه الحرب، واحتل جزيرة جربة بواسطة قارة محمد نائبه. وكانت عمليات النهب التي تمت في تلك الجزيرة أو التهديدات للاقليم التونسي، قد جعلت الباي يصمم على حشد جيش تونسي لاستخلاص طرابلس<sup>(٧٥)</sup>.

---

(٧٣) يحتفل اليهود كل عام يوم ٢٩ تبت بإقامة بوريم (برغل). وتروي بعض التواريخ الطرابلسية العبرية من تأليف أ. خلفون هذا الحادث المحزن من تاريخ طرابلس. وقد أورد سلوش نقلاً عن هذا التاريخ.

(٧٤) رسالة بتاريخ ٢٠ - ١٠ - ١٧٩٤ من القنصل لوكاس (مخطوطات القنصلية الإنجليزية).

(٧٥) B. ROY (Documents sur l'expédition de Tripoli en 1204 de l'hégire (1795) in Revue Tunisienne, XII, 1906 p. 283 - 291.

وفي مساء يوم ١٦ يناير ١٧٩٥ عند الساعة الثالثة بعد الزوال، ظهرت عند الهضبة البحرية الغربية طلائع الجيش التونسي بقيادة مصطفى خوجة، وفي صباح يوم ١٧، وفوق نفس الهضبة (ظهرت القوة المعادية التي لا تحصى، بين فرسان ومشاة وجهالين، وكانت من الكثرة بحيث تمتد من الهضبة حتى المنشية)<sup>(٧٦)</sup>.

وقام علي برغل بآخر عمليات السلب والنهب، ونفس عن غضبه الدموي، وسافر ليلة ٨ فبراير<sup>(٧٧)</sup> متخلياً عن المدينة التي دخلها الأمراء القرمانيون والجيش الذي لم يتردد في القيام - داخل المدينة وخارجها - بأعمال سلب وندالية. ودفع الأهالي مبلغاً كبيراً للجيش التونسي، وبايعوا أحمد باشا، وبقي علي باشا بتونس ثم جاء إلى طرابلس على ظهر سفينة انجليزية في فبراير. وتوفي في ٢٣ يوليو ١٧٩٦ وفي نفسه حسرة من الكوارث التي حلت به، ومن الانقسام العائلي الذي أضعف أسرته<sup>(٧٨)</sup>.

(٧٦) وقائع الإرسالية الفرنسيسكانية، وتشير إلى برج لعله قلعة قرقارش.

(٧٧) رسالة بتاريخ ١٢/٢/١٧٩٥ من القنصل لوكاس (محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس) وقد سافر علي برغل بعد ذلك إلى مصر ومنها إلى مكة ثم إلى الأستانة التي أرسلته والياً على مصر حيث قتل في ١٨٠٤ (أحمد جودت تاريخ ج ٨ ص ٢٧٤).

(٧٨) رسالة بتاريخ ٢٥/٧/١٧٩٥ من القنصل الدائم لوشنر (محفوظات القنصلية الإنجليزية) يحمل قبره بترية القرمانيات تاريخ محرم ١٢١١ (٧ يوليو - ٥ أغسطس ١٧٩٦). ويذكر (الدفتر) يوم الجمعة ١٦ محرم ١٢١١ (٢٢ يوليو ١٧٩٦) - أما فيرود فيورد خطأ ٣٣ أغسطس.

## الفصل السابع العهد القرماني - حكومة أحمد باشا الثاني ويوسف باشا وعلي باشا الثاني عودة السيادة العثمانية

- \* أحمد باشا الثاني ١٧٩٥ - يوسف القرماني (١٧٩٥ - ١٨٣٢) يزيع أخاه ويستولي على الحكم.
- \* شخصية يوسف باشا القرماني.
- \* العلاقات مع الدول الكبرى.
- \* الوضع في فزان والدواخل.
- \* أسرة يوسف القرماني وحكومته وبلاطه. الانهيار والاختلال الاقتصادي والسياسي بولاية طرابلس الغرب. نهاية القرصنة. الموقف الحازم للدول الكبرى في الخصوص.
- \* ثورة الحفيد محمد بك وتنازل يوسف باشا القرماني ١٨٣٢.
- \* علي باشا القرماني الثاني.
- \* تدخل الدولة العثمانية وإعادة السيادة العثمانية على طرابلس.
- \* التجارة والوضع الاقتصادي بطرابلس الغرب قرب ١٨٣٠ - شجرة الأسرة القرمانية.

## ١ - أحمد باشا القرماني الثاني ١٧٩٥ - يوسف باشا القرماني يزيح أخاه ويستولي على الحكم (١٧٩٥ - ١٨٣٢)

تولي أحمد باشا القرماني الثاني الحكم أشهراً قليلة معدودة، ثم استسلم كما هو متوقع وحتمي، لقوة شخصية أخيه يوسف وسلطوته. ومن المهم أن نسوق هنا الحكم الذي سجله القنصل الانجليزي (سيمون لوكاس) الذي قال عن أحمد باشا إنه ما كاد يصل إلى الحكم حتى انساق إلى اللهو وأهمل شؤون الحكومة. وأضاف (أن سيدي يوسف كان على النقيض منه من حيث الشخصية، فلم يكن يدخن ولا يشرب الخمر، وقد تمرس عدة أعوام بتجربة الألم وتخرج من مدرستها، وأجاد فهم فن الحكم وكسب عطف الرعية التي كانت تحبه إلى درجة العبادة، وحاول بالاتفاق مع قادة الشعب إنقاذ البلاد من الدمار الكامل، فانتزع من أخيه خيوط الحكم ووضع نفسه مكانه)<sup>(١)</sup>.

ففي يوم ١١ يونيو خرج أحمد باشا فوق جواده، من المدينة، في موكب كبير للترويح عن النفس. فقام يوسف بالاتفاق مع أعوانه بإغلاق أبواب المدينة خلفه، وفي أقل من نصف ساعة نصب نفسه والياً، وبايعته الرعية بالإجماع. ولم يكذ أحمد باشا يسمع طلقات مدافع القلعة تعلن تنصيب الوالي الجديد حتى بادرك إلى الحرب، واللجوء إلى حرم سيدي الصيد بالمنشية، ثم انتقل إلى الدواخل. وقد عرض عليه يوسف حكم بنغازي ودرنة وأوجلة، فقبل. وركب سفينة كان من المقرر أن تحمله إلى برقة، ولكن عاصفة عنيفة انتهت بها إلى مالطا، بعد مواجهة لكثير من الأخطار. وبدلاً من أن يلحق بمقر عمله الجديد،

(١) رسالة بتاريخ ٢٦ - ٦ - ١٧٩٥ بمحفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس.

فضل أحمد باشا الانتقال من مالطا إلى تونس، حيث أقام بها دون أن يتخلّى عن نيته في العودة واسترداد السلطة<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - شخصية يوسف باشا القرمانيلى

كتبت المؤلفة الانجليزية في يومياتها عن عام ١٧٩٣، أثناء انشغال يوسف القرمانيلى بتحرير المدينة من الغاصب الدخيل علي برغل، فقالت (إن مسلكه في مواجهة الأتراك الغاضبين قد أرغم الجميع على الاعتراف له بالبروز والتفوق على كافة أفراد الأسرة والإقرار له بالحكمة والدهاء رغم ما تميز به قلبه من قسوة)<sup>(٣)</sup>.

ويقول مؤرخ الإرسالية الفرنسيسكانية في سنة ١٧٩٥ محدداً شخصية يوسف باشا (إنه ليس بالرجل القاسي، ولكنه عنيد ومترفع متكبر، لا يحترم القناصل ولا الدول الإيطالية والأوربية)<sup>(٤)</sup>.

كانت تلك شخصية يوسف باشا القرمانيلى إلى أن أوهنت السنون والكوارث من معدنه الصلب القوي. كانت شخصية قوية متسلطة تحب الثروة كوسيلة للسيطرة وحب التأييد الشعبي. إنه خليط من الوحشية والكرم. وقد كتب عنه المكتشف الأثري الإنجليزي (سميث) فيما بعد (١٨١٦ - ١٨١٧) يقول (إن يوسف باشا يمثل مزيجاً من الفضائل والرزائل. فهو رجل اجتماعي ذكي وأب عطوف وصديق مخلص. ويبدو أن الطبيعة قد أرادت على أن يكون إنساناً شريفاً ولكن التجارب والمحن التي صادفته قد ساهمت - ولا بد - في طغيانه الجامح وفكره الخالي من الثقافة)<sup>(٥)</sup>.

واهتم يوسف باشا على الفور بتحسين الأوضاع الدفاعية بالمدينة، فقد كانت الصراعات الأخوية التي وقعت في ١٧٩١ - ١٧٩٣ وحصار سنوات

(٢) الرسالة المذكورة سابقاً - فيرود ص ٣٠٤ - ٣٠٦.

(٣) يوميات الليدي ورتلي ص ٣٤٠.

(٤) الكتاب القديم، مخطوطة الإرسالية الفرنسيسكانية ص ٢٨٩.

(٥) ترجم هذا النص في الأرشيف البيلوغرافي الاستعماري. فلورنسا ١٩١٥ ص ١٦٤.

١٧٩٣ - ١٧٩٥ والإهمال الطويل للحكام السابقين، قد أضعفت هذه كلها وأوهنت من قوة التحصينات في المدينة ونشرت الدمار في الضواحي<sup>(٦)</sup>.

وقد بدأ في ديسمبر ١٧٩٥ في إعادة ترميم أسوار المدينة مبتدئاً من الباب الذي يقع عند المقبرة المسيحية، باب (الفلفول) قرب الحصن الإسباني<sup>(٧)</sup>. وفي سنة ١٧٩٦ كانت قوته في مجموعها تبلغ حوالي سبعين مدفعاً موزعة في عدة نقاط دفاعية. وكانت القوة البحرية تتألف من ثمان سفن وأكبرها مزودة بأربعة عشر مدفعاً. وكانت قيادة السفن بيد المدعو (بيتر ليزلي Peter Lysle) من مواليد Perth، وكان بحاراً فوق سفينة القنصل الإنجليزي. وقد اعتنق الإسلام وسمي مراد راييس<sup>(٨)</sup>. وكان صديقاً حميماً للباشا الذي زوجه من إحدى بناته<sup>(٩)</sup>.

كما جدد الباشا في سنة ١٨٠٠ - ١٨٠١ البرج المواجه للبحر والواقع في منتصف الطريق بين الميناء والقلعة. وهو يعرف ببرج (المجزرة) لوقوعه قرب مجزرة المدينة<sup>(١٠)</sup>.

### ٣ - العلاقات مع الدول الكبيرة

ازدادت المنازعات مع الدول البحرية في عهد يوسف باشا، وأصبحت أكثر حدة. ولا يمكن القول بأن الدول المسيحية قد قدمت صورة طيبة عن نفسها في مواجهة الموقف. ولم تستطع هذه الدول أن تمنع قراصنة الشمال الإفريقي وتضعهم عند حدهم إلا بعد عشرات الأعوام. عقب تحريرها وتخلصها

(٦) يرجع إلى تلك الأعوام تدمير الخزان المائي الذي أقامه أحمد باشا والذي سبق الحديث عنه ضمن إنجازاته في الفصل السابق.

(٧) الكتاب القديم للإرسالية الفرنسيسكانية ص ٢٨٩.

(٨) رسالة بتاريخ ٢٧ - ٦ - ١٧٩٦ بمحفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس.

(٩) D. Badia y Leblich, Voyages d'Aly Bey, Paris, 1814 - 11 - p. 24.

(١٠) الكتابة التي ما تزال تقرأ حتى الآن في إحدى نقاط الجانب المواجه لشارع سوق النجارة تحمل تاريخ ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ - ١٨٠١) وقد نشرها أوريجما

Aurigemma, Not. arch. min. delle colonie. 11, 1926 p. 292 - 398 - 399.

من المشاكل الناشئة عن قيام الثورة الفرنسية وحرب نابليون. وخلال هذه الفترة استمرت تلك العادة القائمة على كسب احترام القراصنة ومراعاتهم عن طريق البذل والعطاء. وقد اضطرت الدانمرك في سنة ١٧٩٦ وفي ١٧٩٧ إلى إرسال سفن إلى طرابلس لغرض مراعاة المعاهدات المبرمة واحترامها. ففي يوم ١٦ مايو ١٧٩٧ لقن الكابتن الدانمركي (بيل Bille) درساً قاسياً للسفن الطرابلسية، ثم وقع اتفاقية صلح جديدة.

ويقدر مجموع ما استطاع يوسف باشا أن يستلمه من أموال خلال ثلاث سنوات بما يلي<sup>(١١)</sup>:

إسبانيا	٤١٠٠٠	قرش
نابولي	٥٠٠٠	قرش
فينيسيا	٢٣٠٠٠	قرش
أمريكا	٤٩٠٠٠	قرش
راقوزا	٤٠٠٠	قرش
الدانمرك	٩٧٠٠٠	قرش
السويد	٧٧٠٠٠	قرش

وحين تصاعد الصراع الفرنسي - الإنجليزي من أجل السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، عمدت إنجلترا، صديقة الباب العالي، إلى التأثير على الحكومة العثمانية، حتى تأمر ولايات الشمال الإفريقي بالامتناع عن أية علاقة مع السفن الفرنسية. ثم دخلت تركيا الحرب، ضد فرنسا، إثر حملتها على مصر. وقد أرسلت الآستانة رسولاً سلطانياً إلى يوسف باشا يحمل إليه أمر الزحف على الفرنسيين بمصر<sup>(١٢)</sup>، والقبض على جميع الفرنسيين المقيمين بالولاية كرهائن، وملاحقة السفن الفرنسية المبحرة من طولون، واعتراض طريق المراسلات البريدية بين فرنسا وحملتها بمصر. ومع هذا كله فإن يوسف باشا لم

(١١) فيرود ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

(١٢) فيرود ص ٣١٠.

يخف تعاطفه مع فرنسا<sup>(١٣)</sup>، تحت تأثير القنصل ورسائل الشاء التي تلقاها من نابليون. وحينما احتل نابليون مالطا - وبحركة سياسية أكثر منها إنسانية - أطلق سراح ألفي أسير مسلم كانوا بالجزيرة، وحصل من جانبه أيضاً على موافقة ولاية طرابلس وتونس والجزائر على إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين والمالطيين<sup>(١٤)</sup>.

وقد استطاع القنصل الفرنسي (ب. بوسير Beaussier) أن يحتفظ بعلاقات طيبة مع يوسف باشا، رغم معارضة القنصل الإنجليزي ومعاكسته فتمكن من إرسال مواد تموينية إلى الجنرال (فامبواز Vambois) بمالطا.

وفي مايو عام ١٧٩٩ عاد القنصل الإنجليزي (لوкас) إلى طرابلس، بعد أن خرج منها في مارس من العام نفسه، ترافقه سفينة برتغالية بقيادة الكومودور الإنجليزي (د. كامبل D. Campbell) وطلب تسليمه فوراً جميع الرعايا الفرنسيين الموجودين بطرابلس. وقد تردد يوسف باشا في البداية. ولكنه لم يجد مناصاً إزاء التهديد بالقصف، من تسليم القنصل الفرنسي ورعاياه. وقد نقل القنصل الفرنسي (بوسير) فوق السفينة البرتغالية مع غيره من الرعايا، وكان من بينهم المالطي (سافيريو ناودي Saverio Naudi) نائب القنصل والمترجم. وقد أبلغ حكومته بما حدث فور نزوله بجنوا<sup>(١٥)</sup>. وفي تلك المناسبة وقع الباشا

---

(١٣) كان لفرنسا على الدوام بطرابلس قناصل أقوياء أذكاء. وفي يوليو ١٧٩٦ وقع حادث خطير بين الباشا والقنصل الفرنسي. فقد لاحق أحد الأتراك شخصاً يهودياً ضربه داخل القنصلية الفرنسية التي استجار بها اليهودي المذكور. وقد قام القنصل الفرنسي بالقبض عليه ولم يطلق سراحه رغم محاصرة ثلاثمائة جندي من جنود الباشا للقنصلية. بل تمكن من الحصول على تسوية واعتذار. (برنيا ص ٢٥١ - فيرود ص ٣٠٦) بخصوص العلاقات مع فرنسا حتى سنة ١٨٥٠ انظر:

A. Bernard, (Un mémoire inédit de Pellissier de Reynaud, in Mém. M. Basset Paris 1928, 1 p. 69 - 82.

H. Scicluna (Actes et documents pour servir à l'histoire de l'occupation française de Malta, Malta 1925 p. 88 - 145 - 156.

(١٥) رسالة بتاريخ ٦ مسيدورو العام السابع (وهو الشهر العاشر من التقويم الشوري الفرنسي) ويوافق (٢٥ - ٦) (١٧٩٩) محفوظة بالقنصلية الفرنسية بطرابلس. وقد نشرها فيرود ص ٣١٣ -



أول معاهدة سلم مع البرتغال بنفس الشروط التي حصلت عليها انجلترا التي كانت تحمي البرتغال في ذلك الوقت<sup>(١٦)</sup>. وكان إقصاء القنصل (بوسيين) هزيمة لا يستهان بها بالنسبة لفرنسا. فبعد الانتصار الذي أحرزه (نلسون) أصبح الاتصال البريدي بفرنسا عن طريق البحر أمراً شاقاً. وكان من شأن احتلال ولاية طرابلس التي تتبعها سواحل برقة، أن يبعث الأمل في إمكانية الحصول على أنباء عن هذا الطريق، إن لم تكن التجهيزات والدعم.

وقد اهتم نابليون كثيراً بضمان تبادل الاتصالات مع فرنسا عن طريق طرابلس<sup>(١٧)</sup>. وقد تلقى القنصل (بوسيين) الأمر بإقامة علاقات وطيدة مع طرابلس. وقد قام القنصل في مطلع ١٨٠١ بإصدار تعليماته إلى المغامر السمسار (سافريو ناودي) لإجراء مفاوضات مع يوسف باشا. ويبدو من هذه

= ٣١٤ (حيث ينبغي أن يصحح تاريخ ٦ نوفمبر ١٧٩٩ بتاريخ ٦ مايو ١٧٩٩ وكذلك التاريخ ٢٤ - ١٢ - ١٧٩٩ الذي ذكر أنه يوافق ٦ مسيدورو) أنظر أيضاً وقائع الإرسالية الفرنسيسكانية ص ٢٩٦ وكذلك ميكايي ص ١٥٦ حيث يتبين أن سفر القنصل لوكاس قد تم في مارس ١٧٩٧.

(١٦) أنظر مجموعة (مارتنس Recueil) الطبعة الثانية ج ٦ ص ٦١٢ رقم ٦٧. لقد تغنى البرازيلي ف. كارديسو F. Cardoso بقصيدة بالحملة البرتغالية على طرابلس نشرت بعنوان:

Carmen heroicum de rebus a Lusitanis ad Tripolin gestis, Lisbona 1800 La guerre de Tripoli.

وترجمت إلى اللغة الفرنسية سنة ١٨٤٦ بعنوان:

R. Basset, (Notice sommaire des manuscrits orientaux des deux bibliothèques de Lisbonne, Lisbona 1894, P 31

وقد قدم لنا نص الرسالة وترجمتها المؤرخة في ١٨ ذو القعدة ١٢١٣ والموجهة من يوسف باشا إلى كامبيل. وقد وقعها يوسف باشا بـ (المتولي أوحاق طرابلس الغرب).

(١٧) أنظر هذا الخصوص المقالين:

F. Charles - Roux, (Bonaparte et la Tripolitaine) nell Arique Française (1925 suplem. p. 397 - 398 et 1926 Suppl. p. 474 - 477) e Naudi et le rétablissement des relations entre la France et Tripoli en 1802 in Revue de l'histoire des Colonies Française, 1929 p. 1 - 44 estratto dal vol. (En marge de l'Expédition d'Egypte Bonaparte et la Tripolitaine. Paris 1929 - Feraud p. 310 - 3.

التعليقات أن الغرض الأساسي للبعثة هو إبرام اتفاقيات لتسهيل الاتصال بمصر. وقد توسط في الأمر، لدى يوسف باشا، محمد الدغيس أحد الطرابلسيين المتنفذين. وهو صديق حميم لفرنسا.

وحضر ناودي إلى طرابلس وأبرم الاتفاق في ١٨ يونيو ١٨٠١. وتأكدت بموجبه النصوص السابقة، وأسبقية قنصل فرنسا في مراسم أعياد الفطر. وقررت المادة (٣٩) حرية الاتصالات البرية بين مدن ولاية طرابلس الغرب ومدن مصر، وتوفير التسهيلات لها، إما بقصد نقل منتجات البلدين عن طريق القوافل والوسائل الأخرى، وإما نقل المسافرين. وتنص المادة الواحدة والأربعون على أن الإمدادات الفرنسية التي يتم إنزالها في طرابلس وبنغازي ودرنة تنقل إلى مصر بواسطة القوافل. وكذلك يشحن كل ما يرد من مصر إلى الموانئ الفرنسية سواء كان ذلك تابعاً للحكومة أو للأفراد<sup>(١٨)</sup>.

وفي أغسطس ١٨٠٢ عاد (بوسير) أيضاً إلى طرابلس، وأبرم اتفاقية العام السابق، بعد أن حذف منها النصوص الخاصة بالاتصالات بمصر عقب عودة بقايا الحملة الفاشلة إلى فرنسا<sup>(١٩)</sup>.

وأمكن في سنة ١٨٠٢ بوساطة فرنسية، إيجاد حل لنزاع طويل مستحکم بين طرابلس والسويد. وقد تم الصلح على أساس اتفاقية سابقة عقدت في ١٥ أبريل ١٧٥٤ وفقاً للشروط التالية:

دفع مبلغ فوري قدره مئة وخمسون ألف فيورينو. ودفع مبلغ سنوي قدره ثمانية آلاف. عدا أنواع الدفع الأخرى<sup>(٢٠)</sup>. وبعد خلافات طويلة اتفقت

(١٨) أ. روارد دي كارد ص ٢٧٦. لقد اختلف ناودي بعد سنة ١٨٠٢ مع القنصل وترك وظيفته بالقنصلية واحترف السمسرة مثبلاً المتاعب في وجه الجميع.

(١٩) مجموعة (مارتنس) الطبعة الثانية ج ٧ ص ٤٢٢. لقد تمت الاتفاقية الموقعة في ٢ أكتوبر ١٨٠٢ بين محمد الدغيس الوزير الأول للبasha والبارون دي جيدستروم Do Gedestrom وكان الوسيط في ذلك الكولونيل سبستانياني Sebastiani الذي أرسله القنصل الأول إلى طرابلس.

(٢٠) في هذه تلميح إلى مطامع البasha التي تقوم بعض الدول الأخرى بإرضائها مثل تقديم الهدايا إلى الوالي عند تغيير القنصل بآخر.

هولاندة في سنة ١٨٠٢ مع يوسف باشا القرمانلي على دفع مئة وخمسين ألف فيورينو. وقد تألم القنصل الهولاندي (كاوير Kauper) من هذه الأحداث فلم يلبث أن مات في السنة التالية<sup>(٢١)</sup>

وفي نفس الوقت بدأت تنشأ لجمهورية الولايات المتحدة مصالح اقتصادية في البحر الأبيض المتوسط، وأخذت تقوم بتجارها السياسية الأولى في التعامل مع دول الشمال الإفريقي. ففي ٤ نوفمبر ١٧٩٦ قام قنصل الولايات المتحدة (جو برلو Joe Barlow) بوساطة حسن داي الجزائر، بعقد اتفاقية مع طرابلس، على أساس الشروط المعمول بها في ذلك الوقت. وتنص المادة (١٠) على أن يتلقى الوالي مبلغاً سنوياً معيناً، كما يتلقى منحة مالية عند قدوم كل قنصل جديد، هذا عدا الهدايا والمبالغ المنتظمة الأخرى<sup>(٢٢)</sup>.

وفي سنة ١٨٠٠ طالب يوسف باشا الولايات المتحدة بضريبة سنوية مماثلة للمبالغ التي تدفعها الدول الصغرى، وقد أدى رفض الولايات المتحدة إلى إعلان الحرب.

ففي يوم ١٤ مايو ١٨٠١ قام يوسف باشا بقطع سارية العلم فوق القنصلية الأمريكية. وفر الوكيل القنصلي (كاتاكرت Cathcart) إلى ليفورنو. وقامت فرقة بحرية أمريكية موجودة في البحر الأبيض المتوسط بمحاصرة طرابلس طوال صيف ذلك العام. وقصفت سفينة طرابلسية واستولت عليها وأسرت قائدها (محمد سوس) ثم أطلقت سراحه. وفي العام التالي أعلنت الولايات المتحدة الحرب على طرابلس<sup>(٢٣)</sup>. فقامت فرقة بحرية بقيادة الكومودور (موريس) في ربيع ١٨٠٣ بمحاصرة ميناء طرابلس، وهاجمت بعض القواعد المدفعية البحرية دون أن تنجح في تدميرها. وفي ٢١ أكتوبر ١٨٠٣ كانت الفرقاطة

(٢١) فيرود ص ٣١٧ ج ٣١٨.

(٢٢) مجموعة (مارتنس) الطبعة الثانية ج ٦ ص ٢٩٨. وقد وقع الاتفاقية يوسف باشا ومحمد بك، ومحمد الخزندار، وأحمد رئيس البحرية، وأحمد وزير القصر، وعلي رئيس الديوان، وسليمان الكاهية، وتحليل قائد الجند، ومحمد شيخ البلاد، ومحمد الكاتب.

E. Dupuy, Américains et Barbaresques, Paris 1910 p. 132.

(٢٣)

(فيلاذلفيا) بقيادة الكابتن (بيندريج Baindridge) تتقدم الفرقة البحرية الأمريكية العاملة تحت قيادة الكومودور (بريلي Preble) وقد تقدمت الفرقاة نحو ميناء طرابلس وهي تلاحق مركباً طرابلسياً بقيادة الرئيس زريق آغا. وكانت على ثقة بإمكان ملاحقة هذا المركب، فأطلقت عليها النار، ولكن السفينة الطرابلسية الصغيرة تمكنت من الإفلات بين جزر الميناء بينما (شحطت) السفينة الأمريكية في المياه الضحلة، واضطرت إلى الاستسلام. وكانت مزودة باثنين وأربعين مدفعاً وثلاثمائة وسبعة بحارة، منهم تسعة وعشرون ضابطاً. وقد جاء الكومودور (بريلي) إلى طرابلس في ديسمبر، ولكنه لم يفلح في إطلاق سراح الأسرى، لأن الباشا كان يطالب بمبلغ كبير لافتدائهم. واكتفى بمحاصرة البحر وملاحقة القراصنة. وفي ١٦ فبراير ١٨٠٤ قامت سفينة أمريكية تسمى (إنتريد Intrepid) بقيادة (ستيفانو ديكاتور S. Decatur) باستغلال ظلام الليل، واقتربت من الفرقاة فيلاذلفيا التي أزيحت عن مكانها، وأسرت حراسها، ثم أشعلت فيها النار<sup>(٢٤)</sup>.

وقد زاد هذا التصرف من حق الباشا ونقمته. وعاد الأمريكيون من جديد إلى مهاجمة طرابلس، في أغسطس من ذلك العام، وقاموا بعمليات جريئة ضد مراكز القرصنة، داخل الميناء. وكانوا يناوون بين المعارك والحرب وبين دعوة الوالي إلى الصلح والتسوية. ولكن الوالي كان مصرأ على موقفه الرفض، رغم وساطة فرنسا. وكان يرفع باستمرار من قيمة المبلغ المطلوب.

ويندد القنصل الفرنسي بوسير<sup>(٢٥)</sup> - الذي استخلصت هذه المعلومات من

(٢٤) ساهم الأسطول النابوليتاني في العمليات التي جرت سنة ١٨٠٣. وقد كانت السفينة التي قامت بالعملية الجريئة في فبراير ١٨٠٤ بقيادة (سلفاتور كاتالانو) من مسينا - أنظر برنيا ص ٢٥٥ وكذلك مقال ريفلو A. M. G. Riviello الذي اعتمد عليه وأشار إليه في الصفحة المذكورة.

La Bolina, Un percursore degli Italiani a Tripoli (Salvatore Catalano ecc) in Rassegna nazionale 1912 p. 496 - 474

(٢٥) رسائل بمحفوظات القنصلية الفرنسية بطرابلس بالتواريخ الفرنسية: ١٠ بروماي سنة ١٢ - ٢٧ بلوفبوس سنة ١٢ - ١٤ فروتودور سنة ١٢.

مراسلاته - بقسوة بمسلك الأميركيين قائلاً: (كان من الأحسن أن يبادروا بالهجوم، دون الدخول في مفاوضات. إن دول (بربريا) تتوفر على فن الظهور بمظهر القوي الحازم، بكل وسائلها المحدودة، خاصة إذا فطنت إلى الرغبة في التلاعب بها وخداعها).

وبناء على نصيحة (كاتا كارت) الذي كان قنصلاً بطرابلس و(إيتون W. Eaton) القنصل الأمريكي بتونس، قام الأميركيون في سنة ١٨٠٢ بنقل أحمد بك القرماني الذي كان قد نجاه أخوه يوسف باشا عن الحكم، من تونس إلى مالطا، ومنها إلى درنة، وساعدوه على الثورة على أخيه وانتزع حكم تلك المنطقة منه. ولكن قوات يوسف باشا كانت لها الغلبة واضطر أحمد بك إلى اللجوء إلى مصر.

وقد عاد الأميركيون إلى استغلال فكرة المنافسة بين أحمد بك وأخيه يوسف، من أجل إضعاف هذا الأخير، فاستغل هذه الفكرة من جديد الكومودور بارون Barron الذي وصل إلى البحر الأبيض بفرقة جديدة في سبتمبر ١٨٠٤ وأرسل (إيتون) على ظهر إحدى السفن إلى الإسكندرية، حيث قابل بالفيوم في فبراير ١٨٠٥ أحمد بك، ودرس معه خطة هجوم بري على درنة، يتم عبر الساحل، منطلقاً من برج التراب، غربي الإسكندرية، خلال شهري مارس وأبريل من ذلك العام. وتم الاستيلاء على درنة في ٢٩ منه، بمساعدة السفن البحرية الأمريكية<sup>(٢٦)</sup>. وكانت تجري في نفس الوقت المفاوضات التي استؤنفت في ربيع تلك السنة بين يوسف باشا والكولونيل (طوبياس لير Tobias Lear) قنصل أمريكا بالجزائر. وانتهت المفاوضات في ٣ يونيو، بتبادل الأسرى ودفع ستين ألف دولار إلى الباشا فدية لمثلي أسير أمريكي<sup>(٢٧)</sup>.

(٢٦) أنظر الدراسة الهامة التي كتبها دي أغسطيني عن الحملة الأمريكية في برقة سنة ١٨٠٥ في مجلة المستعمرات الإيطالية سنة ١٩٢٨ ص ٧٢١ - ٧٣٢ وسنة ١٩٢٩ ص ٤١ - ٥٦.

(٢٧) أورد بهيج الدين في تاريخه النص التركي للاتفاقية ويتألف من عشرين مادة وخاتمة من ٧٠ - ٧٧ وهي مؤرخة في ٤ يونيو ١٨٠٥ الموافق ٦ ربيع الأول ١٢٢٠ (أما أغسطيني في مقاله المشار إليه أعلاه فيرى أنه ٣ يونيو).

وتوجب على أحمد بك وإيتون بعد هذا الاتفاق أن يغادرا درنة، على ظهر سفينة أمريكية، وجاء محمد بك القرمانيلى من بنغازي، وأعاد سلطة حكومة طرابلس على درنة.

#### ٤ - الوضع في الدواخل وفزان

رغم ما كان يتمتع به يوسف باشا سيف من هبة واحترام لدى العرب، إلا أن سكان الدواخل لم يركنوا إلى الهدوء حتى في عهده، وكان عليه أن يخمد في سنة ١٨٠٣ ثورة قامت في غريان، وقتل فيها صهره الخازن الكبير<sup>(٢٨)</sup>. وفي سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ - ١٨٠٧) قتل محمد بك، أحمد سيف النصر زعيم أولاد سليمان الذين كانوا يغزون مناطق فزان وسرت وبرقة<sup>(٢٩)</sup>. وفي سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ - ١٨١١) وبعد أن قام سكان غدامس بقطع علاقتهم مع طرابلس، ورفضوا دفع الضريبة أرسل يوسف باشا ابنه علي بك. ولكن لم تقم مواجهة مسلحة، وتم الاتفاق على أن يدفع سكان غدامس عشرين ألف مثقال من الذهب إلى الوالي، بالإضافة إلى مئة وعشرين ألف محبوب كتعويض عن الحملة. وتجدد دخول غدامس في طاعة حكومة طرابلس وتم تعيين بعض الموظفين الطرابلسيين بها<sup>(٣٠)</sup>.

وفي سنة ١٨٢٦ - ١٨٢٧ ثار عبد الصمد بن سلطان (بترهونة) وقد قام الجنود الطرابلسيون، بقيادة الحاج محمد بيت المال<sup>(٣١)</sup> بإخماد تلك الثورة والقضاء عليها. وكانت قبيلة (نوير)، وهي بطن من بطون المحاميد، أقوى القبائل بالجبل الغربي. وكان زعيمها أبو القاسم بن خليفة بن عون المحمودي قد وجد نفسه عاجزاً عن إخضاع أهالي نالوت وجبل نفوسة، فطلب مساعدة

(٢٨) رسالة من القنصل الفرنسي بتاريخ ٢٦ مسيدورو سنة ١١. لقد استعمل الخزندار العنف في جباية الضرائب. ويذكر بهيج الدين ص ٦٩ اسم الخزندار الأكبر ويقول إنه الحاج أحمد آغا. ويقول إن زعيم المتمردين كان اسمه عبد الوافي وقد قتل في هذه الثورة.

(٢٩) بهيج الدين ص ٧٧.

(٣٠) بهيج الدين ص ٧٨.

(٣١) النائب ص ٢٣٥.

يوسف باشا الذي أرسل إليه قوة بقيادة أحمد بك. وقد تم الاستيلاء على نالوت ١٨١٧ - ١٨١٨ بعد معارك. وعقب ذلك بفترة قليلة، استدعى يوسف باشا إلى طرابلس أبا القاسم بن خليفة في ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ - ١٨٢١) واستضافه وأحاطه بكل مظاهر التكريم، ثم قتله غدرًا، ولعله بذلك أراد أن يزيح من طريقه هذا الزعيم القوي المهيمن على الجبل<sup>(٣٢)</sup>.

وكانت فزان تشكل عنصراً من عناصر الثروة لطرابلس لا يمكن إغفاله. سواء بسبب الضرائب التي يدفعها الأهالي أو تجارة الرقيق والقوافل مع السودان. وقد تم إخضاعها بصفة تامة، بعد حملة أحمد باشا القرماني الأولى، وكانت تحافظ وتنفذ بالشروط المفروضة عليها. وقد خلف أحمد ناصر، المتوفى في ١١٨١ هـ (١٧٦٧ - ١٧٦٨)، ابنه الطاهر، وخلف الطاهر في سنة ١٧٧٣ - ١٧٧٤ حفيده أحمد. وفي سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ - ١٧٩٠) كان أخوه محمد يحكم فزان<sup>(٣٣)</sup>.

وقد مر في عهده، بفزان، الرحالة الألماني (فريدريك هورنمان Friedrich Horneneman) ونخبرنا بأن محمد هذا كان يلقب نفسه (بالسلطان)، ولم يكن يستعمل كلمة (شيخ) إلا في مخاطبته للباشا. وكان العرش وراثياً في أكبر أفراد الأسرة. ويقيم السلطان في قلعته. وله حريم وبلاط أميري. ويسمى الوزير الأول (كليديما Kaledyma)<sup>(٣٤)</sup> والوزير الثاني (كيجومة Keijuma) وثمة قائد للجنود وجماعة من المماليك، بينهم بعض الأوربيين. ويرسل الوالي كل عام

(٣٢) النائب ص ٣٢٤ - ٣٣٢ - بهيج الدين ص ٧٧ ويبدو من رحلات دنهام وكلايرون وأودني ص ٢٩٩ أن يوسف باشا كان يهوى امرأة من الجبل تعرف باسم الجبالية سباحا محمد بك، وهي التي حصلت من يوسف على الموافقة على السلطة الكبيرة التي أسندت إلى أبي القاسم بالجبل.

Krause, op. cit. p. 371

(٣٣)

(٣٤) (كلاديمة) وتنطق بطرابلس (قليديما) وهي كلمة سودانية ومعناها أعلى سلطة بعد السلطان. وفي فزان يطلق الفزانيون المقيمون بطرابلس كلمة (قليديما) على الرئيس الذي يدير حفلاتهم الدينية الريفية.

مبعوثه المسمى (بك النوبة) لجباية الضرائب ويسافر في العادة إلى فزان في شهر نوفمبر ويمشي في ركابه وتحت حمايته الرّحّالون والتجار<sup>(٣٥)</sup>.

وقد كان (بك النوبة) في عهد يوسف باشا، محمد المكني. وقد أرسل في نوفمبر (١٢٢٧ هـ) (١٨١٢ - ١٨١٣) إلى فزان، برفقة حملة كبيرة موجهة ضد محمد الشريف الذي خلف أخاه، ورفض دفع الضريبة. وهاجم المكني، محمد الشريف، وقتله. كما قتل ولديه الكبيرين وكبار رجال حاشيته. وأصبح هو سيداً على فزان<sup>(٣٦)</sup>. وفي سنة ١٨١٦ - ١٨١٧ توغل في أراضي (كانم) وأسر ألفاً وثمناً أسير، ماتوا جميعاً أثناء الرحلة، بسبب العناء والإرهاق<sup>(٣٧)</sup>.

وتنقل إلينا تقارير الرّحّالين في ذلك العهد صورة عن الوضع في دواخل البلاد. وعلى سبيل المثال، فقد كانت سوكنة تدفع ما يقرب من ألفي دولار سنوياً، أي بمعدل دولار واحد عن كل مئتي شجرة، بالإضافة إلى التزامها بالإنفاق على الحاكم أو (السلطان) كما كان يلقب، أثناء إقامته بالإقليم. وكان المكني يقوم شخصياً بالرحيل من أجل جباية الضرائب، ويظل بالموقع حتى يسدد ذلك الموقع ما عليه من ضرائب<sup>(٣٨)</sup>.

وأخيراً، قرب سنة ١٨٣٠، انتزع عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر

(٣٥) Tagbuch seiner Reise ron Cairo mach murzuk in den Jahren 1797 - 1798. Wiemar 1802

(٣٦) ج. ف. ليون ويقول إن ذلك قد وقع في سنة ١٨١١ بينما يقول النائب ص ٣٢٣ إن ابن أخي محمد الشريف قد عرض على محمد المكني أن يقتل عمه مندداً بالشرور التي يرتكبها بمسلكه السيء وسوء تصرفه في الحكم ووعده المكني بأن يعينه في مكانه. ولكن المكني فتك به هو أيضاً بعد أن فرغ من مهمته في قتل عمه، وذلك بناء على طلب من أعيان مرزق.

(٣٧) ليون ص ٣ - ١٢٩ - النائب ص ٣٢٤. وكان صاحب بورنو في ذلك الوقت الشيخ محمد الأمين الذي درس بطرابلس. وكان المكني قد أرسل بناء على رغبته لإخاد إحدى الثورات. ويذكر الرحالة وعالم الآثار (سميث) (في الأرشيف البيولوجرافي الاستعماري - فلورنسا ج ١ ص ١٩١٥) أن المكني قد تجاوز بورنو وتوغل في منطقة غنية بمياهها ويسكنها السود. وربما عني بذلك كانم وضياف بحيرة تشاد وقد عرفت بئر مقرو التي كانت تحدد في ذلك الوقت الحد لفزان باسم (مقبرة العبيد) (رحلة: دنهام - كلابرتون - أودني - ص ٤ - ١٠).

(٣٨) رحلة الكابتن ليون ص ٧٣ - ٧٤.



حكم فزان من القرماتلية، ووضعها تحت سيطرة أولاد سليمان، حتى العهد العثماني الثاني<sup>(٣٩)</sup>. ويقول النائب: (إن عبد الجليل قد ثار في ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ - ١٨٣١) ووضع نفسه على رأس الثوار، واستقر أولاً بورقلة ثم استولى على سوكنة ومرزق). وقد كان أولاد سليمان منذ بداية القرن التاسع عشر يضايقون حركة القوافل في فزان، ولكن المكني هزمهم وحد من سطوتهم.

٥ - الأسرة والبلاط والحكومة في عهد يوسف باشا القرماتلي. انهيار ولاية طرابلس وإفلاسها السياسي والاقتصادي. نهاية القرصنة والموقف الحازم للدول الكبرى.

ينقل لنا (بلاكيير Il Blaquièr)<sup>(٤٠)</sup> الذي كان بطرابلس قرب سنة ١٨١٢ أنه كانت ليوسف باشا في ذلك الوقت ثلاث زوجات، واحدة بيضاء وتعرف باسم السيدة الكبيرة، واثنان سوداوان، وقد أنجب من الأولى خمسة أولاد: ثلاثة ذكور وبنتين. (محمد بك ٢٣ سنة. وقد تزوج من إحدى بنات عمه ورزق منها ثلاثة أولاد) أحمد بك ١٧ سنة. علي بك ١٦ سنة. خدوجة وهي زوجة سليم الخزندار. وفاطمة خطيبة مصطفى قورجي رئيس البحرية.

(٣٩) في كتاب رحلة دنهام وكلايرون وأودني (Narrative of Travels) ص ٣٦ يؤكد المؤلفون أن أولاد سليمان قد شتوا من قبل الباشا بمساعدة قبيلة المقارحة، وأن أبناء سيف النصر قد لجأوا إلى مصر. وقد برز في حملة السودان الأخيرة اسم عبد الجليل، وهو أكبر الأحياء الناجين من أسرة سيف النصر الذي أعلن خضوعه للباشا وكان يمتلك جزءاً من أموال أجداده بسببها وكان تحت تصرفه ألف فارس. ويرى النائب أنه لم يكن على علاقات مع يوسف باشا القرماتلي فحسب بل إنه قد استخدم من قبل يوسف في حملات تتعلق بأمن الدواخل. وفي سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦ - ١٧٢٧) وجد سلطان بورنو محمد الأمين نفسه في وضع حرج سيء بسبب ثورة رعاياه عليه. وقد طلب مساعدة يوسف باشا القرماتلي الذي أرسل إليه عبد الجليل بن غيث ابن سيف النصر مع جنود من طرابلس، فأعادوا الأمن والنظام وعادوا بغنائم وافرة وعبيد.

(٤٠) مؤلف كتاب (رسائل من البحر الأبيض المتوسط) ج ٢ - لندن ١٨١٣.

(أي الأميرال الأول للباشا). ورزق من الزوجتين السوداوين بثلاثة ذكور وإناث<sup>(٤١)</sup>.

ولم يكن يوسف باشا محظوظاً في أبنائه، على الأقل في شخص ابنه الأكبر محمد بك الذي يصفه الرحالة الإيطالي (دلا شيللا)<sup>(٤٢)</sup> بأنه أسوأ (الوحوش القاطنة بإفريقيا) وأنه (كان إنساناً بليد الروح لم ينفذ إليها أي شعاع من العقل، وهو مجبول على أشد العواطف وحشية وعنفاً). وكان يجد متعة في إعداد أنواع من السموم، وتجريبها لخدمه، ثم يأخذ بمراقبتهم ليستمتع بمشهد الاحتضار. وسرى كيف ثار بعد ذلك على والده، ثم كيف ثار ابنه من بعده على جده يوسف باشا، كما لو كانت تلك خصيصة عرقية متوارثة. وكان الوزير الأول سيدي أحمد، وهو رئيس سابق للبحرية، سفيراً بالطا، معتمداً لدى حاكم الجزيرة الإنجليزي الجنرال (أوكس Oakes) في سنة ١٨١٠. وقد كان رجلاً مستهتراً<sup>(٤٣)</sup>. أما كاهية الوالي فقد كان روسياً، معتقاً للإسلام. أما الخزندار فيدعى سليماً وهو أخ لمصطفى قورجي. أما الكاتب الخاص للباشا فقد كان يهودياً واسمه (إبراهيم سروي Abrahm Serusi) وكان سيدي أحمد قد رحل في سفارة إسبانيا. ويبدو أنه كان رجلاً ناهياً، وكان يحسن الحديث باللغة الإيطالية<sup>(٤٤)</sup>.

أما المناصب البحرية فقد كان مصطفى قورجي يشغل المنصب الأكبر فيها. وقد صار فيما بعد صهراً للباشا، وأحد ثقاته. وقد مكّنه عطف يوسف باشا عليه، والمركز الذي يحتله، من جمع ثروة طائلة، صرف بعضها فيما بعد، على إنشاء المسجد المعروف باسمه (قورجي) الذي انتهى العمل فيه سنة

E. Blaquiére, op. cit. 11 p. 9

(٤١)

(٤٢) رحلة دلا شيللا ص ١٠.

(٤٣) يصفه الرحالة الكاتب ليون بأنه (أمي).

(٤٤) بلاكيير ص ٩. ويقول الرحالة الكاتب ليون الذي كان بطرابلس خلال ١٨١٨ - ١٨٢٠ إن نوعاً من اللغة الإيطالية السيئة شائع بين سكان المدن ولذا فإن المسيحيين لا يجدون صعوبة في إنجاز أشغالهم وأعماله.

١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ - ١٨٣٤). بينما انتهى الرايس مراد الشهير (وهو اسكتلندي اعتنق الإسلام، وكان يعرف باسم بيتريزلي) نهاية بائسة، إذ غدر به الزمن وخانه الحظ. أما المكان الثاني في البحرية<sup>(٤٥)</sup> فقد كان بيد عمر الشلي رايس. وثمة رؤساء بحريون آخرون ورد ذكرهم في سلسلة عن حالة البحرية القرصانية الطرابلسية منذ سنة ١٨٠٥ حتى ١٨١٦ الموجودة بمحفوظات القنصلية الفرنسية بطرابلس<sup>(٤٦)</sup>. ونقتبس مثلاً من هذه المحفوظات، وهو يشير في الثلاثة الأشهر الأولى من سنة ١٨١٢ إلى أن ثلاث سفن قد غادرت الميناء، وعادت ثماني سفن. وكان النصف الثاني من العام أوفر حظاً من بدايته، إذ خرجت ١٢ سفينة ورجعت ١٥، وهكذا في الربع الثالث والربع الأخير من السنة ١٩ و ٢٠ - ٦ و ٨. وقد بلغت الحركة في مجموعها ٤٠ سفينة خارجة و ٤١ سفينة وافدة. وهي تتألف من ١٣ سفينة مخصصة للقرصنة و ١٠ سفن لحمل الغنائم. أما بقية السفن فهي تعمل للنقل البحري بين مالطا وتونس ومصر وسوريا وإزمير. ويذكر المستشار القنصلي الحضيف عدد المدافع التي زودت بها هذه السفن وتاريخ خروجها وعودتها وأسماء الرؤساء.

وتبرز منهم خلال الفترة الواقعة بين ١٨٠٥ - ١٨١٦ هذه الأسماء: محمد رودسلو (أي من رودس). محمد الزريق<sup>(٤٧)</sup>، ابراهيم قوار داريبا، الحاج علي بن رجب أغا، مراد ريس (انجليزي الأصل معتنق للإسلام) عمر الشلي، علي الشركسي، حسن المشرقي، اسماعيل تمومن، عبد الله حفيظ، فرج سلامة. الخ. وقد تمكن هؤلاء في سنة ١٨١٦ من أن يحملوا غنائمهم التي غنموها على ظهور السفن وقوارب الصيد التابعة للدول الصغيرة، خاصة جزر إيطاليا وسواحلها، على الرغم من انهيار القرصنة في ذلك الوقت، ومنعها من مهاجمة سفن الدول المتصالحه مع الباشا. وهكذا عاد حسن المشرقي إلى ميناء طرابلس،

(٤٥) بلاكير (المصدر السابق).

(٤٦) يحمل السجل عنوان (العلاقات مع البايات القرمانيّة).

(٤٧) ذكر اسمه في الوقائع التاريخية العبرية التي أفاد منها سلوش في دراسته عن القرمانيّة التي نشرها بمجلة العالم الإسلامي ج ٦ سنة ١٩٠٨ ص ٥٦ - ٨٤ - ٢١١ - ٢٣٢ - ٤٣٣ - ٤٥٣.

في ٢ يناير بسفينته المزودة بأربعة مدافع، يحمل خمسة أسارى من النابوليتان. وقام عمر الشلي وخلييل قيواز باقتياد عدد من الأساري التابعين لدولتي روما ونابولي. وذلك في ٢٨ فبراير من تلك السنة. كما عاد علي الشركسي يوم ١٩ مارس بخمسة وعشرين أسيراً نابوليتانياً.

ومنذ سنة ١٨١٥ وما بعدها - كما سوف نرى - ثار الضمير الشعبي في أوروبا بأسرها ضد الأعمال البربرية التي يقوم بها القراصنة، وأرغم الحكومات على العمل بطريقة جماعية لإيقاف تلك المذلة. ولكن قبل أن يصل الأمر إلى الإلغاء النهائي للقرصنة الذي كان يعني بالنسبة لطرابلس والجزائر نهاية الإيالاتين، كانت ثمة صراعات وصدمات عديدة مختلفة. فقد طالب يوسف باشا في سنة ١٨٠٨ السويد بمنحه مبلغ ثمانية آلاف فرنك - ، ولما لم تستجب السويد لطلباته قطع علاقاته معها، واستدعى القنصل السويدي، ثم تمكن نائب القنصل (أندريا كوستا Andrea Costa) من أن يجد السبيل لتسوية النزاع بترضية الباشا بمبلغ ٧٠ ألف فرنك<sup>(٤٨)</sup>، عبر على أثرها عن امتنانه في رسالة بعث بها إلى الحكومة السويدية.

وجددت إنجلترا في مايو ١٨١٢ معاهدة الصداقة مع طرابلس وعرض القنصل الإنجليزي في نفس الوقت وساطته لتوقيع معاهدة صلح بين طرابلس ومملكة الصقليتين<sup>(٤٩)</sup>. وقد وردت آخر حوادث القرصنة الطرابلسية في تقرير كتبه ربان سفينة تحمل العلم النمساوي. وكان قد غادر ميناء تريسيتي في ١٨١٥ وفاجأه القراصنة في البحر الأدرياتيكي، وقد وجه تقريره في اللغة الإيطالية إلى مستشار القنصلية الإنجليزية بطرابلس، وذكر في ختامه ما يلي:

(لقد عوملنا منذ بداية الرحلة حتى وصولنا إلى هذا الميناء بأشد الطرق وحشية، وأقلها إنسانية، إذ وضعنا في مقدمة سفينة القرصنة، وكانت

(٤٨) هيج الدين ص ٧٩ وهو يقدم نص الرسالة المؤرخة في ٢ رجب ١٢٢٣ (٢٤ أغسطس ١٨٠٨).

(٤٩) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس - هرسلت ج ١ ص ١٥٢.

المعاملة السيئة التي عوملنا بها والشتائم التي تنهال علينا، وما بها من تعذيب وحرمان كفيلة بالقضاء علينا جميعاً، لو طال أمد الرحلة عدة أيام أخرى. وقد وصلنا يوم ٣٠ الجاري عند الساعة الرابعة مساءً إلى ميناء هذه البلاد، وتم إنزالنا إلى البر، ونقلنا بين هتاف الجماهير وشتائمها إلى قلعة المدينة). وقد أطلق سراح الأسرى بناء على تدخل القنصل الإنجليزي، ودفعت لهم تعويضات عن الأضرار التي تعرضوا لها<sup>(٥٠)</sup>.

ولا بد أن نلاحظ أن مسلك الحكومة الإنجليزية نحو طرابلس قد أصبح في تلك الأعوام أكثر قوة وحزمًا. وهو مسلك ينبغي أن نقرنه بالأهمية التي بدأ يكتسبها البحر الأبيض المتوسط، لدى الإنجليز، بعد امتلاكهم مالطا. لقد وضعوا أقدامهم في مالطا سنة ١٧٩٩، مصممين على البقاء بها أطول مدة ممكنة، وقد تمسكوا بهذا القرار، حتى حين قررت اتفاقية (أميانس Amiens) إعادة الجزيرة إلى فرسان مالطا.

وبعد سنة ١٨١٤، أي بعد أن أقر في (فيينا) امتلاك الإنجليز لمالطا، أصبح موقف إنجلترا أكثر قوة وصلابة، وأسبغ احتلالها للأرخبيل المالطي أهمية كبرى على العلاقات بإفريقيا الشمالية، لا بسبب القرب الجغرافي فحسب، ولكن أيضاً، لوجود جالية مالطية بطرابلس والجزائر وتونس. وبالفعل فإن قائمة الأشخاص المشمولين بحماية القنصل البريطاني، كما كانت تبدو في سنة ١٨٠٤ وتضم تقريباً مئة شخص، كانوا كلهم تقريباً من المالطيين كما تدل على ذلك ألقابهم العائلية<sup>(٥١)</sup>. وكانت العلاقات الطيبة القائمة بين إنجلترا ومملكة الصقليتين قد زادت من إبراز سلطة القنصل الإنجليزي بطرابلس. وقد شغل هذا المنصب، منذ سنة ١٨١٤، ولعدة أعوام لاحقة، (جورج هامر

(٥٠) محفوظات القنصلية البريطانية بطرابلس (٣١ - ٨ - ١٨١٥).

(٥١) محفوظات القنصلية الإنكليزية بطرابلس ٢٩ - ٦ - ١٨٠٤.

(٥٢) يقدم لنا فيرود (ص ٣٢٧) معلومات عنه مستفيداً من ذكريات ابنه الذي تعرف عليه.

(٥٣) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس، رسالة بتاريخ ١٢ - ٩ - ١٨١٥ موجهة إلى حكومة مالطا.

وارنجنون (George Hammer Warrington) الذي برز في حرب إسبانيا<sup>(٥٢)</sup>. وهو رجل قوي، ألمعي، لم يطل به الأمد حتى أمسك في يديه بخيوط السياسة الطرابلسية.

وفي سنة ١٨١٥، حين اضطرته الظروف إلى العمل على تحرير أحد الأرقاء المسيحيين كان قد لجأ إلى القنصلية، كتب وارنجنون إلى حكومة مالطا يشكو من استمرار القرصنة، واسترقاق المسيحيين قائلاً: (إني لأتساءل إلى متى ستسمح انجلترا بهذه التجارة؟)<sup>(٥٣)</sup>. وكانت انجلترا قد تلقت، في ذلك الوقت بالذات، التكاليف من مؤتمر فيينا بأن تفرض بقوة أسطولها على دول الشمال الإفريقي (بربارسك) إلغاء استرقاق المسيحيين.

وقد وصل لورد اكسموت Exmouth إلى طرابلس في ٢٧ أبريل ١٨١٦، بعد زيارته للجزائر وتونس، وعقد اتفاقية مع يوسف باشا تشمل اليونانيين من سكان جزر أيونيا (الخاضعين بصفة مؤقتة لانجلترا) بالضمانات المتفق عليها، كما ألزمه بالتوقيع على تصريح خاص بإلغاء استرقاق المسيحيين. وتم إطلاق سراح خمسمائة وثمانين أسيراً، منهم أربعمئة واثنان وعشرون من نابولي وصقلية ومئة وأربعون من ساردينيا وجنوا وعشرة من روما، وأربعة من هامبورج<sup>(٥٤)</sup>.

وأجبر اللورد إكسموت يوسف باشا على عقد معاهدات صداقة وعلاقات تجارية مع مملكة ساردينيا، ومملكة الصقليتين. وشعرت حكومة تورينو بإيطاليا بعد امتلاكها لجنوا وساردينيا بضرورة تنظيم العلاقات مع الشمال الإفريقي. خاصة بعد أن تزايدت، في سنة ١٨١٥، الهجمات على سفن ساردينيا وسواحلها. وفي الاتفاقية المعقودة مع ملك إسبانيا التي وقعها اللورد اكسموت

(٥٤) يحمل التصريح تاريخ ٢٩ أبريل وهو مطابق للتصريح الصادر في ١٧ أبريل والموقع من باي تونس، ويعلن التصريح: (أنه في حالة أي حرب مقبلة لا قدر الله مع أية دولة أوروبية، لا يسترق ولا يستعبد أي أسير من الأسرى السياسيين للطرفين وأن يعامل جميع الأسرى معاملة إنسانية تامة كأسرى حرب حتى يتم استبدالهم بطريقة منظمة للعادة الأوروبية وأن يعادوا إلى بلدانهم عند انتهاء الحرب دون دفع أية فدية) مجموعة (مارتنس) ج ١ ص ٤٩١ رقم ١٤.

في ٢٩ أبريل ١٨١٦ نيابة عن حكومة تورينو، اتفق أيضاً على إنشاء قنصلية ساردينية بطرابلس، وإلزام مملكة ساردينيا بأن تدفع للباشا مبلغ أربعمئة ألف سكودو إسباني، كنوع من الهبة، عند تغيير أي قنصل من قناصلها<sup>(٥٥)</sup>. وقد تولى وارنجتون قنصلية ساردينيا.

وفي نوفمبر ١٨١٦، وصل إلى طرابلس أول قنصل سارديني هو (ف. بارتولوميو بوكاردي F. Bartolomeo Boccardi). ثم خلفه بعد ذلك (فيونوشينو هوجو Veponuceno) ثم (ج. ب. بارودي C. B. Parodi).

وعقدت في نفس الوقت، وبواسطة من اللورد اكسموت، اتفاقية مع مملكة الصقليتين التي دفعت خمسين ألف قرش إسباني فدية لتحرير الأسرى، ومبلغ واحد وأربعين ألف قرش عند كل مرة يتم فيها تعيين قنصل لها في طرابلس<sup>(٥٦)</sup>. وبقيت دوقية توسكانا ودولة البابا عرضة لعبث القراصنة. وقد قامت أيضاً في سنة ١٨١٨ بعقد اتفاقيات مع طرابلس<sup>(٥٧)</sup> وفي سنة ١٨٢٦ تولى (ج. روسني G. Rossoni) مهمة القنصل العام لدوقية توسكانا.

(٥٥) طبع نص الاتفاق في العمل الرائع الذي كتبه:

G. Ferrari (La Spedizione della Marina Sarda a Tripoli nel 1825, Roma 1912 (Estratto dalle mémoires Storiche Militari del Corpo di S. M. Ufficio Storico) p. 31 - 33 - Torino 1816 presso de Pane.

وقد طبعت النصوص الإيطالية والإنجليزية والفرنسية للمعاهدات التي عقدت في تلك الفترة مع بلدان الشمال الإفريقي (بربارسك) في:  
Trattati di pace e di amicizia tra Sua maestà il Re di Sardegna, Cipro, e Jerusalemme e le Reggenze di Algeri, Tunisi, e Tripoli.

Picca, (L'Italia e la Tripolitania attraverso la storia, Roma 1911 p. 19. (٥٦)

بخصوص العلاقة بين دولة البابا ودول الشمال الإفريقي: انظر:

(La Vecchia Vaglieri, Santa Sede e Barbareschi dal 1814 11 1819, in Oriente Moderno, XIII 1932 p. 456 - 484.

وبخصوص الخلاف بين قنصل فرنسا وإنجلترا بطرابلس. انظر لنفس الكاتب:

Una contraversia a Tripoli di Barberia nel 1825 fra i consoli inglese e franceses, in Riv. Cal. Ital. VI - 1932 - p. 378.

يستسلم المؤلف هنا لمشاعره الوطنية الذاتية.

وقد أكدت ضعف السيادة القرمانيّة على برقة الانتفاضات التي وقعت في سنة ١٨٠٥ بوصول أحمد القرماني الذي كان يسانده الأمريكيون. وقد انقسم القوم إلى فريقين: فمنهم من انحاز إلى أحمد، ومنهم من سار مع يوسف. وقد أدى إرسال الدعم، وعقد الصلح مع أمريكا، إلى منح البلاد فترة من الهدوء والاستقرار. ولكن الحركات التمردية لم تلبث أن عادت إلى الظهور. وقاده محمد بك، أكبر أنجال يوسف باشا، حملة في سنة ١٨١٢ على بنغازي ودرنة، وأقام المذابح الدامية للشوار<sup>(٥٨)</sup>. ثم خرج محمد نفسه على طاعة والده يوسف باشا الذي وجه إليه حملة قوية بقيادة ابنه الآخر أحمد بك، وذلك سنة ١٨١٦. وقد شارك في هذه الحملة الطبيب الجنوي الدكتور (باولو دالا شيلا Paolo Della Cella) الذي ترك لنا ذكرى هذه الرحلة في كتاب ذي أهمية تاريخية وعلمية عظيمة<sup>(٥٩)</sup>.

غادر أحمد بك طرابلس في ١١ فبراير ١٨١٦. وبلغ درنة في نهاية يونيو ١٨١٦، حيث فر أخوه ولجأ إلى خليج بومبا، بعد أن أقام مذبحة لرجاله ونسائه في القصر. ولاحقه أحمد بك الذي خرج من درنة حتى بلغ خليج بومبا، دون جدوى، بالنظر إلى اجتياز الأخ المتمرد الهارب للحدود المصرية. وعاد أحمد بك محاذياً الساحل حتى وصل إلى بنغازي، حيث أغرق في الدماء كل الجرائيم التي تحمل إمكانات الثورة، وذبح شيوخ قبيلة الجواز، بعد أن دعاهم للقصر وغدر بهم.

إن المعلومات التي يقدمها إلينا الرحالة (دلا شلا) إنما هي في حقيقتها وصف أمين للنظام السياسي والإداري في العهد القرماني. وكان من العادات

(٥٨) في ١ أكتوبر ١٨١٢ وصل إلى طرابلس محمد ريس وأبلغ الوالي بأن البك قد انتصر في ضواحي درنة على المتمردين وقتل منهم أربعمئة شخص وغنم كثيراً من الماشية. وقد أطلقت مدفعية القلعة ٢٤ طلقة ابتهاجاً بهذا النصر وقام الباشا في اليوم التالي بإبلاغ القناصل بهذا النصر (محفوظات القنصلية الإنجليزية رسالة بتاريخ ١ - ١٠ - ١٨١٢).

(٥٩) رحلة الدكتور باولو دالا شيلا (رحلة من طرابلس إلى الحدود المصرية) جنوا - ١٨١٩ - الطبعة الثالثة (شيتا دي كستيلو) (Citta di Castello) ١٩١٢.



المتبعة عند مرور الحملة أن تتقدم إليها القبائل بالضرائب والهدايا أو تلزم بالانضمام إلى الجيش، بل وقد بدا في بعض الأحيان أن الغرض الوحيد للحملة إنما كان جباية الضرائب<sup>(٦٠)</sup>.

وكانت واحة أوجلة تدفع الضريبة أيضاً إلى والي طرابلس. ولقد مر بها الرحالة (باكو Pachco) في سنة ١٨٢٥ قادماً إليها من مصر. وأفاد بأن الواحة كانت تحت حكم أحد (البكوات). وكان يحكمها في ذلك الوقت المدعو زيد عبد الله، وهو فرنسي معتنق الإسلام، من مواليد طولون، وكان يدفع لطرابلس عشرة آلاف قرش إسباني سنوياً<sup>(٦١)</sup>.

وكان يوسف باشا يشعر بدنو التهديد البحري، وكان يرغب في إنقاذ قوته القراصانية الخطير بواسطة دائرة واسعة من الحصون البرية المجهزة. وكان رؤساء البحرية يشاطرونه الشعور ويوافقونه على أهمية هذه الفكرة. وكان في طليعتهم مصطفى قورجي الذي تم بعنايته في سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٧) تشييد برج جديد بالقرب من برج المنديك، عند رأس المرسى. وتمت عملية إنشاء الحصن المذكور في مستهل عام ١٨٢٠.

وتوجه القاضي والعلماء وشيوخ البلاد ورئيس المرسى وغيرهم لحضور حفل تدشين البرج الجديد. وقرأ الحاضرون القرآن، وتوجهوا إلى الله بالصلاة والدعاء، ووزع الوالي الهدايا وهبات مالية، ثم أطلق الحصن خمس طلقات فردّت عليه مدفعية القلعة بمثلها. وكذلك حصن الخندق والبرج الأحمر (الإسباني) وبرج المجزرة وبرج الفرارة<sup>(٦٢)</sup>.

وكان لشكوك يوسف باشا ما يبررها. فقد كانت تهب من الشمال رياح

(٦٠) رحلة دلا شيل ص ٦٠.

(٦١) رحلة باكو ص ٢٧٤. كان المعني قد ذهب إلى مصر ضمن حملة نابليون كطبال فأسره البدو وباعوه إلى باشا طرابلس وقد برز في الحملة على فزان ثم حصل على حكم أوجلة. وبعد ربع قرن من خروجه من بلاده ولقاء الرحالة به كان ما يزال يذكر بعض الكلمات من لغته ولهجته البروفنسالية. أنظر بخصوصه أيضاً:

G. Guemard (Aventuriers mameluks d'Egypte), Alexandriw 1928.

(٦٢) دفتر الفقيه حسن - فيرود ص ٣٣٢.

مهددة منذرة لقراصنة الشمال الإفريقي . فقد أكدت الدول الأوروبية في مؤتمر (إيكس لا شابيل Aix la Chapelle) بحزم ، إصرارها على إنهاء القرصنة البحرية . وقد جاءت إلى طرابلس في ٨ أكتوبر ١٨١٩ فرقتان بحريتان ، واحدة فرنسية وأخرى إنجليزية بقيادة الأميرالين (فري مانتل Free mantle وجوريان دي لا قرافير Jurien de la Gravière) . ولم يجدا صعوبة في الحصول على تصريح من الباشا يلتزم فيه بعدم السماح بأعمال القرصنة في المستقبل .

ولم تف طرابلس بالتزامها حتى ذلك اليوم . ويشكو مؤلف مجهول لكراسة معنونة (المسيحيون ودول الشمال الإفريقي الصادرة في جنيف سنة ١٨٢٢ I) (Cristiana ei Barbareschi) ضعف الدولة الأوروبية إزاء القرصنة موضحاً الحالات التي تم فيها خرق الاتفاقيات التي عقدها اللورد اكسموت في ١٨١٦ . ومن شاعت لهم شهرة سيئة في ذلك الوقت ، القرصان مراد ريس<sup>(٦٣)</sup> . ووجد القرصنة ذريعة لتجديد نشاطهم ، بعد سنة ١٨٢١ في الحرب اليونانية التركية ، واستجابت طرابلس وتونس لدعوة الباب العالي في ١٨٢٣ بإرسال سفن . وأرسل يوسف باشا في العام التالي ثمان سفن<sup>(٦٤)</sup> ، ولقي قائدها حتفه في معركة (نفارينو Navarino) ١٨٢٧ . ويروى أن أحد رؤساء البحرية الطرابلسية لم يجد سبيلاً للفرار ، بعد أن هاجمته خمس سفن أوست سفن مسيحية ، فأشعل النار في البارود ، وفجر السفينة<sup>(٦٥)</sup> . وقامت البحرية الساردنية ، في تلك الأعوام ، بتلقين القرصنة الطرابلسيين درساً قاسياً كسر شوكتهم وأذلهم إذلالاً نهائياً حاسماً .

وقد أضافى القنصل (ج . ب . بارودي G. B. Parodi) أهمية كبيرة على قنصلية ساردينيا ، ورفع من شأنها ، واستطاع أن يتجنب تلك الحالة من انعدام الثقة التي أثارها قصر إدراك سلفه (فيونونشينو هوجو Veponuceno Ugo) .

(٦٣) يقدم فيرود معلومات إضافية عنه ص ٣٣٨ - ٣٢٩ .

(٦٤) مراسلات قنصل ساردينيا بطرابلس الموجهة إلى وزارة الخارجية خلال ١٨٢٣ - ١٨٢٤ . وما تزال سجلات القنصلية الساردنية محفوظة في مكتبة الآثار بطرابلس .

(٦٥) A. Devoux, (Recherches sur la coopération de la Régence d'Alger à la geurre de l'in- dépendence grecque nella Revue Africaine, 1, 1865 p. 207 - 210.

وكان يوسف باشا يعجب بشخصية القنصل بارودي ، وقد عبر عن رأيه في ثنائه عليه وتغنياته بأن يكون جميع القناصل مثله . بينما كان القنصل بارودي بالذات سبباً في تهيئة الفرصة للصدام الذي أضعف بشكل كبير من سطوة الباشا وسلطته .

كان بارودي قد أصيب بمرض أخذ يعاوده بنكساته من حين إلى آخر ، وكاد يشرف على الهلاك في سنة ١٨٢٣ . وقد طلب بعد إبلاله السفر إلى مالطا لاستكمال العلاج . وفي أغسطس ١٨٢٤ داهمه المرض ، واعتلت صحته من جديد ، فغادر مكتبه وركب البحر إلى مالطا ، وترك إدارة القنصلية إلى (هنريك روسني Enerico Rossoni) وكيل قنصلية ساردينيا بينغازي . وكان ماراً بطرابلس . وأسندت مهام القنصلية إلى الكفالير (فوكس Foux) قنصل ساردينيا بكورفو . ولم يستطع الوصول إلى طرابلس إلا في أول فبراير ١٨٢٥ ، واعتبر الباشا قدومه تغييراً في القنصل ، وطالب بمنحة قدرها أربعة آلاف سكودو التي نص عليها في اتفاقية عام ١٨١٦ . ورفضت حكومة تورينو دفع هذا المبلغ لأن الأمر لا يعدو قيام الوكيل القنصلي بأعمال القنصل بالوكالة ، طوال فترة غيابه بسبب المرض . وقد طالت المناقشات والجدل ، واستمرت مدة طويلة بسبب ضعف القنصل (فوكس) وبسبب السياسة الغامضة الماكرة التي كان ينتهجها القنصل الإنجليزي وارنجتون .

وأخيراً ، قررت حكومة تورينو - بعد استشارة بارودي بالتأكيد - العمل على إنزاله بقوة بحرية ، كان من المقرر أن تتجه إلى الشرق لنقل بعض القناصل الآخرين . وكانت الفرقة البحرية بقيادة الكومندان فرانيسكو سيفوري (F. Sivori) الذي تلقى من حكومته تعليمات محددة صارمة . وقد غادر الأسطول جنوا في ١١ سبتمبر ١٨٢٥ وهو يتألف من الفرقاطة (كوميريشيو) وأربع سفن نقل . وقد وصلت تونس يوم ٢٠ ، وفي مساء يوم ٢٥ كانت بشاطئ طرابلس . وبدأت المفاوضات بين الكومندان سيفوري والحاج محمد<sup>(٦٦)</sup>

---

(٦٦) يشير كثير من الكتاب إلى رد سيفوري على طلب الباشا ثلاثين ألف قرش بأنه سيقدم ثلاثين =

ومندوب الباشا ووساطة القنصل الإنجليزي . وتقدم يوسف باشا بمطالب لم تكن مقبولة، ومن بينها إلغاء الاتفاقية القائمة، وإبرام اتفاقية أخرى مع تعيين قنصل جديد . وقد أئذر سيفوري الباشا بضرورة قبول مقترحات دولته، مهدداً بالقيام بأعمال حربية في حالة الرفض . وفكر في تلك الليلة نفسها في أن يلحق القراصنة المتعجرفين درساً قاسياً، فأعد عشر (لنشات) مسلحة ومجهزة بوسائل إشعال النار .

وعند الساعة الثانية من صباح يوم ٢٧، خرجت تلك الزوارق تحمل فوقها مئتي بحار من ساردينيا وجنوا المعروفين بالمهارة، يقودهم بعض صفوف ضباط البحرية الملكية ممن يتميزون بالجرأة والإقدام . ورافقتهم حتى مدخل الميناء (لا نيريدي La Nereide)، وانجھوا إلى داخل الميناء بغرض إحراق سفينة من نوع (ابريق) وأخرى من نوع (غليوطة) كان الباشا قد أعدهما للقيام بأعمال قرصانية .

ولكنهم ما كادوا يصلون منتصف الميناء حتى اكتشفتهم قواعد المدفعية، وأخذ الفريقان يتبادلان النيران . ومع ذلك فقد تابع المهاجمون هجومهم حتى اقتربوا من السفينتين المقرر إحراقهما، ورغم أنها كانتا مجهزتين بعدد كبير من البحارة، إلا أن المهاجمين أخذوا في قذفهما بالنيران والاقتراب منها في حركة جريئة، أذهلت الأتراك الذين حاولوا إنقاذ حياتهم بإلقاء أنفسهم في البحر . ثم أشعل المهاجمون النار في السفينتين الراسيتين تحت قلعة الباشا، وكانوا يتهيئون لإحراق سفينة أخرى من نوع (غراب) كانت تحت العمل بمرسى دار الصناعة، ولكن الأمر كان يتطلب اجتياز السور . كما أن جمهوراً غفيراً كان قد

---

= ألف قبلة . ولم ترد هذه العبارة في المراجع التي استعان بها المؤلف (فراري) (أنظر ملحوظته رقم ١ من ص ٧٥) وهو لا يتشكك فيها ولكنه يقول إنها غير ثابتة . وقد وردت العبارة في رسالة من القنصل بارودي بطرابلس إلى إسبانيولي قنصل ساردينيا بليفورنو بتاريخ ٥ نوفمبر ١٨٢٥ إلى نائب القنصل السارديني بينغازي (نسخ من المراسلات العامة لمحفوظات ساردينيا بطرابلس) .

هرع إلى المكان. ولذا انسحب المهاجمون تاركين وراءهم رجلاً ميتاً<sup>(٦٧)</sup> وستة جرحى على ظهر (الإبريق)<sup>(٦٨)</sup> وكانت الزوارق العشرة تحت قيادة القائد السارديني (جورجيو ماميلي Georgio Mameli) والد الشاعر (غوفريدو ماميلي G. Mameli) وكان لهذا الدرس أثر طيب. فأمكن بواسطة القنصل الإنجليزي وارنجتون عقد الصلح، وتجديد اتفاقية سنة ١٨١٦. وكان التنازل الوحيد الذي قدمته حكومة ساردينيا لبيان حسن نيتها هو تقديم موعد دفع الأربعة آلاف سكودو التي كان من المقرر أن تدفعها بعد ستة أشهر، أي عندما يكون القنصل بارودي قد غير مقره، بناء على رغبته. وفي أكتوبر استقبل الباشا قائد السفن الساردينية والقنصل والضباط (بكل مظاهر الهيبة والاحترام دون أن يقع أي شيء يؤسف له). وكان جميع القناصل يهتفون البحارة الساردينيين الشجعان وقنصل ساردينيا الذي استعاد مركزه بالقنصلية التي رفع عليها العلم يوم ٣٠ سبتمبر، وأطلقت مدفعية الباشا ٢٩ طلقة لتحية العلم السارديني وغادر (فوكس) طرابلس، مع نفس الفرقة، ونزل بمالطا.

وعاد الكومندان سيفوري مرة أخرى في أواخر ١٨٢٥ لنقل القنصل بارودي، على ظهر السفينة (كوميرشيو). واضطره هيجان البحر إلى أن يترك بشاطئ طرابلس (مخطف) السفينة وجزءاً من (السلسلة) وأوصى القنصل الجديد (نيجري Negri) باستخلاصهما فيما بعد، فوعد القنصل بالاهتمام بهما وإرسالهما مع أول سفينة وطنية. إلا أن الموضوع أهمل وظل مخطف الأسطول السارديني رمزاً مرفوعاً في ميناء طرابلس<sup>(٦٩)</sup>.

(٦٧) هو بورتينو جيوفاني B. Giovanni من بلدة نرفي Nervi واسمه الحربي (كابوررو Capurro) وقد دفن بمقبرة المسيحيين بطرابلس واحتفل بتشييعه في كنيسة الإرسالية الفرنسيسكانية، برنيسا ص ٢٧٣ فبراير ص ٨٢.

(٦٨) وصف القنصل بارودي للهجوم الليلي بتاريخ ٣٠ سبتمبر يوجد بسجل التقارير المختلفة ص ١ من محفوظات قنصلية ساردينيا بطرابلس. وقد نشر فراري في ذيل كتابه تقارير أخرى للقيادة والضباط.

(٦٩) نسخ المراسلات العامة محفوظات قنصلية ساردينيا بطرابلس، رسائل ٣١ - ١ - ١٨٢٦ و ٧ - ٤ - ١٨٢٦.

أما تصرف مملكة الصقليتين فقد كان أقل صلابة وقوة، بل لم يكن لها في بادئ الأمر قنصل يمثلها، واكتفت بإسناد رعاية مصالحها إلى القنصل الإنجليزي. وفي سنة ١٨٢٥ خلف فرانشسكو الأول البريوني والده فرناند. وتطلع الباشا إلى منحة غير عادية قيمتها عشرة آلاف قطعة إسبانية، وإرسال قنصل جديد، وتقديم الهدية السنوية، وقيمتها ثمانية آلاف قطعة. فأرسلت حكومة نابولي السفينة الحربية (فيزوف) التي وصلت إلى طرابلس، بعد حملة أسطول ساردينيا. وكان الباشا قد أرببه الدرس الأخير، فاكفى بهدية استثنائية قدرها ١٢ ألف قطعة. بعد أن توسط القنصل الإنجليزي في الأمر<sup>(٧٠)</sup>.

وبعد ثلاثة أعوام من ذلك، عاد الباشا إلى المطالبة بما لم يستطع أن يناله في الماضي، بل بلغ به الأمر إلى أن فرض مدة شهرين كحد نهائي لتحقيق مطالبه. وردت عليه حكومة نابولي بإرسال فرقة بحرية مؤلفة من فرقاطتين ومن سفينة من نوع (ابريق) وأخرى من نوع (غليوطة) وبعض زوارق القنابل والمدفعية بقيادة الكابتن (الفونسو سوزي كرافا Alfonso Sozi Carafa) ووصلت الفرقة صباح يوم ٢٢ أغسطس إلى مشارف طرابلس، وجرت في صباح اليوم التالي على ظهر السفينة (سيرينا Sirena) التي تحمل علم القيادة محادثات عاجلة بحضور وزير خارجية طرابلس، والقنصل النابوليتاني (بيترو فرانشسكو كروشيللو P. F. Crocillo) والقنصل الإنجليزي وارنجتون. ولما ألح المندوب الطرابلسي على مطالبه، أخذت الفرقة، في مساء ذلك اليوم نفسه، في قصف حصون طرابلس. واستمر القصف المتقطع - بسبب رداءة الجو - حتى يوم ٢٨ أغسطس دون أن تحقق الفرقة نتائج حاسمة، وألحقت بالمدينة أضراراً طفيفة. وعندما نفدت ذخيرة المهاجمين وآلت أوضاع الزوارق إلى السوء، قرر القائد مغادرة الميناء صباح يوم ٢٩. وتم عقد الصلح في ١٨٢٨ بوساطة من

---

(٧٠) فراري ص ٩٧.

قنصل فرنسا، وخفضت مطالب الباشا من ٢٥ ألف قرش إلى عشرين ألف قرش<sup>(٧١)</sup>.

وفي هذه الأثناء كانت الدواخل تثير المتاعب والقلق في وجه يوسف باشا. فقد سادت الفوضى الجبل<sup>(٧٢)</sup>، بعد مقتل أبي القاسم، واستعان يوسف باشا في تهدئة المنطقة بنفوذ شيوخ أولاد أبي سيف، وعين غومة بن خليفة أخا أبي القاسم شيخاً على قبيلة نوير مع تكليفه بحفظ النظام في الجبل.

وتكون في ترهونة فريقان، فريق بزعامة الحاج أحمد المريض مناصر للقرمانلية، وفريق بزعامة عبد الصمد بن سلطان معاد لهم. ونهض الحاج محمد بيت المال، وزير الباشا، على رأس حملة وتوجه إلى ترهونة وهزم الفريق المعادي (١٨٢٧)<sup>(٧٣)</sup>.

وجد حدث آخر، في ذلك الوقت، كان من شأنه تعكير الوضع الطرابلسي، وزيادة فقدان ثقة الدول الأوروبية فيه. فقد حل بطرابلس الميجر الإنجليزي (الكسندر غوردن لاينج W. G. Laing) ونزل ضيفاً على الكونت وارنجتون، تزوج ابنته، وخرج في رحلة اكتشافية في دواخل طرابلس. وبلغ غدامس، وانتهى به المطاف عند تومبكتو، وقتل في الطريق أثناء عودته منها. وأصيب وارنجتون في عواطفه العائلية فلم يشأ أن يصدق النبأ في البداية، ثم استسلم للشكوك والاتهامات، فألقى الذنب على يوسف باشا وحسونة

(٧١) أنظر المقال المرفق:

Ernesto Simon (Figure della Marina delle Due Sicilie) in Riv. Maritime, giugno 1926 p. 711 - 718.

(٧٢) يذكر العدد الأول من المجلة الخطية الصادرة بطرابلس بعنوان (Investigateur africaine) (التي نشرت مقالاً عنها في مجلة الشرق الحديث ١٢ - ١٩٢٩ ص ٩٠٩ - ٩٢٤ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤) أنه في صيف ١٨٢٧ قد تجمع في طرابلس تحت قيادة علي بك النجل الثالث للباشا ٢٤ ألف رجل لمحاربة عرب الجبل من قبيلة نوير التي كان يقودها محمد المرموري. وقد نقل هذا الخبر في رسالة القنصل الفرنسي روسو في مجلة الجمعية الجغرافية الفرنسية:

Bull. Soc. Géographie. Parigi, VII, 1827 p. 174 - 176

(٧٣) بهيج الدين ص ٩٠ - ٩١.

الدغيس<sup>(٧٤)</sup> الذي اضطر إلى التخلي عن منصب الوزير الذي تولاه بعده محمد شلبي بيت المال. وأثار القنصل الإنجليزي الشكوك حول شخص القنصل الفرنسي (روسو) الذي كان على صلة بكثير من الأدباء العرب بطرابلس ودواخلها، بحكم اهتماماته الاستشراقية. وكان أول من علم بالحادث. وترددت فرية صيغت في القلعة، تتهم روسو بامتلاك أوراق الميجر لاينج، وطلب روسو سحب التهمة، وحين لم يستجب لطلبه غادر طرابلس في سبتمبر ١٨٢٩<sup>(٧٥)</sup>.

وقد بدأ الحقد الشخصي بين روسو ووارنجتون منذ الفترات الأولى لوصول روسو إلى طرابلس. وقام على اختلاف الطبع في الشخصيتين بالإضافة إلى عوامل الغيرة المهنية، والتنافس السياسي الوطني. فقد كان وارانجتون مدعياً فوضوياً مشاكساً محباً للمنازعات، بينما كان روسو راجح العقل محباً للهدوء.

وفي وسع القارئ أن يتابع ما كتبه (فيرود) من الأخبار الغريبة عن النفور الذي كان يباعد بين الرجلين ويفرق بينهما. ثم القصة الحزينة للحب الذي ربط ابن روسو بابنة وارانجتون الذي وقف في وجه الشابين وأرغم ابنته على الزواج من الميجر لاينج، قبل ساعات قليلة من رحلته.

وقد رسم لنا قنصل مملكة الصقليتين بيتروفرانشسكو كروشيللو شخصية القنصل الإنجليزي وارانجتون في صورة غير ودية. وكان قد وقع بينها خلاف بسبب شجار وقع بين صقلي من رعايا الأول ومالطي من رعايا الثاني. وقام القنصل الفرنسي روسو بمهمة الوسيط المصالح. وفي رأي كروشيللو أن

(٧٤) ومع ذلك فقد حظي الدغيس بعفو القنصل الإنجليزي. ونورد فيما يلي وصف القنصل الفرنسي ١٨٢٦ روسو وتحديده لشخصية حسونة الدغيس الذي يقول عنه (إنه شاب كثير الدهاء، شري، مغرور، وإنه على الرغم من حسن الاستقبال الذي لقيه بفرنسا، أعلن جهاراً عداوته لنا وانجاز بلا تحفظ إلى مصالح القنصل البريطاني) رسالة بتاريخ ٨ يوليو ١٨٢٦ محفوظات القنصلية الفرنسية بطرابلس. وقد أثنى على الدغيس (الشريف سيدي حسونة الدغيس) قنصل السويد (كرايج دي همسو) وقال عنه (إنه أعجوبة من الفهم والثقافة والمدنية). وقد عاش في شبابه بفرنسا وإنجلترا وكان مقبولاً في أرقى المجتمعات بها. . أنظر:

Rossi una Rassegna africanista in Oriente moderno, XII, 1932 p. 259 - 260.

(٧٥) ركب حسونة الدغيس سفينة أميركية وذهب إلى لندن لكي يشكو القنصل البريطاني.



وارنجتون (رجل نزق طائش، يبحث دوماً عن الذرائع التي تمكنه من خنق البراءة والعدالة وحقوق الناس، إذ يجد في ذلك مرتعاً خصباً لتغذية غروره وتنميته). ثم أسدل الستار على قضية (لاينج)، ولكن توجب على الباشا، في اتفاقية سنة ١٨٣٠ مع فرنسا، أن يقدم اعتذاره ويعترف ببراءة روسوما نسب إليه.

ومن هذا الحادث، وما تلاه من أحداث، يتبين لنا كيف أصبحت طرابلس تحت رحمة القناصل، وأن مصائرهما أصبحت توجه بواسطتهم أكثر مما توجه عن طريق الباشا. وكان القناصل يقفون في هذه المدينة (البربرسكية) كحصون وأبراج للمدينة، وأوكرار للنزاع والتنافس الدوليين. وكانت أعلامهم ترفرف فوق قنصلياتهم، وترمز إلى شعوب أوروبا وما كانت تبذله من جهد مرهق في سبيل تكوينها كدول، وهي التي أخذت بعد أن اجتازت أحداث الثورة الفرنسية وحروب نابليون، تنظر إلى إفريقيا التي لا يفصلها البحر الأبيض المتوسط عنها، بل يشدها بمصائر من هم أكثر عملاً وأكثر جدارة.

وتنتعش المحفوظات القنصلية من حين إلى آخر بمعلومات قيمة واعتبارات مختلفة هامة. وكانت غلبة القناصل<sup>(٧٦)</sup> على الشؤون الطرابلسية تتأكد وتزداد يوماً بعد آخر. ولم تقف طرابلس وتصمد بحكمها الذاتي إلا بسبب المنافسة بين الدول الكبيرة. في الوقت الذي كانت فيه تركيا أيضاً تفكر في أمر البلاد وترغب في التدخل في شؤونها، لولا أن صدها عنها قضايا كبيرة مثل قضية مصر.

وكانت القوتان الكبيرتان فرنسا وإنجلترا تتبادلان الملاحقة والمتابعة في شخصي قنصليهما بطرابلس، في شخصية وارانجتون المتسلط القوي العنيد وشخصية روسو العليل الممتلىء بالقوة الروحية، الغيور على مصالح فرنسا ومكانتها. وكان دارساً مولعاً بتتبع تاريخ البلاد وحياتها العامة.

---

(٧٦) في اللهجة العامية الطرابلسية تستعمل كلمة (تقنصل) أي تصرف تصرف القناصل. أي تصرف المتسلطين الطغاة.

وكان في وسط المدينة علم غير ملحوظ، منحته أنوار مدفعية ليلة ٢٧ سبتمبر ١٨٢٥ بريقاً ومجداً. ونعني به علم (بيومنت) الذي كانت تتمثل فيه إيطاليا بأسرها. وقرب سنة ١٨٣٠ بدأ الإعداد لتسوية جديدة لأوضاع (الإيالات) بشمال إفريقيا. فقد كانت فرنسا صديقة محمد علي باشا حاكم مصر، وكانت ترغب في مهادنته للسلطان، وتحويل رغبته في التوسع نحو اتجاهات أخرى، كما كانت تأمل في الوقت نفسه في القضاء على القرصنة بإفريقيا الشمالية، ومعاينة الجزائريين المصطدمين بها، فاقترحت على باشا مصر احتلال طرابلس وتونس والجزائر. وفشلت الخطة بسبب معارضة تركيا وإنجلترا<sup>(٧٧)</sup>. وأحست طرابلس بهذه الحركة، فأخذت في ربيع سنة ١٨٣٠ تقوم باستعدادات حربية في طرابلس وبرقة (إذ يخشى قيام والي مصر بمهاجمة البلاد بموافقة تركيا)<sup>(٧٨)</sup>. وقد تردد القول في تونس، في ربيع ذلك العام، استناداً إلى أنباء واردة من طرابلس، إنه قد قدم على والي طرابلس (شاوس) موفد من محمد علي باشا ليبلغه بأن الباب العالي قد أسند إليه حكم تلك الإيالة، وأن بعثة عسكرية سترسل لاستلامها<sup>(٧٩)</sup>.

وتغير الوضع في شمال إفريقيا تغييراً جذرياً عميقاً بنزول فرنسا في الجزائر (٥ يوليو ١٨٣٠). وبعد شهر من ذلك (٩ أغسطس) وصل إلى طرابلس الأميرال (كلود روساميل Claude Rosamel) الذي أجرى محادثات مع الحاج محمد بيت المال، وعقد اتفاقية بتاريخ ١١ أغسطس. وأقر الباشا في هذه الاتفاقية، بالإضافة إلى تقديم الاعتذار لفرنسا بخصوص القنصل روسو (بالتنازل بصفة

(٧٧) J. Serres (La politique turque en Afrique du Nord pendant la monarchie de Juillet, Paris 1925 p. 17

(٧٨) محفوظات قنصلية فرنسا بطرابلس، رسالة بتاريخ ١٣ - ٤ - ١٨٣٠. وطبقاً لما يذكره روزن في كتابه:

Rosen, Geshichte der Türkei, Leipzig 1866 - 1867 1 - p. 233

فإن قنصل فرنسا بمصر برناردينو دروفيتي اقترح على محمد علي احتلال طرابلس الغرب، ولكن محمد علي باشا لم يتحمس كثيراً للفكرة، ذلك أن فوائد الحملة أقل من نفقاتها الباهظة.

Plantet, op. cit. III, p. 687.

(٧٩)

تامة ونهائية بالنسبة له، ولمن يخلفه على الحكم، عن حق القيام بالهجمات القرصانية بين الحرب، على السفن التابعة للدول الكبرى التي ترى من المناسب أن تتنازل هي الأخرى عن استعمال هذا الحق تجاه السفن التجارية الطرابلسية).

والتزم الباشا بالإضافة إلى ذلك بأن يلغي بصفة نهائية دائمة استرقاق المسيحيين في إيلاته، وأن يطلق سراح جميع الأرقاء الموجودين بها. وينبغي اعتبار الأسرى في زمن الحرب أسرى حقيقين تجري معاملتهم طبقاً للقواعد الأوروبية المتعارف عليها، ويحق للدول الأجنبية أن تقيم قنصليات ووكلاء تجاريين في جميع أنحاء البلاد، دون أن تدفع أية هبة أو هدية. والتزم الباشا أيضاً بدفع تعويض عن الحملة وديون الفرنسيين وهي مبلغ ثمانمائة ألف فرنك، نصفها يدفع فوراً، ويدفع الباقي في مدة أقصاها ٢٠ سبتمبر<sup>(٨٠)</sup>.

وكانت شروط الاتفاقية الفرنسية ثقيلة باهظة، وكان لا بد من الإذعان لها.

وقد دفع القسط الأول من المبلغ المفروض، بالاستدانة واستنفاد المدخرات بالخرينة العامة. أما القسط الثاني فقد منى الباشا نفسه بإمكان الحصول على تخفيض للمبلغ من الحكومة الفرنسية. وأوفد لهذا الغرض وفداً برئاسة الحاج محمد بيت المال إلى ملك فرنسا في أكتوبر ١٨٣٠.

وبنضوب موارد القرصنة أصبحت الأوضاع المالية للباشا سيئة منذرة بالكارثة، وكان قد لجأ إلى بعض الإجراءات المالية، فركن إلى الوسيلة العاجلة للخروج من أزماته بتغيير قيمة العملة. وكان يضرب عملة نحاسية وفضية وذهبية من نوع رديء، ويعلن في بعض الأحيان إلغاء العملة المتداولة ليستبدلها

---

(٨٠) رواردي كاردي ٢٨٨. ويوجد النص التركي لدى بهيج الدين ٩٦-١٠٢. وكان تصحيح الباشا لموقفه من قضية الميجر (لاينج) قد جر عليه بصفة خاصة عداوة القنصل الإنجليزي الذي اتخذ منه موقفاً عدائياً فآلح على تسديد الديون وعمل بكل ما في وسعه لموازنة النفوذ الفرنسي الذي أخذ يزداد بعد نزول الفرنسيين بالجزائر.

بعملة أكثر منها رداة وأقل قيمة<sup>(٨١)</sup>. وتندد مراسلات القناصل بعد سنة ١٨٢٠ بهذا النظام الذي يعرقل التجارة ويفقد الثقة في الإقتصاد المحلي.

كان يوسف باشا قد قسم البلاد الطرابلسية، بين أبنائه، بهذه الطريقة: علي بك (الابن الثالث) أسند إليه حكم غريان. ومصطفى بك حكم مصراتة، وعثمان بك حكم الخمس، وعمر بك حكم ورفلة، وإبراهيم بك حكم زليطن. أما مملوكه مصطفى فقد أسند إليه حكم درنة<sup>(٨٢)</sup>.

وبناء على نصيحة من قنصل فرنسا الذي أخذ يمارس نفوذاً متزايداً على الباشا، قام يوسف بإعداد قانون يتألف من أربع عشرة مادة، ينظم الدخول إلى الميناء والإجراءات الجمركية.

وإرضاء لغروره، وإضفاء المظهر من الهيبة الجديدة أمام رعاياه وأمام الأجانب، وصل إلى طرابلس في ١٧ يناير ١٨٣١ أميرال الأسطول العثماني محمد خسرف باشا حاملاً مرسوماً سلطانياً بمنح يوسف باشا اللقب الفخري (بليربي روميليا) تركيا الأوربية<sup>(٨٣)</sup>.

## ٦ - ثورة الحفيد محمد بك، وتنازل يوسف باشا القرمانيلى ١٨٣٢

لم يكن للإجراءات الداخلية والتشريعات لتمنح الحياة لحكومة متورطة في ضعفها الكامن في ذاتها، وفي سوء الإدارة، ونقصان الموارد التي يمكن أن تحل محل عوائد القرصنة ودخولها. وكان الوضع الداخلي أيضاً مهزوزاً، وسرى

G. Cimino (La Zecca di Tripoli d'Occidente sotto il domino degli Attomani) in Not. (٨١) Arch. del min. delle Colonie, III - 1922 p. 115 - 143 e Append I - XXXIX

E. Cucinotta (La politica finanziaria Tripolina Sulla fine dei Qaramanli nella Riv. Col. oniale XXII (1927) p. 38 - 51.

ويقول الرحالة ليون (١٨ - ١٨٢٠) إن العملة لا تحتوي إلا على نسبة ٤٠ في المئة من الفضة، وهي تهبط في قيمتها على الدوام.

(٨٢) النائب ص ٣٣٦ - ٣٣٧ بهيج الدين ص ٩٤.

(٨٣) في سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ - ١٨٢٧) تلقى يوسف فرماناً من الباب العالي بمنحه لقب (بليربي) - النائب ص ٣٣٥.

التذمر في جميع أنحاء البلاد، مقرونًا بالحقد على الحكومة التي كانت تبدو كمبتز بغيض للضرائب. وفي برقة، حيث كان الحكم بيد خليل القرماني، اتخذت الثورة شكلاً خطيراً مهدداً، وقد توجه إليها الوزير الأول محمد شلبي بيت المال، في ١٨٣١ لإعادة النظام، وإحلال السلم تاركاً وكالة الحكومة إلى إبراهيم أبي أميس. وفي نفس الوقت ثار عبد الجليل زعيم أولاد سليمان بمنطقة ورفلة، واحتل فزان. وقد انسحب محمد بن عبد الله الشركسي الذي كان يحكم فزان باسم يوسف باشا، إلى قلعة مرزق، ثم مات بعد ذلك بقليل، فخلفه ابنه الذي صمد للمقاومة، في انتظار الدعم من طرابلس. وسافرت فعلاً محلتان من طرابلس بقيادة ولدي الباشا وهما علي بك وإبراهيم بك في أكتوبر ١٨٣١، وتضم المحلتان بعض الجنود الموالين الذين تم تجنيدهم من قولوغلية الساحل والمنشية، ودعموا بقوة مسلحة من مصراتة. وقد هزموا قوات عبد الجليل عند الموقع المعروف بقلعة (الحطابة) قرب بني وليد، ودخلوا معها في معركة دامية بالموقع المعروف (بظهرة السوداني). وقد حسم النزاع تدخل أولاد أبي سيف، فأوقفت الحرب ولكن ذلك لم يؤد إلى إعادة الهدوء إلى البلاد. وقد أصر يوسف باشا على متابعة الحرب، لعدم ثقته في عروض السلم التي تقدم بها الثوار. وكانت القرماني غير منظمة ومنقسمة على نفسها. فقولوغلية المنشية والساحل يضمرون موجدة على علي بك بسبب سوء معاملته لهم<sup>(٨٤)</sup>. وفي هذه الحالة سحب يوسف المحلتين إلى زلطين ثم إلى طرابلس، وبعث محمد المكني بقوات جديدة من أجل العمل على استرجاع فزان.

وقد عجل تدخل القنصل الإنجليزي في مثل هذه الأوضاع الدقيقة عن بتلاحق الأحداث التي أدت إلى أقصى حالات الفوضى والإخلال بالنظام. وكان

(٨٤) لقد ساند القولوغلية الغاضبون الثورة التي يتزعمها حفيد الباشا، محمد بك في يوليو ١٨٣٢. أنظر الدراسة الوثائقية الهامة التي كتبها إسماعيل كإلي (وثائق غير منشورة عن سقوط الأسرة القرماني) المنشورة بمجلة المستعمرات الإيطالية ١٩٣٠ ص ١ - ١٤ - ١٧٨ - ٢١٦. (قام الأستاذ محمد بازامة بترجمة هذه الوثائق ونشرها في كتاب بعنوان: وثائق عند نهاية العهد القرماني - بيروت ١٩٦٥ - دار لبنان للطباعة والنشر).

وارنجتون قد صمم الحصول على الديون المستحقة من الباشا، فاستدعى فرقة بحرية إنجليزية من مالطا، وظهرت السفن أمام طرابلس يوم ٢٠ يوليو. وكان فوق إحدى هذه السفن وارنجتون نفسه. ووضع الباشا في وضع دقيق حرج، فلم يعرف السبيل الذي يتشبت به لإنقاذه، فلجأ إلى فرض ضرائب إضافية على الرعايا. وقرر الديوان الذي كان يشارك في عضويته (شيخ البلاد)<sup>(٨٥)</sup>، ابن لطيف، تحديد ضريبة على سكان المدينة والمنشية. وجر هذا الإجراء على الباشا حتى الفئات المتدمرة، وأكثريّة سكان الدواخل الذين ثاروا على الباشا في ٢٠ يوليو ١٨٣٢ وبايعوا حفيده (أبا عبد الله) محمد بك<sup>(٨٦)</sup>. وقاموا بمحاصرة المدينة. وفي يوم ٢٧ خرجت القوات الموالية ليوسف باشا من القلعة، في حركة هجومية على الثوار، ولكنها ردت على أعقابها خاسرة.

فأغلق يوسف باشا على نفسه القلعة، وسدت أبواب المدينة<sup>(٨٧)</sup>. وقام المتمردون بمهاجمة دار يوسف باشا بالمنشية (شرقي طرابلس) حيث قامت التحصينات التركية فيما بعد، في الموقع المعروف باسم (سانية الباشا) وعاثوا فيها فساداً ثم جعلوها مقراً لهم<sup>(٨٨)</sup>.

(٨٥) ثمة تعبير طرابلسي جرى مجرى المثل وهو (دبر عليك بن لطيف كمل عليك بيت المال) أي أن ابن لطيف أشار عليك بالرأي السيء المهلك، فأكملة بيت المال. ومن المعروف أن الثاني قد انحاز إلى المتمردين، أنظر الفقرات التالية عن المنشقين على يوسف باشا.

(٨٦) ثار محمد بك في برقة قرب سنة ١٨١٥ ثم فر إلى مصر بعد أن جرد والده حملة لمحاربته سار فيها الرحالة الإيطالي المشهور دلا شيللا. وقد مات بمصر سنة ١٨٢٨. كما مات بعد ذلك الابن الثاني للباشا وهو أحمد بك في سنة ١٨٢٨ بطرابلس خلفاً لوالده حزناً عميقاً (محفوظات القنصلية الفرنسية بطرابلس رسالة بتاريخ يونيو ١٨٢٨).

(٨٧) الجريدة الرسمية لمالطا المؤسسة سنة ١٨١٢ Malta Gov. Gaz. عدد ٨ أغسطس ١٨٣٢. وقد صدر تقرير المراسل من طرابلس باللغة الإيطالية ويفترض أن الغلبة كانت للمتمردين لانحياز أكثر السكان إلى جانبهم عدا فئات قليلة من المدينة. وفي خبر أيضاً نشرته Constitutionnel الصادرة بباريس ٨ أغسطس ١٨٣٢ معلومات عن الثورة التي وقعت يوم ٢٦ يوليو وهي تزيد وجهة النظر الفرنسية وتندد بالقنصل الإنجليزي وارنجتون وتشهر به.

(٨٨) بهيج الدين ص ١١٥.

وحين رأى يوسف باشا أنه محارب من قبل رجاله، وشعر بضغوط قناصل إنجلترا وفرنسا وساردينيا، ومطالبتهم بديون رعاياهم على الباشا، رأى من المناسب أن يأخذ بالنصيحة الداعية إلى تخليه عن الحكم، وتنازله لصالح ابنه علي. فجمع في قاعة الاجتماعات بالقلعة، القاضي أبا عباس أحمد التوغار، والقائد حسن بن عبد الله، وأبناءه، والوزير والكتاب، وأعلن أنه لم يعد قادراً على النهوض بأعباء الحكم، وأنه يرغب في أن يسند الأمر إلى أحسن أبنائه (علي). ولما وافق الجميع على رغبة الباشا، أعلن يوسف باشا البيان التالي: (أشهد بحضوركم جميعاً أنني أتنازل عن الحكم، وأضع مكاني لبني علياً والياً عليكم وأخاه إبراهيم قائداً للجيش) فوافق الحاضرون، وبكى بعضهم من التأثر، وأقسموه بالقرآن أن يحترموا إرادة الباشا الكبير (١٢ أغسطس ١٨٣٢)<sup>(٨٩)</sup>.

وقد قام يوسف باشا نفسه بإبلاغ تنازله عن الحكم لصالح ابنه إلى خليل باشا قائد الأسطول العثماني، وطالب بالمرسوم السلطاني لاعتماد ابنه في المنصب الجديد<sup>(٩٠)</sup>.

وما كاد زعيم المتمردين يعلم بذلك حتى أعلن نفسه (باشا) وعين أخاه (أبا العباس أحمد) قائداً للجيش (بك).

## ٧ - علي باشا القرمانلي (الثاني) ١٨٣٢ - ١٨٣٥

أعلن علي باشا نبأ اعتلائه سدة الحكم ببيان وعد فيه بتطبيق العدالة والعفو، ودعا المنشقين إلى السلم والمصالحة<sup>(٩١)</sup>، وعين أخاه إبراهيم قائداً للجيش. وبإيعاز العلماء والأعيان. وشغل منصب رئيس الوزراء محمد الدغيس<sup>(٩٢)</sup> أخو حسونة الذي لجأ إلى فرنسا، وذلك بدلاً من محمد أبي أميس.

(٨٩) إسماعيل كمال في مقاله المشار إليه ص ١٨٧ - ١٨٨. وقد استخلصت وقائع التنازل من رسالة لأحمد القليبي إلى محمد شالابي بيت المال بتاريخ ٧ - ٣ - ١٨٣٣.

(٩٠) نشر الرسالة بهيج الدين ص ١١٦ - ١١٨.

(٩١) أنظر الترجمة لدى فيرود ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٩٢) ورد ذكر الدغيس على أنه الوزير الأول ليوسف باشا لدى الرحالة ليون ص ٨ قرب سنة ١٨٢٠. ولكنه كان في ذلك الوقت فقد بصره وانصرف عن الوظيفة.

وكان القنصل الإنجليزي وارانجتون الذي عاد من مالطا في ٢٢ أغسطس ١٨٣٢ قد استقر، فور اندلاع الثورة، في دار له بالمنشية، بدلاً من إقامته بمقر القنصلية، معلناً بذلك موقفه المؤيد للمتمردين. وربما كانت إنجلترا قد فكرت في ذلك الوقت في إعادة الحكم العثماني إلى طرابلس. وكانت لها مصلحة في الإبقاء على الاضطرابات والفتن، وعرقلة تسوية النزاع القائم بين المتمردين وبين الحاكم.

وكان قنصل فرنسا (سكوييل Schwebel) يؤيد بشكل علني علي باشا والأسرة القرمانيّة. وكان ثمة ضباط فرنسيون يديرون الدفاع عن طرابلس ضد عمليات القصف التي كان يقوم بها المتمرّدون.

وفي دواخل البلاد استغل العرب الفرصة للتحرر من أي التزام نحو الحكومة المركزية، وأخذوا يرقبون، الصراع القائم بين قولوغلية الساحل ووريث الأسرة القرمانيّة. ووقف عبد الجليل موقف الحياد، وكان صاحب المنطقة الشرقية من طرابلس الغرب وفزان التي جلا عنها (المكني)<sup>(٩٣)</sup> بناء على أمر الباشا. وكان غومة والمحاميد والمريض وسكان ترهونة قد أعلنوا ولاءهم لعلّي باشا، وإن لم يقوموا بأية حركة لتأييده.

وكان محمد شالابي بيت المال ببرقة، وما كاد يعلم بنشوب الثورة في طرابلس حتى قرر الوقوف على الحياد، وعدم الانحياز لأي من الفريقين. ورغم أنه كان على خلاف مع علي باشا، إلا أنه كان يرى أن ليس ثمة إمكانية لاستيلاء القولوغلية على طرابلس. وحين علم علي باشا قرر تعيين أخيه عثمان بك حاكماً على برقة، غادر درنة وانتقل إلى مالطا.

وشجعت هذه الأوضاع الغامضة سيدي محمود باشا تونس على التطلع إلى الاستيلاء على طرابلس، والتدبير لذلك، وإسناد أمرها إلى أخيه سيدي مصطفى. وقد أجرى المفاوضات لهذا الغرض مع الباب العالي. وكان يعد

(٩٣) قتله عند العودة بمصراتة عثمان أدغم، أنظر إسماعيل كمال ص ١٩٠.



تجهيزاته العسكرية اللازمة، ويصنع الأسلحة والذخائر استعداداً للحملة.<sup>(٩٤)</sup>

وتلقى الباب العالي التماسات من سكان مدينة طرابلس، ومن الثوار، تلح عليه بالتدخل لحسم الأمر. وبعث كابودان باشا (أي رئيس الأسطول العثماني) طاهر باشا الذي كان يتولى شؤون إيالات الشمال الإفريقي، كاتبه شاكر أفندي، للوقوف على الوضع. وقد وصل إلى طرابلس في ١٨ أغسطس ١٨٣٣ وأجرى محادثات مع يوسف باشا وعلي باشا، وزعماء المتمردين، وحاول التوفيق بينهم وتوحيد كلمتهم على الاعتراف بعلي باشا، وحين فشل في مهمة الإقناع ركب البحر في سبتمبر ١٨٣٣ وتوجه إلى الأستانة حيث قدم تقريراً عن الوضع.

وفي هذه الأثناء ظلت طرابلس قيد الحصار، وكانت تقصف من حين إلى آخر، بواسطة المدفعية المقامة في المنشية. وكان محمد شليبي بيت المال بالطا، يزود - بصفة سرية - أصدقاءه من الثوار، من قولوغلية الساحل ومصراثة بالعتاد الحربي، ويمارس في السوق السوداء التجارة المربحة في المدافع والبنادق والذخائر. وقد ألح عليه - بلا جدوى - علي باشا لكي ينضم إليه. وكان زعماء الدواخل يعرفون له خبرته السياسية، ويحفظون معه بعلاقات مراسلة، ودعاه المتمرّدون إلى الانضمام إليهم<sup>(٩٥)</sup>، وانتهى به الأمر إلى الاستجابة إلى دعوتهم ودعوة القنصل الإنجليزي وارنجتون. وسافر من مالطا ترافقه ثلاثة مراكب مسلحة تحت قيادة المدعو (ماتّي Mattei) من مواليد كورسيكا، وقد عاش فترة طويلة بصفاقس. ورسّت هذه المراكب في السابع من ديسمبر ١٨٣٣ إلى الشرق من طرابلس، وتمكنت من نقل الأسلحة والقذائف إلى الثوار. وقبضت زوارق الباشا على واحدة منها. أما السفينتان الأخريان فقد

L. Calligaris, Note sur Tunis.

(٩٤)

وهو تقرير بعث به الكولونيل كاليغارس في سنة ١٨٣٤ من تونس إلى تورينو ونشره مونكيكورت في مجلة تاريخ المستعمرات الفرنسية سنة ١٩٢٨ ص ٥٢٥ وتوجد المعلومات الخاصة بطرابلس في الصفحتين ٥٤٠ - ٥٤١.

(٩٥) أنظر الرسائل الهامة في الدراسة التي كتبها إسماعيل كالي في ص ١٩١ - ١٩٩.

حاولتا محاصرة الميناء، ولكنها عدلتا عن ذلك بسبب معارضة القناصل واتخذتا طريقهما نحو الشرق.

وطال أمد الحصار المضروب حول مدينة طرابلس التي عانت منه الكثير. ولم تتضرر المدينة من الشرور الناشئة عن الحصار بقدر ما تضررت من انعدام الثقة وتوقف كل نشاط تجاري. وكان الثوار قد قرروا القيام بهجوم حاسم على المدينة في الربيع، وأبلغوا القناصل بعزمهم هذا حتى يتخذوا الإجراءات اللازمة لحماية رعاياهم<sup>(٩٦)</sup>.

وفي يوم ٢٨ أبريل ١٨٣٤ أبلغ القناصل، دي مارتيانو De Martino ورايخ Reich وشيروتى Ceruti محمد القرمانيلى (باشا المنشية) بأنهم قد اختاروا ملجأهم بموقع كان من المقرر أن يكون مستشفى خارج المدينة<sup>(٩٧)</sup>. ولم يكن للقصف الذي تم فيما بعد أي أثر كبير، ولم يحقق في جميع الأحوال النتائج المرجوة. وكان هذا القصف يمثل في حقيقته النغم الهزلي في مأساة انهيار الأسرة القرمانيلية. وإنه لما يثير الضحك حقاً أن نجد بين مراسلات قنصل ساردينيا، بيانكو (Bianco) الرسالة التي بعث بها في أوائل مايو ١٨٣٤ إلى قائد المتمردين يطلب منه إيقاف القصف يوم ١١ مايو، لأنه سيقوم في ذلك اليوم بالزيارات التقليدية لمختلف القنصليات بمناسبة استلامه لعمله.

وعاد شاكر أفندي إلى طرابلس، يوم ١٨ سبتمبر ١٨٣٤ يحمل فرمان السلطان محمود الثاني الذي يثبت علياً القرمانيلى على رأس حكومة طرابلس بلقب باشا ودرجة ميرميران. وتلى فرمان السلطان بالقلعة يوم ٢٥ سبتمبر<sup>(٩٨)</sup>، وأبلغ به الثوار الذين رفضوا الاعتراف بتعيين السلطان، كما رفضوا قبول الدعوة لحضور تلاوة فرمان خارج المدينة<sup>(٩٩)</sup>، واعترفت قناصل الدول بالباشا الجديد،

(٩٦) توجد الرسالة في المحفوظات العثمانية بطرابلس مجموعة رسائل محمد القرمانيلى إلى قنصل ساردينيا.

(٩٧) محفوظات قنصلية ساردينيا المراسلات العامة رسالة بتاريخ ٢٠ - ٤ - ١٨٣٤.

(٩٨) أنظر الترجمة لدى فيرود ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٩٩) عن نشاط شاكر أفندي بطرابلس انظر المعلومات القيمة التي جمعها إساعيل كمالى في عمله المذكور ص ٢٠٣ - ٢١٠.

غير أن قنصل إنجلترا (وارنجتون) ظل على تأييده السري للمتمردين .

## ٨ - تدخل الباب العالي وإعادة السلطة العثمانية إلى طرابلس

لم يعد مصير طرابلس في يد علي باشا القرماني، ولا في يد منافسه محمد بك القرماني. ذلك أن احتلال الجزائر في سنة ١٨٣٠ قد وجه اهتمام الدول الأوروبية وتركيا إلى تونس وطرابلس. وكانت الغيرة الإنجليزية الفرنسية والتراحم بين الدولتين، قد عجل بتطور الأحداث وتلاحقها ومبادرة الأستانة إلى اتخاذ قرارها في الخصوص. وكان من سياسة فرنسا في ذلك الوقت أن يتدعم وضع الأسرة المحلية القائمة على الحكم بطرابلس، على غرار الوضع القائم بتونس، ولم يكن من مصلحتها قيام حكم في طرابلس، يدار مباشرة من تركيا، لما سوف يؤدي إليه ذلك من التدخل في شؤون تونس والجزائر. - كما سوف نرى فيما بعد. وكانت إنجلترا من جانبها تعمل على عرقلة التوسع في النفوذ الفرنسي بالشمال الإفريقي، وتنظر بعين الرضى إلى عودة السيادة العثمانية على طرابلس.

ولم يتأخر هذا الحدث كثيراً، ففي يوم ٢٠ مايو وصلت من الأستانة سفينة (إبريق) تقل على ظهرها شاعر أفندي الذي كان قد حضر إلى طرابلس في الخريف المنصرم. وأعلن قرب وصول الأسطول العثماني الذي ظهر فعلاً أمام طرابلس مساء يوم ٢٥ مايو، وكان يتكون من مجموعة من ٢٢ سفينة من مختلف الأنواع المعروفة في ذلك العصر. وقد رست السفن يوم ٢٦ بميناء طرابلس. وقام علي باشا القرماني بالتوجه شخصياً إلى سفينة القيادة لتحية مصطفى باشا نجيب قائد الحملة، ثم زار السفينة التي تقل نائب الأميرال، واستقبل من الاثنين بحفاوة وترحاب، وتم تبادل التحية بين مدفعية السفن ومدفعية القلعة.

وفي يوم ٢٧ مايو، تمت عملية إنزال ثلاثة آلاف وخمسمائة مسلح، وفرقة مدفعية تتوفر على ١٢ مدفعاً وعدد من قاذفات اللهب وفي يوم ٢٨ مايو دعي علي باشا القرماني إلى سفينة القيادة، فركب أحد الزوارق، وما كاد يصل السفينة حتى أبلغ باعتقاله، وتلا مصطفى نجيب الفرمان الذي يعينه والياً على

طرابلس. وأعلن زعماء المدينة والمنشئة خضوعهم وولاءهم في يوم ٣٠ مايو<sup>(١٠٠)</sup>. وكان محمد بيت المال قد فر فوق سفينة إنجليزية من نوع غراب. ثم تقدم في أول يونيو إلى الوالي التركي الذي أحسن استقباله. أما محمد القرمانيلى فقد غلبه اليأس، وانتهى شريداً في الأرياف، ثم انتحر<sup>(١٠١)</sup>. وأما إبراهيم وعمورة ولدا يوسف القرمانيلى فقد قبلا الخضوع والدخول في طاعة السادة الجدد. وأقصى يوسف القرمانيلى في بيته الكائن بشارع (الأربع عرصات) بطرابلس بينما ظل ابنه عثمان حاكماً على برقة لفترة أخرى.

أما السفينة التي ركبها علي باشا ووزيره وصهره محمد الدغيس وصهره الآخر سليم كاهية، وابنه الكبير سليمان بك، وبعض الخدم، فقد غادرت طرابلس يوم ٢ يونيو في طريقها إلى الأستانة.

وهكذا أفلت شمس السيادة القرمانيلية. وإذا لم يكن حكم هذه الأسرة لامعاً متألقاً، فقد كانت له أهمية بارزة. وقد مثلت سيادة هذه الأسرة امتداداً طويلاً لعهد القرصنة الذي استمر طوال ثلاثة قرون على سواحل الشمال الإفريقي. ولكن طول مدة الحكم (١٢٥ سنة) وحكمة مؤسسه أحمد باشا القرمانيلى وقوة شخصيته وأعماله، والتلاؤم مع أوضاع البيئة المحلية، والتطور المستمر في اكتساب الطابع الوطني لهذه الأسرة الإنكشارية، قد أبقت كلها على بعض ذكرياتها وآثارها وحفظت لها احترامها. فلا غرابة إذن في أن يكلف الوالي التركي حسن باشا بعض أعوانه والعميد والعلماء بحضور مراسم تشييع جنازة يوسف باشا القرمانيلى يوم وفاته (٤ أغسطس ١٨٣٨) بمنزله بالأربع العرصات ودفنه (بترية) أحمد باشا القرمانيلى بكل مظاهر التقدير. وقد حضر الوالي نفسه أمام المسجد متبوعاً بكافة الضباط ورجال الحاشية وانتظر هناك وصول الموكب الجنائزي، وأذن هو نفسه للمؤذنين بالصعود إلى المآذن عند الظهر لتلاوة القرآن وإنشاد الأنشيد الدينية. كما أعتق بعض العبيد وأطلق سراح بعض

(١٠٠) محفوظات قنصلية ساردينيا (المراسلات مع وزارة الحرب والبحرية) رسالة بتاريخ ٢ - ٦ - ١٨٣٥.

(١٠١) وصل النبأ إلى طرابلس في ٣١ مايو (دفتر الفقيه حسن).

المسجونين<sup>(١٠٢)</sup>. ونكست القنصليات الأجنبية أعلامها الوطنية، الأمر الذي صادف رضى كبيراً واستحساناً لدى الأهالي<sup>(١٠٣)</sup>.

## ٩ - التجارة والوضع الاقتصادي بطرابلس الغرب قرب ١٨٣٠

حوالي سنة ١٨٣٠، وقبل فترة قريبة من قيام الاضطرابات التي أغلقت طرق الدواخل، كانت للتجارة بطرابلس الغرب أهمية معينة، في مجال التبادل مع إفريقيا الوسطى. وقد ترك قنصل السويد بطرابلس (جرايرج دي همسو Graberg de Hemsö) صورة ممتازة عن الوضع التجاري والاقتصادي نشرها في سلسلة من المقالات نجملها فيما يلي<sup>(١٠٤)</sup>:

كانت مرزق مركز تجميع التجارة مع دواخل إفريقيا، وكانت تتجمع بها منتوجات الواداي وبورنو وكاشينا، وسكاتو والهوسة، وتومبكتو، والمنتوجات الواردة من طرابلس وبنغازي ومصر وأوجلة، ثم المنتوجات الأوربية والطرابلسية مثل ورق الكتابة (نوع الأقمار الثلاثة المصنوع في جنوا وليفورنو) والمرجان والعقيق والأقمشة القطنية والحرير والدمشقة والبسط والأسلحة النارية والأسلحة القاطعة والأكواب. . إلخ.

وهناك أربع طرق تنفذ إلى دواخل إفريقيا عن طريق غدامس، وهي طريق مزدة - سوكنة - مرزق. وطريق غات، وطريق كاشينا، ثم طريق توات تومبكتو.

(١٠٢) دفتر الفقيه حسن.

(١٠٣) محفوظات قنصلية ساردينيا - المراسلات العامة، رسالة بتاريخ ٤ - ٨ - ١٨٣٨ وتضيف قنصلية توسكانا في رسالة بتاريخ ٤ - ٨ - ١٨٣٨ إلى حكومة ليفورنو أن يوسف باشا مات فقيراً وقد تم دفنه على نفقة الحكومة وتكلف الدفن مبلغ ألف قطعة.

(١٠٤) Prospetto del commercio di Tripoli d'Africa e delle sue relazioni con quello dell'Italia in (Antologia), Firenze nr. 81 sett. 1827 p. 39 - 99 nr 88 Aprile 1828 p. 1 - 29 nr 111 marzo 1830 p. 75 - 97

Rossi, (Una Rassegna Africanistica ecc) Oriente moderno, XII, 1932 p. 257 - 259

ويعصل إلى طرابلس ضمن القوافل من فزان وغدامس :

- ١ - العبيد السود ويبلغ عددهم حوالي ٢٥٠٠ سنوياً، ويصدرون إلى تونس ومصر والمشرق.
- ٢ - التب، بما يقرب من عشرة آلاف مثقال أي ما يقرب من ألف وخمسمائة (أنش) دون أن ندخل في الحسبان الضريبة الذهبية التي تجبى من فزان وغدامس.
- ٣ - طرونة بحوالي سبعة آلاف قنطار في العام.
- ٤ - السنامكي بحوالي ثلاثة آلاف قنطار.
- ٥ - ريش النعام، بما قيمته من ١٥ ألف إلى ١٨ ألف في العام.
- ٦ - البوتاس الأحمر من ثلاثة إلى أربعة آلاف قنطار.
- ٧ - عاج من ١٥ إلى ٢٠ قنطاراً في العام.

وتستبدل هذه البضائع في طرابلس بنحاس المشرق الذي يستعمل في بورنو لسك النقود والخناجر وغيرها من الأسلحة البيضاء والخرز والأقمشة إلخ. وكانت طرابلس تستفيد أيضاً من حركة نقل الحجاج. وقل في ذلك الوقت مرور الحجيج وانخفاض عما كان عليه في الماضي، بسبب تفضيل الحجاج السفر عن طريق البحر، فوق المراكب المسيحية. أو بسبب قيام الباشا بقصر أداء هذه الفريضة على عدد محدود. ففي سنة ١٨٢٤ شاهد (جرايرج) قافلة تتكون من ثلاثة آلاف رجل ومئات من النساء والأطفال وألفي جمل، قادمة في الأصل من (فاس) ثم أخذت تتضاعف وتنمو أثناء الطريق، وكان يتولاها (أمير الحج) وهو من القيروان. وتوقفت هذه القافلة بطرابلس مدة تقرب من شهر ثم تابعت رحيلها، فسافر قسم منها عن طريق البحر، واستمر القسم الآخر في السفر براً.

وحتى ذلك العهد كانت تعقد سوق، عند باب المدينة نحو الشرق، تعرف بسوق الثلاثاء، في الموقع المعروف باسم (الساحة). أما في تاجوراء فتعقد السوق في يومي الخميس والاثنين.

ومن المتوجات التي تصدر من طرابلس، وتنقل عن طريق البحر، نذكر الصوف وبسط مصراتة والجلد والزيت والقمح والشعير والشمع والعسل والتمور والحيوانات والزعفران والإسفنج والبوتاس والملح والصبغة.

ويذكر من أسماء التجار المحليين: مصطفى قورجي وزير البحرية، الشريف محمد الدغيس، الحاج أحمد بن لطيف، علي أبودير المسلماني. ومن اليهود الطرابلسيين إسحاق لابي، أليا سرور، بنيامين حسان. ومن يهود توسكانا سلمون أمبرون. ومن المالطيين المسيحيين من رعايا إنجلترا يذكر الإخوة فانيجيا، وسلفاتوري فرنديو، وكريلا قريش، وبتروياودي. ومن رعايا صقلية روزاريو مسينا. ومن رعايا توسكانا بلقرينو كستلاني. ومن الفرنسيين، بوسير ولوتير وجوردان.

وكانت التجارة في طرابلس مهددة بعاملين رئيسيين: النظام النقدي الأخذ دوماً في الفساد. وازدياد انعدام الثقة فيما يسمى باصطلاح ذلك العصر (تذكرة) أو التكليف الذي يمارسه الوالي على حكام الأقاليم وغيرهم من الموظفين المسؤولين عن الجباية والدخل العام.

وتبلغ الصادرات في مجموعها ٤٤٩ ألف كولونات موزعة على النحو

التالي:

١٤٠٠٠٠	عبيد
٧٠٠٠٠ من بنغازي ودرنة	مانتيكا
٤٨٠٠٠	أبقار
٢٧٠٠٠	تبر
٢٠٠٠٠	زيت زيتون
١٨٠٠٠ في سنوات الخصب	قمح
١٢٠٠٠	ريش النعام
١٢٠٠٠	عاج
١٧٠٠٠ إلى ١٨٠٠٠	صوف

١٠٠٠٠	رويا
٩٠٠٠	زعفران
٥٢٤,٧٩٠ كولونات	وتبلغ الواردات في مجموعها
٦٠٠٠٠	منسوجات
٢٣٠٠٠	مواد خشبية
٢٢٥٠٠٠	أقمشة عادية
١٦٨٠٠	أقمشة خشنة
٢٤٠٠٠	فضة نقدية
١٤٠٠٠	قهوة
٢٥٠٠٠	قرطاسية
٣٢٠٠٠	خرز
١١٥٠٠	مرجان
٨٦٠٠	دمشقة
٨٠٠٠	
٢٠٠٠٠	مجوهرات لحريم الباشا
٨٦٠٠ (مالطا)	أقمشة وأشربة بحرية
١٤,٩٤٠	سكر
١٥٢٠٠	نبيذ صقلية

وكان الباشا يعهد بالتزام الجمارك إلى الآخرين، وهم في العادة من أبناء الأسر الذين يبيعونها من الباطن لليهود. وفي سنة ١٨٣٠ كان قد اشترى التزام الجمر ك صهر الباشا ووزير البحرية بمبلغ سنوي قدره ١٨ ألف كولونات، وتدر الجمارك البرية في وقت من الأوقات مبلغ ٣٦ ألف كولونات. أما في الفترات الأخيرة فقد بلغت ستة آلاف يضاف إليها ألف كولونات للميزان (رمانة) و ١١٥٠٠ لاستيراد الدخان وبيعه. وألف كولونات لوزن الذهب والفضة.

أما ضريبة الصابون فقد التزمها (القاجيجي) وهودائن للباشا، وكان في السابق رئيساً لحمام الأسرى المسيحيين وقائداً للمدفعية.

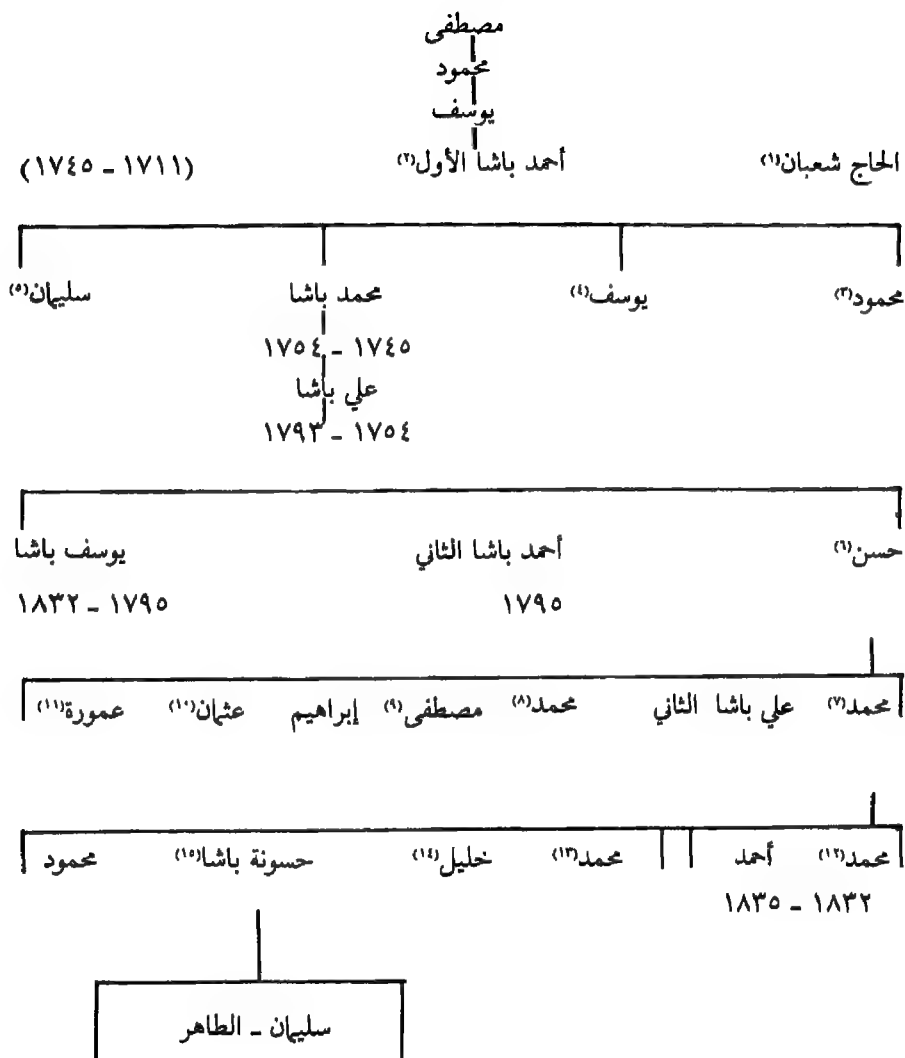


أما ضريبة الجمارك البحرية فهي ١٠ في المئة لليهود و٧ في المئة للمسلمين و٣ في المئة للمسيحيين ولكنها عرضة للتغيير الدائم.

وفي ١٨٢٤ وصلت من مالطا ٢٧ سفينة. ومن ليفورنو ١٩ سفينة. ومن بنغازي ١١ سفينة. ومن الإسكندرية ٥ سفن ومن تريستا ٥ سفن. وأربع سفن من تونس وأربع من جربة. المجموع ٩٤ سفينة. وغادرت الميناء في نفس العام ١٠١ سفينة وصلت منها أربع وعشرون وسافرت خمس وعشرون من السفن التي تحمل أعلام الدول التالية: إنجلترا وفرنسا والنمسا وتوسكانا وطرابلس وساردينيا.

أما البحرية العسكرية فقد كانت تتضمن سفينة (كابيتانا) ذات ٢٢ مدفعاً و١٥٠ رجلاً. وسفينة (باترونا) ذات عشرين مدفعاً. وثلاث سفن من نوع (بريقانتين) وخمس غليونيات و١٠ زوارق وتتكون في مجموعها من ١٣٦ مدفعاً و١٤٠٠ رجل.

## ١٠ - شجرة الأسرة القرمانيّة:



- (١) قتل في المؤامرة التي وقعت سنة ١٧٢١.
- (٢) دفن بمقبرة القرمانيّة بشارع الشط.
- (٣) كان حاكماً لبنغازي.

- 
- (٤) توفي أثناء حياة والده بعد سنة ١٧٣٢ .
  - (٥) دفن بترية مسجد أحمد القرماني ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ - ١٧٦٠) .
  - (٦) قتله أخوه يوسف سنة ١٧٩٠ .
  - (٧) مات بمصر سنة ١٨٢٨ .
  - (٨) وهو أول أنجاله من جواريه السود وقد توفي سنة ١٨٢٠ .
  - (٩) مثل البقية من أبنائه من زوجاته السود .
  - (١٠) كان حاكماً على بنغازي .
  - (١١) ظل بطرابلس تحت الحكم التركي وتقلد بعض الوظائف .
  - (١٢) ثار على جده في سنة ١٨٣٢ وانتحر سنة ١٨٣٥ . وقد شاركه أخوه محمد في الثورة التي قامت سنة ١٨٣٢ .
  - (١٣) كان موظفاً في العهد التركي .
  - (١٤) كان موظفاً في العهد التركي ومات بطرابلس سنة ١٨١٤ .
  - (١٥) كان عميداً لبلدية طرابلس .



## القسم الثالث

### الفصل الأول العهد العثماني الثاني بطرابلس الغرب ١٨٥٣-١٩١١ احتلال المناطق الداخلية ١٨٣٥-١٨٥٨

- \* إعادة السيادة العثمانية الى طرابلس واحتلال بنغازي ودواخل طرابلس<sup>(١)</sup>.
- \* احتلال مصراته سنة ١٨٣٦
- \* المقاومة ضد غومة وعبد الجليل
- \* نهاية عبد الجليل ١٨٤٢ واحتلال القسم الشرقي من طرابلس الغرب
- \* احتلال فزان وغدامس.
- \* المقاومة ضد غومة.
- \* نهاية غومة وتدعيم السيطرة على طرابلس الغرب.

## ١ - إعادة السيطرة العثمانية على طرابلس واحتلال بنغازي ودواخل طرابلس<sup>(١)</sup>

نعني بتسمية (العهد الثاني للسيادة العثمانية على طرابلس) تلك الفترة التي تبدأ من سنة ١٨٣٥، بتنحية علي باشا القرمانللي عن حكمه شبه المستقل، وتنتهي بوقوع ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي.

وفي سنة ١٨٣٥ لم يكن الأتراك يسيطرون على غير طرابلس المدينة والمنشية. وتطلب الأمر انقضاء أربعة وعشرين عاماً (١٨٣٥ - ١٨٥٨) حتى يضمّنوا لأنفسهم السيطرة على الساحل، والمراكز الداخلية، والقضاء على نزعة الطموح إلى الاستقلال، والمقاومة العنيدة التي أبدّاها زعماء الدواخل من أمثال عبد الجليل وغومة.

وقد حضر غومة إلى طرابلس، في يونيو ١٨٣٥ في موكب من أتباعه المخلصين من المحاميد، لتقديم ولائه إلى الوالي الجديد مصطفى نجيب باشا الذي بادر إلى القبض عليه<sup>(٢)</sup>. وقد اتبع الأتراك سياسة (المرجيحة) إزاء الزعماء. وهي تتراوح بين التهديد والمجاملة والغدر المتبادل. ولم تفلح هذه الأساليب في حل تلك الأوضاع، إلا بعد أن استقر العزم على استخدام القوة.

وبإرسال مصطفى نجيب باشا إلى طرابلس، استعادت الآستانة - كما

---

(١) هذا الفصل وقسم من الذي يليه نشر مفرقاً في مجلة المستعمرات الإيطالية السنة الثانية والعشرون ١٩٢٧ ص ٢٩٢ - ٣٠٠ - ٣٤٣ - ٣٥٣ بعنوان العهد العثماني الثاني بطرابلس. أما بخصوص الفترة التي تمتد من سنة ١٨٣٥ فانظر كتاب هنري كودي ليوني (استعمار شمال إفريقيا) بادوفا ١٩٦٠ ج ٢ ص ٢٥١ - ٣٧٤.

(٢) ناجي ونوري (طرابلس الغرب) ص ١٤٩.

قلنا - سيطرتها المباشرة على طرابلس الغرب، وليبيا بأسرها، بعد قرنين ونصف ضعفتم خلالها السيادة العثمانية، بل خبت تقريباً. وقد سلكت في البداية المسلك الشائع حينذاك، في اعتبار الولايات القائمة بشمال إفريقيا ويسميتها الأتراك (أوجاق) تابعة لأميرال الباب العالي (كابودان باشا). وقد مثلت ولاية طرابلس الغرب لدى الباب العالي بوكيل أو ممثل (كاهية) الأميرال<sup>(٣)</sup>.

وقد جاء تدخل الباب العالي، في طرابلس، في أوانه المناسب. إذ تم في ظرف تصاعد فيه الصراع بين إنجلترا وفرنسا من أجل التدخل في شؤون الولاية. غير أن تدخل الأتراك لم يضع على الفور حداً لأسباب النزاع والمنافسة الإنجليزية الفرنسية. وكانت فرنسا تلح لدى الباب العالي على إعادة علي باشا القرمانيلى، بينما قامت إنجلترا بفهم الباب العالي بأنها سوف تعارض بشدة عودة القرمانيلى إلى الحكم. وكان الذي دفع الثمن نيابة عن الجميع، هو مصطفى نجيب باشا الذي تقرر استدعاؤه. وقيل إن استدعاءه يمثل ترضية لفرنسا، إلا أن حكومة الأستانة قد قامت في الواقع بسحبه لعدم تقيده بالتعليمات الصادرة إليه بخصوص علي باشا القرمانيلى، وهي التعليمات التي كانت تقضي بالتريث مدة ثلاثة أشهر قبل إرساله إلى الأستانة<sup>(٤)</sup>.

وقد خلف مصطفى نجيب، محمد رائف باشا الذي وصل الى طرابلس في ٨ سبتمبر ١٨٣٥، وكان يشغل قبل ذلك منصب حاكم الدردنيل. وقد أظهر نشاطاً أكثر من سلفه، وأطلق على الفور سراح غومة، ووجه في أكتوبر حملة عسكرية لاحتلال بنغازي التي لجأ إليها عثمان بك القرمانيلى.

وكانت تاجوراء التي تقع على بعد أميال قليلة من طرابلس، لم تخضع خضوعاً تاماً للأتراك، وتعرضت هذه البلدة الصغيرة من جديد لظروف جعلت منها قاعدة للمشاغبات والثورات. وقد هاجمها محمد رائف باشا، ونهبها في ٣١ يناير ١٨٣٦. ومات من سكانها في تلك المعركة حوالي مئتي شخص، وقامت

(٣) في سنة ١٨٣٥ كان (كابوكاهية) حسيب أفندي.

J. Serres, op. cit. p. 112.

(٤)

بعض البلدان الأخرى الواقعة في ضواحي طرابلس بإعلان خضوعها مثل جنزور الواقعة على الساحل الغربي، كما دفعت هذه البلدان الضريبة المقررة<sup>(٥)</sup>.

وفي ٢٢ يونيو وصلت الى مياه طرابلس فرقة بحرية تركية بقيادة الكابودان باشا طاهر. وكان مكلفاً باستلام منصب الوالي خلفاً لرائف باشا الذي وقعت بينه وبين القنصل الفرنسي (دي بوروبلون De Bourboulon) خلافات واصطدامات عنيفة. إلا أن رائف باشا لم يغادر طرابلس على الفور وظل مقيماً بها حتى نهاية تلك السنة.

ووصلت صحبة طاهر باشا مجموعة جديدة من الجنود (تتكون من ثلاثة آلاف جندي نظامي، بينهم ثلاثمائة من الفرسان) للقيام بحملة مخططة مدبرة على مصراتة، وكان يرافقه نامق باشا قائد الجيوش البرية.

وقد أثار إرسال هذه القوات الكبيرة الى طرابلس ووصول صاحب الطابع<sup>(٦)</sup> العامل في خدمة باشا تونس، شكوك فرنسا التي لم تكن قد فرغت حتى ذلك الوقت من احتلالها للجزائر. وكانت مشغولة حينذاك بحملة على قسنطينة وكانت ثمة دلائل تشير الى أن مجيء قائد الأسطول العثماني، والعلاقات مع الحكومة التونسية والاتصالات الجارية بها، إنما قصد بها السعي لإعادة السيادة التركية المباشرة، على تونس، على نحو ما وقع قبل عام من ذلك، في طرابلس، مع تقديم المساعدة الى عرب قسنطينة في كفاحهم ضد فرنسا<sup>(٧)</sup>.

ولذلك بادرت فرنسا في ١٠ يوليو ١٨٣٦ إلى توجيه فرقة بحرية الى تونس ثم الى طرابلس، وهي مكونة من خمس سفن بقيادة الأميرال (هوجون Hugon)

(٥) محفوظات القنصلية الساردنية، مراسلات وزارة الخارجية، رسالة بتاريخ ١٠ - ٩ - ١٨٣٥.

ناجي ونوري ص ١٥٠. وقد كانت القوات تحت قيادة دورسون بك.

(٦) في مراسلات قنصلية ساردينيا وردت هكذا (Sapataba) وتعني صاحب الطابع.

(٧) في رأي المؤلف الفرنسي Serres (ص ١٤٩) أن طاهر باشا كان مكلفاً بالتحديد إعادة السيطرة العثمانية المباشرة على تونس ما أمكن ذلك.



الذي أجرى محادثات مع طاهر باشا، ولم يغادر طرابلس إلا بعد حصوله على تأكيدات وضمانات تامة.

وقد أصبح الحاج محمد بيت المال مستشاراً لطاهر باشا. وكان قد عمل في خدمة القرماتلليين ثم تنكر لهم.

## ٢ - احتلال مصراتة ١٨٣٦

حين وصل طاهر باشا بجيشه وقواته الى طرابلس، كان الوضع في الدواخل على النحو التالي:

مصراتة: تحت حكم عثمان الأدغم<sup>(٨)</sup>.

ترهونة: تحت حكم الشيخ المريض.

المنطقة الواقعة بين ورفلة وفزان: تحت حكم الشيخ عبد الجليل زعيم أولاد سليمان. وفي الجبل الغربي والزاوية: كانت السيطرة للشيخ غومة زعيم المحاميد.

وقد كان هؤلاء الزعماء مستقلين في مقاطعاتهم الخاصة، ولم يكونوا على استعداد للخضوع أو دفع الضريبة. ومن جهة أخرى فقد جرب غومة في السنة السابقة أن يقدم مراسم الولاء والطاعة، فانهى به الأمر الى السجن، ثم أطلق سراحه.

وتقررت المبادرة الى القيام بحملة ضد مصراتة، وهي من المقاطعات الهامة، وذلك للسيطرة على القسم الشرقي من طرابلس الغرب، وتهيئة إمكانية النفاذ والتغلغل إلى الجنوب.

وفي ١٤ يوليو ١٨٣٦ نزل الأتراك بساحل مصراتة، فاستقبلهم السكان بنيران حامية. ولكنهم تمكنوا من السيطرة على الموقع. وعاد العرب الذين تفرقوا

---

(٨) يرى المؤرخ (لطفى) في تاريخه (ص ٥٢) أنه محمود آغا.

وتشتتوا إثر المعركة، إلى ضم صفوفهم ومهاجمة الأتراك في اليوم التالي، فألحقوا بهم أضراراً فادحة<sup>(٩)</sup>.

واستطاع طاهر باشا في النهاية، وبعد معارك دامية وبث الفتن، أن يحتل ضواحي مصراتة القريبة من قصر أحمد (مصراتة البحرية).

وفي الشتاء خلال الفترة الواقعة بين ١٨٣٦ - ١٨٣٧ انتشر وباء الطاعون وجعل الجيش التركي في وضع قاس عسير، وكذلك الأهالي. وقضى هذا الوباء على مئات الضحايا، خاصة بين سكان المدينة بالنظر إلى نقص الاستعدادات والاحتياطات الطبية.

وفي نهاية يناير ١٨٣٧، وصلت إلى طرابلس سفينة تركية (من نوع إبريق) تحمل فوق ظهرها نائب الأميرال التركي في القيادة البحرية (ريالة بك) مكلفاً بنقل مرسوم التعيين لطاهر باشا، والياً على طرابلس ومفوضاً بسلطات كاملة على الأجزاء التابعة لتركيا من الشمال الإفريقي (بربريا)<sup>(١٠)</sup>.

ولا بد أن نلاحظ أن هذا التعبير، يظهر بجلاء أن شكوك فرنسا نحو السياسة التركية في تلك الأعوام، لم تكن كلها خالية من الصحة أو هي قائمة على غير أساس. وفي ربيع ١٨٣٧ قام طاهر باشا بحملة على غريان وعاد منها في مايو، دون أن يحقق نتائج إيجابية.

### ٣ - الصراع ضد غومة

كان من أثر العمليات العسكرية التي قام بها طاهر باشا، زيادة هيبة الحكومة الجديدة، إلا أنها لم تؤد إلى ضمان السيطرة على الداخل. وقد قام غومة هو الآخر، سنة ١٨٣٧ بإعلان الثورة من جديد، وطرد الأتراك من غريان،

(٩) محفوظات قنصلية ساردينيا، الرسائل ١٩ - ٧ - ١٨٣٦ و ٢٨ - ٧ - ١٨٣٦.

(١٠) محفوظات قنصلية توسكانا، نسخ من رسائل، رسالة بتاريخ ١ - ٢ - ١٨٣٧ موجهة إلى حاكم مدينة ليفورنو بإيطاليا.

ويسط سلطته وسيادته على الزاوية وزوارة. بل ويمكن القول بأنه قد بسط هذه السلطة على القسم الغربي من طرابلس الغرب بأسره.

وبالإضافة إلى ذلك فقد اصطدم طاهر باشا، بسبب أساليبه العنيفة المتعجرفة، مع ممثلي الدول الأوروبية الذين اعتادوا معاملة تتسم بالتساهل والتنازل والمراعاة، من جانب حكومة طرابلس. وحاول أن يرفع التعريفية الجمركية إلى نسبة عشرة في المئة، وكانت الاتفاقات السابقة بين هذه الدول والأسرة القرمانلية قد حددتها بثلاثة في المئة. وفي هذا الخصوص، كانت مقاومة القناصل عنيدة متصلبة<sup>(١١)</sup>.

وقد وصف هذه الحالة وصفاً دقيقاً (ج. روسوني) الذي كتب يقول:

(إن السيدين قنصلي فرنسا وإنجلترا اللذين كانا يتمتعان بنفوذ واسع عظيم لدى الولاة السابقين، حتى بلغ بهما الأمر في بعض الأحيان إلى إملاء القوانين وفرضها قد انتهى في عهد هذا الوالي (حتى الآن على الأقل) إلى وضع مهين. والدليل على ذلك أن قنصليتيهما لم تعودا تتمتعان بأية حصانة خاصة، وقد أصبح شأنهما شأن القنصليات الأخرى، كما أن الاحتجاجات الصادرة عنهما لم تعد موضع إصغاء واهتمام. وصارتا ملزمتين بالخضوع لكل ما تمليه الحكومة الجديدة، وهي تقرر وتلغي دون راد لمشيتها).

(أما المالطيون الذين تعرض بعضهم لمعاملة سيئة، من الجنود الأتراك، فقد أغلقوا متاجرهم احتجاجاً على هذه المعاملة. وللانتقام<sup>(١٢)</sup> من هذا الموقف منع الكابودان باشا جنوده وأهالي طرابلس من التعامل التجاري مع الأوربيين القاطنين بطرابلس)<sup>(١٣)</sup>.

وهكذا كانت سياسة التعصب تزداد غلواً وتضاعداً، في ذلك الوقت.

E. Pellissier de Reynaud,

(١١)

(La Régence de Tripoli) nella Revue des Deux mondes, XII, 1855 40 trimestre p. 33.

(١٢) يعني بالكابودان باشا، طاهر باشا.

(١٣) محفوظات قنصلية توسكانا، رسالة بتاريخ ١٠ - ١٠ - ١٨٣٦.

وكانت توجه أحياناً ضد قوى أوربية معينة، وأحياناً ضد الأخرى. وهي في الأعم الغالب ضد جميع المسيحيين. وقد طبعت بهذا الطابع الوضع العام في طرابلس أثناء العهد العثماني، مما كان يؤدي في بعض الأحيان إلى إثارة الاصطدامات.

وكانت الأوضاع الصحية في المدينة والدواخل سيئة. وقضى الطاعون الذي انتشر سنة ١٨٣٦ على عدد كبير من الناس. وكتب قنصل ساردينيا سنة ١٨٣٧ إلى السلطات الصحية في مدينة جنوا تقريراً قدم فيه هذه الإحصائية عن الوفيات والإصابات الناتجة عن ذلك الوباء.

(لقد بقيت هذه البلاد، بثلاث عدد السكان الذين كانوا يسكنونها في الماضي، فإذا أحصينا الإصابات في هذه المدينة وضواحيها، والمقاطعات الداخلية مثل الزاوية والجبل وغيغان وفزان التي سرى إليها الوباء، دون أن نعلم به إلا بعد مضي فترة طويلة من الزمن، فإن عدد الضحايا يرتفع الى رقم ٨٠٧٠٠ تقريباً. وهو رقم جدير بالثقة التامة، إذ قام القاضي بإحصائه بغية تسجيله في الحوليات، بعدما ورد عليه في التقارير المكتوبة من مختلف قضاة المقاطعات)<sup>(١٤)</sup>. وقد حل الباب العالي هذه الأزمة باستدعاء طاهر باشا، وإرسال والٍ جديد، هوجشمهلي حسن باشا، نائب قائد الأسطول العثماني. وقد وصل طرابلس على ظهر فرقاطة يرافقتها (ابريق). وفي ٢٤ مايو ١٨٣٧، وزع طاهر باشا منشوراً دورياً على<sup>(١٥)</sup> القناصل، يبلغهم بالتغيرات التي حصلت في الولاية وتغيير الوالي، وغادر طرابلس يوم ٥ يونيو<sup>(١٦)</sup>.

واتبع حسن باشا سياسة المساومة. وكان يأمل في الحصول، بالطرق

(١٤) محفوظات قنصلية ساردينيا، رسالة بتاريخ ٢١ - ٩ - ١٨٣٧.

(١٥) محفوظات قنصلية ساردينيا، رسالة وزارة الحرب والبحرية بتاريخ ١٥ - ٦ - ١٨٣٧.

(١٦) محفوظات قنصلية توسكانا، رسالة الى حكومة ليفورنو بتاريخ ٥ - ٦ - ١٨٣٧ في المحفوظات التاريخية بمدينة ليفورنو، الملف رقم ١١٧٥. وقد تلي مرسوم تعيين حسن بك على الأعيان يوم ٤ يونيو.

الودية، على ما لم يحصل عليه سلفه بالحملات العسكرية الباهظة. وحاول إقامة علاقات مع الزعماء، كما سعى للالتقاء بالشعب. والظفر بمودته وعطفه. ومن المرجح أن تكون تركيا قد عقدت الأمل في ربط الطرابلسيين برباط الدين، وهي تتطلع إلى إمكانية إثارة حرب مقدسة لتحرير الجزائر حيث كانت فرنسا تلقى مقاومة عنيفة من العناصر الوطنية<sup>(١٧)</sup>.

وسيراً في طريق التنازلات، فقد قام حسن باشا بإرجاع المعدات الحربية إلى غومة الذي كان قد سلمها في الماضي، ولكنه نفى عثمان آغا زعيم مصراتة وابنه وثلاثة من الشيوخ إلى الآستانة. وظن أنه سيحفظ النفوذ التركي في الدواخل بمجرد الاكتفاء بالعلاقات الودية القائمة على المراسلات<sup>(١٨)</sup>. وكانت النتيجة أن الروح الثورية لدى السكان قد عادت إلى الالتهاب بدلاً من الخمود، حتى إن كاتباً تركياً متأخراً نوعاً ما عن أحداث ذلك العصر، قال بأن السيطرة على طرابلس الغرب قد اقتضت من جديد على المدينة والمنشأة والساحل وتاجوراء. وعلى الجملة فإن (وضع طرابلس لم يطرأ عليه تغيير يذكر وظل كما كان في عهد الإنكشارية<sup>(١٩)</sup>). وترددت الإشاعات في طرابلس باحتمال إعادة الأسرة القرمانلية إلى الحكم. وسويت في نفس الوقت المنازعات التي نشأت في عهد طاهر باشا مع الباب العالي.

أما شاكر صاحب الطابع، العامل في خدمة باي تونس، فقد اتهم بالاتصال بالأتراك للتدخل في الجزائر، وإعادة السيادة العثمانية المباشرة إلى تونس، فقتل في ٢ سبتمبر ١٨٣٧ بناء على أمر باي تونس مصطفى باشا<sup>(٢٠)</sup>.

(١٧) بلليسيير دي رينود ص ٣٠.

(١٨) محفوظات قنصلية ساردينيا رسالة إلى وزارتي البحرية والحربية بتاريخ ١٥ - ٦ - ١٨٣٧ ولكن (بلليسيير دي رينود) ص ١٨١ يقول إن عثمان آغا قد نقله طاهر باشا معه إلى الآستانة وأعيد إلى طرابلس في يونيو ١٨٣٧ مع فرقة الكابودان الجديد أحمد باشا.

(١٩) بهيج الدين (تاريخ ابن غلبون) ص ١٣٢.

(٢٠) لقد قام عمل المؤلف (سيريس) ص ١٦١ على تحقيقات دقيقة في محفوظات باريس ولندن. ويعترف مؤرخ البلاط العثماني (لطفی) أيضاً في تاريخه ج ٥ ص ٧٥ بتدخل الباب العالي في =

ولم يمض وقت طويل على وجود حسن باشا على رأس الولاية حتى استبدل في ٣٠ أغسطس ١٧٣٨ بعشقر علي باشا، وهو رجل معروف بقوته وحزمه. وقد جرب في البداية استخدام الطرق والأساليب الودية في السيطرة على الولاية، ولكنه لم يلبث أن لجأ إلى القوة والعنف، بعد أن فشل في سياسة اللين والمهادنة. وكان الوضع العام الذي وجد عليه طرابلس سيئاً. ولم يكن الأهالي يرغبون في الخضوع للأتراك. وقامت في درنة وبنغازي ثورات أهلية.

وفي ١٥ سبتمبر وصلت إلى طرابلس سفيتان تركيتان تحملان العتاد والجنود والفرسان<sup>(٢١)</sup>. وأرسل عشقر علي باشا، إلى بنغازي، قائد الفرسان حليم بك الذي عين فيما بعد متصرفاً على بنغازي. وانتظر عشقر باشا الفراغ من عمليات ترميم حصون طرابلس وقلعتها. وكان يرتاب في سلوك الحاج محمد شلبي بيت المال ومحمد آغا التركي ومفتي المالكية<sup>(٢٢)</sup> فبادر إلى اعتقالهم وإرسالهم إلى الأستانة. واتفق مع الزعيمين الرئيسيين للدواخل عبد الجليل وغومة، واعترف بسلطتهما الذاتية بشرط دفع ضريبة تتراوح قيمتها بين عشرين وثلاثين ألف قرش<sup>(٢٣)</sup>.

شؤون الجزائر. وكانت الحكومة العثمانية تؤيد أحمد (بك قسنطينة) وترغب في مساعدته على استرداد الجزائر من الفرنسيين ولكنها لم تستطع أن تقوم بذلك (لأسباب سياسية) تعتمد كما هو معروف، وكما يصرح المؤرخ العثماني، على حاجة الباب العالي لمساندة فرنسا في خصوص قضية مصر. ومع ذلك فإن الأستانة لم تنفصل انفصلاً كاملاً عن أحداث الجزائر. ولم يخل مسلكتها كما يقول المؤرخ العثماني (من تردد). وقد قام العقيد كميل بك بزيارة قسنطينة بالجزائر قبل قيام الفرنسيين باحتلالها، موفداً من الباب العالي.

(٢١) محفوظات قنصلية توسكانا، رسالة بتاريخ ٣١ - ٨ - ١٨٣٨.

(٢٢) محمد بهيج الدين ص ١٣٣.

(٢٣) بلليسيير دي رينود ص ٣٥.

محفوظات قنصلية توسكانا (دار المحفوظات بليفورنو) ملف ١١٧٥ رسالة بتاريخ ٩ - ١١ - ١٨٣٨. ويبدو من رسالة قنصل توسكانا المذكورة أن الاتفاق قد تم على أساس دفع مبلغ يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ ألف كولونات بشرط أن لا يضع أي (تركي مشرقي) قدميه في الدواخل. ويلاحظ أن عبد الجليل قد قام قبل ثلاثة أشهر بغزو مصراته واستولى على خمسة آلاف من الماشية.

(نفس المصدر، رسالة بتاريخ ٤ - ٨ - ١٨٣٨).

#### ٤ - نهاية عبد الجليل ١٨٤٢ والسيطرة على الأجزاء الشرقية من طرابلس الغرب

في نهاية عام ١٨٣٩ انقطعت العلاقات السلمية بين حكومة طرابلس وبين الزعماء. واستأنف عبد الجليل العمل على تهديد الدواخل، وتوغل في منطقة مسلاتة بنية غزو تلك المنطقة.

وكانت الإشاعة التي ترددت بعودة علي باشا القرماني إلى حكم طرابلس والتي زاد من قيمتها وقوتها سفر الفرسان والمشاة، وعودتهم إلى الشرق، قد ساهمت في إضعاف الهيبة العثمانية<sup>(٢٤)</sup>.

وحينئذ قرر عشقر باشا اللجوء إلى القوة، واستطاع بواسطة أحمد باشا الذي كان يلقب (الجزار) بسبب المذابح التي أقامها للأهالي، أن يحتل الخمس ثم يوسع دائرة المناطق المحتلة حتى شملت غريان وترهونة. بينما كان عبد الجليل يتقهقر وينسحب إلى الداخل.

وقد تواصل الزحف التركي في إصرار مستهدفاً احتلال المناطق الجنوبية (القبلة وفزان). وفي سنة ١٨٤٢ انتقل عبد الجليل إلى سرت. ويقال إن القنصل الإنجليزي قد استدعاه، مقترحاً عليه الاجتماع بإحدى المناطق الساحلية، متعهداً بالاعون الإنجليزي له، والاعتراف بسيادته على فزان شريطة الكف عن تجارة الرقيق. وعندما غادر عبد الجليل الاجتماع فوجيء بقوة عسكرية بقيادة حسن بك البلعزي، تحاصره وتطوقه بين سرت وأبي نجيم. وحين هزم لجأ مع البقية الباقية من رجاله إلى مرتفع ما يزال يحمل اسمه حتى اليوم (قارة

---

(٢٤) محفوظات ليفورنو، ملف ١١٧٦ رسالة ٢٣ - ١١ - ١٨٣٨. ويضيف القنصل روسوني بخصوص الإشاعة بعودة علي باشا القرماني (تتوفر لدي كل الشكوك في صحة هذه الإشاعة. وإذا حدث أن تحققت فلا علي باشا ولا أي شخص غيره سيكون قادراً على إخضاع العرب المذكورين أعلاه، إلا بعد مضي زمن طويل، وبانتهاج مسلك يتسم بالحكمة والحزم حتى يكون في وسعه جرهم إلى الطاعة بصفة تدريجية لعدم إمكان تغليب القوة في دواخل هذه المناطق الصحراوية، هذا إذا كان في وسعه استخدامها).

عبد الجليل) وظل يقاوم حتى النهاية. وقتل في هذه المعركة كما قتل أخوه سيف النصر. وولدان لهذا الأخير، كما قتل مصطفى الأدغم، ابن آغا مصراته، وأحمد المريض شيخ ترهونة، وابنه وأخوه<sup>(٢٥)</sup>. وكان ذلك في أوائل يونيو ١٨٤٢ وقطع رأس عبد الجليل ونقله الجيش المنتصر الى طرابلس.

## ٥ - احتلال فزان وغدامس

كانت نهاية عبد الجليل، والعقاب الرادع الذي حل به وأقاربه ورفاقه، قد زاد من قوة الأتراك وسلطتهم، فاستولوا في نفس العام على مرزق وعينوا حاكماً عليها، المدعو (بكير) ثم حسن البلعزي الذي منح لقب (باشا) وتقلد منصب حاكم فزان، مدة طويلة. ونحن نعرف أنه كان ما يزال بمرزق حتى سنة ١٨٤٩. وعينت إنجلترا نائب قنصل بمرزق لحماية مصالحها السياسية والتجارية. وشغل هذا المنصب فترة طويلة من الزمن (غاليوفي Gagliuffi)<sup>(٢٦)</sup>.

أما أولاد سليمان، البدو من أتباع عبد الجليل الذين أصابهم الهزيمة وهزمهم فقدان الزعيم، فقد اندفعوا في المناطق الصحراوية، وأخذوا يبحثون عن مراكز أخرى. والعيش على الغزو في الصحراء الليبية ومناطق كانم<sup>(٢٧)</sup>. وقد أنشأ الأتراك مركزاً حصيناً في سرت لدعم احتلالهم للمناطق الشرقية.

(٢٥) محفوظات قنصلية ساردينيا، رسالة الى وزارة الخارجية بتاريخ ٨-٦-٣٧-٧-١٨٤٢. بليسير دي رينود ص ٣١-٣٧ فيرود ص ٣٨٢ ويقول فيرود إن الأشخاص المذكورين مع عبد الجليل لم يقتلوا أثناء المعركة ولكن أعدمهم عشقرباشا بعد شهر من ذلك.

(٢٦) فيرود ص ٣٨٤.

(٢٧) حيث وجدهم الرحالة (بارث) في رحلته التي قام بها سنة ١٨٥٤ وكانوا قد هاجروا إليها مع محمد بن عبد الجليل وسيطروا على جنوبي فزان، وكان في وسعهم تجهيز تسعة فارس.

Reisen and Entdeckungen, Gotha 1857-58, 111 p. 56.

ويذكر أولاد سليمان، عبد الجليل في أغانيهم الشعبية وهتف به أحد شعراء ورفلة وهو يتخيل مرور قبيلته أمام (القارة) التي قتل عندها. . أنظر: روسي: الشعر الشعبي بطرابلس الغرب. . أغنيات تاريخية. . مجلة (تريبوليتانيا) ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ص ٢٢٩ - ٢٤٣.



وعرفت غدامس أيضاً قرب سنة ١٨٤٣ السيادة التركية. وكان الأهالي قد قتلوا في الماضي أول قائد تركي أرسل إليها. ولكن الممثل الجديد لحكومة طرابلس كان أكثر حظاً، وأبعد خبرة. وهو أسود اسمه (بوكوبا) تمكن من التمرکز في الواحة والسيطرة عليها.

## ٦ - الصراع ضد غومة

في يوليو ١٨٤٢ وصل إلى طرابلس الوالي الجديد محمد أمين باشا. وقد تأثر غومة لما وقع لزميله الثائر، فنزل إلى طرابلس في أغسطس من نفس السنة لإعلان الطاعة<sup>(٢٨)</sup>. وقد استقبل استقبالاً طيباً اتسم بالمجاملة وعميل بشيء من التقدير والاحترام. ولكن لم يلبث أن قبض عليه في ديسمبر، بناء على تعليمات من الباب العالي، هو ومن معه من الأشخاص، ومن بينهم ابنه الأصغر، وابن عمه ميلود، وابن أحمد المريض الذي قتل في يونيو مع عبد الجليل. ووضع غومة فوق إحدى السفن التي نقلته إلى المنفى في استانبول ثم إلى طرابلس بالبحر الأسود.

وأثار هذا الحادث ثائرة سكان الجبل بقيادة المحاميد الذين وجدوا في الامتناع عن دفع الضريبة منطلقاً إلى التمرد. ولكن أحمد باشا القائد التركي الشجاع تمكن من السيطرة على الوضع وتدمير معسكر المتمردين، وأسر عدداً كبيراً منهم بعد معركة حامية جرت في إبريل ١٨٤٣. وفي مايو دعا إلى مقر قيادته زعماء الجبل، ووزع عليهم بكرم وسخاء النقود (والبرانس) دون أن يبدي لهم المكيدة التي أعدها للقضاء عليهم. وحين تجمع حوله كثير من الزعماء، هاجمهم وقتلهم وأرسل منهم إلى طرابلس ٦٥ رأساً. وبذلك أمكنه احتلال يفرن ثم فساطو ونالوت. وبينما كان أحمد باشا في فساطو، على رأس قوته العسكرية، قام زعماء البربر الإباحيين في ككلة ويفرن بثورة عليه. ونشبت

(٢٨) يورد محمد بهيج الدين في كتابه ابن غلبون ص ١٣٩ - ١٤٠ ترجمة تركية لرسالة (غومة) إلى مجلس الإدارة بطرابلس يعبر فيها عن رغبته في الدخول في طاعة الحكومة وهي مؤرخة في ٢٤ رجب ١٢٥٨ (٣١ أغسطس ١٨٤٢).

معارك جديدة أخرى، وقتل أحمد باشا بعض الزعماء، مما أدى إلى إعادة الهدوء إلى المنطقة لفترة محدودة من الزمن<sup>(٢٩)</sup>.

وعاد أحمد باشا إلى طرابلس، في نهاية ١٨٤٣، بعد أن ترك حامية قوية في الجبل. وقد أرغمت النفقات الطائلة للحملات العسكرية، حكومة طرابلس، على فرض ضرائب استثنائية فادحة. وعارض هذه الضرائب الشيخ محمد محسن (شيخ البلاد) في طرابلس، ودافع عن الأهالي فنفي إلى بنغازي. وأخذ الأهالي يهاجرون نحو تونس والجزائر ومصر<sup>(٣٠)</sup>.

وساد البلاد هدوء استمر سنة كاملة، وفي سنة ١٨٤٤ فر ميلود، ابن عم غومة، من منفاه بالبحر الأسود، ونزل بمالطا، ومنها انتقل إلى جربة وأخذ يشير الجبل. وقام أحمد باشا للمرة الثانية بإخماد الثورة رغم فصل الحر (أغسطس) واحتل المنطقة الجبلية وهزم المتمردين وأسر بعض زعمائهم واعتقل أسرة ميلود الذي استطاع أن ينجو.

وتلت ذلك فترة من الهدوء النسبي، وانصرف الأتراك إلى التنظيم الإداري للمقاطعات المحتلة، حتى إن نشاطهم عند مناطق الحدود قد أثار نوعاً من الشك لدى أحمد باي حاكم تونس، وكذلك لدى فرنسا.

وكان ميلود قد لجأ إلى جربة، وعبثاً طالب الأتراك بتسليم الشائر. وانتشرت الإشاعة بأن الأتراك يريدون توجيه حملة على تونس. ويبدو أن هذه الإشاعة قد وجدت لها سنداً في وصول بعض الوحدات العسكرية إلى طرابلس قادمة إليها من ألبانيا.

وفي يوليو ١٨٤٦ أرسلت فرنسا إلى طرابلس فرقة بحرية بقيادة الأميرال (فرانسوا فرديناندو دي جوانفيل<sup>(٣١)</sup> François Ferdinand de Joinville) لكي

(٢٩) محمد بهيج الدين ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣٠) فيرود ص ٣٨٣.

(٣١) محفوظات قنصلية ساردينيا. رسائل وزارة الخارجية عن الأعوام ١٨٤٤ - ١٨٤٦ بلليسير دي رينود ص ٣٦ سيريس ص ٣١٦ - ٣١٨ - فيرود ٣٨٥. ومن جهة أخرى فقد تردد القول =

تؤكد عزمها الوطيد على الاحتفاظ بالوضع القائم (Status quo) في تونس، وعدم قبولها لكل ما يؤدي الى زعزحته وتغييره.

وفي صيف ١٨٤٧ أرسل الأميرال جوانفيل سفينة فرنسية من نابولي الى طرابلس، عقب وصول آلاف من الجنود الى طرابلس قادمين اليها من الأستانة. وقد وصل الوالي الجديد محمد رجب باشا الى طرابلس في سنة ١٨٤٧، ووجد نفسه يواجه، على الفور، ثورة انفجرت في الجبل. وأدت الى مقتل أحمد باشا القائد الممتاز الذي كان يحكم تلك المنطقة، حيث خرج عليه الثائرون وقتلوه في نوفمبر ١٨٤٧ قرب ككلة، حين كان يجوب المنطقة وسط حراسة بسيطة.

وبعد شهر من ذلك، أي في ديسمبر، خرجت من طرابلس فرقة بقيادة بشير بك الذي هاجم بلدة ككلة ودمرها، في شهر يناير ١٨٤٨، وألحق أضراراً فادحة بالمتمردين، وأرسل أربعاً وعشرين رأساً الى طرابلس. وقد عاد الى طرابلس في فبراير ١٨٤٨، بعد أن قام بتهدئة المنطقة<sup>(٣٢)</sup>. ومنذ ذلك الحين عهدت إدارة الجبل الى زعيم محلي هو (قاسم) خصم غومة. ولم يختل النظام طوال عدة أعوام.

وفي الجنوب أيضاً توقفت غزوات أولاد سليمان الذين كان يقودهم سعيد ابن عبد الجليل الذي واجهه حاكم فزان وأوقعه في كمين نصبه له ملك برنو<sup>(٣٣)</sup>. وفي ١٢ ديسمبر ١٨٤٨ عرفت طرابلس والياً جديداً في شخص أحمد عزت باشا الذي كان يرافقه شريف باشا حاكم بنغازي الجديد. وفي أبريل من

---

= باعتزام الأتراك استرداد جربة، لأنها كانت تابعة في يوم من الأيام لطرابلس. وانتشر هذا القول أيضاً في سنة ١٨٣٥ حين استرد الأتراك السيطرة على طرابلس.

(٣٢) سريس ص ٣٦٩.

(٣٣) برنيا ص ٣١٢.

(٣٤) فيرود ص ٣٨٧.

العام الثاني ١٨٤٩ أنزلت بطرابلس ٢٤ قطعة مدفعية وكانت الرغبة واضحة في تجهيز المدينة بالأسلحة الحربية الملائمة<sup>(٣٥)</sup>.

أما الأوضاع الصحية في المدينة، في ذلك الوقت، فقد ظلت سيئة. وفي ١٨٥٠ انتشر وباء الكوليرا بطرابلس المدينة والإقليم بأسره، ومات قنصل ساردينيا (بروكي V. Brocchi) وبعض موظفي القنصليتين الإنجليزيتين والإسبانية<sup>(٣٦)</sup>.

وسعيًا وراء مواجهة سياسة فرنسا التوسعية الخفية، أمر الأتراك بأن يعامل التونسيون في طرابلس، نفس المعاملة المخصصة لرعايا الدولة العثمانية، بالإضافة إلى قيامهم بمضاعفة عدد الحاميات بطرابلس، إذ ارتفعت في سنة ١٨٥١ إلى ما يقرب من عشرة آلاف رجل من المشاة، وألف وخمسمائة من الفرسان. كما كانت هناك خمس بطاريات، وكانت المخازن أيضاً عامرة بالذخيرة والسلاح. وكان في وسعهم في حالات الاستنفار والطوارئ أن يقوموا بتسليح خمسة عشر ألف رجل من الأهالي.

كان قنصل فرنسا بطرابلس (بليسيير دي رينود E. Pellissier de Reynaud) وهو شخصية عرفت بنشاطها العظيم وخبرتها الواسعة (إذ كان مديراً للشؤون الأهلية بالجزائر) وكان هذا القنصل يتابع الأحداث، ويراقب تحركات السياسة التركية واتجاهاتها. وفي نهاية سبتمبر ١٨٥١ تقدم إلى الوالي الجديد، وطلب منه تبريراً لحشد القوات التركية بطرابلس. وحصل على ردود تتسم بالتهرب والمراوغة التي واجهها بقوله إن فرنسا لن تسمح بتغيير الأوضاع القائمة بتونس. وقال القنصل الفرنسي للوالي (إن شكل الحكم في بلاد في الوقت الحاضر جمهوري، وربما صار ملكياً أو أي شكل آخر من أشكال

(٣٥) مجلة (Portafoglio Maltese) الصادرة في ٢٩ - ٤ - ١٨٤٩ رسالة من طرابلس مؤرخة في

١٢ - ٤ - ١٨٤٩.

(٣٦) محفوظات قنصلية مملكة الصقليتين، رسالة بتاريخ ٣ - ٩ - ١٨٤٩.

الحكم، فسيظل يحمل نفس المشاعر نحو تونس، ولن نسمح بأن تعامل بشكل مختلف عما عوملت به حتى الآن<sup>(٣٧)</sup>.

ولكي نفهم إصرار فرنسا وإلحاحها على عرقلة كل ترسيخ وتدعيم للنفوذ العثماني بتونس أو سيطرته عليها، ينبغي أن نضع في تقديرنا أنه إذا تمكن الأتراك من استرجاع نفوذهم في تونس، وأسوأ من ذلك، إذا تمكنوا من السيطرة عليها فإنهم سيجاورون الجزائر التي أصبحت تحت الحكم الفرنسي. وكان من شأن هذا الجوار وتزايد هيبة الباب العالي في إفريقيا الشمالية، الوقوف في وجه التوسع الاستعماري الفرنسي.

## ٧ - نهاية غومة وتدعيم احتلال طرابلس الغرب

في بداية سنة ١٨٥٥ فر غومة من منفاه، وعاد إلى الجبل وأشعل الثورة<sup>(٣٨)</sup>، ولجأ الوالي مصطفى نوري إلى إجراءات وقائية. وبنهاية ربيع ذلك العام كان غومة قد وصل إلى نالوت التي حاصرها. وأخذت الحملة التي أعدها الحكومة تزحف على الجبل في ٢٦ يونيو ١٨٥٥.

لقد كان الوضع بطرابلس الغرب دقيقاً وحرماً، معبراً عن قلق وتذمر المواطنين، وتطلعاتهم الاستقلالية الخفية التي كانت تؤيدها فرنسا. وكانت المناورة تتجه إلى إعادة حكم القرماتلية الذي أخذ بعضهم يظهر الرضى عنه، في ذلك الوقت. رغم أنهم ثاروا ضد هذا النظام وعملوا على تهديمه منذ عشرين سنة خلت. وفي جميع الأحوال فإن الرغبة في إعادة الأسرة القرماتلية كانت ذريعة وحجة للعودة إلى نوع من الحكم، أخف في سطوته وسيطرته من ذلك الحكم المباشر الذي كان يمارسه الباب العالي. وهكذا أعدت مضبطة وقدمت إلى السلطان عبد المجيد<sup>(٣٩)</sup>، وقد وقعها غومة وعدد من زعماء الجبل. وهم

(٣٧) محفوظات قنصلية ساردينيا، رسالة بتاريخ ٢ - ١٠ - ١٨٥١.

(٣٨) وردت أول إشارة إلى وجود غومة بالجبل في رسالة لقنصل توسكانا مؤرخة في

١٥ - ٣ - ١٨٥٥.

(٣٩) المضبطة (التي توجد بالمحفوظات التركية بطرابلس) لا تحمل أي تاريخ. وطلب إسناد الحكم إلى حسن بك القرماتلي مكتوب بخط مختلف عن خط المضبطة وتحمل المضبطة توقيع غومة ويختتمه الذي يحمل تاريخ ١٢٧١ (١٨٥٤ - ١٨٥٥) ثم قاضي كباو وأعيان الجبل.

يذكرون بأن إيالة طرابلس كانت تحكم حكماً عادلاً، باسم سلاطين آل عثمان، حين كانت تتولى أمرها الأسرة القرمانيلى، بينما يقوم الولاة الآن، ممن يرسلهم الباب العالي، بارتكاب المظالم وسلب الأهالي. وتطلب العريضة إسناد الحكم الى حسن بك، سليل القرمانيلى من فرع بك بنغازي. وفي نفس الوقت كتب غومة الى قناصل فرنسا وانجلترا، معلناً أن الثورة ليست موجهة ضد السلطان، ولكنها كانت ضد الإدارة السيئة للولاة الذين كانوا مهتمين فقط بجمع الأموال. وكان قنصل فرنسا على علاقات طيبة جداً مع غومة - وقد أسرى إلى زميله القنصل النابوليتاني بأن الحكومة الفرنسية ترغب في إقناع الباب العالي (بإقامة ولاية على رأسها والٍ وراثي يختار من بين أفراد أسرة القرمانيلى القديمة، وتقوم هذه الولاية بدفع الضريبة الى الباب العالي، وتوضع مثل تونس ضمن ما يشبه الحماية الفرنسية<sup>(٤٠)</sup>).

هذا، في الوقت الذي كان الأتراك قد عقدوا العزم فيه على تدعيم سلطاتهم المباشرة في طرابلس، ولم يكونوا ينوون إعادة الأسرة القرمانيلى.

وكانت الحملة التركية التي غادرت طرابلس في شهر يونيو، تحت قيادة العقيد إسماعيل بك، قد تعرضت في شهر يوليو الى هزيمة نكراء عند (الرومية) بالجبل الغربي، وقد أسرى غومة عدداً كبيراً من الأسرى، وحصل على غنائم كبيرة من المدافع والعتاد. وقد استطاع الوصول الى قرقارش بمساعدة عرب الساحل الذين انضموا اليه وتحمسوا لقضيته. وقد خرجت له القوات المتوفرة في المدينة، واشتبكت معه في معركة بجنزور، وسواحل المنطقة الغربية،

---

(٤٠) محفوظات قنصلية مملكة الصقليتين رسالة بتاريخ ١ - ٦ - ١٨٥٥ وفي رسالة موجهة من طرابلس في ١٨ أكتوبر ١٨٥٥ الى جريدة البحر الأبيض (Il mediterraneo) الصادرة بالطا في ٣١ أكتوبر ١٨٥٥ شكوى من حالة الاضطهاد التي تروى تحتها الولاية بسبب الاستغلال الذي يرتكبه الضباط على مرأى من الوالي. وتشير الى ثورة سكان الدواخل وكساد الأوضاع التجارية بسبب ذلك. وتضيف أنه يبدو أن العرب يرغبون في أمير تابع للسلطان ويعتقد أن مثل هذا المنصب سيسند الى أحد أفراد الأسرة القرمانيلى.

واستطاعت أن تنجح في دحر المتمردين، دون أن تحصل على انتصارات حاسمة، (في سبتمبر ١٨٥٥)<sup>(٤١)</sup>.

ويبدو أن الجنود الأتراك قد تفككوا وتشتتوا عند الرومية فضعف ذلك من كارثة الهزيمة، وزاد في آثار النكبة التي حلت بهم. وقد أدينوا بهذا الموقف، وتقرر معاقبتهم بالاستمرار في الجندية مدة أطول من المدة المقررة، مما أدى إلى إثارة الشعور القوي بالاستياء الذي اتخذ فيما بعد شكلاً مخيفاً منذراً بالخطر.

ورغم ذلك فشل العسكري والتذمر الشائع بين الجنود فقد أخذت الأوضاع تتحسن بالنسبة للأتراك، بوصول المزيد من القوات. وكانوا ينتظرون دعماً قوياً من مصر، بينما وصلت جيوش غير نظامية من تركيا. ونزل بميناء طرابلس في منتصف يناير ١٨٥٦ ثلاثمئة جندي ألباني غير نظامي قادمين من (بريفيزا Prevesa) وهم ينتمون إلى العصابات المعروفة باسم (باشي - بوزك). وفي ٢٢ أكتوبر ١٨٥٥، وصل إلى طرابلس الوالي الجديد عثمان مختار باشا الذي أعد على الفور حملة على المتمردين. وقد تحركت فرقة كانت مقيمة بالزاوية، عند نهاية ١٨٥٥ واتجهت نحو غريان ثم إلى الجبل وأعادت احتلال يفرن في ٢٠ يناير ١٨٥٦<sup>(٤٢)</sup>.

وعندما هزم غومة أعلن أنه على استعداد لالتزام الهدوء والانسحاب إلى تونس. ولكنه عاد إلى التمرد في نهاية مارس ١٨٥٨. وفي هذه المرة كان مصيره قد تقرر. إذ استطاعت قوة من الفرسان الأتراك، وبعض القوات الإضافية الأخرى بقيادة آغا مصراته (أحمد الأدغم) أن تدرك غومة عند السهول الواقعة جنوبي الجبل، وهو في اتجاه غدامس<sup>(٤٣)</sup>، فأحاطت به. وقد قاوم المهاجمين وصمد

(٤١) محفوظات قنصلية ساردينيا، مراسلات وزارة الخارجية سنة ١٨٥٥.

(٤٢) محفوظات قنصلية توسكانا، رسائل بتاريخ ٢١ - ١ - ١٨ و ٢ - ٢١ - ١٨٥٦.

(٤٣) في رسالة من قنصل توسكانا بتاريخ ١٠ - ٤ - ١٨ يحدد الموقع على بعد ستين ميلاً من غدامس.

لهم بالعدد القليل الذي كان يلتف حوله، حتى سقط مصاباً بجرح قاتل . وقد نقل رأسه الى طرابلس<sup>(٤٤)</sup>.

وكانت القوات التركية التي تصرفت هي الأخرى ببطولة، تبدي علائم الاستياء والإعياء. وفي ١٥ سبتمبر ١٨٥٨ تجمع حوالي ألف من الجنود الذين عوقبوا بتمديد مدة الخدمة العسكرية، نتيجة تخليهم عن المعركة في الرومية ١٨٥٥، وطالبوا بإعادتهم الى عائلاتهم. واستغل الوالي بعض العناصر المخلصة الموالية له من الجنود، وكذلك من الألبانيين، وطلب من الجنود المتمردين الاستسلام بلا قيد ولا شرط. واستعان أيضاً بعرب الدواخل الذين تجمعوا عند أبواب المدينة. وأصبحت الجالية الأوربية بالرعب، وكانت ما تزال تذكر الأحداث القريبة التي وقعت في جدة وكانيا Canea فأقفلت عليها بيوتها. وأخيراً استسلم المتمردون وعوقب كثير منهم بعقوبة الجلد.

وفي نهاية العام اتخذت الإجراءات لاستبدال الجيش. وكلف هذا التصرف عثمان باشا فقدان منصبه، وخلف الحاج أحمد عزت باشا الذي وصل الى طرابلس في ١٢ نوفمبر ١٨٥٨ فوق باخرة<sup>(٤٥)</sup> اسمها (الأثر الجديد). وقد وجد الولاية هادئة نسبياً. أما في المقاطعات الوسطى فإن الوضع لم يكن آمناً والهدوء لم يكن مستتباً بسبب الغزوات التي يقوم بها أولاد سليمان المتحالفون مع قبائل أخرى من سرت بقيادة أبناء عبد الجليل.

وفي إقليم بنغازي أثارت الضرائب ثائرة السكان. وكانت الحدود الغربية عرضة لغارات بدو قبيلة (ورغمة)<sup>(٤٦)</sup>.

وفي خريف ١٨٥٩ أرسل الوالي حملة الى مرزق مكونة من ثلاثة أو

(٤٤) ازدهرت الأسطورة الشعبية عن غومة. أنظر مقالني عن الشعر الشعبي في طرابلس الغرب . .

أغنيات تاريخية، مجلة (تريبوليتانيا) ص ٢٣٥ - ٢٤٢.

(٤٥) محفوظات قنصلية توسكانا، رسالة بتاريخ ٢٥ - ١١ - ١٨٥٨ (محفوظات ليفورنو) ملف رقم

٦٢٩ رسالة بتاريخ ٢٥ - ١١ - ١٨٥٨. وبعد أربعة أيام من ذلك غادر عثمان باشا البلاد متجهاً الى (اسكب).

(٤٦) محفوظات قنصلية توسكانا، رسالة بتاريخ ١٤ - ١١ - ١٨٥٩.



أربعة آلاف مسلح عربي غير نظامي، من مناطق طرابلس ومصراتة مع بعض الجنود الأتراك بقيادة ضابط برتبة عقيد<sup>(٤٧)</sup>. ويقول فيرود<sup>(٤٨)</sup>: إن هذه الحملة غير المنظمة واصلت طريقها الى مرزق، بعد أن مات العقيد التركي بالحمل في سوكنة. وتوغلت فيما بعد في جنوبي فزان بين تبوالتبستي الذين نقلت منهم عدداً كبيراً من العبيد. وتقدمت نحو واحة (العيير) لدى الطوارق، واستولت على بعض العبيد والبضائع، دون مراعاة ملكية البضائع التي كانت تعود الى بعض تجار غدامس من رعايا الباب العالي الموالي له.

إن الفرقة غير النظامية التي قامت بهذه الغارات (التي يمكن أن تقارن بغارات المكني قبل ذلك بأربعين عاماً) في الجنوب الليبي، تعرضت بدورها، في طريق العودة الى هجمات قاضية شنها عليها الطوارق الذين أبادوها، ولم يسلم منها إلا القليل الذي فرّ بجلده الى الساحل.

ورغم الوقائع التي تنبئ عن الرسالة الحضارية للحكومة التركية في ليبيا، ورغم حالة التذمر الدائم بين صفوف الجند، فإنه يمكن القول إنه بنهاية غومة سنة ١٨٥٨ قد تمت للأتراك السيطرة العسكرية الكاملة على المراكز الرئيسية بطرابلس الغرب، على الأقل. وبذلك تنتهي تلك الفترة التي اتسمت بالثورات التي قادها الزعماء الكبار، وسارت في ركابها القبائل الكبيرة. وقد سئم الأهالي هذه الحرب المتواصلة وملوا المتاعب والقلق التي تعرضوا لها. ولكنهم لم يستسلموا استسلاماً نهائياً. لقد خضعوا للمحتل الذي حاول عبثاً أن يعطي نظاماً اقتصادياً وإدارياً للبلاد على النحو الذي سنراه في الفصل القادم.

(٤٧) محفوظات قنصلية مملكة الصقليتين، رسالة بتاريخ ٣ - ١١ - ١٨٥٩.

(٤٨) فيرود (الحوليات) ص ٤١٣ - ٤١٤.



## الفصل الثاني الفترة الثانية من العهد العثماني بطرابلس الادارة العثمانية بعد الاحتلال

- \* طرابلس حوالي سنة ١٨٥٠ - الوضع الاقتصادي .
- \* تجارة الرقيق .
- \* أعمال الولاية العثمانيين الأوائل .
- \* التقسيمات الإدارية والتنظيم المالي .
- \* المواطنون وعلاقاتهم بالولاية والجاليات الأجنبية .
- \* صدى الأحداث التي وقعت بتونس ومصر ١٨٨١ - ١٨٨٢ .
- \* الكشف الجغرافي في ليبيا في القرن التاسع عشر .
- \* التوغل العثماني في دواخل ليبيا ومشكلة الحدود .
- \* آخر الولاية العثمانيين .
- \* الوضع الاقتصادي في طرابلس منذ ١٨٨٠ حتى ١٩١١ .
- \* قائمة بأسماء الولاية العثمانيين منذ ١٨٣٥ حتى ١٩١١ .

## ١ - طرابلس قرب سنة ١٨٥٠ - الوضع الاقتصادي

لقد وصفت طرابلس<sup>(١)</sup> خلال الفترة الواقعة قرب سنة ١٨٥٠ بأنها مدينة صغيرة يتراوح عدد سكانها بين عشرة آلاف واثنى عشر ألف نسمة، وهي مدينة نظيفة إلى حد ما، باستثناء الحي اليهودي. وتحيط بها أسوار في حالة سيئة. ولها بابان إلى الشرق (باب المنشية، وفم الباب) على طريق ضيقة كأنها عمش يؤدي إلى الريف. وباب إلى الغرب اسمه (باب البحر) الذي يؤدي إلى البحر. لقد تعرضت قلعة طرابلس خلال سنة ١٨٤٩ إلى بعض التعديلات التي أدخلت عليها. فالمنازل التي كان يسكنها يوسف باشا وبلاطه جرى إعدادها وتهيئتها لسكنى الجيش بالنظر لقلة الثكنات<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت الأوضاع السياسية قد تغيرت في طرابلس، فلم يعد هناك مبرر لبقاء العملة المحلية التي ظلت مع ذلك تضرب باسم السلطان<sup>(٣)</sup>. وقد قام الوالي مصطفى نجيب باشا، سنة ١٨٣٥ بضرب بعض النقود النحاسية. وفي

(١) بلليسير دي رينود P. De Reynaud قنصل فرنسا بطرابلس من ١٨٥٠ حتى ١٨٥٢ في دراسته المعروفة التي نشرها بعنوان:

(La Régence De Tripoli) Revue des Deux mondes, XII, 1855 4o trimestre.

(٢) محفوظات توسكانا ٢٣ - ٨ - ١٨٤٩.

(٣) بخصوص العملة الطرابلسية أنظر دراسة قويدو شيمينو:

Guido Cimino (La zecca di Tripoli d'Occidente nell'opera di M. Valentine e la zecca di Tripoli d'Occidente Soto il dominio Caramanli ùn, Riv. et. di Numistica XXX, 1916 fasc. 11-IV. La zecca di Tripoli d'Occidente Sotto il dominio degli Ottomani in not. arch. min. Colonie, III-1922 p. 115-143 e append 1-XXXIX. Storia e numismatica dell'Africa del Nord, in (LIBYA) 1927 - p. 202-227.

نفس العام قام خلفه الوالي محمد رائف باشا بإلغاء العملة القديمة نهائياً.

وبعد سنة ١٨٤٢، أي عند نهاية ثورة عبد الجليل، خيم هدوء نسبي على أغلب أجزاء الدواخل، مما ساعد على توفير إمكانية مرور القوافل بمناطق طرابلس الشرقية. ووجدت التجارة طريقها إلى الداخل، بعد أن كانت منحصرة في ذلك الوقت بالساحل. وينقل إلينا الرحالة الألماني (هـ. بارث) الذي زار طرابلس في ١٨٤٦ أنه وجد المدينة في بؤس كبير بسبب الحروب الداخلية التي سادت الفترة الأخيرة من العهد القرمانلي، وسوء الإدارة العثمانية، ولكن التجارة مع السودان كانت ما تزال مزدهرة إلى حد ما حتى ذلك الوقت<sup>(٤)</sup>.

وينقل إلينا (بارث) نفسه أنه شاهد قافلة مكونة من ألف جمل، محملة بالتبر واللؤلؤ والتوابل والزعفران وريش النعام والعاج والعبيد. وكان يتقدم القافلة في العادة رائد يمتطي مهرية. وكان وصول هذا الرائد مبعثاً لحياة نشطة غير عادية في المدينة الخاملة. ولم يبق الأتراك، من جانبهم، بتشجيع هذه المبادرات التجارية التي كانت ثمرة نشاط التجار أنفسهم في طرابلس وغدامس. وقد كان لهم وكلاء في الوادي وبورنو ونيجيريا. وتعاونت كثير من الشركات اليهودية بطرابلس مع التجار المسلمين الذين كان في وسعهم إقامة علاقات مع إخوانهم في الدين، في الجنوب الليبي، بسهولة ويسر.

أما الشركات الأجنبية للمقاولات فقد كانت تعرقل من قبل الحكومة العثمانية. وفي سنة ١٨٤٠ أنشئت في مارسيليا شركة لاستغلال مناجم الكبريت في سرت. وعقدت اتفاقيات مع عبد الجليل. ولكن لم يكد يقتل عبد الجليل حتى رفضت الحكومة العثمانية الاعتراف بالامتياز الممنوح وتخلت الشركة في سنة ١٨٤٦ عن أية مطالب، بعد حصولها على تعويض مناسب<sup>(٥)</sup>.

(٤) إن رحلة (بارث) برلين ١٨٤٩ (بالألمانية) ص ٢٩٢ ج ١. ويقول الرحالة إن الأتراك لم يهتموا اهتماماً كبيراً بمصير هذا الشعب الغريب عليهم، بحيث يتجهون إلى تحسين أوضاعه على نحو من الأنحاء.

(٥) بلليسير دي رينود - برنبا ص ٣٢٠.

كانت التجارة مزدهرة في ذلك الوقت بين طرابلس ومالطا. وكذلك مع الدول الإيطالية وتونس وتركيا وفرنسا. وقد صدر في عام ١٨٥٠ من ليبيا كلها ٢١١,٧٠٠ هكتولتر من الحبوب و ١,٣٧٥,٨٠٠ كيلوغرام من الزيت و ٥١١,٧٨٧ رأساً من الغنم و ٤٠٦,٠٠٠ كيلوغرام من السمن البرقاوي.

وفي نفس العام وصلت إلى طرابلس وبنغازي من إفريقيا الوسطى ٢,٧٠٨ أفراد من العبيد، يقدرون بقيمة ٧٥٩,٠٠٠ فرنك. وشحنة من العاج تقدر بمبلغ ٧٥٤,٠٠٠ فرنك و ١٠٩,٠٠٠ غرام من الذهب بقيمة ٣٦٠,٠٠٠ فرنك<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ١٨٥١ أنشئت بطرابلس المحكمة التجارية المختلطة. ويختار ثلاثة من قضاتها من الأوروبيين المقيمين بطرابلس وعدد مماثل من القضاة العرب، ويرأسها العميد (شيخ البلاد) الذي كان في ذلك الوقت محمد المحسن<sup>(٧)</sup>.

وقد ظهرت منتوجات طرابلس ودواخلها لأول مرة في معرض أوروبي سنة ١٨٥١. وتم فعلاً في تلك السنة جمع عروض مختلفة من المنتوجات الطرابلسية ومن فزان، وتومبكتو ومصراتة وبنغازي. وشحنت إلى الأستانة لإرسالها إلى المعرض الصناعي بلندن<sup>(٨)</sup>.

وكان للأمن الذي ساد الدواخل بصفة مؤقتة أثره في السماح بإجراء أبحاث للتنقيب عن المعادن. وعهد بهذه الأبحاث، في الغالب، إلى عناصر أجنبية تعمل في خدمة الحكومة العثمانية. ونلاحظ في هذا الخصوص أن الحذر التركي من الأجانب لم يبلغ من الحدة، تلك الدرجة التي سنها بعد ثلاثين سنة. وفعلاً فإنه خلال الفترة الواقعة بين ١٨٣٥ و ١٨٨٠ كانت الاكتشافات الجغرافية والعلمية بصفة عامة في دواخل ليبيا، مقبولة. ثم أبدت

(٦) بلليسير دي رينود ص ٤٣ - ٤٥.

(٧) محفوظات قنصلية مملكة الصقليتين (٦ - ٩ - ١٨٥١).

(٨) محفوظات قنصلية توسكانا (٨ - ٢ - ١٨٥١).

الحكومة شعور الضيق بهذه الاكتشافات، متبينة في كل رحلة أو بعثة مطامع سياسية تهدد سلامة الإمبراطورية العثمانية بالخطر.

وفي مستهل عام ١٨٥٢ وجدت طبقات من الفحم الحجري، ومنجم للفضة، وآخر لنوع من الجص الأبيض. وقد أخبر قنصل توسكانا بذلك: (لقد أجريت التجارب على المنجم الأول، ويبدو أنه يوجد فعلاً المعدنان المذكوران. وسيقوم أوريان من المهاجرين الرومانيين، توفرت لها الأدوات اللازمة، بإجراء تجارب وأبحاث دقيقة، بغية الوصول إلى نتائج أكثر إيجابية، وسيقومان بعد ذلك بالتعاقد مع السلطات العثمانية)<sup>(٩)</sup>.

إن هذه الإشارات القليلة إلى الأبحاث الصناعية وأخبار المبادلات التجارية الهامة، لا يمكن أن تنسبنا أن الاقتصاد الطرابلسي يعتمد في ذلك الوقت، في المقام الأول، على الزراعة. وكانت هذه بدورها في وضع متقلب، إذ كانت تتحكم فيها المواسم الحسنة أو السيئة، أو على نحو أدق، كانت تعتمد على وفرة الأمطار أو قلتها. إن المطر في نظر سكان ليبيا - كما هو لدى كثير من المزارعين في كثير من البلدان - نعمة من الله وفي التركية (رحمة). وهكذا يحدث أن تعقب سنوات الخصب الكبير المتوفرة على إمكانيات التصدير، سنوات من القحط والجذب والجفاف.

وفي سنة ١٨٥٦ وكذلك في سنة ١٨٥٩، وفي غيرهما من السنوات، تشهد وثائق القناصل بأن حكومة طرابلس قد اضطرت في بعض هذه الأعوام إلى أن تتخذ الإجراء بالمنع التام لتصدير الحبوب التي لم تكن تكفي مجرد الاستهلاك المحلي.

## ٢ - تجارة الرقيق

لقد أشرنا - فيما تقدم - إلى أن تجارة الرقيق كانت ما تزال قائمة في

(٩) محفوظات قنصلية توسكانا - رسالتان بتاريخ ١٧ - ١ و ١٠ - ٢ - ١٨٥٢.

(١٠) محفوظات قنصلية توسكانا، رسالة بتاريخ ١٨ - ٤ - ١٨٤٢.

طرابلس الغرب، في سنة ١٨٥٠. وكانت تجري علناً وبصفة مطمئنة. وكانت مواردها تظهر كموارد تجارية في إحصائيات البلاد. ومن المهم في هذا الخصوص أن نجمع الأخبار التي تحتوي عليها (المحفوظات القنصلية) والتي يبدو منها، على سبيل المثال، أنه في يوم ١٥ أبريل ١٨٤٢ وصلت إلى طرابلس قافلة غدامسية، بما يقرب من ستمائة من العبيد السود والبضائع المختلفة. وقد بيع العبيد على الفور إلى تجار أغلبهم من الأتراك الذين بعثوا بهم إلى أسواق إزمير والأستانة.

وفي سنة ١٨٤٥ وصلت إلى طرابلس قافلة غدامسية صغيرة تحمل مئة وخمسة عشر عبداً أسود، وبضائع مختلفة مثل النظرون وريش النعام والعاج والتبر<sup>(١١)</sup>.

وقد وصل السنيور (غاليوفي) الذي كان يعمل نائباً لقنصل إنجلترا بفزان، في مايو ١٨٤٨ إلى طرابلس، صحبة قافلة كانت تحمل خمسمائة من العبيد، بقيمة تقدر بثلاثة ملايين كولونات<sup>(١٢)</sup>.

ويخبر مراسل (الحقبة المالطية) Portofoglio Maltese<sup>(١٣)</sup> من طرابلس، برسالة مؤرخة في ١٣ مايو ١٨٤٩، عن وصول قافلة مكونة من مئة وتسعة أشخاص من العبيد، موجهين إلى أسواق إزمير والأستانة.

ولم يكن لحركة مقاومة تجارة الرقيق التي بدأت في تلك السنوات بأوروبا أي تأثير كبير في طرابلس الغرب. فقد ظلت هذه التجارة قائمة حتى في تونس والجنوب الجزائري والمغرب والسودان ومصر، رغم الاحتجاجات الإنسانية للجمعيات الأوروبية.

وفي سنة ١٨٥٠ احتج مجلس العموم البريطاني على استمرار تجارة الرقيق، خاصة في موانئ طرابلس. ونحن نعلم أن القوافل القادمة من مرزق

(١١) محفوظات قنصلية ساردينيا، رسالة ٩ - ١١ - ١٨٤٥. ١٨٧٨.

(١٢) محفوظات قنصلية مملكة الصقليتين، رسالة ٢٨ - ٥ - ١٨٤٨.

(١٣) عدد ٢٤ مايو ١٨٤٩.



وغدامس قد جلبت إلى الساحل ألفين من الرقيق الأسود. ووصل إلى بنغازي من الواداي ألفان وأربعمائة عبد. وقد نقل نائب قنصل ساردينيا في تلك البلاد بأن هؤلاء البؤساء قد اضطروا إلى استجداء أكلهم وشرهم، وهلك منهم أثناء الرحلة ما يقرب من خمسة أو ستة آلاف بسبب الإعياء والإرهاق<sup>(١٤)</sup>.

وكان لإلحاح الدول الكبرى، وتدخلها لدى الباب العالي، بعض الأثر في طرابلس الغرب. وفي إبريل ١٨٥٥ أصدر الوالي - طبقاً لتعليمات الأستانة - قراراً يقضي بمنع المتاجرة في العبيد. ومع ذلك فقد استمرت عمليات البيع بلا حياء، تجري في الأسواق. يؤكد ذلك (فيلبوسوني) الذي يلاحظ (أن منع تصدير العبيد في هذه البلاد يتعرض للخرق المستمر بالتصدير الجاري لتلك المخلوقات البائسة)<sup>(١٥)</sup>. وقد وصلت تعليمات جديدة من الأستانة بمنع بيع العبيد السود وتصديرهم. ولكن البيع استمر في الخفاء، كما استمر التصدير عن طريق التهريب<sup>(١٦)</sup>.

وثمة اتهام خطير موجه إلى السلطات العثمانية في ليبيا، تزودنا به تلك المعلومات التي جمعها الرحالة والمكتشف الألماني (رولف) الذي كان موجوداً بمرزق سنة ١٨٦٥. ولاحظ أن تجارة الرقيق ما تزال نشطة في فزان. وأن العبيد يباعون في العادة داخل البلاد، ويُرحلون إلى مصر عن طريق أوجلة، وأن أحد التجار المدعو باسم الحاج عامري Amri كان وكيلاً لغاليوفي في مرزق (وغاليوفي هذا من أصل إيطالي من مقاطعة فيومي، كان قنصلاً لإنجلترا في مرزق ثم قنصلاً للبلدان المنخفضة في طرابلس، ثم انسحب وعاش حياة خاصة) قد أرسل من فزان، في نهاية السنة، ألفاً ومئة من العبيد، واستفاد غاليوفي نفسه من هذه التجارة، بطريق غير مباشرة، أثناء إقامته بمرزق، وجمع ربحاً كبيراً بقبوله لبعض الهدايا حتى يغض الطرف ويمتنع عن إثارة المشاكل.

(١٤) محفوظات قنصلية ساردينيا رسالة بتاريخ ٢ - ٦ - ١٨٥٠.

(١٥) محفوظات قنصلية توسكانا رسالتان بتاريخ ١ - ٥ - ١٦ و ٦ - ١٨٥٥.

(١٦) محفوظات قنصلية توسكانا رسالة بتاريخ ١٠ - ٥ - ١٨٥٦.

وبلغ مجموع ما صدر من مرزق في العام السابق حوالي ٤٤٠٨ أفراد من العبيد. وكان القائم مقام حليم بك يربح من وراء هذه التجارة، إذ يستلم (محبوباً) أي حوالي عشر فرنكات عن كل عبد يخرج من البلدة. ويجبي آخرون مبالغ أخرى، عن كل عبد يدخل. وعلى الجملة، فقد كانت تجارة الرقيق بمرزق في سنة ١٨٦٥ من التجارات المعدودة. رغم منع السلطات لها. وهو منع شكلي أكثر منه منعاً عملياً. خاصة إذا علمنا أن باشا طرابلس - كما يقول الرحالة رولف - لم يرفض هدية قدمها إليه قائم مقام فزان، وتتكون من اثني عشر عبداً<sup>(١٧)</sup>.

إن الإلغاء الجزئي لتجارة الرقيق قد حمل ضربة خطيرة لاقتصاد البلاد، وهي ضربة يمكن أن تقارن، فقط، بتلك الضربة التي نشأت منذ نصف قرن سابق، عن إلغاء القرصنة. ولم تكن الحكومة العثمانية، ولا السكان بقادرين على أن يعوضوا أو يستبدلوا تلك التجارة الوضيعة بطرق جديدة للعمل التجاري. وكان هذا الواقع، وعوامل أخرى مصاحبة، مثل تحويل تجارة القوافل من نيجيريا، قد أدت كلها إلى إفقار ليبيا في نهاية القرن الماضي.

وقد تولت إنجلترا النهوض بعبء هذا العمل الإنساني المعارض لتجارة الرقيق في طرابلس الغرب وبنغازي<sup>(\*)</sup>، طوال فترة طويلة من الزمن. وقد قام القنصل الإنجليزي في بنغازي (هندرسن) برحلة في دواخل برقة، قصد الاطلاع على كافة الظروف والأوضاع التي تحيط بهذه التجارة. وذهب إلى أوجلة والتقى هناك بقافلة مكونة من مئتين وخمسين من العبيد. وكان المتاجرون بهذا

(١٧) رحلة رولف:

Reise durch Nord - Afrika vom mittelländischen meere bis Busen von Guinea 1865 - 67,

vol I Gatha 1868 p. 6.

(\*) من السذاجة أن ينظر إلى هذه الحركات على أنها عمل إنساني مجرد منفصل عن الاتجاهات الاستعمارية التي أدت فيما بعد إلى وقوع القارة بأسرها في قبضة الاستعمار الأوروبي. (المغرب).

النوع يحملون السود من الواداي إلى أوجلة. ومن هناك يوزعونهم على طرابلس الغرب ومصر<sup>(١٨)</sup>.

وسرعان ما تميزت أيضاً، بالمشاركة في هذا العمل الإنقاذي، قنصلية إيطاليا التي كان يلجأ إليها هؤلاء المساكين على أمل الخلاص. ومنذ سنة ١٨٧٨ وما تلاها من السنوات، فإن سجلات القنصلية الإيطالية تحصى حالات كثيرة تم فيها تحرير العبيد. وعلى سبيل المثال، فقد قامت القنصلية في الأيام الأخيرة من أكتوبر ١٨٧٨ بالحصول على ورقة (عتق) للعبيد الآتية أساؤهم: أبو بكر بن محمد من كانو، وهو عبد للمدعو بلقاسم من الجبل. ولطيفة، جارية أرملة المدعو عثمان أفندي. عبدة من السودان. فاطمة من كوكا (بورنو). حواء من الواداي. جارية الحاج رمضان بطرابلس. ومنذ ٢١ أغسطس حتى أول أكتوبر ١٨٧٩ تم عتق اثني عشر عبداً آخر بمجهود القنصلية الإيطالية<sup>(١٩)</sup>.

لقد انخفضت هذه التجارة في ميناءي طرابلس وبنغازي، ولكنها ظلت مستمرة في المراكز النائية الخارجة عن الرقابة. وكانت تجري دون مضايقة تقريباً في غدامس ومرزق وغات وسوكنة وزلة وأوجلة وجالو والجغبوب. ويجلب العبيد من السودان الأوسط وبورنو وباقرمي والواداي وبلاد الهوسة ولاكاتا. وقد قدروا في عام ١٨٨٩ بعدد يتراوح بين خمسمائة وألف في العام. وكان يجري استبدال هؤلاء العبيد بالإبل والمعز والبقر، ومع ذلك فقد أصدر السلطان مرسوماً آخر بمنع هذه التجارة<sup>(٢٠)</sup>.

وفي سنة ١٨٩١ قامت لجنة مقاومة الرق بتعيين الأب كارلودا بورقو Garlo da Borgo a Giovi رئيس الإرسالية الفرنسيسكانية ضمن أعضائها. وأرسلت إليه مبلغ خمسة آلاف فرنك للمساهمة في أعمال تخليص العبيد. وكانت بنغازي ومصراته في ذلك الوقت تمثلان المنفذيين لهذه التجارة الحقيرة. وقام

(١٨) محفوظات قنصلية إيطاليا، ١٨ - ٢ - ١٨٧٦.

(١٩) محفوظات قنصلية إيطاليا ٣ - ١١ - ١٨٧٨.

(٢٠) محفوظات قنصلية إيطاليا ٣ - ١٢ - ١٨٨٩.

الأب كارلو بتوزيع عملائه السريين، مع تكليفهم بإخطار وكيل الجمعية المقيم في (كانيا) حتى يراقب السفن التي تحمل العبيد من برقة إلى موانئ تركيا.

وبهذه الطريقة يمكن تخلص بعض هؤلاء التعساء. والغريب أن عملية الإنقاذ هذه قد تعرضت لصعوبات جمة، من قبل هؤلاء العبيد أنفسهم، الذين عاد عدد كبير منهم إلى أسيادهم، بعد تحريرهم وإعتاقهم، كما تعود البهائم المعتادة على النير وحمل الأثقال. عاجزين عن أن يشقوا لأنفسهم طريقاً خاصاً مستقلاً، وقد تخلوا في غير أسف عن تلك الحرية التي لم يرغبوا فيها، رغم ما كان يوفر لهم من حماية ومساعدة. ومن الحق أن يقال، إن وضع هؤلاء العبيد، لم يكن سيئاً قاسياً. وأن أصحابهم كانوا يعاملونهم معاملة إنسانية في العادة. كما أن أوضاع العبيد في البيئة الإسلامية لم تكن مهينة، كما يمكن أن تبدو على ضوء الأفكار الحديثة، في المساواة بين البشر.

وفي بنغازي اهتم القسيس بولينو دافرسا Paolino d'Aversa منذ سنة ١٨٩٠ بتعليم الأطفال السود المعتقين. كما استقر بنغازي أيضاً أعضاء هيئة القديس يوسف، منذ سنة ١٩٠٤. وتولت هذه الجماعة عملها في التخفيف عن العبيد المعتقين حتى تم الإلغاء النهائي لهذه التجارة.

### ٣ - أعمال الولاة الأتراك الأوائل

اهتم الولاة الأوائل الذين بعث بهم الباب العالي إلى طرابلس بالأعمال العسكرية، وقليلاً ما اهتموا بالحياة المدنية. وهم يغيرون، ويجري استبدالهم تبعاً للاتجاهات السياسية التي يقرر الباب العالي سلوكها، نحو سكان طرابلس. وتبعاً لنجاحهم أو فشلهم السياسي والعسكري. ومع ذلك فقد أمكن إنجاز بعض الأعمال، خلال السنوات العشر الأولى، لعودة السيادة العثمانية.

ففي الأعوام ١٨٤٤ - ١٨٤٦، وفي عهد الوالي محمد أمين باشا أنشئت في أبي نجيم، على طريق سرت فزان، (قلعة) سميت باسم المجيدية باسم

السلطان عبد المجيد الجالس على العرش آنذاك، وقام حول القلعة مسجد وفندق وبعض المنازل لمزارعين نقلوا من مسلاتة<sup>(٢١)</sup>.

وفي سنة ١٨٤٧ رمت القصور أو القلاع في ورفلة وغريان ومرزق<sup>(٢٢)</sup>، وفي سنة ١٨٥٣ افتتح الوالي مصطفى نوري المستشفى العسكري بالمنشية حيث ما تزال به لوحة تذكارية تشيد بمآثر السلطان عبد المجيد. وقرب هذه الفترة، حصنت الأسوار من الجانب الشمالي المواجه للميناء<sup>(٢٣)</sup>.

أما الحاج أحمد عزت باشا الذي حكم من سنة ١٨٥٨ إلى سنة ١٨٦٠ فقد أسس المدارس الثانوية الأولى بالبلاد<sup>(٢٤)</sup>. واهتم بالخدمات البريدية، ودشن نقل البريد على الباخرة (المولودية). وقام خلقه محمود نديم باشا (١٨٦٠ - ١٨٦٧) بتشجيع زراعة الزيتون، ونفذ تغيير الوضع الإداري من ولاية إلى إيالة (أي إلى إدارة محلية ذاتية ذات اختصاصات واسعة بدلاً من ولاية، أي مجرد مقاطعة) وهو النظام الذي تم إنشاؤه في ذلك الوقت في تركيا ضمن حركة الإصلاح الإداري. وافتتح هذا الوالي أيضاً أولى المحاكم المدنية والجنائية والتجارية وأسس المطبعة التي كانت تصدر جريدة (طرابلس الغرب) الرسمية.

---

(٢١) المحفوظات التركية بطرابلس. الجزء الأول من محاضر مجلس الإدارة. وفي التقرير الذي يلحق بقائمة النفقات ذكر (أنه يوجد بإيالة طرابلس موقع يعرف باسم أبي نجيم على الطريق المؤدية من فزان والسودان إلى طرابلس. وهو خلاء يرهبه الناس، وتعرض فيه القوافل للهجمات، وقد قتل به ناس كثيرون، ونهب فيه أموال كثيرة، لذا قرر مجلس كرسي الإيالة المنعقد بحضور المشير محمد أمين (نقل الناس للسكنى بأبي نجيم وإنشاء حصن وبيوت وبساتين للفواكه بالنظر لخصوبة الأرض وتوفر المياه العذبة. وأرخ لإنشاء الحصن بلوحة ما تزال محفوظة بطرابلس. أنظر: (روسي: الكتابات العربية والتركية بمتحف طرابلس ص ٦٣ رقم ١١٢).

(٢٢) المحفوظات التركية بطرابلس، الجزء الأول من محاضر مجلس الإدارة ١٢٦٢ - ١٢٦٦ هـ (١٨٤٦).

(٢٣) توجد بمتحف طرابلس لوحتان تذكran بأعمال التحصين. . أنظر: (روسي الكتابات العربية والتركية بمتحف طرابلس. ٦٣ - ٦٤ رقم ١١١ - ١١٣).

(٢٤) محفوظات قنصلية توسكانا ٣ - ١ - ١٨٥٩.

لقد أنشأ الوالي نوعاً من المعهد لتعليم الأهالي باللغات التركية والأوروبية.

وكانت تحرر باللغتين العربية والتركية. وفتح في السور الجنوبي الباب المعروف باسم (الباب الجديد)<sup>(٢٥)</sup>.

وفي شهر مايو ١٨٦١ قام الإنجليز بمد (الكابل) التلغرافي بين مالطا وطرابلس التي وجدت نفسها مرتبطة بالعالم المتمدن<sup>(٢٦)</sup>.

وفي مساء ٣٠ مايو ١٨٦٤ اهتزت البلاد بأسرها، بسبب انفجار مربع وهرع الناس فزعين إلى الشوارع، دون أن يدركوا شيئاً مما وقع، ثم شوهدت سحابة كثيفة سوداء ترتفع فوق البرج الإسباني، عند الطرف الأقصى الغربي، من الميناء، حيث أعد ليكون مصنعاً للخرطوش. وقدر عدد الضحايا بما يقرب من أربعمئة، كان أكثرهم من الجنود الأتراك، وخمسة أفراد من المسيحيين. ويلاحظ القنصل الإيطالي الذي نقل إلى حكومته أخبار الكارثة، كيف كان من المتعذر إقناع المسلمين باصطناع الحذر، إذ إنهم معتادون على التعويل على القدر والرد على كل شيء بأنه (مكتوب) وإن شاء الله<sup>(٢٧)</sup>.

وقد وصل المشير علي رضا باشا إلى طرابلس صيف ١٨٦٦ ليتولى مهام حكم الولاية وقيادة الجيش. واهتم بتحسين الخدمات البريدية، ومد أول خط تلغرافي بين طرابلس والخمس، وأنشأ سوقاً أطلق عليها اسم العزيزية، تخليداً للسلطان عبد العزيز الجالس على العرش. وقد أنشئت السوق في المنطقة التي خلعت هذا الاسم فيما بعد على أحد الشوارع الحديثة في المدينة. وأقام حديقة صغيرة عامة بمدينة طرابلس، كما أنشأ برج الساعة، وأصلح مسجد القلعة.

وعاد أحمد عزت باشا أيضاً إلى حكم الولاية من جديد، من سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠ وأسس مدرسة الفنون والصنائع<sup>(٢٨)</sup> وملجأ لغرباء المسلمين، واهتم بترميم الأسوار.

(٢٥) النائب ص ٣٧٤ - ٣٨٥.

(٢٦) محفوظات قنصلية ساردينيا ٥ - ٦ - ١٨٦١.

(٢٧) محفوظات قنصلية إيطاليا ٣١ - ٥ - ١٨٦٤.

(٢٨) المبنى الحالي لمدرسة الفنون والصنائع مشيد في سنة ١٨٩٨.

وتولى محمد نظيف باشا الولاية في وقت تضافرت فيه أطماع الدول الأوروبية، وقد كلف بدعم تحصينات برج التراب الواقع شمال غربي المدينة، وسانية الباشا. وقد جهز الموقعين بمدفعية حديثة نوع (كروب).

أما الوالي حافظ محمد باشا فقد نظم إدارة الولاية، وأسس مكتب التسجيل العقاري، وسجل الأحوال المدنية، وشجع التعليم العام.

واهتم راسم باشا بالمدارس<sup>(٣٠)</sup>، وبعض الأشغال العامة النافعة، وفي سنة ١٨٩٩ تأسس المركز الصحي خلف الجمارك<sup>(٣١)</sup>.

ولكن هذا النشاط لا ينسبنا أن النوايا الطيبة لم تكن لتلقي التجاوب المطلوب عند التنفيذ والممارسة العملية. فقد كانت البلاد في الواقع محكومة حكماً سيئاً، ومدارة بإدارة سيئة. وقد نضبت مواردها بسبب شجع الموظفين، وكان من النظم السائدة إسناد جباية الضرائب إلى بعض الشيوخ الذين كانوا يضايقون الأهالي دون شفقة.

وفي سنة ١٨٨٠ كانت حكومة الأستانة تفتقر إلى المال، فخفضت قيمة العملة<sup>(٣٢)</sup>. وهو إجراء اعتاد عليه الطرابلسيون منذ أواخر العهد القرمانلي. وإذا صدقنا الأخبار التي نشرتها مجلة (المكتشف) الإيطالية (Esploratore) فإن الوالي قد باع حكم الجفارة بخمسين ليرة، وحكم غريان بمئة ليرة<sup>(٣٣)</sup>.

#### ٤ - التقسيمات الإدارية والتنظيم المالي

بعدما أعادت الحكومة العثمانية احتلال طرابلس في سنة ١٨٣٥. أقامت بها النظام الإداري السائد حينذاك في الإمبراطورية، وأصبحت طرابلس (إيالة)

(٢٩) النائب ص ٣٩٢ - ٣٩٤.

(٣٠) ناجي ونوري ص ١٨٩ - ١٩١.

(٣١) روسي: الكتابات التركية والعربية. بمتحف طرابلس ص ٦٩ - لوحة ٤.

(٣٢) Pioneri Italiani in Libia, Milano 1912 p. 251 - 252.

(٣٣) نقلاً عن:

E. Lupi (La Tripolitania secondo le piu recenti esplorazioni Roma 1889 - p 60

أي مقاطعة كبرى أو إقليم يحكمه (وال) برتبة باشا، ويساعده مجلس كرسي الإيالة. ولكن، ما كادت تتم لها السيطرة التدريجية على البلاد حتى قسمتها إلى أقسام إدارية، باسم قائممقامية أو سنجقية يحكمها قائمقام. ويساعد هؤلاء الموظفين مجلس المقاطعة. وفي سنة ١٨٦٥ تم تطبيق النظام الجديد الذي يقضي بتحويل الإيالة إلى ولاية طبقاً للإصلاحات التي كانت تتجه إلى إدخال التجديد والنظم الغربية على الإدارة العثمانية. ويبدو التجديد الجوهري في مزيد من المسؤوليات الممنوحة للولاية إزاء الحكومة المركزية، وإدخال نظم عملية أكثر لإدارة شؤون القضاء والمال. وقد جرى تحسين التقسيمات الإدارية للولاية طبقاً للإصلاحات التي أدخلت على الحكومة المركزية حتى انتهت إلى النظام الذي ظل سائداً مطبقاً غداة الاحتلال الإيطالي وهو على النحو التالي:

- ١- سنجق طرابلس، ويشمل مدينة طرابلس ونواحي تاجوراء وجنزور والجفارة وقضاء النواحي الأربع والزاوية والعجيلات وزوارة وترهونة ورفلة وغريان والعزيزة والجوش.
- ٢- سنجق الخمس، ويشمل نواحي ساحل الأحامد وتاورغاء وقضاء مسلاتة وزليطن ومصراتة وسرت.
- ٣- سنجق الجبل، ويشمل يفرن ونواحي الحوض ومزدة والزنتان وككلة وقضاء غدامس ونالوت وفساطو.
- ٤- سنجق فزان، وعاصمته مرزق ويشمل سبع نواحي هي سبها والوادي الشرقي والحفرة الشرقية والقطرون وهون وزلة. وقضاء سوكنة والشاطيء وغات مع ناحية جانت وتبورشادة (ومركزها برادي)<sup>(٣٤)</sup>.

وقد ظلت برقة حتى سنة ١٨٣٦ قائممقامية (قضاء) تابعة لولاية طرابلس. وفي سنة ١٨٦٣ أصبحت متصرفية تابعة مباشرة للاستانة<sup>(٣٥)</sup>. وعادت في سنة

(٣٤) من التفاصيل الجزئية المعدة للسلمة الخاصة بولاية طرابلس لعام ١٩١٢ وتوجد بمحفوظات طرابلس.

(٣٥) استمد هذه المعلومات من كتاب دي أغسطيني: سكان برقة ص ٨. ولكن المراسلات القنصلية بتاريخ ١٥ - ٤ - ١٨٧٩ تؤكد أن إنشاء الولاية ببرقة قد تم في سنة ١٨٧٩.



١٨٧١ لتكون تابعة لولاية طرابلس. وفي العام التالي أصبحت ولاية تابعة للاستانة ثم عادت في سنة ١٨٨٨ متصرفية تابعة للاستانة. وكان يدير (السنجق) متصرف. والقضاء قائم مقام (الناحية) مدير. وإلى جانب هذا التنظيم كان يقوم بالنسبة للقبائل تنظيمهم القبلي التقليدي القائم على نظام (المشيخة).

وكان الأهالي خاضعين في سنة ١٩٠٥ للفتات التالية من الضرائب: (ورقو) أو الميري وهو نوع من الضريبة المفروضة على مختلف الجهات ومقدارها ٦٢٠, ٨١ استرلينياً وتدر سنوياً ٧٥,٠٠٠.

(العشر) وهو يختلف باختلاف المحاصيل، ويدر سنوياً بما يقدر بثلاثين إلى أربعين ألف استرليني. وقد أعفي القولوغلية من هذه الضريبة. وفرضت أنواع أخرى من الجبائية مثل (الإعانة) وهي نوع من القرض الإجباري للحكومة العثمانية. وقد طبق هذا النظام أثناء الحرب التركية اليونانية (١٨٩٦ - ١٨٩٧).

## ٥ - الأهالي وعلاقاتهم بالولاية والجاليات الأجنبية

تقدر (السلنامة) وهي الحولية الرسمية لولاية طرابلس، سكان طرابلس الغرب بحوالي ٤٣٠, ٣١٩ نسمة. ولكن هذا الرقم يبدو أقل من الواقع<sup>(٣٦)</sup>. فقد كان سكان طرابلس طبقاً لإحدى الإحصائيات التركية، يتراوحون بين ٥٣٠ و ٥٤٠ ألف نسمة<sup>(٣٧)</sup>، بالإضافة إلى ثمانين ألف نسمة من سكان فزان وسرت. أي بمجموع يتراوح بين ٦١٠ و ٦٢٠ ألف نسمة لطرابلس الغرب بأسرها. أما سكان برقة. فقد قدروا بحوالي ٣٥٠ ألف نسمة.

لم يدخل الأتراك أي تعديل قوي على التكوين البشري السلافي لطرابلس الغرب. فقد اقتصر النزوح إلى طرابلس على العناصر العسكرية والإدارية،

A. Medana, Il vilayet di Tripoli, in Boll Min. Affari Esteri, 1904 p. 1043 - 1096. (٣٦)

G. Mondaini (Manuale di storia e di legislazione coloniale del Regno d'Italia) Parte 1, (٣٧) Roma 1927 p. 300.

وبعض العناصر القليلة الوافدة على البلاد بمحض إرادتها واختيارها. كما وفدت على البلاد فيما بعد - بضع مئات من رعايا الإمبراطورية المتداعية، لأسباب مختلفة، أهمها النفي والإبعاد السياسي الناشئ عن المشاركة في الحركات الثورية التي جرت خلال ١٨٧٦ - ١٩٠٨. ويتصل الأمر في الغالب بالأكراد والأرمن أو جماعة تركيا الفتاة، من الثائرين الذين تقرر نفيهم وإقصاؤهم إلى الأماكن النائية بدواخل البلاد. وقد تسند إليهم في بعض الحالات مهام إدارية.

في ١٣ أبريل ١٨٦١ وصلت فرقاطة تركية قادمة من بيروت، وأنزلت بميناء طرابلس ٢٤٥ درزياً، أغلقت عليهم على الفور إحدى الثكنات. وكان من بينهم خمسة من مسيحيي سوريا (اثنان من الكاثوليك وثلاثة من الأرثوذكس) أضيفوا إلى الشحنة لسد النقص الناشئ عن هروب خمسة من الدروز. وقد تم إطلاق سراحهم بناء على تدخل قنصل فرنسا وقنصل اليونان، لعدم مساهمتهم في الثورة الدرزية<sup>(٣٨)</sup>.

وقد أظهر الأتراك قلة اهتمام بالسكان، إما بسبب المشاكل ذات الطابع السياسي التي كانت تستنفد كل نشاط الحكومة المركزية، وإما بسبب الاختلافات القوية في التكوين البشري السلافي بين العنصرين، الأمر الذي يجعل من الأتراك غرباء، رغم وحدة الدين. لقد استقر الأتراك بطرابلس، كما لو كانت مستعمرة، دون أن يبعثوا الحياة في أية بادرة من المبادرات ذات الطابع الاقتصادي بهدف صهر العنصرين ودمجها في مصلحة عامة واحدة.

إن المحنة الوطنية وأزمة الحكم التي كانت تميز أواخر العهد العثماني لم تجد لها صدًى بين السكان من العرب والبربر الذين كانوا ينظرون إلى الأتراك كحكام، باستثناء بعض مظاهر التضامن عند فورات التعصب التي سنقدم أمثلة عنها - فيما بعد<sup>(٣٩)</sup> -.

وقد كان في وسع (دومينيكو تومياتي) الذي كان موجوداً بطرابلس في

(٣٨) محفوظات القنصلية الملكية الإيطالية ١٠ - ٤ - ١٨٦١ و ٢٣ - ٥ - ١٨٦١.

(٣٩) أنظر الفقرات التالية من هذا الفصل.

مستهل سنة ١٩٠٥ أن يقول بحق: (إن هوة حقيقية تفصل العنصرين، العنصر المسيطر والعنصر الخاضع. إن التراك في نظر العرب أجنب، كما كانوا في بداية قيامهم بالاحتلال. قليل من الناس يتكلم التركية بينما تفهم أغلبية العرب، بنسب متفاوتة، بعض الكلمات الإيطالية)<sup>(٤٠)</sup>.

ويكتب سلوش في نفس الفترة (إن العلاقات بين الأتراك والأهالي تظل هي علاقات الحاكم بالمحكوم. إن الأتراك ليسوا دولة استعمارية، وحين يجعلون من بني جنسهم معمرين، فإنهم سيظلون منعزلين وسط الكتلة الإفريقية)<sup>(٤١)</sup>.

لم يمتزج الأتراك بالعرب، سواء أثناء الفترة السابقة للسيطرة الإنكشارية، رغم الظاهرة التي أشرنا إليها، بتكوين نواة صغيرة ممتزجة عرفت باسم القولوغلوية، وكان وجودها محدوداً بمدينة طرابلس وضواحيها المباشرة، أو أثناء الفترة الثانية من الحكم العثماني. وكان الانفصال بين العرب والأتراك أقوى ظهوراً في الدواخل بين البدو الذين كانوا ينفرون بطبيعتهم من الاختلاط بالأجانب. ويكفي أن نذكر أنه في ١٨٣٧ اشترط شيوخ القبائل للطاعة والولاء والدخول في سلطة الحكومة، منع الأتراك من دخول مناطقهم بصفة تامة<sup>(٤٢)</sup>.

أما العلاقات القائمة بين الأهالي والجاليات الأجنبية فقد انعكست عليها، بدرجة كافية، الانقسامات والأزمات التي كانت تعصف بالعالم العثماني. بما كان يصحبها من نتائج ظاهرة، من العداء للأجانب والكفار. ولكن ذلك لم يؤد إلى أي اصطدامات حقيقية، أو فورات من الغضب الشعبي. وتصرفت الجاليات الأجنبية في طرابلس تصرفاً يتسم بالحكمة البالغة، كما أن الحكومة العثمانية لم تكن بغافلة عن خطر الحوادث التي يمكن أن تهدد سيادتها،

Tripolitania - Milano 1928 p. 42.

(٤٠)

(٤١) المصدر السابق ص ٢٢١ - ٢٢٢.

N. Slousch (Les Turcs et les indigènes en Tripolitaine) in Revue du Monde Musulman 1, 1906, p. 372.

(٤٢) أنظر ما تقدم في خصوص هذه العلاقة في الفصول السابقة.

على آخر ولاياتها الافريقية التي كانت فعلاً مطمحاً للدول الأوروبية، وهي في نفس الوقت بعيدة عن بقية الإمبراطورية.

ويتبين من المراسلات المختلفة التي تمت عند نهاية ١٨٨٥ التي وقعت فيها مذبحة<sup>(٤٣)</sup> (جدة) أن طرابلس قد شهدت اضطرابات خطيرة، كغيرها من بلدان الإمبراطورية العثمانية. وكانت بطرابلس عناصر إسلامية، مغربية وتونسية، بصفة خاصة، تقوم بتحريض الأهالي على المسيحيين.

وكانت الحامية التركية المرهقة بثقل الواجبات الملقاة على كاهلها، تبدي استياءها بوضوح، وتقوم بأعمال تخرج عن الانضباط العسكري، وتبعث على القلق. ومن ذلك نتبين أي جو من القلق كان يعيش فيه المسيحيون بطرابلس الذين كانوا مهيبين لأن يهرعوا عند أول إشارة فزع إلى الميناء، لركوب السفن الراسية به.

وقد وافق يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٥٨ عيد المولد النبوي، فتجمع المسيحيون في قنصليات بلادهم، مسلحين بالبنادق والمسدسات، لمقاومة الهجوم الذي كانت قد ترددت الإشاعات بوقوعه في ذلك اليوم. ولم يكن الأمر مجرد إشاعة خالية من الصحة. إذ اتخذت الحكومة العثمانية نفسها إجراءات وقائية، وأقامت نقاطاً ومراكز عسكرية في المدينة، بقيادة ضباط من الموثوق فيهم، وأعادت تسليح العناصر غير النظامية من الألبان الذين لم يكونوا - رغم إسلامهم - يتعاطفون مع عرب طرابلس ولا مع الجيوش النظامية. ومن حسن الحظ أن مضى اليوم في هدوء تام، واستعادت الجاليات الأوروبية اطمئنانها وثقتها<sup>(٤٤)</sup>.

وها هو حادث آخر من حوادث التعصب الديني، ففي نهاية ١٨٧٥ وصل إلى طرابلس، عن طريق مالطا، قادماً من تونس، أحد الأولياء (مرابط) المغاربة، وهو الحاج أحمد البهلول. واحتشد أهالي طرابلس في حماس كبير حول الزاوية التي نزل بها. وكما يحدث في مثل هذه الحالات فإن الحماس الديني قد

(٤٣) كارلونيون: مجموعة الكتابات المنشورة وغير المنشورة - روما ١٩٣٩ ص ١٥٨.

(٤٤) محفوظات مملكة الصقليتين ٢١ - ١٠ و ١٨ - ٩ - ١٨٥٨.

اقترن بشعور التعصب. وفي ٢٢ ديسمبر دخل الولي المدينة في احتفال فخم. فبادر المسيحيون إلى إغلاق متاجرهم وبيوتهم عند مرور الموكب الذي توقف عند نقطة معينة، أمام أحد المتاجر التي تجمع فيها حشد كبير من المسيحيين، فهاجم الولي بفرسه ليقبض على المدعو (سلفاتوري بوناكوري) من رعايا إيطاليا. ولكن الولي لم يتمكن من القبض عليه. ووقعت أحداث أخرى في تلك المناسبة، وجرت مطاردة بعض اليهود والمسيحيين. وقد احتج قنصل إيطاليا الكفاليري دي غوزويلا De Goyzuela لدى الولي وحصل على الموافقة بإبعاد ذلك الولي الخطير. لولا أن قنصل الولايات المتحدة (فيدال) تدخل لصالح ذلك الولي المغربي، ووضعته تحت حمايته باعتباره من رعايا (ليبيريا). وأخيراً اتخذ هذا الولي طريق الشرق وغادر البلاد<sup>(٤٥)</sup>.

لقد أثارت هذه الحوادث شعوراً بالدهشة والحذر بين أوساط الجالية الأجنبية، حتى رأى قنصل إيطاليا أنه من المناسب دعوة حكومته إلى إرسال سفينة حربية إلى ميناء طرابلس<sup>(٤٦)</sup>.

وقد بدد نبأ اعتلاء السلطان مراد الخامس العرش في ٣١ مايو ١٨٧٦ مشاعر الضيق والقلق، واحتفل الأتراك بهذه المناسبة بإطلاق المدافع وإضاءة المشاعل. ثم عادت القلاقل من جديد بسبب الوضع المزعزع للحكومة المركزية التركية في الآستانة التي كانت تتجاذبها الاتجاهات الحديثة والمقاومة الرجعية المحافظة. وكان يصل من الآستانة بعض الضباط والموظفين المبعوثين الذين يوجهون إلى الحاميات والبقاع النائية من فزان. وكان ثمة خوف من استغلال الأهالي لمتاعب الحكومة المركزية، بمهاجمة مدينة طرابلس ونهبها. وفي ٦ سبتمبر ١٨٦٧ كانت القلاع تطلق مدافعها إعلاناً باعتلاء عبد الحميد الثاني العرش. فازداد تعصب العنصر الإسلامي. وتردد القول في طرابلس، بين أوساط المسيحيين، بأن عبد الحميد سيتقيد تقيداً تاماً بأحكام الشريعة الإسلامية<sup>(٤٧)</sup>.

(٤٥) محفوظات قنصلية إيطاليا ١٠ - ١ - ١٨٧٦.

(٤٦) محفوظات قنصلية إيطاليا ١٠ - ١ - ١٨٧٦.

(٤٧) محفوظات قنصلية إيطاليا ص ٦ - ٦ - ١٨٧٦.

وبذل مجهود كبير في عهد عبد الحميد لجمع جميع الشعوب التي تكون الإمبراطورية العثمانية، تحت علم الرابطة أو الوحدة الإسلامية، تلك الشعوب التي كانت تسعى إلى الانفصال عن الأستانة، وتكوين حكومات ذاتية مدفوعة إلى ذلك إما بالخلافات العنصرية، أو بتحريض من القوى الأجنبية.

ومن المعروف أيضاً، وإن كان ذلك لم يوضح التوضيح الكافي، أن عبد الحميد قد استخدم في تحقيق هذه الغاية الطرق الصوفية الإسلامية، واستعان بالنسبة لطرابلس، بالطائفة (المدنية) التي كان يتزعمها محمد ظافر المدني (المتوفى سنة ١٩٠٣ - ١٩٠٤). وكان قد أقام مدة طويلة بالأستانة، وأصبح أحد المستشارين المقربين للسلطان. وقد اتخذت هذه الطائفة اتجاهاً للوحدة الإسلامية، وقامت بدعاية مضادة ضد استقرار الاستعمار الأوروبي في إفريقيا الشمالية، خاصة طرابلس الغرب<sup>(٤٨)</sup>.

وثمة هيئة أخرى كان من الممكن أن يعتمد عليها السلطان لتدعيم أوضاعه في طرابلس وبرقة، وهي السنوسية. وكانت قد اكتسبت، في ذلك الوقت، أهمية خاصة. وأقامت مقرها في ١٨٥٦ بالجغبوب، ثم في ١٨٩٥ بالكفرة، ولكنها بحكم اتجاهاتها المتزمتة، ودعوتها إلى العودة إلى الدين الإسلامي في أصوله الأولى، لم يكن من الممكن إقناعها بأن تضع نفسها، تحت إشراف الأتراك وتوجيههم. وهم الذين يتميزون بالتساهل في الدين وقلة مراعاته. بالإضافة إلى أنها كانت تنتشر منطقتاً من برقة نحو إفريقيا الوسطى. وهي تعمل كهيئة اقتصادية سياسة علاوة على اهتمامها بالناحية الدينية. وهي لذلك كانت تغار على استقلالها إزاء الولاة. ومعارضة السنوسية للأتراك مسجلة في تلك الكلمة التي تنسب للسيد المهدي ابن مؤسس الطريقة (أن الأتراك والمسيحيين ملّة واحدة وسأقطع دابرهم جميعاً)<sup>(٤٩)</sup>.

(٤٨) Nozioni sull Islam, a cura del cap. E. de Renzi. Ufficio Politico - militare Tripoli, 1918 p. 88 -89.

(٤٩) H. Duveyrier (La Confrérie musulmane de Sidi Moh. ben Ali es Senousi) min. delle Colonie, Roma 1918 p.1.

ولكن هذا لم يمنع الأتراك والسنوسية من الاتفاق على نحو من الانحاء لمواجهة الخطر المشترك المتمثل في الاستعمار الأوروبي لشمال إفريقيا والصحراء. وذلك بعدم وقوف السنوسية في وجه التوسع التركي نحو الداخل وترك الأتراك للسنوسية الحرية الكاملة في التصرف، حتى عندما تبدو هذه الحرية مناقضة لسيادة الحكومة. وتحدد هذا الاتفاق في عهد السيد محمد المهدي وتؤكد في عهد خليفته السيد أحمد الشريف. بعد سنة ١٩٠٢.

ولم تستطع القوة، ولا الدعاية الدينية، كسب الحماس المخلص للسكان وولائهم للأتراك. فقد أبدى العرب والبربر في الدواخل، وفي مدينة طرابلس ذاتها، أكثر من مرة، تذرهم، ولم تفهم الإصلاحات التي قامت بها الحكومة، وكانت تريد بها التغلب على الأزمة الداخلية. واستقبلت استقبلاً سيئاً بطرابلس، وأقلق العرب ذلك المشروع الرامي إلى إنشاء حرس وطني. وكان لا بد من التخلي عنه، رغم تصريح الحكومة بأن الأمر مجرد خدمة عسكرية.

لقد منح الدستور الذي صدر في ١٨٧٦ طرابلس حق التمثيل النيابي، في مجلس النواب. وبالنظر لعدم توفر الوقت الكافي لإجراء انتخابات منظمة، فقد تم تعيين نائبين عن طرابلس، من قبل السوالي ومجلس الإدارة. وهما (محمد بن آغا) خوجة وسليمان القبطان (سلييل مصطفى القبطان أحد أبناء كالايريا الذين اعتنقوا الإسلام، بعد أن كان مسجلاً ضمن رعايا قنصلية مملكة الصقليتين).

وفي الدورة الثانية للانتخابات ١٨٧٧، أبقى مجلس الإدارة (محمد بن الآغا) واستبدل سليمان القبطان بالحاج أحمد الأدغم الذي كان قد تولى مناصب عالية في الحكومة. ولكن سليمان القبطان طعن في التعيين لدى السوالي، وحصل من الأستانة على الموافقة بإعادة الانتخابات، عن طريق مجلس البلدية. ودون أن ينتظر نتيجة الانتخابات سافر إلى الأستانة يحمل معه عريضة تأييد موقعة من ألفي شخص<sup>(٥١)</sup>.

(٥١) محفوظات قنصلية إيطاليا، رسائل بتاريخ ٢٢ - ٣ - ١٨٧٧ و ١٨ - ١٠ - ١٨٧٧ و ٢١ - ١١ - ١٨٧٧.

وتستحق هذه الواقعة أن نقف عندها لأنها تدل على الحرية التي كانت تجري بها الانتخابات. ثم عطل عبد الحميد العمل بالنظام البرلماني ولم تعد طرابلس تبعث بأي ممثلين عنها، حتى سنة ١٩٠٨ حين أعيد الدستور.

وكان للحرب التركية الروسية ١٨٧٧ - ١٨٧٨ صدى في طرابلس. وعندما وصل نبأ إعلان الحرب في ربيع ١٨٧٧ أقيمت الصلوات في المساجد وارتفعت الأكف بالدعاء من أجل انتصار الجيوش العثمانية، دون أن تقع مظاهرات حماسية.

وكان نبأ الهزائم التي تعرض لها الأتراك مشاراً للحنق والغضب بين السكان المسلمين بطرابلس. ولم تكن لتخفف منها، أو تغطي عليها، بعض الأحداث البطولية الكبيرة، مثل الدفاع عن (بليفنا Plevna) الذي تولى قيادته عثمان باشا.

وفي ذلك الجو المتوتر، كانت الهمسات تتعالى باحتمال إقامة مذابح للمسيحيين واليهود في المدينة<sup>(٥١)</sup>، دون أن يحدث شيء من ذلك، وقد وجد الوالي نفسه في مأزق حرج، حين دعا إلى التجنيد، بحجة نجدة الجيش العثماني. ولم يكن الأهالي مستعدين لقبول هذه التضحية. وكان صلح (سان ستيفانو) إنقاذاً للوالي من الورطة التي كانت تواجهه. ويشهد شاهد عيان بأن الأهالي قد تلقوا نبأ هزيمة الأتراك بعدم اكتراث ناشئ في الغالب عن النفور العربي، أكثر مما هو ناشئ عن سوء الحكم<sup>(٥٢)</sup>.

وكان إدخال الإصلاحات يثير شيئاً من المعارضة والتذمر بين الأهالي. ففي سنة ١٨٧٩ أدخلت تعديلات هامة على المحاكم المحلية، وأصبح هناك رئيس لكل المحاكم المدنية وآخر للجنائية، بدلاً من رئيس واحد للمحكمتين في السابق. وتنحية القاضي الشرعي من رئاسة المحاكم المدنية والجنائية، على أن يظل رئيساً فقط لمحاكم الاستئناف الخاصة بالنظر في الأحوال المدنية. وقد

(٥١) محفوظات قنصلية إيطاليا، رسالة بتاريخ ٢٢ - ٣ - ١٨٧٧.

(٥٢) محفوظات قنصلية إيطاليا، رسالة بتاريخ ٦ - ٣ - ١٨٧٨.



سلبت هذه الإصلاحات نوعاً من الاختصاص من المحاكم الشرعية، وتركت لها اختصاص الأحوال الشخصية. وقد أبدى الأهالي بتحريض من العلماء المحليين الرغبة في إسناد كافة الاختصاصات القضائية إلى المحاكم الشرعية. وقبلوا فقط إقامة محكمة تجارية. وفي ٢ نوفمبر ١٨٧٩ عقد الأهالي اجتماعاً عبروا فيه عن احتجاجهم وقد وعد الوالي بإبلاغ مطالب الشعب إلى الأستانة<sup>(٥٣)</sup>.

## ٦ - صدى أحداث تونس ومصر سنة ١٨٨١ - ١٨٨٢

أخذت فرنسا منذ بضع سنوات تضاعف من محاولاتها للتغلغل في طرابلس الغرب متخذة لذلك شتى الوسائل وكافة المبررات. ومن ذلك الإسراع بإنشاء الخدمات البريدية. ومشروع ربط طرابلس وتونس بخط تلغرافي. ونشر اللغة الفرنسية في المدارس. كان قنصل فرنسا، إذ ذاك (شارل فيرود Charles Féraud) صاحب كتاب (الحوليات الطرابلسية Annales Tripolitaines) الذي يلاحظ فيه بصفة مباشرة<sup>(٥٤)</sup> الإشاعة باحتمال قيام فرنسا باحتلال تونس وطرابلس، وكانت قد انتشرت في سنة ١٨٧٨ عقب مؤتمر برلين. ولم يتأثر لها الناس أدنى تأثر. ويقول فيرود: إن الناس سيقبلون بالاحتلال الفرنسي كنهاية للبؤس والاستغلال اللذين يقاسيهما الناس منذ زمن طويل.

ونذكر بين مظاهر النشاط الفرنسي في طرابلس الغرب أنه في ديسمبر ١٨٨٠ توجه المدعو (غارسين Gracin) إلى طرابلس لإنشاء فرع للبنك الفرنسي المسمى (Société des Comptoirs Maritimes) ومقره تونس<sup>(٥٥)</sup>.

وقد أثار نبأ قيام فرنسا باحتلال تونس، في مايو ١٨٨١، عرب طرابلس أكثر مما أثار السلطات التركية. وكان القنصل فيرود يتابع باهتمام كبير تطور الأوضاع المحلية، خاصة أن فرنسا لم تتمكن من السيطرة على الجنوب التونسي (جربة، وقابس وصفاقس) إلا في يوليو، بسبب ثورة السكان ومقاومتهم للاحتلال.

(٥٣) محفوظات قنصلية إيطاليا، رسالة بتاريخ ٤ - ١١ - ١٨٧٩.

(٥٤) فيرود ص ٤٤.

(٥٥) محفوظات القنصلية الإيطالية، ديسمبر ١٨٨٠.

ولم يكن من العسير على عرب طرابلس التضامن مع إخوانهم التونسيين، خاصة إذا حرصهم الأتراك على القيام بذلك. غير أنه لم يكن ثمة مظهر عملي لهذا التضامن العربي الإسلامي. ولو أن قسماً كبيراً من التونسيين، قد استقبلوا من قبل أبناء دينهم استقبلاً حقيقياً طيباً.

أما الأتراك الذين لم يمض وقت طويل على خروجهم من سلسلة الهزائم وبتر الممتلكات الترابية، فلم يكن في وسعهم الوقوف في وجه فرنسا، واكتفوا بالاحتجاج الشكلي وعدم الاعتراف بالحماية الفرنسية على تونس.

وبمناسبة العيد الوطني الفرنسي (١٤ يوليو)، وجه القنصل الفرنسي دعوات للأهالي لحضور حفلة الاستقبال التي تقام بهذه المناسبة في القنصلية، وكانت ثمة فرقة موسيقية شرقية تبهج الحفل. ولكن الوالي والفريق قائد الجيش لم يحضرا هذه الحفلة، رغم الدعوة الموجهة إليهما<sup>(٥٦)</sup>.

إن احتلال تونس، والأطماع الدولية الأوروبية المتزايدة لامتلاك طرابلس الغرب وبرقة، قد أحييت الشعور الوطني المتطرف. وقد كان من مصلحة تركيا مسايرة هذا الشعور. وسجلت بعض الأحداث تصاعد هذه الحالة النفسية المتوترة. ومثال ذلك مقتل رئيس إرسالية الآباء البيض التابعة للكاردينال (لافيجري Lavigerie) بغدامس سنة ١٨٨١.

وكان ضرب الإسكندرية، واحتلال الانجليز لمصر قد زادا النار اشتعالاً. وسيطرت على الأوروبيين القاطنين بطرابلس.. حالة من الفزع، فأسرعوا إلى النزوح، ولجأ قسم كبير منهم إلى مالطا، لمراقبة تطور الأوضاع. وقد دخل العرب متاجر الأوروبيين، وتفوهوا بكلمات غاضبة غامضة تبعث على الشعور بقرب انفجار اضطرابات متعصبة. وعمل الوالي على تهدئة نفوس الناس، وبعث الثقة في الأجانب، إلا أن الشائعات كانت تتردد عن قرب مجيء الفرنسيين إلى طرابلس فتزيد من مشاعر القلق.

(٥٦) محفوظات قنصلية إيطاليا - ٣ - ٧ - ١٨٨١ وما يليه.

وقد أظهر الوالي أيضاً قلقاً من هذا الوضع . ولم يخف مخاوفه في حديث له مع القنصل الإيطالي قال فيه : إذا أظهر الفرنسيون نوايا عدوانية نحو طرابلس الغرب فإن الأتراك سيطلقون يد التونسيين اللاجئين إلى طرابلس الغرب ، ويقدر عددهم بحوالي ٢٥٠ ألف نسمة ، وسيعملون على تسليحهم .

وفر الأجانب من بنغازي أيضاً . ثم عادت الحالة إلى الهدوء واستأنف النازحون الأجانب العودة في صيف العام نفسه سنة ١٨٨٢ . وبعد ذلك بقليل ، في سبتمبر ١٨٨٢<sup>(٥٧)</sup> ، ترددت إشاعة أخرى عن احتمال وصول حملة إيطالية إلى طرابلس الغرب . ولم تكن إيطاليا قد فكرت في ذلك الوقت جدياً في مثل هذه الحملة . وكانت مشغولة فقط بإمكانية تطوير الالتزامات الاقتصادية - وبعد عامين أو ثلاثة - من ذلك التاريخ ، أخذ النشاط الإيطالي يتزايد ويتطور . واتخذت الخطوات الأولى لضمان موافقة الدول الكبرى . ولكن سقوط حكومة (كريسي) أدى إلى تأجيل كل مشروع في هذا السبيل .

وهكذا كانت طرابلس ودواخلها تعيش في ضيق ، بين حذر الأهالي والحكام ، وبين عرقلة المبادرات الاقتصادية للجاناليات الأوروبية . وكان الوضع النفسي للأهالي معادياً للأتراك وللأجانب على حد سواء . وكثيراً ما كانت تقع حوادث ذات مغزى . ففي يوليو ١٨٨٨ أهين علنياً نائب القنصل الإنجليزي وابن القنصل الإنجليزي ونائب مستشار القنصلية الفرنسية<sup>(٥٨)</sup> .

## ٧ - الرحلات والاكتشافات في ليبيا في القرن الثامن عشر<sup>(٥٩)</sup>

تولت (الجمعية الإنجليزية لاكتشاف دواخل إفريقيا) الرحلات العلمية

(٥٧) محفوظات قنصلية إيطاليا ١ - ٧ - ١٨٨٢ و ١٨ - ٧ - ١٨٨٢ و ٢٠ - ٧ - ١٨٨٢ .

(٥٨) محفوظات قنصلية إيطاليا - ١٣ - ٦ - ١٨٨٨ .

(٥٩) تابعت في هذه المعلومات العمل الهام الذي أنجزه أتيليو موري :

A. Mori (L'Esplorazione geografica della Libia) Gov. dello Cirenaica Firenz 1927.

أنظر الترجمة العربية لهذا الكتاب (الرحالة والكشف الجغرافي بليبيا) تأليف موري تعريب خليفة محمد التليسي ، نشر مكتبة الفرجاني - طرابلس ١٩٧١ .

الأولى، وشجعت عليها. وقد كانت طرابلس تمثل نقطة انطلاق وعودة لهذه الاكتشافات التي كانت تتجه إلى البحث عن طريق عبر أفريقيا الوسطى.

وبدأ وليام لوكاس الذي كان يشغل منصب نائب قنصل إنجلترا بالمغرب في ١٧٨٩ رحلة اكتشافية لأفريقيا الوسطى، تنطلق من طرابلس نحو غامبيا تحت رعاية الجمعية الإنجليزية المذكورة. ولكنه لم يبلغ في رحلته هذه سوى مدينة مصراته، ثم قفل راجعاً، لعدم قدرة حاكم المنطقة على تزويده بالإبل اللازمة لمواصلة الرحلة.

وبتكليف من نفس الجمعية، سافر الرحالة الألماني (فريدريك هورنمان)<sup>(٦١)</sup> في سبتمبر ١٧٩٨ من القاهرة، ووصل في ١٧ نوفمبر إلى مرزق، عن طريق سيوة وأوجلة ثم جاء إلى طرابلس، وعاد منها إلى مرزق في سنة ١٧٩٩ حيث تابع رحلته إلى بورنو التي لقي فيها حتفه.

وفي مستهل القرن التاسع عشر، ساهم إيطاليان في تحسين المعرفة الجغرافية بليبيا، وهما، الرحالة (أغسطينو شرفلي) الذي رافق في سنة ١٨١٢ حملة قام بها والي طرابلس على برقة. ثم الرحالة (باولوديل شيللا) الذي قطع نفس الطريق في سنة ١٨١٧ كطبيب مرافق لأحمد بك القرماني. وفي نفس الوقت كان الكابتن البحري الإنجليزي (وليام هنري سميث) يزور آثار لبدية وفي سنة ١٨١٧ توغل في الداخل حتى منطقة قرزة. ثم أقام فترة أخرى بعد ١٨٢٢ لاكتشاف كل سواحل ليبيا بمرافقة الأخوين (بيشي). وهناك رحالان آخران هما، (ج. ريتشي) و(جورج فرانسيس ليون)، عملا على اكتشاف فزان في ١٨١٨ - ١٨١٩. وقد مات الأول في ٢٠ نوفمبر ١٨١٩.

ورحل ثلاثة مكتشفين إنجليز هم (و. أودني) و(ه. كلابرتون) و(ديكسون دنهام) إلى فزان. ووصل الأولان - للمرة الأولى - بلدة غات وتوغلا في الداخل حتى بحيرة تشاد وبورنو. وعادا إلى طرابلس في ١٨٢٥. وفي

(٦٠) أنظر الفهرس الهام للمراجع من كتاب أتيليو موري (الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا) تعريب خليفة محمد التليسي - نشر الفرجاني - طرابلس ليبيا -.

شجاعة كبيرة، قرر الإنجليزي (أ. ج. لاينج) القيام برحلة من طرابلس إلى تومبكتو عن طريق غدامس. وقد قتل عند عودته. وكان لهذا الحادث المؤسف مضاعفات ومشاكل دبلوماسية طويلة.

وبعد فترة من التوقف التي تبررها الانطباعات التي خلفها في النفوس مقتل الميجر (لاينج) ومشاكل السياسة الداخلية، في أواخر العهد القرمانلي استؤنفت الرحلات الاكتشافية بسرعة أكبر. ولم يبق الأتراك الذين عادوا إلى حكم البلاد بعرقلة هذه الاكتشافات في السنوات العشر الأولى من احتلالهم. وهكذا استطاع (ج. ريتشاردسون) في ١٨٤٥ الوصول إلى غدامس وغات. واستطاع الرحالة الألماني (بارث) في ١٨٤٥ - ١٨٤٦ عبور ساحل سرت، ثم قام بمشاركة (ريتشاردسون وأوفنويج) برحلة إلى مرزق وغات والدواخل. وقد مات رفيقه أثناء الرحلة، وعاد (بارث) وحده إلى طرابلس سنة ١٨٥٥.

وثمة ضحايا آخرون سقطوا في طريق الاكتشافات الخطيرة لأفريقيا. ومنهم (١. فوجل) الذي حاول في سنة ١٨٥٣ اللحاق بالبعثة التي أشرنا إليها فيما تقدم. فقتله سلطان الوادي. ثم الهولندية (ألكسندرا تينه) التي قتلت في ١ أغسطس ١٨٦٩ في الطريق بين مرزق وغات. وكانت رحلات الرحالة الألماني (رولف) أكثر حظاً وتوفيقاً. وإن لم تخل من الأخطار، إذ قام في سنة ١٨٦٤ برحلة إلى غدامس وطرابلس إلى مرزق ثم السودان حتى لاغوس وغينيا. وفي سنة ١٨٦٩ م قام برحلة من طرابلس إلى الإسكندرية محاذياً الساحل، ثم زار واحتي الجغبوب وسيوة، عن طريق أوجلة وجالو. وفي ١٨٧٩ قام بزيارة الكفرة<sup>(١)</sup>. وتكللت رحلة الرحالة (نختجال) بالنجاح. وكانت لها نتائج علمية قيمة. وهي الرحلة التي قام بها في سنة ١٨٦٩ (يرافقه الإيطالي جيوسبي فالفريدا) من طرابلس إلى مرزق حتى التبستي ثم العودة إلى مرزق. ومنها إلى رحلة أخرى نحو بورنو. ثم عاد إلى أوروبا سنة ١٨٧٤. ووصل الرحالة الألماني (أرفن فون باري) إلى غات في ١٨٧٦ - ١٨٧٧ ومات بها. وكان آخر المكتشفين لدواخل ليبيا (الهنتلاند)، إذ أخذ الأتراك، بعد ١٨٧٨ (معاهدة

برلين) ينظرون بعين الحذر إلى الاكتشافات الجغرافية ويعرقلونها. وكان واضحاً أن هذه الاكتشافات لم تكن خالية من البواعث والأهداف السياسية.

وهكذا استطاع (مانفريدو كامبيريو) في سنة ١٨٨٠ القيام برحلة اكتشافية في طرابلس الغرب، ثم قام في سنة ١٨٨١ برحلة اكتشافية أخرى إلى برقة صحبة (مأمولي) و(هايمان). ولم يسمح للإيطاليين بالتغلغل في الدواخل. وقد منع (دومينيكو تومياني) من التجول في البلاد سنة ١٩٠٥. بينما استطاع الرحالة الفرنسي (ماتوزيل) القيام بهذه الرحلة، قبل ذلك بأعوام قليلة. وكان الرحالة الفرنسي (مونتييل) وحده هو الذي استطاع أن يقطع البلاد من فزان إلى طرابلس، قادماً من تشاد سنة ١٨٩٢، كما قام بمثل هذه الرحلة (هانس فيشر) سنة ١٩٠٦. وكانت آخر الرحلات الاكتشافية التي زارت ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي هي بعثة (سان فيلبو سفوزا) التي انطلقت من طرابلس في ٨ ابريل ١٩١١، وفاجأها إعلان الحرب الإيطالية التركية، وهي بفزان. فقبض على أفرادها الذين ظلوا عدة أشهر في الأسر<sup>(١)</sup>.

لم تكن نتائج الرحلات والاكتشافات التي تمت خلال قرن كامل وفيرة بسبب المضاعف التي كانت تتم فيها هذه الرحلات والاكتشافات. ولكنها كانت مفيدة للإحاطة الجغرافية بهذه المنطقة الواسعة. كما أبرزت القيمة السياسية لهذه المنطقة، وأهمية موقعها بالنسبة للاتصالات المقبلة بأواسط افريقيا.

## ٨ - التغلغل التركي في دواخل ليبيا ومشكلة الحدود

لقد رأينا في الفصول السابقة الأحداث التي صاحبت العلاقات بين طرابلس ودواخلها، خاصة فزان والمناطق الخلفية، المجاورة لها. والآن، يبدو لنا من المجدي أن نسوق بإيجاز بعض المعلومات حتى نعطي صورة عن الجهود التي بذلها الأتراك من أجل بسط سلطتهم الفعلية على الأجزاء الداخلية من البلاد.

A. M. Sforza (Esplorazione e prigionia in Libya) Milano 1919. p. 185 - 275.

لقد أخضع الأتراك فزان لدفع الضريبة في سنة ١٥٧٧ - ١٥٧٨ . وتأكد خضوع هذه المنطقة، بعد قرن ونصف من ذلك، أي في العهد القرمانلي. وخرجت فزان من سيطرة طرابلس، أثناء الحروب والصراعات الداخلية التي عصفت بهذه الأسرة في الأعوام الأخيرة من حكمها، لتعود من جديد إلى السيطرة التركية، سنة ١٨٤٢ .

لقد كان للمناطق الواقعة إلى الجنوب من فزان علاقات متقطعة مع فزان وطرابلس، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ولكنها لم تعترف بالسيادة التي فرضت منذ القرن السابع عشر على السواحل، وأغلب الواحات الكبرى ببرقة .

ولا يتردد خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر أي حديث عن حدود صحيحة ثابتة . ففي الجنوب كانت البلاد تنتهي بفزان . وإلى الشرق - في العهد القرمانلي - كانت حدودها عند خليج بومبا، وإلى الغرب بحيرة الببيان . وبدأت مشكلة الحدود تفرض نفسها في القرن التاسع عشر، وبصفة خاصة، بعد احتلال الفرنسيين لتونس، والإنجليز لمصر<sup>(٦٢)</sup> .

لقد تبعت مرحلة احتلال طرابلس الغرب التي أشرنا إليها فيما تقدم، مرحلة أخرى اتجهت إلى ترسيخ السلطة في المناطق المحتلة . واستغرقت هذه المرحلة، المدة التي تبدأ من منتصف القرن التاسع عشر، حتى سنة ١٩١١ . وصاحب هذه المرحلة نشاط من أجل التغلغل في الداخل، وتحديد الحدود ورسمها . ولكنه كان قليل الحظ من التوفيق والنجاح . وإن مثل في مجموعه محاولة لمنح تنظيم إداري واقتصادي للمقاطعة الأفريقية الأخيرة الباقية للدولة العثمانية التي تشبث بها، رغم المطامع الدولية التي كانت تضغط عليها بثقلها . وقد كانت الدولة العثمانية تتوفر على إمكانيات عسكرية رائعة، ولكنها لم تكن تتوفر على النية والوسيلة للنهوض بطرابلس الغرب وتحقيق الازدهار لها .

---

(٦٢) تابعت في هذا الفصل مقالي المنشور في مجلة الشرق الحديث (من أجل تاريخ التوغل التركي في دواخل ليبيا ومشكلة الحدود) المنشور في السنة التاسعة - ١٩٢٩ ص ١٥٣ - ١٦٧ .

والمحاولات التي تمت للتوغل في دواخل افريقيا لم تكن موجهة بخطة محددة تحديداً كاملاً، ولم تكن أيضاً مدعومة بسياسة ملائمة. وقد اصطدمت هذه المحاولات في الجنوب بدول مجهزة تجهيزاً كاملاً ومصممة كل التصميم على العمل الاستعماري. ومع ذلك فقد فعل الأتراك شيئاً ما خلال ٧٦ عاماً من حكمهم الثاني لليبيا. وقصة هذا النشاط الذي قاموا به خلال هذه الفترة لا تخلو من أهمية.

لقد تحددت حدود برقة مع مصر في الخرائط المرفقة بفرمان الباب العالي الذي يقر ولاية محمد علي على مصر. وأشار إلى الحد، عند رأس الكنائس. ولكن هذا لم يمنع الحكومة المصرية من التوسع غرباً حتى مرسى مطروح برغبة الوصول إلى السلم وخليج بومبا. ولم يعترض الباب العالي على هذا التوسع المصري، لأنه كان ينظر إلى مصر نظره إلى مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية العثمانية.

بل تردد القول في بعض الفترات عن احتمال ضم طرابلس الغرب وبرقة إلى مصر<sup>(٦٣)</sup>.

وكان الوالي علي رضا باشا، وهو عربي من أصل جزائري تلقى تعليمه بفرنسا وتولى أعلى المناصب العسكرية بالجيش العثماني، قد أظهر اهتماماً واضحاً بتطوير المنطقة الشرقية (البطنان). وكان يرى أنها مهيأة لاكتساب أهمية كبرى بعد افتتاح قناة السويس<sup>(٦٤)</sup>. وأنشأ لهذا الغرض في سنة ١٨٦٩ ناحية بومبا وناحية طبرق، وشيد في هذه المنطقة حصنين، وكان يتمنى إقامة (مستوطنات) لتعمير المنطقة.

(٦٣) محفوظات القنصلية الملكية الإيطالية بطرابلس، رسالة ٧ - ٥ - ١٨٦٣. وتذكر الرسالة أنه قد وصلت إلى طرابلس يوم ٧ مايو ١٨٦٣ إلى طرابلس قادمة من الإسكندرية باخرة مصرية، بعد أن توقفت بينغازي ودرنة. ولم تعرف الغاية من مجيئها ولكن تردد القول بأنها كانت تهيء لضم ولاية طرابلس إلى مصر.

(٦٤) نختجال في رحلته (الصحراء والسودان). بالألمانية. برلين ١٨٧٩ - ١٨٨٩ ج ١ ص ٢٤ فيرود: ص ٤٢١ - ٤٢٢.



أما في دواخل برقة فقد كان العمل التركي معدوماً تقريباً. وحل محله نشاط السنوسية، سواء في الجغبوب أو الكفرة. وهما مركزا زعيم الطريقة ويعترفان اسمياً بالسيادة العثمانية، ولكنها لم يكونا يداران من قبل السلطة العثمانية. وعندما انفجرت الحرب التركية - الإيطالية قامت الحكومة (الأنجلو مصرية) باحتلال السلوم التي كانت تحت السيادة التركية، وكانت بها حامية عسكرية تركية<sup>(٦٥)</sup>.

أما في المناطق الغربية فلم تكن ثمة مشكلة حدود حتى سنة ١٨٨١ أي طوال الفترة التي ظلت تركيا تمارس فيها سيادتها على تونس. ولم تقم حكومتا طرابلس وتونس بأي نشاط خاص نحو الداخل. ولم يشعر بالحاجة إلى رسم حدود أو تحديدها. وقد اعترف السلطان (لباي) تونس في ١٨٧١ بولاية وراثية داخل الحدود القديمة المعروفة<sup>(٦٦)</sup>. وقد ورد هذا التعبير الغامض في فرمان الذي بعث به السلطان إلى باشا مصر في سنة ١٨٤١، غير أنه ألحق بالفرمان خارطة تحدد المقصود بالحدود القديمة المعروفة. ولا يبدو أنه كانت ثمة خارطة مماثلة مرفقة بالمرسوم الخاص بباي تونس.

وعلى كل حال فإن الحد - دون أن يرسم على الخارطة أو يحدد بالموقع - كان هو الحد الذي تقرر ودياً الاعتراف بأنه ينتهي عند البحر عند (البيبان). وقد حدد الكابتن الإنجليزي (سميث) في سنة ١٨٢٠ الحدود الغربية لليبيا، بطريقة تدخل ضمنها الموقع المعروف باسم القلعة الطرابلسية بزريس<sup>(٦٧)</sup>.

(٦٥) رسمت الحدود الشرقية لليبيا بموجب الاتفاق الإيطالي المصري الموقع في ٦ ديسمبر ١٩٢٥. وقد صدرت عدة مقالات وكتب عن الحدود الشرقية نذكر منها: ما نشره (جيانيني) في مجلة (الشرق الحديث) الإيطالية ج ٦ سنة ١٩٢٦ ص ١ - ٦ بالإضافة إلى ما نشر في مجلات (المجلة الاستعمارية مجلة المستعمرات والشرق، ومجلة Rassegna) خلال الفترة الواقعة بين ١٩٢٤ - ١٩٢٦ ومن الكتب:

M. Checchi (L'Oasi di Giagabub) Bengazi 1925).

A. Meriano (La Questione di Giarabub) Bologna 1925.

Trattati, Convenzioni ecc. relativi all. Africa, Roma 1906 p. 933. (٦٦)

Elie de la Primaudaie (Le littoral de la Tripolitaine: Commerce, navigation géographique comparée, in Nouv. Annal des Voyages, Luglio - Settembre 1865 p. 289. (٦٧)

وجاء احتلال الفرنسيين لتونس فغير الوضع. إذ نقلت السلطات الفرنسية حدودها نحو طرابلس الغرب، وتوغلت أكثر إلى الشرق، على خط ينتهي في البحر الأبيض المتوسط، عند رأس جدير الذي يبدو في خارطة الجيش الفرنسي لسنة ١٨٨٧) Service Géographique de l'Armée). وكان كريسي الذي عرف باهتمامه بطرابلس الغرب قد طلب في سنة ١٨٩٠ من الجنرال (دال فيرمي Dal Verme) تقديم دراسة في الخصوص. فتبين له أن فرنسا قد استغلت في سنة ١٨٨٦ حوالي خمسة آلاف كيلومتر مربع من الأراضي الطرابلسية لصالح تونس<sup>(٦٨)</sup>.

وقد أخطر محمد الدربازي قائمقام غدامس، حكومة طرابلس، برسالة مؤرخة في ٣ رمضان ١٣٠٩ هـ (١ أبريل ١٨٩١) بوصول ضابط فرنسي ومعه ١٦ (حنة) من قبيلة ورغلة و ٥٠ رجلاً. وكانوا جميعاً متجهين نحو منطقة طوارق أزقر. وقد حطوا رحالهم في وادي تمنكور ثم تابعوا رحيلهم نحو تماسين. وجابوا هذه المنطقة، وكانوا في طريق العودة إلى الغرب، حين نبههم أهالي المنطقة إلى أنهم سيتعرضون لخطر القتل من قبل الطوارق<sup>(٦٩)</sup>.

ورغبة في الحد من حوادث الحدود قررت فرنسا وتركيا العمل على تخطيطها وتحديدها. وكلفت لجنة بدراسة ذلك، واجتمعت في زوارة في مارس ١٨٩٣، وانتهت اجتماعاتها دون الوصول إلى نتائج إيجابية<sup>(٧٠)</sup>.

وتزايد خطر حوادث الحدود حين أخذ الأتراك على أنفسهم مراقبة الحدود بدقة، وإقامة حاميات في المناطق المهمة. وكانت تقع بين الجانبين من حين إلى آخر غارات وخرق للحدود. وفي نهاية سنة ١٩٠٩ هوجمت فرقة تونسية قرب وازن، من قبل جنود نظاميين أتراك، وقد أحدث الحادث انعكاسات كبيرة وكان مثار تعليق عنيف في الصحافة الاستعمارية الفرنسية.

(٦٨) ج بالومبو- كارديللا: (كريسي وسياسة البحر الأبيض المتوسط والمستعمرات) في مجلة (بوليتيكا) الإيطالية - يونيو وأغسطس ١٩٢٨ ص ٤٢٦.

(٦٩) المحفوظات التركية بطرابلس.

Afrique Francaise, Rens. Col. 1919 p. 409 - 410.

(٧٠)

واقترنت تركيا حينذاك بالتفاوض مع فرنسا، في الاجتماع الذي دعي لعقده في طرابلس والذي استمر من ١١ ابريل إلى ١٩ مايو ١٩١٠. وانتهى باتفاق ١٩ مايو الذي كان لصالح التونسيين بصفة تامة، إذ حدد الحدود من النقطة التي تبدأ من رأس جدير، مدخلاً ضمن الحدود التونسية مواقع بن قردان والذهبيات، وظلت واحة غدامس بولاية طرابلس، ولكن على مسافة قريبة من الحدود، بحيث قلت أهميتها عما كانت عليه<sup>(٧١)</sup>.

أما في القطاع السفلي من الحدود الجنوبية الغربية التي لم يتم بشأنها أي اتفاق أو تحديد حقيقي بين فرنسا وتركيا، فقد كانت منشأ خلافات دائمة، بسبب ميل الفرنسيين إلى مد سلطتهم إلى غربي الخط الواصل بين غدامس وغات والمناطق الواقعة جنوبي هذه الواحة الأخيرة<sup>(٧٢)</sup>. وقد أبلغت السلطات التركية المحلية حكومة الولاية بنشاط الدوريات الفرنسية التي توغلت حتى (هوانت) (Ohanet - Hôhânet) على مسافة يومين إلى الجنوب من غدامس. وقامت بدراسات طوبوغرافية للمنطقة. وتتضمن وثائق المحفوظات التركية شكاوى عديدة من هذا النوع.

ولم تصل فرنسا وتركيا مطلقاً إلى أي اتفاق على ملكية واحة (جانيت)

---

(٧١) في مضبطة موجهة من مجلس إدارة قضاء غدامس بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٠٩ إلى متصرف الجبل، شكوى من قيام القوات الفرنسية بخرق الحدود عند بئر زاف وهوانت.  
(٧٢) نشر نص الاتفاق الفرنسي - التركي بخصوص الحدود الغربية مع التقرير المقدم إلى الجمعية الوطنية الفرنسية في:

Afrique Française. Rens. Col. 1910 p. 409 - 410.

أنظر أيضاً:

E. Rouard de Card (Traité de délimitation concernant l'Afrique Française) Paris 1910 p 199 - 202 et Supplément 1910 - 1913 p. 121 - 126.

وعقب الاتفاق كلفت لجنة مشتركة بتحديد الحدود على الطبيعة. وقد عرضت نتائج أعمال هذه اللجنة التي ختمت أعمالها في الذهبيات يوم ١٣ فبراير ١٩١١ في تقرير باللغة العربية محفوظ ضمن وثائق دار المحفوظات لطرابلس، وقد نشر في اللغة الإيطالية بترجمة رابكس:

R. Rapex (Resultato dei lavori ecc) Tripoli 1913.

الواقعة عند الطرف الأقصى من الحدود الجنوبية. وسوف نوضح ذلك فيما بعد<sup>(٧٣)</sup>.

أما بخصوص التغلغل في إفريقيا فقد كانت تركيا تتوفر على مركزين متقدمين هامين، هما: مرزق وغدامس. ويمثلان أحسن المواقع لتأدية المهمة كمركز إ شعاع للنفوذ السياسي والتجاري، في تلك العهود التي كانت تتخذ قوافل السودان، من طرابلس، نقطة انطلاق ومحطة رئيسية. ولم يفتن الأتراك بسرعة، أو لم يعرفوا طريقة استغلال هذه الميزة التي يوفرها لهم هذا الوضع

(٧٣) أعيد تحديد الحدود الليبية الغربية طبقاً للاتفاق الإيطالي الفرنسي الذي أبرم في ١٢ سبتمبر ١٩١٩ (أنظر النص لدى رواردي دي كارد):

E. Rouard de Card, Traités ecc, Supplément - 1914 - 1915 p.78, 79.

ويعتني ذلك الاتفاق فقد أجريت تعديلات طفيفة على الحدود الممتدة من غدامس إلى غات لصالح إيطاليا، كما اعترف أيضاً لإيطاليا بالسيادة على البركات وفوات الواقعتين إلى الجنوب وإلى الغرب من غات. وظلت جانب تابعة لفرنسا. أما بخصوص الحدود الجنوبية فقد تم تحديد القسم الممتد من غات حتى جبال تومو، ولم يتم الاتفاق على المسافة التي تمتد من جبال تومو حتى التقاء الحدود مع السودان (الأنجلو مصري). أنظر:

T. Tittoni (Il confine meridionale della Libia in (Gerarchia) luglio 1927 e in (Questioni del giorno, Milano 1928).

R. Cantalupo (L'Italia Musulmana) Roma 1928 p.253 - 272.

G. Massi (Per le frontiere meridionali della Libia in l'Oltremare), febbraio 1929 p. 80 - 82.

أما بخصوص وجهة النظر التي تبنتها الصحافة الاستعمارية الفرنسية، فانظر: L'Ariqne Française, 1928 p. 500 - 503.

أنظر أيضاً البحث المستفيض الشامل الذي أحاط بالموضوع وقد كتبه سالفاتي بعنوان: الصحراء الشرقية وحدود ليبيا ونشره بمجلة بوليتيكا:

C. Salvati (Il Sahara Orientale ei confini della Libia) Politica, vol XXXVI - 1926 p.118 - 142, 352 - 377.

مع بيلوغرافية شاملة للموضوع، ثم نشره في كتاب صغير بعنوان: Italia e Francia, nel Sahara - Roma 1929.

أنظر أيضاً بترانياني في كتابه الصحراء الطرابلسية:

E. Petregnanì (Il Sahara Tripolino) Roma 1929 - p. 227

H. Barth, Voyages et découverts dans l'Afrique, Paris 1861, VI, p. 186.

الممتاز. وهكذا ظلت تلك المراكز الداخلية، لفترات طويلة، عديمة الأهمية، لولا بعض الحركات التجارية النادرة وتجارة الرقيق.

وعلى الرغم من المرسوم السلطاني الصادر في ١٨٥٣ بمنع تجارة الرقيق، والغاء النخاسة، فلم تكن السلطات التركية لتملك القدرة للقضاء عليها. ولم تستطع أن تجد لها بديلاً في الحركة التجارية التي كان من شأنها أن تعيد تجارة القوافل إلى سابق ازدهارها.

ويلاحظ الرحالة (هنريك بارث)<sup>(٧٤)</sup> الذي قام برحلة في دواخل طرابلس الغرب وإفريقيا الوسطى بين ١٨٤٩ - ١٨٥٥ أن جبال تجرحي وتوموتكوّن (الحد المتصور بين فزان وبلاد التبو المستقلتين). ومع ذلك فيجب أن نقبل بأن الحكومة التركية قد اهتمت بشكل ما بالجنوب الطرابلسي (الهنترلاند) لأسباب سياسية وتجارية مختلفة، وكذلك بالمصالح التي كانت تجذب إلى تلك المناطق تجار الرقيق.

وقد قام الوالي أحمد عزت باشا في عام ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ - ١٨٥٩) بأولى خطوات التوغل في جنوبي فزان باسطة الحماية العثمانية على جبال تبستي. وكان هذا الإجراء الذي استقيناه من مصدر تركي، يحمل معنى النزوع السياسي دون أن تتبعه نتائج محسوسة<sup>(٧٥)</sup>. ذلك لأن الرحالة الألماني نختجال الذي كان موجوداً بفزان في ١٨٦٩ محاولاً القيام برحلة جريئة إلى التبستي، يشير إلى أن سكان فزان الجنوبية ينظرون إلى سكان تبستي كجزء منهم. ولكنه لا يشير في الوقت نفسه إلى أية سيادة أو حماية فعلية للأتراك على تلك المنطقة. وطبقاً لما يراه نختجال فإن منطقة القطرون الجنوبية النائية تتضمن (باكهي Bakhkhi) ومدروسة وتجرحي. وكانت السيادة التركية على غات أكثر وضوحاً ورسوخاً. ففي سنة ١٨٤٩ بعث أهالي تلك المنطقة إلى الوالي بطرابلس (مضبطة) جماعية يطلبون فيها من تركيا تعيين قائد وقاض<sup>(٧٦)</sup>. ولم يلق الطلب استجابة من

Reiseu and Entdeckungen, Gotha 1857 - 58, 111 p. 58.

(٧٤)

(٧٥) ناجي ونوري (طرابلس الغرب) اسطانبول ١٩١٢ ص ١٦٥ الهامش رقم ٢.

(٧٦) المحفوظات التركية بطرابلس، مجلد ١ من محاضر مجلس الإدارة.

السلطات التركية القائمة آنذاك. وبعد ذلك بستة وعشرين عاماً تهيأت الفرصة للأتراك لكي يسيطروا سيطرتهم على تلك الواحة. وقد أحسنوا استغلال الفرصة، في هذه المرة.

وكان قد نشب نزاع بين طوارق أزقر وطوارق هوجار، فتدخل والي طرابلس مصطفى عاصم باشا<sup>(٧٧)</sup>، بقوات عسكرية (فبراير ١٨٧٥) إلى جانب الشيخ محمد صافي الذي عينه قائمقاماً على غات، ومنح لقب باشا. وانتقل الوالي بنفسه إلى غدامس. وتمكن من مراقبة تطور الأحداث، ودرس إمكانية التغلغل العثماني في السودان. في الوقت الذي اتخذت فيه حكومة الآستانة الإجراء بتنحيته عن الولاية، ونقله إلى اليمن، ولكنه عرض مشروعه على الحكومة المركزية، وبعث بتقاريره في الخصوص، قبل أن يغادر مهام منصبه بطرابلس، فكان نصيبها الإهمال<sup>(٧٨)</sup>.

ووجدت خطة مصطفى عاصم باشا منفذاً متحمساً في شخص مصطفى فائق باشا متصرف فزان. فأنشأ في سنة ١٨٧٩ قضائين جديدين بفزان، قضاء لطوارق أزقر، والآخر لتبورشادة في التبستي، ومركزهما (جانيت) و(برداي)<sup>(٧٩)</sup>. وإلى الجنوب من ذلك كان النفوذ العثماني واهياً مقتصراً على تبادل المجاملات والسفارات. وفي سنة ١٨٦٩ بعث السلطان عبد العزيز بواسطة الوالي علي رضا باشا هدية إلى سلطان بورنو مكونة من سيف شرقي ومصحف مخطوط<sup>(٨٠)</sup>.

(٧٧) محفوظات قنصلية إيطاليا. رسالة بتاريخ ٣ - ١٠ - ١٨٧٥.

(٧٨) ناجي ونوري (نفس المصدر) ص ١٦٥ هامش رقم ١. وبخصوص احتلال غات انظر (حوليات) فيرود ص ٥٢٦ - ٤٢٨ وكذلك:

Kraus (La Citta di Chat) in, Pionieri Italiani in Libia p. 94 - 96.

(٧٩) ناجي ونوري ص ١٦٦.

(٨٠) فيرود ص ٤٢٦.

توجد في مكتبة (مئة كتبناجي) باسطنبول في إحدى الأقسام الخاصة بالخطوط مخطوطة رسالة بالخط المغربي موجهة من حاكم زنדר إلى والي طرابلس، ولا تحمل سوى تاريخ اليوم والشهر الذي أرسلت فيه مع إغفال السنة التي يقع فيها هذا الشهر. ويمكن ردها إلى سنة ١٨٧٠ =

وحوالي ١٨٨٠ أخذت المطامع التركية في إفريقيا الوسطى تصطدم بالمصالح والمطامع الفرنسية. فبعد المذبحة التي وقعت لبعثة (فلاترس P. F. Flatters) سنة ١٨٨١، لجأ طوارق هوجار المتورطون في هذه المذبحة، إلى قائمقام غدامس، ملحين على مساعدة حكومة الأستانة لهم على الكفار المستغلين. ولكن الوالي بطرابلس رفض أن يقدم إليهم أي ضمان. ومن الثابت أن ذلك كان بناء على تحذير صادر إليه من الباب العالي. بل إن الوالي قام بتسليم رسالة من زعيم الطوارق إلى القنصل الفرنسي بطرابلس (فيروود) في الوقت الذي أجابهم سلطان المغرب الذي يدعي حق السيادة على بلدان الصحراء الوسطى (توات وتيديكلت) برد مشجع.

وكانت تركيا تدرك بصفة جديّة نوايا فرنسا الجادة في التوسع في الصحراء. وقد اتخذت في البداية موقفاً مهادناً إزاء المطامع الفرنسية بينما أراد الوالي محمد نظيف باشا في ١٨٨١ التمسك بالنتائج التي أمكن تحقيقها، حتى ذلك الوقت. وذلك بارسال حامية إلى التبستي. ولكن خليفته، أحمد راسم باشا الذي وصل إلى طرابلس في أكتوبر ١٨٨١ عزل متصرف فزان النشط (مصطفى فائق باشا) ولامه (على تبذير المال في سبيل طموحه والجري وراء مشروعات خيالية بحجة إخضاع السودان كله مقابل صرف مرتبات للزعماء)<sup>(٨١)</sup>.

وتلت ذلك أعوام من الركود. وفي ديسمبر ١٨٨٦ وقع حادث مؤلم أثر في التغلغل التركي في الدواخل. إذ قام بعض الطوارق المتمردين بقتل حامية غات، بقيادة الكابتن جعفر أفندي. وفي مايو من العام التالي أقيمت حامية جديدة في غات التي تجدد احتلالها<sup>(٨٢)</sup>. وكان الوضع ما يزال مساعداً ومهيئاً

---

تقريباً. وقد كتبت في عربية سيئة وهي تتحدث عن الرغبة التي حملها الشريف محمد قنابة إلى سلطان زندر في الحصول على بعض العبيد الخصيان (طواشي) وزرافة. وقد أرسل إليه خصياً وخمسة جلود ثم وعود بإرسال الزرافة.

وأسرة قنابة معروفة بطرابلس ومصراته وكانت تمارس تجارة القوافل مع السودان. (أنظر الترجمة الإيطالية لهذه الترجمة في الهامش رقم ٩٥ من صفحة ٣٣٩ من أصل الكتاب).

(٨١) ناجي ونوري ص ١٦٦.

(٨٢) ناجي ونوري ص ١٦٦.

لتأكيد السيادة التركية على المواقع الداخلية من فزان وبحيرة تشباد. وكان من شأن السياسة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني أن تسهل التوغل في تلك البلدان المسلمة. ولم يكن يلزم لذلك سوى أن تتوفر للإمبراطورية العثمانية حرية الحركة والسياسة الثابتة، الأمر الذي كانت تفتقر إليه تمام الافتقار. وصادف ضعف تركيا تجدد النشاط الاستعماري للدول الأوروبية الكبرى وانبعاثه، ولم تكن فرنسا تخفي خططها الرامية إلى الامتداد نحو الشرق، وتوسيع الجنوب الجزائري. والتونسي<sup>(٨٣)</sup>.

ولكن المسؤولين السياسيين الأتراك لم يتخلوا عن تطلّعهم الإفريقي. يشهد بذلك كتيب صغير مجهول، عنوانه (أهمية طرابلس وبنغازي والصحراء الكبرى والسودان) من تأليف العقيد عمر صبحي. وقد قدمه إلى السلطان عبد الحميد الثاني في شهر مايو ١٨٨٨، ثم قدمه إلى المطابع التركية، بعد عامين من ذلك. فطبع في الآستانة سنة ١٨٩٠<sup>(٨٤)</sup>. وقد درس المؤلف الأوضاع الجغرافية والأحوال الاقتصادية والحدود والتقسيمات الإدارية لولاية طرابلس الغرب وبنغازي وأراضي الصحراء الكبرى والسودان، ونوه بأهمية طرابلس وبنغازي كقاعدتين للتجارة مع دواخل إفريقيا. وكان يراها (مركزين لكافة عمليات التأثير الحضاري التي يمكن توجيهها في المستقبل إلى إفريقيا الوسطى) ويرى المؤلف أن المقاطعات التي تهم السياسة التركية هي الصحراء الوسطى الشرقية من توات إلى كاوار والتبستي وبوركو. وفي الوقت الذي كانت فيه تركيا مكثفة بتقدير أهمية الصحراء والسودان، كانت فرنسا وإنجلترا قد اتفقتا على اقتسامها في اجتماعات ٥ أغسطس ١٨٩٠. وقد فزعت الحكومة التركية من

(٨٣) ينصح Bissuel في كتابه المذكور ص ١٣ الحكومة التركية بتقديم تنازلات إلى فرنسا في خصوص الصحراء مقابل العون الفرنسي ضد المطامع الإيطالية وتدمير السنوسة التي كانت تثير كثيراً من المضايقات للحكومة التركية.

(٨٤) إنه كتيب صغير يقع في حوالي ٨٨ صفحة. كان بالمكتبة الإمبراطورية بقصر يلدرم التي نقلت في سنة ١٩٢٥ إلى مقر جامعة اسطنبول. وقد أتيحت لي أن أراجعه في ربيع سنة ١٩٢٥ وأنصفح الطبعة المجلدة تجليداً أنيقاً والمزودة بأوراق القيادة التركية العليا التي لا توجد بالطبعة التجارية وقد قدمها مؤلفها هدية إلى السلطان مع رسالة تقديم من سر عسكر علي سعيد باشا.



التهديد الذي كانت تراه موجهاً إلى الأراضي التي كانت تدعي حق السيادة عليها، ورأت من المناسب أن تجدد حقوقها في إفريقيا، فأرسلت إلى ممثليها في باريس ولندن المذكرة المشهورة بتاريخ ٣٠ أكتوبر ١٩٨٠ التي تعلن فيها<sup>(٨٥)</sup>: (أن القسم الجنوبي من طرابلس الغرب، المتاخم للصحراء الكبرى، بالإضافة إلى مقاطعات غدامس وغات وأزقر وطوارق ومرزق (مركز فزان) والقطرون وتجرحي وتوابعها التي تدار كلها من قبل السلطة الإمبراطورية العثمانية، ينبغي أن تكون كلها مشمولة بحقوق السيادة العثمانية طبقاً للأعراف القديمة ولاتفاقيات (الهنتلاند). وتنطلق حدود هذه المنطقة بالقرب من الحدود الجنوبية التونسية. في النقطة المعروفة باسم بشر التركي إلى الشمال الشرقي من Berresoh) وتنحدر نحو بورنو، مارة شرقي غدامس وطوارق أزقر، متضمنة واحة قبابو Djebabo وعقرم Agram وتمر بشمال الكاميرون. ومنها تتبع الخط الفاصل بين حوض الكونغو والتشاد بحيث تتضمن داخلها مناطق بورنو وباقرمي ووادي وكانم وأونيانغا وبوركو والتبستي تاركة ضمن سيطرتنا طريق القوافل الكبيرة التي تنطلق من مرزق إلى كوكا عبر واحات (ياح وكاوار وأوغادن).

ولكن المذكرة التركية لم تمنع فرنسا في سنة ١٨٩٤ من الحصول على حرية التصرف في إفريقيا الوسطى. أولاً، باتفاقية ١٨٩٤ مع دولة الكونغو البلجيكي، ثم بمقتضى الاتفاقية الإنجليزية الفرنسية التي جاءت بعد حادثة (فاشودة). ومهدت لذلك ببعثات دراسية واكتشافية واستطلاعات عسكرية، وأخذت فرنسا تزحف نحو مناطق بحيرة تشاد، وظلت مذكرة الاحتجاج التركية صيغة جوفاء في نظر فرنسا وإنجلترا، رغم أنها قد تعهدتا في اتفاقية ٥ أغسطس

(٨٥) ورد نص الاتفاق الفرنسي الإنجليزي بتاريخ ٥ أغسطس ١٨٩٠ والمذكرة التركية بتاريخ ٣٠ أكتوبر ١٨٩٠ في كتاب:

Trattati, Convenzioni ecc. relativi all' Africa (1852 - 1906) Roma, 1906, vol 1 p.300 - 304.

وكذلك:

C. Salvati (Italia e la Francia nel Sahara orientale) Roma 1929 p.32 - 33.

١٨٩٠ باحترام الحقوق التي يمكن أن تكون لتركيا في الحدود الجنوبية لسيادتها على طرابلس الغرب.

وكما بين أحد المشرعين الإيطاليين<sup>(٨٦)</sup> فإن ما حدث من اقتسام مناطق النفوذ حول بحيرة تشاد، قد شكل مثلاً فريداً على عدم ملاءمة التأكيد لحقوق السيادة على بلدان لم تباشر حتى الخطوات الأولى لاحتلالها.

لقد تحدثنا عن أهمية العمل الذي قامت به الطريقة السنوسية في الأقاليم المجاورة لإفريقيا الوسطى. وكانت السنوسية قد استقرت بركة منذ سنة ١٨٩٠ ونقلت مركزها الرئيسي إلى الجغبوب في سنة ١٨٥٦ ومن هناك امتدت فروعها في فزان والتبستي وإفريقيا الوسطى. كما ساعد نقلها لمركزها إلى الكفرة في سنة ١٨٩٥ على عملياتها في الجنوب. ولم تكن الحكومة التركية تجهل النشاط السنوسي أو تغفل عنه. وإن كانت العلاقات بين تركيا والسنوسية غير واضحة. وكان يوجد بلا ريب شيء من العداء يضمه السنوسيون للأتراك الذين وضعهم ابن مؤسس السنوسية في صف واحد مع الكفار. ولكن من الحق أن يقال إن الأتراك قد سمحوا للسنوسيين بسلطة ذاتية واسعة حتى إنهم أذنوا بتأسيس دولة شبه مستقلة، محولين الاستفادة من أعمالها وتحويلها لصالح دعوتهم الإسلامية في مواجهة التهديد بالزحف الفرنسي.

وكان عظم زادة صادق باشا المؤيد، من الشخصيات التي ظفرت بثقة السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(٨٧)</sup>. وقد أرسل في سنة ١٨٨٦ في بعثة إلى الجغبوب لدى السيد محمد المهدي، كما أوفد في نهاية سنة ١٨٩٥ إلى السيد ذاته في مقره الجديد بالكفرة. وقد غادر الأستانة في أكتوبر ١٨٩٥ متوجهاً إلى بنغازي تصحبه حراسة مؤلفة من أربعة جنود، واتخذ طريقه إلى جالو، ومنها إلى الكفرة التي وصلها في ٧ نوفمبر ١٨٩٥، وأقام بها عدة أيام للتباحث والتفاوض مع زعيم

II Catellani in (L'Africa Nuova e il diritto pubblico africano) Rivista di Sociologia 1907 (٨٦)  
Rivista Coloniale 1911 p. 3 - 9.

H. Bissuel: (Le Sahara français) Alger 1891 p.67.

(٨٧)

السوسية. وعاد إلى بنغازي في أوائل ديسمبر من العام نفسه، ماراً بجالو. وقد روى صادق باشا رحلته في سلسلة من المقالات التي نشرها بالمجلة التركية (معلومات). وترجمت هذه المقالات إلى العربية ونشرت في الأستانة بعنوان: (رحلة صاحب السعادة عظم زاده صادق المؤيد إلى صحراء إفريقيا الوسطى)<sup>(٨٨)</sup> ولا يصحح المؤلف بغايته من الرحلة<sup>(٨٩)</sup>، ولا ينقل إلينا المحادثات التي جرت مع الشيخ السنوسي، ولكنه يذكر فقط أن هذا الشيخ قد سلمه رسالة إلى السلطان. ويذكر التأثير الذي سرى إلى نفسه عند صلاة الجمعة في الكفرة وسماعه للدعاء باسم السلطان في الخطبة. أما التقرير عن الرحلة الذي يستحق الترجمة فهو هام لما تضمنه من معلومات عن الكفرة وجالو وأوجلة والجغبوب، وهو يظهر اهتمام الأتراك بالبلدان الجنوبية من طرابلس الغرب. ويشير إلى العلاقات بين متصرف بنغازي وسلطان الواداي ويقول إنها حسنة، وأن السكان متعلقون - بصفة عامة - بالخليفة الأعظم عبد الحميد.

واستمرت فرنسا في تنفيذ خطتها في إقليم تشاد، وأمكنها أن تفتت مقاومة الأهالي التي أثارها الدعوات السنوسية. وبدو قلق الأتراك من النشاط الفرنسي من خلال الوثائق المحفوظة بطرابلس. ففي ٩ سبتمبر ١٩٠٠ كتب محمود بك، متصرف فزان، إلى الوالي بطرابلس يبلغه باحتلال الفرنسيين لمنطقة توات. ويشير إلى التحركات الفرنسية الرامية إلى الاستيلاء على بورنو والتبستي وملاحقتها. ويقترح المتصرف احتلال إقليم التبو (التبستي) عسكرياً. ويلاحظ أن قبائل التبو تتألف من القبائل المعروفة باسم كوار ورشادة التي يمكن إدخالها بسرعة تحت الإدارة العثمانية بتكوين قضائين مختلفين. وينصح ببناء ثكنة محصنة

(٨٨) مطبعة طاهر بك ١٣١٨ (١٩٠٢) ٦٨ صفحة.

(٨٩) انظر المراجع التالية:

H. Duveyrier La Confrérie musulmane de Sidi Moh. ben Ali es Senousi) Roma 1918.

Zàuie e Ichuan senussiti della Tripolitania Tripoli 1917,

Carlo Ciglio (La confraternita senussita dalle sue Origini ad oggi Padova 1932.

C. A. Nallino, Raccolta di scritti editi e inediti, vol II Roma 1950 p. 384. 410.

وإرسال حامية عسكرية نظامية، بقيادة رائد من القيادة العامة<sup>(٩٠)</sup>.

وفي سنة ١٩٠٢ أبدت الصحافة الفرنسية تأثرها من الأنباء التي ترددت عن تصميم الأتراك على تنفيذ برنامجهم التوسعي في إفريقيا، وقيامهم بزيادة الإمكانات العسكرية في طرابلس الغرب، وتدعيم استحكامات غدامس ومرزق وغات، وإرسال قوات إلى بيلما (كاوار). وقد اكتسب الخبر الأخير طابعاً خاصاً من الخطورة، إذ أشارت الأنباء إلى توجيه ألف جندي تركي لاحتلال تلك المقاطعة. وقد نفت السلطات التركية هذه الأخبار التي لم تكن كلها عارية عن الصحة<sup>(٩١)</sup>. وفي سنة ١٩٠١ - ١٩٠٢ وجهت حملة تركية إلى (بيلما) وتصرف الفرنسيون تصرفاً حازماً جاداً، فتوغلوا بزحفهم سنة ١٩٠٣ حتى بلدة (أغادس). وفي سنة ١٩٠٦ احتلوا (بيلما)<sup>(٩٢)</sup> نفسها التي ضمت إلى الإقليم العسكري بالنيجر، بمرسوم صادر في ١٨ يناير ١٩٠٧ من الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسية.

ولم يبق سوى إقليم التبستي خارجاً عن احتلال الفرنسيين. وقد قام الأتراك في سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٦) بإنشاء قضاء بتبو رشادة ومقره (برداي)<sup>(٩٣)</sup>، ويعود الفضل في هذا العمل إلى الوالي الحازم رجب باشا الذي استدعى إلى مرزق زعيم تبو رشادة (ماينا سافامي) وعامله معاملة طيبة، ودفع له المتأخر من مرتباته الشهرية المقررة له من قديم، ومقدارها ٢٥٠ قرشاً شهرياً، وأرسله بالعلم التركي إلى برداي يرافقه حارسان.

(٩٠) المحفوظات التركية لطرابلس.

Afrique française, 1902 p 140 - 1903 p. 292.

(٩١)

F. Rouard De Card (La politique française à l'égard de la Tripolitaine) Paris - Toulouse 1906.

وللمؤلف أيضاً:

La France et la Turquie dans le Sahara Oriental - Paris 1911.

(٩٢) ناجي ونوري ص ١٧٥.

(٩٣) ناجي ونوري ص ١٧٦.

ويبدو من عدة قرائن مختلفة أن الأتراك قد حاولوا في الأعوام العشرة الأخيرة من حكمهم وسيادتهم على ليبيا، مضاعفة جهودهم للتوغل في إفريقيا. وفي سنة ١٩٠٦ غادر طرابلس متجهاً إلى غات الكابتن عبد القادر جامي بك ليتولى قيادة الحامية بها<sup>(٩٤)</sup>. وكان ضابطاً مساعداً لرجب باشا. ولم تغب عن الصحافة الفرنسية، أهمية هذه البعثة العسكرية السياسية لهذا الضابط. وهي البعثة التي تعبر عن الرغبة في بذل نشاط أقوى وأكبر لسيط النفوذ التركي بين طوارق أزقر إلى الغرب وإلى الجنوب من غات<sup>(٩٥)</sup>.

وفي نفس السنة اتفقت فرنسا وتركيا اتفاقاً سرياً على الاحتفاظ بالوضع القائم في الإقليم إلى حين إجراء مباحثات أخرى. إلا أن النزاع كان يشور من حين إلى آخر بسبب الغارات المتبادلة على المنطقة التي لم يتم تحديدها. وفي سنة ١٩٠٨ قامت فرقة فرنسية بإنزال العلم العثماني<sup>(٩٦)</sup>، في جانب، وتردد من جديد في سنة ١٩١٠ - ١٩١١ القول باعتزام تركيا احتلال جانب التي كانت تركيا تعلن حق السيادة عليها بما لا يقبل التشكيك أو النزاع. وقد فكرت الحكومة التركية فعلاً في الاحتلال الفعلي والدائم لإقليم (التبستي)<sup>(٩٧)</sup>. وفي رسالة باللغة التركية، مؤرخة في ٢١ شباط (٦ مارس ١٩٠٨) موجهة إلى متصرف فزان، بلا توقيع تقترح إنشاء ناحية في المنطقة الشرقية من التبستي، وإسناد منصب المدير إلى الزعيم (ماينا كامتي) بمرتبة قدره ٢٠٠ قرش شهرياً على أن تكون تابعة لقضاء تبورشادة الذي سيتقاضى القائم مقام به زيادة في مرتبه ترفعه من مئتي قرش إلى خمسمائة قرش شهرياً. وكان الغرض من ذلك الإجراء الاحتفاظ بخضوع (الماينا كامتي) الذي كان يثير

(٩٤) رحلة جامي بك - الأستانة ١٩١١.

(٩٥) Afrique Française 1908 p. 238 - 240.

(٩٦) في المحفوظات التركية بطرابلس برقية موجهة من متصرف فزان رامي بك إلى والي طرابلس بتاريخ ١٨ تموز ١٣٢٥ (٣١ - ٧ - ١٩٠٩) تخبره بقيام الفرنسيين باحتلال ناحية جانت بقوة تتألف من مئتين من (المهاري) ومدفعين ولم تواجه القوة الفرنسية أية مقاومة.

(٩٧) احتل الفرنسيون جانت في ١٩١٣.

الاضطرابات في التبستي بغزواته المستمرة. وقد نشأ عن هذه الاضطرابات تحويل طريق القوافل المتجهة من الوادي نحو الشمال بحيث تجنبت التبستي لتتابع طريقاً أطول وخالية من المياه. وهي طريق (جيرو- كفر- بنغازي) وتتضمن الرسالة أيضاً الاقتراح بإنشاء حامية تركية في برداي قوامها خمسون جندياً نظامياً، وأن تخصص الضرائب التي تجبى من القوافل لمواجهة نفقات إنشاء ثكنة (كشلة) ومقر إقامة (كوناك).

وتختتم الرسالة بهذه الطريقة:

(إن الاحتلال الثابت لإقليم التبستي سيخلق انطباعاً ممتازاً في البلدان الإسلامية مثل باقرمي والوادي اللتين لم تقبلتا بالاحتلال الفرنسي كما سيكون مفيداً للمصالح العثمانية)<sup>(٩٨)</sup>.

وفعلاً، قررت حكومة طرابلس احتلال التبستي بصفة دائمة ثابتة. وهو الإقليم الذي اعترف بالسيادة العثمانية عليه، منذ أكثر من نصف قرن، وإن كان ذلك بصفة غير محددة أو دائمة.

وقد قام متصرف فزان (سامي بك) بتعيين الكابتن الطبيب عثمان أفندي قائماً على تبورشادة، وأرسله في سنة ١٩٠٩ إلى برداي. وقد سافر عثمان أفندي صحبة أربعة من أفراد الجندرية، والشيخ علي معروف، من علماء المسلمين بفزان. ونجح في الوصول إلى مقر عمله<sup>(٩٩)</sup>. واستطاع أن يحظى بمحبة الأهالي وتمكن بمعونة أحد الزعماء التبو من بسط السيطرة التركية على (بركو)، وأنشئت ثكنات في برداي وزوارة وكونت حامية قوامها ٣٥ من أفراد الجندرية<sup>(١٠٠)</sup>.

وكان الفرنسيون الذين سيطروا على (بيلما) في كاوار، يراقبون التحركات

(٩٨) المحفوظات التركية بطرابلس.

(٩٩) تمت هذه البعثة حسب رأي سالفاتي في مايو ١٩١٠ (ص ١٣٠ - ١٣١) أما ناجي ونوري فيريان أن هذه البعثة قد تمت في سنة ١٩٠٩.

(١٠٠) ناجي ونوري ص ١٧٦.

التركية . وفي شهر مارس من سنة ١٩٠١ كان الكابتن الفرنسي (كوتس Cottes) قد التقى في (يات Yat) على طريق القطرون - بيلما، بالملازم التركي عمر لطفي الذي كان متجهاً إلى بيلما بقافلة صغيرة، مزوداً بجواز مرور من متصرف فزان. فأرغمه على العودة من حيث أتى. وانتقدت الصحافة الفرنسية الاستعمارية، في ذلك الوقت، تصرف السلطات التركية، واحتجت على خرق الإقليم الذي تعتبره فرنسا خاضعاً لنفوذها<sup>(١٠١)</sup>.

وفي أغسطس ١٩١١ رفع الكابتن (أحمد رفقي) العلم العثماني في عين كلاك أو قلاكة (Ain Kalak o Galakka) مركز بوركو. وأبدت السلطات الفرنسية في تشاد تحفظها إزاء هذا الإجراء، ولكنها احتفظت بعلاقات ودية مع الضابط التركي<sup>(١٠٢)</sup>.

وكان من المقرر أن تجتمع في خريف ١٩١١، بطرابلس، لجنة مشتركة، لتحديد الحدود الجنوبية لطرابلس الغرب، في اتجاه الصحراء الفرنسية. إلا أن الاجتماع لم يتم، نتيجة وقوع الاحتلال الإيطالي<sup>(١٠٣)</sup>.

وفي سنة ١٩١٢، وبعد إبرام الصلح بين تركيا وإيطاليا، قامت آخر الوحدات التركية بمغادرة بوركو والتبستي التي احتلتها القوات الفرنسية في سنتي ١٩١٣ - ١٩١٤.

وبتخلي تركيا نهائياً عن مصر، بحكم نصوص معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣، خرجت تركيا بصفة نهائية من إفريقيا حيث استطاعت منذ القرن السادس عشر أن تبسط نفوذاً واسعاً، عليها، مستفيدة من ظروف تاريخية

---

La France et la Turquie en Afrique (Afrique Française) 1910. p. 290 - 291. (١٠١)

R. De Caix (La question du Tibesti).

Afrique Française 1911 p. 88 - 90.

Largeau. La situation du territoire Militaire du Tchad au début de 1912, Paris 1913 (١٠٢) p. 21.

M. Courtier (Les Turcs en Afrique Centrale. La frontière franco - Tripolitaine) in (١٠٣) Afrique Française 1911 p. 320 - 328.

معينة، ومن الوحدة الدينية. وفي طرابلس التي امتدت سيطرة الأتراك عليها أكثر من أي مكان آخر، ترك الأتراك أثراً في أسماء بعض المواقع القليلة مثل (العزيزية) وبعض الكلمات التي أخذت في الزوال، خاصة في الاصطلاحات العسكرية، وبعض الأعمال القليلة ذات النفع العام. ومن الناحية الاجتماعية كان لوجود الأتراك، وبعض الأجناس الشرقية، بعض التأثير في السلالات البشرية، خاصة في مدينة طرابلس والساحل. ولكنه لم يكن أكبر من ذلك التأثير الذي أحدثه الامتزاج بالرقيق. والتأثيران في طريقهما إلى الزوال.

## ٩ - آخر الولاة الأتراك:

كان اهتمام آخر الولاة الأتراك - كما رأينا - موجهاً بصفة خاصة، إلى عرقلة التدخل الأجنبي في طرابلس الغرب وبرقة، وحماية الحدود، إلى أبعد حد ممكن، من التغلغل الأنجلو مصري في الشرق، والفرنسي في الغرب والجنوب. وعرقلة التغلغل السلمي الإيطالي بكل الطرق.

وحاول الولاة أن يرفعوا في الأهالي روح التضامن ضد الكفار. وأمكنهم أن يحققوا بعض النتائج التي كان يفسدها ويخل بها التذمر من فرض الضرائب والتجنيد الإجباري.

وفي سنة ١٨٣٥ أعفت تركيا أهالي القبائل من بعض الضرائب مقابل تزويدها الجيش بالعناصر المعروفة باسم (القولوغلية). وشملت هذه الخدمة التطوعية في سنة ١٨٦٦ ورشفانة. وفي سنة ١٨٨٠ المحاميد، وفي سنة ١٨٨٧ قبائل الشاطيء<sup>(١٠٤)</sup>. وفي سنة ١٩٠١ رغبت الحكومة في فرض التجنيد الإجباري، فوقعت مظاهرات واضطرابات. وقامت الحكومة، بموجب إجراء اتخذته في سنة ١٩٠١، بإلغاء القولوغلية، والامتيازات المقررة لها، وفرضت

Kemali (Documenti inediti.

(١٠٤)

Sulla caduta dei Caramanli) Riv. Col. Italiane 1930 p. 7.

قام بتعريبها ونشرها الأستاذ محمد بازامة.



التجنيد الإجباري ف وقعت في أوائل ديسمبر من تلك السنة بعض الاضطرابات في صفوف الجيش التركي، وقتل ستة أشخاص أو سبعة، وجرح آخرون<sup>(١٠٥)</sup>.

ولم يستقبل الشعب في طرابلس، بارتياح، ثورة جمعية الاتحاد والترقي في سنة ١٩٠٨. إذ كان التعلق الروحي بالسلطان، ومعارضة التجديد، قد خلقا في النفوس حالة مضادة للحركات الثورية حتى ولو برزت باسم الحرية والعدالة والمساواة. وأثار الإعلان عن الحكم الجديد اضطرابات شعبية في طرابلس، كان فيها لحسونة باشا القرماني دور الزعامة المهدئة<sup>(١٠٦)</sup>.

كان الوالي حينذاك رجب باشا، وهو أحد زعماء تركيا الفتاة، وقد عين وزيراً للحربية في الحكومة الجديدة، وغادر طرابلس إلى العاصمة العثمانية فوق الباخرة (سلانيك) واستقبل في الأستانة استقبال الظافرين، ولكنه لم يلبث سوى مدة قليلة في المنصب، حتى توفي فجأة في ١٦ أغسطس ١٩٠٨ في مكتبه.

وقد خلفه على الولاية في طرابلس أمير اللواء محمد علي سامي باشا، وهو رجل عسكري بعيد عن الشؤون السياسية. ثم جاء بعده فوزي باشا، ثم حسن حسني باشا ثم إبراهيم أدهم باشا الذي عرف بعرقلة الجهود والمبادرات الإيطالية. وقد سافر في ١٩١١، وقام بأعمال الوالي الدفتردار أحمد بسيم بك. وتم نزول القوات الإيطالية أثناء قيامه بأعباء الولاية.

١٠ - الأوضاع الاقتصادية في طرابلس الغرب من سنة ١٨٦٠ حتى سنة ١٩١١

لقد عرف النشاط التجاري بطرابلس حركة انبعاث مبشرة بالخير، بعد السيطرة التركية التامة على الدواخل، خلال الفترة بين ١٨٦٠ - ١٨٨٠ تقريباً إذ قفزت الواردات إلى ميناء طرابلس من ٦,٤٨١,٠٠٠ ليرة إيطالية إلى ١٥,٧٤٠,٧٩٥ ليرة إيطالية في سنة ١٨٧٩. وقفزت الصادرات في نفس الفترة

La Libya negli alti del Parlaments - Camera dei Deputati 14 Dicembre 1901. (١٠٥)

N. Slousch (Le nouveau régime Turc et Tripoli (III) Revue du Monde Musulman VI (١٠٦)

n IX 1908 p. 56.

من ٦,٩٣٧,٠٠٠ ليرة إلى ١١,٩٣٠,٣٧١ ليرة. ونال تصدير الحلفاء من هذه الأرقام مبلغاً محترماً. وفي سنة ١٨٨١ أنشأت دار (أريبب) وشركاؤها في لندن مكبساً آلياً للحلفاء<sup>(١٠٧)</sup>.

ولكن العامين الواقعين بين ١٨٨٦ - ١٨٨٧ يمثلان كارثة بالنسبة للاقتصاد الوطني، ففي سنة ١٨٨٦ بلغ مجموع الاستيراد ٣٠٩,٨٥٠ ليرة استرلينية. وكان في سنة ١٨٨٥ قد بلغ ٤٦٤,١٣٠. وبلغ التصدير في سنة ١٨٨٦ مبلغ ٢٣١,٠٠٠ ليرة استرلينية، في الوقت الذي كان في سنة ١٨٨٥ قد بلغ ٣٩١,٥٦٠.

وكانت ثلاثة أرباع الصادرات تقريباً تصدر إلى إنجلترا ومالطا. وكان خمس الواردات من إنجلترا، وأكثر من ربعها من تركيا. وحوالي تسع الواردات من إيطاليا وفرنسا وتونس.

واستمر الانهيار في سنة ١٨٨٧. وأغلقت المبادلات التجارية مع أسواق الحبوب في بورنو ووادي، أو قلت بشكل ملحوظ. وهبط تصدير ريش النعام من ٨٥٠٠٠ ليرة استرلينية في سنة ١٨٨٥ إلى ١٥ ألف ليرة استرلينية في سنة ١٨٨٧، ثم ارتفع إلى ٤٠ ألف ليرة استرلينية في سنة ١٨٨٨ و٢٥ ألف ليرة في سنة ١٨٩٠ و٤٨ ألف ليرة استرلينية في ١٨٩٤.

وظلت الحلفاء البضاعة الأولى في قائمة الصادرات، وقد صدر منها بقيمة استرلينية في:

١٨٨٥	٢٠٥,٠٩٠ ليرة استرلينية
١٨٨٨	٢١٢,٠٠٠
١٨٩٤	٩٣,٠٠٠

ويأتي في الدرجة الثانية ريش النعام والعاج. (١٢٤,٥٠٠ ليرة استرلينية

(١٠٧) محفوظات القنصلية الإيطالية، رسالة بتاريخ ٣٠ - ١٠ - ١٨٧٧ ورسالة ١٨ - ٤ - ١٨٨٠ وبخصوص التجارة الطرابلسية في هذه الفترة انظر:

Bettoli: Tripoli artistica e commerciale 1882 in (Pioneri Italiani Libya) p. 125 - 154.

في عام ١٨٨٨ و ٢٢ ألف ليرة استرلينية في عام ١٨٩٤) أما صيد الأسفنج فقد كانت نتائجه غير مستقرة (٢٠٠, ٧٤ ليرة استرلينية في سنة ١٨٩٣).

وتبدو في المستوردات المنسوجات الفضية التي تكاد تستورد بصفة خاصة من إنجلترا. ولكن إنجلترا أخذت بعد سنة ١٨٩٠ تفقد هذه الأولوية بسبب مزاحمة البلدان الأخرى المنتجة لهذا النوع من البضاعة.

وقرب سنة ١٩٠٠، كانت أهم الصادرات الحلفاء والماشية والبيض والحنة والصوف والزيت والبقول. وقد بلغت الصادرات في سنة ١٩٠٠ مبلغاً إجمالياً قدره ٤١٨,٥٠٠ ليرة استرلينية منها (٩٩ ألف ليرة للحلفاء و ٧٧,٥٠٠ ليرة للأسفنج و ٥٨,٥٠٠ ليرة للجلود و ٥٤,٥٠٠ لريش النعام وستة آلاف ليرة للعاج).

أما الصادرات فقد بلغت مجموعاً قدره ٤٤٩,٥٠٠ ليرة استرلينية وتتألف من:

دقيق ١٢٨٠٠٠ منسوجات بريطانية ٨٦٠٠٠ منسوجات من بلدان أخرى ٢١٠٠٠ تبغ ٢٠٠٠ سكر ٢٤٠٠٠ شاي ١٢٠٠٠.

وكانت حركة السفن في الميناء تسجل زيادة مطردة منذ سنة ١٨٩٠، وقد دخلت ميناء طرابلس في سنة ١٩٠٥ سبعمائة وثلاثون سفينة، حملتها ٣٢٦,٥٧٠ طناً، منها ١٦٦ سفينة إيطالية، حملتها ١٨٢,٦٨١ طناً. وخرج من الميناء ٧٣٦ سفينة بحمولة إجمالية قدرها ٣٢٩,٣٦٨ طناً منها ١٦٥ سفينة إيطالية بحمولة ١٨٢,٨٥٢ طناً. إذن لقد كانت الحمولة الإيطالية ضعف الحمولة الإنجليزية، وأربعة أضعاف الفرنسية. وكانت التجارة الإيطالية مع طرابلس تتمثل في الدقيق والمنسوجات القطنية وخيوط القطن والمنسوجات الحريرية والقهوة والحبال وأعواد الثقاب والأثاث والبتروال والأواني الخزفية والورق. وقد ارتفع الاستيراد الإيطالي من ١,٣٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٠١ إلى ٢,٢٢٣,٠٠٠ في سنة ١٩٠٥<sup>(١٠٨)</sup>.

E. Alemanni (L. influenza economica dell. Italia nel Vilayet di Tripoli) in Esplor- (١٠٨)  
= azione Commerciale 1906 p. 237 - 238.

وقد فقدت فزان، في مستهل القرن العشرين أهميتها التجارية، بصفة تكاد تكون كاملة، بعد إلغاء تجارة الرقيق، وضعف الاهتمام بالبحث عن ريش النعام بسبب منافسة البلدان الأخرى، والأحداث السياسية التي غيرت الوضع في المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

# ١١ - قائمة بأسماء الولاة العثمانيين بطرابلس منذ سنة ١٨٣٥ حتى سنة ١٩١١

١٨٣٥	مصطفى نجيب باشا
١٨٣٥ - ١٨٣٦	محمد (رائف) باشا
١٨٣٦ - ١٨٣٧	طاهر باشا
١٨٣٧ - ١٨٣٨	حسن باشا
١٨٣٨ - ١٨٤٢	عشقر علي باشا
١٨٤٢ - ١٨٤٧	محمد أمين باشا
١٨٤٧ - ١٨٤٨	محمد راغب باشا
١٨٤٨ - ١٨٥٢	أحمد عزت باشا
١٨٥٢ - ١٨٥٥	مصطفى نوري باشا
١٨٥٥ - ١٨٥٨	عثمان باشا
١٨٥٨ - ١٨٦٠	أحمد عزت باشا
١٨٦٠ - ١٨٦٧	محمود نديم باشا
١٨٦٧ - ١٨٧٠	علي رضا باشا
١٨٧٠ - ١٨٧١	محمد حالت باشا
١٨٧١ - ١٨٧٢	محمد رشيد باشا
١٨٧٢ - ١٨٧٤	علي رضا باشا (الولاية الثانية)
١٨٧٤ - ١٨٧٥	سامح باشا

Il commercio martino e commerciale di Tripoli nel 1904 in Boll.

Soc. Geog. Ital. Serie IV Vol. V 1905 p. 970.

١٨٧٥ - ١٨٧٦	مصطفى عاصم باشا
١٨٧٦ - ١٨٧٨	مصطفى باشا
٢٩ يناير ١٨٧٨	علي كمال باشا
١٣ أبريل ١٨٧٨	محمد صبري باشا
١٨٧٨ - ١٨٧٩	محمد جلال الدين باشا
١٨٧٩ - ١٨٨٠	أحمد عزت باشا (الولاية الثانية)
١٨٨١ - ١٨٩٦	محمد نظيف باشا
١٨٩٦ - ١٨٩٨	نامق باشا
١٨٩٩ - ١٩٠٠	هاشم باشا
١٩٠٠ - ١٩٠٢	حافظ محمد باشا
١٩٠٢ - ١٩٠٤	حسن حسني باشا
١٩٠٤ - ١٩٠٨	رجب باشا
١٩٠٨ - ١٩١٠	أحمد فوزي وحسن حسني باشا
١٩١٠ - ١٩١١	إبراهيم أدهم باشا
١٩١١	أحمد بسيم بك (قائماً بأعمال الوالي)

### برقة

	متصرف أول:
١٨٤٨	صالح باشا
١٨٦٣ - ١٨٦٨	خليل باشا
١٨٨٢	علي كمال باشا
١٨٨٢ - ١٨٨٥	رشيد باشا
١٨٨٩ - ١٨٩٣	
١٨٩٣ - ١٨٩٤	طاهر باشا

استقيمت هذه القائمة من النائب وناجي ونوري ومن محفوظات القناصل،  
ومن مصادر أخرى مختلفة بالنسبة للأعوام الأخيرة.



## فهرس الأعلام

٤٩٣	إبراهيم أدهم باشا (والد)
٢٤٥	إبراهيم باشا (والد)
٨٢	إبراهيم الثاني (أمير)
٣٢٠	إبراهيم الملا (قائد)
٣٢٠ - ٣١٨	إبراهيم أليي (حاكم)
٨٧ - ٨	ابن الأتار (مؤرخ)
- ٧٥ - ٧٤ - ٦٨ - ٦٦ - ٦٥ - ٦٣ - ٦٢ - ٢٠ - ١٨ - ١٤ - ٩ - ٨	ابن الأثير (مؤرخ)
- ٩٢ - ٩١ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦ - ٨٤ - ٨٢ - ٨١ - ٧٦	
- ١٢٨ - ١٠٩ - ١٠٣ - ٩٩	
٨	ابن أبي دينار (مؤرخ)
٧٥ - ٧٤	ابن الأشعث (حاكم)
	أبن بطوطة (رحالة)
١٢٣ - ١١٣ - ١٠٤	ابن قنبر (مؤسس دولة الموحدين)
٣٢٦ - ٣٢٥ - ٣٢٤ - ٣١٨	ابن الجني (محمد بك) (قائد)
١٥٠	ابن الحسن - السلطان محمد
٧٦	ابن الحافظ (مؤرخ)
١٠٣ - ٩٣ - ٨٩	ابن خزون (زعيم بربري)
- ٨١ - ٧٦ - ٧٤ - ٧٣ - ٧١ - ٦٦ - ٦٥ - ٥٩ - ٤٥ - ١٨ - ٩ - ٨	ابن خلدون (مؤرخ)
- ٩٩ - ٩٨ - ٩٣ - ٩٢ - ٩١ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٨ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢	
- ١١٦ - ١١٥ - ١١٤ - ١١٣ - ١١٢ - ١٠٨ - ١٠٥ - ١٠١ - ١٠٠	
- ٢٧٦ - ١٥٩ - ١٤٥ - ١٤٣ - ١٤٢ - ١٤٠ - ١٣٩ - ١٣٨ - ١١٧	
٨٤ - ٨٣	ابن طولون (حاكم)
٧٣ - ٦٨ - ٦٦ - ٦٤ - ٦٣ - ٦٠ - ٥٧ - ٥٦ - ١٨ - ٨	ابن عبد الحكيم (مؤرخ)
- ٨٤ - ٧٦ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٥ - ٦٤ - ٦٣ - ٦٢ - ٨	ابن عذاري (مؤرخ)
- ٩٩ - ٩٢ - ٩١ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦	

ابن غلبون (مؤرخ)  
 ٧-٨-٩-١٤-٢٠-٢١-١١١-١٦٦-١٩٩-٢٠٨-٢١٩-  
 ٢٢٠-٢٣١-٢٣٣-٢٣٦-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٥-٢٤٦-٢٥٦-  
 ٢٥٨-٢٦٢-٢٦٤-٢٦٥-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-٢٧٢-  
 ٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥-٢٧٧-٢٧٨-٢٨١-٢٨٢-٢٨٤-٢٩٠-  
 ٢٩٢-٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٦-٣٠٧-٣٠٨-  
 ٣٠٩-٣١٠-٣١١-٣١٢-٣١٣-٣١٤-٣١٥-٣١٦-٣١٧-  
 ٣١٨-٣١٩-٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧-٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٣١-  
 ٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤-٣٣٩-٣٤٠-٣٤١-٣٤٢-٣٤٦-٣٥٤-  
 ٣٦١-٤٢٩-٤٣٣.

ابن قزوين - محمد بن اسحاق (قائد)  
 ٨٧  
 ابن قنفذ (مؤرخ)  
 ١١٥  
 ابن المنصور (سلطان الموحدين)  
 ١٠٩  
 ابن إياس (مؤرخ)  
 ١٤٨  
 ابو اسحاق - خليل بك  
 ٢٨٩  
 أبو أميس - إبراهيم (حاكم)  
 ٤٠٥  
 أبو أميس - محمد (رئيس وزارة)  
 ٤٠٧  
 أبو أميس - محمود (قائد)  
 ٣٢٧-٣٢٥  
 أبو البركات - ابن أبي الدنيا  
 ١٤٠  
 أبو البقاء - خالد  
 ١٣٨  
 أبو بكر - أمير قسنطينة  
 ١٣٨  
 أبو بكر - الشيخ  
 ١٦٠  
 أبو حاتم - الإياضي (قائد)  
 ٧٦  
 أبو الخطاب (قائد)  
 ٧٤  
 أبو دبوس (أمير الموحدين)  
 ١١٥  
 أبو زكريا - يحيى الأرجالي (حاكم)  
 ٨٧  
 أبو سعيد الحفصي (حاكم)  
 ١١٣  
 أبو شاكر - مصطفى  
 ٣٥٢  
 أبو عبد الله - السلطان  
 ١١٧  
 أبو عبيد الله الحجاب (والد)  
 ١٢٣  
 أبو عنان - السلطان المريني  
 ١٥٧  
 أبو غفار (زعيم)  
 ٧٥  
 أبو موسى - محمود (والد)  
 ٣٢٠  
 أبو يحيى - زكريا اللحياني (زعيم)  
 ١٣٨-١٢٠  
 أبو يزيد (ثائر)  
 ٨٨



١٦٠ - ١٠٦	أبو يعقوب يوسف - السلطان الموحي
١٧٣ - ١٦٩	أبيلا - جوليانو
٤٦	أبيل
٢٦٣	أحمد - داي طرابلس
٢٥٣	أحمد آغا
٢٤٥	أحمد باشا (وال)
٤٣٣ - ٤٢٦	أحمد باشا الملقب بالجزار
٤٩٣	أحمد بسيم بك (دفتردار)
١١٧	أحمد بن الليل (زعيم)
٣٣٣ - ٣٢٩ - ٣١٧	أحمد الثالث (السلطان)
١٩٧	اداموليزلي (المرشد الأكبر)
٢٦٣	ادريس - (سلطان بورنو)
١١٥	أراغون - الملك
١٦٧ - ١٥٥	أراغونا - فرديناند
٥١ - ٤٧	أرقليوس (قائد)
٤٦ - ٤٥	إزيو (قائد)
٣٦٩ - ٣٦٠	استير (امراة)
٢٤٥	اسكندر باشا (وال)
٣٠١	إستين (تاجر)
٣٦	أغسطس - الإمبراطور
٣٤	أغسطينو - القديس
١٨ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١١١ - ١٣٣ - ٢٦٨ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٩٩	أغسطيني (مؤرخ)
٣٠٧ - ٣٢٦ - ٣٨١	
٢٢٥	الفارو - دون
١٥٥ - ١٤٦	الفونسو الخامس - الملك
٣٩٤ - ٣٨٩ - ٣٨٨	أكسموث - اللورد
٢٣٧	اليزابيت (ملكة)
١٧٥	اليدوسي - فرانثسكو
١٥ - ١٨ - ٨٣ - ٨٧ - ٩٠ - ١٠٣ - ١١٦ - ١٣٢ - ١٣٨ - ١٤٣	أماري (مؤرخ)
١٥٤ - ١٥٧	
٤١٥	أمبرون - سلمون (تاجر)
١٧٦	أمبواز - امريكو - د (المرشد الأكبر)
٣٥	أمطار
٢٣٧	أمو - الكبتن ب

٤٥٢ - ٤٣٣	أمين باشا - محمد (وال)
٥٠	انتالا (زعيم)
٤١	انطونينو (مؤرخ)
٤٦٨ - ٣٨٥ - ٣٨٤ - ٣٨٣	أودني (رحالة)
١٨ - ١٢٢ - ١٣٩ - ١٤٧ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٠٢ - ٢١٢	أوريجيا (مؤرخ)
٢٢٠ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٨٥	
١٢٤ - ٤٢ - ٣٨	أوريليوس - ماركوس (إمبراطور)
٤٦٩	أوفنوريچ (رحالة)
٣٨٦	أوكس (جنرال)
٤٥	أونوريو فالتينو (حاكم)
٧٢	الإياضي - عبد الله بن مسعود التجيبي (زعيم)
١٢٨ - ١٢٧	الأجدابي - أبو اسحق بن اسماعيل (فقيه)
٣٣٢	الأحر - حسن (كاهية)
١٥٤ - ١٠٣	الإدرسي (مؤرخ)
٤٦٣ - ٤٣٩	الأدغم - الحاج أحمد (قائد)
٤٢٥ - ٤٠٨	الأدغم - عثمان
٤٣٢	الأدغم - مصطفى
٤٠	الأندلسي - الولي سيدي
١٣٧	الأراغوني (ملك صقلية)
٣٠٠	الإزميرلي - الحاج عبد الله (حاكم)
٢٩٦ - ٢٩٥ - ٢٩٣	الإستكولي - مصطفى الكبير (زعيم)
١٨٤ - ١٤٩	الإفريقي - ليون (مؤرخ)
٢٧٠ - ٢٧٤ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٣٠٨ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢	الإمام - محمد باشا (حاكم)
٣١٣ - ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٢٧ - ٣٣١	
٣٨٥ - ٣٨٤	الأمين - محمد (صاحب برنو)
٢١	الأنصاري - أحمد النائب
٣٤٠	الأنصاري - أحمد بن عبد الدائم (شاعر)
٦٣	الأنصاري - رويغ بن ثابت (حاكم)
٣٠٨	الأناصولي - الحاج عثمان (رئيس جند)
٢٩٨ - ٢٩٧	الأناصولي - آق محمد تيمور (حاكم)
١٠٣	الأنطاكي - جورج (قائد)
١٠٩ - ١٠٨	الأيوبي - صلاح الدين
٣٨١	إيتون (قنصل)
١٨٣	باترنو - جيوفاني فرانشسكو

٢٠٤	باتيستا - القديس جيوفاني
١٨٩	باتيستا - القديس يوحنا
٩١	باديس (قائد)
٣٠٣	بارييك - نيكولو
٤٧٧ - ٤٦٩ - ٤٤٥ - ٤٣٢ - ١٨	بارت - هنريك (مؤرخ)
٣٩٧ - ٣٩٥ - ٣٩٤ - ٣٩١	بارودي - ج. ب. (قنصل)
٤٨٨	بازمة - محمد
٤٧	بازيليسكو (قائد)
١٤٥ - ١٤٠	باشي - منجم (مؤرخ)
٣٩٣	باكو (رحالة)
١٧٣	باكيكو - ديجو
٣٦	بالبو - كورنيليو
٣٥٦ - ٣٥٥	باللوفيتش - جيوسي (قنصل)
٤٧٤	بالوميو - ج
١٧٨	بالومينو
٣٥٦ - ٢٨١ - ١٩	بالوتوسكي (مؤرخ)
٤٣٤	باي - أحمد (حاكم)
٤٧٣	باي تونس
٣١٦	بايندرلي - أحمد
١٦٧	بايزيد الثاني - السلطان
٣٠٢	بايلو (قنصل)
٣٠١	بايون (تاجر)
٣٣٦	بترسون - الأميرال
٣٥٦	البدري - سيدي عبد الرحمن
٢٩٤ - ٢٩٣ - ٢٨٤	برادلي - ناتانيال (قنصل)
٢١٧ - ٢٠١ - ١٩٩	براكانونتي - هرناندو دي
١٩٥	بربرا - القديسة
٢٠٥ - ٢٠٣ - ١٩٦ - ١٨٨ - ١٨٧ - ١٠	بربروس - خير الدين
٢٦٥	بريري - الكردينال
٣٨٠	بريلي (الكومودور)
٣٩٨	البروني - فرانيسكو الأول
٣٩٨	البروني - فردناند
٢٢٠	برتوشيني - (مؤرخ)
٣٧٣ - ٣٦٩ - ٣٦٨	برغل - علي

١٢٩	البرقي - خطاب
٢٧٩	بركلي - الكتبتن وليم
٣٧٩	برلو - جو (قنصل)
٢١٦ - ٢١	البرموني - كريم الدين
٤٣٥ - ٣٧٦ - ٣٢٥ - ٣٢٢ - ٢٧٩ - ٢٦٦ - ٢٦٥ - ٢٦٣	برنيا (مؤرخ)
١٢٧	بروكلمان
٥٠ - ٤٨ - ٤٧ - ٤٦ - ٣٤ - ٢٥	بروكويوس (مؤرخ)
٤٣٦	بروكي (قنصل)
٦٢	بروفنسالك - ليفي
٣٣٨	بروفنسالي - الرايس
٣٠١	برينقير (قنصل)
٦٥	البزنطي - جوليان (قائد)
٢٦٤	بسطرمة باشا
١٤٠	البطيسي
١٢٨ - ٦١ - ٥٥	البكري (جغرافي)
٤٣٢	بكير (حاكم)
١٨	بل - أ
٢٤٨	بلرقداردو - الكايتن
٤٣٢	البلعزي - حسن بك (حاكم)
٤٥١	بلقاسم
٤٨ - ٤٧	بليزارايوس (قائد)
٣٣٢	بليلو - إبراهيم
٣٦	بلينيو (مؤرخ)
٣٠١	بليك - الأميرال
٧٠	بن إياضة المري - عبد الله
٨١	بن إبراهيم - عبد الله
٧٣	بن أبي الجاد - عبد الملك
١٠٩	بن أبي حفص - أبو زيد
٨٢	بن أبي خطاب - السمع
١٢٧	بن أبي الدنيا - أبو محمد عبد الحميد (الفقيه)
٨٥	بن أبي طالب - علي
٢٢٢	بن أبي الطيب - محمد
١١٤	بن أبي عمارة - أحمد
٦٨	بن أبي مالك - صفوان

٦٧	بن أبي مسلم - يزيد
١٢٤	بن أبي مسلم - عبد الله
٨٣	بن أبي المهاجر - سفيان (الحاكم)
٢٩٨	بن أحمد - محمد
١٢٤ - ١٢٣ - ٨٧	بن إسحاق - خليل
١٠٩	بن إسحاق - علي
٦٨	بن إباد - كلثوم
١٢٨ - ٨٢ - ٨٠	بن الأغلب - إبراهيم
٧٥	بن بشار - الجنيدي
٩٠	بن بكار - عسيلة
٩٨	بن بلكين - المعز
٢٩٨	بن يرام - أحمد
١٠٤	بن ناشيفين - يوسف
١٤٥ - ١٤٣	بن ثابت - أبو بكر محمد
١٤٥ - ١٤١	بن ثابت - محمد
١٤٥	بن ثابت - يحيى بن أبي بكر
١٣٣	بن جارية - حميد
١١٢	بن جامع - عبد الله بن إبراهيم
٣١١	بن جدي - قرارة
٧٣	بن جميل - عاصم
٣٢٦ - ٣٢٥ - ٣٢٤ - ٣١٨	بن الجن - محمد
٣١٠ - ٢٩٩ - ٢٧٥ - ٢٧٤	بن جهيم - الأمير محمد
٧٦	بن حاتم - روح
٧٦	بن حاتم - يزيد
٦٨	بن الحارث - المستنير
٧٢ - ٦٩	بن حبيب - حنظلة
٧٢ - ٦٩	بن حبيب - عبد الرحمن
٧٦ - ٧٢	بن حبيب - نصر
١٢٣ - ٦٨	بن الحبحاب - عبيد الله
٦٤ - ٦٣	بن حديج - معاوية
١٧٩ - ٩٢	بن الحسن السلطان - أبو عبد الله محمد
١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٢	بن خزرون - خليفة
١٠١ - ٩٢	بن خزرون - سعيد
١٠١ - ١٠٠	بن خزرون - عبد الصمد بن محمد

١٠١ - ١٠٠	بن خزرون - محمد
١٠١ - ٩٩	بن خزرون - المنتصر
٦١	بن الخطاب - عمر
١٤٣	بن خلق الله - قاسم
٣٣٢	بن خليل الأدهم - علي
٣٠٩ - ٣٠٦	بن خليفة الترهوني - منصور
١٠١ - ٩٢	بن خليفة - خزرون
٣٩٩ - ٤٠٨ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٥ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣٣	بن خليفة - غومة
٤٣٥ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠	
١٣٠	بن دباب بن جارية - عبد الله
١١٦	بن دبوس - عثمان
٢٨٠	بن رجب - شريف مصطفى
٨١ - ٧٥ - ٧٤ - ٧١	بن رستم - عبد الرحمن
٧٧	بن روح - الفضل
٦٢	بن الزبير - عبد الله
١٠٨	بن زليطن - محمد بن الخطاب
٨٩	بن زيري - يوسف بن بلقين
٦١	بن سعد - عبد الله
٩١ - ٩٠	بن سعيد - فلقل
٩٢ - ٩١	بن سعيد - ورو
٣٩٩ - ٣٨٢	بن سلطان - عبد الصمد
١٠٨	بن سلطان - مسعود
٣٣٣	بن سليمان - صالح
٨٧	بن سليمان - علي
٧٦	بن السميت - عبد الله
٦١	بن سمي - شارق
٧٥	بن سنان - عبد الله
٧٣	بن سويد المرادي - عمرو
٧٦	بن شداد - سعيد
١٣٢ - ١١٦ - ١١٤	بن صابر - مرغم
٦٨	بن صفوان - معاوية
٨٦	بن ضبارة - مكنون
١٤٠	بن طاهر المازوقي - سعيد
٨٣	بن طولون - أحمد

١٣١ - ٥٥	بن العاص - عمرو
٤٠٧	بن عبد الله - حسن
٧٣	بن عبد الرحمن - حبيب
٣٣٢	بن عبد الرحمن الأصغر - مفتاح
١٣٣	بن عبد السلام - أبو العباس أحمد
١٢٧	بن عبد العظيم - أبو فارس عبد العزيز
٣٢٩	بن عثمان - أحمد
٣٣٩	بن العربي - الشريف أبو عبد الله
٩٠	بن علي الأندلسي - يحيى
١٤٠	بن عمار - ثابت
١٣٩	بن عمر - حمزة
٣٩٩ - ٣٨٢	بن عون المحمودي - أبو القاسم بن خليفة
١٢٧	بن عيسى الغماري - أبو عباس
١١٠	بن غازي - تاشفين
١١١	بن الغازي - علي
٧٦	بن فانوس الهواري - أبو يحيى
٣٠٦	بن فشلوم - عمر محمود
٨٩	بن فلفل - خزرون
٨٣	بن قروهب - محمد
٦٦ - ٦٥	بن قيس - زهير
٧٢	بن قيس المرادي - عبد الجبار
٤١٥	بن لطيف - الحاج أحمد
٣١٠	بن محمد - تمام
٨٣	بن محمد - عبد الله
١١٤	بن محمد المرغي - أبو عبد الرحمن
٢٧٢	بن محمد - الناصر، المنتصر (صاحب فزان)
٦٤	بن مخلد - مسلمة
١٣٥	بن مرزوق - غلبون
١٣٥ - ١٣٢ - ١٣١	بن مرغم - سالم
٦٦	بن مروان - عبد الملك
١٤٩	بن مسعود - يحيى
١٢٧	بن مسلم - أبو محمد عبد الله بن إبراهيم
٣٣٢	بن مصطفى - رجب بن الحاج أحمد
٨١	بن المضاء - سفيان

١٢٢ - ١٠٥	بن مطروح - أبو يحيى
٩٩	بن المعز - تميم
١٢٧	بن معمر - عمران أبو موسى
٧٢	بن مفرق - محمد
١٦١ - ١٤٣ - ١٤٢	بن المكى - أحمد
٨٤	بن منصور الإياضي - إلياس
٩٧ - ٩٣	بن المنمر - أبو الحسن علي بن محمد
٢٦٨	بن موسى - جابر
٣٣٣	بن موسى - سليم بن خالد
٦٤ - ٦٣ - ٦١	بن نافع - عقبة
٨٣	بن نعم الخلف - زوارة
٩٢	بن ورو - خليفة
١٢٧	بن الولي - أبو الحسن
٨٩	بن يخلف الكتامي - عبد الله
٤٠	بندتو - العميد فلافيو
٢٥٧	البندقي - حسن باشا
٢٩٩ - ٢٩٣ - ٢٩٠ - ٢٨٢	البهلوان - مصطفى
٢٨١	البهلول (مؤرخ)
٤٦٠	البهلول - الحاج أحمد (ولي)
٢١ - ٣٤٨ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٨ - ٣٩٩ - ٤٠٣ - ٤٠٤	بهبج الدين - محمد (مؤرخ)
٤٠٦ - ٤٣٣ - ٤٣٤	
٣٥٥	بويك - الكابتين ماركاتونيو
٢٩٨ - ٢٤٨ - ٢٤٣ - ٢٤٠	بوتزو - دال
٤٠	بوتنجر (مؤرخ)
٢١٤ - ١٩٩ - ١٩٨ - ١٩٧ - ١٩٤	بوتجلا - فرا أوريليو (قائد)
٤٩ - ٤٨ - ٤٧	بودنزيو
٤٥١	بورقو - الأب كارلو
٤٧٨	بورنو - سلطان
١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٢ - ٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢١٧	بوزيو - الكافالير (وتوني مؤرخ)
٢٢٠ - ٢٢٩ - ٢٤٠ - ٢٤٩ - ٢٥٢ - ٢٥٤	
٤١٥ - ٣٨٠ - ٣٧٨ - ٣٧٧ - ٣٧٦	بوسير - ب (قنصل)
٣٨٩	بوكاردي - رف . بارتولوميو (قنصل)
٢٧٨	بول - اللغاليير
١٩٢	بولونيزي - كاستيل فرانكو



٤٦١	بوناكوري - سلفاتوري
١٨٦	بونو - سلفاتوري
١١٨	بونيفاشيو الثامن - البابا
٤٥	بونيفاشيو (قائد)
٣٤٤ - ٣٢٧ - ٣٢٥	بولارد - قنصل
٢٧١	بويسون - جيوسيبي
٣٦٨ - ٣٥٦	بلاتو - أنطونيو (قنصل)
٤٥	بلاشيديا - (امراة إمبراطور)
٣٨٧ - ٣٨٦ - ٣٨٥	بلاكير
٤١٠	بيلنكو (قنصل)
٢٦٩ - ٢٣٣ - ٢٢٩ - ٢٢٥ - ٢٢٤ - ٢٢٠	بيالي باشا (قائد)
٣٦٠	بيت المال - الحاج خليفة
- ٤٠٨ - ٤٠٧ - ٤٠٥ - ٤٠٣ - ٤٠٢ - ٤٠١ - ٣٩٩ - ٣٨٢	بيت المال - الحاج محمد (وزير)
٤٣٠ - ٤٢٥ - ٤١٢ - ٤٠٩	
٤٦٨	بيشي - الأخوان
٣٠٩	بيكر - توماس (قنصل)
٣٧٥	بيل - الكابتن
٣٨٠	بيندريج - الكابتن
١٣٣	الناجوري - أبو عبد الله محمد الحسيني (عالم)
٣٠٧	التارزي - ابراهيم (قائد)
٣٧	تاسينو (مؤرخ)
٣٧	تاكفاريناس - البربري
١٤٤	تالامنكا - غوليلم (سفير)
٤٨	تتموت (قائد)
- ٩٧ - ٩٣ - ٩٠ - ٨٧ - ٥٩ - ٤٢ - ٤٠ - ٢٠ - ١٨ - ١٤ - ٩ - ٨	التجاني (مؤرخ)
- ١٢٠ - ١١٩ - ١١٧ - ١١٢ - ١١٠ - ١٠٩ - ١٠٨ - ١٠٣ - ١٠٢	
- ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٤	
١٥٦	
٤٣	تراجان - إمبراطور
٣٤٧	ترافانلي - الكابتن زورزي
١٩٦	التركي - خير الدين (ملك مدينة تاجوراء)
٣٣٠	الترهوني - محمد بن منصور (قائد)
٤٦٨ - ٤٦٧ - ١٩٨ - ١٩٦ - ١٦٦ - ١٥ - ١٢	التليسي - خليفة محمد (عالم ومؤرخ)
٨٦	تمام - أبو زكي (قائد)

١٤٨	تمبورال (مؤرخ)
٢٤٦ - ٢٤٢ - ٩	التمركوتي - أبو الحسين (رحالة)
٣٨٧	تمومن - اسماعيل (قائد)
٨١	التميمي - إبراهيم بن سفيان
١٠٤	التميمي - أبو يحيى بن مطروح (والد)
٧٥ - ٧٤	التميمي - الأغلب بن مسلم (قائد)
٢٩١ - ٢٩٠	توسكي - باولو (مؤرخ)
٤٠٧	التوغار - أبو عباس أحمد (قاضي)
٣٠٢	توكر - صموئيل (قنصل)
٣٥٠ - ٣٤٢	تولي - مسز (مؤرخة)
٢٤٨ - ٢٤٧ - ١٧٨	توليدو - دون غارسيا (قائد)
٤٧٠ - ٤٥٨ - ١٨	تومياني - دومينكو (حاكم)
١٧١	تونسيس - باتيستينو دي
٣٧	تيربوس (إمبراطور)
٤٥	تيسوت (جغرافي)
٢٩١	تيميريكورت (فارس مالطي)
٤٦٩	تينيه - الكسندرا (رحالة)
٤٥	تيودوس الكبير (قائد)
١٤٥ - ١٤٣	ثابت - أبو بكر (حاكم)
١٤٥ - ١٤٣ - ١٤٢	ثابت بن محمد
١٤٥	ثابت - علي (حاكم)
٢٨٢ - ٢٧٠ - ٢٤٥	ثريا بك (مؤرخ)
١٤٨ - ١٤٧	جاء الخير - ابن أبي النصر (قائد)
١٩٥	جاكومو - القديس
٣٥٥	جاكوموناني - الكابتن
١٦٨	جاما - فاسكو دي (رحالة)
٤٨٥	جامي بك - الكابتن عبد القادر
٣٣٣	الجبالي - عبد الله أبو طرطور (زعيم)
٢٨٣	الجري - علي
٣٠٠	الجزائري - علي (حاكم)
٣١٩ - ٢٤٥ - ٢٤٢ - ٢٣٦ - ٢٣٥ - ٢٣٤	جعفر باشا (حاكم)
٤٨	جليمروس (قائد)
٤٣٤	جوانفيل - فرنسوا فرديناندو دي (أميرال)

٧١ - ١٨	جوتيه (مؤرخ)
٣٧٠ - ٣٦٨	جودت - أحمد باشا (بليري)
١٩٥	جورج - القديس
٤١٥	جوردان (تاجر)
٤٨	جوستيانو (إمبراطور)
٢٨٣	جوستياني - جاكومو
٢٠٦	جوهرة - أحمد (زعيم)
٤٧٣	جيانيني (صحافي)
٣٧٨	جيديستروم - بارون دي
٢٠ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٥ - ٢٥٦ - ٢٦٣	جيرارد (مؤرخ)
٢٦٤ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٧٠ - ٢٧٥ - ٢٧٩ - ٢٨١ - ٢٨٤ - ٢٨٧	
٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٧ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٦٢	
٣٩	جيوفيانو (إمبراطور)
٣٩٧	جيوفاني - بوتينو (بواب قلعة)
١١٧	حداج (زعيم)
١٨٠	حداد - محمد أبو (قائد)
٤١٥	حسان - بنيامين (تاجر)
٢٣٧ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٨ - ٢٣٠ - ٢٩٢	حسن باشا (وال)
٢٠ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٥٠ - ٤١٢ - ٤١٣	حسن الفقيه (مؤرخ)
٢٤٥ - ٢٦٣ - ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٣٢	حسين باشا (وال)
٧٢	الحضري - الحارث بن تليد (زعيم)
٢٧٦	الحضري - سيدي حامد
٢٧٦	الحضري - الفقيه علي
١٥٥ - ١٤٧	الحفصي - السلطان - أبو عمر عثمان
١١٧	الحفصي - عبد الواحد (وال)
٣٠٢	الحفصي - محمد (وال)
٣٨٧	حفيظ - عبد الله (كابودان)
٤٣٠ - ٤٥٠	حليم بك (قائمقام) (متصرف)
٣٦٩ - ٣٦٤	حمودة باشا (باي تونس)
٣٨٢	الحازن الكبير (زعيم)
٢٧٨	الحازن رمضان (حاكم القلعة)
٧٥	الخرساني - عيسى بن موسى (قائد)
٢٧٤	الخرماني - أحمد بن هويدي (حاكم)

١٢٤ - ١٢٦	الخروبي (كاتب)
١٠١	خزرون - خليفة (أمير)
١٠١ - ٩٢	خزرون - سعيد بن (أمير)
١٠١ - ١٠٠	خزرون - عبد الصمد (أمير)
١٠١	خزرون - فلفول (أمير)
١٠١	خزرون - محمد (أمير)
١٠١	خزرون - مقاتل (أمير)
١٠١ - ٩٩	خزرون - المنتصر (أمير)
١٠١	خزرون - ورو (أمير)
٢٩٨	الخزندان - الخازن محمد
٣٤٠	الخزندان - محمود
٤٠٤	خسروف باشا - محمد (أميرال)
٢٦٩ - ٢٦٥ - ٢٤٤ - ٢٤٢ - ٢٣٨ - ٢٣٥ - ٢١٩ - ٢٠١	خليفة - حاجي (مؤرخ)
٩٩	خليفة - الزناتي (بطل بربري)
٣٠٩	خليفة - منصور بن (زعيم)
٣٢٠ - ٣١٨ - ٣١٥ - ٣١٤ - ٢٩٨ - ٢٩٧ - ٢٩٣ - ٢٦٥ - ٢٦٤	خليل باشا (كابودان)
١٩٣ - ١٨٤ - ١٦٨	خيشن - الكردينال
٣٢٠	خوجة - إبراهيم (والد)
٣٢٤	خوجة - اسماعيل (إمام)
٣٢٩	خوجة جانم - الرئيس محمد باشا
٣٠٥	خوجة - محمد (سفير)
٤٦٣	خوجة - محمد بن آغا (نائب طرابلس)
٣٧٠	خوجة - مصطفى (قائد)
٣٠٥	خوجة - يوسف (دفتردار)
٢٧٢	خوذ - زوج المنتصر بن محمد (صاحب فزان)
١٩٨ - ١٩٦ - ١٥٨	خير الدين (قرصان)
٢١٢ - ٢١١ - ٢٠٩	دارمونت (سفير)
٣٨٧	داريبا - ابراهيم قوار (قائد)
٢٧١	داسيا - لاندغرافيو (قائد)
٤٥٢	دافرسا - باولينو
٢٨٠	دالماس (قائد)
٢٦٧	داليو - فيتورينو
١٤١	دانزيو (شاعر)

٢٣٥	دانتين - المركيز
٣٤١ - ٣٢٦ - ٣٢٤ - ٢٩٣	دای - ابراهيم
٣٢٠ - ٣٠٧ - ٣٠٤ - ٢٨٩	دای - ابراهيم تارزي
٣١٩ - ٣٠٣ - ٣٠٢ - ٢٩٦ - ٢٩٣	دای - ابراهيم مصر و غلي
٣٢٦	دای - اسما عيل
٣٢٠	دای - آق محمد
٣١٩ - ٢٩٣ - ٢٩٢	دای - بالي
٣٢٠ - ٣٠٧ - ٣٠٤ - ٢٨٩	دای - الحاج عبد الله
٣٧٩	دای - الجزائر - حسن
٣٢٠ - ٢٩٩	دای - حسن عبادة
٣١٩ - ٢٦٨ - ٢٦٧ - ٢٧١	دای - رمضان
٣٠٩	دای - زينوبة بنت محمد
٣١٩ - ٢٧٥ - ٢٧٣ - ٢٦٥ - ٢٦٤ - ٢٦١	دای - سليمان
٣١٩ - ٢٩٥	دای - شلي ابراهيم
٣١٩ - ٢٦٩ - ٢٦٤ - ٢٦٢ - ٢٦١	دای - صفر
٣٢٠ - ٣١٣ - ٢٨٩	دای - عثمان قهوجي
٣١٩	دای - علي الجزائري
٣٠٩ - ٢٨٥ - ٢٦٩	دای - محمد
٣١٩ - ٢٦٧ - ٢٦٥ - ٢٦١	دای - مصطفى شريف
٣٢٠ - ٣١٣ - ٢٨٩	دای - مصطفى غالبيولي
٣١٩ - ٢٩٧ - ٢٩٦ - ٢٩٥	دای - مصطفى الكبير
٣٢٠	دای - بلك محمد
٢٥٩	دای - يوسف التونسي
٢٩٨	الديباغ - أحمد محمد
٤٧٤	الدربازي - محمد (قائم مقام)
٢٩٣	درغتلو - أحمد ريس
١٠ - ٢٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١١ - ٢١٥	درغوث
٢١٦ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩	
٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٥٢ - ٢٥٧ - ٢٧٥ - ٢٨٣ - ٣١٩	
٤٠٠	الدغيس - حسونة
٤١٥ - ٤١٢ - ٤٠٧ - ٣٧٨	الدغيس - محمد
٣٠٧	دلشي - صقال (قائد)
٣٣٨	دلشي - القس فرديناند
٤٦٨ - ٣٨٥ - ٣٨٤ - ٣٨٣	دنهام - ديكسون (رحالة)

۳۵۴	دوبراك - الرايس (قائد)
۴۲۴	دورسوف - بك
۲۲۵ - ۲۲۳ - ۲۰۴	دوريا - جان أندريا
۲۰۵	دوريا - جانتينو
۲۲۳	دوريا - الكبير
۱۴۱ - ۱۳۷	دوريا - فيليب (حاكم)
۶۴	دوزي (مستشرق)
۳۰۸	دوسولت - دنيس (قائد)
۳۰۴	دوفرييل (مركيز)
۳۶۴ - ۳۶۰ - ۳۵۹ - ۳۵۸	دوكسيرا (تاجر)
۳۳۴	دوكين - الكابتين
۳۰۴	دوكين - الأميرال
۳۰۱	دومولان (قنصل)
۳۷	دو ميزيان (إمبراطور)
۴۲	دومتيل - فلاقيا (زوجة إمبراطور)
۱۴۶	دون بدرو - افغانتي (برنس)
۱۵۱	دوناتو - غاسبارو دي سوبرانيس (سفير)
۳۰۵	دي استريز المارشال
۱۷۳	دي أرياجا - جوناس
۱۷۴	دي إرياران - كريستوبال لونير
۱۸۲	دي أوبرجن - ديجو (أمين مخزن)
۴۲۴	دي بوريلون (قنصل)
۱۷۱	دي تونسييس - باتستينو
۱۴۷	دي جريجيوريو - ليتوريو
۳۵۴	دي روهان (مرشد لمنظمة مالطا)
۴۲۹ - ۴۳۰ - ۴۳۲ - ۴۳۴ - ۴۳۶ - ۴۴۴	دي رينود - بللسيري (قنصل ومؤرخ)
۴۴۵ - ۴۴۶	
۱۴۴	دي سانتا باشي (سفير)
۲۱۴ - ۱۹۳	دي سانجوسا - غاسباري (قائد)
۲۰۶	دي سالازار - ب (مؤرخ)
۲۹۸	دي سوسه - دون جيوفاني كوروا (قائد)
۱۴۵ - ۱۴۳ - ۱۴۲ - ۱۴۰ - ۱۲۳ - ۱۱۷ - ۱۱۵ - ۷۶ - ۷۴ - ۶۳ - ۵۶	دي سلان (مؤرخ)
۲۰	دي شامب لاغارد - أ.س. فرومانت
۲۰۵	دي شردان - جيوفاني

٣٠٤	دي فاليليل (قائد)
٢١٢	دي فاليس
١٧٦	دي فراريس - أنطونيو
٢٠٦	دي فيجا - جيوفاني (نائب الملك)
١٧٩	دي فيرا - ديجو (قائد)
١٥٧	دي فيفالدي
٣٠٨ - ٣٠٥ - ٣٠٤	دي كارد - روارد (مؤرخ)
٢٤٧	دي كاستريه (مؤرخ)
١٦٠	دي كاستلنو - جاسير
٣٣٧	دي كامبري (قائد)
١١٧	دي لوريا - روجيرو (أميرال)
٤١٠	دي مارتينو (قنصل)
١٨٢	دي ماس (مؤرخ)
٣٣٥	دي مونس - الكومندان
١٨٥ - ١٨٤	دي مونكادا - هوجو (نائب الملك)
٢٤٧	دي مندوسا - فرا بيترو دي كوتسالي (قائد)
١٨٠ - ١٧٨ - ١٧١ - ١٧٠ - ١٦٨	دي نافارا - الكونت بدرو
٢١٠	دي نيكولاي - نيكولو (مؤرخ)
٢١٤ - ٢٠٧	دي هريرار - بيترو (حاكم)
٤١٣	دي همسو - جرابرج (قنصل)
٣٣٥	دي واتن - الكومندان
٣٥٨ - ٣٥٧	دي لانسي (قنصل)
٣١١	دي لالاند (قنصل)
١٧٢	ديز - جيم
٦٤	دينار - أبو المهاجر (حاكم)
٥١	ديبل (مؤرخ)
٣٨	ديوكليزيان (إمبراطور)
٢٩٢ - ٢٨٣	ديلاور بك (قائد)
٤٤٥ - ٤٢٣	رائف باشا - محمد (وال)
٤٧٥	رابكس - ر. (مترجم من العربية إلى الإيطالية)
٤٧٩	راسم باشا - أحمد (وال)
٤١٠	رايخ (قنصل)
٤٨٩ - ٤٨٥ - ٤٨٤ - ٤٣٥	رجب باشا - محمد (وال)

٣٢٥ - ٣٢٠	رجب - الحاج (وال)
٢٩٢ - ٢٨١ - ٢٨٠	رجب بك (قائد)
٢١٩	رستم باشا (حاكم)
٧١	رستم - عبد الرحمن بن (فقيه)
٣١٢	رشيد - العثماني (مؤرخ)
٤٧٨ - ٤٧٢ - ٤٤٥	رضا باشا - علي (مشير)
١٤٧	رضوان (قائد)
٤٨٧	رفقي - الكابتن أحمد
٢٦٨	رقية - أحمد بن (قائد)
٣٦٦	رمضان آغا (قائد)
٣١٩ - ٢٣٧ - ٢٣٦	رمضان باشا (حاكم)
١١٨ - ١٠٤ - ١٠٢	روجيرو الثاني (أميرال)
٣٨٧	رودسلو - محمد (قائد)
٤٠٢ - ٤٠١ - ٣٩٩ - ٣١٥ - ٢٩١	روسو - أ (قنصل)
٤٤٩	روسوني - فيليبو (مؤرخ)
٤٢٧ - ٣٩١	روسوني - ج (قنصل)
٣٩٥	روسوني - هنريك (قنصل)
٥ - ٦ - ٨ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٩٧ - ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٠٧	روسي - إيتوري (مؤرخ)
٢١٣ - ٢٢٩ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٨ - ٢٥٨ - ٢٧٠ - ٢٧٣	
٢٧٥ - ٢٩٢ - ٢٩٨ - ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٣٠ - ٣٤٠ - ٣٥٤	
٤٣٢ - ٤٥٥	
٤٦٩ - ٤٤٩ - ١٨	رولف الألماني (عالم)
٢٧٩	رويتز - الأميرال
٤٢٦	ريالة بك
٤٦٩	ريتشاردسون - ج (رحالة)
٤٦٨	ريتشي - ج (رحالة)
٢٧٠	الريس - إبراهيم (كابودان)
٣٥٥	الريس - أحمد (كابودان)
١٥٠ - ١٤٩	الريس - بيري (كابودان)
٢٩٠	الريس - حسين (قائد)
٢٧٠	الريس - شريف (كابودان)
٣١٩ - ٢٩٠	الريس - عثمان (وال)
٣٨٨ - ٣٨٧	الريس - عمر الشلبي (كابودان)
٢٥٧ - ٢١٩	الريس - صالح باشا (حاكم)



١٤٩	الريس - كمال (كابودان)
٣٩٢	الريس - محمد (قائد)
٣٩٤ - ٣٨٧ - ٣٧٤ - ٣٧٠	الريس - مراد (كابودان)
٣٨٠	ريفيلو (مؤرخ)
١٦٠	ريكارد - سيمون
٢٧٣	الزواي - الشيخ الطاهر
٨ - ١٨ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٥ - ١١٧ - ١٢٧ - ١٣٨ - ١٤٢	الزركشي (مؤرخ)
١٤٧ - ١٤٥	
٣٨٠	الزريق آغا - الريس (كابودان)
٣٨٧	الزريق - محمد (كابودان)
١٤٩	زكريا (ملك تونس)
١٥٧	زكريا - السلطان الحفصي أبو بكر
٧٤	الزناتي - أبو هريرة (قائد)
١٢٩	الزواي - عبد الرحيم (شيخ قبيلة)
٨٢	زيادة الله (وال)
٨٤	زيادة الله الثاني (وال)
٨٥	زيادة الله الثالث (وال)
٣٧٨	سابستياني - الكولونيل
١٧٨	سارميتو - غارسيا
٤٨٤	سافامي - مانيا (زعيم)
٣٧٦	سافيريو - ناودي (نائب قنصل)
٢٦١ - ٢٦٨ - ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢	الساقزي - عثمان باشا (حاكم)
٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٣١٩	
٣٨٦	سروسي - إبراهيم
٤٨٠	سعيد باشا - علي (قائد)
٣١٨	سفرازيئا - جيوفاني (بواب قلعة)
٤٤ - ٤١	سفروس - الكسندر (إمبراطور)
٣٤ - ٣٨ - ٤١ - ٤٣ - ٤٤	سفروس - سبتيموس (إمبراطور)
٤١	سفروس - كركلا سبتيموس (إمبراطور)
١٨ - ٤٧٠	سفورزا - سان فيلبو (مكتشف)
٢٠٢	سفورزا - فرا كارلو (رئيس دير)
٤٠٨	سكوبيل (قنصل)

١٤٨	سكيفر
٢١٤	سكيسلنج - جورج
٤٩	سلمون (حاكم)
٣٨٧ - ٣٦٩ - ٣٦٨ - ١٨	سلوش (رَحالة)
١٨٨ - ١٦٧	سليم الأول (السلطان)
٢٣٤	سليم الثاني (السلطان)
٣١٩ - ٢٤٥	سليم باشا (والد)
٢٢٩ - ٢٠٠ - ١٩٠	سليمان الأول (السلطان)
٢٢١ - ٢١٨	سليمان - الشيخ (زعيم جربة)
٣٨٤	سميث (رَحالة)
٣٥٠	سميث (قنصل)
٢٦١ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٧٣ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨٥ - ٢٩٠	الساقرلي - محمد باشا (حاكم)
٢٩٩ - ٣١٣ - ٣١٩	
٣٥	سالتوس (مؤرخ)
٤٧٦	سالفاتي (مؤرخ)
٢٤٣	ساليرنس - الكومندور أوكتاڤيو
١٧٨	ساما نيجو - الكولونيل
٤٨٩	سامي باشا - محمد علي
١٨٢	سانجو - القس غسباري
١٦٩ - ١٧٥	ساندوفال (مؤرخ)
٢٢٣ - ٢٢٤	ساندي - دون الفارو
٣٥٨	سانكو (تاجر)
١٥٠ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٠	سانودو - مارين (مؤرخ)
١٨١ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٦	
٢٠٤	
٢٤٧	سالازار - اندريا (قائد)
٢١٧	ستروتزي - ليوني (أسقف)
٢٧٨	ستوكس - أميرال
٧١	سدراي - عاصم
١١٨	سراكوزة - دون بدرو
٤٩	سرجيو (حاكم)
٤١٥	سرور - أليا (تاجر)
٤٧٣	سميث (الكابتن)
٢٣٥ - ٢١٨ - ٢١٦ - ٢١٠ - ٢٠٩	ستان باشا

١٨٢ - ١٨١	سوريتا (مؤرخ)
	سوس - محمد
٢٦٧	سوقي - جيو فاني
٢٤٦ - ٢٤٤ - ٢٤١ - ٢٤٠ - ٢٣٩	السويدي - يحيى بن يحيى
٣٨٧	سلامة - فرج
٣٨٦ - ٣٥٦	سيدي - أحمد (وزير)
٤٢	سيدي - سالم
١٢٦	سيدي - عبد الوهاب
٤٠٨	سيدي - محمود (باشا تونس)
٣٦١	سيدي - المرغني (الولي)
٤٠٨	سيدي - مصطفى
١٤٧	سيدي - منصور
٣٧٣ - ٣٧٢ - ٣٧١ - ٣٦٨ - ٣٦٦ - ٣٥٩	سيدي - يوسف
٤٢٩ - ١٨	سيريس (رحالة)
٣٩٥	سيفوري - الكومندان فرانيسكو
٤٣١ - ٣٨٤	سيف النصر - عبد الجليل
٢٠٥	سيفي - علي رضا
١٣٢	السيقاطي - أبو الحسن (الفقيه)
٢٤٤ - ٢٤٢	سيلانيكي (مؤرخ)
١١٦	شارول - الأعرج
٢٠٤ - ١٩٩ - ١٩٧ - ١٩٢ - ١٩٠ - ١٨٥ - ١٨٤ - ١٨٣	شارول الخامس - الملك
٣٣٦	شارول السادس - الملك
٢٧٠	شارول - فرا جاكومو دي ليج (كابودان)
٤١٠ - ٤٠٩	شاكر أفندي (كاتب)
٤٦٨	شرفلي - أغسطينو (رحالة)
٣٨٧	الشركسي - علي
٤٠٥	الشركسي - محمد بن عبد الله
٣٠٩	شرياني - مصطفى (زعيم)
٣١٤	شريف - إبراهيم (باي تونس)
٤٦٣	الشريف - السيد أحمد (حاكم)
٢٦٤	شريف باشا (ممثل السلطان)
٣٨٤	الشريف - محمد
٢٩٢	شعبان - القولوغلي - قائد الحرس

١٩٨ - ١٩٧	شككنج - فرا جورج (فارس)
٢٩٦ - ٢٩٥	شليبي - إبراهيم (رئيس حرس)
٢٧٨	شليبي - مصطفى (قائد قلعة)
٨٤ - ٨١ - ٧١ - ٩ - ٨	الشاخي (مؤرخ)
٢٦٨	الشهابلية - مريم بنت فوز
٢٠٦ - ٢٠٥	الشوشانة - عبد القادر بن (شيخ قبيلة)
٤٩	شيرو (قائد)
٤١٠	شيروتي (قنصل)
١٩٠	شيفيتافيكيا
٢٢٤ - ٢٢٣	شيلي - دون مدينا
٤٤٤	شيعينو - قويدو (مؤرخ)
١٨	شيللا - باولو ديلا (رحالة)
٣٤٨	صافي - حسن (مؤرخ)
٤٧٨	صافي - الشيخ محمد (قائمقام)
٤٨٠	صبيحي - العقيد عمر
٣٠٨	صرك - مصطفى (كابودان)
٣٠٨	صفجكلي - إبراهيم (كابودان)
١٤٤	الصغير - مارتينو (ملك)
٢٢٤ - ٢١٦	صفوت بك (مؤرخ)
٦٨	صفوان - معاوية بن (قائد)
٨٨	الصقلي - أبو الفتح زيان (حاكم)
١٤٤	الصقلي - مارتينو الكبير
٩٠	الصقلي - يانس - (حاكم)
٣١٨ - ٣١٧ - ٣١٠	الصنهاجي - عبد الله بن عبد النبي (قائد وزعيم)
٣٣٠	الصنهاجي - علي بن عبد الله بن عبد النبي (أبو قبيلة)
٣٧٢ - ٣٦٦ - ٣٦١ - ٢٦٥	الصيد - سيدي محمد (ولي)
٢٩٥ - ٢٩٣ - ٢٩٢	الصيد - سيدي عبد الحفيظ (ولي)
٧٤ - ٧٠	طالب - علي بن أبي (خليفة)
٣٨٣	الطاهر - أحمد (حاكم)
١٤٠	الطاهر - أحمد بن
٤٢٨ - ٤٢٧ - ٤٢٦ - ٤٢٥ - ٤٢٤ - ٤٠٩	طاهر باشا (حاكم)
٣٨٣	الطاهر - محمد (حاكم)

١٢٩	الطرابلسي - أبو الحسن علي بن أحمد الخصيب (فقيه)
١٢٨	الطرابلسي - أبو محمد عبد الله الشعاب
١٣٣	الطشاني (مؤرخ)
٣٨١	طوبياس ليير - الكولونيل
٣٥٩	عائشة (زوجة ابن علي باشا القرماتلي)
٥٧ - ٥٦ - ٥٥	العاصم - عمرو بن (قائد)
٤٧٨	عاصم باشا - مصطفى (والد)
٤٤٩	عامري - الحاج (تاجر)
٣٢٠ - ٢٩٩	عبازة - حسن (والد)
١٤٤	العباس - السلطان أبو
٢٥٤	عبد الله - الشيخ (زعيم عرب الشرق)
٣٩٣	عبد الله - زيد (حاكم)
١٢٥	عبد الله - محمد بن (النبي)
٧٢	عبد الله العكي - حميد بن (حاكم)
٤٢٢ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٤٥	عبد الجليل (زعيم)
٤٣٢	عبد الجليل - محمد بن
٣٦١	عبد الحفيظ (ابن الولي محمد الصيد)
٤٨٢ - ٤٨٠ - ٤٦٤ - ٤٦٢ - ٤٦١	عبد الحميد الثاني - السلطان
٣٥٤	عبد الرحمن آغا - الحاج
٦٨	عبد الرحمن - عبيدة بن (والد)
٢٢٠	عبد السلام - سيدي
٤٧٨ - ٤٥٤	عبد العزيز - السلطان
١٤٥	عبد العزيز - أبو فارس (سلطان تونس)
٤٥٣ - ٤٣٧	عبد المجيد - السلطان
٣٧٧	عبد الهادي - أحمد بن
١١٣ - ١٠٥	عبد المؤمن
١١٣	عبد الواحد - أبو محمد (حاكم)
٣٨٢	عبد الوافي (زعيم المتمردين في ثورة ١٨٠٣)
٨١	عبد الوهاب - بن عبد الرحمن بن رستم
١٢١	عبد الوهاب - حسن حسني (ناشر)
٨٦ - ٨٥	عبيد الله (الذي ادعى أنه المهدي المنتظر)
٨٧	العبيدي - أبو القاسم بن الأمير
٤٢٩	عثمان آغا (زعيم مصراتة)

١٥٥	عثمان - أبو عمر (السلطان الحفصي)
٤٨٦	عثمان أفندي - الكابتن الطبيب
٢٩٧	عثمان بابا (علج)
٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٧ - ٢٨٩ - ٢٩٠	عثمان باشا - الساقزي (حاكم)
٢٩١ - ٢٩٣ - ٣١٩	
١٤٩	عثمان - السلطان
٧٣	عثمان - شعيب بن (قائد)
٧٣	عثمان - عمر بن (قائد)
٢١	عثمان - الشيخ عبد السلام بن
	عثمان - قارة (حاكم)
٤٣٥ - ٤٤٠ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٧٧	عزت باشا - الحاج أحمد (والد)
٢٣٨	علج - حسن
٢٢١ - ٢٣٠ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٤٥ - ٢٥٧ - ٣١٩	علج - علي باشا (قائد)
٤٧٢	علي باشا - محمد (والي مصر)
١٤٠	عمّار - ثابت بن (زعيم قبيلة)
١٤٣ - ١٤٥	عمّار - علي بن (حاكم)
١٤٠	عمّار - محمد بن ثابت (حاكم)
١٤٣	عمر - أبو حفص (ابن السلطان)
١٣٩	عمران - أبو عبد الله محمد بن أبي (حاكم)
١٢١	العمرى (مؤرخ)
٢٤٥	عويس - أحمد باشا بن (بليري)
١٨ - ١٦٦ - ١٩٩ - ٢٠٨ - ٢٧٧ - ٢٧٨	العتاشي (رحالة)
١١١	الغازي - يحيى (حاكم)
٤٦٥	غارسين (تاجر)
٢٣٩	غاستر - م (مؤرخ)
٤٣٢ - ٤٤٨ - ٤٤٩	غاليوفي (نائب قنصل)
١٧٦	غالاتيوي (قائد)
٣٣٥	غراندبرين (أميرال)
٢٩٥	غروس - مصطفى (زعيم)
٣١٠	الغزّيل - محمد
٥٣ - ٦٦	الغساني - نعمان (والي)
٦٧ - ٦٦	الغساني - حسان بن النعمان (والي)
٤٦١	غوزويلا - الكفاليير دي

٢٠٠ - ١٩٩	غونزاغا - دون فرّاي (نائب الملك)
٤٧٨	فائق باشا - مصطفى (متصرف فزان)
١٨	فادالا - ر.
٣٦	فاسباسيان (إمبراطور)
٤٥١	فاطمة - من بلدة كوكا
٢٧٠	فالدينا - فرا كارلو (فارس)
٤٦٩	فالفريدا - جيوسيبي
٣٥٤	فالمارانا - بروسبيرو
٣٩	فالتينو (إمبراطور)
٣٧	فاليريو فستو
٣٦٥	فالير (قنصل)
٢١٤ - ٢٠٩ - ٢٠٧	فالييس - غاسباري
٣٧٦	فامبواز - الجنرال
- ١١٢ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٤ - ٨٢ - ٧٤ - ٧٣ - ٦٧ - ٦٥ - ٦٣ - ٦٢	فانيان (مؤرخ)
١١٣ - ١١٥ - ١١٧ - ١٢٨ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧	
٤١٥	فانيجيا (الإخوة)
١٨٢	فنتيميليا - دون أنطونيو دي
٣٩٨ - ٣٩٧ - ٣٩٦ - ١٨	فيراري (مؤرخ)
٣٥٣	فراسير (قنصل)
٣٠٨	الفرطاس - أحمد
١٨٤ - ١٨٠	فرانشيسكو الأول (ملك فرنسا)
٢٢٦	فرايكن (مؤرخ)
٢١٣	فردالا
١١٨	فردريك الثاني (ملك صقلية)
١٩٤ - ١٩٣ - ١٨٤ - ١٧٥ - ١٦٨	فرديناند (الملك)
٢١٤ - ٢٠١	فرغان - كريستو فانو دي سوليس
١٦٠	فرنبيه - ماركو
٣٥٩	فروزينو
٣٦٨ - ٣٦٧ - ٣٦٦	فرومنت (مؤرخ)
	فرنودو - سلفاتوري
٣٩٤	فري مانتل
٦٨	الفزاري - عكاشة بن أيوب
٣٨٧	فشلوم - عمر وحمود

٣٦٧	الفطيمي - الشيخ
٢٧١	فكيتي - فرا برنارد
٣١٦	فليوريني - فرا لودفيجو
٤٦٩	فوجل - أ (رحالة)
٨١ - ٦٦ - ١٨	فورنيل - هـ (مؤرخ)
٤٨٩	فوزي باشا
٣٢٢	فوزي - طه
٣٠٦ - ٢٩٩	الفوشي - مراد
٣٩٧ - ٣٩٥	فوكس (الكفاليين)
١٧ - ١٣ - ٨	فولبي - الكونت جوسبي
٤٧٩	فلاترس - ب
١٩٣	فلاسكيز - فرانثيسكو
٣٧	فلاكو (قائد)
	فيانيللو - جيرولامو
٤٦١	فيدال (قنصل الولايات المتحدة)
١٨١	فيرا - ديجو دي
٤٧٤	فيرمي - الجنرال دال
١٣ - ١٨ - ١٩ - ١١١ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٦٦ - ٢١٦ - ٢٣٦	فيرو (مؤرخ)
٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٦٢ - ٢٦٤ - ٢٦٦ - ٢٧٢ - ٢٧٧	
٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٩١ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٧ - ٣٠٠ - ٣٠١	
٣٠٢ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦	
٣١٧ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥	
٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٤١ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٤٩ - ٣٥٠	
٣٥٢ - ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٨	
٣٧٠ - ٣٧٣ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٩ - ٣٨٩ - ٣٩٣ - ٤٠٧ - ٤١٠	
٤٣٢ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٤١ - ٤٧٢ - ٤٧٨	
٤٧٠	فيشر - هانس (رحالة)
١٥٧	فيغالدي - فنشويرا دي
٢٢٣	فيليب الثاني
١٦٧	فيليب الثالث
٣١٨	فيلبي - بندتو
٣٣٣	فيلانيف (قنصل)
١٤٢	فيلاني



٤١٦	القاجيجي
٢٦٥	قادر بك (قائد)
٣١٢	قار بلاق - مصطفى
٣١٧ - ٣١٦ - ٣١٥ - ٣١٤ - ٣١٢ - ٣٠٩ - ٣٠٨	قاردغلي - خليل
	قاردغلي - محمد الإمام باشا انظر (الإمام)
٣٢٥ - ٣١٨	قارة - محمد
٨٨	القاسم - إسمايل بن أبي
٢٦٧ - ٢٦٦	قاسم باشا
١١٦	القاتلاني - بوتراد دي كانيلي
٣٠٦	القبطان - حسين
٤٦٣	القبطان - سليمان
٣١٦ - ٢٩٠	القبطان - علي
٤٦٣	القبطان - مصطفى
٢٠١	قتنارا - فرا سنيورينو
٢٧٢ - ١١١ - ١١٠ - ١٠٨ - ١٠٧ - ١٠١	قرقوش - بهاء الدين
٤١٨ - ٤١٢ - ٤٠٧ - ٤٠٤	القرمانلي - إبراهيم
- ٣٢٩ - ٣٢٧ - ٣٢٦ - ٣٢٤ - ٣٢٢ - ٣٢١ - ٥٥ - ١٥	القرمانلي - أحمد باشا
- ٣٣٩ - ٣٣٨ - ٣٣٧ - ٣٣٦ - ٣٣٤ - ٣٣٣ - ٣٣٢ - ٣٣١	
- ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٦ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٧	
٤١٨ - ٣٨٣ - ٣٦٧ - ٣٦٦ - ٣٦٢	
- ٤١٨ - ٣٧٣ - ٣٧٢ - ٣٧١ - ٣٧٠	القرمانلي - أحمد باشا (الثاني)
٤١٨ - ٣٦٧ - ٣٦٦ - ٣٤٥	القرمانلي - حسن
٤١٨	القرمانلي - حسونة باشا
٤١٨	القرمانلي - خليل
٤١٨ - ٤١٢	القرمانلي - سليمان بك
٤١٨ - ٣٣٤ - ٣٣٢ - ٣٢٩	القرمانلي - الحاج شعبان
٤١٨	القرمانلي - الطاهر
٤٢٣ - ٤١٨ - ٤٠٤	القرمانلي - عثمان بك
- ٣٥٩ - ٣٥٧ - ٣٥٦ - ٣٥٢ - ٣٥١ - ٣٥٠ - ٣٤٥ - ٣٢٣ - ٢٠	القرمانلي - علي باشا
٤١٨ - ٣٧٠ - ٣٦٨ - ٣٦٧ - ٣٦٤	
- ٤٠٩ - ٤٠٨ - ٤٠٧ - ٤٠٥ - ٤٠٤ - ٣٨٥ - ٣٨٢ - ٣٧١	القرمانلي - علي باشا (الثاني)
٤٣١ - ٤٢٣ - ٤٢٢ - ٤١٨ - ٤١١ - ٤١٠	
٤٠٤	القرمانلي - عمر بك
٤١٨ - ٤١٢	القرمانلي - عمورة

٣٣١ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٧ - ٤١٨	القرمانلي - محمد باشا
٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٩٢ - ٤٠٦ - ٤١٢ - ٤١٨	القرمانلي - محمد بك
٣٣١ - ٣٤٦ - ٤١٨	القرمانلي - محمود باشا
٣٢٦ - ٤١٨	القرمانلي - مصطفى (جد باشا الأول)
٤٠٤ - ٤١٨	القرمانلي - مصطفى (ابن يوسف باشا)
٣٤٦ - ٣٦٠ - ٤١٨	القرمانلي - يوسف بن أحمد باشا
٣٢٣ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٧	القرمانلي - يوسف باشا
٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦	
٣٨٨ - ٣٩٠ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٦ - ٣٩٩ - ٤٠٤	
٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٩ - ٤١٣ - ٤١٨	
١٦٩	قردوقه - دون كونسالفو
٣١٥	قره - شعبان بن
٤١٥	قريش - كريلا
١٤٦	قطاية - نبيل بن أبي (قائد)
٣٨٦	قورجي - سليم (الخازندار)
٤١٥ - ٣٩٣ - ٣٨٦ - ٣٨٥	قورجي - مصطفى
٣٣٠	القولوغلي حسين
٣١٥	قهورجي - عثمان
١٣٩	قلاوون - السلطان
٨ - ١٤٢ - ١٥٠ - ١٨٠ - ٢٣٤ - ٢٥٦ - ٣٦٠	القيرواني (مؤرخ)
٦٦ - ٦٥	قيس - زهير بن
٧٣	القيسي - بكر بن عيسى
٢٤٣ - ٤٠٩ - ٤٢٣	كابودان باشا (قائد)
٣٩٧	كابورو
٣٧٩ - ٣٨١	كاتا كارت (قنصل)
٣٨٠	كاتالانو - سلفاتور (قائد)
٣٦٠	الكاتب - مصطفى
٢٢٦	كارتيلو - نيكولو ماريا
٣٣٥ - ٤٧٦	كارد - رواد دي (مؤرخ)
٣٧٧	كاردوسو - ف (شاعر)
١٤٠	كارلي - ر. (مؤرخ)
٣٣٦	كافانديس (الأميرال)
٤٠٩	كاليفاريس (الكولونيل)

٤٧٠	كامبيريو - مانفريدو (رحالة)
٣٧٦	كامبل - د (الكومودور)
٤٨٥	كامتي - مانيا (زعيم)
٢٠٨	كالابريزي - جيوفاني (قائد)
٢٨٧	الكاهية - سليمان
٣٦٠	الكاهية - عبد الله
٣٧٩	كاوبر (قنصل)
١١٨	كرادو لانشيا (قائد)
٣٩٨	كرافا - الكابتن الفونسو سوزي
٢٧٤ - ٢٧٢	كراوس (مؤرخ)
١٥٠	الكرب - محمد بن (حاكم)
٢٢٨	كروثيوللو - الأسقف
٤١٠ - ٣٩٨	كروثيللو - بيتر فرانيسكو (قنصل)
٤٧٤	كريسي
٤١٥	كستلاني - بلغرنيو (تاجر)
٦٦ - ٦٥	كسيلة (زعيم)
١٤٠	كعبور - محمد بن (حاكم)
٤١٠ - ٤٠٩ - ٤٠٨ - ٤٠٧ - ١٠٢ - ٩٣ - ١٨	كحالي - إسماعيل (مؤرخ)
٤٣٠	كميل بك
٦٨	الكلبي - حنظلة بن صفوان (حاكم)
٦٨	الكلبي - زائد بن عمرو
٤٠٢	كلود روساميل (الأميرال)
٣٨٣	كليديما (وزير)
٣٥٣	كليفلاند (اللورد)
٦٨	الكندي - يزيد بن مسلم (والد)
٢٩١	كوبرلو - أحمد (وزير)
٢٠٨	كويير - غوليلمو (قائد)
٤٨٧	كوتس (الكابتن)
٢٩٠	كور - محمد
٢١٤ - ١٩٧	كورتس - غارسيا
٣٦٤	كورو - فرانسيسكو (مؤرخ)
١٨٣	كورنارو (السفير)
٥٠	كوريتو (شاعر)
٣٨٨	كوستا - اندريا (قنصل)

١٦٨	كولومبس - كريستفرو (رحالة ومكتشف)
٤١ - ٣٨	كومو دو (الإمبراطور)
١٦٢ - ١٦١	كونتاريبي - جيرونيمو (الكاتب)
٣٦٣	كويريني - أندريا (قائد)
٤٦٨ - ٣٨٥ - ٣٨٤ - ٣٨٣	كلابرتون - هـ. (رحالة)
٣٠٧ - ٣٠٠	كلابيجي - حسين (كابودان)
١٤٤	كياروموني - مانفريد (أميرال)
٢٤٣	كياروموني - ستيفانو (الكومندتور)
٣٨٤	كيل (الأميرال)
٣٨٣	كيمومة (وزير)
٣٦٠ - ٣٥٩ - ٣٥٦ - ٣٤٢	كنيكت - أنتوني (مستشار قنصل)
٣٥٦	لستونا (أمير)
٤٢٩ - ٤٢٥	لطفلي (مؤرخ)
٤٨٧	لطفلي - عمر (الملازم)
٢١٣	لفريدوتشي - فرانيسكو (الكومندتور)
٤١٥	لوتير (تاجر)
١١٦	لوريا - روجيرو دي (أميرال)
٤٦٨ - ٣٧٧ - ٣٧٦ - ٣٧٢ - ٣٦٩ - ٣٦٨	لوكاس (قنصل)
٣٦٧	لوكتو (قنصل)
٣٠١	لويس الثالث عشر (الملك)
٣٠٥	لويس الرابع عشر (الملك)
٣٦٩ - ٣٦٦ - ٣٥٩	للا حلومة (امراة حاكم)
٣٤٠	للا خناتة (امراة حاكم)
٣٦٠	للا عائشة (امراة حاكم)
٤٦٦	للا فيجيري (الكردينال)
٣٧٤	ليزلي - بيتر (قائد)
١٩٥	ليوناردو (القديس)
٤٦٨	ليون - جورج فرانسيس (رحالة)
٤٠٧ - ٤٠٤ - ٣٨٤	ليون - الكاتب (رحالة)
٤٢٢	ليون - هنريكو دي (مؤرخ)
٤٧٠	ماتوزيل (رحالة)
٣٩٠ - ٣٧٩	مارتنس (مؤرخ)

١٥٠	مارشيللو
٢٤٢ - ٢٢١	ماركي - كارلو (فارس)
١٦٠	ماركيت - برناردو
١٨	مارلكيس - ج
٢٧٦ - ٢٥٤ - ٢٥١ - ٢٤٩ - ٢٣٥ - ٢٣٣ - ١٤٩ - ٢٦ - ٢٤	مارمول (مؤرخ)
٣١٥ - ٣١١ - ٣٠٣ - ٣٠٢ - ٣٠١ - ٢٣٨	ماسون (مؤرخ)
٣٣٩	الماعزي - أبو عبد الله محمد بن مصطفى
٢١٤	ماكادو - برناردنيو (حاكم)
٣٠٩ - ٣٠٦ - ٢٩٩	المالطي - مراد بك
٤٧٠	مامولي (رحالة)
٣٩٧	ماميلي - جورجينو (قائد)
٣٩٧	ماميلي - غوفريدو (شاعر)
٢٨٣	مانولي
٣٣٧	ماير - جيوسبي (قنصل)
٢٩٦	محمد آغا (ريس رسول السلطان)
٤٣٠	محمد آغا التركي
٤٥٥	محمد باشا - حافظ (وال)
٢٥٠	محمد بك (والي الإسكندرية)
٢٥٠	محمد بك (قائد)
٣٥٤	محمد - الحاج
٢٩١ - ٢٨١	محمد الرابع (السلطان)
٤٠٢ - ٣٢٨ - ٣٢٤	محمد علي باشا (والي مصر)
٤٤٦ - ٤٣٤ - ٣٧٩	محمد محسن (شيخ البلاد)
٣٥٣	محمود آغا (سفير)
٤٨٣	محمود بك (متصرف فزان)
٤١٠	محمود الثاني (السلطان)
٤٤٠ - ٤٣٩	مختار باشا - عثمان (وال)
٤٦٢	المدني - محمد ظافر (زعيم)
١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٢ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١١ - ٢١٥	مراد آغا (وال)
٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٢٠ - ٢٣٢ - ٢٥٩ - ٣١٩	
٢٦٤	مراد بك (قائد الجيش التركي)
٢٩٩ - ٢٩١	مراد بك (قائد الحرس بتونس)
٣١٢	مراد - باي تونس
٢٣٧	مراد الثاني (السلطان)

٢٦٩	مراد الرابع (السلطان)
٤٦١	مراد الخامس (السلطان)
٧٢	المرادي - عبد الجبار بن قيس (زعيم بربري)
٧٣	المرادي - عمرو بن سويد (والٍ)
١٠٦	المراكشي
١٨	مرسيير - أ
٣٩	مرشليينو - أميانو (مؤرخ)
١١٨ - ١١٦	مرغم بن صابر (قائد)
٣٩٩	المرموري - محمد
٤٣٢ - ٤٢٥ - ٣٩٩	المريض - الحاج أحمد (زعيم)
٢٩٢	المريض - محمد
١١٣	المستنصر الحفصي - أبو عبد الله (حاكم)
١٤٨	مسمود - السلطان أبو زكريا الثالث بن
٤١٥	المسلماني - علي أبو دير (تاجر)
٤١٥	مسينا - روزاريو (تاجر)
٣٨٧	المشرقي - حسن
٨٤ - ٨٣ - ٧٩	المصري - عباس الطولوني (قائد)
٢٤٥ - ٢٣٩ - ٢٣٠ - ٢٢٩	مصطفى باشا (والٍ)
٤٢٩	مصطفى باشا (باي تونس)
٧٤ - ٧١	المعافري - عبد الأعلى (قائد)
٧٢	المعافري - يزيد بن صفوان (والٍ)
٨٤	المتضد (الخليفة)
٤٨٦	معروف - الشيخ علي (عالم)
٩٨	المعز - الأمير الزيري
٨٨	المعز لدين الله
٦٨	المقريري (مؤرخ)
٣٥٢	المكفي - إبراهيم
٣١٠	المكفي - علي
٤٠٥ - ٣٨٥ - ٣٨٤	المكفي - محمد
٣٣١ - ٣٢٧ - ٣١٠ - ٣٠٩	المكفي - يوسف
١٦١ - ١٥٦ - ١٤٣ - ١٤٢	المكي - أحمد
٩٣	المتنصر (حاكم)
٧٤	المنصور (الخليفة)
١٤٦	المنصور - محمد ابن السلطان

٢٨٣	منصور - عبد الله بن (زعيم المحاميد)
١٣٤ - ٩٢	المنمر - أبو الحسن علي بن محمد بن (فقيه)
٢٩٨	المنيكشالي - علي (كابودان)
٨٥	المهدي (سيد إفريقيا)
٤٨٢ - ٤٦٣	المهدي - محمد
٤٨٣ - ٤٨٢	المؤيد - عظم زاده صادق (رحالة)
١١٨	مؤمن (قائد)
١٧٨	موتولنسكي (مؤرخ)
١١١	الموحدي - الناصر (قائد)
٢٠٧	مورت - جيوفاني (قرصان)
٤٦٨ - ٤٦٧	موري - ايتيليو (مؤرخ)
٣٣٧ - ١٨	موراتوري - لودفيج (مؤرخ)
٣٠٢	موروسيني (مثل البندقية)
٣٧٩	موريس (الكومودور)
٣٥٥ - ٣٥٤ - ١٨	موشينيكو - ف. ناتي (مؤرخ)
١١٨	مونتاني - رامون (حاكم)
٤٧٠	مونتييل (رحالة)
١٨٢	مونكادا - جيوفاني أنطونيو (قائد)
١٨٠	مونكادا - هوجو دي
٤٠٩ - ٢٤٠ - ٢٢٥ - ٢٢٠	مونكيكورت (مؤرخ)
١٩٧ - ١٩٦	مولاي الحسن (سلطان تونس)
٢٩٥	المنتشو - عمر (قائد سفينة)
٣٥	ميتيلو (قائد)
٣٧٧ - ٣٢٢ - ١٧	ميكاكي - ر (مؤرخ)
١٠٩	الميورقي - علي
١١٣ - ١١٢ - ١١١ - ١١٠	الميورقي - يحيى
٤٥٥ - ٢٦٩ - ٢٦٢ - ٢٣٤ - ٢٣٣ - ٨	النايب (مؤرخ)
٤٠١ - ٣٩٣ - ٣٧٦ - ٣٧٥	نابليون (إمبراطور)
٤٨٦ - ٤٨٤ - ٤٧٩ - ٤٧٨ - ٤٧٧ - ٤٥٥ - ٤٢٢ - ٣٥٤	ناجي ونوري (مؤرخان)
٢٩٦ - ٢٩٣	ناربرو - جون (قائد)
٣٨٣ - ٣٣١	ناصر - أحمد
٣٨٣	ناصر - الطاهر
٣٣١ - ٣١٨ - ٣١٠ - ٢٩٩	الناصر - محمد (صاحب فزان)

١٩٤ - ١٧٨ - ١٦٨ - ١٤٩	نافارا - بدرو (الكونت)
٢٥٠ - ٦١ - ٥٤	نافع - عقبة بن (قائد)
٤٢٤	نامق باشا
٣٧٨ - ٣٧٧	ناودي - سافيريو (نائب قنصل)
٤٤٤ - ٤٢٣ - ٤٢٢ - ٤١١	نجيب باشا - مصطفى (قائد)
٤٧٧ - ٤٧٢ - ٤٦٩ - ١٨	نختجال - ج
٤٥٣	نديم باشا - محمود (حاكم)
٣٨٢	النصر - أحمد سيد (زعيم)
٤٣٢ - ٣٦٧ - ٣٦٦	النصر - سيف
٤٣٢ - ٤٣١ - ٤٢٢ - ٤٢١ - ٤٠٨ - ٤٠٥ - ٣٨٤	النصر - عبد الجليل بن غيث سيف (حاكم)
٦٧ - ٥٣	نصير - موسى بن (وال)
٤٥٥	نظيف باشا - محمد (وال)
٣٣٩	النعاس - أبو عبد الله
٢٧٣	النعال - حسين (حاكم تركي)
٧٣	النفوسي - إسماعيل بن يزيد
٣٧٧	نلسون
٤٥٣	نوري - مصطفى (وال)
٢٨٠	نوير - محمد بن (زعيم المحاميد)
١٢٣ - ٧٧ - ٧٦	النوري (مؤرخ)
٢١١ - ١٩٨ - ١٤٩	نيكولاي - نيكولو دي
٤٦٠ - ٣٦٤ - ٣٥٤	ناللينو - كارلو (مؤرخ)
١٦ - ١١	ناللينو - ماريّا (مؤلفة)
١١٦	نيو كاسترو - برتولوميو دي (مؤرخ)
٢٩٦ - ٢٣٧	هامر (مؤرخ)
٢٧٥	هامور - ماهي (صاحب بورنو)
٣٤٨	هاميكين (موفد البلاط الدانمركي)
٣١	هانون (الملك)
٨٦ - ٨٥ - ٨٢ - ٨١ - ١٨	هايدن - فوندر (مؤرخ)
٤٧٠	هايمان (رحالة)
٣٨٨ - ٣٤٨ - ٢٩٧ - ٢٩٤	هرتسلت (رحالة)
٢٧	هرديوت (مؤرخ)
٢٠٢	هرناندو - فرا (كابودان)
٦٨	هشام بن عبد الملك (الخليفة)



٤٥٠	هندرسن (قنصل)
١٢٥	الهرغي - أبو عبد الرحمن (زعيم)
٦٨	الحواري - عبد الواحد بن يزيد (قائد)
٧٢	الحواري - مجاهد بن مسلم (زعيم)
٣٩٤ - ٣٩١	هوجو - فيبونوشينو (قنصل)
٤٢٤	هوجون (الأميرال)
٤٤	هوراس (الشاعر)
٤٦٨ - ٣٨٣	هورثمان - فريدريك (رحالة)
٢٩٥ - ٢٩٤	هولستين (مؤرخ)
٢١٢	هوميديز (المارشال الإسباني الأكبر)
٢٤٣ - ٢٤١ - ٢٤٠	هوميديس (الجنرال)
١٩٩	هوميديس - جيوفاني دي (المارشال الأكبر)
١٨٠ - ١٧٩ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٦٩	هيروس - مارتين دي لوس (مؤرخ)
٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٥ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٤٠٠ - ٤٠٦	وارنجتون - جورج هامر (قنصل)
٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١١	
٣٥٣ - ٣٤٨	وايت (قنصل)
٣٧٣ - ٣٦٧ - ٣٦٢ - ٣٦١ - ٣٥٩ - ١٨	ورثلي (الليدي)
١٤٣	ورد - فارس أبو الحسن (سلطان)
٣٦٥	ورنسان (قنصل)
٤١٥	لاي - إسحاق (تاجر)
١٦١ - ١٥٦	لاتري - دي ماس
٢٧١	لاسكاريس (المارشال الأكبر)
٤٦٨ - ٣٩٣ - ٣٩٢ - ٣٨٦ - ١٨	لاشيل - بولو دو (رحالة)
٢٣١ - ٢١٤ - ٢١٢ - ٢٠٥ - ٢٠٢	لافالتي - جيوفاني (حاكم)
٣٩٤	لافرافير - جوريان دي (أميرال)
٢٥٩ - ٢٥٤ - ٢٥٢ - ٢٤٩ - ٢٤٠	لانفروتشي (مؤرخ)
٢٩١	لاكروا - دي (مؤرخ)
٣٠٤	لامجلين - دي (قنصل)
٣١٧ - ٣١٥	لامير - كلود (قنصل)
١٨٦	لان بول - ستانلي (مؤرخ)
٣٩٦	لانيريدي (كابودان)
٢٧٩	لاوسون - السير جون

٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٣ - ٤٦٩

لاينج - الميجر الكسندر

١١٠

ياقوت (عبد أعتقه قرقوش)

١١٣ - ١٢٥

يحيى - أبو زكريا (الأمير)

١٥٧

يحيى الأول (حاكم)

٢٣٢

يحيى باشا (حاكم)

١١٧ - ١٣٤

اليروعي - يوسف بن الطاهر (والد)

٦٥

يزيد بن معاوية (الخليفة)

٧٥

يعقوب أبو حاتم (إمام)

١٨٧

يعقوب - إسحاق بن (ابن قائد)

١٨٧

يعقوب - إلياس بن (ابن قائد)

١٨٧

يعقوب - خضر بن (ابن قائد)

١٧٠

يعقوب (القديس)

٢٠ - ١٨٢ - ١٨٩ - ١٩٢

يوحنا (القديس)

## فهرس بأسماء المؤلفين الأجانب الذين ورد ذكرهم في الكتاب

Agostini E. De	59
Ahl Wardt. W	98
Alemanni E.	491
Amari	105 - 116 - 132 - 138 - 143 - 154 - 157 - 160
Aurigemma S.	41 - 50 - 122 - 139 - 147 - 172 - 194 - 199 - 201 - 216 - 222 - 285 - 374
Babinger F.	187 - 317
Badia Y Leblieh	374
Barth H.	476
Bartoccini R.	43 - 50 - 199 - 216
Bartolomeo Di Neocastro	116 - 117
Basset R.	88 - 112 - 222 - 377
Beguinet F.	59
Bel A.	112 - 113
Bercher L.	311
Bernard A.	376
Bettoli Parmerio	490
Birago Avogadro G.B.	104
Bissuel H.	480 - 482
Blaquière E.	386

Blessich A.	364 - 365
Bonelli L.	200
Bono Salvator	186
Bosio Giacomo	190 - 194 - 231
Braudel F.	168 - 223 - 227
Bravetta E.	186
Brunschvig R.	55 - 114 - 120 - 142 - 146 - 149
Cagnat R.A.	41
Calligaris L.	409
Canale M.G.	158
Cantalupo R.	476
Carasso Carlo	200
Capasso Gaetano	200
Carli G.R.	140
Carlo Ciglio	483
Cat E.	218 - 221 - 222
Catellani	482
Cerone F.	102 - 118 - 144 - 146 - 155 - 161
Charles - Roux F.	377
Charrière	212 - 219
Checchi M.	473
Cherbonneau A.	115 - 312
Cimino Guido	404 - 444
Cirni	224 - 231 - 233
Coëco T.	216

Coro C.	347
Courtier M.	487
Cucinotta E.	404
Curita	174
Dal Pozzo B.	241
Dan P.	267
De Caise R.	487
De Castries H.	243
Defontin - Maxange	234
Dehéran H.	356
Dela Croix, Jean - François	284
Dela Roncière Charles	275
Delphini	91
Deny J.	255 - 338
De Slane M.G.	56
Devoulse A.	394
Diehl. Ch.	50 - 51
Doxera Marino	358
Dupuy E.	379
Duveyrier H.	462 - 483
Féraud Charles	166 - 279 - 368
Ferrari G.	391
Fournel H.	81
Fraikin J.	226
Froment de Champ La Garde	362

Gabrieli F.	70
Gaetani L.	55 - 63 - 74 - 75
Garrot H.	236
Gaspar Remiro M.	77
Gautier E.F.	61 - 67
Giménez Soler Andrés	160
Goldziher I.	105
Grandchamp Pierre	213 - 262 - 267
Gregorio Rosario	144
Gsell S.	34 - 44
Guémard G.	393
Guidi M.	70 - 195 - 213
Haedo D.	233 - 236
Hammer J. Von	140 - 188 - 237 - 269 - 280
Hartmann M.	98
Hertslet Edward	279 - 294 - 297
Houdas D.	222
Knolles R.	279
Kraus	478
Krause G.	383
Labat J.B.	304
La Bolina J.	380
Lamantia G.	145 - 182
Largeau Col	487

Laterie De Mas	156
Levi Della Vida G.	34 - 303
Longhema M.	169 - 172
Longo G.	184
Lupi E.	455
Magni C.	291
Manfroni C.	141 - 170 - 223
Malipiero D.	150 - 155 - 158 - 161
Marengo E.	150 - 151 - 157
Marin	156
Marmol Caravajal L.	118 - 120
Massi C.	476
Masson P.	238 - 263 - 267
Martin De Hos Heros	174
Medana A.	457
Médina A.	367
Mercier E.	35
Meriano A.	473
Mireur M.	238
Monchicourt Charles	200 - 207 - 213 - 218
Mondaini G.	457
Mori A.	467
Moscatti S.	30
Motylinski A. de	71 - 106
Muntaner Roman	135

Murgo Spartaco	232
Nachtigal G.	272
Naldoni N.	173
Nallino C.A.	129 - 156 - 483
Nani - Mocenigo F.	354
Nicolai Nicolo de	149 - 198
Pantanelli G.	176
Pelaz E.	188
Pelissier E.	138
Pelissier de Raynaud E.	427 - 436
Perali P.	181
Perroud	31
Resenti G.	272
Retegnani E.	476
Pioca P.	158 - 391
Piccolomini P.	279
Pilot A.	364
Plantet E.	312 - 402
Prunaudie Elie de la	473
Rapese R.	475
Rava M.	189
Rémusat	138
Romanelli P.	32 - 43 - 195
Rosen G.	402



Rossi Ettore	55 - 195 - 213 - 231 - 272 - 338 - 341 - 400 - 413
Ronard de Card E.	475 - 476 - 484
Roy B.	369
Rycaut P.	294
Sagredo G.	269
Salazar P. de	204 - 207
Salvati C.	476 - 481
Sallustio, De Bello	35
Sandoval Prudencio de	168 - 204
Sanminiatielli Zabrella Carlo	231
Sanudo M.	155
Savine A.	329
Scicluna H.	376
Serres J.	402 - 423
Serrano D.	235
Storza M.	470
Simon Ernesto	399
Slousch N.	341 - 459 - 499
Sparziano	38
Speciale Nicola	116
Stella G.	141 - 142
Tacito	37
Thou, T. de	236
Tittoni T.	476

Tollo (Le Sieur)	335
Toschi P.	281
Veccia Vaglieri L.	70 - 391
Villani Matteo	142
Volente G.	234
Vonderheyden M.	80 - 81
Zinkeisen J.W.	348

٤٥٢ - ٤٣١ - ٤٤ - ٤١	أبو نجيم
٢٦	اثيوبيا
٨٩	اجدابيا
٦٠	اداسة
١١٨ - ١٠٧	اراغونا
٣٥٨	أرخييل آسيا
١٣٣	أرض عبد رب
٤٨٥ - ٤٨١	أزقر
٤٤٨ - ٣٨٧ - ٢٩٤ - ٢٩٣ - ٢٨٣ - ٢٧٠	إزمير
- ٢٠٠ - ١٩٣ - ١٨٥ - ١٧٥ - ١٤٤ - ١٢٣ - ١١٣ - ٧٢ - ٦٧ - ٤٦ - ٣٨ - ٣١ - ٦	إسبانيا
٣٩٠ - ٣٨٦ - ٣٧٥ - ٣٦٣ - ٣٤١ - ٢٢٣ - ٢٢٢ - ٢٠٤	
٤٧٨ - ٤٧٧ - ٤٣٣ - ٢٩٦	اسطانبول
١١١	آسيا الوسطى
٤٨٤	أغادس
- ٦٣ - ٦١ - ٥٩ - ٥٧ - ٥١ - ٤٧ - ٤٦ - ٤٤ - ٤١ - ٣٩ - ٣٦ - ٣٥ - ٣١ - ٢٥ - ٢٤	إفريقية
- ٨٩ - ٨٨ - ٨٥ - ٨٣ - ٨٠ - ٧٩ - ٧٧ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٢ - ٧٠ - ٦٩ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٤	
- ١١١ - ١٠٩ - ١٠٧ - ١٠٦ - ١٠٤ - ١٠٢ - ١٠١ - ٩٩ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٢ - ٩٠	
- ١٥٥ - ١٥٤ - ١٤٤ - ١٣٩ - ١٣٨ - ١٢٨ - ١٢٦ - ١٢٣ - ١١٤ - ١١٣ - ١١٢	
- ٣٤١ - ٢٤٧ - ٢٢٣ - ٢٠٤ - ١٨٩ - ١٨٥ - ١٧٨ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٦٧ - ١٥٦	
٤٨٧ - ٤٨٥ - ٤٨١ - ٤٧٦ - ٤٦٩ - ٤٦٧ - ٤١٣ - ٤٠١ - ٣٨٦	
٢٥	إفريقية الرومانية
١٥٦	إفريقية الشرقية
- ١٤٦ - ١٤٤ - ١٠٥ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٢ - ٨٨ - ٥٤ - ٣٤ - ٢٦ - ٢٤ - ١٨	إفريقية الشالية
- ٣٨٩ - ٣٤١ - ٣٣٣ - ٣٠٠ - ٢٥٧ - ٢٢٨ - ١٨٨ - ١٨٧ - ١٦٧ - ١٥٦	
٤٦٢ - ٣٤٧	

٤٨٤	إفريقية الغربية
٤٨٣ - ٤٨٢ - ٤٨٠ - ٤٧٩ - ٤٧٧ - ٤٦٨ - ٤٦٢ - ٤٤٦ - ٤١٣	إفريقية الوسطى
٢١٩	أكارنانيا
٤٣٤ - ٣٥٠ - ٣٢٤	ألبانيا
٢١٢	ألمانيا
٣٨٩	أميانس
٣٧٥ - ١٦٨	أميركا
- ٣٧٥ - ٣٥٣ - ٣٤٨ - ٣٥٣ - ٣٤٨ - ٣٣٥ - ٣١٣ - ٣٠١ - ٢٩٣ - ٢٧٨ - ٢١٢ - ١٩	إنجلترا
- ٤٣٢ - ٤٢٣ - ٤١٧ - ٤١٥ - ٤١١ - ٤٠٧ - ٤٠٢ - ٤٠١ - ٣٨٩ - ٣٨٨ - ٣٧٧	
٤٩٠ - ٤٨١ - ٤٨٠ - ٤٦٨ - ٤٥٠	
٥٠ - ٤٢ - ٣٧ - ٣٥ - ٣٣ - ٢٧ - ٢٥	أونيا
٤٧٠	أواسط إفريقية
٣٤٨	أوترخت
٤٦٩ - ٤٦٨ - ٤٥١ - ٤٥٠ - ٤٤٩ - ٤١٣ - ٣٧٢ - ٣٣٠ - ١٠٨	أوجلة
١٠٠	أوراس (جبال)
٤٦٩ - ٤٠١ - ٣٨٨ - ١٧٥ - ١٧١ - ١٦٧ - ١٦٥ - ١٦٣ - ١٥٩ - ١٥٤ - ١٥٣	أوربا
٤٨١	أونيافا
٥	الأراضي المقدسة
٤١٢	الأربع العرصات
٣٨٩ - ١٥٤	الأرخييل المألطي
- ٣٧٠ - ٣٦٨ - ٣١٣ - ٣١٢ - ٢٩٨ - ٢٦٣ - ٢٥٨ - ٢٣٩ - ٢٢٩ - ١٤٩ - ٢٢ - ٢١	الأسنانة
- ٤٦١ - ٤٤٩ - ٤٤٨ - ٤٤٦ - ٤٣٠ - ٤٢٩ - ٤٢٢ - ٤١٢ - ٤١١ - ٤٠٩ - ٣٧٥	
٤٨٩ - ٤٨٣ - ٤٨٢ - ٤٨٠ - ٤٧٨ - ٤٦٥ - ٤٦٢	
- ٢٧٨ - ٢٥٤ - ٢٣٠ - ١٧٧ - ١٧٤ - ١٥٥ - ١٤٣ - ١٣٩ - ١٢٨ - ١٢٢ - ١٠٥ - ٥٤	الإسكندرية ٥٤
٤٧٢ - ٤٦٩ - ٤٦٦ - ٤١٧ - ٣٨١ - ٣٥٨ - ٣٢٤ - ٢٩٥	
٣٢٦ - ٣١٨ - ٣١٧ - ٣٠٠ - ٢٩٥	الأنافول
١٨٦ - ١٧٥ - ١٢٦ - ١١٥ - ١٠٤ - ٥	الأندلس
٤٣٨	إيالة طرابلس
- ٢٠٦ - ١٩٥ - ١٩٣ - ١٩٢ - ١٩٠ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٦٩ - ١٢٨ - ٣٩ - ٣٢ - ١٩	إيطاليا
٤٨٧ - ٤٧٦ - ٤٦٧ - ٤٦١ - ٤٠٢ - ٣٩٠ - ٣٨٧ - ٣٤٧ - ٢٣١ - ٢٢٣	
٢٤٧	إيبيريا
٣٩٤	ايكس لاشايل
٤٨١	بئر التركي
٤٧٥	بئر زاف

١٣٣	بئر طشانة
١٠٠	بئر الغنم
٣٨٤	بئر مقرو
١٢٣ - ١٢٢	الباب الأخضر
٤٤٤ - ٣٥٠ - ٣١٥ - ٢٨٥ - ٢٦٩ - ٢٦٣ - ١٧٤ - ١٧٢ - ١٢٦ - ١٢٤ - ١٢٣ - ٣٨	باب البحر
٤٥٤	الباب الجديد
٣٤٢	باب الخندق
٢٨٣ - ١٢٧ - ١٢٢	باب زتانة
١٧٢ - ١٧٠	الباب العربي أو باب العرب
١٢٢ - ١١٧	باب عبد الله
٣٧٤	باب الفلقلول
٢٤٣	باب القلعة
٣٤٣	باب المئذنة
٤١٤ - ٣٥٠ - ٢٤٣	باب المدينة
٤٤٤ - ٢٩٥ - ٢٨٧ - ٢٨٥ - ٢٦٩ - ٢٦٤ - ٢٣٦ - ٢٣٣ - ١٧٠ - ١٢٢	باب المنشية
١٧٤	باب النصر
٢٩٥ - ٢٦٧ - ١٢٧ - ١٢٢	باب هواره
٤٨١ - ٤٢٩ - ٣٢٩ - ١٤٧	باريس
٤٨٦ - ٤٨١	باقرمي
٤٧٧	باكهيكي
٢٧١ - ٢٦٧ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٨٣ - ١٨١ - ١٧٨ - ١٧٧ - ١٧٤	باليرمو
٢٠٠ - ١٩٤ - ١٦٨ - ١١٥ - ١١٤ - ١١٢ - ١٠٩	بجاية
٢٩٣ - ٢٨٠ - ٢٠٤	بحر إيجة
٢١٩ - ٢١٨	بحر التريني
٣٦٥	بحر ايونيو
- ٢٢٣ - ٢٠٤ - ١٩٣ - ١٨٦ - ١٦٧ - ١٦٢ - ٢٧ - ٢٦ - ١٥ - ١٠ - ٦ - ٥	البحر الأبيض المتوسط
- ٣٨٥ - ٣٨١ - ٣٧٥ - ٣٦٤ - ٣٠١ - ٢٩٣ - ٢٨٠ - ٢٣٧ - ٢٢٧ - ٢٢٥	
٤٠١ - ٣٨٩	
٣٨٨ - ٣٥٨ - ٣٥٤ - ٣٣٨ - ١٦٢	البحر الأدرياتيكي
٤٣٤ - ٤٣٣	البحر الأسود
٤٧٣ - ٤٧١ - ٣٣	بحيرة الببيان
٤٩٢ - ٤٨٢ - ٤٨١ - ٤٨٠ - ٤٦٨ - ٣٨٤	بحيرة تشاد
٤٨٦ - ٤٥٦	برادي
٣٦	برالك

٣٦	براكنوم
٣٧٧	البرتغال
٢٨٥	برج باب زناتة
٤٥٥ - ٣٨١ - ٢٢٢	برج التراب
٢٨٦	برج درغووث
٤٥٤	برج الساعة
١٩٥	برج سان بيترو
١٩٥	برج سان جورجو
٢٩٥	برج سيدي الشعاب
٣٩٣	برج الفראה
٢١٢	برج القديس جاكومو
٢٨٨	برج قرقارش
١٩٨	برج القيادة
٢٢٨	برج الماء
٣٩٣ - ٣٧٤	برج المجزرة
٢٣٣	البرج المربع
٣٩٣ - ٣٤٣ - ٢٩٤ - ٢٨٦	برج المنديرك
٢٨٥	برج الولي
٣٩٣	البرج الأحمر
٤٥٤ - ٣٩٣	البرج الإسباني
- ٢٨٠ - ٢٧٦ - ٢٤١ - ٢١٧ - ١٨٣ - ١٦٢ - ١٦١ - ١٥٩ - ١٥٨ - ١٥٦ - ١٤٦ - ٢٦	بربريا
٣١١ - ٣٠٢ - ٣٠٠ - ٢٨٥	
	برشلونة
- ٩٨ - ٨٣ - ٨٢ - ٦٦ - ٦٥ - ٦٣ - ٦١ - ٦٠ - ٥٤ - ٥٣ - ٥١ - ٣١ - ٣٠ - ٢٥ - ٢٤	برقة
- ٣٣٤ - ٣٣٣ - ٣٣٢ - ٢٧٦ - ٢٦١ - ٢٥٨ - ٢٥٤ - ١٨٢ - ١٣٩ - ١٣٥ - ١٠٢	
- ٤٥٢ - ٤٥٠ - ٤١٢ - ٤٠٨ - ٤٠٦ - ٤٠٥ - ٣٩٢ - ٣٨٢ - ٣٧٧ - ٣٧٢ - ٣٤٦	
٤٨٨ - ٤٨٢ - ٤٧٢ - ٤٧٠ - ٤٦٨ - ٤٦٦ - ٤٦٢ - ٤٥٧ - ٤٥٦	
٤٧٦	البركات
٤٧٠ - ٤٦٥ - ٤٤٥	برلين
٤٣٩ - ٢١٩	بريفيسا
٢٣٤	البسفور
١٦٨	بسكاليا
٦٥	بسكرة
٤٠	بسيديا القديمة

٧١	البصرة
٤٧٢	البطنان
٩٨ - ٧٣	بغداد
٤٦٤	بليفا
٥١ - ٤٩	بنتابوليس
٢٣٥	بنتاليريا
١٦٠	بنتالاريا
١٥٥ - ١٦١ - ١٦٨ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٨١ - ١٨٣ - ١٩٦ - ٢٠١ - ٢٠٤ - ٢٢٠	البندقية
٢٢٩ - ٢٣٥ - ٢٥٤ - ٢٨٧ - ٢٩٣ - ٣٠٢ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣٤١ - ٣٤٧ - ٣٥٣	
٣٥٤ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥	
٢٧٧ - ٢٩٢ - ٣١٧ - ٣٣٢ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٦٦ - ٣٦٨ - ٣٧٢ - ٣٧٨ - ٣٨٢	بنغازي
٣٩٢ - ٣٩٥ - ٤١٣ - ٤١٥ - ٤١٧ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٣٠ - ٤٣٤ - ٤٣٥	
٤٣٨ - ٤٤٠ - ٤٤٦ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٦٧ - ٤٨٠ - ٤٨٢ - ٤٨٦	
١٥٩ - ١٦١ - ٢٥٢	بورتو ماقرو
١٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٦ - ٤٨٧	بوركو
٢٣٦ - ٢٦١ - ٢٦٣ - ٢٦٦ - ٢٧١ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٤١٣ - ٤٤٥ - ٤٦٨ - ٤٦٩	بورنو
٤٨١ - ٤٨٣ - ٤٩٠	
٢٩٢	بوسينا
١٧٥	بولونيا
١٠٤ - ٣٥٥	بوليا
١١١ - ١٥٠ - ٢٠٠	بونة
٣٨	بنونيا
٣١ - ٣٨	بلاد الغال
٣١	بيرو
١١١ - ١٤٣ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠	بيزا
٥٠	بيزاشينا
٦٤ - ٤٨٤ - ٤٨٦	بيلمبا
٣٠١	بيومنتي
١٣٣ - ١٧٤ - ١٧٩ - ١٨٩ - ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠٣ - ٢٠٧ - ٢٠٩ - ٢١٦	تاجوراء
٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٥ - ٢٢٨ - ٢٣٣ - ٢٣٩ - ٢٤٣ - ٢٤٦ - ٢٥٠ - ٢٥٢	
٢٥٣ - ٢٦٢ - ٢٦٤ - ٢٨٢ - ٢٨٨ - ٢٩٢ - ٣٠٧ - ٣٣٠ - ٣٣٢ - ٣٣٩ - ٣٦٥	
٤١٤ - ٤٢٩ - ٤٥٦	

٣١٤ - ٣١٠ - ٣٠٩ - ٢٩٢ - ٢٦٩ - ٢٦٨ - ٢٥٠ - ٢٣٣ - ٢٢٤ - ١٤٧ - ٨٥ - ٣٣	تاورغاه
٤٥٦ - ٣٣٢ - ٣١٨	
٤٨٦ - ٤٨٥ - ٤٨٣ - ٤٨١ - ٤٨٠ - ٤٧٩ - ٤٧٧ - ٤٦٩ - ١٩	التبستي
٤٧٧ - ٤٥٦	تبو رشادة
٤٨١ - ٤٧٧	تجرحي
٢٧٤ - ٢٧٢ - ١١٠	تراغن
٤٤٦ - ٤٣٩ - ٤٢٩ - ٤١١ - ٤٠٤ - ٤٠٢ - ٤٠١ - ٣٧٥ - ٣٢٨ - ٣١٤ - ٢٠٩	تركيا
٤٨٨ - ٤٨٦ - ٤٨٥ - ٤٧٩ - ٤٧٥ - ٤٧٤ - ٤٧٣ - ٤٦٦ - ٤٥٣	
٤٠٨ - ٣٩٩ - ٣٨٢ - ٣٣٠ - ٣٢٩ - ٣٠٩ - ٣٠٧ - ٢٩٢ - ٢٨١ - ٢٦٥ - ٢٦٤ - ٦٠	ترهونة
٤٥٦ - ٤٣٢ - ٤٣١ - ٤٢٥	
٢٤٩	تريري
٤١٧ - ٣٨٨	تريستا
٤٨٣ - ٤٨١ - ٤٧٠	تشاد
١٨٨ - ١٣٩ - ١١٣	تلمسان
١٣٠	تلليل
٤٧٤	تماسين
٤٨٣ - ٤٨٠ - ٤٧٩	توات
٤٠	تويكتيس
١٠٩	توزر
٤٣٠ - ٤١٧ - ٤١٥ - ٣٤٧ - ٣٣٦	توسكانا
١١٦	تلومينا (أو تولوميرتا)
٤٦٩ - ٤٤٦ - ٤١٣ - ٣٩٩	تومبكتو
٩٦ - ٩١ - ٨٨ - ٨٥ - ٨٢ - ٨٠ - ٦٢ - ٥١ - ٤٥ - ٤٤ - ٤١ - ٣٤ - ٣٣ - ٢٦ - ٢٤	تونس
١٣٤ - ١٢٦ - ١٢٠ - ١١٨ - ١١٧ - ١١٦ - ١١٥ - ١١٤ - ١١٢ - ١١١ - ١٠٩ - ٩٩	
١٧٧ - ١٦٢ - ١٥٨ - ١٥٥ - ١٤٧ - ١٤٦ - ١٤٤ - ١٤٣ - ١٤١ - ١٣٩ - ١٣٨	
٢٢١ - ٢١٨ - ٢١١ - ٢٠٨ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٩٧ - ١٨٨ - ١٨١ - ١٨٠ - ١٧٩	
٢٨٠ - ٢٧٩ - ٢٦٥ - ٢٥٧ - ٢٥٠ - ٢٤٦ - ٢٤١ - ٢٣٩ - ٢٣٥ - ٢٣٢ - ٢٢٨	
٣٩٤ - ٣٩٠ - ٣٨٧ - ٣٨١ - ٣١٣ - ٣١٢ - ٣٠٨ - ٣٠٤ - ٣٠٢ - ٢٩٣ - ٢٩١	
٤٦٥ - ٤٦٠ - ٤٣٤ - ٤٢٩ - ٤٢٤ - ٤١٧ - ٤١٤ - ٤١١ - ٤٠٨ - ٤٠٢ - ٣٩٥	
٤٩٠ - ٤٧٣ - ٤٧١	
٨٥ - ٨٤ - ٨١ - ٧٥	تيهت
٤٨٣ - ٤٦٩ - ٤٥١	جالو
٣٢٤	جامع الخروية
٢٨٤	جامع درغوث



١١٧	جامع الزيتونة
٣٦٠	جامع القبطان
٢٩٨	جامع محمود
٢٦٣ - ١٢٣	جامع الناقة
٦	جامعة روما
٤٨٠ - ٢٣٤	جامعة اسطنبول
٤٨٥ - ٤٧٨ - ٤٥٦ - ١٩	جانيت
٣٢٤	جانينا
٣٣٣ - ٣٣٠ - ٣١٠ - ٢٧٧	الجبل الأخضر
٣٠٧	الجبل الأسود
١٠٠ - ٦٧	جبال أوراس
٣٣٢ - ١٨٢	جبال برقة
٤٧٧ - ٤٧٦	جبال تومو
٤٧٧	جبال تبستي
٢٦	جبال الأطلس
- ٣١٢ - ٢٣٦ - ٢٢٨ - ١١١ - ١٠٩ - ٨٧ - ٨٥ - ٨١ - ٧٩ - ٧٦ - ٦٠ - ٤٤ - ٤١	الجبل
٤٣٩ - ٤٣٧ - ٤٣٥ - ٤٣٣ - ٤٢٨ - ٣٩٩ - ٣٦٦	
١١٢	جبل التاجرة
٣٦	جبل السود
٣٤٨ - ٢٣٧ - ٣١	جبل طارق
٤٢٥ - ٣٨٢	الجبل الغربي
١١٢	جبل مطاطة
٣٨٢ - ٣٤١ - ٣١٢ - ١٣٥ - ١١٢ - ١١٠ - ١٠٨ - ٨٤ - ٨٢ - ٨١	جبل نفوسة
٤٦٠ - ٤٤٠	جلدة
- ١٣٩ - ١٣٥ - ١١٧ - ١١٦ - ١١٢ - ١٠٧ - ١٠٣ - ٨٢ - ٦٣ - ٢٧ - ٢٢ - ١٨	جربة
- ١٨٨ - ١٨٢ - ١٨٠ - ١٧٨ - ١٧٥ - ١٦١ - ١٥٦ - ١٥٤ - ١٥١ - ١٤٦ - ١٤٤	
- ٢٢٨ - ٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢٢ - ٢٢١ - ٢١٩ - ٢١٥ - ٢١٣ - ٢٠٧ - ٢٠٠ - ١٩٧	
٤٦٥ - ٤٣٤ - ٤١٧ - ٢٩٩ - ٢٤٦ - ٢٤٠ - ٢٣٦ - ٢٣٣	
٣٦٩ - ٢٥٤ - ٢٣٩ - ٢١٨ - ١٨٥ - ١٧٨ - ١٢٠ - ٢٦	جربة الجزيرة
٦٤ - ٣٦	جرمة
١٤٧ - ١٤٢	الجريد
- ١٨٦ - ١٦٨ - ١٦٣ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩١ - ٧٥ - ٦٧ - ٦٥ - ٤٦ - ٣٤ - ٢٥ - ٢٤ - ١١	الجزائر
- ٢٥٨ - ٢٥٧ - ٢٣٦ - ٢٣٥ - ٢٣٤ - ٢٣٣ - ٢١٣ - ٢٠٤ - ١٩٦ - ١٨٨ - ١٨٧	
- ٣٦٨ - ٣٦٣ - ٣٢٣ - ٣٢٢ - ٣١٤ - ٣١٢ - ٣٠٨ - ٣٠٤ - ٢٨٠ - ٢٧٩ - ٢٦٥	

٣٧٦ - ٣٨١ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤١١ - ٤٢٤ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣٤ - ٤٣٦	
٣٨٧	جزر إيطاليا
٤٦	جزر البحر الأبيض المتوسط
١٥٤	جزر البحر الصقلي
٣٦٨	جزر يونيور
٣٩٠ - ١٦٩	جزيرة إيونيا
١٦٧	جزيرة البلقان (شبه)
٦	جزيرة رودس
٢٣٦	جزيرة زانتي
٢٣٠	جزيرة شائب الرأس
٣٤٧	جزيرة شيفالونيا
٩٨ - ٧٢ - ٥٤ - ٢٧	الجزيرة العربية
٢٢٦ - ٢٠٩ - ١٦٩	جزيرة غوزو
١٧٩ - ٣٢	جزيرة قرقة
٢٨٣	جزيرة كيوس
٤٨٢ - ٤٧٣ - ٤٦٢ - ٤٥١	جغوب
٤٥٦ - ٤٥٥ - ٨١ - ٥٩ - ٤٤ - ٣٢	جفارة
٧١	جناون
٤٥٦ - ٤٢٤ - ٢٨٨ - ٢٥٣ - ٢٥١ - ١٩٦ - ١٧٤ - ١٣٢ - ١٣١ - ١٢٠ - ٥٩	جنزور
- ٣٦٢ - ٣٥٩ - ٣٥٨ - ٣٣٧ - ٢٠٥ - ١٧٤ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٠ - ١٤١	جنوا
٤١٣ - ٣٩٦ - ٣٩٥ - ٣٩٠ - ٣٧٦	
٤٨٠	الجنوب التونسي
٤٨٠	الجنوب الجزائري
٤٤٥	الجنوب الليبي
٣٩٤	جنيف
٢٨٥	حارة اليهود
١٤٢ - ١٠٩	الحاقة
١٢٥ - ٥٤	الحجاز
٣٧٤	الحصن الإسباني
٢٣٠	حصن البرقو
٢٣١	حصن تينيه
٣٩٣	حصن الخندق
٢٨٥ - ٢٨٣ - ٢٧٩ - ٢٦٦	حصن درغوث

٢٣٠	حصن سان إنجلو
٢٣٠	حصن سان المو
٢٣٠	حصن سان ميكيلي
٢٨٥	حصن الشريف
٢٨٥	حصن الطابية
٢٠٩ - ١٩٦	حصن كاستيلاجو
٢٨٦	حصن المجزرة
٢٨٦ - ٢٧٩	حصن المنديك
٣٦٨	حصن الميناء
٢٨٣	حصن الولي
	الحفرة الشرقية
٢٣٥ - ٢٢٨ - ٢١٨ - ١٨٨	حلق الوادي
٢٨٤	الحمام الكبير
٤٥٦	الحوض (نواحي)
٤٤٤ - ٢٨٣	الحى اليهودي (الحارة)
٧٧	خراسان
١٧٦	خليج الأياس
٣١٦	خليج برنيسي
٣٥٤	خليج البندقية
٤٧١ - ٣٩٢	خليج بومبا
٢٥٢	خليج سدره
٤٦ - ٣٢ - ٣١ - ٢٧ - ٢٥	خليج سرت
٣٥٨ - ٣٣٨	خليج فنيسيا
٢٧ - ٢٥	خليج قابس
٤٥٦ - ٤٥٤ - ٤٠٤ - ٦٠	الخمس
٣٠٨ - ٢٨٥ - ٢٨٣ - ٢٣٣	دار البارود
٣٧٥ - ٣٥٠	الدائمرك
٤٢٣ - ٢٠٨	الدردييل
- ٣٩٢ - ٣٨١ - ٣٧٨ - ٣٧٢ - ٣٥٢ - ٣٥١ - ٣٣٢ - ٣١٧ - ٣٠٥ - ٢٩٤ - ٢٩٢	درنة
	٤٣٠ - ٤١٥ - ٤٠٤
٣٣١	دريدر
٢٩٩	دليم

٧٢	دمشق
١٧٧	دمياط
٤٧٥	الدهيات
٢٧١ - ٢٣٣	رأس الأعمدة
٢٥٤	رأس أندريا
٣٣٨	رأس باسيرو
٢٥٢	رأس بونندريا
٤٠	رأس تاجوراء
٤٧٥ - ٤٧٤	رأس جدير
٤٣	رأس الحتام
٢٣١	رأس درغوث
٣٥٤	رأس سانتا ماريا
٣١٦	رأس سبارتفتو
٢٤٩	رأس سرت
٣١٢	رأس قرطاج
٤٧٢	رأس الكنائس
٤٠	رأس المخابز
١٥٦	رأس المخبز
٣٩٣	رأس المرسى
٤٣	رأس المرقب
١٨٣	رأس مسراتة
٢٥٢	رأس مصراتة
٢٨٨	رأس المنشير
١٩٨	راقوزة
١٠٠	الرحيات
٨٥	رقادة
٢٧٠	رقية
٣٨٧ - ٢٠٩ - ١٩٣ - ١٩٠ - ١٨٧ - ١٨٢ - ١٧٦ - ١٤٨	رودس
٢٢٣	روكيتا
- ٣٨٨ - ٣٦٨ - ٢٢٢ - ٢٠٢ - ١٩٢ - ١٧٦ - ٤٦ - ٤٣ - ٣٩ - ٣٨ - ٣٥ - ٣٢ - ٣١	روما
	٤٦٠
٤٤٠ - ٤٣٨	الرومية

١١٧	جامع الزيتونة
٣٦٠	جامع القبطان
٢٩٨	جامع عمود
٢٦٣ - ١٢٣	جامع الناقة
٦	جامعة روما
٤٨٠ - ٢٣٤	جامعة اسطنبول
٤٨٥ - ٤٧٨ - ٤٥٦ - ١٩	جانيت
٣٢٤	جانينا
٢٢٣ - ٢٣٠ - ٣١٠ - ٢٧٧	الجيل الأخضر
٣٠٧	الجيل الأسود
١٠٠ - ٦٧	جبال أوراس
٢٣٢ - ١٨٢	جبال برقة
٤٧٧ - ٤٧٦	جبال تومو
٤٧٧	جبال تبستي
٢٦	جبال الأطلس
- ٣١٢ - ٢٣٦ - ٢٢٨ - ١١١ - ١٠٩ - ٨٧ - ٨٥ - ٨١ - ٧٩ - ٧٦ - ٦٠ - ٤٤ - ٤١	الجبل
٤٣٩ - ٤٣٧ - ٤٣٥ - ٤٣٣ - ٤٢٨ - ٣٩٩ - ٣٦٦	
١١٢	جبل التاجرة
٣٦	جبل السود
٣٤٨ - ٢٣٧ - ٣١	جبل طارق
٤٢٥ - ٣٨٢	الجبل الغربي
١١٢	جبل مطاطة
٣٨٢ - ٣٤١ - ٣١٢ - ١٣٥ - ١١٢ - ١١٠ - ١٠٨ - ٨٤ - ٨٢ - ٨١	جبل نفوسة
٤٦٠ - ٤٤٠	جلّة
- ١٣٩ - ١٣٥ - ١١٧ - ١١٦ - ١١٢ - ١٠٧ - ١٠٣ - ٨٢ - ٦٣ - ٢٧ - ٢٢ - ١٨	جربة
- ١٨٨ - ١٨٢ - ١٨٠ - ١٧٨ - ١٧٥ - ١٦١ - ١٥٦ - ١٥٤ - ١٥١ - ١٤٦ - ١٤٤	
- ٢٢٨ - ٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢٢ - ٢٢١ - ٢١٩ - ٢١٥ - ٢١٣ - ٢٠٧ - ٢٠٠ - ١٩٧	
٤٦٥ - ٤٣٤ - ٤١٧ - ٢٩٩ - ٢٤٦ - ٢٤٠ - ٢٣٦ - ٢٣٣	
٣٦٩ - ٢٥٤ - ٢٣٩ - ٢١٨ - ١٨٥ - ١٧٨ - ١٢٠ - ٢٦	جربة الجزيرة
٦٤ - ٣٦	جرمة
١٤٧ - ١٤٢	الجريد
- ١٨٦ - ١٦٨ - ١٦٣ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩١ - ٧٥ - ٦٧ - ٦٥ - ٤٦ - ٣٤ - ٢٥ - ٢٤ - ١١	الجزائر
- ٢٥٨ - ٢٥٧ - ٢٣٦ - ٢٣٥ - ٢٣٤ - ٢٣٣ - ٢١٣ - ٢٠٤ - ١٩٦ - ١٨٨ - ١٨٧	
- ٣٦٨ - ٣٦٣ - ٣٢٣ - ٣٢٢ - ٣١٤ - ٣١٢ - ٣٠٨ - ٣٠٤ - ٢٨٠ - ٢٧٩ - ٢٦٥	

٣٧٦ - ٣٨١ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤١١ - ٤٢٤ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣٤ - ٤٣٦	
٣٨٧	جزر إيطاليا
٤٦	جزر البحر الأبيض المتوسط
١٥٤	جزر البحر الصقلي
٣٦٨	جزر يونيو
١٦٩ - ٣٩٠	جزيرة إيونيا
١٦٧	جزيرة البلقان (شبه)
٦	جزيرة رودس
٢٣٦	جزيرة زانتي
٢٣٠	جزيرة شائب الرأس
٣٤٧	جزيرة شيفالونيا
٢٧ - ٥٤ - ٧٢ - ٩٨	الجزيرة العربية
١٦٩ - ٢٠٩ - ٢٢٦	جزيرة غوزو
٣٢ - ١٧٩	جزيرة قرقة
٢٨٣	جزيرة كيوس
٤٥١ - ٤٦٢ - ٤٧٣ - ٤٨٢	جغوب
٣٢ - ٤٤ - ٥٩ - ٨١ - ٤٥٥ - ٤٥٦	جفارة
٧١	جناون
٥٩ - ١٢٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٧٤ - ١٩٦ - ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٨٨ - ٤٢٤ - ٤٥٦	جنزور
١٤١ - ١٥٠ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٧٤ - ٢٠٥ - ٣٣٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٢ -	جناو
٣٧٦ - ٣٩٠ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٤١٣	
٤٨٠	الجنوب التونسي
٤٨٠	الجنوب الجزائري
٤٤٥	الجنوب الليبي
٣٩٤	جنيف
٢٨٥	حارة اليهود
١٠٩ - ١٤٢	الحاقة
٥٤ - ١٢٥	الحجاز
٣٧٤	الحصن الإسباني
٢٣٠	حصن البرقو
٢٣١	حصن تينيه
٣٩٣	حصن الخندق
٢٦٦ - ٢٧٩ - ٢٨٣ - ٢٨٥	حصن درغو

٢٣٠	حصن سان إنجلو
٢٣٠	حصن سان المو
٢٣٠	حصن سان ميكيلي
٢٨٥	حصن الشريف
٢٨٥	حصن الطابية
٢٠٩ - ١٩٦	حصن كاستيلاجو
٢٨٦	حصن المجرة
٢٨٦ - ٢٧٩	حصن المنديك
٣٦٨	حصن الميناء
٢٨٣	حصن الولي
	الحفرة الشرقية
٢٣٥ - ٢٢٨ - ٢١٨ - ١٨٨	حلق الوادي
٢٨٤	الحمام الكبير
٤٥٦	الحوض (نواحي)
٤٤٤ - ٢٨٣	الحي اليهودي (الحارة)
٧٧	خراسان
١٧٦	خليج الأياس
٣١٦	خليج برنيسي
٣٥٤	خليج البندقية
٤٧١ - ٣٩٢	خليج بومبا
٢٥٢	خليج سدره
٤٦ - ٣٢ - ٣١ - ٢٧ - ٢٥	خليج سرت
٣٥٨ - ٣٣٨	خليج فنيسيا
٢٧ - ٢٥	خليج قابس
٤٥٦ - ٤٥٤ - ٤٠٤ - ٦٠	الخمس
٣٠٨ - ٢٨٥ - ٢٨٣ - ٢٣٣	دار البارود
٣٧٥ - ٣٥٠	الدامرك
٤٢٣ - ٢٠٨	الدرنديل
- ٣٩٢ - ٣٨١ - ٣٧٨ - ٣٧٢ - ٣٥٢ - ٣٥١ - ٣٣٢ - ٣١٧ - ٣٠٥ - ٢٩٤ - ٢٩٢	درنة
	٤٣٠ - ٤١٥ - ٤٠٤
٣٣١	درندر
٢٩٩	دليم

٧٢	دمشق
١٧٧	دمياط
٤٧٥	الذهبيات
٢٧١ - ٢٣٣	رأس الأعمدة
٢٥٤	رأس أندريا
٣٣٨	رأس باسبرو
٢٥٢	رأس بونندريا
٤٠	رأس تاجوراء
٤٧٥ - ٤٧٤	رأس جدير
٤٣	رأس الحتام
٢٣١	رأس درغووث
٣٥٤	رأس سانتا ماريا
٣١٦	رأس سباوتفتو
٢٤٩	رأس سرت
٣١٢	رأس قرطاج
٤٧٢	رأس الكنائس
٤٠	رأس المخايز
١٥٦	رأس المخيز
٣٩٣	رأس المرسى
٤٣	رأس المرقب
١٨٣	رأس مسرانة
٢٥٢	رأس مصرانة
٢٨٨	رأس المنشير
١٩٨	راقوزة
١٠٠	الرحيبات
٨٥	رقادة
٢٧٠	رقبة
٣٨٧ - ٢٠٩ - ١٩٣ - ١٩٠ - ١٨٧ - ١٨٢ - ١٧٦ - ١٤٨	رودس
٢٢٣	روكيتا
- ٣٨٨ - ٣٦٨ - ٢٢٢ - ٢٠٢ - ١٩٢ - ١٧٦ - ٤٦ - ٤٣ - ٣٩ - ٣٨ - ٣٥ - ٣٢ - ٣١	روما
	٤٦٠
٤٤٠ - ٤٣٨	الرومية



١٢١	الرياض (موضع بطرابلس)
٣٥٥	زارا
٢٥٤	زاني
٤٥٦ - ٤٣٩ - ٤٢٨ - ٤٢٧ - ٤٢٥ - ٣٦٥ - ٢٨٧ - ٢٥٣	الزاوية
١٣٠	زاوية أولاد سهل
١٣٠	زاوية أولاد سنان
٢٥١	زاوية بن جربوع
٤٧٣ - ٢٥٤ - ٤٥	زرزيس
٣١٤	الزعفران
٤٥٦ - ٤٥١	زلة
٤٥٦ - ٤٠٥ - ٤٠٤ - ٣٤١ - ٣١٠ - ٢٥٢ - ٢٣٩ - ٢٢٠	زليطن
٤٥٦	الزنتان
٢٩٨	الزندانة الكبرى
٤٧٨	زندر
- ٢٨٧ - ٢٥٣ - ٢٥١ - ٢٢٣ - ٢١٧ - ٢١٣ - ١٥٧ - ١٥٦ - ١٣٥ - ١٢٩ - ١١٥ - ٢٨	زوارا
٤٨٦ - ٤٧٤ - ٤٥٦ - ٤٢٧ - ٣٦٥ - ٣٦٣ - ٣٣٣ - ٣٢٨	
١٢٩	زوارا الصغرى
١٢٩	زوارا الكبرى
٣٢٨ - ٢٨٧ - ٢٥٣ - ١٩٦ - ١٣٠ - ٣٣	زواغة
٢٤٩	زوديقة
٣٣	زوكيس
٢٧٤ - ٢٧٢ - ١٠٨ - ٧٥ - ٥٥	زويلة
٢٨٥	ساحة البلقدير ميرادور
٤٥٦	ساحل الأحايد
٢١٩	ساحل ابييرو
٤٦٩ - ٣٣٣	ساحل سرت
٤٦٤	سان استيفانو
٦٧	سبنة
٤٥٦	سبها
٢٥٢	سبيكة
٦٢	سبيطة
١٢٢ - ١١٧	الستارة (سور لتحصين طرابلس)

٣١٢	ستيف (بالجزائر)
٨٩	سجلية
- ٢٧٦ - ١٣٥ - ١١٢ - ٨٩ - ٨٤ - ٨٢ - ٧٦ - ٧٥ - ٧٣ - ٦٧ - ٤٤ - ٣٧ - ٣٦ - ٣٣	سرت
٤٥٧ - ٤٥٦ - ٤٤٥ - ٤٤٠ - ٤٣١ - ٣٨٢ - ٣٦٦ - ٣٣٠ - ٢٧٧	
٢٥	سرتيكا
٣٩٦ - ٣٩٠ - ٢٦٦ - ١٤٦ - ١٤١ - ٤٨ - ٣١ - ١٩	سردنيا
٣٠٣	سلفية
٤٧٣ - ٤٧٢	السلوم
٤٥٦	سنجق الجبل
٤٥٦	سنجق الخمس
٤٥٦	سنجق طرابلس
٤٥٦	سنجق فزان
٣١٢	سهل جنزور
١٠٠	سهل الحوض
١٠	السواحل الإفريقية
٢٥٧ - ٢٤٨ - ٢٤١ - ٢٢٩	سواحل بربريا
٢٤١	السواحل الطرابلسية
١٠	سواحل ليبيا
٤٨٠ - ٤٧٩ - ٤٧٦ - ٤٦٩ - ٤٤٨ - ٤٤٥ - ٣٨٥ - ٣٨٣ - ٢٧٣ - ٤١ - ٢٤	السودان
٤٧٦	السودان الأنجلو- المصري
٤٥١	السودان الأوسط
٤٥٧ - ٣٨٧ - ١٨٩ - ١٥٥ - ١٠٣ - ٨٥ - ٥٤	سوريا
٢٢٧	سوسة
٣١٣ - ٣١٢ - ٢٨٧ - ٢٨٤ - ٢٨٣	رسوق الترك
٤١٤	سوق الثلاثاء
٣٤٢	السوق الجديدة
٣٤٢	سوق الحدادين
٣١٢	سوق الحرير
٣٤٢	سوق الخضرة
٢٨٧	سوق الربع
٢٨٧	سوق العرب
٤٥٤	سوق العزيزية
٣٤٣	سوق المشير
٤٥٦ - ٤٥١ - ٤٤١ - ٣٨٥ - ٢٧٤	سوكنة

٣٨٨ - ٣٧٨ - ٣٧٤ - ٣٥٣	السويد
٢٤٩	سبيكا
٢٠٧	سيجوي
٣٦	سيداموس
٢٢٦ - ١٤٦	سيراكوزة
٤٦٨	سيوة
١٢٥	الشام
١٨٨ - ١٧٤ - ١٦٧	الشرق
٣٦٤	الشرق الأقصى
١٠ - ١١ - ٢١ - ٢٦ - ٧٠ - ١١٧ - ١٢٨ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٥ - ١٦٧ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٧٤ - ١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٨ - ١٩٣ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٢٩ - ٢٣٢ - ٢٤٠ - ٢٥٥ - ٢٦٩ - ٢٧١ - ٢٧٦ - ٢٨٥ - ٣٣٣ - ٣٥٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٩ - ٣٩٠ - ٣٩٤ - ٤٠٢ - ٤٠٩ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤٢٢ - ٤٦٣	الشمال الإفريقي
٣٥٤	شيارا
٣٢ - ٣٣ - ٣٥ - ٤٠ - ٤١ - ٤٥ - ٥٠ - ٥٦ - ٥٧ - ٦٠	صبراتة
١٣٠	صبرة
٤٦٣	الصحراء
٤٨٣	صحراء إفريقية الوسطى
٢٤٩	صحراء برقة
٤٨٧	الصحراء الفرنسية
٤٨٠	الصحراء الكبرى
٤٨٠ - ٤٧٩	الصحراء الوسطى الشرقية
٢٥١ - ١٣٠	صرمان
١٠٤ - ١٣٤ - ١٦١ - ٢٢٧ - ٢٥٤ - ٣٦٤ - ٤٠٩ - ٤٦٥	صفاقس
٧٠	صفين
٣١ - ٣٢ - ٣٨ - ٦٨ - ٧٢ - ٧٧ - ٨٣ - ٨٨ - ٩١ - ١٠٢ - ١٠٤ - ١٠٧ - ١١٤ - ١١٦ - ١١٨ - ١٣٧ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٩ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٥ - ١٩١ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢١٥ - ٢١٨ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٨ - ٢٣١ - ٢٤٠ - ٢٤٧ - ٢٧٦ - ٣٠١ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٥٨ - ٣٦٥ - ٣٩٠ - ٤١٥	صقلية
٩٨ - ٩٧ - ٨٩	صنهاجة
٢٥١	الصهريج

٢٥٤	ضحل بالو
٢٨٨	ضريح سيدي الصيد
٢٣٤	طبخانه
٨٩ - ٧٥	طينة
٤٤ - ٣٣	طرابزون
	طرابلس وطرابلس الغرب (من ص ٥ إلى آخر الكتاب باستثناء الصفحات :
- ٥١ - ٤٧ - ٤٦ - ٤٤ - ٤١ - ٣٨ - ٣٧ - ٣٦ - ٣٤ - ٣١ - ٢٨ - ٢٧ - ١٨ - ١١ - ٨ - ٦	
- ١٣١ - ١٢١ - ١١٣ - ١٠٦ - ٩٤ - ٧٨ - ٧٥ - ٧١ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٤ - ٦٢ - ٥٥ - ٥٢	
- ٢٦٠ - ٢٥٦ - ٢٣١ - ٢١٠ - ٢٠٦ - ١٨٧ - ١٧٢ - ١٦٨ - ١٦٤ - ١٥٨ - ١٥٢ - ١٣٦	
- ٣٣١ - ٣٢١ - ٣٢٠ - ٣١٧ - ٣١٣ - ٣١٠ - ٣٠٧ - ٣٠٥ - ٢٩٩ - ٢٨٦ - ٢٨٣ - ٢٨٢	
- ٤١٧ - ٤١٦ - ٤٠٧ - ٤٠٤ - ٤٠٣ - ٣٧٣ - ٣٦٤ - ٣٦٢ - ٣٥٩ - ٣٥٧ - ٣٤٤ - ٣٣٨	
- ٤١٨ - ٤٢٠ - ٤٣٤ - ٤٤٢ - ٤٨٢ - ٤٩٠ - ٤٩٣).	
٣١٥	طرة
٤٨٦	طريق بنغازي .
٤٨٧	طريق بيلما
٤١٣	طريق توات .
٤١٣	طريق تومبكتو
٤٨٦	طريق جيرو
٤٥٢	طريق سرت
٤١٣	طريق سوكنة
٤١٣	طريق غات
٤١٣	طريق غدامس
٤٥٢ - ٣٦٦	طريق فزان
٤١٣	طريق كاشينا
٤٨٦	طريق كفرة
٤١٣	طريق مرزق
٤١٣	طريق مزدة
١٦٨	طليلة
٣٩٣ - ٣٧٥	طولون
٦٧ - ٥٨ - ٤٥ - ٣٥	طنجة
٢٥٤	ظهر الحمار
٢٠٩ - ٥٥	الظهرة
٤٠٥	ظهرة السوداني

٢٩٢ - ٤٥٦	عجيلات
٥٤ - ٧١	العراق
٤٥٦ - ٤٨٨	العززية
١٠٨	العقبة
١٨٩	عكا
٢٥٠	العمرس
٣٢	عوتيك
١٣٣	عين تامدنت
١٣٣	عين فارة
٦٤	عين الفرس
٤٨٧	عين كلاك
١٣٤	عين ودرس
٣٠٧	عين الوزغة
١٩ - ٤٥١ - ٤٥٦ - ٤٦٨ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨١ - ٤٨٤ - ٤٨٥	غات
	الغال انظر (بلاد الغال)
٤٦٨	غامبيا
٩٣ - ١٣٤	غانيمة
٣٣ - ٣٦ - ٤١ - ٤٤ - ٥١ - ٦٤ - ١١٢ - ٣٨٢ - ٣٩٩ - ٤١٣ - ٤٢١ - ٤٣٢ - ٤٣٣	غدامس
٤٣٩ - ٤٤١ - ٤٤٥ - ٤٤٩ - ٤٥١ - ٤٥٦ - ٤٦٦ - ٤٦٩ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦	
٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨١ - ٤٨٤	
١٦٧	غرناطة
٤١ - ٥٩ - ١٣٥ - ١٧٩ - ١٩٩ - ٢٢٧ - ٢٣٦ - ٢٣٩ - ٢٥١ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٩٢	غريان
٣٢٧ - ٣٥١ - ٣٦٥ - ٣٨٢ - ٤٠٤ - ٤٢٦ - ٤٢٨ - ٤٣١ - ٤٣٩ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٦	
١٩٠ - ١٩٢	غوزو
٤٦٩	غينيا
١٢٦ - ١٤٣ - ١٩٩ - ٤١٤	فاس
٤٨١	فاشورة
١٦٩	فالمينيانا
٢٣٠	فالتا
١٨٠ - ٢٠٩ - ٢٢٢ - ٣٠١ - ٣٠٤ - ٣٠٨ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٦ - ٣٢٣	فرنسا
٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٤٩ - ٣٥٦ - ٣٧٥ - ٣٧٨ - ٤٠٢ - ٤٠٧ - ٤١١ - ٤١٧ - ٤٢٣	
٤٢٤ - ٤٢٦ - ٤٣٠ - ٤٣٤ - ٤٣٦ - ٤٤٦ - ٤٦٥ - ٤٧٢ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦	
٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٣ - ٤٨٥ - ٤٩٠	

٤٠	فروة
١٥ - ٢٠ - ٢٥ - ٣٦ - ٤١ - ٥٩ - ٦٤ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١٢ - ٢٣٦ - ٢٥٢ - ٢٦١	فزان
٢٦٣ - ٢٧١ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٨١ - ٢٩٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٧	
٣٢١ - ٣٢٩ - ٣٣٢ - ٣٤٠ - ٣٧١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٥ - ٤٠٥ - ٤٠٨ - ٤١٤	
٤٢١ - ٤٢٥ - ٤٢٨ - ٤٣١ - ٤٣٥ - ٤٤١ - ٤٤٦ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٧ - ٤٦١	
٤٦٨ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٩٢	
٤٣٣ - ٤٥٦	فساطو
٦٤	الفسطاط
٣٢ - ١٨٩	فلسطين
١٥ - ١٥٧ - ١٩٧ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٣٤٧ - ٣٧٣ - ٣٨٤	فلورنسا
٤٤٤	فم الباب
٢٨٧	الفندق الجديد
٢٨٧	الفندق الكبير
٤٧٦	فوات
٢٨٣	فوجيا
٣٠٠	فوثة
١٩٠	فيتريو
٣٨٩	فيينا
١٩ - ١٤٨ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٧٣ - ١٧٨ - ٢٨٠ - ٣٠١ - ٣١٨	فنيسيا
٣٤٧ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣١٠ - ٣٦٤ - ٣٧٥	
٤٤٩	فيومي
٢٦ - ٣٢ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٨ - ٥١ - ٦٠ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٤ - ٧٥ - ٨٢ - ٩٠ - ٩٧ - ٩٩	قابس
١٠١ - ١٠٤ - ١٠٩ - ١١١ - ١١٢ - ١١٥ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٧	
١٦١ - ٢١٩ - ٢٥٤ - ٢٥٩ - ٤٦٥	
٢٩٣	قارس
٢٥١	قار
٤٣١	قارة عبد الجليل
٢١٦	قارلي ايلي
٢٠ - ٦٤ - ٨٨ - ٩٢ - ١٠٦ - ١٢٦ - ١٤٨ - ١٧٧ - ٣٢٢ - ٤٦٨	القاهرة
٥٥	القبة
٢٩٨ - ٣٠٤	قبرص
٣١٠	قراة بني جدي
٤٦٨	قرزة

٤٣٨ - ٢٥١ - ٢٣٣	قرقارش
١١٥ - ٦٦ - ٤٨ - ٤٦ - ٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٣ - ٣١ - ٣٠	قرطاجنة
٩١	قرطبة
١٨٠ - ١٥٤ - ١١٧ - ٣٢ - ٢٦	قرقنة
١٣٠	قرقوزة
٣٢٦	قرمان
٤١	القريات الشرقية
٤١	القريات الغربية
- ٢٣٣ - ٢٢٩ - ٢٢٨ - ٢٢٤ - ٢١٩ - ٢١٦ - ٢١١ - ٢٠٨ - ١٩٨ - ١٦٧ - ٤٩	القسطنطينية
- ٢٧٩ - ٢٦٩ - ٢٥٨ - ٢٥٧ - ٢٤٦ - ٢٤٤ - ٢٤٣ - ٢٤٠ - ٢٣٨ - ٢٣٦ - ٢٣٤	
- ٣٣٨ - ٣٣٤ - ٣٢١ - ٣١٨ - ٣٠٣ - ٣٠٢ - ٢٩٦ - ٢٩٣ - ٢٩١ - ٢٨٥ - ٢٨٠	
٣٦٨ - ٣٤١	
٦٣	قسطنطينية
٤٣٠ - ٤٢٤ - ٣١٢ - ٢٦٥ - ٢٥	قصر أحمد
٢٩٨ - ٢٥١	قصر حاتم
٨٤	قصر الزعفران
٤٠ - ٣٣	قصر صبيار
١٣٣	قصر فارة
١٣٣	القصر القديم
١٣١	قصر قرقوش
٢٣٣	قصر الورانيز
١٣٣	قصر وزدر
١٢٩	قصور حسان
٢٥٠ - ٦٧	قضاء تبو رشادة
٤٨٥ - ٤٨٤	القطرون
٤٨١ - ٤٧٧ - ٤٥٦	قطيس
١١٠	قفصة
٢٢١ - ١٠٩ - ١٠٦ - ٦٣	قلعة طرابلس
- ٢٠٩ - ٢٠٧ - ٢٠٣ - ٢٠١ - ١٩٩ - ١٩٧ - ١٩٥ - ١٩٤ - ١٩٠ - ١٩	
- ٢٦٤ - ٢٥٤ - ٢٤٨ - ٢٤٣ - ٢٢٨ - ٢٢٢ - ٢١٩ - ٢١٢ - ٢١١ - ٢١٠	
- ٣٤٢ - ٣١٨ - ٣١٥ - ٢٩٨ - ٢٩٠ - ٢٨٧ - ٢٨٣ - ٢٧٨ - ٢٦٨ - ٢٦٦	
- ٤١٠ - ٤٠٧ - ٤٠٦ - ٤٠٠ - ٣٩٣ - ٣٧٤ - ٣٧٢ - ٣٦٦ - ٣٥٩ - ٣٥٢	
٤٤٤ - ٤١١	
٣٩٦ - ٣٥٠	قلعة الباشا

٣٣٠	قلعة تاجوراء
٤٠٥	قلعة الخطابة
٣٧٠	قلعة قرقارش
٢٨١	قلعة ككلة
٤٠٥	قلعة مرزق
٤٥٢	قلعة المجيدية
٤٧٢	قناة السويس
١٩٣	القنطرة
٢٠٣	قوزو
٢٨٣ - ١٢٤ - ١٢٣	القوس الرومانية (قوس ماركوس أوريليوس)
١٦٠	قوصرة
- ٢٥٤ - ٢٢٢ - ٢٢١ - ١٢٦ - ١١١ - ٩٨ - ٨٠ - ٧٦ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٢ - ٦٤ - ٦٣	القيروان
٤١٤	

١٠٨	كاتاتيمون
١٨٤	كاتانيا
٢٣٣	كاستلي
٢٧٤	كاشنة
٤١٣	كاشينا
٤٨١	الكامرون
٣٣٣ - ٢٧٨	كانديا
٤٨١ - ٤٣٢ - ٣٨٤	كانم
١١٠	كانو
٤٥٢ - ٤٤٠	كانيا
٤٨٦ - ٤٨١ - ٤٨٠ - ٦٤	كاوار
٤٦٣ - ٢٣٣ - ٢٣٠ - ٢٠٩ - ١٧٦	كالابريا
٣٣٣ - ٢٨٤ - ٢٨٠ - ٢٧٨	كريت
٤٨٢ - ٤٧٣ - ٤٦٩ - ٤٦٢	الكفرة
٤٥٦ - ٤٣٥ - ٤٣٣ - ٢٣٦	ككلة
٢٩١	كنيسة الإرسالية الفرنسيسكانية
٢٩١	كنيسة سان جورج
٤٠٩ - ٢٠٥ - ٣١	كورسيكا
٣٩٥ - ٢٥٤	كورخو
٢٤٤	كوسى



٤٨١ - ٤٥١	كركا
٤٨١	الكونفو
١٩٣	كلا ترافا
١٨٩	كيليكية
٢٨٣ - ٢٦٨ - ٢٦٧	كيوس (جزيرة)
- ٦٢ - ٦٠ - ٥٧ - ٥١ - ٤٩ - ٤٢ - ٤١ - ٤٠ - ٣٨ - ٣٧ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٢ - ٣٠ - ٢٥	لبدة
٤٦٨ - ٣٠٨ - ٢٥٣ - ٢٥٠ - ١٦١ - ١١٥ - ٨٤ - ٨٢	
٢٢٥ - ٢٢٠	لمدوزا
٤٩٠ - ٤٨١ - ٤٤٦ - ٤٢٩ - ٣٨٥ - ٣٥٣ - ١٩	لندن
٤٨٧	لوزان
٢٥٣	لوكاتا
٢٠٢	لومبارديا
٢٣٤ - ٢٣٢ - ٢١٩	ليانتو
٤٦١	ليبريا
- ٤٤٣ - ٤٤١ - ٤٢٢ - ٢٥٨ - ١٥٨ - ١٤١ - ٩٨ - ٣٠ - ٢٤ - ٢٣ - ١٥ - ٨ - ٧ - ٥	ليبيا
٤٨٥ - ٤٧٣ - ٤٦٩ - ٤٦٧ - ٤٥٠ - ٤٤٩ - ٤٤٧	
- ٤٢٦ - ٤١٧ - ٤١٣ - ٣٧٩ - ٣٦٥ - ٣٥٨ - ٣٤٧ - ٣٤١ - ٣١١ - ٢٩٣ - ٢٩١ - ١٩	ليفورتو
٤٣١ - ٤٣٠ - ٤٢٨	
٣٣٧	ليكاتا
٤٤٥ - ٣٦٥ - ٣٤٧ - ٣٣٥ - ٣١١ - ٢٣٨	مارسليا
١٥٩	ماكري
٣٣	ماكوماكا
٣٣	ماكومداس
- ١٦٥ - ١٦١ - ١٥٧ - ١٥٥ - ١٥٤ - ١٤٦ - ١٠٤ - ١٠٢ - ٣١ - ٢٠ - ١٨ - ٦	مالطا
- ٢٠٥ - ٢٠٣ - ١٩٧ - ١٩٤ - ١٩٣ - ١٩٢ - ١٩٠ - ١٨٩ - ١٧٥ - ١٧٤ - ١٦٩	
- ٢٢٣ - ٢١٧ - ٢١٥ - ٢١٤ - ٢١٣ - ٢١٢ - ٢١٠ - ٢٠٩ - ٢٠٨ - ٢٠٧ - ٢٠٦	
- ٢٧١ - ٢٧٠ - ٢٦٤ - ٢٤٩ - ٢٤٨ - ٢٣١ - ٢٣١ - ٢٣٠ - ٢٢٩ - ٢٢٨ - ٢٢٥	
- ٣٨٦ - ٣٨١ - ٣٧٣ - ٣٥٨ - ٣٥٤ - ٣٥٣ - ٣٣٧ - ٣١٦ - ٢٩٨ - ٢٩٤ - ٢٩١	
- ٤٣٨ - ٤٣٤ - ٤١٧ - ٤١٦ - ٤٠٩ - ٤٠٨ - ٤٠٦ - ٣٩٧ - ٣٩٥ - ٣٨٩ - ٣٨٧	
٤٩٠ - ٤٦٦ - ٤٦٠ - ٤٥٤ - ٤٤٦	
١٩٦ - ١٣٠ - ١١٥	المالية
١١٠	مايورقة
١٣٤	المحرس

١١١ - ١١٠	محسن
١٦٨	المحيط الأطلسي
٣٨	مخزن الرخام
٢٩٧	مدرسة عثمان باشا
١٢٤	مدرسة الرخام
١٢٤ - ١٢٣	المدرسة المتتصية
٤٧٧	مدرسة
٥٤	المدينة
١٢٦ - ١٠٤	مراكش
- ٤٤٨ - ٤٤٠ - ٤٣٢ - ٤١٣ - ٣٨٥ - ٣٣٢ - ٣٣١ - ٣١٠ - ٢٩٩ - ٢٧٤ - ٢٧٢	مرزق
٤٨٤ - ٤٨١ - ٤٧٦ - ٤٦٩ - ٤٦٨ - ٤٥٦ - ٤٥٣ - ٤٥١ - ٤٥٠	
٢٥٢	مرسى الزعفران
٢٤٨	المرسى الشرقي
٢٥٢	مرسى عقرة
١٦٨	المرسى الكبير
٤٧٢	مرسى مطروح
٣٦١	المرغني
٤٥٦ - ٣٣١	مزدة
٢٥٣	مستنقع زوارة
٤٥٦ - ٤٥٣ - ٣٦٥ - ٣٣٠ - ٢٩٢ - ٢٦٨ - ٢٥٠ - ٢٣٩ - ١٣٣ - ١٢٩ - ٩٣ - ٥٩	مسلاطة
١٣٢	مسجد الحكيمي
٤١٩ - ٣٦٧ - ٣٤٣ - ٢٨٧ - ١٢٢	مسجد أحمد باشا القرماني
١٢٢	المسجد الأعظم
١٢٩	المسجد البارزي
١٢٩	مسجد الجدود
١٢٣	مسجد حومة غريان
٢٨٧	مسجد الخروبة
١٢٩	مسجد الخطاب
٢٨٧ - ٢٨٣ - ٢٧٠ - ٢٤٦ - ١٢٣	مسجد درغوث
٢٨٧	مسجد سيدي سالم
١٢٨	مسجد الشعاب
١٢٢ - ١٢١	مسجد العشرة
١٢٢	مسجد عمرو بن العاص
٣٠٦	مسجد فلولوم

٤٥٤ - ٢٨٦ - ٢٧٠	مسجد القلعة
٣٨٦ - ١٢٤	مسجد قورجي
١٧٣ - ١٧٢ - ١٤٧	المسجد الكبير (بطرابلس)
١٢٩	مسجد المجاز
٢٨٨	مسجد مراد آغا
٢٢٣ - ٢٠٨ - ١٧٥ - ١٤٧ - ١١٦ - ٣١	مسينا
٤١٤ - ٣٠٤ - ١٠٥ - ٧١	المشرق
- ٩٦ - ٩٢ - ٩٠ - ٨٨ - ٨٥ - ٨٢ - ٦٦ - ٦٤ - ٦٢ - ٦٠ - ٥٧ - ٥٤ - ٥١ - ٢٦ - ٢٤	مصر
- ٣١٨ - ٣١٣ - ٢٧٦ - ١٧٧ - ١٥٥ - ١٤٨ - ١٤٢ - ١٢٦ - ١١٢ - ١٠٩ - ٩٩ - ٩٨	
- ٤٠٦ - ٣٩٣ - ٣٨٧ - ٣٨٥ - ٣٨١ - ٣٧٨ - ٣٧٥ - ٣٧٠ - ٣٣٢ - ٣٢٨ - ٣٢٤	
٤٧٣ - ٤٧٢ - ٤٧١ - ٤٦٦ - ٤٦٥ - ٤٥١ - ٤٤٩ - ٤٤٨ - ٤٤٣ - ٣٣٩ - ٤٣٤ - ٤١٤	
- ٣٧٨ - ٢٧٦ - ٢٦٩ - ٢٥٤ - ٢٥٠ - ٢٣٩ - ٢٢٩ - ٢٢٧ - ١٤٣ - ١١٥ - ٤٠ - ٢٠	مصراتة
- ٣٤١ - ٣٤٠ - ٣٣٢ - ٣٣٠ - ٣١٠ - ٢٩٨ - ٢٩٥ - ٢٩٤ - ٢٩٣ - ٢٩٢ - ٢٨١	
- ٤٤١ - ٤٣٠ - ٤٢٩ - ٤٢٥ - ٤٢٤ - ٤١٥ - ٤٠٩ - ٤٠٥ - ٤٠٤ - ٣٦٧ - ٣٦٥	
٤٦٨ - ٤٥٦ - ٤٥١ - ٤٤٦	
٢٠٧	مضيق القنطرة (بحرية)
٥١	مطاطة
١٣	معهد الشرق (بإيطاليا)
- ١٠٤ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٠ - ٧١ - ٦٨ - ٦٦ - ٦٥ - ٦٣ - ٦٠ - ٥٩	المغرب
٤٦٨ - ٣٤٠ - ٢٧٦ - ٢٤٧ - ٢٣٩ - ١٢٦ - ١١٧ - ١١٣ - ١١٢ - ١٠٩ - ١٠٨ - ١٠٦	
٦٥ - ٢٥	المغرب الأقصى
١٣٨ - ٦٥ - ٢٥	المغرب الأوسط
٧٦ - ٧٤	مغمداس
٣٠٧	مقبرة سيدي حمودة
١٢٩	مقبرة سيدي منذر
٣٨٤	مقبرة العبيد
١٢٤	المقبرة اليهودية
٣٧٠ - ٣٤٠ - ٥٤	مكة
٢٦٥	مكتبة الفاتيكان
٣١٦	مكتبة لينشي
١٤٧ - ٢٠	المكتبة الوطنية (بباريس)
١١٣	مليانة
٢٠٤	مينيشة
٢٩٨	مينكشة

٢٠٥ - ٢٥٣ - ٢٨٨ - ٣١٥ - ٣١٧ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣٠ - ٣٥٢	المنشية
٣٦٠ - ٣٦٥ - ٣٧٠ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٢ - ٤٢٢ - ٤٢٩ - ٤٥٣	
٢٤ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١١١ - ١١٢ - ١٣٩ - ١٥٥ - ١٥٨ - ٢٠٠	المهدية
٢٠٦ - ٢١٨	
٢٩٥ - ٢٩٨ - ٣٠٤	المورة
٢٤ - ٣٧ - ٣٩	موريتانيا
١٢٢	موقف الغنم
١٧٩ - ٢٢٧	المونستير
٢٢٠ - ٢٨٨	الملاحة
٢٤٤	ميدان بايزيد
٣٤٣	ميدان الساعة
٤٥١	ميناء بنغازي
١٥٤	ميناء شياكا
١٩٠ - ٢٧١ - ٣٢٨ - ٣٣٧ - ٣٥٦ - ٣٦٣ - ٣٧٥ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨٧	ميناء طرابلس
٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٤١١ - ٤١٧ - ٤٣٩ - ٤٥١ - ٤٨٩ - ٤٩١	
٣٤٨	مينوركا
١٧ - ٣٤١	ميلانو
١٦٩ - ١٨٠ - ٢٢٦ - ٢٢٨ - ٢٤٠ - ٢٤٧ - ٢٦٧ - ٣٠١ - ٣٣٦ - ٣٤٦ - ٣٥٦	نابولي
٣٥٨ - ٣٦٥ - ٣٧٥ - ٣٨٨ - ٣٩٠	
٤٧٢	ناحية بومبا
٤٧٢	ناحية طبرق
١٦٨	نافارا
٣٨٢ - ٤٣٣ - ٤٣٧ - ٤٥٦	نالورت
٣٩٧	نرفي
٢٤٩ - ٢٥٢	نعيم
٣٩٤	نقارنيو
٣٣٦ - ٣٤٦ - ٤١٧	النمسا
٢٠٩	نوتابيلي
٣٢ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٩	نوميديا
٤٨٤	النيجر
٤٤٥ - ٤٥٠	نيجيريا
١٩٣ - ٢٠٧ - ٢٩٧	نيس
٢٦ - ٩٨	النيل

٣٩٠	هامبورج
٤٨١ - ٤٧٧ - ٤٦٩ - ١٩	الهندلاند
١٦٨	الهند الشرقية
٣٦١ - ٤٣	هنشير
٤٧٥	هوهانت
٤٥٦	هون
٣٧٩ - ٣٦٥ - ٣٦٤ - ٣٣٦	هولاندا
٣٩٣ - ٣١٧ - ٢٧٧	واحة أوجلة
٤٨١	واحة أوغادن
٤٧٥	واحة جانييت
٤٦٩	واحة الجغبوب
٤٦٩ - ١٠٨	واحة سيوة
٤٨١	واحة عقرم
٤٤١	واحة العير
٤٧٥	واحة غدامس
٤٨١	واحة قبايو
٤٨١	واحة كاوار
٤٨١	واحة ياح
٤٩٠	وادي
٤٨٦ - ٤٥١ - ٤١٣	الوادي
٢٧٣	وادي الأجل
٣١٤	وادي الأربع
٤٧٤	وادي تمكور
٨١	وادي الرمل
٤٥٦	الوادي الشرقي
٣٢ - ٣٠	وادي شنيف
٤٣ - ٣٢ - ٣٠	وادي كعام
٨٤	وادي ورداسة
٤٧٤	وازن
١١٢ - ١١٠ - ٦٤ - ٥٦	وَدَان
٢٨٨ - ١١١	ورشفانة
٤٥٦ - ٤٢٥ - ٤٠٥ - ٣٨٥	ورفلة
١٩٤ - ١٩٣ - ١٦٨	وهران

٤٧٥

ولاية طرابلس

٢٤٩

لارد

٤٦٩

لاغوس

٤٥١

لاكاتا

٣٦٤ - ٣٣٦

لاهاي

٤٨٧

يات

٤٥٦ - ٤٣٩ - ٤٣٣ - ١١١

يفرن

٤٧٨ - ٩٦

اليمن

٢٤٩

يوفرانة

## فهرس الفرق والجماعات والهيئات

٨٢ - ٧٤ - ٧٠ - ٦٩	الإباضية
- ١٩٦ - ١٨٨ - ١٨١ - ١٧٧ - ١٧٤ - ١٦٧ - ١٦٣ - ١٦١ - ١٥٩ - ١٥٠ - ٩٩ - ٢٥	الأتراك
- ٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢١ - ٢١٩ - ٢١٢ - ٢١١ - ٢٠٩ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ٢٠١ - ٢٠٠	
- ٢٤٤ - ٢٤٠ - ٢٣٨ - ٢٣٦ - ٢٣٥ - ٢٣٤ - ٢٣٢ - ٢٣٠ - ٢٢٩ - ٢٢٨ - ٢٢٧	
- ٢٨٦ - ٢٨٤ - ٢٨٠ - ٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٦٩ - ٢٥٦ - ٢٥٥ - ٢٥٠ - ٢٤٦ - ٢٤٤	
- ٣٧٣ - ٣٢٨ - ٣٢٦ - ٣٢٣ - ٣١٨ - ٣١٣ - ٣٠٩ - ٣٠٦ - ٣٠٥ - ٢٩٢ - ٢٨٨	
- ٤٣٧ - ٤٣٦ - ٤٣٤ - ٤٣٢ - ٤٢٩ - ٤٢٧ - ٤٢٦ - ٤٢٥ - ٤٢٣ - ٤٢٢ - ٣٩٦	
- ٤٦١ - ٤٥٩ - ٤٥٨ - ٤٥٧ - ٤٥٤ - ٤٥٢ - ٤٤٨ - ٤٤٥ - ٤٤١ - ٤٣٩ - ٤٣٨	
- ٤٧٨ - ٤٧٦ - ٤٧٤ - ٤٧٢ - ٤٧٠ - ٤٦٩ - ٤٦٧ - ٤٦٦ - ٤٦٤ - ٤٦٣ - ٤٦٢	
٤٨٨ - ٤٨٥ - ٤٨٤ - ٤٨٣ - ٤٨٢ - ٤٨٠	
٤٥١ - ٣٧٧ - ٣٧٣ - ٣٦٧ - ٣٢٨ - ٣١٨ - ٣١٣	الإرسالية الفرنسيسكانية
٤٥٨	الأرمن
٣٥٧ - ٣٤٩ - ٢٥٨	الأرناؤوط
- ١٩١ - ١٨٨ - ١٨٧ - ١٨٢ - ١٨٠ - ١٧٧ - ١٦٦ - ١٦٥ - ١٤٨ - ١٥ - ١٠ - ٥	الإسبان
٢١٨ - ٢١١ - ٢٠٢ - ١٩٩ - ١٩٦	
٣٦٥	أسرة أستريا (الحاكمة في الصقليتين)
٣٢٢ - ٢٥٨	أسرة الحسين بن علي (المحاكمة في تونس)
١٣٩	أسرة عبد الواد (في تلمسان)
- ٣٥٢ - ٣٥١ - ٣٤٣ - ٣٣٤ - ٣٢٣ - ٣٢٢ - ٣٢١ - ٢٥٨ - ٢٠ - ١٨	الأسرة القرمانيئية
- ٤٣٧ - ٤٢٩ - ٤٢٧ - ٤١٨ - ٤١١ - ٤٠٨ - ٣٧١ - ٣٦٧ - ٣٥٩ - ٣٥٧	
٤٣٨	
٨٣ - ٨٠ - ٧٩	الأغالبة
٦٢ - ٥٨ -	الإغريق
٣٠٦	الإفرنج
٤٥٨	الأكراد

٤٦٠	الألبان
٢٢٣	الألمان
٣٨١ - ٣٨٠	الأميركيون
٤٥٤ - ٣٤٨ - ٢٩٤	الإنجليز
٣٢٦ - ٢٨٧ - ٢٨٣ - ٢٧٥ - ٢٦٥ - ٢٥٨ - ٢٥٥ - ٢٤٦ - ٢٤٣ - ٢٣٨ - ٢٣٦	الإنكشارية
٤٥٩ - ٤٢٩ - ٤١٢ - ٣٥٧ - ٣٥٥ - ٣٣٨ - ٣٣٧ - ٣٢٨	
٥٨	الإتاليون
٤٧٠ - ٣٦٥ - ٢٢٣ - ٢١١	الإيطاليون
٣٣٩	أولاد أبي سيف
٣١٠	أولاد برعوص
٣٢٩	أولاد حامد بن جارية
٣١٠	أولاد زيان
١٣٩	أولاد سالم
٣١٠	أولاد سلطان
٤٣٥ - ٤٣٢ - ٤٢٥ - ٤٠٥ - ٣٨٥ - ٣٨٢ - ٣٦٧ - ٣٦٦ - ٢٢٨ - ١٣٩	أولاد سليمان
٤٤٠	
٣١٠	أولاد عبد الرحمن الجبالي
٢٧٢ - ١٠٢	أولاد علوان (العلاونة)
٢٧٢	أولاد محمد
١٤٢	أولاد مرغم
٣١٠	أولاد المكني
٣٣٠	أولاد نصر
٣٢٨ - ٢٩٣ - ٢٩٢ - ٢٦٥ - ٢٣٦	أولاد نوير
٦٥ - ٥٩	البرانس
٣١٠	البراغيث
٨٦ - ٨٤ - ٨٣ - ٧٧ - ٧٣ - ٧٢ - ٧١ - ٦٦ - ٦٥ - ٦٠ - ٥٩ - ٥٨ - ٥٧ - ٤٩ - ٢٦	البربر
١٣٨ - ١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٢ - ١٣١ - ١٢٣ - ١٠٨ - ٩٩ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٣ - ٨٨	
٤٦٣ - ٤٥٨ - ٢٥١ - ١٤٠	
٤٣٣ - ٩٧ - ٧٣	البربر الإياضيون
١٤٠	بربر زاكوغة
١٣٩ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٦ - ٧٢	بربر زناتة
٩٧	البربر السنيون
٨٣ - ٧٣	بربر طرابلس



٣٠٧	بربر فساطو
٨٦	بربر كتامة
٩٣ - ٨٨ - ٧٣	بربر نفوسة
٨٦ - ٨٣	بربر هواة
١٦٨	البرتغاليون
٦٦ - ٥٠ - ٤٩ - ٤٨ - ٤٥ - ٤٣ - ٢٩ - ٢٥	البيزنطيون
٣٥٨ - ٢٨٠	البندقيون
١٣٢	بنو إبراهيم
٦٠	بنو بيزلتين
٥٩	بنو تازة
١٤٥ - ١٤٣ - ١٤٠ - ١٣٧ - ٩٧ - ٥٩	بنو ثابت
١٠٢	بنو جابر
٩٧	بنو جامع
٩٩	بنو حماد
١٢١ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٥ - ٩٣ - ٩٢ - ٩٠ - ٨٩ - ٧٩ - ٦٠	بنو خزرون
١٣٢ - ١٠٨ - ٥٩	بنو الخطّاب
٥٩	بنو خيار
١١٢	بنو دمار
١٣٨ - ١٣٤ - ١١٤ - ١١٠ - ١٠٢	بنو دباب
١٠١ - ٩٨	بنو رياح
١٣٢	بنو رزق
٣٦١ - ٢٦٢	بنو ربيعة
١٠٢ - ١٠١ - ٩٩ - ٩٨ - ٩٢	بنو زغبة
٩٩ - ٩٣ - ٩٠ - ٨٩ - ٧٩	بنو زغيب
١٠٢ - ١٠١ - ٩٨ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٣	بنو زيري
١١٣	بنو سليم
١٢٣	بنو سلام
٣٣٤	بنو عبيد
١٤٥ - ١٤٠ - ١٣٧ - ٥٩	بنو علوان
١٣٨	بنو عمار
١١٢ - ١١١ - ١٠٩ - ١٠٧ - ١٠٦ - ١٠١	بنو عوف
١٣٩ - ١١٧	بنو غانية
٦٠	بنو كعب
	بنو مالك

١١٢	بنو متكود
٥٥	بنو مدلج
١٣٥	بنو مرغم
٦٠	بنو مرين
١٣٢	بنو مزيلة
١٢١ - ١١٢ - ١٠٣ - ١٠٠	بنو مطروح
٣١٠	بنو معدان
٣٠٦	بنو المكخي
٢٥١	بنو نفوسة
١٥٥ - ١٠٢ - ١٠١ - ٩٨ - ٩٦ - ٩٥	بنو هلال
١٣٤	بنو وشاح
٤٠٥ - ٢٨٠ - ٢٥١	بنو وليد
٢٥١ - ٦٠	بنو يفرن
٥٨ - ٣٠	البونيقيون
٤٨٩ - ٤٥٨	تركيا الفتاة (حزب)
٤٧٥ - ٤٦٦ - ٢٤٧	التونسيون
٣١٠	الجبازنة
٣٧ - ٢٧	الجرامنت
٢٦٧	الجزائريون
	جمعية الاتحاد والترقي
١٥	الجمعية الإيطالية لتقدم العلوم
١٥	الجمعية الإيطالية الجغرافية
٢٧	الجيئولي
١٥٥ - ١٤٩ - ١٤١ - ١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٤ - ١١٨ - ١١٧ - ١١٤ - ١١٣ - ١٠٧	الحفصيون
٢٧٣ - ٢٧٢	الخرمان
٣٠	الدوريون
١٥٧ - ٦٢ - ٥٧ - ٥٦	الروم
٤١ - ٤٠ - ٣٣ - ٣١ - ٢٩ - ٢٤	الرومان
١٠٣ - ٩٦ - ٩٢ - ٩١	الزيريون
٤٨٣ - ٤٨٢ - ٤٧٣ - ٤٦٣ - ٤٦٢	السنوسية

٦	الصلييون
١٠٣ - ١٩	الصقلييون
٢٧٠ - ٢٦٧ - ٢٦٤ - ٢٤٨ - ٢٤٧ - ٢٣٧ - ٢٣٢ - ١٧٩ - ١٧٠ - ١٤٠ - ١٠٥	الطرابلسيون
٣٥٨ - ٣٤٧ - ٣٣٦ - ٣٣٥ - ٣٢٨ - ٢٩١	
٤٨٥ - ٤٧٨ - ٤٧٤	طوارق أزقر
٤٧٨	طوارق هوجار
١١١	العباسيون
٩٧ - ٧٩	العبيديون
٢٧٧ - ٢٤٧ - ٢٢١ - ١٨٦ - ١٦٧ - ١٦٥ - ٥	العشانيون
١٢٥ - ١٢١ - ١١٦ - ١١٥ - ١٠٨ - ١٠٢ - ١٠١ - ٩٩ - ٩٦ - ٩٣ - ٦٧ - ١٠	العرب
١٦٨ - ١٦٦ - ١٦٥ - ١٥٨ - ١٥٥ - ١٥٠ - ١٣٨ - ١٣٤ - ١٣٣ - ١٣١ - ١٣٠	
١٩٤ - ١٨٥ - ١٨٢ - ١٨١ - ١٧٩ - ١٧٨ - ١٧٧ - ١٧٥ - ١٧٣ - ١٧٢ - ١٧٠	
٢٤٦ - ٢٤٢ - ٢٣٨ - ٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢٢ - ٢١١ - ٢٠٩ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ١٩٨	
٢٩٢ - ٢٨٤ - ٢٨٣ - ٢٧٥ - ٢٦٨ - ٢٥٨ - ٢٥٦ - ٢٥٣ - ٢٥٢ - ٢٥١ - ٢٤٩	
٣٥٨ - ٣٥٠ - ٣٤٧ - ٣٢٩ - ٣٢٨ - ٣٢٣ - ٣١٠ - ٣٠٩ - ٣٠٧ - ٣٠٥ - ٢٩٨	
٤٦٦ - ٤٦٣ - ٤٥٨ - ٤٢٥ - ٤٠٨ - ٣٨٢	
٢٩٢ - ٢٧٦ - ١١٥	عرب برقة
٩٨	عرب بني سليم
١٣٩	عرب بني سليمان
١٣٩	عرب بني كعب
٩٨	عرب بني هلال
٣٦٧	عرب ترهونة
٣٩٢ - ١٤٢ - ١٣٨ - ١٣٥ - ١٣٢ - ١١٨ - ١١٦ - ١١٥ - ١٠٢	عرب الجواري
٣٥٠ - ٢٣٣ - ٢٠٦ - ١٧٧	عرب الدواخل
٤٣٨	عرب الساحل
٣٢٨	عرب السهل
٣٦٧ - ٢٠٦	عرب الضواحي
٤٦٥ - ٤٦٠	عرب طرابلس
٣٦٧ - ٣١٨ - ٣١٤	عرب غريان
٤٢٤	عرب قسنطينة
٣٦٧ - ١٣٤	عرب النواثل
٤٦	الغوط

٩٧ - ٩٦ - ٩٢ - ٩٠ - ٨٨	الفاطميون
٢٢٩ - ١٩٣	فرسان رودس
٣٠١	فرسان القديس ستيقانو
٣٠١	فرسان القديس ماوريزنو ولازارو
٢٢٨ - ٢١٧ - ١٩٢	فرسان القديس يوحنا
- ٢٠٥ - ٢٠٤ - ٢٠٢ - ٢٠١ - ١٩٧ - ١٩٦ - ١٩٤ - ١٥ - ١٠ - ٩ - ٧ - ٥	فرسان مالطة
- ٢٢٩ - ٢٢٥ - ٢٢٣ - ٢٢٢ - ٢١٧ - ٢١٣ - ٢١٢ - ٢٠٨ - ٢٠٧ - ٢٠٦	
- ٣٠١ - ٢٩١ - ٢٨٦ - ٢٧١ - ٢٥٤ - ٢٤٩ - ٢٤٣ - ٢٤٢ - ٢٤١ - ٢٤٠	
٣٨٩ - ٣٥٤ - ٣٣٨ - ٣٣٧ - ٣٣٣ - ٣١٧ - ٣١٦	
٤٨٥ - ٤٨٤ - ٤٧٥ - ٤٧٤ - ٤٧١ - ٤٦٦ - ٣٥٨ - ٣٤٨ - ٢١٨	الفرنسيون
٣٤٧	الفرنسكان
٢٧٤	الفرانزيون
٣٠ - ٢٧	الفينيقيون
٤٨٣	قبائل رشادة
٣٠٩	قبائل سرت
٤٨٨	قبائل الشاطيء
٤٨٣	قبائل كوار
٦٠	قبيلة رشفانة
١٤٠	قبيلة زاكوغة
٩٢ - ٩٠ - ٨٩	قبيلة زنائة
٦٠	قبيلة زواغة
٥٩	قبيلة عكاره
١٠٢	قبيلة العوامر
٨٦ - ٦٠	قبيلة كتامة
١٠٩	قبيلة كعوب
٧١ - ٦٠	قبيلة لواتة
٦٠	قبيلة ماجر
٥٩	قبيلة مسراثة
١١٣ - ١٠٤	قبيلة مصمودة
٩٠ - ٨٩ - ٥٩	قبيلة معراوة
٣٨٥ - ١٠٢	قبيلة المقارحة
٣٩٩ - ٣٨٢	قبيلة نوير
٤٧٤	قبيلة ورغلة

٥٩	قبيلة ورفلة
٦٠	قبيلة ورقجومة
٢٦٧	قراصنة تونس
٢٦٧ - ٢٢٩	قراصنة الجزائر
٢٨٠	قراصنة الشمال الإفريقي
٣٤٧ - ٢٢٩	قراصنة طرابلس
٥٨	القرطاجيون
١٥٥ - ١١٦	القشطياليون
٤٣٦	قنصلية إسبانيا
- ٣٥٣ - ٣٥٢ - ٣٥١ - ٣٥٠ - ٣٤٨ - ٣٤٧ - ٣٤٦ - ٣٤٢ - ٣٣٥ - ٩	القنصلية الانجليزية
٤٣٦ - ٣٩٢ - ٣٨٩ - ٣٨٨ - ٣٧٢ - ٣٧٠ - ٣٦٨ - ٣٦٧ - ٣٥٦	
- ٤٦٧ - ٤٦٦ - ٤٦٥ - ٤٦٤ - ٤٦٣ - ٤٦١ - ٤٥٨ - ٤٥٤ - ٤٥١ - ٩	القنصلية الإيطالية
٤٩٠ - ٤٧٨ - ٤٧٢	
- ٤٤٩ - ٤٤٧ - ٤٤٦ - ٤٤٠ - ٤٣٩ - ٤٣٠ - ٤٢٨ - ٤٢٧ - ٤٢٦ - ٤١٣	قنصلية توسكانا
٤٥٣	
٣٦٩	القنصلية الدانمركية
- ٤٢٩ - ٤٢٨ - ٤٢٦ - ٤٢٤ - ٤١٣ - ٤١٢ - ٣٩٧ - ٣٩٥ - ٣٩٤ - ٣٩١	قنصلية ساردينيا
٤٥٤ - ٤٤٩ - ٤٤٨ - ٤٣٩ - ٤٣٧ - ٤٣٤ - ٤٣٢	
٤٠٠ - ٣٨٠ - ٣٧٦ - ٩ (بتونس)	القنصلية الفرنسية
٣٤٦	القنصلية النابوليتانية
٣٤٧	القنصلية النمساوية
٢٧	اللوثافاجيين
٥٨ - ٥٠ - ٤٩ - ٤٨ - ٤٦	الليبيون
١١٨	الماستونة
٤٢٧ - ٣٥٨ - ٣٣٨	المالطيون
٤٩ - ٤٨ - ٢٥ - ٢٤	الماوري
٥٩	المجارس
٤٤٨	مجلس العموم البريطاني
- ٢٩٣ - ٢٩٢ - ٢٨٣ - ٢٨١ - ٢٤٤ - ٢٢٨ - ٢٢٤ - ١٣٥ - ١٣٤ - ١١٥ - ١٠٢	المحاميد
٤٣٣ - ٤٢٥ - ٣٨٢ - ٣٦٧ - ٣٦٦ - ٣١٤ - ٣٠٧ - ٢٩٨	
١١٣ - ١٠٩ - ١٠٣	المرابطون
٢٧٤ - ٢٣٩ - ١٤٦	المرابطون (الأولياء)
١٤٢ - ١٤١	المرينيون

١٢٠ - ٢٢٠ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٤	المسيحيون
٣٢٢	المشاركة
٢٤٧	المصريون
٣١ - ٢٧	المغاي
١١١	ملوك المغرب
٣٢٨	الممالك
٣٦٥ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٨ - ٤٠٠ - ٤٣٨ - ٤٤٠	مملكة الصقليتين وقصليتها
٤٤١ - ٤٤٦ - ٤٤٨ - ٤٦٠	.
٩٨ - ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢١	الموحّدون
١٦٠	
٢٧١ - ٣٤٦	مملكة نابولي
٢٧ - ٣٧	الناسمون
٩٥ - ٩٨ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١١٢ - ١٥٤	النورمان
٩٣	هوّارة البربرية
٣٣٦	الهولنديون
٤٥٢	هيئة القديس يوسف
٢٩ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨	الوندال
٣٠ - ١٠٨ - ٢٨٧ (الأسرى في القرن السابع عشر)	اليونانيون
١٧٢ - ٢٤٣ - ٢٥٤ - ٤٦١ - ٤٦٤	اليهود

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم - خليفة محمد التليسي	٥
تقديم - ماريا ناللينو	١٣
مقدمة المؤلف	١٧

### القسم الأول

#### مدخل

التسميات القديمة والحديثة الخاصة بطرابلس الغرب وليبيا	٢٣
بصفة عامة - سكان طرابلس الغرب القدامى	
١ - التسميات الجغرافية القديمة والحديثة الخاصة بطرابلس الغرب وليبيا بصفة عامة	٢٤
٢ - سكان طرابلس الغرب الأوائل	٢٦

### الفصل الثاني

ملحات من تاريخ طرابلس الغرب قبل الفتح العربي	٢٩
١ - السيطرة الفينيقية القرطاجنية	٣٠
٢ - السيطرة الرومانية	٣٥
٣ - الاستعمار الروماني بطرابلس الغرب	٤٠
٤ - الوندال والبيزنطيون	٤٥

### الفصل الثالث

- الفتوحات الإسلامية في طرابلس الغرب ..... ٥٣
- ١ - ظهور الإسلام ..... ٥٤
- ٢ - فتح برقة وأولى الغزوات نحو طرابلس ..... ٥٤
- ٣ - سكان طرابلس الغرب أثناء الفتح الإسلامي ..... ٥٨
- ٤ - الفتوحات التالية - حملة عقبة بن نافع ..... ٦١
- أوضاع السكان الأصليين
- ٥ - ولاية زهير ونعمان الغساني. وثورة الكاهنة ..... ٦٦
- ٦ - ولاية موسى بن نصير وبداية ثورات الخوارج ..... ٦٧

### الفصل الرابع

- ثورات الخوارج في افريقية - الأباضية في طرابلس الغرب ..... ٦٩
- ١ - الأباضية في طرابلس الغرب ..... ٧٠
- ٢ - ولاية حنظلة وعبد الرحمن بن حبيب في افريقية. الثورة البربرية الأولى ..... ٧٢
- ٣ - طرابلس وطرابلس الغرب تحت الخلافة العباسية ..... ٧٣
- استيلاء البربر من جديد على طرابلس
- ثورة بربر ورفجومة
- ٤ - الولاة المعينون من الخلفاء العباسيين على افريقية ..... ٧٥
- في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي.
- ثورات جديدة للبربر.

### الفصل الخامس

- ١ - إمارة الأغالبة في افريقية ..... ٨٠
- طرابلس تحت سيادة الأغالبة.
- ثورات الأباضية بطرابلس.
- ٢ - حملة عباس بن أحمد بن طولون على طرابلس ونهاية الإمارة الأغلبية ..... ٨٣



- ٣ - سيادة العبيدين في افريقية . طرابلس والسيادة العبيدية ..... ٨٥  
ثورات في طرابلس وثورات بالجليل .  
٤ - ثورة أبي يزيد في افريقية ..... ٨٨  
نهاية الحكم العبيدي .  
٥ - إمارة بني زيري في افريقية ..... ٨٩  
استقلال طرابلس تحت حكم بني زيري .

### الفصل السادس

- هجرة قبائل بني هلال وبني سليم ..... ٩٥  
الموحدون - النورمان  
١ - أهمية هجرة بني هلال وبني سليم الى افريقيا الشمالية ومعناها وأسبابها ٩٦  
٢ - نهاية إمارة بني خزون بطرابلس ..... ٩٩  
٣ - توزيع العرب في طرابلس الغرب ..... ١٠١  
٤ - طرابلس تحت حكم النورمانيين واستيلاء الموحدون عليها فيما بعد .. ١٠٢

### الفصل السابع

- المغامر قرقوش وبنو غانية - اضطرابات ودمار في افريقية - ..... ١٠٧  
بداية عهد الحفصيين القرن الثامن  
١ - المغامر قرقوش في طرابلس الغرب ..... ١٠٨  
٢ - مقتل قرقوش ..... ١١٠  
٣ - بنو غانية في طرابلس الغرب وافريقية ..... ١١١  
٤ - بداية عهد الحفصيين ..... ١١٣  
٥ - طرابلس تحت حكم الحفصيين - اضطرابات وثورات وتدخّل ملك أراغونا وصقلية في شؤون طرابلس ..... ١١٤  
٦ - السيطرة الصقلية - الأراغونية في جربة ..... ١١٧

## الفصل الثامن

- طرابلس عند بداية القرن الخامس عشر ..... ١١٩
- ١ - طرابلس كما وصفها الرحالة التجاني ..... ١٢٠
- ٢ - الأضرحة - والمساجد والمدارس ..... ١٢٢
- ٣ - القوس الروماني ..... ١٢٤
- ٤ - المقابر ..... ١٢٥
- ٥ - الأوضاع الثقافية والاقتصادية ..... ١٢٦
- ٦ - ضواحي طرابلس ..... ١٢٨
- ٧ - الوضع السياسي والاجتماعي في طرابلس الغرب في القرن الرابع عشر .. ١٣٤

## الفصل التاسع

- استمرار الحكم الحفصي - حكم بني ثابت أو بني عمار بطرابلس - ..... ١٣٧
- فترة الانهيار (القرن الخامس عشر)
- ١ - استمرار حكم الحفصيين بطرابلس ..... ١٣٨
- ٢ - بداية حكم بني ثابت بطرابلس ..... ١٤٠
- ٣ - فيليب دوريا يستولي على طرابلس ..... ١٤١
- ٤ - استمرار أسرة بني ثابت وتدخل ملك صقلية الأرغوني بطرابلس ... ١٤٣
- ٥ - أسرة بني ثابت - شجرة الأسرة ..... ١٤٥
- ٦ - طرابلس خلال القرن الخامس عشر حتى الاحتلال الإسباني ..... ١٤٦

## الفصل العاشر

- نظرة عامة الى علاقات طرابلس بأوروبا في القرون الوسطى ..... ١٥٣
- ١ - العلاقات التجارية ..... ١٥٤
- ٢ - حوادث. قرصنة. استرقاق ..... ١٥٨

## القسم الثاني

### الفصل الأول

- ١٦٥ ..... سيطرة الإسبان وفرسان مالطا على طرابلس  
١ - الاحتلال الإسباني ..... ١٦٦  
٢ - مظاهر الفرح في أوروبا. والأسف في العالم الإسلامي لسقوط طرابلس ... ١٧٥

- حملة ضد جربة - هجوم العرب على المدينة.

- ٣ - أوضاع طرابلس تحت حكم الإسبان ..... ١٨١  
٤ - القراصنة العثمانيون في شمال إفريقيا ..... ١٨٦  
٥ - التنازل عن طرابلس الى فرسان مالطا ..... ١٨٩  
٦ - حكم فرسان مالطا في طرابلس ..... ١٩٤  
٧ - حصار العثمانيين لطرابلس واستيلاؤهم عليها ..... ٢٠٨  
٨ - قائمة بأسماء حكام منظمة مالطا بطرابلس ..... ٢١٤

### الفصل الثاني

- الحكم العثماني - الولاة الأوائل ..... ٢١٥  
١ - مراد آغا ..... ٢١٦  
٢ - درغوث باشا ..... ٢٢١  
٣ - الحملة المسيحية ضد جربة ..... ٢٢٢  
٤ - أوضاع طرابلس عام ١٥٦٠ ..... ٢٢٦  
٥ - حصار مالطا و وفاة درغوث باشا ..... ٢٢٨  
٦ - خلفاء درغوث. حكم طرابلس ..... ٢٣٢  
٧ - الاضطرابات في طرابلس خلال الأعوام ١٥٨٨ - ١٥٩٠ ..... ٢٣٨  
والعشر الأعوام التالية.  
٨ - مشروع خطة لهجوم فرق بحرية من مالطا وصقلية ..... ٢٤٧  
ونابولي ضد مدينة طرابلس.

- ٢٤٩ ٩ - طرابلس الغرب في النصف الثاني من القرن السادس عشر . . . . .  
معلومات جغرافية وبشرية واجتماعية .  
٢٥٥ ١٠ - النظام الاداري لولاية طرابلس عقب الاحتلال التركي . . . . .

### الفصل الثالث

- ٢٦١ . . . . . الحكم العثماني . الدايات والباشوات  
٢٦٢ ١ - صفرداي . . . . .  
٢٦٥ ٢ - مصطفى شريف داي . . . . .  
٢٦٧ ٣ - رمضان داي . . . . .  
٢٦٨ ٤ - الساقزي محمد باشا . . . . .  
٢٧١ ٥ - علاقات طرابلس بفزان وبورنو . . . . .  
٢٧٦ ٦ - علاقات طرابلس ببرقة . . . . .  
٢٧٨ ٧ - الساقزي عثمان باشا . . . . .  
٢٨٤ ٨ - طرابلس قرب سنة ١٦٧١ . . . . .  
٢٨٧ ٩ - ضواحي طرابلس قرب سنة ١٦٧٢ . . . . .

### الفصل الرابع

- ٢٨٩ . . . . . العهد العثماني - الدايات والباشوات  
٢٩٠ ١ - خلفاء الساقزي عثمان باشا . . . . .  
٣٠٠ ٢ - القرصنة والقناصل . . . . .  
٣٠٤ ٣ - الحاج عبد الله داي ابراهيم تارزي داي . . . . .  
٣٠٧ ٤ - قاردغلي محمد الإمام باشا وخلفاؤه . . . . .  
٣١٣ ٥ - عثمان قهوجي داي . . . . .  
٣١٣ ٦ - مصطفى غليبولي داي . . . . .  
٣١٤ ٧ - خليل بك . . . . .  
٣١٩ ٨ - قائمة بأسماء ولاه ودايات طرابلس منذ سنة ١٥٥١ . . . . .  
حتى سنة ١٧١١

## الفصل الخامس

٣٢١	استمرار العهد العثماني. قيام الأسرة القرمانيلى
	عهد أحمد باشا القرمانيلى
٣٢٢	١ - القرمانيلىون
٣٢٤	٢ - الأحداث التى أدت بأحمد باشا القرمانيلى الى حكم طرابلس
٣٢٩	٣ - حملات ضد الدواخل وأخرى بفزان وبرقة
٣٣٤	٤ - القرصانة والعلاقة بين الدول المسيحية والقسطنطينية
٣٣٨	٥ - شخصية أحمد باشا القرمانيلى
٣٤٢	٦ - أعمال أحمد باشا القرمانيلى
٣٤٣	٧ - وفاة أحمد باشا القرمانيلى

## الفصل السادس

### السيادة القرمانيلىة

٣٤٥	عهد محمد باشا وعلي باشا القرمانيلى - علي برغل
٣٤٦	١ - محمد باشا القرمانيلى
٣٤٦	٢ - القرصنة والعلاقات مع الدول الكبرى
٣٤٩	٣ - مؤامرات وثورات بطرابلس في سنة ١٧٤٥ وفي سنة ١٧٥٢
٣٥٠	٤ - الأعوام الأخيرة من عهد محمد باشا ووفاته
٣٥١	٥ - علي باشا القرمانيلى
٣٥٣	٦ - القرصنة وحملة البندقية ضد طرابلس
٣٥٦	٧ - طرابلس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر
٣٦٢	٨ - القرصنة والطاعون في ١٧٨٤ - ١٧٨٦
٣٦٣	٩ - العلاقات مع الدول المسيحية
٣٦٥	١٠ - الحالة في دواخل طرابلس الغرب
٣٦٦	١١ - مقتل حسن بك القرمانيلى على يد أخيه يوسف

١٢ - علي برغل يستولي على الحكم بطرابلس ..... ٣٦٧

### الفصل السابع

- ٣٧١ ..... العهد القرماني - حكومة أحمد باشا الثاني  
ويوسف باشا وعلي باشا الثاني. عودة السيادة العثمانية
- ٣٧٢ ..... ١ - أحمد باشا القرماني الثاني. يوسف باشا القرماني  
يذبح أخاه ويستولي على الحكم
- ٣٧٣ ..... ٢ - شخصية يوسف باشا القرماني
- ٣٧٤ ..... ٣ - العلاقات مع الدول الكبيرة
- ٣٨٢ ..... ٤ - الوضع في الدواخل وفزان
- ٣٨٥ ..... ٥ - الأسرة، البلاط، والحكومة في عهد يوسف باشا القرماني  
إنهيار ولاية طرابلس وإفلاسها السياسي والاقتصادي.  
نهاية القرصنة والموقف الحازم للدول الكبرى.
- ٤٠٤ ..... ٦ - ثورة الحفيد محمد بك. وتنازل يوسف باشا القرماني
- ٤٠٧ ..... ٧ - علي باشا القرماني الثاني
- ٤١١ ..... ٨ - تدخل الباب العالي وإعادة السلطة العثمانية إلى طرابلس
- ٤١٣ ..... ٩ - التجارة والوضع الاقتصادي بطرابلس الغرب
- ٤١٨ ..... ١٠ - شجرة الأسرة القرمانية

### القسم الثالث

#### الفصل الأول

- ٤٢١ ..... العهد العثماني الثاني بطرابلس الغرب ١٨٥٣ - ١٩١١  
احتلال المناطق الداخلية ١٨٣٥ - ١٨٥٨
- ٤٢٢ ..... ١ - إعادة السيطرة العثمانية على طرابلس واحتلال بنغازي ودواخل طرابلس
- ٤٢٥ ..... ٢ - احتلال مصراتة
- ٤٢٦ ..... ٣ - الصراع ضد غومة

- ٤ - نهاية عبد الجليل والسيطرة على الأجزاء الشرقية من طرابلس الغرب ٤٣١  
 ٥ - احتلال فزان وغدامس ..... ٤٣٢  
 ٦ - الصراع ضد غومة ..... ٤٣٣  
 ٧ - نهاية غومة وتدعيم احتلال طرابلس الغرب ..... ٤٣٧

## الفصل الثاني

- الفترة الثانية من العهد العثماني الثاني بطرابلس ..... ٤٤٣  
 الإدارة المحلية بعد الاحتلال .  
 ١ - طرابلس قرب سنة ١٨٥٠ الوضع الاقتصادي ..... ٤٤٤  
 ٢ - تجارة الرقيق ..... ٤٤٧  
 ٣ - أعمال الولاية الأتراك الأوائل ..... ٤٥٢  
 ٤ - التقسيمات الإدارية والتنظيم المالي ..... ٤٥٥  
 ٥ - الأهالي وعلاقاتهم بالولاية والجاليات الأجنبية ..... ٤٥٧  
 ٦ - صدى أحداث تونس ومصر ..... ٤٦٥  
 ٧ - الرحلات والاكتشافات في ليبيا في القرن الثامن عشر ..... ٤٦٧  
 ٨ - التغلغل التركي في دواخل ليبيا ومشكلة الحدود ..... ٤٧٠  
 ٩ - آخر الولاية الأتراك ..... ٤٨٨  
 ١٠ - الأوضاع الاقتصادية في طرابلس الغرب بين سنة ..... ٤٨٩  
 ١٨٦٠ حتى سنة ١٩١١



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الاسكندرية









